عبدُالسّلام حَمْدِي اَللمْعِي

أغوارُ
العالَمِ الإسْلاميِّ

الجُزْءُ الأوّل

﴿مَلفّات سَاخِنَة﴾



المركز الرئيسي : ٣٠ شارع الرعاية الإسلامية / البدر شين / جيزة
خلف بنك التنمية والائتمان الزراعي الجديد
ت : ٠١٠٦٥٤٩٧٦٢ & ٠١٠٩١٥٢٠٢٦
الفرع : أبو صير . البدر شين . جيزة منزل : عبد السلام اللمعى
تلي فاكس : ٠٢٣٨١٥٠٢٣٩

رقم الإيداع	الترقيم الدولي /.I.S.B.N
2006 / 23823	977 – 6225 – 00 – 4

الطبعة الأولى

١٤٢٩ . هـ   الموافق / ٢٠٠٨ . م

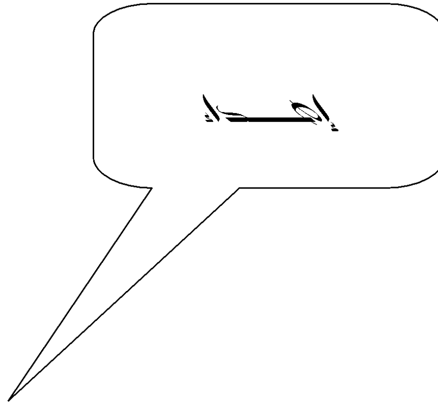
لـــــدار الـــــــــهَدَف

للنّشـــــــّـــــر والتـــــّــــوزيع والطباعة

ت : ٠١٠٦٥٤٩٧٦٢ & ٠١٠٩١٥٢٠٢٦

تلي فاكس : ٠٢٣٨١٥٠٢٣٩

بسم الله الرحمن الرحيم



إلى إخوة الدِّين والعرُوبة فى زوايا العالم الأرْبع ، المهتمين بقضايا أمّتهم ،المُتَألِّمين بآلامِها ، الآملِينَ فى آمالها

إلى والديَّ

إلى السَّيِّدةِ زَوْجِى

إلى أولادى جميعا { نُهى – حمدى – ضياء – آيات }

إليكم جميعا أهدى هذا الكتاب

عبد السلام البلشي

(٣)

تقـــــــــــــديم :

أصلُ الحكاية !!

ولأنّ الدِّينَ الإسْلاميَّ إيمانٌ ونورٌ .. وحقٌّ وعدْلٌ .. ورحْمةٌ وهُـدى .. ولأنّـه تسامُحٌ وسلامٌ .. وحضارةٌ وخُلُقٌ كريمٌ .. ولأنّه مُساواةٌ بين البشَرِ جميعاً فى الحقُـوقِ والواجباتِ .. يصُون حقّ الله فى الحقُوقِ والواجباتِ .. يصُون حقّ الله فى ذاتِ الفرْدِ .. وحقّ الفردِ فى حُرمَةِ عِرْضِهِ ودَمِهِ ومالِهِ .. ولأنّه لا واسطةَ فيهِ بين العَبْدِ وخالقهِ جلّ جلاله ..

فقد غَدَا هذا الدِّينُ العظيمُ مُستَهْدَفَاً مُنذُ اللّحظاتِ الأُولى لوجُوده بـالطّعن فيـه .. والإساءة إليهِ .. والتّشويهِ والتّشويش عليه لا من قبلِ المُعاندين الرّافضين فـى البيئـةِ العربيةِ فحَسْب .. بَلْ ومن قبلِ الذين طَفَوا فى الغَرْبِ عَلَـى سـطْحِ الحيـاةِ الدِّينيـةِ والسِّياسيّةِ من أدْعياءِ الانتسابِ إلى الدِّياناتِ السّابقةِ عَلَى الإسلامِ .. والّذين كان حظُّهم من هذهِ الدياناتِ قَليلاً ، فتناولُوها سَلَفاً بالتّبْديلِ والمسْخِ والتّشويهِ ..وفَرَضوا أنفُـسَهم قيادَاتٍ دينيّةً .. وزَعَامَاتٍ سياسيةً كقيصر رُوما الأسبق الجَبانِ الذى اسـتعاضَ عَـن مُواجَهَةِ سيْفِ الإسلامِ الذى أذلّهَ بالطّعن علَيْهِ وعلَى نَبيِّهِ الكَريمِ بفاحِشِ القَوْلِ وبـذيءِ الكلامِ، ومثل بابا رُوما الحالي " بنديكت السّادس عشر " الذى اسـتعاض عـن عَـدَمِ مَعْرِفَتِهِ بالإسلامِ والجَهْلِ بشأنِهِ بالتهجُّمِ علَيه وعلَى نَبيِّهِ الكَريمِ .. هذه القياداتُ الدِّينيّةُ والزّعاماتُ السِّياسيةُ استغلّت مُنذُ القِدَمِ جَهْلَ أتْباعِهِم وعمّقوا في نُفُوسهم حُرمَةَ البَحْثِ والتّفْكيرِ الدِّيني .. ونَصّبوا من أنفُسِهم أوصياءَ عَلَى النّاسِ .. وادّعوا لأنفُـسِهم حـقَّ الوساطةِ بيْنَ الخالقِ والمخلُوقين .. واستبدّت بهم شهوةُ التّسلُّطِ وحُمّى السُّلطةِ فزعَمُوا لأنفُسِهم حقّ الغُفرانِ والطّردِ من رحْمةِ الـرّبِ .. ومِلْكِيّـةِ الجنّـةِ والنّـارِ فَـضَلُّوا وأضلُّوا..

وهُم يترصّدون الإسلامَ توارَتْ لديهمُ المفاهيم الصّحيحة فى فلْـسَفةِ الأديـانِ .. وأنّها تأتى تباعاً عَلَى قدْرِ التّطورِ المقدُورِ من الله سُـبحانه وتَعَـالى لعبـادهِ .. وأنّ الرِّسالاتِ السّماويةِ لا تتعارَضُ ، ولا تَتَصادَمُ .. وإنّما هِى تتواصَـل .. وتَتَعَـانَقُ ، ويُكملُ بعضُها بَعْضاً .. لأنها كُلّها من عِندِ الله .

ويُخطِئ مَن يظنُّ أنّ عداءَ الغَرْبِ ومن بَعْدِه أمريكا للإسلامِ وكراهيتَهم للمُسلمين هو وليدُ العُصُورِ القَرِيبةِ الماضيةِ .. والنِّزاعاتِ والحرُوبِ التى دَارَت بينَ الشّرقِ الإسلاميِّ والغَربِ الصّليبيِّ تحت مُسمّياتٍ ما تَــزالُ ألسنَتُنا تُلَــوِّكُها حتّى الآن .. أبداً لقد كان هَذا العداءُ وتلك الكراهية والإسلام لا يَزَالُ فى رحمِ الغَيْبِ .. وقبْلَ أن يأتِى بَعْدَهُ بعِدَّةِ قُرون .

لقد كان نبيُّ الرّحمةِ مُحمّد بن عبد الله القُرشيِّ العربي ﷺ مسطوراً فــى كُتُــبِهِم الصّحيحَةِ .. اسمُه.. صفاتُه.. مكانُه .. وأُشيرَ إلى زمانه بأنّه آخرُ الزّمــان .. وهــذا يعنى أنّ العقيدة الإسلاميّة ستكونُ آخر العقائد .. وأنّ الرسولَ المُــصطفى محمــد ﷺ سيكونُ آخرَ الرُّسُل .. وتبْقَى الرِّسالةُ والرّسولُ خالدَيْنِ حتى تقومُ السّاعةُ .

مُنذ اللّحْظَةِ استعَدّ أعداءُ الإسلامِ لمُحاربَتِه بدءاً بتحريفِ ما وَرَدَ صــحيحاً فــى كُتُبهم .. ثُمّ بتَحْرِيف مفاهيم الإسلامِ ذاتِها .

وينتشِرُ الإسلامُ بصفائه الروُّحي .. ونُوره العَقْلي ، وسلامَتِه النّفــسيّة ، ويقينِــه القلْبي .. وهى عوامل نافذَة مُتضامنةٍ لا تتخلّفُ ، تَسْرى فى المُسلم سريان الــدّمِ فــى العُروقِ فتُحيلُهُ بَشَراً سويّاً .. وكُلّما تعمّقَ المُسْلمُ فى إسْلامِه تزدادُ هذه العوامــلُ فيــه نَصاعَةً .. ووضاءَةً .. حتى يصيرُ بَشَراً ربّانيّاً .. ويصلُ إلــى حالــةٍ مــن الرِّفْعــةِ والتّرفُّعِ والتحْليقِ فى الآفاقِ .. والأفلاكِ مع الكواكبِ والنُّجُومِ .. وعَظَمَــةِ القــادرِ .. الواحدِ الأحد الفرْدِ الصّمد .. الذى لم يلدْ ولم يُولد ولم يكُن له كُفواً أحد .. وكان سمُّو الإسلامِ يتزايدُ ويُسلمُ النّاسُ فى الغربِ فى السِّرِّ وفى العَلَنِ .. وما كــان يثْنــيهم مــا يتعرّضون له من أبشَعِ أنواعِ التّعذيب عن التمسُّك بالإسلامِ والاستشهادِ فى سبيلِه كما هو حادثٌ الآن .. ولا يزالُ مُسلسلُ دُخُول الأمريكيين والغرْبيين فى الإسلامِ مُــستمرّاً ، وتزدادُ أعدادُ المُهتدِينَ يومَاً بَعْد يومٍ رغم ما يتعرّضون ويتعرّض له الإســلامُ مــن مَهَانات وعَدَاءَات .

وأُوردُ مثالاً حيّاً للأعدادِ التى تدخلُ فى الإسلامِ من أمريكا والغــربِ ومُختلــف بلدان العالم ما جاءَ فى إحصائية فى مقالٍ لفضيلة الإمام الأكبر شــيخِ الأزهــرِ فــى الأهرام بتاريخ ٢٠٠٦/١٠/٦ يُوقظُ فيه بابا رُوما ويلْفِتهُ عن إفْكِه أنّ عَدَدَ الذين وفَدُوا

عَلَى مشيخَة الأزهر الشّريف ليُعْلنُوا إسلامَهم فى صَحْنه الزّاهر أبداً . فى سنة ٢٠٠٠ أسلم (٩٣٨) فرداً من ٩٠ دولة، وفى سنة ٢٠٠١ أسلم (٨٦٠) فرداً من ٩١ دولة، وفى سنة ٢٠٠٢ أسْلَمَ (١١٦) فرداً من ٩٣ دولة، وفى سنة ٢٠٠٣ أسلم (١٣٤٤) فرداً من ٩٨ دولة ، وفى سنة ٢٠٠٤ أسْلَمَ (١٦٧١) فرداً من ١٢٢ دولة، وفى سنة ٢٠٠٥ أسلم (٢٠٥٢) فرداً من ١٠٤ دولة ، هؤلاء جاءُوا مُتكبِّدين مشقّات السّفر والقُدرة المَالية ..عدا الذين لم تُسعفهم ظُروفُهم ليأتُوا إلى مشْيخة الأزْهر وليسَ ذلك شرْطا طَبْعَاً فى الدُّخُول إلى الإسلامِ فيدخُلُونَ فى دينِ الله فى مَقارِهم وهُم أضعافُ أضعافُ مَن جاءُوا إلى الأزهر الشّريف .

من هُنا .. ومن هنا أوّلاً تأتى هَجْمة الخُلُق السّئ والتّضليل والكَذب والافتراء على الإسلامِ ، يستَوى فى هذا كِبارُ القومِ فى أمريكا من أصحاب المصالحِ الماديّة أوْ صَعَاليكهم ممّن يدُورُونَ فى فَلَكِهم .. فكُلُّهم تجْمعُهم صفاتٌ مُشتركةٌ .. وينتظمُون فى سلك واحدٍ هو الشُّذوذُ والانحرافُ وسُوءُ الفهْمِ والتّقدير والافتقارِ إلى الخُلُق الكريمِ .. فضلاً عن الحقْد الأعْمى الذى سيُوردُهُم حَتْماً موْردَ التّهلُكَة .

وكان الظّنُّ بهؤلاءِ الغرْبيِّين أن يحفَظوا للإسلامِ الجَميلَ وهُو يَغْسلُهم من الطِّين والأوْحَالِ التى عاشُوا فيها قُروناً طَويلةً قبل أن يَصلُهم نُورُه .. وحضارتُه ، ويضَعُهم على خَريطةِ الدُّنيا الإنسانية الجَديدة .

لكنّ تنامى عَدَدَ المُسلمين فى الغَرْبِ جعَلَهُم يُطَفِّفُون مكاييلَ الحقْد والعَدَاء للإسلامِ ويُوَصِّلُون كَراهيةَ المُسلمين فيُحَرِّفُون المفاهيمَ الإسلامية .. ويَحْكُون الحكاياتِ المغلُوطَة، ويرسمُونَ الصُّورَ الشائهَةَ للمُسلمينَ ولِبَنِى الإسلامِ ويُذيعُونها بين النّاس ، ويُكَرِّرُونها حتى تغدُوا مأثورات تتوارَثها الأجيالُ وتتناقَلُها العُصُورُ.

وأزعُمُ أنّ موجاتَ البَشَرِ الذين قدموا إلى الشّرق الإسلامي فى الحُرُوب الصّليبية والذين قُدِّروا بالمَلايين ممّن استفزّهم أدعياءَ الصّليب ، والذين ابتلَعَت أمواجُ البحْر مُعظَمَهُم قبل أن يصلُوا إلى شواطئ الدّولة الإسلاميّة شاهدٌ عَلَى تأصيلِ الحقْدْ والكراهِية والعداءِ للإسلامِ والمُسلمين.

ولقد استطاع أعداءُ الإسلام والمُسلمين من أمريكا والغرب اختراقَ جبْهَـةٍ مـن أخْطَرِ الجبهاتِ فى تاريخ الإسلام ، وهى جبهَةُ الفرَقِ الإسلامية التى تعدّدت أشكالُها، وانْتَشَرَ أقطابُها يبتدعُون ويُزايدُ بعضُهم علَى بعضٍ مُغالين أكثرَ من أعداءِ الإسلامِ من الغرْبيين فى تزْييفِ المفاهيمِ الإسلاميّةِ مُـستغلين سَـزَاجَةَ البُـسطاءِ مـن الأتبـاعِ والمُريدينَ، وقد طوّعوا كلّ شيئٍ للإتّباعِ حتى باعُوا الجنّةَ وهْمَاً للنّاس بالإثم والضّلال المُبين .. وكَسَرُوا بذلك شوْكَةَ الإسلامِ، وزادُوا من ضعْفِ المسلمين، وأتاحُوا للـذِّئاب من البَشَرِ فى أمريكا والغرْب، ومَن علَى شاكلَتِهم ممّن لا يُريدُون للأُمّةِ الإسلاميةِ أن تقْوَى أو أن تتّحد .. وتُشارك فى بناءِ العالَم الجديدِ علَى تَقْوَى من الله ورضوانٍ .

والكِتاب الذى بين أيدينا **{{ أغوار العالم الإسلامي }}** للكاتب المُبـدع الأسـتاذ / **عبد السلام حمدى اللمعى** يتناول بالتّفصيلِ أسبابَ هجْمَةِ الذّئاب علَيْنـا مـن خـلالِ عَرْضه المُبهرِ لمسيرَةِ الإسلامِ من النّشأةِ الأُولى أيامَ رسُول الله ﷺ وحتى يومنا هـذا .. مُجلِّياً فى هذا العرْضِ جوانبَ القُوّة وعصُورَ ازدهارها .. ثُـمّ مـا اكْتَنَـفَ هـذه المَسيرةَ من عواملِ ضعفٍ مُوضّحاً أسبابَ الضّعفِ ومَظَاهره فى تحقيقٍ فَريدٍ ومُفيـدٍ لمُسلْسَلِ الفرَقِ الإسلامية المُوجع المُبكى الذى حوّل العالمَ الإسلاميَّ إلى نهْرٍ دافقٍ من الأحزانِ ، ودُموعِ الآلام ..

يُبحرُ فيه الكاتب .. يستوى به القاربُ عَلَى سطْحِه حيناً .. ثُمّ لا يلْبَس أن تصدْمه الجنادلُ والصُّخُور .. صُخُورُ الفتنِ بين هذه الفـرق ومُحارَبـة بعـضُها الـبعض .. ويتوارَى القاربُ فى شلاّلاتٍ من العواصفِ .. ومَوْجِ الأحداثِ التى تعدُو على الأُمّـةِ الواحدة فَتُفَتِّتُهَا كياناتٍ هزيلةٍ لا تملك إلاّ العَدَاءَ لبَعْضِها الـبعض .. وتنهـارُ الأُمّـةُ الإسلاميةُ فى مشْهَدٍ مأسَاوِيٍّ حَزِينٍ .. وتَتَكَاثَرُ خُصوماتُها ، ويعـزى ذلـك الأعـداءَ بالقَفْزِ عليها وافتراسِها ، بل لاقتلاعها من جُذُورها .

وتَشْتَدُّ قتامَةُ الصُّورةِ .. ودمَوِيةُ المشْهَدِ .. وأربابُ المصاطبِ فى المحرُوسة من أدعياء الثّقافَةِ .. والكتابَةِ .. والفكْرِ .. والدِّين .. والسياسَةِ يتصايحُون كالعادة داعـينَ إلى تصْحيحِ صُورة الإسلامِ والمُسلمين فى الخارجِ ، ورَذاذ أفواههم يصنَعُ شبُّورةً من الكذبِ ..... والنِّفاقِ ..... والضّعفِ والخُذلان.... فتصحيحُ الصُّورة يبدأُ من الدّاخلِ

(٨)

لتَصْحيحِ حياةِ المُسلمين قَوْلاً وفعْلاً ومُعتقداً .. يبدأ بتصْحيحِ المفاهيمِ الإسلامية التي عَدَا عليها العادُون فى الدّاخل أوّلاً .... وشوّهُوها .... وأوجَدُوا من المُسلمين طوائفَ فَقَدَت الوعْيَ والإدراكَ ، وجعلتْ تُناصر التّشويهَ القادمَ من الخارجِ .. وتدعُو له .. وتغُضُّ الطّرفَ عَن الفضائحِ .. والقبائحِ التى انتشَرَت بين العامّة والخاصّة ، وقتَلَت الرُّوح فى أوْسَاطِ شبابنا وشابّاتنَا .. فى المدارسِ والجامعَاتِ .. والأندية مُتحلِّلين من كُلِّ قَيْدٍ إلاّ قَيْد الانتماءِ لمَن يحْمِى ثرْواتِهم التى نَهَبُوها .. وجاهَهُمُ الزّائفُ .. وهويَّتهم المُزدَوَجَة التى منحت بالأرض وبالعرض !! .

وعندما تستَقيمُ الصورةُ .. وتستوِي علَى منْهجِ الإسلامِ .. ومفاهيمه الصّحيحة النّقيَة فى الدّاخلِ .. وعندَمَا تتوحّد الأمّةُ فى المحرُوسة أوّلاً سَيُواكبُها تصْحيحُ الصُّورة فى الخارجِ . . ولن يتخلّف مسارُ التّصحيحِ فى الخارجِ لحْظةً واحدةً علَى مَسَارِه فى الداخلِ ، ولن نحتاج بَعْثَاتِ العلاوات الخاصّة .. ومُحبِّى شراءِ المُستوْرَد ، ورَفَاهية فنادقِ النُّجُومِ المُتعدِّدة .. ومَن لاّ يتورّعُون عن شُربِ الخَمْرِ ، ومُداعبات الرّقيق الأبيض .. وأكلْ لحْمِ الخنْزير علَى موائدِ الحَضَارةِ الزّائفة هُناك بَعيداً عن أعيُنِ الرُّقَباءِ .. وفُرسان الدِّفاع عن التّماثيلِ .. والبُكاء علَى وهْمِ أطلالها أكثرَ من البُكاء على واقعِ دينِهم وأمّتِهم .

وأقولُ للكاتب المُبدع : **الأستاذ / عبدالسلام حمدى اللمعى** .. الذى يعتصرُهُ حالُ أُمّته ، ويُبكيهِ ما آلَ إليه أمرُ المُسلمين .. كُن شفيقَاً مع نفْسك .. فَيَقينى أنّ ما يفعَله أعداءُ الإسلامِ ليس سوى تهريجٍ يُثبتُ عجزَهُم عن مُواجَهَةِ الإسلام بمثلْهِ أوْ بقَريبٍ منه .. وهيْهاتَ .. وكُلّما يزدادُ عجزُهُم يزدادُ عددُ المُؤمنين بالإسلامِ .. والذين يُقبلُون عليهِ خالعين أثوابَهم المُعْتِمة لابسين أثوابَ العقيدة السّمحة ، ضاربين إسفافَ بَنِى جِلْدَتِهم فى حقِّ الإسلامِ ضرْباً مُميتاً .

فَهَيَّا: زيدوا أيُّها الأفّاقُون من بَغْضَائكُم .. فلن تضرُّوا الإسلامَ فى شَئٍ ولن تحرقُوا غيرَ أنفسكُم .. وسيبْقَى الإسلامُ يُعطِّر الجوَّ بتَعَاليمِه النّورانيةِ .. ما بقي الكونُ .. وما دامَت الحياةُ .. ..

إبراهيم حسن خلاّف
أديبٌ وروائيٌّ وكاتب إسلاميٌّ

تقـــــــــديم

باتت المُؤامرةُ الكُبْرَى عَلَى العُروبةِ والإسلامِ والإنسانيةِ مُــستَمِرّةً مُنــذ نَبْتِهــا الأوّل، وظلّت تَتَنَامى، وتَتَلاَحم عَبْر مَرَاحلِ التاريخِ ، حتّى انتَهَت إلى وقْتِنَا المُعاصَــر ولم تنْتَهِ بعدُ.

وقد مرّت بأطوارٍ عديدةٍ ، ومراحلَ مُتنوِّعة ، لبستْ فيها غيرَ لُباسٍ ، وصُــيِّرَتْ غيرَ تَصْيير، وقد برع مُصيِّرُوها بإجادةٍ تامةٍ وعَمَــلٍ دَؤُوب، وفكــرٍ شَــيْطَانيٍّ ، أن يصنعُوا أحداثاً مُتلاحقةً تندَفِعُ فى خُطُوطٍ مُتوازيةٍ من دُون انقطاعٍ فى سبيلِ النّيلِ من المُسلمين شُعوباً وحكوماتٍ ، رُؤساءَ ومَرؤُوسين حتّى أصابتْ عن استحقاقٍ وبجَــدَارَةٍ مُعظمَ شُعُوبِ الأرضِ فى مَقْتَلٍ .

تلكَ الصَّرخةُ التى قدَّمت بُرهاناً عملياً ، دَحَضتْ معه كلَّ النظريّاتِ ، وقَطعَــت به كُلّ لسانٍ كان كثيراً ما يتغنّى فيما يُسمّى وهْمًا (حوارُ الحضاراتِ) أوْ هو حــوارُ الدِّياناتِ وقَدْ يُقالُ لهُ ــ حوارُ الثقافاتِ ــ ، وقد قَطَعَتْ كُلّ طَرِيقٍ للرّجاءِ ، وأوْصَدَتِ الأبوابَ ، وحطّمت النّواقيرَ التى تُعلنُ علَى العَالَم بأنّ الغرْبَ يتغيّــرُ، وأنّ الــصّهاينةَ ومن قبْلهم الماسُونيّين هم دُعاةُ سلامٍ وأصدقاءُ للشُّعوب.

كلاّ ــ إنّهم جميعاً يسْعَوْنَ للسّيطرةِ علَى كلِّ شئٍ وإن تناهَى فى الصِّغر، وقهْــرِ كلِّ الأشياءِ وإن تمادَت فى الكِبَر، ويقاتلُون فى سَــبيلِ اســتغلالِ ثــرْواتِ الــشُّعوبِ والسّطو علَى إمكانيّاتها سلْما بمُوجب اتفاقيّات الشَّراكة، أو قَسْراً بالاحتلالِ العَسْكريِّ السّافرِ كما هو الحالُ فى فلسطينَ، وأفغانستان، والعراقَ (والبقيةُ تأتى) وبخاصّةٍ فى عالَمنا الإسْلاميِّ مُترامِي الأطْراف، وهو الغنيُّ بثَرْوَاته ومصادرِ طاقاتــه وإمكانيّاتــه الجبَّارة، ولَن يتسنّى لهم ذلك إلاّ من خلالِ السّيطرةِ علَى الإنسانِ المُسلمِ، لأنّ الغَــرْبَ عامّة لا يَرَى فيه غيْر ماردٍ كسْلان، يملكُ مَصَادرَ قُوّة عظيمة، إن سخَّرَها وطوَّعَهــا لإرادته، وعَمَلَ بها، وهبَّ من كُساله، فإنّه سيُحَرِّرُ البشَريةَ جَمْعاءَ من ظُلمِ المتآمرين، وحقْدهِم، وعسْفهِم، وجُورهِم، وجَبرُوتِهم.

ومصْدر هذه القوّة العظيمة ومحرّكها الأوّل هو الإسلامُ، الــذى أمْــسى يُخيــفُ الغرْب ويُرعبُه ويُزَلْزِلُ مَضَاجعَهُ، حتّى باتَ يراهُ وهو الخطَر الذى يحدقُ به، ويُهدّدُه بتَقْويضِ حــياته ، فباتَ يسْعى ويحشدُ كُلَّ الطّاقات، ويُسخّرُ كلَّ الإمكانيات للنّيلِ مــن المسلمينَ وخلْخلة مُعتقداتهم، وخلْط أفكارهم، والتّشــويش علـــى آرائهـــم، وتـــشْويه إنْجازاتهم.

وتلك أدواتُهم يستخدمُونَها فى إدارة الصّراع المُتأجّج، وهُم يقــدمُّون لـــه وَقُــوداً هائلاً لا يَنضَب من الحُروب، والفتن، والُمنازعَات، والــشّحْناء فـــى أقطـــار الأُمَّـــة الإسْلامية، حتّى أصابتْها رياحُ التَّغْيير العَاتية، فأحْدثَت بها الــوَهَن، وأوْقَعــت بينَهـــا القطيعةَ، فركَنَت إلى الدُّنيا بلَهْوها وذُلِّها، ونأَت عن الآخرَة بنَعيمها وعزّها من جـــرّاء ما حَلّ بها من خزْى، وضَعْف، وتقاعُس، وتواكُل، وعجْز، حتّى تَحلّلَت الأمّةُ الواحدةُ إلى أُمَمٍ مُتنازعة، وأقطارٍ مُتحاربةٍ بسبب الصّنيعة الاسْتعمارية الخالصةَ التـــى غَـــزَل الاستعمارُ خُيوطَهَا، ونَسَج عَلَى منوالٍ جيّدٍ أبْعادَها، وأَجَدْناَ نحنُ ارتدائها، وتَقَاتلْنا علَى وهْمها، وتلكَ هى ما تُعرف الآن (بالحُدود السياسيّة)، وتَـــارةً بـــسَبَب الانتمـــاءات العَقَائديَة، وبسَبَبِ ما يَكُون من ألْوان التّمْييز الطّـــائفي والمـــذهبيّ أوْ العُنـــصريّ أو العرْقيّ بسَبَب اللّوْن أو الدّين أو الفكر، وما ينتجُ عن كلّ ذلك مـــن نُـــشُوء دَعْـــوَات الانفصَالية، والأُمَميّة، والقُطْرية.

هذا غيرُ قليلٍ من الحُكّام أوْ القادة الذين اعتلوُا مقَاعدَ الحُكْم هكَذَا، علَـــى حـــين غفلَة من التّاريخ، أو بمُوجب حادثَة طارئَة خَلَقَتْهَا ظُروفٌ مُعيّنةٌ عَن غَيْر قَـــصْد، أوْ سابقَة إصرَار، فَعَنّت لذلك خلافاتٌ وشقاقَاتٌ وتمرُّدَاتٌ بـــين الحُكّـــام والمَحكُـــومين، تسلّطَت فيها الأنظمةُ عَلَى إرادَة الشّعُوب، وتمَرّدَت فيها الشُّعوبُ علَى قيادَاتها، حتـــى لاحَت فى سَماء عالمنا الإسلاميّ كُلّه بوادرُ ظاهرة جديدة هى من صُنع إسرائيل ومَن جاؤُا بها إلى قَلْب العالَم العربَيّ، تلك هى ظاهرةُ الإرهاب الإسلاميّ بحْسب زعْمهـــم، فأكَلَها المُغفّلُون وشربُوها، فأعرضَوا عَن دين الله وحاربُوه، وأضحيْنا ونحـــنُ نبـــدُوا ضُعفاءَ فى أوطاننا نخافُ أن تتخَطّفنا الطيرُ أو تُطيحُ رياحُ التّغيير بنـــا فـــى مَكَـــانٍ سَحيق.

أمّـا الأعداءُ، والمتآمرون، والحاقدون، فقد أحْسَنوا استغلالَ ما كان منّا، وما وقعْنا نحُن فيه، فمارسُوا الكثيرَ من الضُّغوط على قِياداتنـا ودُوَلنـا، وافتعلـوا الأزمـاتِ الاقتصاديةِ الخانقة، وصنَعُوا المُعارِضين، وموّلوا المتمرِّدين والمُنشقِّين، وجاؤُا إلـى الدُّنيا بالإرهابيِّين وأمـدُّوهم بالسـلاح والأمْـوال، فظَهرَت لذلك مشكلاتٌ خطيـرةٌ بالباكستان، والـسُّعوديةَ، والـيمن، وإندونيـسيا، وماليزيـا، ونيجيريـا، والجزائـر، وموريتانيا، وكينيا، والسِّنغال، وساحل العـاج، والـصومال، وإريتريـا، والـسودان، وغينيا، والبوسنةِ، والشِّيشانِ، وألبانيا، والفلبِّين، والدُّولِ الإسلامية فى البطن السوفيتيِّ الضعيف،.............وغيرهم.

غير أننا لمْ نتدبّر اتِّفاقَ مواقِفِهم وتَطَابُقِها ضدّنا، وهم أصحابُ الشِّعاراتِ البرّاقة؛ والمبادئْ المُتناقضة، وهم الأعداءُ فيما بينَهم، وهـم كـذلك الأشـدُّ عـداءً للإسـلامِ والمُسلمينَ، وما ذلك التَّدَبُّرُ إلاّ بقصْد استخلاصِ المواعظ، واستقْراءِ النَّتائجِ، حتّـى لا نبدُوا عاجزِين عن مُجرّد قراءَةِ الواقِعِ مِن حَوْلنا، خاصّةً مع إطلاقِ العَنانِ لإرساليّاتِ التّبشيرِ، والمُستشرقينَ، وقد غمرُوا العالمَين العربـيِّ والإسـلامي، والمنـاطقَ ذاتِ الأغلبيةِ المُسلمةِ فى شتّى بِقاع العالَم، وجعلُوها تحتَ مجـاهِرِهم وميكْرُوسـكوباتهم، وأغْرقُوها كذلك بعُملائهم ومُخابراتِهم وجواسيسهم.

ثُمَّ لماذا الإصرارُ على غزْوِ الدِّيار الإسلاميّةِ ، وتغْـذيتِها بالأفكـارِ والمبـادئْ والنظرياتِ المُعادية للإسلام جنْبا إلى جنبٍ مع المؤسَّسـاتِ التى تُسهم فى القـضاءِ على الأخلاقِ والقيمِ ، وتدعمُ الممارسـاتِ الـشّهوانيّة المحطِّمـة لقُـوى الـشّباب ، المُستنزِفة لطاقات الأمة.

لقد حصرتُ ما استعطتُ عن طبيعةِ الأزمةِ، وأدواتِ الصِّراعِ، فى سبيلِ الكشْفِ عن سرِّ الأزمةِ الكائنةِ بين عالمِنا الإسلاميِّ وأعدائِه؛ فى كتابِنا الـسّابق المُعَنـون : (صراعُ الحضاراتِ وحوارُ الدبّابات).

وفى الكتاب الذى بين أيدينا **(** أغوارُ العـــالمِ الإســـلاميِّ **)** – الجـــزء الأول – " ملفات ساخنة " نهتمُّ بالبحث فى حال الأُمّة، وبيانِ ما أصـــابَها، وكــشْف أحوالهـــا، وتعْريةِ مُخطّطاتِ أعدائها ،،،،،، ونحنُ نغُوصُ معاً فـــى الأعمـــاق تـــارةً، ونطفُـــوا سابحينَ على السَّطح أُخرى، لِنستخرِجَ ما فى القاعِ، ثُمَّ نضعُه فوقَ القمّـــة، لينكَـــشِف المستورُ لنقرأهُ فى النُّورِ، معاً فى سطورٍ أخُطُّها، ونحنُ نسبحُ ونغوصُ معاً فى:

(((أغْوارِ العالَمِ الإسْلامِيِّ))

نتّصفح مَلفّاتِه السّاخنة

عبد السلام اللمعي

(١٤)

البابُ الأوّل

أزَلِيّةِ الأزْمةِ

(١٥)

الفصلُ الأولُ

أَوّلاً : المُشارَفَةُ علَى الضَّياعِ

أ ــ حاضرُ الثّقافةِ الإسلاميّةِ:

لقدْ تأكّد الغربُ الاستعماريُّ الكافرُ بزعامةِ الولاياتِ المتّحـدةِ الأمريكيّـةِ التـي يتحكّم فى إدارةِ شئُونها، ويرسّم سياساتِها، وتُهيمنُ على صُـنعِ قرارِهـا حُفنـةٌ مـن جماعاتِ الضّغط الصُّهيونيةِ الّذين التقوا مع غُلاةِ اليمـينِ المتطـرِّف فـى المطْـبخِ السياسيِّ الأمريكىِّ بالدّاخل الأمريكىِّ، أو فِى خارجِهِ مُنذ نـشُوبِ الحـرْبِ العالميـةِ الأولى فى نوفمبر ١٩١٤م، وهُم سواءٌ فى ذلك (الصهيونيةُ العالميّةُ، ومُجمّع الكنائِس العالمىِّ).

كما تأكّد الغرْب كُلُّه من أنّ الإسلامَ يقفُ جداراً صلْباً ووَحيـداً أمـامَ خُطَطِهِـم لتَدْميرِ المسلمينَ، والقضاءِ علَى الإسلامِ، وهو كذلكَ يمثِّل خطّ دفاعٍ أوّلَ عبْر عشراتِ القُرونِ لإفسادِ خططِهم، وتعْطيلِ مسيرتِهم نحْو تحقيقِ سيطَرَتِهم علَى العَالمِ، ففِى كُـلِّ مرّةٍ يبرزُ لهمُ الحاملونَ لرايةِ الإسلامِ بحقٍّ وصدْقٍ وقُوّة.

لقد عكَف الغربُ طويلاً علَى دراسةِ دينِنا الحنيفِ للتّعرُّفِ على النّوعيّـةِ التـي يُخرِّجها هذا الدِّين، وعواملِ البناءِ فيه، وكذلكَ درَاسة عَنَاصرِ القُوّة فى ثَقافته العَقَائديّة والمَنْهَجيّةِ، فوجَدُوهُ سياجاً مَنيعةً وقلاعاً حَصينةً وعَزيزةً عَلَى صَوَاريخِهم ومَدَافعِهم، فتأكّدتْ لهُم النتيجةُ التى خرجُوا بها من مُجملِ تجاربِهم المَريرةِ مَعَ المُسلمينَ، وأيقنوُا أنّ سعيّهم إلى التَّقَدُّمِ نحْو السّيطرةِ على العالمِ ، ونهْبِ ثَرْوَاته مرْهُونٌ بغَيْبةِ الإسـلامِ وجُندِه الصّادقين .

وذلك لأنّ الثّقافةَ الإسلاميّة قامت فى الأصْل علَى صناعةِ أُمّة واحدةٍ ذات قيمـةٍ واحدةٍ ، وهَدَفٍ واحدٍ، وأحْكَامٍ واحدةٍ، تدينُ بدينٍ واحدٍ، تجمعُها فى نهايةِ المطافِ لغةٌ واحدةٌ هى اللغةُ العربيةُ؛ (لغةُ القرآنِ الكريمِ).

كَما أنّها تُربّي في نُفوسِ أتباعِ هذا الدينِ عقيدةَ الجهادِ، وتُنكرُ عليهم الُخلودَ إلـــى الأرْضِ وأخْذِ الرّاحة، بعدَ أن وحّدتْ بين أتباعها، ورصّت صُفوفَهم، فَلَم تترُك بيـــنُهم مطْمعاً لطامعٍ، ولا منْفذاً لعدوٍّ، لأنّ الملكَ الديّان حسَم سلَفاً أيّ مساحةٍ للجدَلِ في هــذا حين قال تَعَالَى: بَعْدَ أعُوذُ باللهِ منَ الشّيطانِ الــرَّجيمِ. بِــسمِ الله الــرّحْمَنِ الــرَّحيمِ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَــنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [المائــدة: ٥١]، وقولــه تعالى: ﴿ **قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَــرَّمَ اللَّــهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَــنْ يَــدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** ﴾ { التَّوْبة: ٢٩] .

إنّ الثّقافةَ الإسلاميّةَ قامَت في الأصْــل علـــى أنّ المــسلمين مــأْمُورونَ بقِتــالِ المُشركين، ومُلاحقَتِهم، وحصارِهم، والتّضْييقِ عليهم: ﴿ **فَــاقْتُلُوا الْمُــشْرِكِينَ حَيْــثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَــامُوا الــصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ** ﴾ [التَّوْبَة: ٥].

وَذَلك لأنَّ الدِّينَ الإسلاميَّ لا يُخرِّج إلاّ أُناساً يتنافَسُون علَى المَوْتِ في سَبيلِ الله، ويعدُّونَ ذلكَ أسْمى مطالبهم، وأغْلى أمانيهم،وتلك منهجيّته في تَرْبيةِ الأجْيالِ وصناعَة الأَبْطالِ، وتحْريكِ الشُّعُوبِ وبَثِّ الحَرَكَةِ فيهَا، ومدِّها بالقُوَّة والنَّشاط، وهُم جميعاً مُنصهرُون في أمّة واحدَة تدينُ بدينٍ واحدٍ، وتَعْبدُ إلَهاً واحداً، كما قالَ تعَالى: ﴿ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾ { الأنبياء: ٩٢ }.

لهذا أرادَ الأعداءُ للشُّعوبِ الإسلاميّة صياغةً خاصةً تؤكِّد علَى تحْقيقِ مَــصالحِهم ومقاصدِهم في السّيطَرَة علَيْها وتمْزيقِ وحْدتها، وتشْتيتِ اهتماماتها، واقْــتلاعِ جميـــع الحواجزِ الفكريّة، والحُدُودِ النّفسيّة التي تحُولُ بين قُبُولِهم الضّيمَ والذُّلَّ، والاستعباد.

كما أنّها تُضخِّم فيهم رُوحَ الاستهلاك لمُنتجاتهم الخَبيثة، وسُمومِهم القاتلَة وتزرَعُ فيهم بذُورَ اليأسِ، وشتَلاتِ القُنُوط، فتفقدُ الشُّعُوبُ الإســـلاميةُ بـــذلك رُوحَ المُقاوَمَـــةِ والجهادِ.

وما أظُنُّ ذلك كائناً إلاّ بَعدَ أن ابتُليَتْ الثّقافةُ الإسلاميةُ ببلاءٍ عظيمٍ وافدٍ. اختَلَطَتْ مَعَهُ الأُمُورُ عَلَى الكَثيرين من أبْنَاءِ المُسلمينَ، فامتزجَ الأبْيَضُ بالأسْودِ، والْتَبَسَ عندها

الصّالُح بالطّالح، وعلَيْه فَقَدْ ظهَرتْ ألوانٌ من الثّقَافــات الغريبـــة عَلَـــى مُجتمعَاتنـــا، فظهرَت الفُرقةُ محلّ الوحْدة، والُجُزئيةُ محلّ الجَمَاعة، والقوْميةُ محَل الأُمّة، وظهَــرت جماعاتُ النّفْعيِّين، والإنتهازيِّين، والوُصُوليِّين، واللُّصُوص، وعُشّاقِ الأُبَّهةِ والسّلطَنة، والنّرجسيةِ الذين يميلوُن بطَبْعهم إلى تحْصيلِ المنافعِ والسّطو علَـــى مـــا فـــى أيـــدي الآخَرين لحسابهم الشّخصىّ، ويُولُون بالرِّعايةِ البلاطَ والحاشيةَ والمقرّبين بعد الأهــل والولد، وتَهَاوَت القُوى الثوريةُ، وخَفَتَتْ دعْواتُ الوحْدوية، واندَثرَت محبةُ العَـــــمل العام، وتوارَت مصالحُ المُجتمع، وتَرَاجَعَتْ أوْلويـــاتُ احتياجاتـــه، وباتَـــت مـــصادرُ الطّاقاتِ والإمكانياتِ والمواردِ نهْباً مشرُوعاً للجَميع، وقد أدّى انتهاجُ هذه السياساتِ ، والاستمرارِ فى تلك المُمارَساتِ إلى تحوُّلٍ خطيرٍ فى الثّقافة الإسلامية المُعاصرة.

من هنا فلستُ مُستريحا لحاضرِ الثّقافةِ الإسلامية، ولستُ مطْمئنـــاً كـــذلك علـــى مُستقبلها، لأنّها فيما أَرَى – ومُنذ حينٍ من الدّهر – لا تُعطى شرحاً كاملاً للإســـلام، ولم تقدِّم صُورةً دقيقةً عنهُ طِبْقا لما علمناه وتداركناه، وهو المتطابق مَعَ ما جاءَ فـــى الكتابِ والسُّنَّةِ الصّحيحة، وهو المنهجُ الذى سارَ به الأسلافُ العظامُ فى زوَايا العـــالمَ الأربعِ ينشرُون العلم، والحقَّ، والعدلَ، والخيرَ حتى تحوّلت الحياةُ إلى ربيعٍ مُزهـــرٍ، ودبّت فى عُقولِ الآخَرين بفضْله الحياةُ.

إنّ الثّقافةَ الإسلاميةَ المُعاصرةَ باتت تحملُ فى أطْوائها صُوَراً مُتنوِّعةً ومُختَلفـــةً ومُنفِّرَةً لمُجتمعاتٍ إسلاميةٍ مُعتلّة، وتحملُ بين جنَباتها قَضايا خلافيةٍ فكريةٍ وعاطفيـــةٍ دراماتيكيةٍ. لا تدْفع إلى دُنيا الناسِ والتّفاعلِ مَعَهَا ومُواكَبتها، وباتت وهى الأجْدر بأن تُودَع فى متَاحف التّاريخ.

وإذا كانَ المسْلمون يتوارَثُون كَنْزَيْن ثَمينين بين ظهْرانيهم، هُما : القُرآنُ الكريم : وقد تأذّن اللهُ بحفظه: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَـــافِظُون** ﴾ [الْحجْـــر : ٩]، والسُّنَّةُ النَّبويّة المُطهَّرةُ: وقد حَظيَت بصيانةٍ فريدةٍ : ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** ﴾ [الْحَشْر :٧].

وهُمَا بحقٍّ جَناحَا الثّقافَة الإسلاميةِ ، ولُبّ عقلها ، وقلْب تُراثها . غيرَ أنّ الثّقافـــةَ المُـــخْتلطَة غير المُتجـــانسة التى تُشكِّل عَقيدةَ المُـــسلمين فى الزّمن الحديثِ والوقْت

المُعاصَر تُعد خالية تماماً من المُقوّمات، وتفْتقر بشدّة إلى العناصـــر الّتى تُعيُن المُسلمَ على مُواجهَة أزْمَات ذلك العَصْر، ومُتابعة أحداثه، وتَسْجيل شواهده، وتحْليل نتائجـــه. لعَجزه عن استيطان مقادير من اليقين، والحمَاسة، والرُّشــد، والنّجابــة، والبــصيرة، والصّيرورة، بما يمكنُّه من الانطلاق فى كلِّ المَيادين، كما كان السّلفُ العظيم الــذين وصلُوا برسالتهم إلى كُل أُفق.

وما دامَت أحكامُ الله مُتعطِّلةً عن التّنفيذ، وسُنَّةُ نَبيِّه مُحمّد ﷺ حادَ عنها أتباعُهــا، وعملَوا وفْقَ أحْكَام هَوَائيّة وقَوَانينَ وَضْعيّة صَاغَها الأبُ الشرعيُّ للعَلْمَانيَّــة الحديثــة (نابليون بونابرت) وآخرون، فكان لا بدّ من ظهور هذا الزيْــغ الثقــافيِّ، والتحــوُّل العقائديِّ، وزيوع البلاء فى كلِّ وقت وحين.

هذا غير سُرعة سَرَيان حُمّى البَلادَة، وعلَل الرُّكون والاستكانة، حتى فَقَدْنا الكَثيرَ من الدِّين، والأخْلاق، والقِيَم، والفَضيلة، وصرنا دُعاةَ انهزاميــة، وتحلُّليّــة وقزْميــة، وأضحيْنا عاجزين عن توْظيف إمكانيّاتنا، وتَطْويع قُدراتنا، واستخدام مَواردنا، بينَمَــا يصيرُ بنا الحالُ من سيءٍ الى أسْوء، لأنّنا عجَزنا معَ سيْر القُرُون عن تــشْخيص مــا أصابَنَا من علَل سُلُوكية وأوْجاع اجتماعية، كما أنّنا قد فَــشلْنَا فــى قــراءة التّــاريخ واستيعاب أحْداثه، أو استخلاص تجاربه والاستفادة بنتائجه، حتى أضْحَينا أشبه بفاقدى الذّاكرةَ. لا ندْرى شيئاً عن روائع ماضينا العتيد.

وانظُر إلى إمكانياتنا ومواردنا الطّبيعية المردُودة لقُدرة الخَالق العظيم جَلَّ عُلاهُ، وقد وهبَنا إياهَا من لدُنه بوفْرة وجَوْدَة وجُود كريم.

فهذه منابعُ البترول، ومصادرُ الطّاقة المُتعدِّدة فى بعض بلادنا الإسلاميّة لدَرَجــة جعلَت المشرقَ العربىَّ مثلاً يتحكّم وحْدهُ فى احتياطيٍّ استراتيجيٍّ خَطير من مخــزُون البترول الذى يفِى باحتياجات العالم لقرون طويلة قادمة، الأمرُ الذى له ســالَ لُعَــابُ الاستعمار الحديث من أجْل السّيطرة على خيْرات المنطقة، والسّطو علــى مَواردهــا الطبيعيّة، سالكاً مَسَالك عديدة لتحقيق أغراضه، فتارةً يكونُ بتطْويع الأنظمَة الحاكمة، وتَسْييس مَصالحها، وأُخْرَى بالاحتلال العــسكريِّ المُباشــر،أو بــصناعة الأزَمــات الاقتصادية الخَانقة وإقامة أنظمة حُكم دكتاتورية، من ذلك:

- توقيع بروتوكولات التعاون الاقتصادي، وما يُسمّى باتفاقياتِ الشّراكة مع تلك الدُّول، وتسهيلِ تقديم المُعوناتِ (القروض) في البداية ثم يشتد التّضييق.
- إقامة أنظمة حُكم مُوالية للغربِ صراحةً، ترتبطُ به ارْتباطاً صريحاً، وتعْتَمدُ عليه اعتمادًا كليّاً.
- إشعالُ نارالصِّراعات الحُدُودية كالذى بين الإمارات وكل من إيرانَ وقَطَر، والسُّعودية وكل من عُمان واليَمَن، والمغْرب وكل من الجزائر وموريتانيا، ومثل ما كان في كارِثَتَيْ الخليج الأُولى بين العراقِ وإيرانَ وهى ما عُرفت (حرب السنوات الثمانى)، والثانيةُ (احتلال العراق للكويت) وما نتجَ عن الأخيرة مِن حَربٍ دَوْليةٍ شنّها الحُلفاءُ فى أكبر حشد لقوات دولية مُنذ الحرب العالمية الثانية بقيادة ""وحيد القرن"" عَلَى العراقِ تحت شعار تحريرِ الكويت عرفت باسم " عاصفة الصحراء " ، ولَيَنْشَأُ عن هذه الصِّراعاتِ طلبٌ كبيرٌ ومُلِحٌّ عَلَى الأسلحَةِ التى شَهَدَتْ رَوَاجاً هائلاً فى الآونةِ الأخيرَة، الأمرُ الذى يَسَّرَ للأعداءِ نهْبَ ثرْواتِ تلك الشُّعوبِ إمّا ثمناً لمَبيعَاتِ الأسلحَةِ أو لقَاءَ الحمايَة الأمْنيّة أو نظير فرْضِ الوصايةِ الأجْنَبيّةِ تحت دعَاوى (الدّفاع المشتَرَك) واتفاقيّاتِ الصّداقة والتّعاون العسكرىِّ . . . إلخ.
- وتارةً أُخرى وهى الأيْسر والأعمُّ والمتمثِّلةُ فى إقامةِ القواعد العسكريةِ الدائمة في نِصف العالمِ العربىِّ الواقع فى قارةِ آسيا، إلى جانب القائم على ساحلَي المُتوسط والأطلسيِّ (العربي) بالإضافةِ إلى تُركيا والباكستان، وذلك لضمان السّيطرة وفرضِ الهيمنةِ والتحكُّم والتَّسلُّط على القَوْمِ الذينَ ظَلَمُوا أنفُسَهم.
- القضاءُ الكاملُ على الشُّعوبِ والأنظمةِ التى تُعارض هذه المُخطّطاتِ الجهنميِّة ، وترفُض الخُنوعَ والخُضوعَ للاستعمارِ الحديثِ أى (تخرج عن الطاعة الأمريكية)، كما هو الحالُ فى النُّموذج الأفغانىّ والعراقىِّ، والمُجتهِدون لِتطبيقةِ على كلٍّ من سوريا وإيرانَ واليمن والسودانَ ومصر.

وأمامَ كُلِّ هذا فقَدَ نفَضَ المُسلمون جميعاً أيديهم مِــن تلــك المُــشكلات، وبــاتُوا عاجزِين عن مُجرّد التفكيرِ فى خطّةٍ يُفسدُون بها ما أرَادَهُ الأعداءُ فيهم، من الــسّيطرةِ على مُقدّراتهم وإمكانيّاتهم ومواردِهم، بل ومصادرة إرادتهم ولم تُحاوِل بعضُ الــدُّول العربية البتروليّة فُرادى أو مُجتمعين التّفكيَر فى استخْراجِ بترُولنـــا، ولا حَــرَجَ مِــن إعادة تصديرِ هذا البترول إلينا على شَكْل سلع مُصنّعةٍ ابتداءً من قُــرص الإســبرين حتّى الملاَبس الجاهزة ، والأوانى البلاستيكية، مُروراً بالأحذيةِ وغيرها.

وإذا نظرنا إلى الخَلْفِ قليلاً لوجدْنا القُطن المِــصريّ طويــل التِّيلَــة، المُنتــشرة زراعتُهُ فى مصرَ والسُّودانَ وسُوريّا وله حُقولٌ فيحَاءَ فى مساحاتٍ شاســعةٍ. لوَجَــدْنا أنّنا لم نُحسن استغلالَه فى النّسيج أوْ التّصنْيع، وكذلك لم نُطوّر مَــصانعَه، و فقَـــدْنَا مُجرّدَ الحفاظ عَلَى مكانةِ الصَّدارة التى كان يحتلُّها فى الأسواقِ العالمية، وقد تراجَــعَ إلى مَــراتبَ مُتأخِّــرَةٍ بَعْدَ القُطن الإسرائيليِّ والصِّينِي والهنديِّ، كما فقَدْنا إلى جانب ذلك أسواقَ تَرْويجِهِ وتَصْديرِه فى البُورصات العالَمية، ولأنّنا افتَقَرْنا إلــى الــسِّياساتِ التّصْديريّةِ الصَّحيحة، فقدْ تركْنا السّماسرةَ وحْدَهُم يُحدِّدُونَ مَصيرَ سلعَةٍ كُنّــا نُــسَمِّيها حتى وقْتٍ قريبٍ { الذّهبَ الأبيضَ }.

وفى مَجَالِ السِّياسةِ الإعلاميّةِ فقد نَجحْنا مع بداياتِ النِّصْفِ الثّاني مِــن القــرْنِ العشرين فى بثِّ إرسالِ محطّاتٍ إذاعيةٍ تُذيعُ القُرآنَ الكريمَ كُله وإلى جانبِه بعْضاً من برامجِ الفقْهِ والسِّيرة، وقَصَصِ الأنْبياء، وَحَياةِ الــصحابة. . . إلــخ . انطلاقــاً مِــن كُبريات العواصمِ الإسلاميةِ كما هو الحالُ فى مكّةَ المكرّمةَ، وفى مصْرَ حيث أكّــدت مصرُ ريادَتَها المُطْلَقَةَ فى هذا المجالِ عندمَا بدأ بثُّ إذاعةِ القُرآن الكريمِ من القــاهرَةِ فى ٢٥ / ٣ / ١٩٦٤ لأول مرّةٍ فى العالمِ.

وقبْل انقضاءِ القرْن ذاته شهد العالمُ الإسلاميُّ ثورةً هائلةً حقّق َمعهَا طَفْرةً وقفْزةً هائلتينِ فى مجالِ التِّقنيةِ الفَنِّيَّةِ، وفى عَدد ساعاتِ عَمَل تلك الإذاعاتِ حيــثُ امــتلأتْ طبقاتُ الأثيرِ بأصْوات الوحْيِ عَلَى مدارِ السّاعةِ بَعد أن امتدَّ العملُ بها طوالَ اليــومِ – ليلاً و نَهَاراً –.

غيرَ أنّ هذا العمل الضخم العظيم يَذْهَبُ بَدَداً لأنّه فى واد، ولأنّ الأُمّة الإسلاميةَ فى أودية أُخرى، حيثُ السّامعين إلى المُوسيقى والغناء والكُوميديا، ومُشاهدى المُباريات والأفلامِ هُم سادَةُ الموْقف وإلى حين.

وبذلك فإنّ الأزمةَ مُستمرةٌ كذلكَ إلى أحيانٍ أُخَر.

ب – *فَضيلَةُ الشّيخ " كليبّ ":*

يُعدُّ من أبرَزِ إفرازاتِ الثّقافة الإسلاميّةِ المُعاصرة ومن أخْطرِ سُمومها النّاقعة تلك التى طلعتْ علينا مع مطْلع العقد الأوّل من القُرن الأوّل فى الألفيّة الثّالثة، وقدْ طَفَتْ علَى السّطْح فى سُرعةٍ تسترْعى الإنتباهَ بفَضْلِ وسائلِ الإتّصال وأدوات الإعلامِ الحَديث.

فقدْ ظهَرَت أشياءٌ عجيبةٌ عبّرَتْ عنها بَجلاءٍ آخر تقاليعِ الفَتَاوى التى صَدَرَت مُؤخّراً، والتى أفْتَوا بها مجْمُوعةٌ ممّن يُقال لهُم (رِجالُ الدِّين)، وهو قولٌ جائزٌ فى حَقِّ هؤلاء، ـــ فَلَقَبُ ـــ " رجُلِ دينٍ " مَنْصبٌ كَنَسِّيٌّ تُحدِّدُهُ الكنيسةُ فتمنعه عن البعضِ، أو تمنحه ... كأن يُقال هذا قسٌّ، أو هذا قُمُّص، أو ذاكَ شمّاس...إلخ، فهؤلاءِ لا حَرَجَ فى وَصفْهِم رجالُ الدِّين المسيحي.

أمّا دينُنا الإسلامي فإنّه أرفعُ من ذلك، حيثُ رفَع العارفين بالله، الحاملين لكتابه، العالمين به من أُمّةِ النَّبيِّ الأمين، ونَصَّ عليهم فى القرآن الكريم تشْريفاً، لهُم وتعْظيماً من شأنهم فى قوْله تَعالى::﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء** ﴾ {فاطر: ٢٨}، وتأسيساً عليه صحَّ القولُ قوْلُنا وهو الواجبُ الإعْمال { عُلماءُ الدِّينِ الإسلاميِّ، ورجالُ الدِّين المَسيحيِّ } فإنه الأوْجبُ للحقيقة والأجدرُ بالصّواب ..

عُموماً فإنّ تلك الفَتَاوَى التى قَال بها هؤُلاء، فى مَضمُونها لا تقلُّ خُطورةً عَن أسلحة الدّمارِ الشّامِل، وهى التى تَصلُ إلينا عبْر الفَضَائيّات، حيْث يُفجِّرُ أصحابُها قنابلَهم الجُرثُوميّة، والإشعاعيّة، والثّقافيّة المُدمِّرةَ، بأفكارها السّامة فوْق رُؤوسنا – فى بُيوتنا – لتَنْسفَ ما استقرّ من صَحيحِ الدِّينِ فى عُقُول وقُلُوب المُسلمين والمُسلمات، لتُصيب فى مَقْتلٍ الشّبابَ المُصاب بفيرُوس الحُبِّ والكُرة وهَوَس الجِنْس والشُّذُوذ، وهو اللاهثُ وراءَ صناعة النُّجوم، والمَسرُوقة جُيوبُه فى السِّينما الهابطة والمسارح الخَليعة، والمَلاهى، وصالاتِ الدِّيسكُو.

(٢٢)

تلك الفئةُ من الشّباب الضّائع، من السُّهولة بمقدارٍ تفريــغ رُؤوسِــهم وحــشْوِها بأصابعِ الدِّيناميت، والقَنَابلِ الموقُوتة.

يُعدُّ من أخطرِ الأمثلة لتلك الأصابع أو هذه القنابل ، ما كان من فَتوَى أحد مَــن يُقال لُهم – رجالُ الدِّين – المحسُوب علَى المُسلمين – (أنّه يمْكــن للمــرأة أن تَقْــرأَ القرآنَ بالملابسِ الداخلية) أو « المايوُه »، و تحديدًا كما قالَ الشّيخُ { مُفتــى كليــبّ } بلُغته الكليبيّة (الأنْــدَر ويــرْ) أو كمــا بــين / Apparol - or UnDerwear – وبحسْب قولِ موْلاهــُم الشّيخُ (وإذا كانَ المضطَّرُّ يلبَسُ الصّعبَ فإنَّ لَها أن تُــصلِّى بقَميصِ النّومِ) .

ثُمّ خرَجَ عليْنا مُفتى آخَرَ من ذات الفَضائيّة التى تبثُ إرسالَهَا من أكْبرِ العوَاصِــم العربيةِ والإسلامية بفتواهُ النُّموذَجيّة التّبشيريةِ التى سبَقَ بها قــولَ الإنــسِ والجــنِّ، والأنبياءِ والملآئكة – فقدْ قالَ لعَنَهُ اللهُ تعَالَى وقبّحَهُ: أنّه مثلمَا للرُّجلِ فى الجنّة حُــور عينٍ فسوْف يكُون للمرْأةِ حُورٌ عينٌ مِــن الرِّجــالِ ولــستُ أدرى مِــن جَــاءَ بهــذِهِ الخُذعبَلات؟ !!!.

وقَال ثالثٌ: أنّ الجنّةَ التى نزلَ منهَا آدمُ ليستْ جنّةُ الخُلد، وحدّدَها بقوْله: (أنّهــا مكانٌ للتّدريبِ والثّوابِ والعقابِ، كما أنّها ليــستْ فــى الــسّماء، وإنّمــا هــى جنّــةٌ علــى الأرْضِ) تُــدانى فــى الــشّبَه الحديقــةُ الدوليّــةُ أو حَديقــةُ الأُورمــان. **ورابعُهم كلبُهم:** الذى طلَع على الشّاشة قائلاً إنّ قتالَ القُوّات الأجنبيّــة العاملــة فــى العِراق وفى أفغانِستان (حَرامٌ شرْعاً) وأنّ كلّ مُسلمٍ قاتَلَ أمريكيّاً فهُو فى النّارِ قَتَــلَ أوْ قُتِلَ.

إنّهُم نماذجُ الدُّعاة، وروُّادُ التّطْبيع، وأئمّةُ الإسلامِ الجَديد (New Islam) كمــا يريدُه لنا الغرْب وهُم جميعاً نماذج لما يُسَمُّونَهُ « الخطاب الدينىِّ الجَديد ».

إنّ هذه الأسْلحةِ الفتّاكةَ تُوجِّهُ نارَها إلى مَلايين المُــسلمين مِــن دُونِ رَقيــبٍ أو رادعٍ، مَعَ حرمانِ أهْلِ العلمِ من حَقِّ الرَّدِّ أو التصْويب، وتجْريم أىِّ تعليقٍ من أحدهِم، وذلك لانشغالِ الإعلاميِّين فى كُبريــات الــدُّولِ الإســلامية بالإعلانــات التِّجاريــة والمُسلسلاتِ التليفزيونية، والتّصريحاتِ الوزَارية، وكلُّها من البلْوى التى إن حلّت فــى قومٍ هلَكُوا.

هذا هو حاضر الثقافة الإسلامية الذى يُبكَى عليه أشدّ البُكاء، وفى هذا الحاضر المظْلم جائَت مأساةُ النّاصح الأمين (الكتاب) الّذى صَنَع عُقــولاً، وأضــاءَ دُهــوراً، وأوْجدَ قِياديِّينَ نافعينَ عُظماءَ، ونَشَر العُلومَ والفُنونَ والآدابَ، وقدْ حوَى بيَن أطوائــه آراءَ العُــلماء والفُقهاءِ والأُدباء، هذا الكــتابُ إذا نظْرتَ إليه الآن وجدّتَه مُهلْهلاً من القَسوة بما يُوجِب الحَسرة، فهُو مُلقى على الأرْصفة فى الشّوارِع، وفى الأزِقَّة تبُــولُ علَيه الكلابُ، منه قليلٌ نافعٌ، وبجانبه التّافه الكثيرُ كغُثاء السّيْل.

كمَا يُوجَد بالمكْتبات وبدُور النّشر مئاتُ الكتُب فى التّفــسير، والحــديث، والأدَب والتّاريخ وقد تمّ خلطُها بسمومٍ ناقعة، فقد ثبُت حشْوها بخُرافاتٍ ســمْجة، وهــى فــى مُتناول ملاييــن الأيْدى بحيثُ يُمكن أن يقرَؤُها مَن يعى ومن لاّ يعى، مَن يُدرك ومَن لاّ يُدرك، من يُمكنُهُ أوْ لا يُمكنهُ التّمْييز بيَن المدْسُــوس والــصّحيح، حتّــى صــارُوا يحملون خَليطاً مشوّشاً من ثَقَافَات مُتباينة أضْداديّةٍ تُؤخّرُ أكثرَ ممّا تُقدّم، وتُــضر أبلــغَ ممّا تنْفعُ.

والعجيبُ أنّ هذه الكتبُ السّفيهةُ الزّائغةُ غلبَت الثقافةَ الدينيّةَ الصّحيحةَ. فخرَّجــتْ أجْيالاً تَحمل بين جَنَباتها نُفوُساً خاملةً، وعُقولاً تائهةً، لا يقــدرُون علــى الــسّير إلاّ مُتعثِّرِينَ حتّى لَو دفعتْهُم قُوىً مُعاونةٌ.

ولم تَنته المأساةُ عند هذا الحدِّ المؤْسف، بل زادَتْ وتطــوّرت مَــعَ ذيُــوع أمْــر الحَواسب الاليكترُونيّة التى شاعَ استخدامُها مُؤخّراً بفضْل مــا يُواكبُهــا مــن تَطــوُّر تكنُولوجي رفيع، حيثُ ظهَرت فى الأسْواق ما قَالَ عنها البعضُ أنَّها بــدائلُ عــصريةٌ ونُموذَجيةٌ للكتاب النّمطيِّ أو المُصوَّر، وقــالَ آخَــرون أنّــه الكتــابُ الأليكترونــي المضغُوط، وهى فى الحَقيقة يُمكن القولُ بأنّها تجْمَعُ بينَ الكتاب النّمطىّ والمُصوّر فى آنٍ واحدٍ بتِقْنيةٍ عاليةٍ للعملِ على أجهزة الحواسب الآلية (الكُمبيــوتر). تلــك التــى تُسمّى فى الإنجليزية "سى. دى " (C D) القُرص الصّلب.

وأنَا لا أُنكر هذا الإعجاز العلميِّ الجديد، أو أتَنكّر لهُ، إنما أردتُّ أن أُبيِّن سفَهَ المُتاجرِين باسمِ الدين، وانحطاط بعض واضعِي مواد ما يُسمّى(الكتاب المضغُوط).

فكَما وَقَعَ من فضيلة « الشّيخ كليِب » كما سبقَ، جاءَ ههُنــا اســتخدامُ " الفيــديو كليب " فى الوَعْظ والإرشاد، والتذْكير بالدّار الآخــرةْ ، وبالنّار والجنّة، ومن بين تلك

الأعمال ما يصْحبُك فيها أحدُ المُذيعين فى رحْلةٍ عَجيبةٍ وغَريبــةٍ، باشــتراكٍ قيمتُــه " ثلاثةُ جنيهاتٍ " هى قيمةُ ثمنِ الاسطوانة * CD *، وفيها يصطحبك أحدُ المــذيعيَن إلى رُؤيا الجنّة رُؤيا العَين، أوْ المُرورِ فوْق النّار برَشاقةٍ وليُونةٍ. حيثُ يُمكنك أن تجد نفْسك على أبوابِ « **جنّة الفيديو كليب** » فتعْتَلى من عندها ظَهْرَ المرْكــبِ الــسياحىِّ العائمِ فى رحلةٍ نيليّةٍ لتستمتع بالجنة التى أعدُّوها وجهّزُوها لك، ولأقْرانــك، ولعلّــك وأنتَ العاقلُ أن تكتشف المُفاجَئَة، فالمَشــاهد تّم تصويرها فى مياه آسنةٍ مــن نَــــهْرِ النِّيلِ الّذى تصبُّ فيه المراكبُ العائمة والسُّفنُ التِّجارية مُخلّفاتها، ومثلُ ذلــك يــصدُر عن المناطقِ الصِّناعيةِ المُمْتَدّة بطولِ النّهرِ العَظيمِ، وهو النّهر المُبتَلى كذلك بالملوّثاتِ والكيماويَّات النّاتجَة عن المُكافَحَة الكيماويّة لآفة ورْدِ النّيلِ، هذا غير قيامِ الكثيــراتِ من النِّساءِ اللائى يقُمن بغَسيلِ الملابسِ على ضفّتى النـّـهر، أضف إلى ذلك ما يُلقــى فى النّــهر من مُخــلّفات بشــريّةٍ وعُضويةٍ مــصدُرها المــصانع ، ودُور العبــادة، والمنازلِ المُقامةِ على مَجرى النّهر، هذا كلّه غير ما يردُ إلينا من مُخلّفــاتِ شــلاّلاتِ الدّمِ التى يحْملُها النِّيلُ من منابعه حيث مناطق الإضطراباتِ والــصِّراعات الدّمَويــة، الطّويلةِ والمُتقطِّعة، مُنذ زمنٍ مَضَى، وحتّى حين، وهى التى تُودى بحياةِ الملايين من الأفارقة.

والطَّريفُ فى الموضُوعِ أنّ صوْتَ المُذيعِ يطلعُ عليكَ ليُقْنعَكَ أنّ هذه هى الجنّــةُ الحقيقيّةُ، ويُحاولُ مُصراً عَلَى تأكيد كلامه وهو يقرأ قولهُ تَعَالى: ﴿ **مَثَلُ الْجَنَّــةِ الَّتِــي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُــهُ وَأَنْهَــارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى** ﴾ { مُحمّــد ١٥ }. ثُــمَّ تنتقــلُ بــك الكاميرا فى « الجنّة كليبّ » حيثُ يأخُذك المصوِّر داخــلَ الحديقــة الدّوليّــة تــارَةً، وأُخْرَى فى حديقةِ الأُورْمانِ المُختلطة بالقُمامةِ، والقّارِ، والزّفت، وبالأفعال الفاضــحةِ الّتى يُمارسهَا الحبّيبَةُ تاراتٍ أُخر.

ثمّ يتقدّم صوتُ المُذيعِ أُخْرى أثناءَ جولة الكاميرا، فى الحديقتين ليكُمــل الآيــةَ الكريمَة ﴿ **وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ**. والحَقيقةُ أنّ الحديقَتَيْنِ خاليتــانِ تَمَاماً من الأشجارِ المُثمرَة، أمّا الثِّمارُ التى فى حُسْنها البديع فإنّها التى تمّ تصويرها فــى المزارعِ النُّــموذجية بالأراضى الجديدة فى الــصّحراء المــصريّة، والأشــــدُّ ظُرفــاً وغرابةً أنّ المُذيع"رَضوان" يُحاول التّأكيدَ على أنّ ما تراهُ ممّا تمّ تصويرهُ فى البساتينِ

(٢٥)

الهَزِيلَةِ من ثمارِ الفوَاكه هى ثمارُ الجنّةِ الحقيقيّةِ، ومَا هى فى حقيقتها غير الثّمار التى أصابَتْـها ذُبابةُ الفاكهةِ التى وقّعَت مَعَنــَا عقْداً أبديًّا من الكراهيةِ، والعلَلِ، والزّهَــقِ، لما فيها من سُمُومِ المُكافَحَةِ الحَشَرِيّةِ وهرمُوناتِ التّخصيبِ والتّجويدِ، وقــد تــشبّعت بالموادِّ المُسرْطنة والمسبِّبة للفشلِ الكُلويّ، حتّى كرهناها عن جدارةٍ واستحْقاقٍ.

وعلى اشمئزازٍ وعَجَلٍ من الأمرِ امتدّت يدى إلــى « الفــارة » (MOUSE)، وتقدّمت مسافةً ببرنامج تشغيل الفيديو عَلَى جهاز الكمبيوتر.لأســتطلعَ نــارَ جهــنّم، فوجدتُّها لسانَ لهبٍ ناتجٍ عن حريقٍ صغيرٍ فى كوْمةٍ من المُخلّفاتِ فى أحَــدِ مَقَالــبِ القُمَامَةِ المُنتَشِرَةِ عندَ ضواحى القاهرَةِ، وهى فى الغَالــبِ عنــد هَــضبَة المقطّــم، أو بالقُربِ من أهراماتِ الجيزةِ من النّاحية الجنُوبية. إنّها كذلك « النّــار كليــب » التــى عليكَ أن تقْضى وقْتكَ أمَامَها، أو مَع الجنّة التى صوّرُوها لك.

هذه هى مَلامح الثقافةِ الإسلاميّة المُعاصرة، ولسوْفَ نجُد بعدَ قليلٍ من الوقْــتِ أقراصاً للثّقافةِ الإسلاميةِ بنظام « تيك آوى » ولا حرَجَ أن نجــدْ « حبّــاتِ ديــنٍ عَ السّريع » إن صحّ هذا التّعبير.

ولا حرَجَ كذلك فى أقَــلّ من ذلك أوْ أكثرَ، ما دامَ للمرأةِ الحقُّ فى الوقوفِ بــينَ يدى الله (بالمايوُه)، أو أن تحُفَّها ملائكةُ الله الكرَامِ وهى تقْــرأ القُــرآنَ بــالملابس الدّاخليّة. ولا شئَ آنئذٍ فى أن يكُون موْضع الجنّةِ الحقيقىّ بمَنطقةِ القنَــاطرِ الخَيريّــةِ بمحافظةِ القليوبيةِ ولا مانع أن يكُونَ لها فرعٌ رسميٌّ فــى مدينــةِ نــصْر (**الحديقــة الدولية**)، وفرع آخرَ فى مدينة الجيزةِ أمام جامعةِ القاهــرة « حديقــة الأُورمــان »، وثالثٌ هو« حديقةِ حيوان أسيوط » عند مصر الوُسطى لخدمة أبناءِ الجنُوب.

هذه هى الثّقافةُ الإسلامية، وهذا هو حاضرُها، فقد تَسَاوَى صانعُوها مع صُــنَّاعِ الأحذيةِ الذين حفَروا على نعالها ﴿ لفظة الجلالة "" *الله* "" ﴾ ليطبعَها الماشــى علــى الأرضِ ثم يدُوسُونَها بالنِّعال، وتلك هى المهَانة والاستكَانَة، وهؤُلاء جميعــا: ﴿ **فَمَــا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ** ﴾ { البقرة: ١٧٥ }

ومن هذا المقامِ أتسائلُ أمَا للمُسلميَن من جهازٍ حَصيفٍ غيورٍ يتتّبع هذه الأباطيل، وتلك الخُزعبلات، ويفضحهَا أمام الجَمَاعةِ ، ويُصحِّح للنّاسِ ما اختلطَ عليهم من أُمورِ الدين فى ظلِّ إعلامٍ إسلاميٍّ مُتراخٍ، وتيّارات فكريةٍ ضالّةٍ مُضلّلةٍ مُدمِّرةٍ.

وأتساءلُ أمَا من جهازٍ سياسيٍّ ثقافيٍّ فكريٍّ رُوحيٍّ، حُكوميٍّ أو غــير حُكــوميٍّ يحسبُ أرباحَهم وخسائرَهُم، ما لهُم وما عليهم، حقوقَهم وواجباتهم، ويقارنُ بــيْنَ مــا فاتَهم من خَيْرٍ، وخير ما ينتظرُهُم، ويُبيِّن لهم ما يَرْصُدُهُم مــن خَطَــرٍ دَاهــمٍ وَشَــرٍّ مُحدقٍ، ويضعُ الخُطوطَ الحَمْرَاءَ، ويصفُ المساحاتِ الخضراءَ.

وذلك لأنّ الثّقافَةَ الإسلاميةَ القديمةَ التى وصَلت إلينَا أصابها العطبُ والتّــشويشُ، بفعْلِ الاستعمارِ وأعوانه، والعُملاءِ والدّسائس، وعُلماءِ السُّلطة، ومن ثَــمّ فإنّهــا فــى مسيسِ الحَاجةِ إلى تمْحيصٍ ينفى عنها خَبَثَها، ويُثْبِتُ عَلَى ضَوْءِ المحْفُوظِ فى الكِتــابِ والثّابت من السُّنَّة كلّ صحيحٍ.

لقد مرَّت بالإسلامِ أربعةَ عشرَ قرناً من الزمانِ حافلةً بالشِّدَّةِ والرّخاء، والهــزائمِ والانتصارات، وهو بعدَ هذا التّاريخِ الطويلِ يُواجهُ الآن كما كان أمُــورا جِــســاماً، وأيّاماً حاســمةً فى ظلِّ رُكونِ أتْباعه إلى العَجْزِ، والتواكُــل، والخــيْبة، وأضْــحى الإسلامُ وقد تَرَاجَعَ عنهُ أهلُه أمامَ تلكَ الشَّدائد، بحيثُ صارَ يتعيّن عليه قهراً أن يسلُكَ مسالِكَ اجــتيازِ الصِّعاب، وأن يمْضى مسدّدَ الخُطى، يهب للدُّنيا بنبيلِ مقْصده رُشدَها وخيرَها، أوْ أن ينتكس به أهلُه، ويخُونوُا أمانتَه، خاصةً فى ظلِّ هذه الأيــامِ العَــصيبةِ فيكُونُ النَّقيضُ والعياذُ بالله. **ويومئذٍ ليس لهُم من الله من عاصمٍ.**

وعَلَى الرّغمِ من اشتمالِ ثَقَافَتِنا الإسلاميّةِ عَلَى تُراثٍ عَظيمٍ، وموْرُوثٍ ثمينٍ هائلٍ دام قَرابةَ الخمسةَ عشْر قرناً، وسيدُومُ رَبيعاً مُزدهراً يهَبُ الخيرَ، والعــدلَ، والحــقَّ، والنُّورَ للجَميعِ، إلاّ أنّنى غير مُستريحٍ لِحَاضرِها، وكذلك فلْست مُطمئناً علــى غَــدِها، بعد أن افتقر المسلمُ إلى فَهْمِ واسْتِيعَابِ الحَدِّ الأدْنى من الأحْكــامِ الــشّرعيّةِ والفقْهيّــةِ العامّة، التى تضْمن له السّلامةَ والنّجاةَ بالفَوْزِ بالدُّنيا والدِّينِ، وتنأى بــه بَعيــداً عــن الشُّبُهَاتِ والخَطَايا، وتبثُّ فيه شُعاعاتِ المَعْرِفةِ التى تُبدّدُ ظلُماتِ الجَهْــلِ، والتّخلُّــفِ، والغُيومِ التى تراكَمت خلالَ قُرون الضّعف أو التَّرفِ، خاصّةً مع وفْرةِ العُقُولِ الفاهمةِ فى عصْرِنا الحديثِ والآونة المُعاصرة ، وهى مُتأثِّرة وبشدَّةٍ بقضَايا خلافيةٍ ومَــسائلَ فَلسَفيةٍ، ومذاهبَ ظنيّةٍ، وفُروعٍ عقائديةٍ، أثارَها طُولُ الفراغِ، أو شحَنهَا التَّرفُ العَقْلىُّ فى عُصورِ العبّاسيِّيِّن والممَاليك.

والثقافةُ الإسلاميةُ مُنذ القرْنِ السّادسِ عَشْرَ الميلادىِّ (العاشرِ الهجرىِّ) وهــى تُمثِّل مَجالاً يتميّزُ بندْرةِ الرُّوّاد، وَوفْرَةِ الأعداءِ، بعد أن قدّمت رِجالاتٍ كــانوا للعَــالمِ سَادةً وقادَةً طُوالَ عشرةَ قُرونٍ أُخرى.

والحاصلُ من انتكاسةٍ مردُّها إلى انفصالِ الشّخــصيةِ المُــسلمةِ عــن ماضــيها وثقافتها، وهو ما نتجَ عنهُ أنَّ الإسلامَ قد باتَ وهــو يفقــدُ ســيطرَتَهُ علــى أتباعــه، وانحصرَ فى طُقُوسٍ مُعيّنةٍ، مثل صومْ عاشوراءَ، أو ليلةِ النِّــصف مــن شــعبانَ، أو التّقليدِ المتّبعِ فى صومْ رَمَضَانَ، وشراءِ ملابسِ العيــدَيْن، **وتقليعــة حــلاوة الموْلــد** الفاطمية الكافرة، ولم يعُد للإسلامِ حقيقة واقعة فى تسْيير شُئون الأُمّة، ورسْم سياستها، وضبطِ إيقاعِ حياتها، حيثُ حــدثَ الإنفصالُ بين طَرَفَيْ المُعَادَلة، وباتت الصلاةُ عادةً لا عبادة "" إلاّ مَن رَحِمَ ربِّي "" فالإسلامُ ثابتٌ شامخٌ قائمٌ علــى حَالــه فــوقَ رُؤُوسِ الأشْهاد ، أمّا المُسلمون فقدْ ضعُفُوا واستكَانُوا، وحقّ القولُ عليهم أنّهُ:

"" مَن لّم يتقدّم يتأَخّر "".

(٢٨)

ثانياً: خَطرٌ اسمهُ الإسلامُ

عَلَى الرّغمِ من حَالةِ الضّعفِ ومَظاهرِ التَّحلُّلِ اللّتــيْنِ نَزَلَتَــا بالمُــسلمين، إلاّ أنّ الكفّار قد أصابهُم الفزعُ والخوْفُ، وتولّدَ فى قُلوبِهمُ الرُّعْبُ من الوحْدة الإسلامية التى جَمَعَت بينَ المُسلمينَ عدةّ قُرونٍ مُتواصــلةٍ، وقــد حَمَلَــت إلــيهم مَــشاعلَ النُّــور، والحَضَارة، والفكر، والثّقافة، وبواعثَ التّنوير، فراحُوا يتآمرُون، ويكيدوُن كَيْداً كُبّارا، لمُشاغَلة المُسلمين وقتالِهم، بل والهُجومِ عليهم فى ديارِهم، لأنّهم يَرَوْن الإسلامَ خَطَراً علَى وُجُودهم.

ومَا هذه إلاّ هوجة يُثيرها الغربُ الصّليبيُّ كلّ يوْمٍ عن خَطَرٍ يُــسمُّونه الإســلامَ والمُسلمين. وإذا نظرْت حولَكَ نظرْةً موضُوعيّةً إلى الواقعِ الإسلاميِّ فسوفَ لا تــرَى خطراً مُرتقباً لا فى حاضره فحسْب، بلْ ولا حتّى فى المُــستقبل المَنْظــورِ أو البعيــد يُمكن أن يَأتي من تلك الــدُّول الإســلامية المنكُوبــة بوبَــال الْعَلْمَانيّــة، والأزمــات الاقتصادية، والحُروب البَيْنيّة والأهليّة. وإذا أتبعْت النّظرَ مرّتين لا تجــد غيــرَ دُولٍ مُفكّكَةٍ لا يجمَعُها رابطٌ، مُتحلِّلةٌ لا يضمُّها لواءٌ، وقد وقعَ بعــضُها تحــتَ الاحــتلال العسكريِّ المباشر، وبعضها كبّلتها الاتفاقياتُ الثُّنائيّةُ، وأُخريَــات أَسَــرَتْها الــديونُ، واشتغَلَ بعضُها بالعمَالة، وأُخرياتٌ بالتّبعية، والبعضُ يضربُ بعــضاً فــى معــاركَ طاحنة، تُذهب طَاقَات الأُمة بَدَدَاً، وتُقدِّمُ أجلَّ الخدمات لأعدائها، وأكثر أبناء الأمّة فى هذه الدُّول يعيشُون تحْت خطِّ الفَقْر، يُحاصرهم الجُــوعُ، ومعظَمُهُــم يتــسوّل قُوتَــه ويتحسَّسُ خُبزَه، والواقع يُبرهن على أنّه لم يعُد من أصوليّة المتأصّلين، إلاّ الظُّهــورَ بلِحَىً مُطوّلة، وهُم يرتّدُون جلاليبَ مُرسلةً، مُمْسكون بمسابح مُزينّة، واضــعون فــى جُيوبهم مصاحفَ مُنمّقةٍ، وكلُّها شَكْليّات غيــر ذاتِ موضُــوعٍ، وتقاليــد، غيــر ذات مضْمُون.

غيْر أنّه ثمةُ فئةٌ من هذا الجَمْع المتنوِّع يسيرُون إلى جوارِ الحائط، لا يُنــازعون أحداً، ولا يدْرى بهم أحدٌ، وهُم قلّةٌ قليلةٌ من الرّاكعين السّاجدين، العابدين فى الخَفَــاء، لا دَخْلَ لهُم بأمريكا أو استراليا، ولا رأْيَ لهُم فى " بُوش، أو أزنار، أو بينوشيه"، إنّهم لا يَرْجُون من الدُّنيا غيَر وجه الله لا يــبغُون عنهُ حوَلا، وليْس لُهم دُون بابِ الله باباً،

فأيْن يَكْمُن إذاً هذا الّذي يُرعبــُهم ويُرْهبهم، المُسمَّى (الخَطرُ الإسلاميُّ) الذي نَعتُوهُ بقوْلِهم (الإرْهاب) أيْ: **الأُصُوليّة الإسلاميّة بالتّعبير الأدَقّ.**

إنّ التّصوُّرَ الواهم لخَطَرٍ داهمٍ يُسمّى الإرهابُ الإسلاميٍّ، يُمثّل فى جوْهره حَجَرَ الزّاوية للْعَدَاوة العَالميّة لــدينِ الله، وهــى عَــداوةٌ آخِــذةٌ فــى التّنــوُّع والتطــوُّر، والحَداثة والإحداثِ فى التطَاولِ على دينِ الله، وأتْباعه، بقصد مُحاصــرة، وتجويــع، وإذلال، وتهْميشِ مَن كانَ قوْلُهم (***لاإلهَ إلاّ الله مُحمّدٌ رَسُولُ الله***).

هذه العَداوةُ العالميةُ تُترجم فى الحقيقة حِقْداً مريراً يمْلأُ صدْر الغَرْب حتّى دَرَجة الجُنون، يُصاحبهُ خوفٌ إلى أبعد مَدَى فى التركيبة النّفسيّة الغرْبية، وذلك لأن الإسلامَ لا زال كما كان يُشكّل أُسُسَ العقيدة الثّابتة الأكثر فاعليّةٍ فى الرأي العــام الإســلاميّ، وتزدادُ فاعليّتهُ كلّما كانت أنظمةُ الحُكم فى دُوَله أكثر شعْبية، وأشد تعمُّقاً فى مُمارســة ديمقراطية الحُكم – أيْ – أنّها قائمةٌ على أساس إعطاء الحُرِّية للشُّعوب وفى دراســة نشرَها عام ١٩٧٦م. المستشرق الإنجليزيّ الصهيونيّ (برنارد لويس) فى مَعــرِض حديثه عَن الإسلام " تحتَ عُنوان عَودَة الإسلامِ " جاءَ قولُه: ((**إنّ الإسلامَ قويٌّ جــدّاً، إلاّ أنّه لا يزالُ قوة غير مُوجّهةٍ فى مَيدان السياسة الداخلية، وهــو يَبــرُز كعامــل أساسيٍّ مَحتمل فى السياسة الدولية، وقد جَرت محاولاتٌ كثيرةٌ فى ســبيل سياســة تضامُن إسلاميٍّ، أو جامعة إسلامية للدُّول الإسلامية، إلاّ أنّها أخْفقتْ كلُّها فى تحْقيق تَقدُّم نحْو إقامَة هذا التضامُن، وإنّ أحَدَ الأسباب المُهمَّة هو عَجْزُ الذين قامُوا بهــذه المحَاولات فى إقناع الشُّعوب الإسلاميةُ بجديَّة ما يُريدون**)).

إنّ غيابَ القيادة العَصريّة المُثقّفة، القيادة التى تخْدم الإسلامَ بما يقتضيه العــصرُ من تنظيمٍ وعلْمٍ. إن غيابَ هذه القيادات قيَّدَ الحَرَكات الإسلامية من أن تكُون مُنافــساً خَطيراً على السُّلطة فى العالمِ الإسلاميِّ(١).

هذا لسانُ حالِ أحدِ أبرزِ ألسنة الغرْب الذى يقطرُ سُــمّاً وينطــقُ كُفْــراً، وهــو يُخاطبُ الغربَ كُلّه عبْر أوسعِ المجلاّت الأوروبيّة انتشاراً فى حينها، وهو قولٌ يُعبِّــر عن قَنَاعةٍ وإيمانٍ بأنّ الإســلامَ فى طــريقه إلى العوْدة فى سبيلِ الهيمنة على العالَمِ،

---

(١) مجلة: (Commentary P,48) عام ١٩٧٦.

ويُريدُ به كذلكَ أن يُشدِّدَ عَلَى الغرْبِ بضرُورةِ الانتباه، وشدّةِ الحذَرِ، وكأنّه يقولُ:
((المُسلموُن ينتبهُون من غَفْوتِهم، وينهَضُونَ من رَقْدَتِهم، دمِّروهُم واقتُلوُهم قبلَ أن يُحطِّموا قُيودَهم، ويَهُبّوا من ثُباتِهم)).

إنّ هذه العداوةَ العالَميّةَ التّاريخيّةَ التى تولّدَ عنْها هذا الصِّراعُ المتأجِّجُ بين الحَضَاراتِ لَتُعبِّرُ تعْبيراً دقيقاً وحَيّاً عن خَوْفِ هؤُلاءِ الشّديد، ورُعْبِهم المُميتُ من الإسلام، وذلك لأنّهم يعلَمُون يقيناً أنّه هو الدِّين الذى يُحرِّك الشُّعوبَ ويبعثُ فيها الحَرَكَةَ، ويمدُّها بالحَيَويّةِ والنّشاط، والقُوّةِ والإرادة، ومن ثَمّ فإنّه الدِّين الذى تأسّست على أرضيّتِه أعظمُ الحضاراتِ الإنسانيةِ علَى إطلاقِها، فأصبْحَ معَهُ الأعداءُ إخواناً، واجتمَعَت تحْتَ لواءِه ألوانٌ شتّى، وألسنةٌ متباينةٌ، وقد انصَهَرُوا جَميعاً فى مَزيجٍ واحد، وأحكامٍ واحدة، وقيمةٍ واحدَة، وَعَقيدةٍ واحدَة، فكانت بحَقٍّ كما قالَ تَعَالَى: ﴿ **خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾[آل عمران: ١١٠] غيرَ أنّ الأمّة تردّى بهَا الحالُ بَعد أن حَدَثَ الانفصالُ بين الدُّنيا والدِّين، وبعدَ أن ابْتاعَ الكثيرُون مَتَاعَ الدُّنيا الزّائلِ بنعيمِ الآخرةِ الأبديِّ، حتّى حقّ القولُ عَلَيْنَا، وصَدَقَ فينَا ما نَزَل فيهم من قوله سُبحانه و تَعالى: ﴿ **تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى** ﴾ [الحشر:١٤] وعمّت البلْوى فى الجسد الإسلاميِّ كلِّه، فظهَرت جماعاتُ الدّهريّةِ والعَلْمَانيَّةُ، وعَجّت الدِّيارُ الإسلاميّةُ كُلُّها بالمُفارَقَاتِ والمُتغيّرات، واكتظّت وبلا استثناءٍ بالمحافلِ الماسُونيّةِ وإرساليَّاتِ التّبشير، وتمّ تَضْيِيقِ الخناقِ على الجَماعاتِ الإسلامية، وأضحَت الأُصُوليةُ الإسلاميةُ وهى الأشدُّ خَطراً فى تَهديدِ أنظمةِ الحُكم العَلْمَانية فى بلادنا الإسلامية بالتّقْويض، وأُلصِقَتْ تُهمةُ الإرهابِ بكلِّ ما هُو إسلاميٍّ، وحلّت القومياتُ والعرقياتُ محلّ الأُمّة، وغَدَا العالمُ العربيُّ حائراً بينَ الهَويَّةِ الإسلاميةِ والقوْميةِ العَرَبية، ولمْ يستطع أن يُعيدَ أمْجادَ مَاضيه الذى كانَ فى عَصْرِ الخُلَفَاءِ الرّاشدينَ وفى العَصْرَيْنِ الأُمَويِّ والعبَّاسيِّ، على الرَّغمِ من كثْرَةِ العددِ ووفرةِ الإمكانيَّات. غيرَ أنه مَع ذلك أصبحَ عالَماً ضعيفَ الإرادة، فاترِ العزيمة، فانْهارتْ لذلك كل مُحاوَلاته فى الوحْدةِ والتجمُّع، وتَحَلَّلَ من دَاخله حتّى ظهرَت دعَاوى الانفصاليِّيِّنَ فى الوَطَنِ الواحد، وقدْ تقَاتلُوا جَميعاً فيما بينَهم بسَببِ القوميَّات، والمذّاهب، والعمالة، ونَشبتْ بينَهم صراعاتٌ بيْنيَّةٌ، ودَخلُوا فى حُروبٍ طويلةٍ مَع جيرانِهم المُسلمين من غيرِ العرب.

وعلَى الرّغم من النّزيفِ المُستمرِّ فى البطْنِ الإسلاميِّ الذى أدَّى إلــى تقــويضِ سيقانِ الأُمّة، وانحنَاءِ ظَهْرِها، فإنَّ الإسلامَ لا زالَ يمثّلُ الوَسْــواسَ المَرَضِــيِّ الــذى أوْشَكَ أن يغْتالَ العَقْلَ الأُورُوبيِّ، بل الغربيَّ علَــى إطلاقِــه، رُغــمَ التّــصريحاتِ المُبطّــنةِ الهادئَةِ التى تنْطلقُ من هُناك بينَ حينٍ وآخَر، حتّى ترسّخَ فــى الوجْــدانِ، واستقرَّ فى العقلِ الغربىِّ عامَّة أنّ مُناهضَةَ الظّاهرةِ الإسلاميّة وحصارَها، وضــرْبَ المُسلمين فى كُلِّ مكانٍ وآنٍ، وتشويههم، والإساءةَ إليهم، هى حُلُولٌ وقائيّة، وسياســاتٌ أمنيّةٌ مُريحَةٌ وشافيةٌ شفاءً تاماً من هاجسٍ بداخلهم يُؤرِّقهُم يُسمُّونه (***الخَطرُ الإسلاميُّ***) الذى لا يَعلَم مَدَى خُطُورَته، أو حجْمَ تأثيرِه أحدٌ بحسبِ زعمهم.

وهذا هُو الذُّعر المُفتعَل، والخَطرُ المُصطنعُ، مع التّأكيدِ بشدّةٍ على أنّ الجمَاعَــاتِ الإرهابيةِ عامّة، نسبُوها إلى المسلمينَ وألصقُوها بالمسلمينَ، لذلك عقدُوا العزْم علَــى القَضَاءِ علَى كلِّ ما هُو إسلاميّ عن طريقِ استحْداثِ مُسمّى جَديدٍ لحَرْبهم العُدوانيــة على المسلمينَ وقد أطلقُوا عليها " الحرْبَ الإستباقيَة " أى (الحربُ الوقَائيةُ) التى تقُومُ فلسفُتها علَى قاعدة اقْتُلُوهُم قَبْل أن يقتلُونَنَا.

بينما تُشيرُ الشّواهدُ، وتُؤكِّدُ المؤشّراتُ أنّ (المُوسادَ الإسرائيلىُّ، والسى – آى – ايه) دُون سواهُم، هُم صنُّاع هذا الإرهابُ الحَقير، الدّنئ، الخَسيس، الذى يهدفُ إلــى تشويهِ صُورةِ الإسلامِ وتَبْريرِ هَدْمه، وتقْتيلِ أتْبَاعه، وكذلك لزعْزَعَةِ نُظُم الحُكْمِ فــى العالَمِ الإسلامِي، ولإفقارِ المُسلمين، وتجويعهم، ليقف الجميعُ أمامَ العتَباتِ الأمريكيــة، مُتسوِّلين للصّداقة الأمريكية، والسّلامِ الأمريكى، والقَمْح الأمريكي.

وقد جاءت أحداثُ ١١ / ٩ / ٢٠٠١م. لتمنحَ الفرصةَ الذهبيَّةَ للغــربِ عُمُومــاً وللوَلاياتِ المُتحدة الأمريكيةِ خاصةً باعتبارِها المُتضرِّر الأوّل والتى ألمّت بها أعظــمُ كارثةٍ فى هيبتها، وقُوّتها، وسطْوتها، وعظَمتها، حيث أُصيبت فى مَقْتلٍ وبعُمقٍ وبقُــوّةٍ فى أهمِّ وأخْطَرِ رُمُوزِها العسْكَريةِ والإقتصاديّة.

وفى أوّل تعْليقٍ له علَى مَا نزَل ببلادِه من أحــداثٍ جــسام، أعلنَهــا الرّئــيس الأمريكى (جورج بوش / الثانى) ٢٠٠٠: ٢٠٠٨، حُروباً صليبيةً عَلَى الإسلامِ من جديدٍ، وخَطى خُطُواتٍ مُباشرةٍ نَحْوَ الدِّيارِ الإســلاميةِ، تحتَ ما يُسمّى بغَطاءِ التّحالُفِ

الدّوْلي، فاحتلّت القواتُ الصليبيةُ العاصـــمة الأفغانيـــة المـــسلمة الـــسنية الأصـــولية **{{كابول}}** لأوّل مَرّةٍ فى تاريخها الحديثِ أو المُعاصرِ (٢٠٠١) ثم ســـقَطَت **بغـــداد** تحتَ عجلاتِ قطارِ الإستعمارِ الصّليبيِّ فى ٢٠ /٣ / ٢٠٠٣ ضمنَ المرحلةِ الأولـــى فى مُسلسل السُّقوط المُستمرِّ للعالمِ الإسلامى، وعاشَت اليمنُ تحتَ مظـــلّة الـــصّواريخِ الأمريكـــيةِ، ولا زالت تُهدّدُ إيرانَ وسُوريا، وتُمارِسُ ضغُوطاً هائلةً علَى المـــــملكةِ السعوديةِ، وإلى أجلٍ تُرجِئُ الحـــــديثَ عن مـــصرَ، وبدأ الكونجـــــرس الأمريكـــى يُطالبُ بالغاءِ برنامجِ المعُوناتِ العسْكَريّةِ لمصرَ، وتقْلـــيصِ المَعُونـــاتِ الإقتـــصاديةِ المقدمة لها، وطالبَ بعضُ أعضائه بفرْضِ عُقوباتٍ مُعيّنـــةٍ علـــى مـــصرَ لاتِّخاذهـــا مواقفَ مُعيّنة فى موضوعاتٍ مُعيّنةٍ لا تُرضى الأمريكيين.

وأخَذَ الغرْبُ يكيلُ الإتهاماتِ للعرَبِ وللمُسلمينَ، وربَطَ بينهُم وبيْن الإرهابِ ربْطاً مُباشراً وصَريحاً وَعلنيّاً.

أمّا عالمنا الإسلامىّ على إطلاقه، فقد إجْتَهَدَ مسئُولوهُ بإصْرارٍ، وبجدٍّ فى البَحْـــثِ عن تصحيحِ صُورةِ بلادهم، واجتهدَ المُثقّفون والمُفكّرونَ والسِّياسيُّونَ فى نفْى التُّهمـــةِ عنْ بلادِهم، وحَزَمَت قياداتٌ إسلاميةٌ وعربيّةٌ أمتعتَها، وقصَدت الحـــجّ إلـــى البيـــتِ الأبيضَ(١)، إلى واشنطن لتَقْبيلِ العَتَباتِ الأمريكيةِ، وطلَب المَغْفرَةِ، وإســـقاطِ الـــذُّنوبِ بالعفْوِ والسّماحِ، عنْ مُجرّدِ تُهمةٍ ظنّيةٍ اتّهمهُم الغربُ بها، وحَاول الكثيرُون الحـــديثَ عن حقيقةِ الإسلامِ، وأوفدُوا عُلماءَ دينٍ كبارٍ إلى أوروبا وأمريكـــا، لعَقْـــدِ النّـــدوَاتِ، وطَلَبِ اللّقاءاتِ، لشرْحِ سَمَاحةِ الدِّينِ الإسلامىِّ، وبيانِ صحيحِ رسالته فـــى المحافـــلِ الدّوليةِ، والمُنتديَاتِ العالمية، كما اهتمُّوا اهتماماً شديداً بالبحثِ عن تصحيحِ صُـــورتنا التّى تمّ تشويههَا عمْداً، وكأنّهم يأسفُون أشدَّ الأسفِ، ويتحسَّرُون أشدّ الحـــسرةِ علـــى أحداث ١١ / ٩، ويأملُون الإنتقامَ من مُنفذّيها.

ونهَجَتْ الصحافةُ العربيةُ والإسلاميةُ نَهْجَ الغربِ، وأصرّت علـــى تـــسميةِ تلـــك الجماعَاتِ، أو هذه التّنظيماتِ الإرهابيةِ بالجمَاعـــاتِ الإسلاميةِ، مُردِّدين بذلك العزْفَ على ذاتِ الوترِ الذى أجادَ الغربُ اللّعبَ عليه، بأنّهم كلُّهم إسلاميون، لا لقصدٍ ســـوَى تشويهِ الإسلامِ، وتبريرِ استئصاله من جُذُورِه.

---

(١) الحج إلى البيت الأبيض / كتابنا القادم """"""" أعاننا الله على إخراجه

ولمْ يستطع هؤلاءِ الآسفون، الباكُونَ، المُتحسِّرون أن يتبيّنـــوُا أنّ كُــلّ تـــداعياتِ الحادى عشر من سبتمبر، قد تمّ التخطيطُ لها، وإخراجُ سيناريوهَاتها مُنذ فترةٍ طويلةٍ، وأنّها كانت آتيةً. لا رَيْبَ آتيةً. سواءُ وقَعَت هذه الأحداثُ فى ســبتمبر أو فىأمــشير، سَواءُ تأخّرت عن هذا التوقيت أو تقدّمت عليه.

وهذا ما أكَّد عليه عاشقُ النِّساءِ الرئيس الأمريكىّ السّابق "" بيل كلينتون "" علَـــى صفحـــاتِ كتابه المُعَنون (حَياتى) الذى تمّ نشرُه فى آخر يونيو ٢٠٠٤، وقــدْ ذكَــر فيه: أنّهُ لو شاءَت الأقدارُ واستمرّ هو« كلينتون » فى البيتِ الأبـيضِ لفتــرةٍ رئاســةٍ ثالثة، لكَان قد أصدَرَ القَرَارَ الأمريكىَ الإستراتيجى بشأنِ الحربِ علَى العــراقِ، كمــا استطْردَ كلينتون بقوله: إنّ بوش ونائبَه " ديك تشينى " قاما بالحرْبِ على العراقِ مــن أجْلِ زعْزَعَة الأنْظمَة العربيةِ فى الشرقِ الأوْسط، كما أكّد علـــى أنّ العـــالمَ كلُّـــه لا يُخالجه الشّكُّ فى أنّه هُناك مشرُوع إمبراطوريٌّ أمريكيٌّ يأتى احتلالُ العراقِ فى بدايةِ عمليّاته الإفتتاحية، وقد تحدّث كذلك عن دُونالد رامسفيلد " وزير الدفاع الأمريكـــى " حينما قالَ عقب أحداثِ الحادى عشر من سبتمبر/ أنّنا كُلّما رفَعْنـــا البيـــر ســـكوب "" منظارُ الغواصة"" فوقَ سطحِ البحرِ، وأدَرْنا البصرَ إلى عَرضِ حَولنا لا نجــدُ هــدفاً أنسَبَ من العراقِ.

وقد خاطَب كلينتون بلاهتَنَا بقوله: إنّنا لم نذْهب إلى العراقِ من أجــلِ الــنّفط، أو لأسبابٍ إمبريالية، أو أسبابٍ مالية، وإنّما ذَهَبْنَا إلى العـــراق لأنّنـــا نُريـــد أن يكُـــون العراقيُّون أفضلَ حالاً، وثَبُت فعلاً أنّهم الآنَ أفضلَ حالاً بدُونِ صدّام.

وممّا يستَرْعى الإنتباهَ أنّ الكثيرينَ من بَنى أوطاننا راحُـــوا يبحثُـــون، وانكبُّـــوا ينشغلون بالبحثِ فيما أسمُوهُ علاجَ الأخطاءِ وتصْحيحِ الصُّورة، وهُم يعْلَمُـــون جَيِّـــداً، ومتأكِّدون فِعلياً وقد بلَغُوا الثُّبُت سلَفاً من أنّ مُرتكبى أحداثَ سبتمبر ممّن ينتمُونَ إلـــى تنظيمِ القاعدة، أوْ غيرِه من التنظيماتِ المُتشابهة، لا ينتَمُون بصلةٍ أوْ نـــسبٍ لا مـــن قَريبٍ أوْ من بعيدٍ للمُسلمين حقًّا. لأنّهُم جميعاً أعداءُ المسلمين، وهُم مرتزقةٌ، وعُملاء للإستعمارِ، والمُوساد، والسى. آى. إيه، وذلـــك لأنّ بعـــض الـــدُّولِ العربيـــةِ ذاتهـــا والإسلاميةِ مَعَهَا عانَت كثيراً من هذا الإرهابِ الأسْودِ لسنَوَاتٍ طويلَـــةٍ، وتعرَّضـــت لمَوْجاتٍ من الهَجَـــماتِ المُتتاليةِ المُؤثِّرة ، وكانت مصرُ فى طليعةِ الدُّولِ التى أُصيب

(٣٤)

اقتصادُها بِضَرْبةٍ مُوجعةٍ عن طريقِ ضَربِ السِّياحة، وهي أحدُ أهمّ روافِـدِ الـدّخْلِ الوطني المصري في الوقت المعاصر.

وقدْ انطَلَقت على لِسانِ رئيسها – مُحمّد حـسنى مُبـارك – أول دعـوةٍ محليـةٍ وإقليميةٍ وعالميةٍ لعقد مُؤتمرٍ دوليٍّ لمكافحة الإرهاب.

أمّا الولاياتُ المُتّحدة فقد استعاضَت بقوّتها، وتسليحها، وجَبرُوتها لفرضِ هيمنَتهـا وسياستِها، وسَلامِها على الشُّعوبِ المقْهُورةِ التى لا تملِـك إلاّ التوقيـعَ علَـى عقْـدِ الإذْعـانِ للدّولة الأعظم، فيما يُعرف الآن بالنِّظام العالميِّ الجديد، أوْ إن شـئت قُـل « تأديبُ العالَمِ من جَديدٍ » وهو الثّوبُ الذى لبسهُ الأمريكيُّون، وقد كتَبوا عليهِ بالحبْرِ السرِّى عبارة « الإرهابُ العالميّ الجديد » وهُو النِّظام الذى يكْفُل الحـقّ الأمريكـيَّ المُطلق بتطبيقِ مبدأ العقابِ الجَمَاعيِّ العالميِّ، الأمرُ الذى جَعَـلَ الأُسُـودَ يـسلكُون مَسالكَ النَّعامِ ويُعلِنُون استعدادهُم التّام للتّعاوُنِ المُخلص البنَّاء مَعَ وحيدِ القـرنِ الـذى تجهّز للقَضَاءِ على الإسلامِ والمُسلمينَ أينمَا وُجدوا.

وقد أفرزَت التّطوُّراتُ الأخيرةُ المُتلاحقةُ فى القارّتين الإسلاميّتَيْن أحداثاً جساماً، أدّت إلى نتائجَ خطيرَة، جائتْ كلُّها لتؤكِّد على أنّ الولاياتِ المُتحـدةِ الأمريكيـة هـى الزّعيمةُ الرُّوحيةُ للإرهاب، كما أنّها وهى القائدةُ الفعليةُ للعالَم الغرْبـيِّ، هـى ذاتهـا وبعَيْنها التى صَنَعَت الإرهابَ، وكوّنَت الجماعـاتِ الإرهابيّـةِ، وقَامَـت بتـسليحِها وتمويلِها، وإعدادِها وتدريبِها طُوال فترةِ الحرب الباردة.

ثمَّ أقدَمت بعدَ ذلكَ علَى عملٍ عبقريٍّ جريءٍ – حيثُ تبنّـت قـضَايا الإسـلاميينَ ودافعَت عن مواقفهم، وبذلَت جُهداً جبّاراً لتحقيقِ مَطَالبهم فـدَفَعَت للقَائـدِ الأفغـانى – قلب الدين حكمتْيار – ألف مليون دولار خلالَ فتـرةِ الحَـرْبِ الـضَّرُوسِ ضـدّ الاحتلال الرُّوسى لأفغانستانَ، حتّى خَرَجَ الرُّوسُ أذلاَّءَ مُنكسرين أمامَ إرادةِ المُسلمين (أعضاءَ تنظيم القاعدة، وحركَـة طالبيان)، وكانت مُمَوِّلاً فعليّاً وحليفاً اسـتراتيجيّاً حيَويّاً وَخطيراً ومُؤثِّراً لهُما طوال فترةِ الحرب.

وفى الحقيقةِ لم يكُن هذا دعْما للإسلامِ ولا للمُـسلمينَ، فإنهـا لا تُريـد للرَّايـةِ الإسلاميةِ أن ترتفع، ولا للعَالَمِ الإسلامي أن يتقدَّم ويزْدهر. حيثُ واصلَت بعـدَ ذلـك دعْمها الماديِّ والعسكريِّ الهائل وغير المَحْدُود لحكْمَتْيَار، وعبد الرشيد دُستُم لِيصوِّبُوا

نيرانَهم، ويُسدِّدُوا رُصاصَاتهم إلى صُدورِ الإخوةِ، لتستريحَ هى من صُـداعٍ يُؤرِّقُهـا ويُرهقُها اسمُه (الأُصُولية الإسلامية) ولتَتخلّص من مَكائدها، وابتلعَ حكمتيارُ ورفاقُهُ الطُّعْمَ الأمريكىَّ المَعسُول، فدكُّوا كابولَ بالصّواريخِ، وأقامُوا مُعـسكَراتِ الإرهـابِ، وأخلَصُوا فى إرسال بعثاتِ التّخْريبِ إلى كلٍّ من مصـــرَ، والجزائرَ، والـسُّعودية، والسُّودانَ، بينمَا تقُومُ المخابراتُ المركزية الأمريكية < سى – آى – إيــه > بتمويــلِ تلك العمليّات.

وإلى جانبِ هذا الدّعم الهائلِ الــذى سبَـــقَ الإحــتلالَ العــسكَرِيّ الأمريكـــيّ لأفغـــانستانَ كان هُناك الدعمُ الإعلامىُّ والثّقافىُّ الذى يُمثِّلُ غـــزْواً مفــضُوحاً بكــلِّ الوجُوه، حيثُ يردِّد السياسيُّون والمُثقَّفوُن الغربيُّون فى كــلِّ المُناســباتِ والمحافــلِ، شعاراتهم الرّنّانة وصيحاتهم المُدوِّية (الحُريّة، الإخَاء، المُساواة) وهى كلماتُ حــقٍّ أُريد بها باطلٌ – لأنّها لا تضْمنُ غيرَ حُرِّيةِ الجنسِ، والإباحية، والنّشاز، وهى تخلُــقِ فوضَى عامّة فى كلِّ مناحى الحياةِ – أىْ – فى الجُملــةِ تَــسْيير أُمُــورِ المُجتمعـــات المُتديِّنة نحوَ الإنحلالِ التّامِ، أوْ بالمَعنى الأدقِّ – فصلُ الإنسانِ عـــن دينـــه، وإحالـــةِ أخلاقه إلى التّقاعد بعدَ اتِّهامها بعدمِ الصّلاحية المُوائمة لظرُوفِ العولمـــة والكوْكَبـــة، وكذلك تَرمى إلى إنهاءِ خدمة القِيمِ والمبادئ الّتى تَصُون حُقوقَ المُجتمعـــاتِ صـــيانةً فَريدةً.

ولم يُخبرونا هؤلاءِ الغزاةُ بشئٍ من حُقُوقِ الإنـــسانِ التـــى صَـــاغتْها المَحَافــلُ الماسُونية، وابتدعتْها المدارسُ العَلْمَانيّـــةُ، وأيّـــدتْها المُجمّعـــاتُ الكنـــسيّةُ، وموّلتْهـــا العصاباتُ الصُّهيونيّة.. ولم يُخبرونا كذلك عن أىِّ إنسانٍ يتحدّثُون.

وسبحانَ القادرُ العظيمُ، فبَعد أيامٍ من تحقيقِ الحُلم الأمريكى بطرْدِ السُّوفييت مـــن أفغانستانَ، وَجَدَت الولاياتُ المتحدةُ نفسَها فى مُواجهةٍ مُباشرةٍ مع الجماعاتِ الإسلامية التى أهّلتها وأعدّتها، وأمدّتها بالأموالِ والعتاد العسْكَرى لسنواتٍ طويلـــةٍ، عبْـــر دُول الجوارِ الأفغانىِّ.

ولَسنا بصددِ الخوْضِ فى الأسبابِ التى أدّت إلى هذا التحوُّلِ الخَطيرِ فى العَلاقـــةِ بينَ الإدارةِ الأمريكيةِ، ووُكَلائها من الجماعاتِ الإرهابيةِ.

غَير أنّ مسئوليةَ الولاياتِ المتحدةِ الأمريكيةِ مردُّها فى وضوحٍ إلــى سياســاتها المُنحازة، وفَشَلَها فى إدارةِ علاقاتِها الخارجيةِ بدُولِ العالمِ، خاصّة مَعَ شُعوبِ الــشّرقِ الأوسطِ، وقد أدّى ذلك بالضّرُورةِ إلى حُدوث هذا الإنقــلابِ ووجــودِ هــذا التحــوُّلِ الخطيرِ.

فبعْدَ أن وصلَت حركةُ طالبيان إلى السُّلطة، وبعد إعلانها إقامةَ نظامٍ اقتــصاديٍّ إسلاميٍّ خاصٍّ بها، دُون الاعتماد على الولايات المتحدة أو غيرهــا، وبعــدَ وصُــولِ أسامةَ بن لادن فى تلكَ الآونةِ إلى أفغانستانَ ليحلَّ ضيفًا عليها، ثُــمَّ قيامِــه بتــشكيلِ الجبْهةِ الإسلاميةِ لجهادِ اليهودِ والنّصارى انطلاقاً من الأرضِ التى نَزَلَ علَيْها، فكــان ذلك بمثابةِ فسْخِ عقدِ الزَواجِ بين الأمريكيينَ من جانبٍ، وتحــالُف حركــةِ طالبيــانَ، وتنظيمِ القاعدةِ من الجانب الآخر.

وقد جاءَ تدميرُ السّفارة الأمريكية فى كُلٍّ من {{ نيروبى & ودار الســلام }} عام ١٩٩١م. بُرهاناً عملياً علَى صِدقِ وُعُودِ بن لادن. وكانت تلــك بدايــةَ المُواجهــاتِ الدّاميةِ، الصّريحةِ بين القاعدةِ من جانبٍ ووحيد القرنِ جزاءً على ما صنَعت يداهُ على الجانبِ الآخَر.

ثُمَّ أثبتت الأحداثُ من جديدٍ خَبَلَ الإدارَةِ الأمريكيةِ، واعــتلالِ سُــلُوكِها، وسُــوءِ فهْمِها وعَبَثِ تقديراتها، حيثُ عمدَت مُباشرةً إلى اللّعب بمُقدّارات الشُّعوب، والــضّغطِ على رقابهم، فبدلاً من أنْ تُوحِّد الولاياتُ المتحدة جُهودَهــا، وتُحــدِّد أهــدافَها فــى مُواجهتِها الصريحةِ معَ هذه الجَمَاعاتِ، ولتصحيحِ خطأَها الذى صنَعَت، راحت بكــلِّ قُوّتها تعملُ فى توسيعِ دائرةِ المُواجهاتِ، لتــضَع العــالَمَ العربــيّ والإســلاميّ فــى مُواجهتِها، باعتبارهما العدُوّ رقم ١{{واحد}} الذى يظهَر على السّاحةِ بعــدَ الإطاحــةِ بالدُّبِّ السُّوفيتى.

وظهرَت جليّاً فى العَلَنِ، وللمرّةِ الأولى على الساحةِ ما سمعنا بها مــن إشــكاليّةٍ جديدةٍ أطلقُوا عليْها (صراعَ الحضَارات)، وهكَذا فقد أصبحَ العالم الإسلاميّ من دون استثناءٍ على ما أمس عليه يبدُوا عاجزاً ضعيفاَ، مُنشغلاً بالدِّفاعِ عن نفْسه أمامَ الاتهــامِ الأمريكى الرَّهيب الذى نسَبَتْهُ إلى الإسلامِ، وربطَتْ بينهُ وبين المُــسلمينَ**{الإرهــاب}**، وذلك من دُون سببٍ جَوْهَرىٍّ يَستَسيغُهُ العَقْلُ،وبلا مُبرِّرٍ شرعىٍّ يرضاهُ ضميرٌ إنسانىٌّ

غيرَ ما ادّعت به الولايات الولاياتُ المتحدة، ونَسبتْهُ إلى الجماعاتِ التـــى هـــى مـــن صُنعها، وهم بعضٌ ممَّن ينتسبون فى نهاية المطافِ إلى المُسلمينَ ويُحـــسَبُون علـــى الإسلامِ، وقد بَدَأَت من حِينها فى وضْعِ المُخطَّطاتِ، ورَسْمِ السيناريُوهاتِ التى ظلّــت حبيسةَ الأدراجِ تنتظرُ الفرصةَ تلو الأُخرى للخرُوجِ إلى النُّورِ، والتّعْبيرِ عـــن نفـــسِها حتى جاءت أحداثُ ١١ / ٩ لتمنَحها تلك الفُرصةَ الذّهبيةَ.

أمّا ردُّ الفعلِ الإسلاميِّ والعربيِّ، فإنّه جاءَ مُخيِّبـــاً للآمـــالِ لظهـــوره بمظهـــر الإستسلامِ المَهينِ لما أبدياهُ من حالِ العجْزِ والتّخلُّفِ، وقدْ غرِقُوا فيه جميعـــاً مُنـــذ أن تنازعُوا فَفَشلوا، وسلكُوا مسالكَ القُطريةِ والأُممِيّةِ، رغمَ مُقوِّماتِ الوحـــدةِ الطّبيعيّـــة، والجُغرافيةِ، والثّقافيةِ، واللغويّةِ، والتاريخيّةِ، والسياسيّةِ، واكتفينا ونحن قرابة الخمسين دولةً بمَصْمَصَةِ الشِّفاهِ، والتّحسُّرِ، وتَقْليبِ الوُجُوهِ تارةً إلى الشّرقِ وأخُرى إلى الغربِ ليستقبِلَ كلُّ فريقٍ القِبلةَ التى ترُوقُ لهُ فيرتبط بها ارتباطاً وثيقاً، ويعتمد عليهَا اعتمـــاداً كُلِّيّاً. وهذا هُو حالُ القومِ الذينَ ظلمُوا أنفُسَهم.

(٣٨)

ثالثا : أزليةُ الأزمةِ

١ ــ الأمورُ التّوقيفيّة:

اشترَى الرَّسولُ صلّى اللهُ عليه وسلّمَ فى المدينةِ المُنوّرةِ بعدَ الهجرةِ إليها أرضــاً أقامَ حولَها سُورًا من اللّبنِ، مُربّع الشّكلِ، طولُ كُلِّ ضلعٍ من أضــلاعه مائــةَ ذراعٍ، وارتفاعه قَدْرُ قَامَة. وتلك كَانت نُواة مَسجده ﷺ الذى كان سقفُهُ بجريدِ النّخل المرتكــز على قواعدَ من جُذوره، وبنى ﷺ فى الرُّكن الجنوبى الشّرْقى من المــسجدِ حُجــراتٍ لسُكناه، ولَم يَعرف الرّسولُ ﷺ ولا خُلفاؤهُ الرّاشدون من بعــده المحــرَابَ، لانعــدامِ صِلَتهم جميعاً بالمسيحيِّين، الذينَ كانت المَحَاريبُ فى كنائسهم، ولم يأخُذها المُــسلمونَ عنهُم أوّل الأمرِ لتَحرُّجهم من ذلك. غيرَ أنّ أشْهَرَ الرِّواياتِ أفادَت بأنّ الخليفةَ الأُمَوىَّ "عبد الملك بن مروان " كان أوّل من أدخَل المحَاريبَ إلى المساجدَ، ثُمَّ توَالَت بعدَ ذلك الزياداتُ على المسجدِ النّبوىِّ فى عُصورٍ مُختلفةٍ حتى وصل إلى ما هو عليهِ الآنَ من الضّخامةِ والإتّساع.

وقد اّتخذ فى حياته ﷺ مسجدَه مقّراً لسكَنه، ومرْكزاً لأعماله يؤُمُّ المــسلمين فيــه ويُرشدُهم، ويفصلُ فيما يدبُّ بينهُم من الخلافِ، وكان المسلمونَ يقــضُونَ فــى هــذا المَسْجدِ خَيْرَ أوقاتهم لينهلُوا من مَعينِ النُّبوَّةِ الــصّافى، وليتــشبّعُوا بثقافــةِ الإســلامِ الرّفيعة.

ولمّا كان أعداءُ الإسلامِ حريصينَ على إثارةِ القلاقــل، ووضْــع العراقيــل فــى طريقه، فقد أدّى واجبُ الدفاعِ عن النّفس، وحتّمت فريضةُ الجهــاد علــى المــسلمين الدُّخُولَ فى سلسلةٍ من الحروبِ، بثّ النبىُّ ﷺ بَعدها رجَالَهُ فــى الجزيــرة العربيــة، يُلقِّنُون أهلَها مبادئَ الدِّينِ الجديدِ، ويَجمعُون الزّكاةَ ممَن وَجَبت عليهم، كمَــا كــان ﷺ يُتابع أعمالَهُم، ويُحقِّقُ فيهم ما يصِلهُ من أخبارٍ عنْهُم.

وقد رُوى أنّ الرّسولَ ﷺ استعملَ رجُلاً على الصّدقات، فلمّا رجَع الرّجلُ حاسَــبَهُ النَّبىُّ فقالَ الرَّجُلُ: هذا لكُم، وهذا لى، فقالَ النَّبىُّ. ومن أين لَك هَذا؟ قالَ: هو هَديــةٌ: فقالَ الرّسولُ الكريمُ: وهلْ قَعَدْتَ فى بيتك وبيتِ أبيك وأُمِّك، حتّى يُهدَى لَك، ثُمَّ **قال:**

""" مَن استعمَلناهُ علَى عَمَلٍ، ورزَقناهُ رِزقاً، ــ أىْ أعطيناهُ أجراً – فمَا أخَذ بعدَ ذلك فهو غَلُولٌ: أىْ "خيانَة """.

وبذلك يَثبُتُ أنّ النّبىَّ ﷺ هو أوّل مَن طــبّقَ قانُونَ من أينَ لك هذا ؟ الذى يتردّدُ الآنَ اسمَه لفْظاً ، وتعطّلَ العملُ به على إطلاقه . حيثُ لكَ الآن أنْ تفعلْ ما طَابَ لَكَ، وأنْ تَجمَعْ ما شئتَ، بالشّطارة، أوْ بالفهلَوة من حلالٍ أو مــن حــرامٍ، ولا بــأسَ، ولا حرَج طالَما كُنت تدْفَع. !!!!!!

وقد أشْعَرَ الرَّسُولُ ﷺ بعَدَالته المُطلَقَة القلُوبَ معنَى الحُرِّية، والعَدل، والمُــساواة، فَدَانَ العربُ لهُ بالطّاعة عَن رضا نفْسٍ، وطيبِ خاطرٍ.

وكما كان أعداءُ العرب والإنسانية حَريصينَ علَى مُحاربة الدِّين الجَديد الذى ذاعَ صيتُه، وكثُرت أتباعُه، وتعاظَمت دعوتُه.

فقد اجتهدَ اليهودُ الذين كانوا مُتواجدين تَواجداً مُباشرا من قَبل فى تحقيقِ أعلــى استفادة مُمكنةٍ من هذا التواجد، حيثُ تمكنُّوا مــن إحكــامِ الــسّيطرة علَــى الطّريــقِ السّاحليِّ، المُمتد من بلاد اليمنِ السّعيدة جنُوباً إلى ساحلِ الشّامِ شمالاً بطــولِ البحــر الأحمر، ثُمّ استطاعُوا كذلك أن يتغلْغَلُوا بنُفوذهم الاقتصاديّ فى بلادِ الــيمنِ، وبــلاد الشّامِ الغَنيّةِ والاستراتيجية.

كما كانت يثْرِب (المدينةُ المُنوّرة) ببساتينها الوَاسعة، ومزارعها الكثيفة تحــتَ سيطرتهم، وكان رسولُ الله ﷺ يُعاملُهم علَيْهَا، وكذلك فَعَلَ أبو بكر، وعُمر (صَــدْراً من إمارَته) رضي الله عنهُما. ولم يلْبَث الفارُوقُ عُمر أن أجْلاهُم عنها أثناءَ خلافَتــه، وولايَته أمرَ المسلمين(١).

ويذكُرُ التاريخُ أنّ اليهودَ قد حقّقُوا نجاحاً ملحُوظاً فى حياته، حيث ارتدَّ بعــضُهم ممّن أسلَمَ فى اليمن، أثناءَ ولاية مُعاذ بن جبَل، قبلَ حجّة الوداع، ثُمَّ بعثَ الرّســولُ ﷺ "" **عليّاً بن أبى طالب، وخَالد بن الوليد** "" ***رضى الله عنهما*** ، قُبَيْلَ حجة الــوَداع فــى سنَة عشرَ من الهجرة، خاصّةً بعدَما تأكّد خُروجُ الأسْود العنَسيِّ (عبْهَلَة بن غَــوْث) وقد ادّعى النُّبوَّةَ، وهو من بلدٍ يُقالُ لها{ كهْف حَنان }، فى سبعمَائة مُقاتل، وكَتبَ إلــى

(١) انظر المؤامرة الكُبرى على العروبة والإسلام والإنسانية عبر مراحل التاريخ / للمؤلف

عُمّال النَّبيِّ: أيُّها المُتمرِّدونَ علينَا، أمْسكُوا ما أخذتُم من أرضنا، ووفِّرُوا مــا جمَعــتُم فنحنُ أوْلى به، وأنتُم علَى ما أنتُم عليه، ثُم ركب فتوجّه إلى نَجْــران، فأخَــذَهَا بَعْــدَ عَشرة ليالٍ من مَخْرجِه، ثُم قَصَدَ صنْعاءَ واحتلّها لخمْسٍ وعشرين ليلةٍ مــن مخرَجــه وفَرّ مُعاذُ ﷺ منها ومَعَه أبو موسى الأشعري، فذهَبَا إلى حضْرموت، واستَوْثَقَت اليمنُ بكاملها للأسْوَد العَنَسى، وجَعَلَ أمرُه يستطيرُ استطارةَ الشّرارة، وقد مكَث العنَسيُّ منذ ظَهَر إلى أن قُتل " ثلاثةُ أشهرٍ "، وقيل أربعةَ أشْهرٍ فاللهُ أعلمٌ(١).

منه يُستدلُّ علَى أنّ الدولةَ الإسلاميّةَ مُنذ نَبتها الأوّل، قد تعرّضت لهزّات عَنيفــة كَادَت أن تَعْصف باستقْرَارها وسلامَتها فى مراحلَ تكْوينها الأوُلى خاصةً أنها الدّولــةُ التى قامت علَى أساسٍ من العَقيدة الحَيَّة التى ذرْوةُ سَــنامها **{ لا إلــه إلاّ الله مُحمّــد رسُولُ الله }**. وهى بهذا لا تُمثّل خَطراً سياسيّاً من أيِّ نوعٍ، وباتتْ ولم تكُن سَبَبَاً فــى نُشوءِ نزاعٍ حُدوديٍّ مَعَ جيرانها، وذلك لأنّها دولةُ دَعْوةٍ إلــى طرِيــقِ الله، رِسَــالتُها التّبليغُ بخَبَرِ السّماء.

وهُو الأمرُ الذى جعَل اليهُودَ والنّصارى يكيدُون لَهَا كَيداً، ويمكُرُون لَهَــا مكْــراً كُبّاراً، واجتهدُوا فى تحريضِ العَرَب علَى الرّسُول ﷺ ، خاصّة مع زعْــم أحْبــارهم ورجالِ دينهم. بأنّهم يملكُون مفَاتيح الجَنّة والنّار، بعد أنْ أخْــضَعوا اللهَ جَــلَّ وَعَــلا لقوانينهم المادّيّة، " **وأستغفر اللهَ العظيمَ** " عنْ هــذا التّجَــاوزِ اللّفْظِــيِّ، فقــد كــانوا يُتاجرُون، ويَتقوَّتُون بادّعاء ملكيّتهم لمفَاتيح الجنّة والنّار، وقد آمَن لهُــم مَــن آمَــن، وأسْلَمَتْ النِّساءُ لهُم أجْسادَهنّ لنيْل البَرَكَات وتَحْصيلِ النَّفَحَاتِ فى الأوقاتِ المُباركات، كما كانُوا يبيعُون وَهْماً للضّحايا صُكوكَ الجنّة نظيرَ الذّهب والفضّة والنساء.

فجاءَ الإسلامُ لينفى خَبَثَ صَنيعهم، ويُؤَكِّدُ علَى أنّ الأمْرَ كلُّهُ والخيْــرَ بيــد الله: ﴿ **يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ** ﴾ [الــشُّورى: ٨، الإنــسان: ٣١ } وذلــك مــن دُون وَساطةٍ بَشريّةٍ، أو قبْضةٍ ماليةٍ، أو ضمّةٍ جنسيةٍ.

ولكنّ الإسلامَ لم يُضيِّق عليهم الخناقَ فى أرزاقهم وأقواتهم ولم يُدمِّر اقتــصادَهُم عُنوة علَى الرّغم من اتِّساع سُلطان الدّولة الإسلاميّة الأُولى فى عَصْرِه، حيْثُ عامَلَهُم

---

(٢) البداية والنهاية ج ٣ ص ٨٥٣، ٨٥٤

عَليها بالخراج والجزية، وعاشُوا يَتمتّعُون بكاملِ الحُرِّيّة والحُقُوق حتى عصْرِ الخليفةِ عُمر بن الخطّاب الذى أجْلاهم عن المدينة فيما بعد.

وما أن توفّى الرّسولُ ﷺ، حتى ارتدّت أحياءٌ كثيرةٌ من الأعرابِ، ونَجَمَ النِّفاق بالمدينة، وازدادت حَرَكَاتُ الرِّدة، وتعدّدَ مُدَّعُو النُّبوَّة، وكانت هذه العللُ قد بدأتْ فى عصره ﷺ. وكان « مُسيلمة الكذّاب » علَى رأسِ هؤلاء، وانحازَ إليه بنُو حنيفَة، وخَلْقٌ كثيرٌ باليمَامة، وظَهَر طُليحة الأسْدى، والتفّت حوْله بنُو أسَد، وطَيِّئ، وبشرٌ كثيرٌ، وعظُم الخَطْبُ، واشتدّت الحَالُ علَى خليفةِ رسُولِ الله ﷺ « **أبو بكر الصديق** » ودولته.

وازدادَ البلاءُ زيادةً كبيرةً بوفُودِ العربِ الذين قدَموا المدينة، يُقِرُّون بالصلاة، ويَمتنعُون من أداءِ الزّكاة، ومنهم من امتنَع عن دفْعها إلى الصِّدِّيق، وقد احتجُّوا عَن سُوءِ فَهمٍ بقوله تَعالَى: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ** ﴾ [التّوْبَة: ١٠٣]

قالُوا: فلَسنا ندفَع زكَاتَنا إلاّ إلى مَن كانت صَلاتُهُ سَكَنَاً لنَا، وقد تكلّم الصحابةُ مع الصِّدِّيق فى أن يترُكَهم وما هُم علَيه مِن منْعِ الزَّكاة، ويتألّفهُم – حتّى يتمكّن الإيمانُ فى قلُوبهم – ثُمَّ هُم بعد ذلك يُزكُّون، فامْتنعَ الصِّدّيق من ذلك وأبَاهُ.

وقد روَى الجماعةُ فى كُتُبهم سوى ابن ماجةَ عَن أبى هُريرة أنّ عُمرَ بن الخطّابِ قال لأبى بَكرٍ: عَلاَمَ تُقَاتِل النّاس ؟ وقد قال ﷺ « **أُمرتُ أنْ أُخاطب النّاسَ حتّى يشهَدوا أن لاّ إله إلاّ اللهَ وأنّ مُحمّداً رَسولُ اللهِ فإذا قالُوها عصمُوا منِّى دماءَهُم وأموالَهم إلاّ بحُجّتِها ؟** ».

فقالَ أبوبكرٍ ﷺ : **والله لو مَنعونى عناقاً(١)، وفى رواية عقالاً(٢) كانوا يُؤدُّونه إلى رسولِ الله ﷺ . لأُقَاتلَنَّهُم عَن منْعِها إنّ الزّكاةَ حقُّ المال، والله لأُقَاتلَنَّ مَن فرّقَ بينَ الصّلاةِ والزّكاة.**

---

(١) العناق: الأُنثى من أولاد المعز: والجمع: أعنُق وعنوق، وفى المثل العنوق بعد النوق – يُضرب فى الضِّيق بَعْدَ السّعَة

(٢) العقال: زكاةُ عامٍ من الابلِ والغَنَمِ، حَبْلٌ يُعقل به البعيرُ الذى كان يُؤخذ فى الصّدقة.

قال عُمَرُ ﷺ: فمَا هُو أن رأيتُ اللهَ قد شَرَحَ صدرَ أبى بكرٍ للقتالِ، فعرفـتُ أنّـه الحقُّ، وقُلْتُ(١). وقد قَالَ تعَالى: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وءَاتَوُاْ الزَكَـاةَ فَخَلُّـواْ سَبِيلَهُمْ ﴾ { التّوبة: ٥ }.

ووَقعَ العصيانُ، واستفحَلت الأزمةُ، وكان أبو بكرٍ حاسماً فى تَصَدِّيه وقتاله لأهلِ الرِّدةِ ومانعِى الزّكاة، وارتدّ أهلُ البحـرَين، وعُمان، ومـهرة، واليَمَن، ثُمّ عادُوا بعد فى الإسلامِ عوْداً حميداً.

ومُلخَّصُه: أنّه ما من ناحيةٍ من جزيرةِ العربِ إلاّ وحصُل فى أهلها رِدَّةٌ لـبعض النّاس، فبعَثَ الصِّدِّيقُ إليهم جُيوشاً وأمُراءَ، يكُونون عوْنا لمَن فـى الأمـصارِ مـن المُؤمنين، فلا يتواجَه المُشركون والمُؤمنون فى موْطنٍ من تلك المَـواطِن، إلا غلَـبَ جيشُ الصِّدّيق لمَن هُناك من المُرتدِّين، ولله الحمدُ والمِنّةُ، وقَتلوا منهُم مقْتلةً عظيمـةً، وغنَموا مَغانم كثيرةً، ثُمَّ إنهم يَتَقَوَّوْنَ بأمرِ الله على مَن هنالك، ويبعَثون بأخْمـاسِ مـا يغْنمون إلى الصِّدّيق فيُنفقهُ فى النّاس. فيحصلُ لهُم قُوّة أيضاً، ويستعِدُّون به على قِتالِ مَن يُريدون قِتالهم من الأعاجمِ والرُّوم.

ولمْ يزل الأمرُ كذلكَ حتى لم يبقَ بجزيرةِ العَرَبِ إلاّ أهلُ طَاعـةِ الله والرّسُـولِ ﷺ، وأهلُ ذمّة من الصِّدِّيق كأهلِ نجْرانَ ومَا جرَى مَجْراهُم.

وقد استُهِلَّت سنة ثنتى عشرةَ من الهجرةِ النّبوية، وأمراءُ الصِّدّيق وجيُوشهم ممّن بعثَهم لقتالِ أهلِ الرِّدّة جوّالُون فى البلادِ، يميناً وشمَالاً، لتمْهيد قَواعدِ الإسلامِ، وقتـالِ الطُّغاة، من الأنام، حتى رُدَّ شاردُ الدِّين بَعد ذهَابه، ورَجعَ الحقُّ إلى نِصابِه، وتَمَهّـدَت جَزيرةُ العَرَبِ، وَصَارَ البعيدُ الأقصى كالقَريبِ الأدْنى.

واستقّرت الأُمُورُ للدّولةِ الإسلاميةِ بعدَ الرِّياحِ العاتيةِ، والموْجـاتِ القاسـيةِ مـن الفتن، والمُشكلات، والخُروجِ التى كادَت تعْصف باستقرارها بعْضَ الوقْت، وكان كَمَا قالَ تعَالى: ﴿ واللهُ مُتمُّ نُورِه ولَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ ﴾ [الصّف: ٨].

وكان خالدُ بن الوليدِ من بينِ بعْثِ الصِّدّيق إلى الأمْصارِ، وخَـصّهُ بقتـالِ أهـلِ اليمامَةِ. فلمّا فرَغَ منها، ودَانت الأمورُ له بالطّاعةِ. بعثَ إليه الصِّدّيق أن يـسيرَ إلـى

---

(١) البدايةُ والنهايةُ ج ٣ ص٨٥٥

العراق، وأن يبدأ بفرجِ الهند وهى« الأبله » وأن يأتيَ العراقَ من أعَاليها، وأن يتألّفَ النّاسَ، ويدعُوهُم إلى الله عزّ وجلّ – وإلاّ أخَذ الجزيةَ إن لم يُجيبُوا فإن امتنَعوا قاتَلهُم علَى ذلك، وَأَمرَهُ ألاّ يُكرِهُ أَحَداً علَى المَسيرِ معَه، ولا يستعن بمَن ارتدّ عَن الإســلامِ وإن كانَ عَادَ إليه، وأمَرَهُ أن يَستصحبَ كلَّ امرئٍ مَرّ بهِ من المُسلمينَ.

وَشَرَعَ أبُو بكْرٍ فى تجْهيزِ السّرايا والبُعُوثِ والجيُوش لإمدَادِ فاتحِ الفُتوح « **خالــد بن الوليد** » ﷺ وأرضاهُ، وقد استجابَ لرَسُولِ أبى بَكْرٍ إليه، فَقَصدَ من اليَمَامةِ إلــى العِراقِ من دُون العوْدِ علَى أهله وولده وماله.

وقَد دانَت لهُ البصْرةَ، والكُوفةَ، ونزَل الحيرةَ، ثُمَّ دخَل الأنبــارَ، ثُــمَّ الخوْرنــق، والسُّدير، والنّجَف، وفى سنة ثلاثَ عشرةَ من الهجرةِ كان الصِّديق قد فرَغ من جزيرة العربِ، وبسطَ يمينَه علَى العراقِ، ثُمَّ أرادَ أن يبعثَ إلى الشّام فاجتَمَعَت الجُيوشُ عنــد الصِّديق، وشرعَ فى الأُمراءِ، وعقَد الألويةَ والرّاياتِ(١)، ودخَلَ المُسلمون الشّام مــن أبواب مُتفرّقة.

ودارت معاركُ عظيمة كان أولها (العَريَّــة)، وأشــهرها (اليرمُــوك)(٢)، ثــم دمَشق، وحمص، وملطية.

وماتَ الصدِّيقُ يومَ الإثنين عشيَّةً، وقيل بَعد المغرب، ودُفن مــن ليلتــه، وذلــك لثمانٍ بقيْنَ من جُمادى الآخرة سنة ثلاث عشرةَ من الهجرةِ بعد مرضٍ خمسةَ عــشر يوماً، وكانت وفاتُه رضى اللهُ عنه قبلَ أن يُتمّ اللهُ عليه فتحَ الشامِ والعراقِ.

وقد ولِىَ عمرُ بن الخطّاب ﷺ أمرَ الخلافة من ليْلته، وكان أوّل ما تكلّم به أن عَزل خالدَ بن الوليد، وقالَ (**لا يَلي عليكُم عمَلاً أبداً**).

وقد رَوى بعضٌ أن سيدَنا عُمر بن الخطاب قال (**أنِّى لــم أعــزِل خالــدَ عَــن سَخطةٍ، ولا عَن خيانةٍ، ولكن الناسَ فُتنوا به، فخشيتُ أن يُوكَلُــوا إليــه، ويُبتَلــوا، فأحببْت أن يعلُموا أنّ اللهَ هُو الصّانع، وألاّ يكُونوا بعرَضِ فتنةٍ**) وأتَمّ اللهُ فتحَ دمشق سنة عشرة من الهجرة – قيل صُلحاً، وقيل ــ قسْراً – وقد كان ذلك على يَدى أميــر الحرْب :« خالد بن الوليد » المُقاتل الفَرد من دُون حملِ لواءٍ ، ولا مسئوليةِ إمارةٍ ،

---

(١) البداية والنهاية ص ٦ ج ٤

(٢) وادٍ فى طريق الغور يصب فى نهر الأردن.

إنّما كان تحْت إمرةِ « أبوعُبيدةَ بن الجرّاح »، كما فُتحت " بُصرى "وهــي أوّلُ مَــن فُتحَت من بلاد الشّام، وأرْسَلَ عُمــرُ بن الخطّاب جُيوشَه إلى الكُوفة، ودارَت معــاركُ طاحنةٌ بين الفُــرْس والمُسلمينَ، وقُتِلَ أميرُهُم أبُو عبيدةَ، وخَلْقٌ كثيرٌ منهُم فى موْقعَــة « جسر أبُو عبيدة » ثُم وقعة البُويب التى اقتصّ فيها المسلمونَ من الفُرْس.

ولكنّ الفُرسَ اجتمَعُوا علَى انتظام شمْلهم، وازْدادت الأمورُ شدّةً بعــد أن نقــضَ أهلُ الذِّمَّة عُهودَهُم، ونَبذُوا المَوَاثيقَ التى كانَت، وآذوا المُسلمين أذىً كثيراً، واستفْحلَ الأمرُ واشتدّ الخطبُ.

كَتَبَ أميرُ المؤمنين« عمر » إلى مَن هنالك مــن الجُيــوش. أن يخرُجــوا إلــى الفضاء، وأن يَظهروا ولا يختَفُوا، ويبتَعدُوا عن النّاس إلى أطراف البلاد.

قالَ ابنُ جريرٍ رحمهُ اللهُ : وركبَ عمرُ ﷺ فى أولَ يوم من المُحرّم مــن هــذة السّنة من الجُيوش من المدينة، فنزلَ علَى ماءٍ يُقال لهُ: "صرار"، فعسْكرَ بــه عازمــاً علَى غزوِ العراقِ بنفْسه، واسْتَخْلَفَ علَى المَدينةِ عليّاً بن أبى طالب، واستصْحَبَ معهُ عُثمانَ بن عفّان، وسَادَات الصّحابة، ثُمّ عَقَدَ مَجْلساً لاستشَارَةِ الــصّحابة فيمــا عَــزَمَ علَيه، ونُودِيَ إلى صَلاةٍ جامعةٍ، وكان عليٌّ قد قدُم من المدينة تَلْبيــةً لــدَعْوةِ عُمــرَ بالحضور، ثمَّ استشارَهم. فتوافَقُوا جميعاً علَى الذّهاب إلى العراق.

إلاّ أنّ عبد الرحمن بن عَوف، فإنّه قالَ: إنّي أخْــشَى إن كُــسرتَ أن يــضْعَفَ المُسلمونَ فى سائرِ أقطَارِ الأرضِ، وإنِّي أرى أن تَبعثَ رجُــلاً وترْجِــعَ أنــتَ إلــى المَدينَة، فمالَ عُمرُ والنّاسُ واسْتَصْوبُوا رأىَ ابن عوْف.

فقال عُمر: فمَن تَرى أن نَبعثَ إلى العراق ؟

قال ابنُ عوْفٍ: قد وجدتُّه.

قال: ومَن هُو ؟

قال: الأسدُ فى براثنه.. سعدُ بن مَالك الزّهرى.

فاستجادَ الخطّابُ قولَه، وأرسلَ إلى سعدٍ بن مالك فأمّرَهُ على العراق، وأوصــاهُ، وسارَ سعد إلى العــراق فى ستّه آلافٍ، وشيّعَهم عمرُ إلى الأعْوَص.(١)، ورجَع عمرُ

---

(١) موضعٌ على ثلاثةِ أميالٍ من المدينةِ على طريقِ العراقِ.

بمَن معَه من المسلمين إلى المدينة، ولمّا وصَل سعدُ إلى العراق آلت إليه هناكَ إمـــارةُ الجيوشِ ورئاستها حيثُ أنّ قائدَ « العراقِ » المُثنّى بنُ حارثة كان قد ماتَ قبلَ وُفُــودِ سعدٍ الذى تزوّج من « سلْمى » امرأة المُثنّى، وسارَ سعد فنزلَ « القادســيّة » بـــابُ فارسٍ فى الجاهليّة، وبثّ سراياهُ وسُرعانَ ما التَقى الجيْشان.

وكانت وقعةَ القادسيّةِ وقعةً عظيمةً لم يكن بالعراقِ أعجــبُ منهـــا، وانهزمَــت الفُرس، وغنم المُسلمون من وقعةِ القادسيَة هذه من الأموالِ والسِّلاحِ ما لا يُحَــدّ، ولا يُعدُّ، ولا يُوصفُ كثرة.

كما فُتحَت « قيسَارية » وهى بلدٌ قديمٌ على ساحلِ بحرِ الشامِ، كانت قــديماً مـــن أُمّهات المُدن « بينَها وبينَ طبريّةَ مَسيرةَ ثلاثةَ أيامٍ »، ثُمَّ موقعة أجنادين.

وقد مَنّ اللهُ علَى المسلمين بأن فتَحوا بيتَ المقدس بعد أن أتــمّ أبوعُبيـــدة بـــن الجرّاح فتح دمشقَ، ثمّ فتحَ اللهُ تعالى للمسلمين مُستقَرَّ مُلك كسرى (المَــدائن)، ثُــم جَلولاء فى مفترقِ الطُّرق إلى أذربيجان والباب إلى العراق وفـــارس، وفيهـــا هَـــرَبَ الفُرس والأعاجم كلّ مَهرَب أمامَ القَعْقَاع بن عمرُو، وأخذَهُم المُسلمون كُـــلّ مَأْخَــذٍ، وقعَدُوا لهُم كلّ مرصد، فقُتل منهم فى تلك الواقعةِ « مائة ألف » حتى جلَّلَــوُا وَجْــهَ الأرضِ بالقَتْلَى، فلذلك « سُمِّيت » جَلولاء، وغنموا من المـــالِ والـــسلاحِ، والـــذّهب والفضّة قريباً ممّا غنموا من المدائنِ كُلِّها. ثّم فـــتحَ اللهُ تعـــالى للمـــسلمين: حُلـــوان، وتكريت، والمُوصل، وماسبذان من أرضِ العراقِ، على الطريقِ إلـــى همَـــذان فـــى فارس، ثُمَّ موقعة قرقسياء، وهيت، وكُلها فى سنةِ عشرة من الهجرة.

وقد أتَمَّ اللهُ تعالَى على المسلمين فتحَ الأهوازِ، ومناذرِ، وتيرى، وتـــستر، وقـــام المسلمُون بغزوِ فارس من ناحيـــة البحـــرين، ودخلـــوا تـــستر، عُنـــوة، والـــسوس، ورامهرمز. وكلُّها فى سبعَ عشرةَ من الهجرةِ.

وتعدّدت فُتوحات المُسلمين، وتنوّعت، وتقدّمت فى زوايا العالَم الأربـــعِ، وقـــصَد المسلمون الغربَ نَحو مصر سنة عشرين من الهجرة بعد أن أتمُّوا فتحَ الشَام، وبعدَها أرسلَ عمرُ بن الخطاب أمير المؤمنين رضى اللهُ عنه{عمرو بن العاص} إلى مـــصر سنة عشرين من الهجرةِ، وأرْدفهُ بالزُّبير بن العوّام ، وقد وَلِىَ مصرَ بعد ذلك عبد الله ابن سعد بن أبى سَرح، وسنعرِض لما كان من عظيم الأحداثِ التى وقعت فى حينه.

ب – سلامٌ عليكَ يا عُمر:

رُوى من طريق ابن لُهيعة عَن قيسِ بن الحجاجِ عمَّن حدّثه قالَ: لمّا افتُتحت مصر أتى أهلَها عَمرو بن العاص، حين دَخَلَ بؤُونةَ من أشْهُر العُجم – فقالوا: أيُّهـا الأميـرُ، لنيلنا هذا سُنّةٌ لا يجْرِى إلاّ بها.

قالَ: وما ذاكَ ؟

قالُوا: إذا كانت اثنَتَا عشرةَ ليلة خَلت من هذا الشّهرِ عَمدْنا إلى جاريةٍ بكْـرٍ مـن أبَويْها، فأرْضيْنا أبَويْها، وجعَلْنا عليْها من الحُلىِّ والثّياب أفضلَ ما يكُون، ثُمّ ألقيناهـا فى هذا النَيل.

فقالَ لهُم عَمرو: إنّ هذا ممّا لا يكُون فى الإسلام، إنّ الإسلامَ يهدم مَا قبْله. وكَان ممّا قالَ ابنُ لُهيعَة فى حديثه: فأقامُوا « بؤُونة، وأبيب، ومسرى »، والنِّيلُ لا يجـرى قليلاً ولا كثيراً، حتى همُّوا بالجَلاء. فكَتبَ عَمْرو إلى عُمَرَ بن الخطّـاب ﷺ بـذلك، فكَتب إليه: إنّك قد أَصبْتَ بالّذى فَعلْتَ، وإنّى قد بعثْتُ إليك بَطَاقَةً داخل كتَابى، فألْقهـا فى النِّيل، فلمَّا قَدُم كتَابه أخذَ عَمرو البطاقةَ فإذا فيها "مـن **عبـدُ الله** عُمـر " أميـرُ المُؤمنين إلى نيلِ أهلِ مصرَ: أمّا بعدُ فإن كُنت إنّما تجرى من قِبَلِكَ ومن أمْـرِك فـلا تَجْرِ، فَلاَ حَاجةَ لَنَا فيك، وإن كُنت إنّما تجرى بأمرِ الله الواحدِ القهّـارِ، وهـو الـذى يُجريك، فنسأل اللهَ تعَالى أن يُجريك.

قالَ: فألْقَى البطاقةَ فى النِّيلِ، فأصبْحُوا يومَ السّبت، وقد أجْرَىَ اللهُ تَعالى النِّيل فى ستّة عَشر ذراعاً فى ليلةٍ واحدَةٍ، وقَطَعَ اللهُ تلكَ السُنّةَ عَن أهلِ مصر إلى اليومِ.

وقد أتمّ اللهُ فتْح مصر فى عصره ﷺ ، كما كانَت فى المشرقِ وقْعة نَهاوندَ، وهى مدينةٌ عظيمةٌ جنوبَ هَمَذان – بينَهما ١٤« أربعة عشر فرْسخاً »، وهى أعتق مدينـة فى العراقِ – وعَلَى المشهور – فتحَها، وقد سمّاها المسلمون فتحَ الفُتوح، وهى وقعـةٌ عظيمةٌ ذات شأنٍ رفيعٍ .

وفى سنةِ إحدى وعشرين، وسنة ثنتين وعشرين من الهجرةِ أتمّ اللهُ تعـالى فـتح همَذَان، وفُتحت بعدها الرَىُّ ومَا بعدها وأذربيجان، وقُومس، وجُرجَان، ثُمّ« البـاب » وهى مدينةٌ عظيمةٌ وثَغرٌ هامٌّ على بحْرِ طبرستان ويُعرف الآن بحر" الخَزَر ".

كما شهدت كذلك السَنةُ الثانيةُ والعشْرُون أوّلَ غزوةٍ للتُّرك – ثُمّ غَزَا المُسلِمون بلادَ خَراسان، وهى بلادٌ واسعةٌ فى شرقِ فارِس وقصَبَتها « مَرْو » وبها << نيْسابُور، وهُرات، وبلْخ >> وغيرِها من المُدن التى دُون نَهر جيحون، وغيرها، وفى سنةِ ثلاثٍ وعشرينَ مِن الهِجرة كانَ فتحُ فَسَاَ، ودار ابجرد، وكانت كذلك غزوة الأكراد.

وأفاءَ اللهُ علَى المسلمين فى عصرِهِ رضوان الله عليه فيئاً عظيماً، وفَتَحَ اللهُ الأمصَارَ فتحاً مُبيناً(١).

---

(١) راجع صراع الحضارات وحوار الدبابات – للمؤلف.

(٤٩)

الفصلُ الثّانى

أوّلاً: الفتنةُ تعبثُ بوحدةِ المُسلمينَ

أ – استشهادُ « عُمر رضى اللهُ عنهُ »:

قُلنا بأنّ اللهَ تعَالى مهّدَ السّبيلَ ويسّرهُ، وفتَح للمسلمينَ من الأقطارِ أعظمه، وولّى الأمُور للقوم أنفعَه.

وبذلك اتّسعت فُتوحُ البُلدان، وبَسَطَ اللهُ علَى الأرضِ خاتَمَ الأديانِ، وكثُـر أتبـاعُ النّبىِّ العدْنانِ، بينما يتقدّم المسلمُون بدعْوتهم صوبْ المشارقِ والمغاربِ، وسَطَعَت بهم شمْسُ الإسلامِ، فأضائت الدُّنيا نُوراً وعَدْلاً بعد أن كانت تعجُّ ظَلامـاً وظُلمـاً. وهُـم يحملُون مَشَاعلَ النُّورِ للْفكْرِ الإنسانيِّ، وهُم يملكُون مفـاتيحَ الحَـضَارة، ويـصنَعُون عَظَمَةَ الأمجادِ تحتَ إمرةِ ثانى الخُلفاءِ الرّاشدين – الفارُوق – عُمر بن الخَطّاب ﷺ.

وكَان لهُ رضوان اللهُ عليه دُعاءٌ مُستجاباً، تمنّاه علَى الله. فأجَابه تعَالى لَه. حيـثُ لمّا فَرَغ من الحجِّ سنة ثلاثٍ وعشرين من الهجرة، ونزَل بالأبْطح، دعَا اللهَ عزَّ وجلَّ، وشكَا إليه أنَّه قد كبُرت سنُّهُ، وضعُفت قوّتُه، وانتشَرت رَعيّتُه، وخافَ من التقـصيرِ، سألَ اللهَ أن يَقْبِضَهُ إليه، وأن يمنّ عليه بالشّهادة فى بَلَدِ رسُولِ الله ﷺ ، كمَا ثبُت فـى الصّحيحِ أنّه كان يقُول: اللهُم أنّى أسألُكَ شَهَادَةً فى سَبيلكَ، ومَوتاً فـى بَلَـدِ رسُـولكَ، فاستجابَ اللهُ لهُ، وأجابَ له دعائَه، وجمَعَ له بينَ هَذين الأمْرين.

ويذكُر التاريخُ علَى صفَحَاتٍ من ذهبٍ ما كُتب بحُرُوفٍ من نُـورٍ عَـن فـضلِ الفاروقِ عُمر بن الخطّاب فى تَطْهيرِ جَزيرةِ العربِ من دنسِ اليهودِ، وشركهم، وفتَنهم ودَسائسهم، وسَعيهم بالتّضْريبِ والتّخريبِ بينَ الناسِ.

حيثُ وقَع أنّ مُحمّداً بن إسحاق قالَ: سألتُ ابن شهاب: كيْف أعْطى رسـولُ الله ﷺ يهودَ خيْبَرٍ نَخْلَهم، فأخبرَنى أنّ رسولَ الله ﷺ افتَتَحَ خيْبرَ عُنوة بعْدَ القتالِ، وكانــت خيبرَ ممّا أفاءَ اللهُ عليه، غنمَها وقسّمَها بين المسلمينَ، ونَزلَ مَن نَزل من أهلها علَـى الجَلاءِ بَعد القتالِ – أى تجهّزوا للرّحيل عنْها – وتسْليمها للمُسلمين، فدَعا الرّسولُ ﷺ فقالَ (**إن شــئتُم دفَعــتُ إليكُم هذه الأموَالَ، علَى أن تُعــملوُها، وتكُون ثمارُها بيننَا وبينَكُم فأمرُكم علَى ما أمرَكم اللهُ**) ، فــقبلُوا وكانُــوا علَى ذلك يُعملُونها، وبعد وفاته

أقرّهُم علَى ذلك أبو بكرٍ حتّى توفّى، ثُمّ أقرّ علَى ذلك عُمَرُ صدْراً من إمارَته.

غير أنّ عمرَ بلغهُ أنّ رسولَ الله ﷺ قال فى وجَعه الــذى قبــضَه الله فيــه « لا **يجتمعُ بجَزيرَةِ العَرَب دينَان** » ففَحَّصَ عُمر عن ذلك حتّى بلغَه الثَّبُت، فأرسَــل إلـــى يهودٍ فقالَ: إن اللهَ أذنَ لى فى إجلائكم، وقد بلغَنى أنّ رسولَ الله ﷺ قالَ (**لا يجتمــع فى جَزيرَة العَرب دينانِ**) فمَن كان عندَه عهدٌ من رسول الله ﷺ فَليأتنى به أُنفِّذه لـــهُ، ومَن لمْ يكُن عنده عهدٌ فليتجهّز للجلاء، فأجلَى عمرُ مَن لَم يكُن عنده عهد من رسولِ الله ﷺ ووفّى الباقين(١).

وصَدقَ فيهم قولُه تعَالى: ﴿ **كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَــرِيمٍ ۞ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ** ﴾ [الدُّخَان: ٢٥ – ٢٧].

أسرّها اليهودُ فى نُفوسهم، وحملَوُها بــينَ ضُــلوعهم، لــذلك بــاتُوا يُخطِّطــوُن ويعملُون، ويذكُر التاريخُ أنّهم لَعبوا دوراً كبيراً فى التّسلُّل إلى حيثُ عمرَ بن الخطّاب ؓ لقتله، فقد كان رضوان الله عليه لا يأْذَن لمُشرك قد احْتلَم بدخُول المدينـــة، حتّـــى كتَب المُغيرةُ بن شُعبة، وهو علَى الكُوفة يذْكُرُ له غُلاماً صانعاً، ويـــستأذن أن يُدخلَـــه المدينةَ، ويقولُ إنّ عندهُ أعمالاً كثيرةً فيها منافع للنّاس، إنّه حدّادٌ نقّاشٌ نجّارٌ(٢)، فَـــأْذَن لهُ أن أُرسله إلى المدينة.

وضَرَبَ عليه المُغيرةُ مائَةَ دَرْهمٍ كُلّ شهْرٍ، فَجاءَ إلى عُمرَ يشْتَكى الخراجَ. فقال له عُمرُ: ماذا تُحسن من العمَل ؟ فذكَرَ لهُ الأعمالَ التى يُحسن ويُجيد، فقالَ لـــهُ عمرُ: ما خراجَك بكَثيرٍ فى كُنه عَملك، فانْصرَف ساخطاً يتذمّرُ، ولَعب اليهوديُّ عبــدُ الله بن سَبأ دوراً هائلاً بالنّفخ فى النّار.

لبث عمرُ ليالى، ثُمّ إنّ العَبْدَ مَرّ به ذاتَ يومٍ فدعاهُ عمرُ. وقالَ لهُ: ألَــم أُحَــدّثْ عنْكَ أنّك تقولُ: لوْ شَاءَ عمرُ – أىْ – لو أَمَرَ لصَنَعتُ رَحَىً تطْحَنُ بالرِّيح ؟ فالتَفَــتَ العبدُ ساخطاً عَابِساً إلى عُمر، ومعَ عُمر رَهط .

---

(١) البداية والنهاية ص ٦٦ ج ٢.

(٢) سيرة مناقب أمير الم}منين عمر بن الخطاب – أبو الفرج الجوزى.

فقال العبدُ: لأصنعَنّ لكَ رَحاً يتحدّثُ النّاسُ بها. فلمّا ولّى أقبل عُمــر ﷺ علَــى الرّهط الذين معَه، وقال لهُم: أوْعَدَنى العبدُ آنفا، فلبثَ ليالٍ، ثُمّ اشتمَلَ العبْدُ الفارســي (أبو لؤلؤة المجُوسى) على خنجر ذى رأسيْن نصابُه فى وسَطه، فكَمَن فى زاويةٍ من زوايا المسجد فى غلَسِ الليل، فلم يزَل هُناك حتى خرَج عمر يُوقظ النّــاسَ للــصّلاة – صلاة الفجر – وكان عمر يفعلُ ذلك، فلمّا دنا منه عمر وَثَبَ عليه الغــلامُ فطَعَنَــهُ ثلاثَ طعنات، إحداهُنّ تحت السُّرَّة قد خَرَقت الصّفاقين(١). وهى التى قَتَلَته.

ثم انحازَ العلج أيضا علَى أهلِ المسجدِ لا يمُرُّ برَجُلٍ إلاّ ضَرَبَه، حتى طعَنَ سوَى عمر أحدَ عشرَ رجُلا، وفى رواية ثلاثة عشر رجُلا مات منهم ستة، فألقى عليه عبــد الله بن عوف بُرنسا(٢) – فانتَحَرَ نفْسَه – لعَنَه الله.

وقد طُعن عُمرُ يوم الأربعاء، لأربعٍ بقين من ذى الحجة سنة ثــلاث وعــشرين، ودُفن يوم الأحد صباح هلال المُحرم سنة أربعٍ وعشرين، وكانت ولايتُه عشرين ســنة وخمسة أشهر وواحدٍ وعشرين يوماً، وقد توفّي عن عُمْرٍ فيه كلامٌ " قيل بــين الــستة والخمسين حتى الخمسة والستين ".

ويُمكن الجزم بأنّ استشهادَ أمير المؤمنين « عمر الفاروق » يُعَــدُّ بمثابــة بكــر النّوائبِ التى حلّت تباعاً فى البطْنِ الإسلامى، وإيذاناً جهْرياً ببدايــةِ تعــرُّض الأُمّــةِ للصِّعَابِ الجِسامِ، والشّدائدِ العِظامِ.

---

(١) صفاق البطن: الجلد الأسفل تحت الجلد الذى عليه الشعر، أو هو ما بين الجلد والمصران وقيل هو ما حول السُّرّة. أىْ طبقات الجلد العميقة.

(٢) البُرْنُس: كل ثوب رأسُهُ مِنْهُ مُلتَصِقٌ بِهِ، و: رِدَاءٌ ذُو كُمّينِ يُلبَس بعْد الاستحمامِ / جمْع برانس.

ب – وَقتل ذُو النُّورَين:

وقَع فى غيرِ واحدٍ من المصادرِ أنّه بُويع لعُثمانَ بن عفّانَ يوم الإثنين لثلاثٍ مَضين من المُحرّم – علَى المشهورِ – سنة أربعٍ وعشرين من الهجرة.

ولستُ فى هذا المقامِ بصَدَدِ الحديثِ عَن الفُتوحاتِ الإسلامية التى أفاءَ اللهُ بها علَى المُسلمين فى عصرِ ثالثِ الخلفاء الرّاشدين رضوانُ الله تعالَى عليهم أجمَعين « عُثمان بن عفّان » سواء فى ذلك تلك الفُتوحات التى تمّت فى إفريقية أو آسيا أوْ أوُروبا. غير أنّ الذى أهتمُّ به ههُنا هو الكشْف عمّا حلّ بالأُمّةِ الإسلاميةِ من نكَباتٍ وَما وصَل إليها من ويْلاتٍ مُنذ صدْرِها الأوّل.

حيثُ ازدَادَت الفتنةُ، وتَعَاظَم دورُها فى عصرِ عُثمان ﷺ ، وهو الذى واصلَ الفُتوحاتِ العَظِيمةِ ، واستحدثَ أنماطاً من الأسلحة (كالمجانيقِ ، والعرّاداتِ ، وكُراتِ النّار) .

وأثناء خلافته دخَل المسلمونَ الأندلُس غرباً فى الجنُوب الأورُوبيِّ، وكانت قُبرص من قَبل أوّلَ مَحطّةٍ إسلاميةٍ فى البحرِ المُتوسِّط فى الجَنُوب الشرقيِّ الأوروبيِّ، وبها أُقيم أوّل أسطُولٍ عربيٍّ كان بحقٍّ هو مفْخرة العسْكَريةِ العربَيةِ علَى مدارِ التاريخِ، بحيثُ لَم يُضاهِه غير الأسطُول الذى أنشأهُ الوَالى المصرى مُحمد على باشا فيما بعدُ، وعلَى ذاتِ الجزيرةِ (١).

وقد لعبت الفتنةُ أخْطرَ الأدوارِ، وهدّد المُسلمينَ الخطرُ فى الدّيارِ، وأوشكَت على التهامِهم النّيرانُ، ودنَت تَسيلُ الدماءُ كالأنهارِ.

فَبَعْدَ الإجماعِ الّذى كان علَى شخصِ عُمر وعدْله، دبّت فى المُسلمين خلافاتُ الفُرقةِ، وزاحَمَهُم تحزُّب الأحزابِ فى البصرةِ، والكُوفة، ومصرِ، بلْ وفى المدينةِ ذاتِها، وتألّبت الأحزابُ علَى عُثمان بسبب ما ذَكَر « سيفُ بن عُمر » أنّ عبد الله بن سَبأ(٢) لَمّا سارَ إلى مصْر أوْحى إلى طائفةٍ من النّاس كَلاماً اخترعَهُ من عند نَفْسه، مضمُونُه أنّه يقولُ للرَّجُل: ألَيْس قَدْ ثَبُتَ أنّ عيسى ابن مَريم سيعودُ إلى هذه الدُّنيا ؟

---

(١) انظر صراعَ الحضاراتِ وحوار الدبابات – للمؤلف.

(٢) ستأتي ترجمته ضمن موضوع الفرق والمفارقات.

فيقول الرّجُلُ: نَعم. نَعمْ ! فيقولُ لهُ: فرسول الله ﷺ أفضلَ منه. فمَا تُنكر أن يَعــوُد إلى هذه الدُّنيا، وهو أشرَفُ من عيسى ابن مرْيم عليه السّلام ؟ ثُمّ يقولُ: وقــد كَــان أوْصَى إلى "عَليٍّ بن أبى طَالب "، فَمُحمّد خاتَم الأنبياء، وعَليٌّ خاتمَ الأوْصــياء. ثُــمّ يقولُ: فهُو أحق بالإمْرَة من عُثْمانَ، وعُثمانُ مُعْتَدٍ فى ولايته، فأنْكرُوا عليه، وأظْهروا الأمرَ بالمَعروف والنّهْىَ عَنِ المُنكر، فافْتَتَنَ به بَشَرٌ كثيرٌ من أهلِ مصرَ، وكتبُوا إلــى جمَاعاتٍ من أهلِ الكُوفة وَالبصرة، فتمالَئُوا علَى ذلك، وتكَــاتَبُوا فيــه، وتواعــدُوا أن يجتمعُوا فى الإنكارِ علَى عُثمانَ، وأرسَلوا إليه مَن يُناظرهُ، ويذْكرُ لهُ ما يَنْقمُونَ مــن توْليته أقرباءه وذوى رَحمه، وعزْله كبارَ الصّحابة، فدخلَ هذا قُلُوبَ كَثيرٍ من النّاس.

وكثُر الناسُ عَلَى عُثمان، ونَالوُا منه أقبحَ ما نيلَ من أحد.

وكلّم الناسَ عَليٌّ بن أبى طالب أن يدخُل إلى عُثمانَ بــن عَفــاّن، فــدخَل إليــه وناصَحَهُ، وقالَ [[**أنّى أُحذِّرُك اللهَ وأُحذِّركَ سطْوَته ونقْمتَهُ، فإنَّ عذابَه ألــيمٌ شــديدٌ، وأُحَذِّرُ أن تكُونَ إمَامَ هذه الأُمة المَقْتُول، فإنّهُ كَان يُقال: يُقتلُ فى هذه الأمـــة إمـــامٌ، فيفتَح اللهُ عليْها القتْلَ والقتَالَ إلى يوم القيامة، وتلبسُ أمُورُها علَيهـــا، ويُتْرَكُـــونَ شيعاً لا يُبْصِرونَ الحقّ من الباطلِ، يَمُوجُون فيها موْجاً، ويمْرحُونَ فيها مرَحاً**]].

وتَحَاجَّ عَليٌّ وَعُثْمانُ.

فقالَ عُثمانُ: قدْ والله علمتُ، لَيَقُولُنَّ الّذى قُلْتَ، أمَا والله لو كُنتَ مَكانى ما عَنّفْتُكَ ولا أسْلمْتك، ولا عبتُ عليكَ، ولا جئتُ مُنكراً. إنِّى وصَلتُ رَحمـــاً، وسَـــدَدتُّ خلّـــةً، وأويْتُ ضَائعاً، وَولّيْتُ شَبيهاً بما كان عُمر يُولِّى. فَلمَ تَلُومُونَنَى أن ولّيتُ ابـــن عـــامرٍ فى رحمه وقَرابته.

فقال عَليٌّ: سأُخبرُك أنّ عُمر كَان كُلّما ولّى أميراً فإنّما يطأُ علـــى صَـــمَاخَيْه(١)، وإن بلغَه حرْفٌ جَاءَ به، ثُمّ بلغَ أقْصَى الغَاية فى العُقُوبة، وأنـــتَ لا تفعَـــل، ضَـــعُفْتَ ورَفَقْتَ عَلَى أهلك.

فقالَ عُثمانُ: وهُم أقربَاؤُك أيضاً.

قال عَليٌّ: لَعَمْرِى، إنّ رَحِمَهم منِّى قَريبةٌ، ولكنّ الفضْلَ فى غَيرهم.

---

(١) قناةُ الأذُنِ التى تُفْضى إلى طبلتِه. (ج) أصْمِخَة.

فقالَ عُثمانُ: هل تعلم أنّ عُمر ولّى مُعاويةَ خلافَتَه كُلّها ؟ فقد ولّيْتُهُ.

فقالَ عَلِيٌّ: أنْشُدُكَ اللهَ ! هلْ تعلمْ أنّ مُعاويةَ كَانَ أخْوَفَ من (يَرْفَأَ)(١) – غُـلامُ عُمَرِ – منْهُ ؟ "أىْ من عُمر"

فقَالَ عُثمان: نَعم.

قالَ عَلِيٌّ: فإنّ مُعاوية يقْطعُ الأُمُور دُونك، وأنت تَعلَمُها، ويقولُ للنّاسُ: هذا أمـرُ عُثمان، فيُبْلغُك فَلا تُنكر ولا تُغَيِّرُ عَلَى مُعَاوية.

ثُمّ خَرجَ عَلِيٌّ من عند عُثمان، وخرَجَ عُثمان علَى إثْرِهِ فَصَعَدَ المنْبـرَ، وحـذّرَ وَأَنْذَرَ، وتهَدّدَ وتوعّدَ، وأبْرَقَ وأرْعَدَ، وقالَ فيما رُوى أنّهُ قالَ: ألاَ فَقَد واللهِ عِبتُم عَلَىَّ بما أقْرَرْتُم لابن الخطّاب، ولكنّهُ وطَئَكُم برجْله، وضربَكُم بيده، وقَمَعَكُم بلِسَانه، فَـدنْتُم لهُ عَلَى مَا أحْبَبتُم أوْ كَرِهْتُم، ولَنْتُ لكُم، وأوْطأتُ لكُم كَنفى، وكَفَفْـتُ يـدى ولـسانى عنكُم، فاجْترَأتُم عَلَىَّ، فكُفُّوا ألْسنتَكُم وطَعْنكُم وَعيْبَكُم عَلَى وُلاَتكُم، فإنِّى قد كَفَفْتُ عنكُم مَن لوْ كانَ هو الذى يليكُم لَرضيتُم منه بدون مَنطقى هذا. ألاَ فمَا تَفْقدُونَ من حقِّكُـم ؟ فوالله مَا قصّرتُ فى بُلوغِ ما كانَ يبلُغ مَن كان قَبْلى، ثُمّ اعْتَـذَرَ عَمّـا كـانَ يُعطـى أقربَاءَه بأنّه من فضل مَاله.

فقامَ مرْوانُ بن الحَكَم فقالَ: إن شئتُم والله حكّمنا بيْنَنا وبينَكُم السّيفَ.

فقالَ عُثمانُ: اسْكُت. لا سَكَتّ. دعْنى وأصحابى، ما مَنطقُكَ فى هذا، ألَم اتقدّم إليكَ أن لاَ تنطق ؟ فسكَتَ مَروانُ . ونَزَل عُثمانُ رضى اللهُ عنهُ.

وذكَرَ سيفُ بن عُمر وغيرُه: أنّ مُعاويةَ لمّا ودّعه عُثمان حين عزَم الخُروج إلى الشّام، عرَضَ عليه أن يرْحلَ معَهُ إلى الشّامِ فإنّهم قومٌ كثيرةٌ طاعَتهُم للأُمَرَاءِ. فقَالَ لا أختارُ بجوارِ رسولِ الله ﷺ سواهُ.

فقالَ مُعاوية: أُجّهزُ لكَ جيشاً من الشام يكُونُون عندك ينصُرُونَكَ ؟

فقالَ عُثمان: أخْشى أن أُضيِّقُ بِهِم بلدَ رسولِ الله ﷺ عَلَى أصحابِهِ من المُهاجرين والأنصار.

فقال مُعاويةُ: فوَاللهِ يا أميرَ المؤمنين لَتُغْتَالَنّ. أوْ قالَ لَتُغْزَيَنَّ.

---

(١) يَرْفَأ: كان عَبْدَاً، أو غُلاماً لأمير المؤمنين عُمَر بن الخطّاب.

فقالَ عُثمان: حَسْبى اللهُ ونعم الوَكيل.

وكانت مُؤشِّراتُ الخَطَرِ الدّاهمِ تُحْدِق بعُثمانَ ﷺ، والفتنُ تتعاظَمُ ، ويشتدُّ لَيْلاَئُها الــذى فيه سيُغْتَالُ ذُو النُّورين.

ويرْوِى المُؤرِّخونَ فى غيرِ واحدٍ من المصادرِ أنّ عثمانَ بن عفّان حــين عَــزل عمْرُو بن العَاص عَن ولاية مصر ولّى عليها عبد الله بن سعد بن أبى سرْحٍ، ومَا كان ذلك مِن عثْمان إلا لتأكُّدِه أنّ الخَوارج مِن المصريِّينَ كانُوا مَحصورين مِن عَمرُو بــن العَاص مَقهُورين مَعه، وتعدّدَت شكْواهُم منه وتبايَنَت. لذلك عزَلَه عُثمان عَن الحَرْبِ، وتَرَكهُ علَى الصّلاة، ووَلّى علَى الحرْب والخراجِ عبد الله بن سعد. كما تقدّم.

ثُمّ سَعَى السّابئةُ من الخوارجِ المصريِّين فيما بَينهُما بالنَّميمةِ فوقَع بيْنهُما، حتّــى كانَ بينَهُما كلامٌ قبيحٌ، فأرسلَ عُثمان إلى عَمْرو: لا خيْر لكَ فــى المَقــام عنــد مَــن يكْرَهَك، فَأَقْدِمْ إلَىَّ – أىْ – عُد إلى المَدينة.

فانتقَلَ ابن العاصِ إلى المَدينة، وفى نفْسه من عُثمان أمرٌ عظيمٌ، وشــرٌّ كبيــرٌ، فكلّمَهُ فيما كان من أمْرِه بعزّة، وعَظَمَة، وأَنَفَة، وتَقاوَلا فى ذلك، وافتخَر عمْــرو بــن العاصِ بأبيه عَلَى عُثمان، وأنّهُ كانَ أعزَّ منه، وجعَل عمْرو يُؤَلِّبُ النّاس علَى عُثمان.

وقد حَملَ المصريُّون بين ضُلوعهم كراهيةً شديدةً لعبدِ الله بن سعدٍ الذى اشــتغَلَ عنهُم بقتالِ أهلِ المَغرب، وفَتْحه بلاد البرْبَر والأنْدلُس، وإفريقيا، بينمَــا نــشأت فــى مصر طائفةٌ من أبناء الصّحابة يُؤلِّبون الناسَ على حرْبــه والإنكــارِ عليــه، حتــى استنْفَرُوا نحْواً من ستمائةِ راكبٍ يذهبُون إلى المدينة فى صفَة مُعتمــرين فــى شــهرِ " رجَب " ليُنكروا عَلَى عُثمانَ، فسارُوا إليها تحتَ أربعِ فرَقٍ – ولمّا علم عبد الله بــن سعد أرسَل إلى عُثمان يُعلمه بقُدُومِهم إلى المدينةِ فى صفة مُعتمرين.

فلمّا اقتربُوا من المدينة، أمَرَ عُثمان عَلَيًّا بن أبى طالب أن يخرُج إلــيهم ليَــرُدَّهُم عَن البلادِ قبْل أن يدخلُوا المدينةَ، وقدْ خرجَ مَعَ عَلِىٍّ جمَاعةٌ من الأشْراف.

قابَلهُم عَلِىٌّ الذى يُعَظِّمُونَهُ، ويُبَالغُونَ فى أمْره فردَّهُم وأَنّبهُم.

ثُمّ قَصَدَ عُثمانُ المسجدَ، وخطَبَ خُطبتَه بعدَ مُناصَحَة عَلِىٍّ لهُ عقبَ انصرافِ المصريِّين حيثُ قال لهُ: تكلّم كلاماً يسمَعُه الناسُ منكَ، ويَشْهدُون عليْك، ولا آمَنُ ركْباً

آخرين يقدُمون من قِبل الكُوفة، فتقُولُ ياعَليُّ: أُخْرُجْ إليْهم، ويقدُمُ آخَرُون من البصرة فتقُولُ: يا عَليُّ اركَب إلَيهم، فإن لم أفْعَل قَطعتُ رَحمكَ، واستخففْتَ بحقِّكَ.

قالَ الواقدِى: فخرجَ عُثمانُ فَخَطَبَ الخُطبةَ التى نَزَعَ فيها، وأعْلمَ الناسَ من نفْسه تَوْبةً، فَرَقَّ الناسُ لهُ وبَكَى مَن بَكَى، وانصرفَ عُثمان إلى منزله، فوجَدَ به جماعةً من أكابرِ الناس، وجاءَهُ مَرْوانُ بن الحَكَمِ، فطلَبَ إليه عُثمـــان الخُـــروجَ لـــيُكلِّم النـــاسَ { الرّاكبُ بعضُهم فوقَ بعضٍ }، فحدّثَهُم بشدّة، وهدّدَ ووعد، وأمَـــرَهُم بـــالعودة إلـــى منازلِهم، فَرَجَع الناسُ، وأتى بعضُهم عليّاً فأخبروهُ الخَبَرَ فجاءَ مُغضَباً حتى دخَل عَلَى عُثمان. فقالَ أمَا رضيتَ من مروانَ ولا رَضِى منك إلاّ بتحويلك عن دينـــك وعقلـــك، وإن مثلكَ مثلُ جَمَلِ الظَّعينة، سارَ حتّى يُسارُ به، والله ما مَروان بذِى رَأْيٍ فى دينـــه ولا نَفْسه، وأيْمُ الله إنّى لأرَاهُ سَيُوردُكَ ثُمَّ لا يَصدُرُ، ومَا أنَا بعائدٍ مـــن مَقـــامى هـــذا لمُعاتَبتك – أذهبْتَ شَرَفَكَ، وغُلبتَ عَلَى أمْرك.

ولمّا بلغَ أهلَ الأمصارِ خبرُ مَروان وغَضَبُ عَليٍّ عَلَى عُثمانَ بسَبَبه، وتَثَبّتُوا من الأمْرِ علَى ما كان عليه أنّهُ لم يَتَغَيّر، وأنّ عُثمان لم يسْلُك سيرَةَ صاحبه، تكَاتَبَ أهـــلُ مصر، وأهلُ الكُوفة، وأهل البصْرة، وتراسلُوا، واجتمَعُوا عَلَى أمْرٍ.

ولَعبَت شياطينُ الإنسِ من أهلِ الفتَنِ والوقيعة (اليهود، ومن تأثر بقولهم) عَلَـــى أوتَارِ الخلافات والمُشاحنَات، وزَوّرُوا كتاباتٍ عَلَى لسانِ الصّحابة الذين فى المَدينـــة، وعَلَى لسانِ عَليٍّ وطَلْحَةَ والزُّبَيْر – مَفادُها – دعوةُ الناس إلى قتالِ عُثمـــان، ونَـــصْرِ دينِ الله، وأنّه أكبرُ الجهادِ اليومَ، فلمّا كان فى شوّالَ سنة "خمسٍ وثلاثين" خرجَ أهـــلُ مصر فى أربعِ جماعاتٍ بقيادة « الغافقيِّ بن حَرْبٍ العَكيِّ »، وهم يَظْهَـــرُون للنـــاسِ حُجَاجاً، ومعهُم ابن السّوداء " ابن سبأ "، وكَان أصلُه ذميّاً، فأظْهَرَ الإسلامَ، وأحْـــدَثَ بدعاً قوليّةً وفعليّةً، وخرجَ أهلُ البصرة، وعليهم كلهمُ { حرقُوص بن زُهَيْرٍ السّعْدىِّ }، وأهلُ مصر مُصرُّون عَلَى تأميرِ الزُّبير، وأرْسلُوا رُسُلَهُم إلى المدينة، فأمَرَهُم طلحـــةُ وعَليٌّ بالعودة وصَاحَا بهم، وطرَدُوهم، فرَجَع كلٌّ منهم إلى فَريقه، وأظهـــرُوا للنّـــاس أنّهم عائدُون إلى بلادهم، وسارُوا أيّاماً راجعين، ثُمّ كرُّوا على المدينة، وزحَفُوا إليها، وأحاطُوا بها بيْنَمَا النّاسُ لا يعلمُون ما القـــومُ صَـــانعون، وإلامَ يقْـــصدُون، وأميـــرُ المُؤمنين " عُثمان " فى كُلِّ ذلك يَخْرجُ من داره فيُصلِّى وراءَهُ أهلُ المدينة.

اشتدّ هـَولُ الموقف، وتلبّدت الغـيُومُ فى الأجْواء، وعجـــّت آفــاقُ المدينـــة بالكُتب المُزوَّرَة المَنْسوبة إلى الصّحابة أنّهم رضوان الله عليهم يأمُرون بخُروج النّاس لقتال عُثمان.

واستَتَرَت بينَ الأحداث، وتوارَت فى الثّنَايا أفعَالُ [ابنُ الــسّوْدَاء الــذّمِّيّْ: أبُــو الأَعْوَر السّلْمى]، اليهوديُّ المُنافقُ الكذّابُ الذى رَكب جَمَلاً لعُثمان واســتخْدَمه شــرّ استخدامٍ فى الوقيعة بينَ أمير المؤمنينَ والخَوارج.

واستمرّ عُثمان يُصلِّى بالناس وسْط زحام الفتنة العظيمة ورُكام الأحداث الجسام، وفى جُمُعَةٍ من الجُمُعَات قامَ عَلَى المنبر، وفى يده العصَا التــى كــان يعْتمــدُ عليْهــا الرَّسولُ ﷺ فى خطبته، وكذلكَ أبو بكرٍ ومن بعده عُمر. وفيها قامَ إليه رَجَلٌ من أُولئك فَسَبَّهُ، ونالَ منه، وأنْزَلَه عَن المنبر، وصُرِعَ وشُجَّ أميرُ المُؤمنين مَغْشيّاً عليه، واحتُمل إلى داره، فطَمَعَ فيه الناسُ من يومئذٍ، وألْجَئُوهُ إلى داره، وأحاطُوا بها مُحاصرين لــه، ولَزَمَ كثيرٌ من الصّحابة بُيوتَهم، وقد استمرّ الحَصْر فيما رُوِى من " شهر أو أربعــين يوماً " عَلَى المَشهُور حتى الثّامن عشر من ذى الحجّة.

فلَمّا كان قبل ذلك بيوم قال عُثمانُ للذينَ عندَه فى الدّار من المهاجرين والأنصار وأبْناء الصّحابة، وخَلْقٍ من مَوَاليه: أُقسمُ عَلَى مَن لى عليه حقّ أن يكُــفَّ يَــدَهُ، وأن ينطلقَ إلى منزله، وقال لرَقيقه: مَن أغْمدَ سيفَهُ فَهو حُرٌّ. فَبرَدَ القتــالُ مِــن الــدّاخل، وحمى من الخارج.

وقد أصرَّ البُغاةُ الجَهَلَةُ، المُتَعَنِّتُونَ الخَوَنَةُ، المُفْتَرُون الظَّلَمَةُ عَلَى حَــصْر أميــر المُؤمنين، والتَّضْيِيق عليه، حتّى مَنَعُوهُ الميرةَ(١) والماءَ، والخُــروجَ إلــى المــسجد، وتهدَّدُوهُ بالقتْل، وأَبَوْا إلاّ الاستمرار علَى ما هُم عليه من البَغْى والعُــدوان، ومَنعُــوا الناسَ من الدُّخول إليه، والخُروج من عنده، حتّى اشتدَّ عليه الحــالُ، وضــاقَ عليــه المجالُ، ونَفَدَ مَا عنده من الماء.

فاستَغاثَ بالمُسلمين فى ذلك فركب علَيٌّ بنفْسه، وحَمَلَ معَه قرْبَــاً مِــن المــاء، وبِكثيرٍ من الجُهد حتى أوْصلَها إليه بعدَ ما نَال من جَهلَة أولئك كلامٌ غلــيظٌ، وتَنْفِيــرٌ

---

(١) الطّعامُ يُجمعُ للسّفرِ ونَحوه

لدَابّتِه. حتّى قالَ لهُم: والله إنّ فـارس والرُّوم لا يفعلُون كفعلكـم هذا بهذا الرّجـل، والله إنّهم ليأسرون فيُطعمون ويسقُون، فأبَوْا أن يقْبلُوا منه حتّى رمَـى بعمَامتِـه فـى وَسَطِ الدّار.

ولمّا وقَع هذا أعْظَمَـهُ الناسُ جدّاً، ولزَم أكثرُ الناسِ بُيـوتَهم حتّى جـاءَ وقـتُ الحَجيجِ من عامِهم، واستخْلفَ عُثمانُ علَى الحَجِّ فى هذه السّنَة (عبد الله بن عبَّـاسٍ) فخرَج بالناسِ إلى الحجِّ، واستمرّ الحصارُ بالدّار حتّى مضَت أيامُ التّـشريق، ورجَـع البَشيرُ من الحج، فأخْبرَ بسلامة النّاس، وأخْبَرَ هؤُلاء أهلَ الفتنة بـأنّ أهـلَ المُوسـم (الحَجيج) عازمون علَى الرُّجوعِ إلى المدينة ليَكُفُّوكُم عَن أميرِ المُؤمنين.

وقد بلَغَ أولئك أيضاً أنّ مُعاويةَ قد بعثَ جيشاً معَ حَبيبِ بن سَـلمةَ. وأنَ الْقَعْقَـاعَ بن عمْرُو قد جاءَ علَى رأسِ جيشِ أهلِ الكُوفة، وأنّ أهلَ البصْرة بعثُوا مُجَاشـعاً فـى جيشٍ، فعند ذلك صمَّمُوا علَى أمْرِهم وبَالَغُوا فيه، وانتهـزُوا الفُرصـةَ بقِلّـةِ النـاسِ ورغْبتِهم فى الحجِّ.

وأحاطُوا بالدّارِ المُتاخمة للدّار، وجَدُّوا فى الحصَارِ، وأحْرقُوا البـابَ، وتـسَوَّرُوا من الدّار المُتاخمة للدّار، ودافَع الناسُ عَن عُثمان أشدّ المُدافَعَة، واقتَتَلوُا علَـى البـابِ قتالاً شديداً، وتبارَزُوا طويلاً، حتّى قُتل من أهل الدّار، وآخرُون من الفُجّار، وجُـرِح عبد الله بن الزُّبيْر، والحَسَنُ بن علَيٍّ، ومرْوانُ بن الحكَم، ويُقال انهَزَم أصحابُ عُثمان حتّى رجعُوا، ولمّا رأَى عُثمان ذلك عزَم علَى الناسِ لينصَرِفُوا إلى بُيوتِهم، فانصرَفُوا فلمْ يبق عندَه سوَى أهلَه، فدخلوا عليه من الباب، ومن الجُدران.

وفَزَع عثْمان إلى الصّلاة، وافتتحَ سورة " طه "، وكانَ سريعَ القـراءة، فقرَأهَـا والناسُ فى غلَبةٍ عظيمة، قد احترَقَ البابُ والسَّقيفَةُ التى عندَه، ثُمّ فَزَعَ مـن صـلاته، وجَلسَ وبيْن يدَيه المُصحفُ، وجعلَ يتلُوا قولَه تَعَالَى: ﴿ **الَّذِينَ قَـالَ لَهُـمُ النَّـاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّـهُ وَنِعْـمَ الْوَكِيـلُ** ﴾: { آل عمران: ١٧٣ }.

فكَان أوّلَ مَن دخَل عَليه رجُلٌ يُقالُ لهُ الموْتُ الأسْوَد، فخَنَقَهُ خنْقاً شَـديداً حتـىَ غَشى عَليْه، وجَعلَت نَفـسَهُ تتَرَدّدُ فى حـلْقه، فترَكَه وهو يـظُنُّ أنّهُ قتَلَهُ، ودخَل ابنُ أبى بكرٍ فمَسكَ بِلحْيته ثمّ نَدَّ (١) وخَرَج.

ثُمّ دَخَل عليه آخَرٌ فوضَعَ السّيْفَ فى بَطْنه، وتحاملُوا عليه وقتلُوهُ. وقَــالَ قائــلٌ منهُم: أَيَحلُّ لنَا دمــُه ولاَ يحلُّ لنَا مَالُه ؟ فانتَهَبــُوا ما به ولَم يبْق شئٌ، وقُتل عُثمــان بأيدى مَن يَحسبُونــَهم علَى الإســلامِ، وهُم المُتورِّطــونَ المتآمرون معَ السّابئة فــى العَبَث بوحدة المُسلمين وشَقِّ صفِّهم، وهُم أيضاً أحزابٌ تحزّبُوا ضدّ أميــر المــؤمنينَ "ذى النُّورَين"، وفى المدينة جماعةٌ من كبار الصّحابة، وكَانُوا هُم أوّلُ الخوارج علَــى الدّولة الإسلامية فى زمَنها الأوّل.

وكانَ مقتلُ عُثمان – رضى اللهُ عنهُ وأرْضاهُ – ترْجمةً فعليّةً لمَا قَالَ به كمَا تقدّم علَىٌّ بن أبى طالب عَن إمامِ الأُمّة المَقْتُول الذى حذّر منه. وقد فُتح بمَقتله علَى الأُمّــة القُتل والقتال إلى يوْمنا هذا، وحصَلَ اللّبسُ فى الأُمور عليْها، وباتَتْ شيعاً لاَ يُبصرُون الحقّ من الباطل، ويمُوجُون فى القتال والإقتتال موْجاً، ويمرَحُون فيه مَرَحاً.

"" رضوانُ الله تعالىعليكَ يا بَاب مَدينة العلمِ يا علىّ – يا فَتى الإسلامِ الأوّل ."".

---

(١) ندّ البعيرُ ونحوهُ ــ ندّاً ، نَدُوداً : نفَرَ وشَرَدَ

ثانياً: عَصرُ الإنفصَامِ

مع بَيْعةِ الخَليفةِ الرّابعِ الفدائيِّ الأوّل فى الإسلامِ، وهو أوّلُ مَن آمَنَ من الصِّبيان ﷺ، فمَا أن بُويع لهُ بالخِلافةِ من دُون إجماعٍ بَعد خمسةَ أيامٍ من مَقتل عُثمان، والنّاسُ يَلتمِسون مَن يُجيبهُم إلى القِيامِ بالأمرِ انتشَرت بعْدَها الفِتنةُ، خاصةً مع هُروبِ جماعةٌ من المدينةِ إلى الشّامِ لمْ يُبايعُوا علِيّاً، وفى طليعتِهم مرْوان بن الحَكمَ، والوليدُ بن عُقبة وآخَرون.

ومَا أن قُتل عُثمانُ بالمدينةِ حتّى خرج النُّعمانُ بن بشيرٍ إلى دمشقَ، ومعه قَميصُ عُثمان مُضمْخٌ بدَمِه، ومعهُ أصابِع نائلة " زوْجهُ " وبعض الكَفِّ التى قُطعَت حين كانَت تزُودُ عَن زوجِها " عُثمان " بيدِها قبْلَ أن يقتُلوهُ، فورَدَ به علَى كُمِّ القَميص.

وحَملَ القميصَ وجَعَله يُرفعُ تارةً وينزِل أُخرى، والنّاسُ ما بينَ باكين أو مُتباكين حَوْلهُ سَنَةً كاملةً، ويحضُّ بعضُهم بَعْضاً علَى الأخْذ بثأرِه، واعتزَلَ أكثرُ الناسِ النِّساءَ فى هذا العامِ، وقامَ مُعاوية وجماعةٌ من الصّحابة مَعَهُ يُحرِّضُونَ النّاسَ علَى المُطالبةِ بدمِ عُثمان ممّن قَتلَهُ من أولئكَ الخوارِج.

ولمَّا استقرّت لِعَليٍّ البيْعةُ، دخلَ عليه رؤُوسُ الصّحابةِ ومن أشهَرِهم طلْحة بن خُويلد. والزُّبَيْرُ بن العوّامِ رضى الله عنْهم أجمعين، وطلَبوا منه إقامةَ الحُدود، والأخذَ بدمِ عثمانَ، فأبَى عليٌّ واعتذَرَ إليهم بأنّ هؤُلاءِ لهُم مدَدٌ أعْوانٌ، وأنّهُ لا يُمْكنه ذلك يَومه هذا، فطلَب منه الزُّبير أن يُولِّيه إمْرةَ الكُوفة ليأتيه منها بالجُنودِ ليقْوَى بهم علَى شوْكةِ هؤلاءِ الخوارجِ، وجَهَلَة الأعْرابِ الذين كانُوا مَعَهُم فى قَتْلِ ﷺ عنهُ فقالَ لهُما مهْلاً عَلَيَّ، حتى أنظُر فى الأمرِ.

ودَخَلَ العامُ السادسُ والثلاثُون من الهجرة، وعَليٌّ قد دَانَت لهُ الأمُور، وتجمّلت الأوضاعُ بالاستقرارِ، وبدَورِه ولّى علَى الأقطارِ نُوّاباً. . . فَولّى:

عبــــدُ اللهِ بن عبـــّـاس	**علَى اليَمَـــــنِ .**
سمْــــرَةَ بن جنْـــــدَب	**علَى البصـــرةِ .**
عمـــــارَة بن شهـــــابٍ	**علَى الكُــوفةِ .**

قيسُ بن سَعــد بن عباده   علَى مصـــــر .

وسهــل بن حَنيــف   علَى الشّــام . بدَل **مُعاوية**

فسَارَ حتّى بلَغ تبُوك، فَتَلَقّتهُ خيلُ مُعاوية، فقالُوا: مَن أنتَ ؟ فقالَ: أميرٌ.

قالُوا: علَى أيِّ شئٍ ؟

قالَ: عَلَى الشّام

فقالُوا: إن كانَ بعَثَكَ مُعاوية فأهلاً بك، وإن كانَ غَيره فارجِع.

فقالَ: أوَ سمعتُم بالذّى كَان ؟

قالُوا: بلَى.

فرَجعَ ابنُ حنيف إلَى عَلىٍّ.

وأمَا قَيْسُ بن سَعد فاخْتَلَفَ عليه المصْريُّون، فبايعَ له الجُمهورُ.

وقَالت طائفةٌ: لا نُبايعُ حتى نَقْتُل قتلةَ عُثمان. وبهذا قالَ أهلُ البصرة

أمّا المبعُوثُ أميراً علَى الكُوفة فصدَّه طلْحةَ بن خُويلد غضباً لعُثمان، فرَجع إلَى عَلىٍّ فأخبرَهُ، وانتشَرَت الفتنةُ، وتفَاقمَ الأمْرُ، واختلَفَت الكلمةُ.

وقد بعَث علىٌّ كُتباً كثيرةً فلم يُرَدُّ علَى جَوابها، وتكرّر ذلك مراراَ، وجاءَ رسولُ مُعاوية إلى عَلىٍّ فقالَ: ما ورَاءَك قالَ الرُّجل: جئتُك من عند قومٍ لا يُريدون إلاّ القَصاصَ، وكلُّهم حقدٌ وعدَاوةٌ، تَركْتُ هُناكَ فى الشّام سَبعين ألفَ شَيْخٍ يبكُون تحْت قميصِ عُثمان المُعلّق علَى منْبَر دمَشق. فَقَالَ علىٌّ: اللّهُمّ إنّى أبرأُ إليكَ من دم عثْمان، ثمَّ خرج رسُولُ مُعاوية بين يَدَىْ علِىٍّ. فَهَم به أولئك الخوارجُ أن يقتُلُوهُ، وهُمْ قَتلةُ عُثمان، وقد أفلَتَ منهم بَعد جُهد.

أمّا الخليفةُ عَلىٌّ بن أبى طالبٍ الذى أبَىَ قتالَ الخَوارج ومَن حوْلهُم من الأعراب، وقد اعتذَر لبعضِ الصّحابة عَن إقامة الحدِّ، والأخذ بدمِ عثمانَ لأنّ قَتلةَ عثمانَ لهُم مدَدٌ وأعوانٌ، فقدْ طَرأَ علَىَ موقفه جَديد، وحدَثَ فى أمره تحوُّلٌ، حيثُ لم يتردّد فى حَشْد الطّاقات المُتــاحة، وتَجْنيد الجُند لقتالِ أهلِ الشّامِ، وكَــتَبَ إلى أمُراء مصر والكُوفةَ، واسْتَنْفَرَ الناسَ للقتالِ، وعزَم علَى التّجهُّزِ، وخَرَجَ من المدينة، واستخْلَفَ عليها قُثم بن العَبّاس، وهو عازمٌ أن يُقاتل بمَن أطاعَهُ مَن عصَاهُ، وخرَج عن أمره، ولم يبايعْه من الناسِ، وجــاءَ إليه ابنَهُ الحــسَن بن عــلىٍّ فقالَ: يا أبتِ دَع هَــذا فإنّ فيه سفكَ دماءِ

(٦٢)

المسلمين، ووقُوع الاختلاف بينَهم، فلم يَقْبَل منه ذلك، لأنّهُ كان مُصرّاً عَلَى القتال، وازدادَ تصميماً عليه، ورتّب الجيشَ، ولم يبقَ إلاّ أن يخرُج من المدينة قاصداً الشامَ حتى جَــاء مَا شغَلَهُ.

أ – يومُ النّحيب:

قُلنا أنّ قَتَلَةَ عُثمانَ استغلُّوا خُروجَ الناس إلى الحَجيج، ومن بينِهم أزْواج الرّسُول ﷺ (أُمّهَات المُؤمنين) فراراً من الفتنة، وهُو الأمرُ الذى أدّى إلى قلَّة النّاس فى المدينة مُقابِل الزِّيادة فى أعداد الخوارج ممّن تحَزّبوا من مصر، والبَصرةَ، والكُوفةَ، ومَن حوْل المدينة من الأعراب، وآخرون، وقد تمكّنوا من قَتْله – رضوانُ الله عليه – بعد أيام التّشريق، فلمّا بلغَ الناسَ مقتلُ عثمان أقامَ بمكةَ مَن كان بها، وعادَ إليها مَن خَرجَ منها، وترقّبوا إلاَمَ تنتَهى الأحداثُ، وماذا يصنعُ الناسُ، وجاءت إليهم عُيونُهم التى أرسَلوها للتّجسُّس علَى الأخبار بأنّه بُويعَ لعَلىٍّ بن أبى طالب، وصارَ حظُّ الناس عندهُ بحُكم الحال وغَلبة الرّأى وقدْ أضْحَى الخوارجُ رُؤوساً علَى النّاس، لا اخْتيارَ لعَلىٍّ فى ذلك، وقد استحوَذُوا عليه، وفرَضوا عليه الواقعَ من الأمر، وحَجبُوا عنهُ عِلْيَةَ الصّحابة، وكانَ جماعة من بنى أُميّة قد فرُّوا إلى مَكّة بعدَ البَيعَة لعَلىٍّ، أما طلْحةَ والزبيْر فقد خرَجا إلى مكّة للاعتمار بإذنه، وتَبعَهُم خَلْقٌ كثيرٌ وجمْعٌ غفيرٌ، ثم قَصدَ مَكّةَ كذلك { عبدُ الله بن عُمر، ومروان بن الحكم]، وقدم إليها كذلك { يَعْلَى بن أميّة} من اليَمن وكان عاملاً عليها لعُثمان، و{عبد الله بن عامر} من البَصرة وكان نائبَها لعُثمان. وبهذا اجتمَعَ فى مَكّة جمعٌ كبيرٌ وخلقٌ كثيرٌ من سادات الصحابة، وأُمّهات المُؤمنين. فقامت أمُّ المؤمنين عائشةَ فى النّاس تخطُبُهُم وتَحُضُّهم على الثأر والقيام بطلَب دَم عُثمان الذى قُتل فى بلد حرامٍ، وشَهْرٍ حَرَامٍ، ولم يُراقبوا جوارَ رسُول الله ﷺ، وقد سفكُوا الدّماءَ، وسلَبُوا النِّساءَ، فاستجابَ لها الناسُ، وطاوَعُوها علَى ما ترَاهُ من الأمْر بالمَصلَحة.

وسارَ الناسُ فى صُحبة عائشةَ فى ألف فارسٍ من أهل المدينة ومَكّةَ، وتلاحَقَ بهم آخرُون حتّى صاروا ثلاثَة آلافٍ، وأُمّ المؤمنين عائشة تُحملُ فى هَوْدَجٍ عَلَى جملٍ، وسارَ معَها أمّهات المُؤمنين إلى « ذات عرق »، ففارَقْنَهَا هُناك وبَكيْنَ للوَداعِ، وتبَاكَى الناسُ، وكانَ ذلك اليومَ يُسمّى « يومُ النّحيب ».

(٦٣)

وسارَ الناسُ قاصدينَ البصْرَةَ. فلمّا اقتربُوا منها كَتبَت عائشة إلى رُؤُوسِ النّاس بها أنّها جَائت، فبعَث عُثمان بن حُنيفٍ « والي البصرةَ » إليهَا يستعْلم عَن سببِ مَجيئها، فذكَرت فيما رَوَى المُؤرِّخُونَ وعُلماءُ السِّيَرِ أنّها تَطْلبُ دمَ عثمانَ.

ووَقعَ كلامٌ كثيرٌ فى تعاملِ أهلِ البصرةِ معَ القادمين من مَكّةَ، حتّى تأكّد لعثمانَ بن حُنيف أنّ لِقَتَلَةَ عُثمانَ بالبصرةِ أنْصَاراً فَكرِهَ ذلك، وقالَ: إنّا لله وإنّا إليه راجعُون. دارَت رَحَا الإسلامُ وربّ الكعْبة.

وكان عُثمان بن حُنيف عاملُها لِعَلِيٍّ بن أبى طالب، ومن ثَمَّ فإنّه يتعيّن عليه رفْضَ التّسليمِ لمَطَالبِ عائشة، وكذلك يقَعُ عليهِ القِتالُ عَن البصرةِ حتى يأتيهِ البيانُ من الخَليفة.

ثُمَّ أنّ عائشةَ لَمّا قَدَمَت بمن مَعها من الناسِ إلى منطقةٍ بالقُربِ من البصرة، قدُم إليها ناسٌ من أهلِ البصرة، وطائفةٌ من جيشِ عُثمانَ بن حُنيفٍ فكَثروا.

ووقَعَت مُناوشاتٌ متفرّقةٌ بين أتباعِ عائشةَ، ووالي البصرةَ لعَليٍّ، وحَجَزَ الليلُ بينَ الفريقَين، فلمّا كان اليومُ الثّاني قَصدَوا للقتالِ، فاقتتلُوا قتالاً شديداً، إلى أن زَالَ النّهار، وقُتل من جَيْشِ ابن حَنيفٍ نفرٌ كثيرٌ، وكثُرت الجراحُ فى الفريقَيْنِ، فلمّا عَضتّتْهُم الحربُ تداعُوا إلى الصُّلح، وتراسلُوا فى ذلكَ.

وقدم إلى البصْرةِ « كعبٌ بن سورٍ » علَى ابنِ حُنيفٍ بكِتابِ الخليفةِ عليٍّ بن أبى طالبٍ فقال ابن حُنيف: هذا أمرٌ آخَرَ غير ما كُنّا فيه، وبلغَ الأمرُ طلحةَ والزُّبير، فأرْسَلا إلى ابن حُنيفٍ أن يخرُج إليهما فأَبَى.

اجتمعَ الرِّجالُ فى ليلةٍ مُظلمةٍ، وشَهدا بهم صَلاةَ العشاء فى المسجدِ الجامعِ، ولمْ يخرُج أمامهم ابن الأحْنف، وصلّى بالنّاسِ غيرُه.

ووقعَ من رِعاعِ الناسِ من أهلِ البصرةِ كلامٌ وضربٌ، فقُتل منهم نحوٌ من أربعينَ رجُلاً، ودخَل الناسُ علَى عُثمانَ بن حُنيف قصْرَهُ، فأخْرَجُوهُ إلى طلْحة والزُّبير، ولَم يَبْقَ فى وجْهِهِ شَعْرَةً إلاّ نتَفُوها، فاستعْظَما ذلك، وبعَثا إلى عائشةَ فأعْلماها بالخَبَرِ، فأمرَت أن تُخلَّى سبيله، فأطلقُوه، واستبدَّ الناسُ بالأمرِ فى البصرة، فَحَمِى لذلك جماعةٌ من قَتَلَةِ عُثمانَ وأنصارُهم، فركبوا فى جيشٍ قَريبٍ من ثلاثِ مائةٍ يتقدَّمُهم حكيمُ بن جَـبَلَةَ، وهو أحدُ مَن باشَرَ قتْلَ عُثمان، وتبارَز الجمْعانِ، وقُتل حكيمٌ

ونَحْوٌ من سبعين من قتلة عُثمان وشُركائهم من أهلِ المدينةِ الفارِّين سَلَفاً إلى البَصْرةِ بعد أن باءُوا بإثمِ قَتْلِ ذى النُّورَيْن.

وهكَذا قوِيَت شوكةُ طلْحة والزُّبير، ويُقال أنّ أهلَ البصرةِ بايعُوهما، بينَما ضعُف جأشُ مَن خالفَهُما.

ب – يَوْمُ الْجَمَل:

قلنا أَّن عَليّاً كان قد رتّب الجيشَ وأعدّ الجُندَ، وتجهّز للمَسيرِ إلى الشّام، وهو مُصمِّمٌ علَى القتال، فلمّا لم يتّبق لهُ غير الخروجِ من المدينة جاءَ لهُ ما يشغلُه، وجَعلَ اهتمامَاته فى هذا الشأنِ تتراجعُ أمامَ الجديد من الأحداثِ الدّائرة فى البصرة.

إذْ لمّا بلغَه قصدُ طلْحة والزبير البصرةَ، وقد قوى شأنُهما، وزاع صيتُهما هُناك بَعد أنْ قَتَلا حكيمَ بن جَبَلَة – كمَا تقدّم – قامَ عليٌّ فخطَبَ الناسَ، وحَضّهم علَى المَسيرِ إلى البصرةَ ليمْنعَ أولئك من دُخولِها إن أمْكَن، أوْ يطْرُدهم عنْها إن كانُوا هُم دخلُوها، فاستجابَ لهُ بعضٌ من أهلِ المدينة، وتثَاقَلَ عنهُ الكثيرُون.

وسارَ عليٌّ إلى البصرةِ علَى تَعْبئَته المُتقدِّم فيما قيل فى نحوِ تسعِ مائة مُقاتلٍ، وقد لاقَاهُ فى منطقةٍ يُقالُ لها " الرَّبَذَةُ " صَحَابيٌّ جَلَيلٌ هو « عبدُ الله ابن سلاّم » ﷺ، فأَخَذَ الصَّحابيُّ بعَنانِ فَرَسِه. وقالَ: يا أميرَ المُؤمنين لا تخرُج منها، فَوَالله لوْ خَرجْتَ منها لا يَعُودُ إليها سُلطان المُسلمين أبداً. فَسَبَّهُ بعضُ النّاس.

فقالَ علِىٌّ: دعُوهُ فَنعْمَ الرَّجُل من أصحابِ النّبىِّ ﷺ.

وجاءَ الحسنُ بن علِىٍّ إلى أبيه فى الطّريقِ فقالَ: لقَد نهَيتُكَ فعصَيْتَنى، تُقتلُ غداً بمَضْيَعَةٍ لاَ ناصِر لَكَ.

وانقَسَم الناسُ فى تلك الحينِ إلى أرْبعِ فرقٍ، علِىٌّ بمَن معهُ فى ظاهرِ الكُوفةِ، وطلْحة والزُّبَيْرُ بالبصرةِ، ومُعاوية بالشّامِ، وفرقةٌ بالحجازِ لا تُقاتِل ولاَ عنَاءَ لَهَا.

ولمَا كانَ علِىٌّ فى الكُوفة أرسلَ أحدَ قادته، القَعْقاعُ بن عمْرو إلى البصرةِ، فبدَأ بلقاء عائشةَ أمّ المؤمنين، أَىْ أُمّاه. ما أقْدمك هَذا البَلدِ ؟

فقالت أَىْ بُنَىّ: الإصلاحُ بينَ الناس.

فسألَها أن تَبعَث إلى طلْحَةَ والزُّبير ليحضرَا عندَهَا، فَحَضرَا، وأخْبَرا القعقاعَ مَا وجْـهُ الإصلاحِ فى رأييهما، وعَلَى أيِّ شئٍ يكُـون؛ بعد أن أكدَّ لهُما أنَّهُ إن قَبِل علِىٌّ

(٦٥)

وَمَن معهُ الإتِّفاقَ تصالحُوا، وإن أنكَرُوا لا يصطَلحوا – فقَالاَ (قتلةُ عُثمان: فإنّ هذا إن تُرك كَانَ تَرْكاً للقُرآن).

فقالَ القعقاعُ: لقد قتلتُ ما قتلتُهُ من أهلِ البصرة، وتحاجُّوا كثيراً فى هذا الشّأن، حتّى أرسَلت عائشةَ إلى عَلىٍّ تُعلمُه أنّها إنّما جائَت للصُّلح، فَفرَحَ هؤُلاء وهؤُلاء، وقَامَ عَلىٌّ فى النّاس خَطيباً، فذَكَرَ الجاهليّةَ وشقَاءَهَا وأعمَالَها، وذكَر الإسلامَ وسعادةَ أهله بالأُلفَة والجَماعَة، وأنّ اللهَ جَمعهُم بعدَ نبيَه ﷺ علَى الخليفة « أبو بكر » ثُمّ بعدَه علَى عُمر بن الخطّاب، ثُمّ علَى عُثمانَ، ثُم حدَث هذا الحدثُ الذى جرَّ علَى الأُمّة أقواماً طلَبُوا الدُّنيا، وحسَدُوا مَن أنْعمَ اللهُ عليه بها، وعلَى الفضيلة التى مَنّ اللهُ بها، وأرادُوا ردّ الإسلامِ والأشياءَ علَى أدبارها، واللهُ بالغٌ علَى أمره، ثمَّ قالَ: ألاَ إنِّى مُرتحلٌ غداً فارتَحلُوا، ولا يرتحل معى أحدٌ أعانَ علَى عُثمان بشئ من أمُور النّاس.

فلمّا قالَ هذا، اجتمَع من رُءوس مَن مَعه جماعةٌ كالأشتَر النّخْعىِّ، وشُرَيحُ ابن أوْفى، وعبدُ الله بن سبَأ المَعروف « بابنِ السّوداء »، وسالم بن ثعْلبَة، وعلْباء ابن الهَيثم، وغيرُهم، فى ألفينِ وخَمْسِ مائة، وليسَ فيهم صَحَابىٌّ واحدٌ، وهؤلاءِ هُم الخوارج { رُؤوسُ قتلةُ عُثمان }، وقد خرجُوا كذلك عَلَى عَلىٍّ رضى اللهُ عنهُ.

وقالَ الأشترُ: لقد عَرفْنا رأىَ طلحةَ والزُّبير فينا، أمّا رأىُ علىٍّ فلَم نعرفُه إلى اليومِ، فإن كانَ قد اصطلَحَ معهُم فإنّما قد اصطلَحُوا على دِمائنا فإن كان الأمرُ هكذا ألْحقْنا عليّاً بعُثمانَ.

فقالَ ابنُ السّوداءِ: بئسَ الرّأىُ ، لو قتَلناهُ قُتلنا لقِلَّة عَددنا فى مُواجهة طلحةَ والزُّبير، ومَن معهُم.

وقالَ ابنُ الهَيثم: دعُوهم وارجعوا بنا حتّى نتعلّق ببعض البلاد فنمْتنعُ بها.

فقالَ ابنُ السّوداء (بئسَ ما قُلتَ) إذاً واللهِ كانَ يتَخطّفُكُمُ الناسُ، وتابعَ فقالَ: إنّ عِزّكُم فى خَلطة الناس، فإذا التقَى النّاسُ فأنْشبوا الحربَ والقتالَ بينَ الناس، ولا تَدَعُوهم يجتمعون، فمن أنتُم معهُ لا يجدُ بُدّ من أن يمْتنعَ، ويشْغَل اللهُ طلحةَ والزُّبيرَ، ومَن مَعهُما عمّا يحبُّون، ويأتيهم ما يكْرَهون.

وأصبحَ علىٌّ مُرتحلاً يقصدُ البصرةَ، وسارَ طلحةَ والزُّبيرُ ومَن مَعهُما للقائه غير أنّ قتـــلةَ عُثمان ومَن مَعـــهم من النّاس ، نزلُوا كُلٌّ فى ناحيةٍ بَعد أن تَخلّفُوا عن قَصدِ

ركْبِ عليٍّ، فَأشارَ بعضُ النّاسِ علَى طلحةَ والزبيْر بالانقضاضِ علَى قتلة عُثمان، وفعلِ القَصاصِ منهم، فأَبَيَا ذلك امتثالاً لإشارةِ عليٍّ ﷺ ونزُولاً علَى أمرِه بتسْكين الأمرِ، خاصّة بَعد بَعْثِهما إليه بالمُصالحة.

وفى زَحمةِ تلك الأحداثِ جَاءَ " الأحنفُ بن قيسٍ " فى جَماعةٍ من ستّة آلافٍ فانضَافَ إلى عليٍّ ومَن مَعهُ، وكانَ قد منَع قبل ذاكَ « حُرقُوص بن زُهَير » أَحَد قَتَلَة عُثمان من طلحَة والزُّبير. فَقَالَ لعَلِيٍّ: إن شئتَ قاتلتُ مَعَك، وإن شئتَ كَفَفتُ عنكَ عشْرةَ آلافِ سَيف. فقَالَ « كرّمَ اللهُ وَجهَه » بَل اكفُف عنّا عشرةَ آلافِ سَيف.

ثُمَّ بعَثَ علَيٌّ بَعثاً إلى طلحةَ والزُّبير سائلاً: إن كُنتم علَى ما فَارَقتُم عليه القَعقاعَ بن عَمرُو فكُفُّوا حتّى ننزِل فَنَنْظُر فى هذا الأمرِ، وقد أرسَلاَ إليهِ فى جوابِ رسالَته: أنّهما ومَن معَهما علَى ما اتّفَقَا عليهِ مَعَ القعقاعِ بن عَمْرُو من الصُّلح بينَ الناسِ، فاطمأنّت القلوبُ، وهَدأت الأعصَابُ، وسَكنت النُّفوسُ.

وفى المَساءِ بَعثَ إليهم علَيٌّ رسُولَه « عبدُ الله بن عبّاس » وبَعثُوا هُم إليهِ « مُحمَّد بن طلحةَ السَّجَّاد » وباتَت الجموع بخيرِ لَيلةٍ، وباتَ قتلةُ عُثمان بشَرِّ ليْلَةٍ، وباتُوا يكيدُون، ويتآمرُون، ويَتَشَاورُون، وأجمَعُوا رَأيَهم علَى إثارةِ الحربِ من الغَــلَس(١)، فَنَــهضوا من قَبلِ طُلُــوعِ الفجرِ، وهُم قريبٌ من ألفَى رجُلٍ ، وقد قسّمُوا أنفُسَهم إلى فرَقٍ وجَمَاعاتٍ، وقد انطَلَقَت كُلُّ فرقةٍ إلى قَراباتِهم فهجمُوا عليهم بالسِّيُوفِ، فَهبّت كلُّ طائفةٍ إلى قومهم لِنَصرهم ومَنعهم، وقَامَ الناسُ من مَنامهم إلى السِّلاح، وصاحُوا طرَقَتنا أهلُ الكُوفة ليلاً وبيَّتُوا لَنَا، وغَدَرُوا بنا، وظنُّوا أنّ هذا تصرُّفٌ مَدروسٌ من جَمَاعةٍ من أصحابِ عَليٍّ، فبَلَغَ الأمرُ عَليّاً فقالَ: مَا للنّاسِ ؟

فَقَالوا، وهُم الذين عند عَليٍّ: بيَّتَنَا أهلُ البصرةِ، وغَدَرُوا بنا. فثَارَ كلُّ فريقٍ ثورةً ما بعدَها ثَورةٌ، وحملوا السِّلاحَ، ورَكبوا الخيولَ، وحُملوا إلى الحــربِ إكراهــاً. قــد فجّرَها ابنُ السّوداءِ والسابئةُ أتباعه لعَنَهم اللهُ جَميعاً إلى يومِ الدينِ ولَعَن كلَّ مَــا هــو يهُوديّ فى كلِّ وقتٍ وحينٍ – أمّا أصحابُنا فلا يَشعرُ أحدٌ منهم بما وَقَع الأمــرُ عليــه، وما كان فى سَببِه من الفتنةِ والتّضرْيب، والسّعْى بالتّخريبِ والتّقْتيلِ، وكــانَ أمــرُ اللهِ قدَراً مقدُوراً.

---

(١) ظُلْمَةُ آخرِ اللّيلِ إذَا اخْتلَطَت بضَوءِ الصّباح.

وَنشَبَت الحربُ، وتواقَفَ الفريقانِ علَى ساقٍ، وقدَمٍ، وتبَارزَ الفُرسانُ، وجالَت الشُّجعانُ، وقد اجتمعَ معَ عليٍّ عِشرون ألفاً، والتفَّ معَ عائشةَ ومَن معَها نحوٌ من ثلاثينَ ألفاً **وإنّا لله وَإنّا إلَيْهِ رَاجعُون.**

ولَعبت السابئةُ – أصحابُ ابن السّوداءِ عليهم لعائن الله تعالى – أخسّ الأدوارِ وأقبحَها وهُم لايفتـُــرون عَن القتلِ والتّقتيل، ومُنادِى علَىٍّ يُنادى « ***ألا كُفُّوا، ألا كُفُّوا*** » فَلا يَسمع أحَدٌ.

وأقبلَ عَلَى أُمِّ المؤْمنين عائشة « كعب بن سور » قاضِى البصرةَ قائلاً: يا أُمَّ المؤمِنين، « أدركِى الناسَ. لعلّ اللهَ أن يُصلِح بكِ بينَ النّاسِ ».

فلمْ تَشأْ ذلك، وجَلَست فى هَوْدَجِها فَوق بَعيرِها، وسَتروا الهودجَ بالدُّروع، وهى تنظُر إلى النّاس، وهُم يتصَاوَلون ويتجَاولُون.

وقُتِل فى هذه خلقٌ كثيرٌ، حتّى قالَ عَلِىٌّ لابنه الحسَن: « يا بُنىّ ليتَ أباكَ ماتَ قبلَ هذا اليوم بعشرين عاماً » فقالَ لهُ الحَسن: يا أبتِ قد كُنت أنهاكَ عَن هذا.

قال: يا بُنىّ، إنى لم أرَ أنّ الأمرَ يبلغُ هذَا – إنّا للّه يا حَسن، أىُّ خَيرٍ يُرجَى بعــدَ هذا. واشتدّت الحربُ، وحمِى القِتالُ، وقُتِل طَلحة. آنئذ تقدّمت عائشة رضِى اللهُ عَنهــا فى هوْدجها، ونَاولَت قاضِى البصرةَ مُصحفاً، وقالَت: ادعُهــم إليــه، فتقــدّم الرَّجــلُ بالمُصحف يدعوهم إليه، فلمّا رَأوْهُ قَتَلَهُ عُثمان وبينَ يدَيهم ابنُ السّوداءِ رشَقُوهُ بِنبــالهم رَشْقَةَ رجُلٍ واحدٍ فقتلوهُ، فجعلَت تُنادى يا بَنِىِّ: اذكُروا يومَ الحساب، وتقدّم هؤلاء إلى هودجها يرشُقونَه بنبالهم حتّى شابَهَ القُنْفُذَ يُبرزُ أشواكَه، وجعلَت تُحرِّضُ الناسَ علَــى مَنعهم وكَفِّهم، وقد كان للناسِ مُرادهُم فطردُوه.

وتقدّم جيشُ عائشةَ إلى الموضعِ الذى فيه عَلِىّ وتقدّم عَلِىٌّ يحمِل الرايةَ، ودارَت رَحى الحربُ بضراوةٍ بالغة، وهى تُعطى تارةً لأهلِ الكوفة، وتارةً لأهلِ البصرة، وقُتِل منهم خلقٌ كثيرٌ، وجمٌّ غفيرٌ، ولم تُرَ وقعةٌ أُكثِرَ من قَطعِ الأيدى والأرْجُلِ فيها من هذه الوَقْعَة، وجَعلَت عائشة تُحرِّضُ الناسَ علَى أُولئك النَّفرِ من قَتلةِ عُثمان.

وحَمِى وطيسُ المعركةِ حتى جاءَ رَجلٌ فضربَ الجملَ علَى قوائمه فسقَطَ علَى الأرض، فسُمِع له عجيجٌ ما سُمع أشدُّ ولاَ أنفذُ منه وذلكَ لأنّهم قالُوا: « **لا يزالُ الحربُ قائماً ما دامَ هذا الجملُ واقفاً** ».

(٦٨)

ولمّا سقطَ البعيرُ انهزَمَ مَن حَوْلهُ مِن الناسِ مِن بينِ القَتلى، وحُمل هودجُ عائشة، وهو كالقُنفُذِ مِن النِّبالِ التى أصابتهُ، وأمَرَ عليٌّ ﷺ أخَاها مُحمد بن أبى بكرٍ أن يَضْرِب علَيها قُبّةً، فلمّا كانَ اللّيلُ دَخَلَتْ أُمُّ المُؤمنين البصْرَةَ، ورُئيت قُريشُ صَرعى فى يومِ الجمَلِ، وقد بلغَ قتلاهُ عشرةَ آلافٍ، ولاَ حوْل ولاَ قُوّة إلاّ بالله.

وأقامَ علِيٌّ بظاهرِ البَصْرة ثلاثاً ثَمّ صلّى علَى القَتْلَى منَ الفَرِيقينِ. ولمّا أرَادت أُمُّ المُؤمنين عائشة الخروجَ مِن البصرةِ بعَث إليها علِيٌّ ﷺ بكلِّ ما ينبغى مِن مَركبٍ وزَادٍ ومتَاعٍ وغير ذلك، وخَرجت مِن الدّارِ فى هَودجٍ، ومعَها أخُوها مُحمّد بن أبى بكرٍ، وودّعت النّاسَ، وقَصدَت المَسير إلى مكّة، فأقَامت بِها إلى أن حجّت عامَها ذلك، ثُمَّ رجَعت إلى المدِينةِ رضِى الله عَنها.

(٦٩)

ثالثا: كارثة صِفِّين

كانَ مُعاوية قد استَوْثقَ لهُ أمرُ الشامِ علَى إطلاقِه، وكذلك أقصَى بِلاد بيزنْطة، والسّواحل، وجزيرة قُبرص التى ضَمّت آنئذٍ الأسطولَ البحريّ العربَي الذى دانَ لهُ سُلطان البَحر المُتوسط بحذافيره، بالإضافَة إلى بعضِ بلاد الجَزيرة كالرُّها، وحران، وقريقيسياء، وغيرها، وهذه المنطقة قد ضوَى إليها العُثمانيّةُ الذين هربُوا يومَ الجملِ، وقد حاولُوا انتزاعَها من عُمّال مُعاوية، فأرسلَ مُعاوية إليهم عبد الرحمن بن خالد بن الوَليد، فَقضَى علَى أطماعِهم، وفرّ قائدُهم، ودانَت هذه البلادُ لمُعاوية.

غيرَ أنّ الفتنةَ هاجَت، وأصحابُ رسولِ الله ﷺ عشَرَات الألوف، فلــم يحــضُرها منهم مِائة، وقيل أنّهم لم يبلُغوا الثّلاثين، وهُم المصاحبون لعَلِيٍّ رَضِى الله تَعالى عنـــه وأرضاهُ، وقد أيّدُوه فى البَعث إلى مُعاوية ﷺ، يدعُوه إلى بيعته ، فأرسلَ إليه كتاباً مَع جريرٍ بن عبد الله يُعلمُه فيه باجتماعِ المُهاجرين والأنصار علَى بَيْعته، ويُخبـــره بمـــا كان فى وقعةِ الجَمَلِ، ويدعوهُ إلى الدُّخولِ فيما دخَل فيه الناسُ.

فلمّا انتهى الرسولُ إليه أعطاهُ الكتاب، فطلبَ مُعاويةُ رؤوسَ أهلِ الشامِ، ومَن فرّ من المدينةِ عند مَقتلِ عثمان، فاستشارَهم، فأَبَوا أن يُبايعوا حتى يُقتَل قَتَلة عُثمان أو أن يُسَلِّمَهم إلى مُعاوية فى دمشق، وإن لَم يَفعلوا قاتلَوُه حتى يَقْتُل قتلةَ عُثمان.

وتراسلُوا ولم يتّفقوا، واستقرّ عَلِىٌّ ﷺ علَى الدُّخول إلى الشامِ، وخرجَ مِن الكُوفة علَى رأسِ مَن مَعَه.

وبلَغ مُعاويةَ ما كان، فاستشارَ عَمْرُو بن العَاصِ الذى كانَ قد لجَأ إليـــه بعـــد أن عزلَه أميرُ المؤمنين علِىٌّ رضوانُ الله عَليه – إثْرَ مَقتلِ عُثمانَ ﷺ، فناصَحَه عمـــرُو وقال لهُ : اخرُج أنتَ بنفْسك ، وأخَذَ يخطُب فى الناس ، وعُقدت الألْويـــة والرّايـــاتُ للأُمَراء، وتهيّأ أهلُ الشامِ، وتأهّبوا، وخرجُوا أيضاً إلى نحوِ الفُراتِ من ناحيةِ صـــفِّين حيثُ يكونُ مَقدم عَلِىٍّ بن أبى طالبٍ بمَن مَعه مِن الجُنود قاصداً الشامَ .

ووَقعت مناوشاتٌ بينَ مُقدِّمة الفريقين، قُتل فيها بعضٌ من المُبارزين حتى أقبـــلَ عَلِىٌّ ﷺ فى جيُوشه، وجاءَ مُعاويةُ ﷺ فى جُنوده، فتواجَه الفريقانِ، وتلاقَت الطّائفتانِ، فبالله المُستعان .

فَتواقفوا طويلاً بمكانٍ يُقال لهُ صِفِّين بالقُربِ من شَرقيِّ بلاد الشام، فــي أوّل ذى الحجّة سنة ست وثلاثين من الهجرة، وقد اقتَتَل الفريقان فى مُدّةِ هذا الشّهر، وجَــرت بينَهما حروبٌ يطولُ ذِكرُها.

ولمّا دخلَ شهرُ المُحرّم سنة سبع وثلاثين تحَاجزَ القومُ رجَاءَ المُهادنـــةِ وطلـــب المُوَادَعَةَ التى قد يئُولُ عن طريقها الأمرُ إلى الصُّلح وحَقن الدِّماء.

فأرسلَ عَلِيٌّ إلى مُعاوية من جديدٍ يَطلبُه إلى البيْعة، وحقْنِ الدِّماء، ويـــدعوهُ إلـــى الجماعةِ ولُزومِ الطّاعة، وبعثَ مُعاوية إلى عَلِيٍّ يطلبُ إليـــه الـــدّفعَ بقَتَلـــةِ عُثمـــان، واعتزالِ أمْرِ الناسِ بالتّنازُلِ عن الخلافة، فيكونُ الأمرُ شُورى بينَهم.

وأقامُوا يتراسلُون فى ذلك حتّى جمادى الآخرة، ووقَعت مناقشاتٌ كثيرةٌ، وكانـــت روايات عديدة إلى شهرِ ذى الحجّة، ثُم شَرعُوا فى المُقاتلَة، فاقْتَتَلوا شهرَ ذى الحجـــة بكامله، ثُمَّ لم تزل الرُّسل تترَدّدُ بينَ عَلِيٍّ ومُعاوية حتى انسلخَ المُحرّم، ولم يقعْ بينهُما صُلحٌ.

فأمرَ عليٌّ بن أبى طالبٍ يزيدَ بن الحارث الجشميّ، فنادَى أهلَ الشامِ عند غُروب الشّمس: ألا إنّ أميرَ المُؤمنين يقولُ لكُم: أنّى قد استأْنَيْتُكُم لتُرَاجعُوا الحــقَّ، وأقمْــتُ عليكُم الحُجّة فلم تُجيبُوا، وإنِّى نَبَذتُ لكُم علَى سواءٍ. **إنّ اللهَ لاَ يُحبُّ الخائنينَ.**

فَفَزِعَ أهلُ الشّامِ إلى أُمرائهم فأعْلَمُوهم بما سَمعوا المُنادى ينادى. فــنهضَ عنـــد ذلك مُعاويةُ، فباتَ علَى تعبئةِ جَيْشِه، ويُراجِع الميمنةَ والميسرةَ، وبـــاتَ عَلـــيٌّ يُعبـــئُ جيشَهُ من لَيلتِه.

وبرَزَ مُعاوية صُبح تلك الليلة قاصداً بُلوغَ سَيرِ عليٍّ، فسارَ نحوهُ، ودَنا من مُقدِّمة جيشِ عليٍّ.

ثُم قامَ مُعاوية فى الناسِ خَطيبا فحَمد اللهَ وأثْنَى عليه ثمّ قالَ: « أيُّها النـــاسُ، والله مَا أصبْتُ الشّامَ إلاّ بالطّاعة، ولا أضبطُ حربَ أهل العراق إلاّ بالصّبرِ، ولا أُكابد أهلَ الحجاز إلا باللُّطف، وقد تهيّأتُم وسرتم لِتمنعُوا الشامَ وتأخُذوا العراق، وســارَ القــومُ ليمنعُوا العراقَ ويأخُذوا الشامَ، ولَعَمْرِي ما للشّامِ رجــالُ العــراقِ ولا أموالهـــا، ولا للعِراق خـــبرةُ أهلِ الشّامِ ولا بَصائرُها، مَع أنّ القومَ وبعدَهم أعـــدادَهم، وليسَ بعدكَم

غيركُم، فإنْ غَلبتُموهم لم تَغلبوا إلا مَن أناتكُم، وإن غلبوكُم غلَبوا مَن بَعدَكم، والقومُ لا قومَكُم بِــكَيدِ أهلِ العراقِ، ورقّةِ أهلِ اليمَنِ، وبصائرِ أهلِ الحجازِ، وقسوةِ أهلِ مصرَ، وإنّما يُنصرُ غداً مَن يَنصرُ اليومَ، واستعينوا بــاللهِ »: ﴿ **وَاصْــبِرُوا إِنّ اللهَ مَــعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الأنفَالِ : ٤٠] .

بلَغَ عَلياً قولُ مُعاويةَ فَقَامَ فى أصحابِه فحرّضَهم علَى الجِهاد، وَمَدَحَهُم بِالصبْرِ، وشجّعَهُم بِكَثْرتِهم بالنّسبةِ لأهلِ الشامِ.

قالُوا: سارَ عليٌّ فى مائةٍ وخمسينَ ألفاً من أهلِ العراق، وأقبلَ مُعاويةَ فــى نحــوٍ منهم من أهلِ الشامِ، وقيلَ فى ذلك كلامٌ كثيرٌ.

وقد تعاقَد جماعةٌ من أهل الشامِ علَى أن لاّ يفِرُّوا فَعَقَلُوا أنفُسَهم بالعمَائمِ، وكــانَ هؤلاءِ خمسة صُفوف، ومَعهم ستةَ صُفوفٍ من آخرين، وأميرُ الحربِ عليهم « حبيــبِ بن مسلمة »، وكذلك أهلُ العراق حيثُ شكَّلوا أحدَ عشرَ صفّاً أيضاً، فتوافَقوا علَى هذه أول يوم من صفر (الأربعاء) وأميرُ الحربِ عليهم « الأشتر النَّخعــيّ »، فــاقْتَتَلُوا قتالاً شديداً، وقد صبرَ كلٌّ من الفريقين للآخَر، وتكافَئُوا لبضعةِ أيّــامٍ، حيــثُ تَحْمــلُ الخيلُ علَى الخَيْلِ، والرجالُ علَى الرِّجالِ، حتى أنّ عبدَ الله بن عبّاسٍ ﷺ قاتَل بنفْــسه قتالاً شديداً، وكانتْ صوْلات وجَوْلات من الكَرِّ والفرِّ والمُبارزة. ولم يغلب أحدٌ أحــداً فى هذه الأيّامِ كلِّها.

قالَ أبُو مخنف: حدّثنَى مالك بن أَعْيَنْ الْجَهنى، عن زيدٍ بن وهْب، أنّ عليّاً قــالَ: حتّى مَتى لا نُناهض هؤلاءِ القومِ بأجمَعنا ؟ ثُمّ قامَ فى النّــاسِ عــشيّةَ الثُلاثــاءِ ليلــةَ الأربعاءِ بعدَ العصرِ – فقالَ: الحمدُ للهِ الذى لا يُبرم ما نقَض، ومَا أبْــرمَ لا يَنْقُــضُهُ النّاقضون، لوْ شاءَ ما اختلفَ اثنانِ من خَلْقِه، ولا تنازَعَت الأمَةُ فى شئٍ مــن أمــرِه، ولا جَحدَ المَفْضولُ ذَا الفضلِ فضْلَه، وقد ساقَتنا وهؤلاءِ الأقدارُ، وألقَت بيننَا فى هــذا المكانِ، فنحْنُ من ربِّنَا بمَرْأى ومَسمعٍ، فلَو شاءَ لعجّل النَّقْمةَ، وكانَ منه التَغسيرُ حتّــى يُكذِّبُ اللهُ لظّالمَ، ويُعْلمُ الحَقّ أينَ مَصيرُه ، ولكنّه جــعلَ الدُّنيا دارَ الأعمالِ ، وجعــلَ الآخرَة عنده هى دارُ القرارِ ﴿ **لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَــا عَمِلُــوا وَيَجْــزِيَ الَّــذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى** ﴾ [النّجْم: ٣١]، ألاَ وإنّكم مُلاقُوا القومَ غداً، فأَطِــيلُوا اللّيلةَ القيامَ،

وأكْثِروا تِلاوةَ القُرآنِ، واسألُوا اللهَ النّصرَ والصّبرَ، والْقَوُهُمْ بِالجِدِّ والحَــزمِ وكُونُــوا صادقِين.

قالَ: فوَثبَ الناسُ إلَى سُيوفهِم، ورِماحِهم، ونبالِهم يُصلحُونَها

قالَ: ومَرّ بالنّاسِ وهُم كذلك كعبُ بن جعيل التّغلبى فَرأَى ما يــصْنَعون فجعَــل يقُول:

أصْبَحَت الأُمّةُ فى أمرٍ عجَب   والمُلْكُ مجْمُوعٌ غَدَاً لِمَن غَلَب

فــقُلتُ قوْلاً صادِقاً غيرَ كذب   إنّ غَدَاً تَهْلَكُ أعــلامُ العــرب

وتابع أبو مخنف فقال: ثُم أصبحَ عَلِىٌّ فى جُنوده، قد عبّأهم كَمــا أرادَ، وركــب مُعاوية فى جَيْشه قد عبّأهم كما أرادَ، فتقاتلَ الناسُ قِتالاً عظِيماً لا يَفِرُّ أحدٌ من أحــدٍ، ولا يغلبُ أحدٌ أحداً، ثُمّ تحاجَزوا عند العشى(١).

وأصبحَ علِىٌّ فصلّى الصُّبح بغَلَسٍ، وباكَر القِتالَ، ثُم استقبلَ أهلَ الشّامِ فاســتقبلُوهُ بوجُوهِهم، وتقدّم علِىٌّ وهو فى القلب. فزحف بهم إلى القوم، وأقبلَ مُعاوية، وقد بايعَهُ أهلُ الشامِ علَى المَوت، فتواقَف الناسُ فى موْطِنٍ مَهُولٍ، وأمرٍ عظــيمٍ، وكــلُّ قائــدٍ يُحرِّضُ جيشَه علَى القتالِ، ويحُثُّهم علَى الصّبرِ والثّباتِ والمُرابَطة.

وقد ذكَر عُلماءُ التّاريخِ وغيرُهم فى غيرِ واحدٍ من المراجعِ. أنّ عَليّاً ﷺ بارزَ فى أيّامِ صِفّين، وقاتَلَ وقَتَلَ خلْقاً حتّى ذكَر بعضُهم أنّهُ قَتَلَ خَمْسَ مَائة، فمِن ذلك أنّ « كريب بن الصبّاح » قَتل أربعةَ من أهلِ العراق ثُم وضَعهُم تحتَ قدَميه، ثُم نادى هلْ مِن مُبارزٍ ؟ فبرزَ إليه علِىٌّ رِضوانُ الله عليه فتجَاولا ساعةً ، ثمّ ضربَه علِىٌّ فقتَله، ثُم قالَ هلْ من مُبارز ؟ فبرَز إليه الحارثُ بن وَداعة الحميرى فقتَله، ثُم برزَ إليه روّادُ بن حارثٍ الكلاعى فقتَله، ثمّ برزَ إليه المُطاوِع القيسى فقتلَه، فتَلاَ علِىٌّ قولَه تعَالَى ﴿ وَالحُرُماتُ قِصَاصٌ ﴾ [البقَرَة: ١٩٤]، ثُم نادى: وَيْحك يا مُعاوية، ابرُز إلىَّ ولاَ تفْنى العربَ بَينى وبَينكَ.

فقالَ عمرُو بن العَاص: الذى يحملُ فى جنَبَاته السُّوء لأمير المُؤمنين – اغتَنمه يا مُعاويةَ فإنّه قد أُثْخن بقتل هؤلاءِ الأربعة، فقالَ له مُعاوية: واللهِ لقد علمتَ أنّ عليّاً لــمْ

---

(١) البداية والنهاية ص ٣٤٢ ج.

يُقهَر قَطّ، وإنّما أردْتُ قَتلى لُتصيب الخلافةَ من بَعدى، اذهَب إليك. فَلَيس مثلى يُخدَعُ.

غيرَ أنّ هؤلاءِ العُلماءَ والمؤرِّخين لم يتركُوا لنَا مُسنداً يُفيدنا تَصريحا أو تلميحاً بأنّ مُعاوية كانَ قد استشعرَ من ابن العاصِ ما قالَ له مُنذ وقتٍ مَضى أو أنّه كانَ وَليدُ حينه، وكذَلك لمْ يُجيبونا عن أنّه لماذا آوَى مُعاويةُ عَمرو بن العاص وأيّده وناصرَه، وهو يَعلم عَنه ما قالَ.

واشْتدّ وطيسُ المعارك، وحميت صوْلاتُها، وحمَل أهلُ الشامِ علَى أهلِ العراق، فأزالُوهم عَن أماكنهم، وانكَشفُوا عَن أميرهم، وانْجَفَلَ أهلُ العراق، ولم يبقَ معَ علىٍّ من تلك الحُشودِ إلاّ زهاءَ ثلاث مائةٍ قيل أنّهم قبائلُ مكّة، وقيل بعضٌ من أهلِ العراقِ وكثيرُهم من المَكيِّين.

وقد أمَر علىٌّ ﷺ الأشْترَ النّخعي أن يَلحقَ المُنهزمين الفارِّين فيردَّهم، فسارَ فأسرَعَ حتّى استقبلَ المُنهزمين من أهلِ العراقِ، فجعلَ يُؤَنِّبهُم ويُوَبِّخهم، ويُحَرِّض القبائلِ منهم والشُّجعان علَى الكَرَّة بدَلاً من الفَرَّة فجعَل طائفةً تُتَابعه، وآخرون يستمرُّون فى هزيمتهم، فلَم يزَل ذلك دأْبُه حتى اجتمعَ عليهِ خلقٌ عظيمٌ من النّاس، فجعلَ لا يَلقى قبيلةً إلاّ كشفَهَا، ولا طائفةً إلاّ ردّها حتّى انتهى إلى أميرِ مَيمَنة الجيشِ وهو « عبد الله بن بديل » ومَعه نحو ثلاث مائةٍ، قد ثبَتُوا فى مَكانهم، ولمْ ينهزموا مَع المُنهزمين، فسألُوا عن أميرِ المؤمنين، فقالوا: « حَيٌّ صَالحٌ » ـ أىْ ـ لمْ يُصبه أزىً، ولمْ يَلحَق به ضُرٌّ، فالتفُّوا إليهِ، واجتمعُوا فيه، فتقدّم بهم حتّى تراجعَ كثيرٌ من الناس.

ودارت رَحا الحربُ من جديد، واقتربَ أهلُ الشامِ من عَليٍّ حتّى جعلَت نبالَهم تَصلُ إليه، وتقدّم مَوْلَى لبَنى أميّة فاعترَضه موْلى لعَلىٍّ فَقتلَه الأُموىُّ، وأقبلَ يُريد عَليّاً وحوْلَه بَنُوهُ [الحَسن والحُسين ومُحمّد بن الحَنفية] فلمّا وصلَ إلى علىٍّ أخذَه علىٌّ بيده فَرفَعهُ، ثُمّ ألقاهُ علَى الأرضِ فكَسرَ عضُدَه ومَنكَبه، وابتدَرَه الحُسينُ ومُحمد بأسيافهما فقتَلاه.

وأرادَ ابنُ بديلٍ التَّقدُّم إلى حيثُ مُعاوية، فحَمل نحوَه، فلمّا انتَهى إليه وَجَدُوه واقفاً أمامَ أصحابه، وفى يدهِ سيْفان، وحوْلَه كتائب أمثال الجبال، فلمّا اقتربَ ابن بديلٍ تقدّم إليهِ جماعةٌ منهم فقتلُوه، وألقُوهُ إلى الأرضِ قتيلاً، وفرّ أصحابُه مُنهزمين وأكثرهُم

مجرُوح، وتَرَاجَعَ أهلُ العِراقِ فأنّبهُم عليٌّ، وعذّر بعضَهم، وحرّض النــاسَ وثبّــتَهم، فاجْتَمَعَ شملُهم، ودَارَت رَحَى الحربُ بينَهم، وجالُوا في الــشّاميِّين وصـــالَوا وتبـــارزَ الشُّجعانُ، فقُتلَ خلقٌ كثيرٌ من الأعيانِ من الفريقين. **فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.**

وكان من أبرزِ مَن قُتل من الشامــــيِّين [عُبَيْدُ اللهِ بن عُمـــر بن الخطّاب] وقدْ قتلهُ أهلُ العراقِ، ومن أبرز مَن قُتل من أهل العراق (عمّار بن ياســـر) ﷺ – قتَلَــه أهلُ الشّام.

ولمّا قُتل عمّارُ قالَ عليٌّ لربيعةَ وهَمذان: أنتُم درعي ورُمحي، فانتُدب لــهُ نحــوٌ من اثني عشرَ ألفاً، وتقدَّمهم عليٌّ ببغْلته فحمَل، وحملُوا معه حملةَ رجُلٍ واحد، فلم يبقَ لأهلِ الشامِ صفٌّ إلا انتقَض، وقَتَلوا كلّ منَ انتَهوا إليه، حتى بلغوا مُعاويـــةَ، وعلــيٌّ يُقاتل ويقُول: « أضربُهُم ولا أرَى مُعاويةَ الجَاحظُ العَينُ العظيمُ الحاوية (١) ».

ثمّ دعَى عليٌّ مُعاويةَ إلى أن يُبارزه، فأشارَ إليه عمْــرو بـــن العـــاص أُخـــرى بالخُروج. فقالَ مُعاويةُ ما قال سابقاً: إنّك لتَعلم أنّه لم يبارزه رجُل قَطّ إلاّ قتلَه، ولكنّك طمَعتَ فيها بَعدى – أيْ الخلافة –، وامتنعَ علَى عَليٍّ رضْوان الله علــيهم أجمَعـــين، ليكون قدرُ اللهِ قدراً مقدُوراً.

إذْ لَو خَرج مُعاوية للمُبارزة وقَتَله عليٌّ، إذاً لَتغيّر وجهُ التّاريخِ ومجْراهُ، واستَتَبَّ الحُكم لبني هاشمٍ، وهُم أوُلو السُّؤدد والدَّولة والولاية، ولَحُقنت دماءُ المـــسلمين التـــي سالَت نُهورا. غير أنّ اللهَ تعَالى غَالبٌ علَى أمرِه.

–ثُمّ قدّم عليٌّ ابنَهُ مُحمّد بن الحنفية في عِصابةٍ كثيرةٍ من النـــاسِ، فقـــاتَلوا قتـــالاً شديداً، ثمّ تَبعه عليٌّ في جَماعة أُخرى، فحَمل بهم، فَقُتِلَ في هذا الموطنِ خلـــقٌ كثيـــرٌ أيضاً، وطارَت أكُفٌّ، ومَعَاصم، ورؤسٌ عَن كواهلها.

فَرَحْمَةُ اللهِ تَعالَى عَليهِم أَجْمَعِين.

---

(١) كبير بطنه

أ – ليلةُ الهرير :

لمّا حانت صلاةُ المغربِ والجَمْعانِ عَلَى حالِهما مِن القِتالِ والقُتلِ، صـلّى علـيٌّ بالناسِ إيماءً صَلاتَي "المغرب والعشاء"، واستمرّ القتالُ فى ليلتهم كُلِّها، وكانـت مـن أعظمِ الليالى شرّاً بينَ المُسلمين – إنّها ليلةُ الجُمُعَة – ليلةُ الهَريـر – فيهـا تَقَـصّفت الرِّماحُ، ونَفدَت النِّبالُ، وصارَ النّاسُ إلى السُّيوف، وعَلِيٌّ يُحرِّض القبائلَ، ويتقدّمُ إليهم بالصّبر والثّبات، وهُو أمَام الناسِ فى قلبِ الجيشِ.

وذَكَر غيرُ واحد من عُلمَائنا – عُلماءُ السِّيَر – أنّهم اقْتَتَلُوا بالرِّماحِ حتّى تقصّفت، وبالنِّبالِ حتّى فَنِيَت، وبالسُّيوف حتّى تحطّمت، ثُمّ صارُوا إلـى أن تَقَـاتلوا بالأيـدى، والرّمْى بالحجارةِ، والتُّراب فى الوُجوه، وتعاضُّوا بالأسنانِ، وتَعاظَمت المأساةُ بحيـثُ يَقْتَتِل الرّجُلانِ حتى يثْخَنا ثُمّ يجلسان يستريحانِ، وكلّ واحد منهُما يهمز(١) علَى الآخَر ويَهمز عليه، فيَقْتتلانِ كمَا كَانَا، **فإنّا لله وإنّا إليه راجعُون.**

ولم يزَل ذلك دأبُهم حتّى أصبحَ الناسُ من يومِ الجُمُعة وهُم كذلك، وصلّى النـاسُ الصُّبحَ وهُم فى القتال حتّى تضَاحى النّهارُ، وتوجّه النّصرُ لأهلِ العراقِ وقـد حَمـل الأشترُ النّخعى الذى صَارت إليه إمرةُ المَيْمَنَة بعدَ مَقتلِ ابن بديلٍ، فحمَل بمَـن فيهـا علَى أهل الشامِ، وتَبعه عَلِيٌّ فَتَنَفَّضَت غالِب صُفوفهم، وكادُوا ينهزمُون.

فعند ذلك رفَع أهلُ الشامِ المَصَاحفَ فوْقَ الرِّماح، وقالُوا: هذا بيْنَنَا وبينَكُم، قـد فنى الناسُ فَمَن للثُّغُورِ ؟ وَمَن لجهادِ المُشركين والكُفار ؟ فلمّا رُفِعت المَصاحفُ قـالَ أهلُ العراقِ : نُجيبُ إلى كتاب الله، ونُنيب إليه.

قال علماءُ السِّيرِ: إنّ عليّاً قالَ: {{ عبادَ الله، امضُوا إلى حقّكم وقتالِ عـدُوِّكمْ، فإنّ مُعاويةَ وعمْرو بن العاص، وابنَ أبى معيط، وحَبيب بن مـسلمة، وابـن أبـى سرْح، والضّحاك بن قَيس ليسُوا بأصحاب دينٍ ولا قُرآنٍ، أنَا أعْرَف بهم مـنكُم، قـد صَحبتُهم أطفالاً، وصحبتُهم رِجَالاً، فكانوا شرّ أطفالٍ وشرّ رجالٍ، ويْحَكُم ! والله إنّهم يقرءونَها ولا يعلَمون بما فيها، وما رفعُوها إلاّ خَديعةً ودعاءً ومَكيدةً }}.

---

(١) يَندفعُ إليهِ ويَصْرَعُهُ ويقَعُ فَوْقَهُ .

فقالوا له: ما يسعُنا أن نُدْعى إلى كتاب الله فنأْبى أن نَقْبله.

فقالَ لهم: إنّما أُقاتلُهم لِيدَينوا بِحُكم الكِتاب، فإنّهم قد عَصُوا اللهَ فيمَا أمَرَهم بهِ، وترَكُوا عهدَهُ، ونبَذُوا كِتابَه.

ويُمكِن القولُ بأنّ هذهِ الواقعة تُعدُّ وبِحَقٍّ النُّوَاةُ الأُولَى فِى خُروجِ الخَوارِجِ ونَشْأَةِ الفِرَقِ الإِسْلاَمِيّةِ فى مَراحِلها التّالية كَما سَنعرِض لَها فى حِينها.

(٧٨)

ب: الخروج عَلى عَليٍّ ﷺ:

فلمّا قالَ عليٌّ ما قالَ فى صَحابته قالَ لهُ مسْعر بن فَدكي التّميمــيّ، وزيــدُ بــن حَصين الطّائىّ، فى عصابةٍ معَهما من القُرّاء الذين صَاروا بعدَ ذلكَ خَوارج: يا عليٌّ. أجب إلى كتاب الله إذا دُعيتَ إليه، وإلاّ دَفَعْناكَ برُمّتكَ إلى القوم، أوْ نَفعَل بك ما فَعَلْنَا بابن عفّان، إنّه عَلَينا أن نَعمل بكتاب الله. فَقَبلناه، والله لتَفْعَلَنّها أوْ لَنَفْعَلَنّهَا بك.

قالَ عَليٌّ: فاحفَظوا عنّى نَهْيي إيّاكم، واحْفَظُوا مقَالَتَكم لى، أمّا أنا فإنْ تُطيعُــونى فقاتلوا، وإن تعْصونى، فاصنَعوا ما بَدا لَكُم.

قالوا: فابْعَث إلى الأشْتر فَليأتك ويكُف عَن القتال، فبعثَ إليه علــيٌّ ليكُــف عــن القتال.

فرَجعَ الرّسولُ إلى عليٍّ يحمل قولَ الأشتر إليه !! « **ليسَت هذه الــسّاعةُ التــى يَنبَغى أن تُزيلَنى عَن مَوقفى فيها، إنّى قَد رَجَوتُ أن يَفْتَح اللهُ عَلَيَّ ، فَلا تَعْجَلْنــى** » وصمّم الأشترُ علَى القتال ليغتنم الفُرصةَ، فارتَفَعَ الهَرَجُ وحــدثَ الــشّغبُ، وتعالــت الأصواتُ .

فقالَ هؤلاء لعَليٍّ: والله ما نَراكَ إلاّ أَمَرتَهُ أن يُقاتل. فقَالَ: أرَأيْتُمُــونى ســارَرْتَهُ؟ ألَم أبْعَثْ إلَيه جَهرَةً ، وأنتُم تَسمَعُون .

قالُوا: فابْعَث إليه فَلْيأتك، وإلاّ والله اعْتَزَلْنَاكَ.

فَقَالَ عليٌّ لرسوله (يَزيدُ بن هانئ) – ويْحَك ! قُل لَه أقبل إلَيَّ فإن الفتْنَــةَ قــد وقَعَت. فترك الأشترُ القتالَ، وأقبلَ إلَى عليٍّ، ودخلَ فى مُناظرةٍ مع أهلِ العراق، وزادَ عليهم، وأغلَظ القولَ حتّى سبُّوه وسبَّهُم، وجَرَت بينَهُم أمورٌ طويلَة.

وقدْ رغبَ أكثرُ النّاس من العراقيين، وأهــلُ الــشام بكَمــالهم إلــى المُــصالحة والمُسالمة مُدّة، لعلّهُ يتّفق أمْرٌ يكون فيه حَقْن لدماء المُسلمين.

وعنْ مُدّة المُواجَهات بمقام صفّين. قيل أنّها سبعةُ أشهر، وقيل تسعة أشهر، وقيل مائة وعشرة أيّام، وكان لكُلٍّ من الجَيشين الشّجاعَةُ والصّبرُ ما لَيس يوجَد فــى الــدُّنيا مثْلُهُ، ولــهذا لَم يــفَرّ أحدٌ عَن أحَد. بل صبَرُوا حتّى قُتل من الفريقين فيـــما ذَكَــرهُ غيرُ واحدٍ « سبعون ألفا »، وكان بَينهُم فى هذه المُدة تسعُون زَحْفاً.

وكَفاهُم قُتْلاً وقِتالاً، وكَفَــانا حُزناً علَى إخوةِ دِيننا وبنى جِلْدَتنا مَا كــان فـــى ليـــــلة الهرير، وصدَقَ الرّسولُ الكريم ﷺ وهو القائل (**لا تقُومُ السّاعةُ حتّى تقّاتــل فئتـــان عَظيمتان دعواهُما واحدة**). . . الحديث(١).

ثُم تراوضَ الفريقان بعد مُكاتباتٍ ومُراجعاتٍ يَطُول ذِكرُها علَى التّحكيم، وهو أن يُحكِّم كُلُّ واحدٍ من الأميرَين (عليٌّ ومُعاوية) رَجُلا من جَبْهَتِه، ثمّ يتّفــقُ الحَكَمـــانِ علَى ما فيه مَصْلحةِ المُسلمينَ فوَكَّل مُعاوية {عمرو بن العاص }، أمّا عليٌّ فانتهى إلى توكيل { أبى مُوسى الأشْعَرِيّ } بَعد عَناءٍ شديد.

وكَتَبَ الحَكَمان العُهودَ والمَواثيقَ، وانتَهى الجميعُ إلى كِتابٍ يُقْرَأُ علَى الطّــائفتين، ثُمّ شرَعَ النّاسُ فى دفْنِ قَتلاهم، وأطْلَق كلُّ فريقٍ أسرَى الفريقِ الآخَر، وتفرّق النـــاسُ إلى بلادِهم من صفِّين، وخَرجَ مُعاويةُ إلى دِمشقَ بأصحابه، ورَجَع عليٌّ إلى الكُوفة.

ولمّا كان عليٌّ ﷺ قد قارَب دخُول الكُوفة، اعْتَزَلَ من جَيْشِه قريبٌ من اثْنَى عشرَ ألفاً، وقِيل ستّة عشرَ ألفاً (وَهُم الخَوَارجُ)، وأَبَوْ أن يُساكنُوه فى بَلده، ونَزَلُوا بمَكـــانٍ يُقال له« حَرُوراء »، وأنكَروا عليه أشياءً فيما يزعُمون أنّه ارتَكَبها، فبعثَ إليهم علـــيٌّ ﷺ « عبد الله بن عبّاس » فناظَرَهُم فرَجَع أكثرُهم، وبَقِى بَقِيّتُهُم.

ثُم إنّ مَن رَجع منهم عاهَدوا، فَنَكثوا ما عاهدُوا فيما بينَهم عَلَى القِيام بـــالمعْروف والنّهىِ عَن المُنكر، والقِيام علَى الناسِ فى ذلك ثُمّ تحيّزُوا إلـــى مَوْضِـــعٍ يُقــال لـــه « النّهْروان ».

وفى رمضانَ سنةَ سبعٍ وثلاثين من الهجرةِ كمَا تَشَارَطُوا وقــتَ التّحكــيمِ عنــد صفِّين، اجتمعَ الحَكَمَان، وتوَافَدَت الجُمُوع ""عند دَومةِ الجَندلِ "" قلْبُ منطقةٍ يُقالُ لهَـــا < أذْرح >، وهى نصفُ المسافة بينَ الكُوفة والشام.

فلمّا اجتَمَعَ الحَكَمَان تَرَاوَضَا علَى المَصلحة لِلْمُسلمين، ونظَرُوا فى تقديرِ الأُمور، ثُمَّ اتّفَقَا عَلَى أن يَعزِلا علِيّاً ومُعاوية، ثُمّ يَجْعلا الأمرَ شُورى بينَ الناسِ لِيَتَّفِقُــوا علـــى الأَصلَحِ لهُم منْهُما أوْ من غَيرهما.

وقد أَشارَ أبو مُوسى بتولِيةِ {{ عبد الله بن عمر بن الخطاب }}.

فَقَالَ لهُ عمْرو: فَوَلِّ ابْنى عبد الله فإنّهُ يُقاربه فى العِلم والعَمَلِ والزُّهد

(١)انظر / هذا بلاغٌ للنّاس / للمؤلف – المكتبة المحمودية بالأزهر الشريف

فقالَ له أبُو موسى: إنّكَ قد غَمَسْتَ ابنَكَ فى الفتَن مَعك، وهُو مــعَ ذلــك رَجُــل صدق. وامْتَنَعَ عمْرو علَى طَلب أبِى مُوسى، وامتنعَ أبُو مُوسى علَى طلَب عَمرو، ثُــمّ اصطَلَحا علَى أن يَخْلَعَا علِيّاً ومُعاويةَ، ويَترُكا الأمْرَ شُورَى بينَ الناسِ، لِيَتَّفقُوا علَـــى مَن يَختارُونَه لأنفُسهم.

ثُم جَاءَا إلى المَجمَع الذى فيه الناسُ، وكَان عمرُو لا يتّقدّم بينَ يدَي أبى مُوســـى وإنّما كانَ يُقدّمُه فى كُلِّ الأمُور أدَباً وإجْلالاً.

فقالَ عمرُو لأبى مُوسى: قُم فأعلِم الناسَ بما اتّفقْنا عَليه، فخَطَــب أبـــو موســـى الناسَ، فحمدَ اللهَ وأثْنَى عليه، ثُمّ صلّى علَى رسُول الله ﷺ ثُم قالَ: أيُّها الناس، إنّا قـــد نَظرْنَا فى أمْرِ هذه الأُمَّة فَلَم نَرَ أمْراً أصْلحَ لهَا ولا ألمَّ لشعْثهَا مـــن رَأْيٍ اتّفقــتُ أنـــا وعَمرو عَليه، وهو: أنْ نَخْلَع عَليّاً ومُعاويةَ، ونترُك الأمْرَ شُورى، وتستقبلُ الأُمّةُ هـــذا الأمْر، فيُوَلُّوا عَليهم مَن أحَبُّوهم، وإنِّى قد خَلَعتُ عليّا ومُعاوية. ثُمّ تَنَحّى.

وجَاءَ عَمرو فقامَ مَقامَه، فحَمد اللهَ وأثْنَى عليهِ ثمّ قالَ: إنّ هذا قالَ مـــا سَـــمعتُم، وإنّهُ قد خَلعَ صاحِبَه، وإنّى قد خلَعْتُه كمَـــا خَلَعَـــه ــ أىْ ــ { عَلِـــيّ ﷺ }، وأُثَبِّـــتُ صَاحِبى مُعاوية، فإنّه وَلِيُّ عُثمان بن عفّان، والطّالب بدَمه، وهو أحقُّ الناس بمقامه.

فَتكَلّم أبُو مُوسى معه بكلام فيه غِلظَة، وردّ عليه عَمـــرو بـــن العـــاص بمثلـــه، وذكرُوا أنّ شُريح بن هانِئ – مُقدِّم جيشُ عَلِيٍّ – وثَبَ علَى عَمرو بن العَاص فضربَه بالسُّوط، وتفرّق الناسُ فى كُلِّ وَجْهٍ إلى بِلادِهم.

فأمّا عَمرو وأصحَابه فدَخلوا علَى مُعاوية فسلّموا عليه بتحيّـــةِ الخلافـــةِ، وأمّـــا أبُوموسى فاستَحْيا مِن عليٍّ فذَهَبَ إلى مَكّةَ.

وكان أمْرُ الخوارجِ قد اشتدّ علَى أميرِ المُـــؤمنين وبـــالَغُوا فـــى التّكيـــرِ علَيـــه وصرّحُوا بكُفرِه، ودخَل عَلِيٌّ مَعهم فى مُناظرة حامية لَم يغْلبُوه فيها، فَجاهروا النـــاسَ بالقول عليه، وتعرّضوا له فى خُطبِه. ثُم اجتمعَ الخَوارج فى منزلِ عبد الله ابن وهْـــب الرّاسبى، فخَطبَهم خُطبة بليغة زَهّدهُم فى الدُّنيا ورَغّبَهم فى الآخرة والجنّة، وحَضّهم علَى الأمرِ بالمعروفِ والنّهى عَن المُنكرِ، ثمّ قالَ: فاخرُجوا بنا إخْواننا من هذه القريةِ الظّالم أهلها، إلى جانبِ هذه السّوداء إلى بـــعض كُورِ الجبالِ، أو بعض هذه المَدائن، مُنــــكِرين لِهذه الأحكامِ الجَائرةِ. وأولئك أمّرُوا علَيهم **[[عبدُ الله بن وهْبٍ الرّاسبيِّ]]**.

(٨١)

وقَد كتبُوا كتاباً عامّاً إلى مَن هو علَى مذهبِهِم أو مَن سلكَ مسلكَهم من أهل البصرة وغيرها، وبعَثوا إليهم ليُوَافُوهم إلى النّهروان ليكونُوا يداً واحدةً علَى النّاس، ثُم خَرجوا يتسلّلُون فُرادى لئلاّ يَعلمَ أحدٌ بهم فيمنعُونَهم من الخُروج، وقد تَداركَ جمعٌ من الناسِ بعضَ أولادهم وإخوانهم، فردُّوهم وأنَّبُوهم ووبَّخُوهم، فمنْهم مَن استمرّ علَى الاستقامة، ومنهم مَن فرّ بَعد ذلك مُلحقاً بالخوارجِ فخسر إلى يوم القيامة.

وذهبَ الباقُون إلى موضعِ لقائهم « عند النهروان » ووفَد إليهم مَن كانوا كَتبُوا إليه من أهلِ البصرةِ وغيرها، واجتمعُوا هُنالك وقد صارَت لهُم شوكةٌ ومنعةٌ، ويَذكُرُ علماءُ السِّيَرِ أنّهم جُندٌ مُستقلُّون، وفيهم شجاعةٌ، لم ينفَعوا بها الأمّةَ ولم يخدُمُوا دينهم. إنّما عاثُوا فى الأرضِ فساداً، وسفكُوا الدِّماءَ، وقطَعوا السُّبُلَ، واستحلُّوا المحارمَ، وكانَ من جُملةِ مَن قتلوهُ { عبدُ الله بن خُباب } صاحبَ رسولِ الله ﷺ، وامرأتَهُ وهى حَاملٌ وبَقَرُوا بطْنَها .

وهكذا كان شأنُ جماعةٍ من المُسلمين قد خرَجَت علَى المألوفِ عند صدرِ الإسلامِ وفى غُرَّة دوْلَتِهِ الأُولى. وقد تعاهَدَت تلك الجماعةُ علَى زُهد الدُّنيا والرَّغب فى الآخرة، واتّخذوا لذلك سبيلَ الأمرِ بالمعروفِ والنّهى عَن المُنكر، ثُمّ صدَرت عنهُم أفعالٌ صيَّرَتْهُم إلى الهلاك كما قالَ تعَالَى: ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ** ﴾ [البقرة: ١٦].

اشتدّت الأُمُورُ، وساءَت الأحوالُ علَى الأُمَّة بأسرها، وضَاقت بالنّاسِ السُّبُلُ، وازدادَت الأحوالُ عُسرةً، فعليٌّ رضى اللهُ عنه خَرجَ من المدينة، وخَرج بخُروجه سُلطانُ المُسلمين منها إلى غيرِ رجعةٍ ولن يعُود إليها إلى يومِ الدِّين.

ومُعاوية وعَمرو عازمان علَى طَلَب دَمِ عُثمان، وتفَاقمت أزمةُ الخوارجِ، ومَعها أزمَةُ السَّابئَة بقيادةِ ابن السَّوداء، حيثُ أتباعُه "" السّابئة "" يصولوُن ويجُولون فى مصر والشامِ والكوفةِ والبصرة، يُحَرِّضُون الناسَ علَى عَليٍّ، والأُمّةُ تتجرّعُ الكأسَ مُرّاً مُنذ مقتلِ الإمام العادلِ – عُمر بن الخطّاب –، والدّمُ الإسلاميُّ ينزفُ مُنذ مقتلِ عُثمان، وقد خابَت مساعى الإصلاح، وبائَت بالفشلِ بينَ أهلِ العراقِ وأهلِ الشامِ كما تقدّم، والأُمُورُ تمضى إلى صدَامٍ عسكرىٍّ وشيكٍ وحتمىٍّ، وقد تأكّد القولُ به بعدَ خُروجِ الخوارجِ علَى عَليٍّ ، وفرارِ أبى مُوسى إلى مكّة استحياءً من عَليٍّ، واعتبار مُعاوية خليفةً للمُسلمين بَعدَ مُؤامرة عَمرو بن العاص عَلَى نَحْوِ ما ذَكَرْنَا.

(٨٢)

آنذاكَ وقفَ عليٌّ فى الناسِ خطيباً بالكُوفة، فندَبهم إلى الخُروج إلى الجهـاد فـى أهلِ الشامِ، وكتبَ إلى ابنِ عبّاسٍ واليهِ علَى البصرةِ يستنْفرُ له الناسَ إلى الخُروج إلى أهلِ الشّام، وكَتَبَ رضى اللهُ عنه إلى الخوارجِ يُعلمُهم بعزْمِهِ علَى الذّهاب إلى الـشام، وأنّ الذى حَكَمَ بهَ الحَكَمَان مردودٌ عليه، ويَحُثُّهم علَى الاجتماعِ مَعَه، والالتفافِ حولهُ لِقتالِهم. فكَتَبوا إليه: أمّا بعدُ فإنّك لم تغْضَب لربِّك، وإنّما غضبتَ لنَفْسك، وإن شـهِدتَّ علَى نفسكَ بالكُفر، واستقْبَلتَ التّوبةَ نظرْنَا فيما بيننَا وبينَكَ، وإلاّ فقـد نابـذْنَاكَ علَـى سواءٍ ﴿ إنَّ اللهَ لاَ يُحبُّ الْخَائنينَ ﴾.

فلمّا قرأَ رَضيَ اللهُ عنه كِتابَهم يئس منهم، وعزَم علَى الخُروج إلى أهلِ الـشامِ، وخرجَ فى عسكرٍ كثيف، فيما قِيل – خمسة وستين ألفا – وبَعَثَ إليه ابن عبّاسٍ بثلاثةَ آلافٍ ومائتَى فارسٍ، فقامَ فيهم خَطيباً رضوان اللهُ عليه فحضّهُم علَى الجهادِ والـصَّبرِ عند لِقاءِ العدُوِّ، وعَقد عَزْمَه علَى الشام، وبينَما هو علَى تعبئَتِهِ وعزمِهِ، بلَغَهُ ما أحدَثَ الخوارجُ من فتنٍ وقلاقِل، وقطعٍ للطُّرقاتِ، وقَتلٍ، وسبْيٍ، وسفكِ دماءٍ، وإفسادٍ، وفسادٍ فى الأرضِ علَى جُملته.

فلمّا بلغَ الناسَ ما صنَعَ الخوارجُ خافوا إن هُم ذهبوا إلى الشام، واشتغلُوا بِقتـال أهلِهِ أن يتوجَّهُوا إلى ذراريهم وأهلـيهم وديـارهم فيُلحقـون بهـم الأذى والتّقتيـل، ويُصيبون ما لَهم وديارَهم بالتّخريبِ، وأشاروا عَلَى عَلَيٍّ بأن يبدأ بهـؤلاء، فـاجتمعَ الرّأيُ علَى هذا.

وكانت إرادةُ اللهِ تباركَ وتعالَى خيراً لأهلِ العراقِ ولأهلِ الشامِ سـواء بـسواء، وكان فضلُ اللهِ تعالى عليهم جميعاً عظيماً.

حيثُ أرسلَ عليٌّ ﷺ رسولَه { الحارث بن مُرّة العبدىّ } من جهتِه إلى الخـوارجِ فقالَ: أخبرْ لى خَبَرَهُم، واعلم لِى أمرَهم، واكُتب إلىَّ به علَى الجَلِيَّة، فلمّا قـدم علَيهم قتلُوه ولم يُنذرُوه، فلمّا بلغَ عليّاً ﷺ ما فعلُوهُ، عَزَمَ عَلَى الذّهابِ إليهم قبْلَ الشّام.

فبعَثَ رضوان الله عليه مُناديه فى النّاس بالرّحيلِ حتّى وصلَ الفـرات، وأرسـلَ قيسُ بن سَعيد إلى سعْد بن مسعود نائب المدائنِ ليأتى بجيشها، فاجتمعَ الناسُ هُنالـك علَى عَلِيٍّ، وبعَث عليٌّ إلى الخـوارج: أن ادعُوا إلَينا قتلةَ إخواننا منكم حتى أقْتـلهم، ثم أنا تارِكُكم وذاهبٌ إلى العَرَب – يعنى أهلَ الشّام – ثم لعـلّ اللهَ أن يقْبـل بقلـوبكم ويُردكم إلى خيرٍ ممّا أنتُم علَيه.

فبَعثوا إلى عليٍّ يقُولون: كلُّنا قتلة إخْوانكم ونحنُ مُستحِلون دمــاءَهم ودمــاءَكم، فتقدّم إليهم مَن يعظهم أو يؤنِّبهم ويوبِّخهم فلم يَنفــع، فــوعَظَهم وخَــوّفهم وحــذّرهم وانذرَهُم بنَفْسه رضى الله عنه، فلم يكُن لهُم جوابٌ، وتَنادوا فيما بينهم أن لاّ تُخاطبوهم ولا تُكلِّمُوهم، وتهيَّئُوا للقاء الرّب عزّ وجلّ – وتنادَوا الرُّواح – الرُّواح إلــى الجنّــة، وتقدَّموا فاصطفُّوا للْقتال وتأهَّبوا للنِّزال.

أمَر عليٌّ أبا أيُّوب الأنصارى أن يرفَع رايةَ أمانٍ للخوارج، ويقولُ لهُم: مَن جــاءَ إلى هذه الرَّاية فهو آمن، ومَن انصرف إلى الكُوفة والمدائن فهو آمن، إنّه لا حاجةَ لنَا فيكم إلاّ فيمن قَتَلَ إخوانَنَا، فانصرفَ منهم طائفةٌ كثيرون، وكانوا فى أربعة آلاف فلــم يبقَ منهم إلاّ ألفٌ أو أقلّ معَ عبد الله بن وهْب الراسبي، فزحفُوا إلى عليٍّ فقدّم إلــيهم الرُّماةُ من الخيّالة، فاستقْبلَتهم الرُّماة بالنِّبال فرمُوا وجوهَهم ففرقُّوهم، وعَطَفت علــيهم الخيّالة من المَيمنة والمَيسرة، ونهضَ إليهم الرِّجــالُ بالرِّمــاح والــسُّيوف، فأنــامُوا الخوارج فصاروا صَرْعى تَحت سنابك الخيول، وقَتلوا أُمَراءَهم { عبد الله بن وهــب، وحرقوص بن زُهير، وشُريح بن أوْفى، وعبد الله بن شَجرة السلمى } قبّحهُم الله .

وأقبلَ أهلُ النّهروان يقولون: الحمدُ لله يا أميرَ المؤمنين الذى قطعَ دابرَهم، فقــالَ ﷺ: كلاّ، والله إنّهم لَفِى أصلاب الرِّجال وأرحامِ النِّــساء، فــإذا خرجُــوا مــن بــين الشَّرايين، فقلّ ما يَلقون أحداً إلاّ ألبوا أن يظْهروا عَليه. ولَعمرى أنّ ما قالَه رضــوان الله عليه لمَوجودٌ فى الأُمّة إلى الغَد من يومنا هذا، وقد ظَهَر منهم على أعيُننا، وفــى أزماننا، كما أنّه تقدّم عليها، وسيظهَرُ الكثيرون كذلك فى لاحقِها. واللهُ المُستعان.

الفصلُ الثّالثُ

استعارُ النّوائِبِ

أوّلاً : جنودٌ مِن عَسلٍ

بَعد القضاءِ علَى الخوارجِ فى النّهروان خَرج علَى علَىٍّ مِن جديدٍ رجلٌ يُقال لــه « الحارثُ بن راشد النّاجى » وقد وفَد مع أهلِ البصرة إلى علىٍّ بالكوفة، فقال لعلــىٍّ ﷺ: إنّك قد قاتلتَ أهلَ النّهروان فى كونهم أنكَروا عليكَ قصّة التّحكيم، وتزعُم أنّك قد أعطيتَ أهلَ الشّام عُهوداً ومواثيق، وأنّك لستَ بناقضها ، وهَذان الحَكَمان قــد اتّفقــا علّى خلعك، ثم اختَلَفا فى ولاية مُعاوية، فولاّه عَمرو، وامتنعَ أبومُوســى عــن ذلــك، فأنت مخلوعٌ باتّفاقهما، وأنا قد خلعتُك وخلعتُ معاويةَ معكَ .

وتبعَ الحارث هذا بشرٌ كثيرٌ مِن قومه « بنو ناجيه، وغيــرهم »، وقــد تحيَّــزُوا جميعاً إلى ناحيةٍ، فبعثَ إليهم جيشاً كثيفاً بقيادة { معقل بن قَــيس الرّمــاحى } فقــتَلَهم معقل قتْلاً ذريعاً.

قِيل أنّ هذه كانت فى نهاية سنة سبع وثلاثين، وقيل بداية سنة ثمانٍ وثلاثين.

ومع دُخول سنة ثمان وثلاثين، وكان مُحمد بن أبى بكــر الــصّدِّيق رضــى الله عنهما عاملاً علَى مصر لعَلِىٍّ، بَعث إليه معاوية "عمرو بن العاص" علَى رأسِ جــيش للاستيلاء علَى مصر فأخَذَها مِن مُحمد، وآلت بذلك تَبعيّتها للأُمويّيّن فى دِمشق، وقــد ساعد علَى ذلكَ أنّ أهلَ مصر قد استخفُّوا بمُحمد بن أبى بكر كَونه شابّاً ابــن" ســت وعشرين سنة " أو نَحو ذلك، وعليه فقد عَزَم علىٌّ عَلَى ردِّ مصر إلى قَيس بن ســعد، وكان قد عَزله عنها سلَفاً وجَعله علَى شُرطَتِه، أو أن يُولِّيها إلى قائده المِغوار الأشــتر النّخعىّ نائبه علَى المُوصل ونَصيبين.

وبينما علىٌّ ﷺ عنه مشغولٌ بما استُجدّ مِن المُتغيِّرات، إذ حَسَم موقفَــه، وأمَــرَ بِتولية الأشتر النخعىّ ديارَ مصر قبل أن يدخُلها بدل محمد بن أبى بكر الذى أطاحَ به عمرو بن العاص، فلما سارَ إلى مــصرَ وانتهى إلى القــلزم استقبلَه {الخانسار} وهو مُقدم علَى الخراج، فقدّم إليهِ طعاماً، وسقاهُ شَــراباً مِن عَسلٍ فماتَ منه، فلمّا بَلَغ ذلك

معاوية وعَمراً « عَمْرو » وأهلَ الشامِ قَالوا: « **إنّ للهِ جُنوداً مِن عَسلٍ** ».

وقد ذكَر عُلماء السِّير وفى طليعتهم ابن جَرير فى تاريخه أن مُعاوية كان قد تقدّم إلى هذا الرَّجل فى أن يَحتال علَى الأشتر لأنّه من قَتلة عُثمان. وهذا فى تقديرهم دليل صحَّة القَول.

ولما بلغ علىَّ مَقتل الأشتر تأسّف على شجاعته وغنائه، وكتَب إلى مُحمد بن أبى بكر باستقراره، واستمراره بديار مصر.

وعن دُخول الأُمويين مصر جاءَ فى غير واحدةٍ من الرِّوايات أنُّه لمّا تعاظَمت المُشكلات ضدّ علىٍّ ﷺ، جهّزَ مُعاوية عمرو بن العاص فى ستة آلاف، وخرج مودِّعا إيّاه، وأوْصاه بتقوى الله والرِّفق والمهَل والتُّؤدة وغيرَ ذلك. وأرسلَ معه معاوية بن خُديج، وعبد الرحمن بن أبى بكر فسارَ عَمرو إلى مصر فلمّا قدمها اجْتمعَ عليه العُثمانية فى مصر فقَادهم، وأرسَل كتاباً إلى محمد بن أبى بكر يدعُوه إلى التَّنحِّي مُقابل السّلامة، ومثلَه كتاباً أرسَله مُعاوية.

فلمّا تسلّم ابن أبى بكر الكتابَين أرسلَهُما إلى أمير المؤمنين « علىٍّ » ﷺ ، وأرسلَ إليه يُعلمْهُ بقُدوم عمرو إلى مصر فى جيش من قبل مُعاوية يُناهز ستة عشر ألفاً ، ويطلُب إليه الأموالَ والرّجال ، كما أرسل ابن أبى بكر كتابَين إلى مُعاوية وعَمرو فيهما من الرّدِّ والغلظة ، وقام فى الناس فخَطَبهم ، وحضَّهم علَى الجهاد ومُلاقاة غُزاة أهل الشام .

وجاءَ جيشُ علىٍّ، ودارت جولاتٌ من الكرِّ والفرِّ، والحصار والتّضييق والتَّطويق، وتفرّق أصحابُ مُحمد بن أبى بكر عنه، ورَجع يَمشى فآوى إلى خَربة، ودَخَل عمرو فُسطاطَ مصر، وما هو بغَريب عنها، فإنّه هو الذى فَتحها، وأدخَلها إلى عزِّ الإسلام وشرَفه، وهو أعلَم بدُروبها، ودخَل قائدُه معاوية بن خُديج إلى مصر فمَرّ بعلوج (١) فى الطريق فقال لهم: هل مَرّ بكم أحَدٌ تستنكرونه ؟

قالوا: لا. فقال رجل منهم إنى رأيت رجُلاً جالساً فى هذه الخربة.

فقال ابن خُديج: هو. هو وربِّ الكعْبة، فدخلُوا عليه فاستخرجُوه منها وقد كادَ يمُوت عَطَشاً.

---

(١) كلُّ جافٍّ شديدٍ من الرِّجال (ج) عُلوج وأعْلاج

ومن عجائبِ الأقدارِ أن يأتيَ عبد الرحمن بن أبى بكر إلى مصر غازياً مع ابـن العاص لِيَنْتَزِعَها لصالح مُعاوية من أخيه مُحمد بن أبى بكر عاملها لِعَلىٍّ، وبهذا يكُون ولَدَا أبى بكر باتَ أحدُهما فى فريقِ الضِّد للآخَر.

انطلَقَ عبد الرحمن إلى عمْرُو بن العاص قائلا: أيُقْتَلُ أخى صبراً.

فأرسلَ عمرو إلى ابن خُديج أن يأتيه بِمُحمد ولا يَقْتُله فأبَى، وسـألُهم مُحمـد أن يسقُوه شَربةَ ماء.

فقَالَ ابنُ خُديج: لا سَقانى الله إن سقيتُك قطْرةً من الماءِ أبداً، إنّكم مَنعتم عُثمـان أن يَشرب الماءَ حتى قتلتمُوهُ صائما مُحرما، فتلقَّاهُ الله بالرَّحيقِ المَختوم.

وقد ذكر ابنُ جرير، وغيرُه أنّ محمدٌ بن أبى بكر نالَ من معاويـة هـذا ومـن عَمرو، ومن مُعاوية بن أبى سُفيان ومن عُثمان بن عفّان كذلك، فغضَبَ ابـنُ خُـديج فقدّمهُ فقتلَهُ، ثمّ جَعَلَهُ فى جيفة حمارٍ فأحرقه بالنّار.

فيَا لَلْحَسرة التى تعتصرني والألم الذى يُؤلِمُنى، لقد قُتل مُحمـد بـن أبـى بكـر الصِّديق عطْشانا كما قُتِل عُثمان عَطشانا، وحُرِّق ابنُ أبى بكرالـصديق بالنّـار فـى جيفةِ الحمار، علَى غيرِ ما يَفعل الرُّومانُ وعَبَدةُ النّار.الّلهُمَّ لُطفا ممّا جَرت به الأقدارُ.

ولمّا بلغ عليٌّ بن أبى طالب مقتلَ محمد بن أبى بكر، وما كان بمصر من الأمر، وما كان من تَمَلُّك مُعاوية من أمرها، واجتماعِ الناسِ عليه وابن العاص، قامَ عليٌّ فى الناسِ خَطيباً فحَضّهُم علَى الجهادِ والصّبر، والمَسيرِ إلـى أعـدائهم مـن الـشّاميِّن والمِصريِّن، وواعدَهُم { الجرعة } بينَ الكوفة والحيرة، فلمّا كان الغَـد خَـرج أميـرُ المُؤمنين ماشيا إليها فلم يخرج إليه أحدُ، ولم يسبقهُ أو يتبَعه أحدٌ، فلمّا كان دُخول الّليل بعثَ إلى أشرافُ الناس فدخلوا عليه وهو حَزين كئيبٌ، فقامَ فيهم خطيبا مُعاتباً علَـى الفُرقة لائماً علَى الامْتناعِ، مُذكِّراً بِمَن حَوْل مُعاوية، شاكيا ما يلقاه – أىْ عليّ – مـن جَهْلِ الناس. وقلّة عقْلهم، وجَفائهم وغِلظتهم، وفُجُورِ كثيرٍ منهم.

فقام إليه مالك بن كعْب الأوْسي، فندَبَ النّاسَ إلى امتثالِ أمْـر عَلـيٍّ، والـسّمع، والطاعةِ، حتى صارَ له ألفان من الجُند، بخلافِ ما انضمّ إليهم من الفارِّين من مـصر بعد مقتل مُحمد بن أبى بكر.

وقسّم عليٌّ رضوانُ الله عليه أوضاعَ دولَتِه إدارياً عَلَى النّحو التّالى:

١ – قُثَم بن العباس نائبه على مكة .

٢ – عُبيد الله بن العباس نائبه على اليمن .

٣ – عبد الله بن العباس نائبه على البصرة .

٤ – تمّام بن العباس نائبه على المدينة .

٥ – خالد بن قُرة اليَربوعى خَراسان

أما مصر فقد استقرّت بيد **معاوية** بالاضافة إلى الشّام.

وبذلك انقَسمت الأُمّةُ الإسلامية شكلاً وموضُوعاً إلى دولتين . مُتحاربَتَيْن، مُتنافسَتين، مُتضادَتين فى ثارات (١) هُما:

الأولى: **الهاشميّة:** وعلَيْها أميرُ المؤمنين عليُّ بن أبى طالب ﷺ .

الثانية: **الأُموية:** وعليها مُعاوية بن أبى سُفيان، وقد ولاّه عُثمان بن عفّان رضى الله عنه أثناءَ خلافته.

وقد جيّش معاوية جيوشَه التى أخذت تكرُّ وتفرُّ علَى دولة الهاشميين، وتعدّدت الحروبُ بين الدولتين فانهزَم الأمويين فى واحدة، وغَلبوا فى أُخرى، وتمّكنوا مَعها من حَمل ما كان من الأموال بالأنبار، وكرُّوا راجعين إلى الشّام.

ولمّا اشتهر هذا الصّنيعُ فى البلاد، تشوّش قلوبُ كثير من الناس علَى علىٍّ ﷺ، واختلفوا وتذمّروا وتمردّوا عليه، ولا سيّما أهل فارس، حيثُ مَنعوا الخراج والطّاعة، وأخرَجوا عاملهم سَهل بن حنيف.

فولّى عليٌّ بلادَ فارس لابن أبيه (زياد) وهو صليب الرأى، عالم بالسيّاسة،فسار إليها فى أربعة آلاف فارس فدوّخَ أهلَها، وقهرَهُم، وأَخضعهُم حتّى استقاموا، وأدُّوا الخراج، وما كان عليهم من الحقوق، وعادوا إلى السّمع والطاعة، أمّا هو فقد سادَ فيهم بالمعدلَة والأمانة حتىّ صفَت له تلك البلادُ بعدله وعمله وصرامته واستقامَ حالُها، ودَانت وامتَثلت.

---

(١) الثأر: الدم نفسه، الثأر المنيم: الذى إذا أصابه الطالب رضى به فهدأ – جمع آثْآر، وثأرات، وثارات

أ – مقتل الفدائى الأول سنة ٤٠ أربعين هـ.

تنطقُ الأحداثُ بما صارت إليه الحوادثُ، فأميرُ المؤمنين عليّ ﷺ قد تنغصّت عليه الأمورُ، واضطّربَ عليه جيشُه، وخالفَه أهلُ العراقِ، ونكَلوا عَن القيام معه، واستفْحلَ أمرُ أهلِ الشامِ، وصالُوا وجالُوا يميناً وشمالاً، زاعمين أن الإمْرةَ لمُعاوية بِمُقتضى حُكم الحَكَمين فى خَلعِهما عَليّاً، وكانوا يسمُّونه الأمير بعْدَ التّحكيمِ وكُلّما ازدادَ أهلُ الشّام قُوةً ضَعُفَ ووهنَ جأشُ رباط أهلِ العراق.

وقد كثُرت الفتنُ، وظهَرت المحنُ، وعليٌّ خيرُ أهلِ الأرضِ فى ذلك الزّمان وهو أعبدهم وأزهدهم وأخشاهُم لله عزّ وجلّ، ومع كلّ هذا فقد خذَله رفاقُه، وتخلّى عنه جُندُه، وتَفرّق عنه أتباعُه غير القليل كما ذَكَرْنا، حتى كَرِهَ الحياةَ، وتمنّى الموتَ، حتى كثُرَ قولُه (ما يَحْبِسُ أشْقَاها ؟ أىْ ما يُنتظر بَعد ذلك ؟ مالَه لا يُقتل ؟ ثُمّ كان يقول: واللهِ لتُخضبنّ هذه – ويُشير إلى لحيته – من هذه – ويُشير إلى هامَته وكأنه يقطع بأنه لا مَناصَ مقتُول).

وقد ذَكرَ ابن جريرٍ وغيرُ واحدٍ من عُلماء التّاريخ والسِّيَرِ وأيّام الناس أن ثلاثةً مِن الخوارجِ وهُم (عبد الرحمن بن عمرو، والبُرك بن عبد الله التميميّ، وعمرو بن بكر التَّميميّ) ووردَ أن الثّالث هو« ذادْويه » موْلى بنى العَنبر(١)، وقد اجتمعوا فتذاكَروا قَتْل إخْوانهم مِن أهلِ النّهروان – وهُم قتلى عَليّ علَى نَحو ما تقدّم عند النّهروان – فترحّمُوا عليهم وقالوا: ماذا نصنع بالبقاءِ بعدهُم ؟ واتّفقوا علَى قولهم: لو اشترَيْنا أنفُسَنا فأتَيْنَا أئمّة الضّلال فَقتلناهم، فأرحْنا منهم البِلادَ وأخذْنا منهم ثأرَ إخواننا!

فقالَ ابن عَمرو المُلقّب بابنِ مُلجم الحميري الكندي: أمّا أنا فأكفيكُم عَلِيَّ ابن أبى طالب، وقال البُرك: وأنا أكفيكم مُعاوية، وقال عَمرو بن بكرٍ وأنا أكفيكُم عَمرو بن العاص، فتعاهَدوا وتواثقُوا أن لاّ ينكُص(١) رجلٌ منهم عَن صاحبه حتّى يَقْتُله أو يَموتَ

---

(١) مروج الذهب للسعودى.

(٢) نكص نكوصا: رجع إلى الخلف، وعن الأمر أحجم، ويقال نكص على عقبيه: رجع عما كان قد اعتزمه وأحجم عنه.

دُونه، فأخذوا أسيافَهم فسمُّوها، واتّفقوا على أن يثِب كلُّ واحدٍ منهم علَى صاحبِهِ فـي بلده الذى هو فيه.

وقد دَخل ابنُ مُلجم {عبد الرحمن بن عَمرو} المُلقّب كذلك بالكندي، إلى الكُوفة وكَتمَ أمرَهُ حتّى عَن أصحابه مِن الخوارج الذين هُم بها.

وفى جلسةٍ له بينَ أصحابه يتذاكرون قتلاهُم من أهلِ النّهروان، إذ مـرّت بهـم امرأةٌ فائقة الجَمالِ مشهورة به، وكانت قد انقطعَت تتعبّد فى المسجدِ الجـامعِ بعـد أن قَتَلَ عليٌّ أباها وأخَاها يوم النّهروان، وتُدعى قُطام بنت الشّجنة، فلمّا رآها ابنُ مُلجـم سلَبت عقلَه، ونَسى حاجَته التى جاءَ لهَا، وذَهب يخطبُها لنفسه، فاشترطَت عليه أربعة هُم: (ثلاثة آلاف درهم، وخادما، وقيّنة(١)، وأن يقتُل لها عليَّ بن أبى طالب).

فقالَ: هُو لك، والله ما جاءَ بى إلى هذه البلدة إلاّ قتل عليٍّ، فتزوّجَها ودخَلَ بهـا، ثُم شَرعت تُحرِّضهُ علَى ذلك، وندَبت له رجُلا من قومِها لِيكون مَعه " رِدءاً " يُقال له { وردان }.

واستمالَ بن مُلجم رَجُلاً آخرَ يُقال لهُ شَبيب بن بَجرة الأشْجَعىِّ الحَرُوريّ.

قال له ابن مُلجم: هلْ لكَ فى شرفِ الدُّنيا والآخرة ؟ فقالَ: وما ذاكَ ؟

قالَ: قَتْلُ عَلِيٍّ.

فقالَ: ثكلتكَ أمُّك، لقد جئت شيئاً إدّاً، كَيف تَقدِر عليه ؟

قالَ: أكمُن له فى المسجد، فإذا خَرج لِصلاةِ الغَدَاة شَدَدْنَا عليه، فإن نَجوْنا شـفَينا أنفُسَنا وأدركْنا ثأرَنا، وإن قُتلنا فَما عند الله خيرٌ من الدنيا وما فيها.

فقالَ: ويْحَك ! لو غَير عليٍّ لكَان أهونَ عَلَيَّ، قد عَرفتُ سـابقتَه فـى الإسـلام وقرابَته من رسول الله ﷺ، فما أجدُنى أنشرحُ صدراً لِقَتله .

فقالَ: أما تَعلم أنّه قَتَل أهلَ النّهروان ؟ فقالَ: بلَى.

قالَ: فنقتُله بمَن قَتل من إخواننا، فأجابَه إلى ذلك بعدَ لاءَاتٍ كثيـرةٍ، وفـى ليلـةِ الجمُعة لِسَبْعَ عشرَ خلَت من رمَضان سنة أربعين من الهجرة، اجتمع ابن مُلجم بهمـا وقَالَ لهُما: هذه هِى اللّيلة الّتى واعدتُ أصحَابى فيها أن يثأرُوا بمُعاوية وعَمـرو بـن العاص.

---

(١) القينة : المغنية . و – الماشطة (ج) قيان

فجاءَ الثّلاثة « ابن مُلجم، ووردان، وشَبيب » وهُــم مُــشتملون علَـــى سُـــيوفهم فجَلسُوا مُقابل السُّدَّة (١)، التى يخرجُ منها عليٌّ ﷺ، فلمّا خَرَج جَعَل يُوقظ النـــاسَ مـــن ثُباتهم إلى الصّلاة. ويقُول: الصّلاةُ الصّلاةُ، فثَارَ إليه شَبيبٌ بالسّيف فضربَه به فوَقَــع سيفَهُ بالطّاق، فضرَبَهُ ابنُ مُلجم بالسّيف علَى قُوّته فسالَ دَمُه علَى لحيتــه ﷺ، ولمّـا ضربَه ابنُ مُلجم قالَ: **لا حُكم إلاّ لله، ليسَ لكَ يا علىّ ولا لأصحابك**، ونـــادَى علَـــىٌّ: **عليكُم بهم**، وهَرَب وردان فأدركَه رجلٌ من حضرموت فقتلَه، وفاتَ ابن شَـــبيب مـــن الناس فنَجا بنَفسه، وأمسك الحضورُ بابن مُلجم.

وأمَرَ عليٌّ أحدَ المُسلمين بأن يؤُمَّ الناسَ، وحُمل هُو فرَجَع إلى داره، وجاءوا إليه بابن مُلجم مكتوفاً فقالَ له: أىْ عدوَّ الله. ألَمْ أُحسن إليكَ ؟

قال: بلَى.

قال: فما حملَك علَى هذا ؟

قال: شحذْتُه أربَعين يوماً، وسألتُ اللهَ أن يُقتل به شرُّ خلقه.

فقالَ له عليٌّ: لا أراكَ إلاّ مَقتولا به، ولا أراكَ إلاّ من شرِّ خلق الله. ثُم قـــال إن متُّ فاقتُلوهُ، وإن عشتُ فأنا أعلَم كيفَ أصنعُ به، فقالَ {جندب بن عبد الله} وهو شاهد علَى الحدَث: يا أميرَ المُؤمنين إن متَّ نُبايع الحَسَن ؟

فقالَ: لا آمُركُم ولا أنهاكُم، أنتم أبْصَرُ – أىْ – أدْرَى بحَالكم، ووصّى عَليٌّ بَنيــه لمّا احتضرَ، ثمّ لم ينطق إلاّ بلا إلَه إلاّ الله حتّى قُبض فى شهر رمضانَ من سنته ولهُ من العُمْر ثلاثٌ وستين سَنَة علَى المشهور، وقـــد غـــسّله ابنـــاهُ الحَـــسن والحُـــسين، وصلّىعليه ابنُه الحَسن فكبّر تسع تكبيرات، ودُفن بدار الإمارة بالكوفة، خوفاً عليه من الخوارج أن ينبشُوا عن جُثّته – وهذا هو المشهور – ومَن قال: إنّه حُمل علَى راحلته (البعير) وقيل أنّه ضلّ منهم، فأخَذَتْه طيِّئ يظُنُّونه مـــالاً، فلمّـــا رأَوا أنّ الـــذى فـــى الصُّندوق ميِّت ولم يعرفُوه، دفَنوا الصُّندوقَ بما فيه، فلا يَعلم أحدٌ قبرَه وسُبحان الـــذى به وبنا أعلَم.

وأمّا البرك صاحب مُعاوية فإنّه حَمَلَ عليه وهو خارجٌ إلى صلاة الفجر فى هـــذا

(١)هى : الظُّلة التى عَلَى باب المنزل تقيه المَطَرَ ، وقيلَ هى باب الدار .

اليوم فضربَه، قيل بخنـــجرٍ مسمومٍ وقيل بسيفٍ، فجاءَت الضّربة فى وركه فخرجت إلْيتُه، ومُسك به فَقُتل، وجاءَ الطبيبُ إلى مُعاوية فقالَ: إن جُرحك مـــسمُومٌ، فإمّـــا أن أكْويك، وإمّا أن أسقيك شربةً فيذهَب السُّمَّ ولكن ينقطع نسلَكَ.

فقالَ مُعاوية: أمّا النّارُ فلاَ طاقةَ لى بها، وأمّا النّسل ففى يزيد وعبد الله ما تَقرُّ به عينى، فسقاهُ شربةً فبرأَ من ألمه وجراحه واستقلّ وسَلم ﷺ.

أمّا عَمرو بن بكرٍ صاحب عمرو بن العاص فإنّه كَمنَ له ليخرُج إلـــى الـــصّلاة، وشاءَت إرادةُ الله أُخرى، فقد تعرّض لعمرو بن العاص مَغصٌ شديدٌ فى يومه هذا فلم يخرُج إلاّ نائبُه إلى الصّلاة وهو المعروف (خارجة بن أبى حبيبة من بنى عامرٍ مـــن لُؤَىّ) وهو قائدُ شُرطة عَمرو، فحَمَلَ عليه الخارجى فقَتَله اعتقَاداً منه بأنه عَمرو بـــن العاص، فلمّا أُخذَ به قالَ: أردتُّ عَمرو بن العاص وأراد اللهُ خارجة، فأرسلَها مـــثلاً، ثُمّ أَمَرَ به عَمرو فضُربت عُنُقه.

وما أن فرَغ أهلُ الكُوفة من شأنهم بعد مَقتل عليٍّ ﷺ ، تقدّم قيسُ ابن ســـعد بـــن عبادة. وكان علَى إمرة أذربيجان لعَلىٍّ إلى الحَسن ﷺ وعَن أبيه وأُمِّه، وقال له: ابسُط يدكَ أُبايعُكَ علَى كتاب الله وسُنّة نبيِّه ﷺ، فسكَت الحَسن فبايعَه ثمّ بايعَه النـــاسُ يـــومَ ماتَ علىٌّ .

وكان تحتَ يد قيسٍ بن سَعد أربَعون ألف مُقاتلٍ قد بايَعوا عليّاً علَى المَوت، فلمّـــا مات ألحّ قيسُ علَى الحَسن فى النّفير لقتال أهل الشامِ غيرَ أنّ الحسن لم يكُن فى نيّتـــه أن يُقاتل أحداً، فعزَل قيساً عن إمرة أذربيجان، وولّى عبد الله بن عبّاس علَيها.

ثُمّ غلَبوه علَى رأيه فنزَل علَى رأيهم، وأمَّر الحسنُ قيسَ علَى المُقدمة فـــى اثنـــى عشر ألفا، وقَصَد الشامَ، فلمّا اجتازَ المدائن نزل بها، وعسكَر بظاهرها، وبينَمـــا هُـــم كذلك، إذ صَرَخَ فى الناسِ صارخٌ ألا إنّ قيسَ بن سعد بن عُبادة قد قُتل، فثارَ النـــاسُ فانتَهَبوا أمتِعةَ بَعضهم، حتّى انتَهَبوا سُرادق الحَسن، ولمّا همّ الحَسن بركوب راحلَتـــه طَعنه بعضُهم طعنةً فأثبَتُوه وأشْوَتْهُ(١). فَكرهَهم الحَسن كَراهة شديدةً، وعَرَف تفـــرُّقَهم واختلافَهم.

---

(١) نالَت منه ولم تُصب مقْتَله.

ولمّا تفرّق جيشُه عليه مَقَتهم، وكَتَب إلى مُعاوية بن أبى سفيان يُراوضه علَى الصُلح بينهُما، واصطلَحوا علَى شُروط ذكَرَها الحَسن وقبلها مَبعُوثا مُعاوية للتّفاوُض.

وكتبَ الحسنُ إلى أميرِ جيشه قيس بن سعد يطلبُ إليه السّمع والطّاعـــة، فـــأَبَى واعتزلُهم جميعاً بمن أطاعَه، ثمّ لم يلْبث أن بايَعَ الحسنَ.

وكان تسليمُ الحسن الأمرَ لمعاوية فى الخامس مـــن ربيـــع الأوّل ســـنة إحْـــدى وأربعين، من الهجرة، وقيل فى ربيعٍ الآخر، ويُقال فى غُرّة جُمادى الأُولى فاللهُ أعلمُ.

وقد لامَ الحُسَينُ لأخيه علَى هذا الرأي فلم يَقبل منه أن خلَع نفسه مـــن الإمـــارة، غير أنّ الحسنَ ﷺ قد سلّم المُلك فعلا إلى معاوية، وخرَج وأهلُه قاصدين المَدينة.

وقد أَصلْح الحَسنُ بين الطائفَتين المُسلمتين المُتحاربتين، وصدقَ فيه قـــولُ جـــدّه الكريم مُحمّد الأمين عليه أتمُّ الصّلاة والتّسليم فيما رُوى عنه أنّه أقبلَ علَـــى الحَـــسن فقبّله ثمّ قالَ: « إنّ ابنى هذا سيّد، إن يعش يُصلح بينَ طائفتين من المُـــسلمين.(١) »، ومَاتَ الحَسن وهو ابنُ تسعٍ وأربَعين علَى المشهُور سنة خَمسين من الهجرة، وقيل فى ثمانٍ وخمسين، ودُفن بجوار أُمّه بالبَقيع رضى الله عنهم جَميعا.

---

(١) غير واحد من المصادر وفى غير واحدة من الروايات.

ب – عامُ الجَمَاعة

عَرف المُسلمون نِظَامَ الخِلافة، ومارسُوهُ ثلاثينَ سنة بعد وفاته ﷺ، وقـد انتهـت عَمليّا بعد أن سلّم الحَسن لمعاوية ، كما تقدّم .

وبذلك استقرّت الأمورُ لمعاوية، ونقَل مركزَ الخِلافة من المدينـة إلـى دمـشق، وصار أوّل مُلوك الإسلام وخِيارهم. وذلك فى ربيع الأوّل من سنة إحدى وأربعين من الهجرة، وقد دخَل الكوفة التى كانت مركزاً للشِّيعة والعَلَويِّين، وخطَـبَ النـاسَ فيهـا خُطبةً بليَغةً بَعدما بايعَه الناسُ، واستوثَقَت له الممالك شرقاً وغربـاً، وبُعـدا وقُربـاً، وسُمِّى هذا العام عامُ الجَماعة لما كان فيهِ من اجتماعِ الكَلمة بَعد الفُرقة.

غيْر أنّ جماعةً من الخوارجِ تُدانى الخمسمائة الموجودين بالكُوفة لـم يلبَثـوا أن تمرّدوا علَى مُعاوية وخرجُوا عليه، ودخَلوا فى قتال شديدٍ مع أهل الكُوفة فهزمَهم أهلُ الكوفة وطرَدُوهم، وآلت الأمورُ إلى الاستقرار، والأوضاعُ إلـى الثّبـات، ودامَ مُلـك مُعاوية حتى حضرَه الموتُ فى استهلال رجَب من سنَة ستِّين من الهجرة، وقيل غيـرُ ذلك، وأجمَعوا أنّه مات فى رجَب من تلك السّنة.

وقد أُخذت البيعةُ ليزيد بن مُعاوية بالخِلافة قَبل مَوت أبيه فى رَجب مـن الـسّنَة ذاتها، وليزيد من العُمر آنئذٍ أربع وثلاثين عاماً، ولمّا مات أبـوه بُويـع لـه، وكـان الحُسين ممّن امتنعَ من مُبايعته هو وعبد الله بن الزُّبَير، وعبد الرحمن بن أبـى بـك، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عبّاس، ثم مات ابن أبى بكر وهو مُصمِّمٌ علَى ذلك.

وأكّدا الحُسينُ وابنُ الزبير علَى مُخالفتهما للأمرِ وإصـرارهما علَـى الـرّفض، وخرجا فارّين إلى مكّة فأقاموا بها، فعكَف الناسُ علَى الحُسين يفدون إليه، ويُقـدمون عليه، ويجلِسون حواليه، ويسمَعُون كلامَه حين سمعوا بموتِ مُعاوية وخلافة يزيد.

أمّا ابن الزُّبير فإنّه لازمَ مُصَلاّهُ عند الكعبة، وأخذَ يتردّد بـين الأوقـاتِ علَـى الحُسين فى جُملة الناس، وهو عاجز تماماً عَن التَّحرُّك بشيءٍ ممّا فى نفسه مع وجودِ الحُسين نظراً لتعظيم الناسِ له وتقديمِهم عليه، علَى الرّغم من انقشاع الحمَلات الزّيدية التى جاءَت من الشّام إلى مَكة للقضاءِ علَى ابن الزُّبير الذى انتصَر علَـى مَـن أرادَ هلاكَه من اليزّيديِّيّن بمن فيهم أخُوه عُمرو بن الزُّبير – وكان عـدُوّاً لأخيـه – وقـد اقتصّ منه وأهانَه.

عظُم شأنُ ابن الزبير فى بلاد الحجاز، واشتهَر أمرُه وبَعُد صيتُه، ومعَ هذا كلِّه لم يكن مُعظّما عند الناس مثل الحُسين. والنّاس أمْيَل إليه لأنّه السيِّد الكَبير، وابن ابنة رسول الله ﷺ، فليْس علَى وجهِ الأرض يومئذٍ أحدٌ يُساويه أوْ يُساميه، ولكن الدّولة اليزيدية كانت كُلها تُناوئُه.

ولمّا شاعَ فى الأمْصار موتُ معاوية وبيعةُ يزيد، ولجوءُ الحُسَين إلى مكةَ فراراً من بَيعة يزيد ومتحصِّناً بالبيت ومعه ابن الزبير. كما ذَكَرنا، كثُرت الكُتب والمُكاتبات الواردة إلى الحُسين من بلاد العراق يدعونه إليهم، وجاءَ مَن يحمل مائة وخمسين كتابا دُفعة واحدة، ثم تَبعهم مَن يحمل كتابا فيه الاستعجالُ فى السّير إلى العراق، واجتَمعت الرُّسلُ كلُّها عند الحسين، وجعَلوا يستحثّونَه ويستقدمُونه عليهم ليُبايِعُونه لأنّهم لم يُبايعوا يزيداً، وأنّهم فرحوا بموت مُعاوية، وأنّهم ينَالون منه، ويتكلّمون فى دَولته. وأنّهم فى العراق فى انتظار قُدومه لتقديمه عليهم ومُبايعته.

فأرسلَ الحُسين ابن عمِّه « مُسلم بن عَقيل بن أبى طالب » إلى العراق ليكشف لهُ عَن حقيقة الأمر، وجديَّة المعرُوض فى الكتابات، فإن وجَده مُتحتِّما وأمْراً حازما وقضاءً مُحكَما، أرسلَ إليه ليركبَ فى أهله وذَويه، ويأتى إلى الكُوفة ليظْفر بمن يُعاديه، وكَتب معه كتاباً إلى العراق بذلك.

فسار مُسلم إلى الكُوفة من مكّة، وفى طريقه إليها من المدينة أخَذَ منها معَهُ دَليلين فَسلَكاَ به براريّ مهجُورة المَسَالك، غير معلُومة الدُّروب فهَلَك واحد منهما فتطيَّرَ(١) به مُسلمٌ وماتَ الدّليل الآخر، غيرَ أنّ مُسلم انتهى إلى العراق، واجتمعَ بأهل الكُوفة ليستعلم أمرَهم ويستخْبرَ خبَرَهُم.

تسامَعَ أهلُ الكوفة بقدُومه فَجاءُوا إليه فَبايعوهُ علَى إمرَةِ الحُسين، وتكَاثَروا عدداً حتى صاروا ثمانية عشرَ ألفاً، وأرسلَ مُسلم إلى الحُسين ليقدم إلى الكُوفة، فقد تمهّدت له الأُمورُ، وباتَت له البيعةُ، فتجهّزَ الحُسينُ قاصداً الكُوفة.

انتشرت الأخبارُ حتى وصلَت أميرَ الكُوفة ليزيد بن مُعاوية(النُّعمان بن بَشير)، فضربَ عَليها صَفْحاً ولم يعْبأ بها، وخَطَب الناسَ فَنَهَاهُم عن الفتنة والاختلاف، فَذَكّرَهُ أحدُ رجاله بأنه يَسلُك مَسَالك المُستضعفين، فلم يتغيّر مَوقف البَشير، فكتبَ

(١) تَشَاءَم: وفى القرآن الكريم ﴿ قالوا إنا تطيّرنا بكم ﴾ [يس: ١٨] .

الرِّجلُ إلى يزيد يُعلمه بالحال ويُنبئه بالمآل.

فبعثَ يزيدُ فعزلَ النُّعمانَ، وولّى « عُبيد الله بن زياد » أمير البصْرة، علَى الــرّغم من بُغضه إيّاه، وكان يُريد أن يعزلَه عنها، فأصبحَ ابنُ زيادٍ أميــراً علَــى البــصرةِ والكُوفة معاً لِمَا يُريد اللهُ به وبغَيْره.

وبعدَ حوادثَ وعوارِض أخرجَ عبيد الله من أُمرائه مَن ينتــشرون فــى الكُوفــة يخذلُون الناسَ عَن مُسلم بن عَقيل ففَعلوا ذلك، ووُفِّقُوا، فَبقى وحدَه ليس معهُ مَن يدلُّــه علَى طريقٍ للخروجِ والنّجاة، ولا من يُؤنسه بنفسه، ولا مَن يُؤويه إلى منزِله، فــذهبَ هائماً علَى وجْهه، يجدُ فى نفسه كثيراً من جسام الأحداثِ وشدائد الأُمــور، واخــتلَط الظّلام وهُو وحدَه فى الطّريقِ لا يدرى أينَ يَذهب.

ثُمّ أتى باباً فنزَل عنده، فخَرجت منه امرأةٌ يُقالُ لَهَا « طَوْعــة » فــسألَها مُــسلم الماءَ فَسقتْهُ، وخرجَت فوجَدتْه، فلمّا عرَّفَها به أوَتهُ حتّى الصّباح.

وخَرج عُبيد الله فى جماعةٍ يطلُبونه، ولمْ يشعُر مُسلم إلاّ وقد أُحيط بالــدّار التــى هو فيها، بنحو من ثَمانين فارِس.

فَدخلوا عليه، فقامَ إليهم بسَيفه فأخرجَهم من الدّار ثلاثَ مــرّات، وأُصــيب فــى وجْهه، ثمّ جعلُوا يرمُونه بالحجارة، ويُلهبون النّار فــى أطْنــانِ القَــصب المُجــاورة للمنزل، فَخرج إليهم بسَيفه فقاتَلهم، فأعطُوه الأمانَ، وأركَبُوه بَغْلــة، وجــرّدُوه مــن سلاحه، فلم يبقَ يملك من نفسه شيئاً، فبكَى عند ذلك وعرَف أنّه مقْتولٌ، فيــئس مــن نفسه وقالَ: « إنّا لله وإنّا إليه راجعون ».

فقالَ بعضُ مَن حَولَه: إن مَن يطلُب الذى تطلُب لا يَبكى إذَا نزَل به هذَا، فقــالَ: أنَا والله لستُ أبكى علَى نفْسى، ولكن أبكِى علَى الحُسين وآل الحُسين، إنّه قــد خَــرج إليكُم اليومَ أو أمْس من مكّة.

والتفتَ مُسلم إلى مُحمد بن الأشْعث فقالَ: إن استطَعتَ أن تبعَث إلى الحُسين علَى لِسانى تأمُرُه بالرُّجوع فافعَل، فبعثَ ابن الأشْعث فــى ذلــك فلَــم يــصدُق المبعُــوث بالرِّسالَة.

ولاقَى مُسلم من الهَوان ما لاقَى، ثُم أمَر عُبيد الله بن زياد بمُسلم بن عقيــل ابــن أبى طالِب، فأُصعد إلى أعلى القَصر وهو يُكبِّر ويُهلِّل ويُسبِّح ويَستغفــر ويُصلِّى علَى

ملائكة الله ويقولُ: اللَّهم احكُم بينَنَا وبينَ قـوم غـرُّونا وخَذَلُونا، ثمّ ضَـرَب عُنقـه رَجلٌ يُقال لَه « بَكير بن حمران » ثمّ ألقـى رأسَه إلى أسفـل القَصر، وأتبعَ رأسـه جسدَه « **فى يومِ عرفةَ** »، ثُم أمَر ابنُ زِياد بهانئ بن عروة المذحجى الذى كـان قـد آوَى مُسلماً وناصرهُ عندما قدُم إلى الكُوفة، فضُرِبت عنقُ هانئ بسوق الغَنَم، وصُـلب بمكان من الكوفة يُقال له الكناسة.

وقد قَتَلَ ابنُ زيادٍ معهُما آخرين، ثُم بعَث برُءوسهم إلى يزيد بـن مُعاويـة فـى الشّام.

أقبلَ الحُسين بن عليٍّ إلى العراق وقتَ السّحر، فأناخُوا، واسـتراحُوا، وشـربُوا ونهلُوا، ولمّا دخَل وقتُ الظُّهر ونُودى للصّلاة خرَج الحُسين فى إزارٍ ورداءٍ ونَعلـين، فخَطَب الناسَ من أصحابه وأعدائه، واعتذَرَ إليهم فى مَجيئه هذا إلى ههُنا، وأطلَعهُـم علَى أنّ أهلَ الكوفة قد كتبُوا إليه أنّه ليسَ لهُم إمام، وإنْ أنتَ قدمتَ علَينـا بايعنـاكَ، وقاتلنا معكَ.

فقامَ أحدُ الناس يُقال له " الحُرُّ " وقالَ: إنّا لا ندرى ما هـذه الكُتـب ! ولا مَـن كَتَبها؟ فأحضرَ الحُسين خُرْجَين مملُوءَين كُتباً من تلك التى بعثَها إليه سلفاً مُـسلم بـن عقيل، رسُوله إلى أهلِ الكُوفة، فنثَرَها بين يديه، وقَرَأَ منها طائفةً، فقالَ الحرُّ: لَسْنَا من هؤلاءِ الذين كَتبوا إليك فى شئ، وقد أُمِرْنا إذا نحنُ لقيْناك أن لاّ نُفارقَك حتى نُقـدِّمُك علَى عُبيد الله بن زياد فقالَ الحُسين: الموتُ أدنى من ذلك. وأرادَ الانصرافَ، فركـب وركِب أهلُه وركب النِّساء، وحالَ القومُ بينه وبينَ الانصراف.

وبعد حجج بينهما قال الحرُّ: إنّى لم أُومر بقتلك، وإنّما أُمرتُ أن لاّ أفارقُك حتـى أُقدِّمك الكُوفة علَى ابن زياد، فإذا أَبَيتَ فخُذ طريقاً لا تصل بك إلى الكُوفة، ولا ترجع بها إلى المَدينة، فلعلّ الله أن يأتى بأمرٍ يرزقُنى فيه العافيةَ من أن أُبتلـى بـشئ مـن أمْرك.

وبَلَغَ ابن زيادٍ خَبَرَ الحُسين، فأرْسَلَ إليه الرُّسلَ: ما الذى جَاءَ بك ؟

فقالَ: كتَبَ إلَىَّ أهلُ الكوفة أن أقْدم عليهم، فإذا قد كرِهُونى فأنا راجعٌ إلى مكّـةَ وأذَرُكُم، فلمّا بلغَ القائدُ {عَمرو بن سعد بن أبى وقاص } وهُو المأمُور من ابـن زيـاد بقتالِ الحُسين. قال: أرجوا أن يُعافِينى اللهُ من حَـرْبِه. وكتبَ إلى ابن زياد بذلك، فردّ

عليه ابن زياد: أن حــُلْ بينَهُم وبينَ المـــاءِ، كما فُعِل بالتَّقـــِيِّ الذّكِى المظلُــوم أميـــر المُؤمنين « عُثمان بن عفّان »، واعرِض علَى الحُسين أن يُبايع هو ومَن مَعه لأميـــر المُؤمنين يزيد بن معاوية فإذا فعلُوا ذلك رَأَيْنَا رَأْيَنَا، ومَنَع أصحابُ عَمـــرو الحُـــسينَ الماءَ، وفى طليعتهم عَمرو بن الحجّاج، فَدَعا علَيهم الحُسين بـــالعَطَشِ، فَمـــاتَ هـــذا الرَّجُل من شدّة العطَش.

وكتبَ عُبيد الله بن زياد إلى عَمرو بن سعد بن أبى وقّاص يَتَهدَّدُه علَى توانيهِ فى قتالِ الحُسين ويتوعّده بالمَشاق.

هذا والحُسين وآلُه محصُورون فى الخيامِ.

ثمّ نادى عمرو بن سعد فى الجيش: يا خيلَ الله اركبى وأبشرِى، فركبوا وزحَفــوا إليهم، والحُسين أمامَ خَيمته مُحتَبِياً بسيْفِه، ونعَسَ فخفَقَ برأسه، وسَمِعت أختُه ضـــجّةَ القادمين فدَنت منه فأيقَظتهُ، فرجعَ برأسه كما هو – وقالَ: إنِّى رأيـــتُ رســـولَ الله ﷺ فى المنامِ فقال لى:« إنّك تروحُ إلينَا » فَلَطَمَت وجْهَهَا وقالَت: يا ويْلَتَنَا. فقـــالَ: لـــيس لكِ الويلُ يا أُخَيَّةَ ! اسكُتى رَحِمَكِ الرّحمنُ. وتيقَّن الجميعُ من أنّ الحُسينَ ﷺ مقتُــولٌ من يَوْمِهِ هَذَا.

ثانيا: الفَجيعَةُ

لمّا استيقظَ الحُسين ﷺ بَعد أن رأى جدّه فى المَنام، وبشّرهُ بلقائه، بعدَ أن أيقظَتْهُ أختُه لمّا سمعَت بقُدوم الجَيش، فخَرجَ إليهم أخُوه العبّاس بن علىٍّ، وعادَ إلى أخيه الحُسين وتأجّل اللّقاءُ إلى الغَد.

وقَضى الحُسين ليلَتَه يخطُب أصحابَه، ويُوصِى أهلَه، ويتأذّن لمن أرادَ الانصرافَ إلى أهله قائلا: فإنّ القومَ إنّما يُريدونَنى.

فقالَ رجلٌ يُقالُ له مالك ابن النّضر: علَىَّ دَيْنٌ وَلِىَ عِيَالٌ.

فقالَ رضى الله عنه وعن أباهُ وأمّه وجدّه: هذا اللّيلُ قد غَشيكم فاتّخذوه حَجَلاً – أىْ ستْرًا – ليأخُذ كلُّ رَجُل منكم من أهْل بَيتى، ثُم اذهَبُوا فى بَسيطِ الأرض فى سَوَاد هذا اللّيل إلى بلادكم ومدائنكم، فإن القومَ يُريدُوننى، فلو قد أصابُونى للَهو عَن طَلب غَيْري، فاذهَبُوا حتى يُفرِّج الله عز وجلّ، فقالَ له إخوتُه وأبناؤُه وبنُو أخيه: لا بقاءَ لنا بعدَك، ولا أرانا اللهُ فيك ما نَكرهُ.

فقالَ الحُسينُ: **يا بَنى عقيلٍ، حسبكُم بمُسلم أخيكُم، اذهَبُوا فقد أذنتُ لكُم.**

قالوا: فمَا نقُولُ للنّاس ؟ إذا تركْنا شيخَنَا وسيّدَنَا وبَنى عُمُومَتنا خَيرالأعمام، لم نرْمِ معهُم بسَهمٍ، ولم نطْعَن معَهم برُمحٍ، ولم نضرب مَعهم بسيفٍ، رغْبةً فى الحياة الدُّنيا، لا والله لا نفْعَل، ولكن نفديك بأنفُسنا وأموالنا وأهلينا، ونُقاتل معكَ حتّى نَردْ مَوْردَكَ، فقَبّحَ اللهُ العَيْش بَعدَك.

وقالَ نحو ذلك من صُحبته « مُسلم بن عَوسَجَة الأسْدىّ، وسعدُ بن عبد الله الحَنَفىّ ». قالاَ: والله لا نُخلِّيك حتى يَعلَم الله أنّا قد حفَظَنا غيْبَةَ رسُول الله ﷺ فيك، والله لو عَلمنا أنّا نُقتل دونَك ألفَ قتْلة، وأنّ اللهَ يدفعُ بذلك القَتْلَ عَنك، وعن أنفُس هؤلاء الفتية من أهل بيتك لأحْبَبنا ذلك، وإنّما هى قَتْلَةٌ واحدةٌ.

وتكلّم جماعةٌ من أصحابه فيه كُلّ شبَه من وَجْهٍ واحدٍ وعلَى قولٍ واحدٍ، وتتابَعَ الجميعُ علَى ذلك.

واعتزلَ الحسينُ فى خيمَته ومَعه أصحابُه وأخَذ يقُول :

يا دَهْر أُفٍّ لكَ من خـَليل * كـَم لكَ بالإشـــرَاقِ والأصيل

من صاحب أو طالب قَتيل * والدَّهرُ لا يقْنعُ بالبَديـــــــل

وإنّما الأمْرُ إلى الجَـــليل * وكُل حيٍّ ســَالك السّـــبيل

حتى حَفظ ذلك النّظمُ ابنُه علىٌّ وفَهم مُرادَ أبيه منه، فَخَنَقَتُه العَبْرةُ فَرَدّها، ولَـزَم السُّكوت، وعَلم أنّ البلاءَ قد وقَع، وأمّا أُخته السيِّدة زيْنب فقامَت حاسرةً حتى انتَهـت إليه فقالَت: واثُكْلاهُ !! ليتَ الموتُ أعدمَنى الحياةَ اليوم، ماتت أُمِّى فاطمة، وعلىٌّ أبى، وحَسن أَخى، يا خَليفةَ الماضى، وثمال(١) الباقى. فنظَر إليها وقالَ: يا أُخَيّة لا يُـذهبنَّ حلمَك الشّيطانُ.. فقالت: بأبى وأُمِّى يا أبا عبد الله، استُقْتلْتَ ؟ ولَطَمَت وَجْهَها، وشقّت جَيبَهَا، وخرّت مغْشيّاً عليها، فقامَ إليها فصبّ علَى وجهها المَاءَ، وقَالَ: يا أُخيّة، اتّقـى الله واصْبرى، وتعزّى بعزاء الله، واعلمى أنّ أهلَ الأرض يمُوتون، وأنّ أهلَ الـسماء لا يبقُون، وأنّ كُل شئٍ هالكٌ إلاّ وجهُ الله الذى خلقَ الخَلْق بقُدرتـه، ويُميـتُهم بقهـره وعزّته، وقالَ كلامٌ كثيرٌ فيه مَا يُذهب الرَّوعَ، ويُهدئ النّفسَ، ويجلبُ الأمْنَ.

وباتَ الحسَينُ وأصحابُه يُصلُّون، ويستغفرُون ويدعُون ويتـضرّعُون، وخُيـولُ حَرَسِ عدُوِّهم تدُورُ من وراءهم.

قالوا: صلّى الحُسَيْنُ بأصحابه وهُم اثنان وثلاثون فارساً، وأربعُون رجُـلا، قيـل يوم الجُمُعة، وقيل يوم السَّبت، وهو يوم عاشوراء.

ثُمّ انْتصبَ للقتال، وأعْطَى رايتَه العبّاس بن علىّ « أخيه »، وجَعلُوا البُيوتَ بمـا فيها من الحرم وراءَ ظهُورهم، وكانوا قد حَفروُا وراءَها خَندقاً وقـذَفُوا فيـه حَطَبـاً وخشباً وقَصبَاً، ثم أُضرمَت فيهَا النّارُ لئَلا يخلُصْ أحدٌ إلى بيُوتهم من ورائها.

وتواقَف الناسُ فى ذلك الموضع، فعدَلَ الحسينُ إلى خيْمــة قـد نُـصبت فـدَخَل فتوضّأ، وتَطيّب بمسك كثير، وفَعَل كذلك بعدَه أُمراءٌ كثيرون وكأنّهم مُلاقون المـوتَ فى حينهم، وهم يتحيّنونَ لقاءَ الله فرحين مُستبشرين.

---

(١) الثِّمالُ: المَلْجَأ والغياث يُقال هو ثمال قَومه .

ثُم ركبَ الحسينُ علَى فرسِه، وركبَ ابنُه عليٌّ، وكانَ مريضا ضعيفاً فرَساً يُقَـال له الأحْمَق، وأخذ الحُسين مُصـحَفَاً فوضَعه بين يديه، واستقبلَ القومَ رافعاً يدَيْه يدعُو اللهَ أدعيةً مأثورةً ثُمّ ناداهُم: أيُّها الناس، إن قبِلتم منِّي وأنصفْتُمونى كُنتم بذلك أسْـعد، ولم يكُن لكُم علَيَّ سَبيل، وإن لم تَقَبلوا منِّى: **﴿ فَأَجْمِعُوْا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُـنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُم غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ ﴾** { يونُس: ٧١ } **﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِى نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾** { الأعراف: ١٩٦}.

فَلَمّا سَمِعَ ذلك أخوَاتُه وبَنَاتُه، ارتَفَعت أصواتُهنّ بالبكُاء.

فَقَالَ الحُسينُ عند ذلك المَوقف: لا يُبعد الله ابن عبّاس، "وذلك لأنّه حاولَ إثنَـاءَهُ عن الخُروج إلى العراق، وإن كان لا بُدّ فاعلاً فليترُك النِّسَاءَ والبَنَاتَ " وأضاف ابـنُ عبّاس ﷺ **[[والله إنّى لأظنُّك ستُقتلُ غداً بينَ نسائك وبَنَاتك كما قُتـل عُثمـان بـينَ نسائه وبناته، والله إنِّى أخافُ أن تكُون أنتَ الذى يُقاد به عُثمان، فإنّا لله وإنّا إليـه راجعُون]]**.

واشتدّ علَى الحُسين الحالُ بينَ ما قالَ ابنُ عبّاس، وما هُو واقعٌ بِهم جَميعاً، فَبَعَثَ أخاهُ العبّاس فأسكَتَهُنّ، ثُمَّ وَقَفَ أمامَ الناس يذكِّرُهم بفَضْله وعظمة نَسَبه وعُلُـوِّ قَـدْره وشرَفه، وتكلّم كلاماً يلينُ له الحديدُ، وذكّرهُم بتقوى الله التى يجب أن تكـون حـاجزا لهُم عن سفك دَمه.

ثمَّ قالَ: أتقتلُونى بقتيلٍ لكُم قتلْتُه ؟ أوْ بقَصاصٍ من جِرَاحة ؟

فأخذُوا لا يُكلِّمُونه !

فنادى الحُسَينُ : يا شبث بن ربعي ، يا حجار بن أبجر ، يا قيس بن الأشعث ، يا زيد بن الحارث ، ألم تكتُبوا إليَّ أنّه قد ينعَت الثِّمارُ ، واخْضَرَّ الجَنابُ فأقـدم علَينـا فإنّك إنّما تقدم علَى جُند مُجَنَدّة ؟

فقالوا له: لم نفعَل.

فقالَ: سبحان الله ! والله لقد فَعلتُم، ثُمّ قالَ: أيُّها النَّاس، إذ قد كرِهتمُونى فـدعُونى أنصرف عَنكم.

فقالَ له قيسُ بن الأشعَث: ألا تنزل عَلَى حُكم بَنِى عمِّك، فإنَّهم لا يُؤذُونَـك، ولا ترى منهم إلاّ ما تُحبّ ؟

فقالَ له الحُسين: أنتَ أخُو أخيك، أتُريدَ أن تطلُب بنُو هاشمِ بأكثرَ من دَمِ مُسلمِ بن عقيل ؟ لا والله لا أُعطيهم بيدَي إعْطاءَ الذّليل، ولاّ أُقرُّ لهُم إقرارَ العَبيد.

وبَينما هُم كذلك إذ تحيّزَ إلى جيشِ الحسين من أُولئك طائفةٌ يُقال تُقارب الثّلاثين فارساً من أشهرهم « الحُرُّ بن يَزيد » أميرُ مُقدِّمَة جيشِ عُبيد الله بن زياد، فاعتذَرَ إلى الحُسين فقبلَ منه، ثُم تقدّم الحرُّ بينَ أصحابِ الحُسين، فخاطَبَ عَمْرو بن سعد فقالَ: أصلَحَكَ اللهُ . أمُقَاتلٌ أنتَ هذا الرَّجُل ؟

قال: إي والله قتالاً أيسَرهُ أن تسقُط الرُّؤوسُ وتطيح الأيدى.

وكان الحرُّ من أشجعِ أهل الكُوفة، فلامَهُ بعضُ أصحابهِ علَى الذَّهابِ إلى الحُسين فقال لهُم: والله إنِّى أُخَيِّرُ نفْسى بينَ الجنّة والنّار، والله لا أختارُ علَى الجنّة غيرَها، ولَو قُطِّعَتُ وحُرِّقتُ، ثمّ ضربَ فَرَسَه فلحقَ بالحُسين فاعتذَرَ إليه.

وعبَثاً حاولَ الحرُّ بن يزيد إثناءَ الطائفةَ عن القتال، وإطلاقِ شأن الحُسين فى التوجُّه فى بلادِ الله العريضةِ الوسيعةِ التى لا يُمنَع فيها الكلابُ والخَنازيرُ، وخاطبَ أهلَ الكُوفةِ وأنّبهم ووبّخَهَم وسبَّهم وقال: مَنعتُم الحُسينَ وبناتَه الماءَ الفُرات الذى يشرَب منه اليهودُ والنّصارى، ويتمرّغ فيه خنازيرُ السّوادِ وكلابُه، فهو كالأسيرِ فى أيديكُم لا يملك لنفْسهِ ضرّا ولا نفْعاً.

فتقدّم عَمرو بن سعدٍ بن أبى وقّاص وقال لمولاه: يا دُويد. ادنِ رايتَك. فأدناها، ثُم شمّر عمرو ساعدَه، ورَمَى بسهْمٍ وقالَ: اشهدُوا أنِّى أوّل مَن رمَى القومَ بالنِّبال، وكانَت مُناوشاتٌ ومُبارزاتُ انتصرَ فيها أصحابُ الحُسين.

يُقال: إنّ عَمْرو بن سعد أمَر بتفْويضِ تلك الأبنيةِ التى تُمثِّل ساتراً أمنيًّا لظَهْر الحُسين وأتباعه، وهى تمنَع من القتال من أتى ناحيَتها.

ودافعَ أصحابُ الحُسين وجعلُوا يَقتُلون مَن كانت تلك بغيتَه، فأرسلَ ابن سعْد طائفةً من الرُماة، والرجَّالة نحو من خمسمائة، فجعلوا يرمُون خُيول أصحاب الحُسين فعقرُوها كلّها حتى بقى جميعهم رجالة، كما أمَر بتحريقِ تلك الأبنية.

فقال الحسينُ: دعُوهم يحرِّقُونَها فإنّهم لا يستطيعُون أن يجُوزوا منها وقد أُحرقت.

واحتَدَمَ القتالُ، وشدّ رجالٌ من أهل الكُوفة علَى الحرِّ فقتلُوهُ، وتكاثرَ الناسُ حتى كادُوا أن يصلُوا إلى الحُسين. فلما رَأى أصحابُ الحُسين أنّهم قد كَثَرُوا عليهِم، وأنّهم

لا يقدرون علَى أن يمنَعُوا الحُسينَ ولا أنفُسَهم، تنافسُوا أن يُقتَلوا بين يَدَيْه، وأتَوْا إليه مُثَنّى وكان أوّل مَن قُتل من أهل الحسين ابنه عليٌّ الأكبر(١)، وقد قُتل وهو يقى أباهُ الحُسين بن عليٍّ رضى الله عنهما.

ثُم احتَوَشَتْهُ الرِّجالُ بَعد أن قُتلَ فقطّعوهُ بأسْيافهم، فخرجت عمّتُه **زيْنب** من خَيْمَتها وهَرْولت إليه، وانكبّت عليه وهو صريع، فأخذ بيدها فأدْخَلها الفُسطاطَ، وأمرَ بجُثّة عليٍّ ابنه فحُمل إلى بين يديه عند خَيمَته، وواصلَ الرُّماةُ قاصدين الحُسينَ، ودَنَوا منه كثيراً، وقُتل دُونه " مُحمّد، وعَون " وَلَدَا عبد الله بن جَعفر بن أبى طالب، ثم قُتلَ "عبد الرحمن، وجعفر " ابنا عقيلٍ بن أبى طالبٍ – وهما شقيقان لمُسلم الذى قُتل عند ابن زياد عَلَى نَحو ما بيّنّا – أمّا مَن قُتلوا بين يديه رضوان الله عليه عَلَى جُملتهم فإنّهم من أولادِ عليٍّ رضى الله عنه:{ جَعفر، والعبّاس، ومحمد، وعُثمان، وأبو بكر}، ومن أولاد الحُسين: {{ عليٌّ الأكبر، وعبد الله }}، ومن أولاد أخيه الحَسن: {{ عبد الله والقاسم وأبو بكر }}، ومن أولاد عقيل: {{ جعفر، وعبد الله، وعبد الرحمن، وعبد الله بن مسلم بن عقيل، ومحمد بن أبى سعيد بن عقيل }}).

ومَكَث الحسينُ نهارا طويلاً وحدَه لا يأتى أحدٌ إليه إلاّ رجَع عَنه لا يُحب أن يلى قتْلَه، حتى جاءَ إليه مَن قالوا أنّه « مَالك بن البَشير » فضرَبَ الحُسينَ بالسّيف عَلَى رأْسه فأدمَى رأسَه، وكان علَى رأس الحُسين بُرنسا، فامْتلأ البُرنس دَمَاً، فألقَى به الحُسينُ، ودَعَا بعمامة فلبِسَها وقالَ له: لا أكَلْت بها ولا شَربتَ وحَشَرَك اللهُ معَ الظّالمين.

ورَوَى غيرُ واحدٍ أنّ غُلاماً كأنّ وجهَه فلقةَ القمر، خرجَ فى يده سيفٌ يُحاجِفُ عَن عمِّه، فقالَ عمرو بن سعْد بن نفيل الأزدى « والله لأشُدّنّ عليه » فقيل لهُ، وما تُريد إلى ذلك ؟ يكفيك قتل هؤلاء الّذينَ تراهُم وقد أحاطُوا بهم.

فقال الأزدى: والله لأشُدّنّ عليه، فشدّ عليه فَضرَبَهُ وصاحَ الغُلامُ:« يا عمّاه » فشدّ الحُسينُ علَى الأزدى شدّة ليثٍ أعضب(٢)، فضربَهُ الحسينُ بسيفِه فاتّقاه بساعده

---

(١) أمُّه ليلى بنت أبى مرة بن مسعود الثّقفى .

(٢) [عضب] ذو القرن – عضبا – انكَسرَ قرنُه. فهو أعْضب، [عضب] السّيفُ – عضوباً ، وعضوبة : صار قاطعا .

فقَطَعها من لّدُن المرفق، فصاحَ ثُم تنحّى عنه، وحَمَل الفُرسانُ علَى الحُسين ليستنقذُوا عَمْرا منه، وكانت غَبْرةً شديدةً وتحاملوا فيها علَى الحُسين من كُل جانب، وهو يجُولُ فِيهم بالسّيف يميناً وشمالاً فيتنافَرُون عنه كتنافُر المعْزى عَن السّبع، ولم يُوجد علَى ظَهر الأرض أَرْبطَ جأشاً منه، ولا أمْضَى جناناً منه لا قبْلَه ولا بَعده.

فلمّا انجَلَت فإذا بالحُسين قائمٌ علَى رأس الغُلام ويقولُ « بُعداً لقوم قتلُوك، عزّ والله علَى عمِّك أن تدعُوه فلا يُجيبُك ثم لا يَنفعُك، صوتٌ والله كثُرَ واترُه، وقَلّ ناصرُه » ثمّ احتمَلَه الحُسين ورجلاهُ تَخُطّان فى الأرض، وصدْرَه علَى صَدْرِه، ثُم جَاءَ به حتّى ألقاهُ معَ ابنه علىٍّ الأكبر، إلى جوار مَن قُتل من أهل بيته.

أمّا هذا الغُلامُ فكان هو القاسم بن الحَسَن بن علىٍّ بن أبى طالب.

وخَرجَت السَّيِّدة زيْنب « عمّته »، فجَعلت تقولُ « ليتَ السماءَ تقعُ علَى الأرض »، وخلَصَت إلى عَمرو بن سَعد فقالت: يا عَمرو أرَضيت أن يُقتل أبُوعبد الله وأنتَ تنظُر؟

فتحادَرت الدُّمُوعُ علَى لحيته وصرَفَ وجْهَه عَنها، ومَنع عنهُ النّاسَ حتّى نادَى شمر بن ذى الجَوْشن، ويحكُم ! ماذا تنتظرون بالرَّجل ؟ اقتلُوه ثكلَتكُم أمّهاتُكُم، فحَمَلت الرِّجالُ عليه من كلِّ جانب، وضربَه (زرعة بن شريك التميمى) قبّحه الله ولعَنَه علَى كَتفه اليُسرى، وضَربَه علَى عاتقه، ثمّ انصرَفوا عنه وهو ينُوءُ ويكْبُوا، ثُم جاءَ إليه [سنان بن أبى عمرو بن أنس النّخعى] فطعَنَه بالرُّمح فوَقَعَ، ثم نَزَلَ فذَبَحهُ وحزّ رأسَهُ ثُمّ دفَعَ بها إلى خولى بن يزيد.

وقيل أنّ الذى قَتله هو شمر بن ذى الجَوشن، وقيل رَجُل من مذحج، وقيل إنّما هو خولى بن يزيد – والأوّل أشهر.

وقد وجَدوا به ﷺ حين قُتل ثلاثاً وثلاثينَ طعْنةً، وأربْعاً وثلاثينَ ضَربْةً، وهَمّ شمر بن ذى الجوشن يَقتُل عليّا الأصغر ابن الحُسين وهو المُلقّب « زيْن العابدين » وهو صغيرٌ مريضٌ، فصرَفه أحدُ أصحابه، وجاءَ عمرو بن سعد فقالَ: ألا لا يدخُلنّ علَى هذه النِّسوَة أحَدٌ، ولا يَقتُل هذا الغُلام أحَدٌ، ومَن أخَذ من متاعهم شيئاً فليرُدّهُ عليهم، وكانُوا قد سلَبوا الأموالَ والحواصلَ حتّى ما علَى النِّساء من الثِّياب الطّاهرة، ***وقد كانت بحقٍّ تلك هى عَين المأساة.***

أ – المَسيرُ إلى المدينة:

ما أن حَسم الزّيديّة الأمرَ لِصالح أميرِهم يَزيد بن مُعاوية بعــد مَقتــلِ الحُــسين رضى الله تعالى عنه بَعد المأساة التى عرَضنا لها علَى نحو ما تقدّم. حتّى أمرَ عُبيــد الله بن زِياد فنُودِى لِصلاة جامعةٍ، فاجتمَعَ النّاسُ. فَصَعَدَ المنبرَ فذكَر ما فتَحَ الله عليــه مِن قَتْلِ الحُسين الذى أرادَ أن يسلُبَهم المُلك ويُفرِّق الكَلمة عليهم – علَى حدِّ قولــه –، فقامَ إليهِ عبد الله بن عفيف الأزْدى، فقال: ويحَك يا بن زِياد !! تقتُلــون أولادَ النَّبيِّــيِّن وتتكلّمونَ بكلامِ الصِّدِّيقين !!

فأمَرَ بهِ ابن زياد فقُتل وصُلبَ، ثمّ أمَرَ برأْسِ الحُسين فنُصبَ بالكُوفةِ، وطِيفَ بهِ فى أزِقَّتها، ثُم سيّره مع رؤُوس أصحابهِ إلى يزيدِ بن مُعاوية بالشّام.

ولمّا دخَل الرّسول حامِل الرُّءوس (زحْر بن قيسٍ) علَى يزيد فقال لــه يزَيــد: ويلَك ! ما وراءَك ؟

فقال: أبشِر يا أمير المُؤمنين بفتح الله عليك ونَصْره، وَرَدَ عَلينا الحسينُ بن عَلــيٍّ بن أبى طالبٍ وثمانية عشر من أهلِ بيتِهِ، وستُّون رَجُلاً من شــيعته، فَــسرنا إلــيهم فسألناهم أن يستسلموا وينزلوا علَى حُكم الأمير عُبيد الله بن زياد، أو القتالِ، فاختارُوا القتالَ، فعَدَونا إليهم مَع شُروق الشّمس فأحطْنا بهم من كلِّ ناحيةٍ حتى أخَذَت الــسِّيوفُ مأخذَها من هَام القوم، فجعَلوا يهرَبون كلّ مَهرَبٍ إلى غيرِ مَهــرَبٍ، ويلُــوذُون منّــا بالآكام والحُفَرِ لُوَاذاً كَمَا لاذَ الحَمَامُ من صقْرٍ، فَوالله ما كانوا إلاّ جَزْرَ جَــزُورٍ(١)، أو نومة قائلٍ، حتى أتَيْنَا علَى آخرهم، فهاتيك أجــسادهم مُجــرّدة، وثيــابهم مُرمّلــة(٢)، وخُدودهم مُعفّرة، تُصهرُهم الشمسُ، وتُسفى عليهم الرِّيحُ، زُوَّارُهم العُقبانُ والرّخَمُ (٣).

---

(١) الجَزْرُ : النَّحْرُ ، وانحسارُ ماء البحرِ عَن الشّاطِئ بفعلِ جاذبية القَمر ، والجَزُورُ : ما يَصلُح لأن يُذبح من الإبلِ . ويُقالُ للبعيرِ هذه جَزُورٌ سَمينة

(٢) أى مُلطّخة بالدّم المُلتصقة به الرِّمَال .

(٣) الرّخَمُ : طائر غزير الرِّيش . أبيضُ اللّون مُبقّع بسوادٍ ، له منقارٌ طويلٌ ، والذّنبُ طَويلٌ .... يبلغ طولُ الرّخَم نحو نصف متر

فدمَعَت عينا يزيد بن مُعــاوية وقال: كُنت أرْضَى مــن طــاعتكم بــدون قَتْــلِ الحُسين، لعَن اللهُ ابن سُميّة، أمَا والله لو أنِّى صاحب عفوٍ لعفــوتُ عنــهُ، ورَحِــمَ الله الحُسينَ، ولم يصلْ الذى جاءَ برأسِهِ شئ من قبلِ يزيد.

ولمّا وضَع " زحْر " رأسَ الحسين بين يَدَى يزيد قالَ: أمَا والله لو أنِّى صــاحبُك ما قَتَلتُك، وأنْشَدَ قَولَ شاعره:

تفلِّقن هامــاً من رجالٍ أعِــزّةٍ * عَليــنا وهُم كانوا أعــــقّ وأظلَمَــا

وقام يحيى بن الحكم – أخو مروان بن الحكم فقال :

لَهامٌ بجنب الطّف أدنَى قـــرابةً * من ابن زيادِ العبد ذى الحَسب الــوَغل

سُميّة أضحَى نسلُها عددَ الحَصَى * وليسَ لآلِ المُصطفَى اليــومَ من نَسلِ

فضربَه يزيدُ فى صدره، وقال لَه: اسكُت.

وقد اختلفَ العُلماءُ بَعدَها فى رأس الحُسين فلا أحَد يدرِى أينَ رأسُ الحُسين عَلَى وجهِ التّعْيين علَى الرّغم من القولِ الكَثِير، فمن قائلٍ أنّها فى الشّام وقال بعــضٌ أنّهــا دخلَت مصر ولم يُبعثْ بها إلى الشّام كما ذكَر الآخرون، وقال ثالثٌ: أنّها فــى إيــرانَ وبعضٌ يُنكرون الأقوالَ كلّها ويجزمُون بأنّها فى العراق وأكّد بعضٌ من أهلِ التّــاريخِ وعُلماءُ السِّيَر رأياً آخرَ سيردُ فى حِينه، فسُبحان الذى يعْلَم.

وأمّا بقيّة أهلِ الحُسين ونسائه، فإنّ عمرُو بن سعد وكّــلَ بهــم مــن يحرُسُــهم ويكلَؤُهم، ثم أركبُوهم علَى الرّواحلِ فى الهوادجِ، فلمّا مَرُّواْ بمكــان المعركَــة، ورَأَوا الحسينَ وأصحابَه مطرُوحين هُنالك. بكَتْهُ النِّساءُ وصَرَخْنَ، ونَــدَبت زيْنــبُ أخَاهــا الحُسين وأهْلَها، فقالَت وهى تبكى:

« يا مُحمّداه ، يا مُحمّداهُ ، صلّى عليكَ اللهُ – ومَلَــك الــسّماء ، هــذا حُــسين بالعرَاء ، مُزمّل بالدِّماء ، مُقطّعُ الأعضاء ، يا مُحمّداه ، وبناتك سَــبايا ، وذُرِّيتــك مَقْتَلَة ، تُسْفِى عليها الصّبا » فكانت كما قِيل أنّها قد أبكَت كُلّ عــدوٍ وصَــديقٍ وقــد سارُوا من كَربلاء بالرّكب حتّى دَخلوا علَى ابن سُميّة، الذى أجــرَى علَــيهم جَميعــا النّفَقَات والكَسَاوى وغيرَها .

أمّا الغُلام الذى نَجا من القَتل أثناءَ المعركةِ فقد عُرض على أميرهم ابــن سُــميّة – ابن زياد – فقال له: ما اسمُك ؟

قال: أنا عليٌّ بن الحُسين.

فقال ابن زياد: أو لم يَقْتُل الله عليَّ بن الحُسين ؟

فسكتَ الغلامُ.

فقالَ: مالكَ لا تتكلّم ؟

فقال عليٌّ: ﴿ **اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حينَ مَوْتِهَا** ﴾ [الزُّمَر: ٤٢]، وقـالَ ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أن تَمُوتَ إلاّ بِإذْنِ الله** ﴾ [آلَ عمرَان: ١٤٥].

قال ابن زياد: أنت والله منهم، وَيحَك !! انظروا هل أدْرَك ؟ والله إنِّـى أحسبُه رَجُلاً، فكشفَ عنه واحدٌ منهم فقال: نَعم أدْرَكَ، فأمَرَ بقتله.

فقال الغُلام: وهو " عليٌّ الأصغر " ابن سيِّد الشُّهداء " الحُسين " ﷺ، وهو المُلقّب كذلك زَين العابدين ، قالَ : مَن تُوكلُ بهذه النِّسوَة ؟

وتعلّقت به عمّتُه زيْنب فقالَت: يا ابن زِياد حسبُك منّا ما فَعلتَ بنا، أمَا رُويت من دمَائنا ؟ وهل أبقيْتَ منّا أحداً ؟ واعتنقَتهُ وقالت : أسألُك بالله إن كُنت مُؤمنا إن قَتَلتَـه لَما قتلْتنى مَعَه .

ونَاداهُ زيْنُ العابدين فقال: يا ابن زيادٍ، إن كان بينكَ وبينَهم قَرَابَةً فابْعَـث مَعهـنّ رجُلاً تَقيًّا يَصحبَهنَّ بصُحبة الإسلام.

فقال ابن زياد: عَجَبَاً للرّحم. دَعُوا الغُلامَ ينْطلقُ معَ نسائه، غيرَ أنّه أمَـر بـه أن يُغلّ فغُلّ إلى عُنُقه، وأرسلَهم معَ شمر بن ذى الجوشن قبّحه الله ومعهُ آخَـر، حتّـى وصلوا دارَ الخلافة فى دمشق.

فلمّا وصلُوها أنزلَهم يزيدُ عند حَريمه فى دارِ الخلافة، فاستقبلَهنّ نساءُ آل مُعاوية يبكين، وينُحن علَى الحُسين، ثمّ أقَمنَ المَناحَة ثلاثةَ أيّام، وفيهنّ « زين العابدين » ابن الحسين وأخوه الأصغر عُمر بن الحسين.

وقال يزيدُ يوماً لعُمرَ بن الحسين وكان صغيراً جدّا: أتُقاتلُ هذا الفَتَى ؟ ، مُـشيراً إلى ابنه خالد بن يزيد، يُريد بذلك مُلاعبتَه ومُمَازحتَه. فقال: أعطنى سـكِّيناً وأعطـه سكِّينا حتّى نَتَقَاتل، فأخذَه يزيدُ فَضَمَّه إليه وقالَ: شنْشَنَةٌ(١) أعرفُها من أخْزَم، هل تلـدُ الحيّةُ إلاّ حيّةً !

---

(١) الطّبيعةُ والسَّجيّة: أىْ يُشابهُ أباهُ فى طَبيعته وخلقه.

ثُم جهّزهُم يزيد إلى المَسير نحو المدينة، وأعطاهُم مالاً كثيراً، وكَسَاهم، وأوصَى بهم رسُولَه الذى عيّنه لهُم وهــو النُّعمان بن بشير، وأشارَ عليه بعضٌ من أهلِ الــشّام بِقَتْلِ عليٍّ الأصغر، فرقّ يزيدُ ولم يفْعَل، وودّعهم بنفْسِه فى دِمشْق، وقصَدُوا العــودةَ إلى المدينة.

وكان مقتلُ الحسين ﷺ يوم الجُمُعة، يوم عاشوراء من المُحرّم سنة إحدى وستِّين وله من العُمر ثمان وخمسين سنَة أو نحوها، وهذه أصحُّ الرِّوايات التى تحــدّثت فـــى ذلك بعد تَحقيقِها.

وممّا أنْشَدَ الحاكمِ أبوعبد الله النّيْسابورى وغيرُه لبعْضِ المُتقــدِّمين فـــى مقتــلِ الحُسين:

جاءُوا برأســــــك يا بنَ بنت مُحمّد ... مُتزَمِّلاً بدمــــــــــائه تَزمــيلا
وكأنّما بك يا بنَ بنــــــــت مُحمــّد ... قَتَلوا جَهــاراً عامدين رَسُــــولا
قَتَلُوكَ عطْشَانًا ولــــــــــمْ يَتَدبّرُوا ... فى قَــتْلكَ القُــرآنَ والتّــنــزِيلا
ويُكَبِّرُونَ بأن قُتِلــْــــتَ وإنّمــــا ... قَتَلوا بِكَ التّــــكْبيرَ والتّهــليلا

وكَما اختلف عُلماء السِّير فى حِكاية رأسه رضى الله تعالى عنه وأرضَاه وعـــن أبيهِ وأمِّه وجدِّه، فإنّه كذلكَ قد وقعَ اختلافٌ فى تعيينِ موضعِ قبرِه ﷺ.

فالمشهورُ أنّه عند مكان من الطّف عند نهر كَربلاء، ويُقــال إنّ المــشْهدَ الــذى بكَربلاء كما نراهُ ونعلمُه الآن مبنِيٌّ علَى قبرِه، وقِيل إنّ موضِـــع قَتْلِــهِ عَفَـــى أثَــرهُ بالكُلِّيَّة.

وذكرَ ابن هشام الكلبى أنّ الماءَ لمّا أُجرِى علَى قبرِ الحُسين ليَمحى أثرَه نَــضَبَ بَعد أربعين يوْماً، فجاءَ أعرابىٌّ من بنى أسد فَجَعَلَ يأخذُ قبْضةً قبْضةً ويشُمُّها، حتـــى وقَعَ علَى قبْرِ الحُسين. فبَكَى، وقال بأبِى أنتَ وأمِّى ! ما كـــان أطيَبَــك ومـــا أطْيَــب تُربتك، ثُمّ أنشأَ يقولُ:

أرَادُوا ليخفُوا قبرَهُ عَن عَدُوِّهِ ... وطِيبُ تُرابِ القَبر دلّ علَى القَبرِ

أمّا رأسُ الحسين فالمشهُور عند أهل التّاريخ وعُلماء السِّيَر أنّــه يُوجــد خــلافٌ عــليهِ، وقِيلَ فى آخَر علَى ســبيلِ التّأكيدِ إنّ يزيدَ بَعثَ برأسِ الحُسين إلى نائبهِ علَى

المدينة فدَفَنَه عند أُمِّه بالبقيع وإلى جوار أخيه الحَسن رضى اللهُ عنهم جَميعــا، ومَــن قالَ أنّ يزيدَ أبقَى عليه فى خزانَته. فلمَا ماتَ وجاءَ سُليمانُ بن عبد الملك إلى الحُكــم جِئَ بالرّأس إليه، وقَدْ بَقى عَظْماً أبيضَ، فكفّنه وطيّبه، وصلّى عليه ودفَنَهُ فى مقبــرَةِ المُسلمين، وقــيل أنّه لمّا زالَ مُلك بنى أُميّة، وجَاءَ العبّاسيُّونَ نَبَشُوهُ وأخَــذُوهُ معهُــم إلى العِراق، ومَن قالَ أنّه أُخذَ فَدُفِن داخل باب الفراديس من مدينة دمــشق، ويُعــرف مَكانُه الآن وسابقاً بمسجد الرّأس داخل باب الفراديس الثانى، وأخيراً ادّعــت الطّائفــة المُسمُّون **بالفاطمية** الذين مَلكوا الدِّيارَ المصرية قبلَ " سنة أربعمائة من الهجرة إلــى سنة ثنتَين وستمائة " وهى الطائفة التى أسسها اليهودي { **ميمون القداح** }الذى تظاهر باعتناقه الإسلام وأنه وأتباعه عَلَى **مذْهَب الشِّيعَة،** فقد ادعت هــذه أنّ رأسَ الحُــسين وصلَ إلى الديار المصرية، ودفَنُوهُ بها، وبنُوا عليه المشْهدَ المَشهور به بمصر الــذى يُقال له تاجُ الحُسين، وذلك بَعد سنة خمسمائة من الهجرة.

وقد أكّد غيرُ واحد من أئمّة العلم علَى أنّه لا أصلَ لقول الفاطميِّيّن، وإنّمــا أرادوا أن يُرَوِّجوا بذلك الباطل الذى يدَّعُونه من نَسبهم الشَّريف إلى آل البيت وهُم فى ذلــك خَونة وكَذَبة، والمَشهور علَى أنّهم جاءُوا برأسٍ فوضعُوه فــى مكــان هــذا المَــسجد المذكُور، وقالُوا هذا رأسُ الحُسين فدخَل ذلك علَى المصريِّيّن، واعتَقَدوا فيه، وآمنــوا به، واتخذوه مَزاراً دينيا حتى الآن.

غيرَ أنّنى أميلُ إلى قُبول القول بأنّ يَزيد أرسلَ الرّأسَ إلى أميره علَــى المدينــة ليدفنَه إلى جوار أُمِّه بالبقيع خاصّة بعدما ثَبُت من حُسن صنيعه معَ نــساء آل البيــت وهُم ضيُوف علَى مقرِّ الخلافة فى دمشق، وإكرامهِّن والإحــسان إلــيهنّ، وإرســال النُّعمان بن بَشير مَعهُنّ إلى المدينة، ورفْضه لمُناصحة الآخَرين بقَتل زَيْــن العابــدين « علَيّ الأصغَر »، ومُداعبته لعُمر بن الحُسين وهو طفلٌ صَغير، ورثــاءه للحُــسين بنظْم من الشِّعر، وعلَى هذا يكُون قُبول الفعْلَة من يزيد بإرســال رأس الحُــسين إلــى المدينة أوْلَى بالتَّقدُّم والقُبُول لما يُمكن أن يطمَئنّ إليه القلبُ ويرْضى بقُبُوله العقْلُ....

هذا والله تَعالى أعْلَى وأعْلَم.

ب – عارٌ عَلَى علَمٍ وكَعبةُ الشَّمال:

وما هي غير شُهور قليلةٍ مَضَت علَى عودةِ مَن تبقّى من آل البيتِ إلى المدينـــةِ، حتى خَلَعَ أهلُ المدينةِ يزيدَ بن مُعاوية، وولّوا عَلَى قُريش « عبد الله بـــن مُطيـــع »، وعَلَى الأنصار {عبد الله بن حنْظَلَة بن أبى عامر}، وذلك فى أوّل سنة ثلاث وســـتِّين من الهجرة، وأظهَروا ذلك وجاهَرُوا به، واجتمعُوا عند المنبر، فجعلَ الرّجُلُ يقولُ: قد خلعتُ يزيدَ كما خلعتُ عمامَتى هذه ويُلقيها عَن رأسه، ويقولُ الآخرُ قد خلعْتُـــهُ كمـــا خلَعْتُ نَعْلى هذه، حتى اجْتَمَعَ كثيرٌ من النِّعال والعَمَائم هُنالك، ثم اجتَمعُوا علَى طـــرْدِ عاملِ يزيد، وإجلاء بنى أميّة من المدينة، فاجتمعَت بنُو أُمية فـــى دارِ مـــرْوان بـــن الحكَم، وأحاطَ بهم أهلُ المدينةِ يُحاصرونَهم.

أمّا زينُ العابدين فقد اعتزل الناسَ، وكذلك فَعل عبد الله بن عُمر بـــن الخطّـــاب. ولم يخلَعَا يزيدَ، وقد سلكَ بيتُ ابن عمر مسلَكَ أبيهم فلم يعزلوا يزيدَ.

كتبَ بنو أميّة إلى يزيدٍ بما هُمْ فيهِ من الحصْرِ والإهانةِ والجُوعِ والعَطَشِ، وإنّـــه إن لَم يَبْعث إليهم مَن يُنقذهُم ممّا هُم فيهِ وإلاّ استُؤصلوا عَن آخرِهم وأَرْسلوا كتـــابَهم معَ البريد.

كلّف يزيدُ أحدَ رجالاته، وانتدَبَه لذلك، فجمَع فيما قيل خمـــسةَ عـــشرَ ألفـــاً مـــن حمْص، وفلسطين، والأُردن، وقنسرين، ومن دمشق. وأمّرَ عليهم جَميعاً. مَن يُقال لـــه « مُسلم بن عُقبة المُرِّى من غَطفان » وهو مَن يُسمِّيه السَّلفُ – مُسرفٌ بن عُقْبَـــة – فقالَ النُّعمان بن بَشير: يا أميرَ المؤمنين. ولِّنى عليهم أكفُّك، فقال يزيد: لا ليس لهُم إلاّ هذا الغَشَمْشَم(١).

وقالَ يزيدُ لمُسلم قائد حَملته التَّأديبيّة علَى المدينة: ادعُ القومَ ثلاثاً، فـــإن رجَعـــوا إلى الطّاعة فاقْبَل منهم وكُفَّ عَنهم، وإلاّ فاستعن باللهِ وقاتلْهُم، وإذا ظهَرتَ عليهم فأبح المدينةَ ثلاثا ثم اكفُف عن النّاس، وانظُر إلى **علىِّ بن الحُسين** فاكفُف عنه واستوصى بهِ خيْراً، وادن مَجلسه فإنّه لم يدخُل فى شئٍ ممّا دخَلُوا فيه، وأمَرَه يزيدُ كذلك إذا فَرَغ

---

(١) الذى يَرْكَبُ رَأْسَهُ لا يُثْنِيهِ شَئٌ عمّا يُرِيدُ ويَهْوَى، ومثله المُغَشَّمُ، والغَشُومُ الذى يخْـبِطُ النّـاسَ ويأخُذُ كُلّ ما يَقْدِرُ عَلَيْه.

مِن المَدينةِ أن يذهب إلى مكّة، وقد كَتب يزيدُ إلى عُبيد الله بن زيــاد أن يَــسير إلــى الزُّبير فيُحاصِره بمكة.

فأبَى عليه ابن زيادٍ وقال: والله لا أجمعهُما لِلفاسقِ أبداً، [أقتُلُ ابنَ ابنــة رسُــول الله، وأغزو البيتَ الحَرام].

وسارَ مُسلم (مُسرِف) بِمن معَه مِن الجُيوش إلى المدينة، فلمّــا اقتــربَ منهــا اجتهدَ أهلُ المدينة فى حِصارِ بنى أُميّة، حتى وقَعَ اتِّفاق بين الفَريقين.

أمّا مُسلم فنزلَ شرقَ المدينةِ كما نصَحَه عبد الملك بن مَروان، ودعَا أهلَها ثلاثــة أيامٍ، وأهلُها يأبون إلاّ المُحاربة والقِتال.

حاولَ مُسلم إثناءَهم عن القِتال، والاجتماع وتوحيد القُوّة علَــى مــا أســماهُ هــو { المُلحد } يعنى " ابنَ الزُّبير "، فقالوا: يا عدُوَّ الله. لو أرَدْتَّ ذلك ما مكّنّاك منه، أنحنُ نَذَرُكم تذَهبون فتُلحِدون فى بيتِ الله الحرامِ ؟

ثُم تهيّئوا لِلقتال، واقْتَتَلوا قِتالاً شديداً انهزمَ معهُ أهلَ المدينة، وقد قُتل مِن الفريقَين خلقٌ عظيم مِن السّادات، وجمعٌ كبير مِن الأعيــانِ، ثــم أبَــاحَ مَــن وصــفُوه بأنّــه « مُسرِف » المدينةَ ثلاثة أيّام كما أمَره يزيدُ، وانتهبَ أموالاً كثيرةً، ووقعَ شرٌّ عظيمٌ، وفسادٌ عريضٌ علَى أيادى هذا القائدِ المُنتَهِيةُ جُذورُهُ إلى يَهُود غطْفان.

فقد ذكَرَ غيرُ واحدٍ مِن عُلماء السِّيَر أنه أمَر جيوشَه فوقَعُوا علَى النِّساء حتى قيل أنّه حَبلَت ألف امرأةٍ فى تلك الأيامِ مِن غيــر زَوَجٍ !!! وهــى صــورة تتكــرّر الآن مُتطابِقةَ مع الوضْعِ الحالي فى العِراقِ حيثُ تقَع الاعتداءاتُ الجنسيّةُ علَــى الــسِّيدات والفتيَات العِراقيّات فى العَلن فى ظلِّ انشغال العالم الإســلاميِّ بمُــشكلاته الداخليــة، وتعتيمٍ إعلاميٍّ دوليٍّ رهيبٍ مقيتٍ علَى هذه الجرائم الكُبرَى، معَ السّماح بِنشر أخبــار عسكرية محدودة فى حُدود بِعَينِها تُصوِّرُ المُقاوِمَةَ علَى أنّها الإرهابُ بِعَينِه .

وقد قال المدائنى عن عبد الله القُرشى وأبى اسحاق التّميمى قالا: لمّا انهزَم أهــلُ المدينة يوم الحرّة صاحَ النِّساء والصِّبيان، فقال ابــن عُمــر: بِعُثمــان وربِّ الكعْبــة ــ أىْ ــ لثأرِه.

وقال المدائنيُّ كذلك فيما رواهُ عن شيخٍ من أهل المدينة قالَ: سألتُ الزَّهْرِيَّ كـمْ كان القَتلى يوم الحرّة ؟ قال : سَبعمائة من وُجوه الناس مـن المُهـاجرين والأنـصار وَوُجوه المَوالى، وممّن لا أعرف من حُرٍّ وعَبْدٍ، وغيرهم عشرة آلاف، وقال : وكانت الواقعةُ لثلاثٍ بقين من ذى الحجة سَنَةَ ثلاث وستِّين، وانتهَبُوا المدينةَ ثلاثةَ أيّام .

وقال الواقدى وأبو معشر: كانت وقعةُ الحر يوم الأربعاء لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيتـا مـن ذى الحجة سنة ثلاث وستين(١).

وفى أول المُحرم سنة أربعٍ وستين سارَ « مُسرف » إلى مكّة قاصداً قتـال ابـن الزُّبيْر ومن التفّ إليه ومن اجتَمَعَ علَيه من الأعراب، إلاّ أنه هَلك قَبل بُلوغهـا، ثـم أردَفه اللهُ جَلّ وعَلا بيزيدَ بن مُعاوية حيثُ ماتَ بعدَه فى ربيعٍ الأوّل لأربع عشر ليلة خلَت منه، فما مَتّعهُما اللهُ بشيءٍ ممّا رجَوه وتأمّلوه، بل قهرَهُم القاهر فـوقَ عبـاده، وسَلَبهُم المُلك، ونَزَعَه منهم من ينزِعُ المُلك ممّن يشاءُ.

فتولّى قيادة الجيشِ الظّالم مَن يُقال له « حصين بن نمير » وسارَ بِهِ نَحـو مكّـة فانتهى إليها لأربعٍ بقينَ من المُحرّم، وقيل لسبع بَقين.

أمّا ابنُ الزُّبير فقد تلاحقَ به جماعاتٌ ممّن بقى من أهل المدينة، وخَلْقٌ من أهـل اليمَامة، ليمنعُوا البيتَ من أهلِ الشّام، فنزلَ ابن نُمير ظاهرَ مكة، وخـرج إليـه ابـن الزُّبير، واقتتلُوا قتالاً شديداً، وحَمَل أهلُ الشّام علَى أهلِ مكّة حمْلةً صـادقةً فانْكَـشَفَ المَكِّيُّونَ، وقاتَلَ دُون الزبير أناسٌ كثيرون حتى قُتلوا جميعاً، وصابرَهم ابـنُ الزبيـر حتى الّليل، فانصرفُوا جميعا، ثُمّ اقتَتَلُوا إلى نِهاية المُحرم، وتمامِ صَفَر، فلمّا كان يـومُ السّبت ثالث ربيعٍ الأول سنة أربع وستين نَصَبُوا المجانيق حَوْل الكعبة، ورموها حتى بالنّار، فاحترَقَ جِدارُ البيت، وعَلَقَت النّارُ فى أستارِ الكعْبـة، وأخـشابها فاحترقَـت، واسودّ الرُّكن، وانصَدع فى ثلاثة أمْكنة منه.

وفَرَضَ أهل الشّامِ حصاراً علَى مكّة استمرّ إلى مُـستهّل ربيـع الآخَـر، حتـى ورَدَهُم نبأ مَوت **يزيد** فخَمَدَت الحرْبُ، وأُطفِئت نارُ الفتنة، وغُلِبَ أهل الشّام وانقلَبـوا صاغرين.

---

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ٧٥٥ .

ورَجَع حصين بن نمير بجنوده إلى الشّام، ومَرّ بالمدينة يجتازُها فطَمَع فيه أهلُها، وأهانُوهم إهانةً بالغة، غير أنّ عَلِيّ الأصغر (**زيـــن العابـــدين**) أكـــرمَهم، وأهـــدَى لحصين عَلَفاً لدَوَابِّه، وارتحلَت بنو أُميّة مع الجَيْش إلى الشّام، فوجـــدُوا مُعاويـــةَ قـــد استخلَفَ مكان أبيه بدمَشق عن وصيّةٍ من أبيه بذلك، وقد ماتَ أبوهُ وهو ابـــن تِـــسعٍ وثلاثين سنة علَى المشهُور، وقيل أقلّ من ذلك بأربَعٍ، وقيل بثلاث – والله أعلم.

ولمّا مات يزيدُ اتّسعت البيعةُ لابن الزُّبير، آنئذٍ عزَم الضّحاك بـــن قـــيس نائـــب دمشق لمعاوية علَى المُبايعة لابن الزُّبير، فخَطَبَ يوماً وتكلّم فى يزيد وذَمّه، فقامـــت فتنةٌ فى المسجدِ الجامعِ حتى اقتَتَلَ الناسُ فيه بالسّيُوف، وكان الأمَويُّون أقل قُوّة وشأناً من الضّحاك، واجتمعُوا للتّباحُث والمَشورَة، ودَبّ خلافٌ بينهُم علَى مَن هـــو حقيـــقٌ بالإمَارة، فعزمَ مروان بن الحَكَم علَى الرّحيل إلى مكّة لمُبايعةِ ابن الزُّبير، فسارَ إليه، فلقيَه عُبيد الله بن زياد، فاجتمعَ إليه معَ بعضٌ من عُمّال بنى أُمية فى العراق، فحسّنوا له أن يخلَع ابنَ الزُّبير، ويدعُوا لنفْسه، لأنّه الأحقّ فنزلَ علَى رأيهم، وأجـــابَهم إلـــى طلَبِهم، ودَعا لنفْسه ولم يُجبْه أحدٌ، فَرَجَعَ إلى الدّعوةِ لابن الزُّبير، غيـــر أنّـــه انحـــطّ بسببِ ذلك عند النّاس.

غَيْر أنّه استطاعَ أن يتزوّج بأُمِّ خالد بن يَزيد الأخُ من الأبِ لمعاوية بن يزيد بـــن مُعاوية، فعظُم أمرُه أخرى عند الناس، واجتمَعوا عليه من جَديد.

أمّا الضّحاك فإنّه أرسلَ إلى النُعمان بن بشير فأمدّه الأخيرُ بما طلَـــب، وحـــصلَ الأوّلُ علَى ما رَجَى، حتّى أضحى الضّحاك فى ثلاثين ألفاً فى جانبٍ، وجُنودُ مَـــروان بقيادة عُبيد الله بن زياد فى الجانب الآخَر، وتصَافُّوا، وتقاتَلُوا قتالاً شديداً عشرين يوماً مُتتاليةً عند « مرْج راهط ».

ثمّ أشار عُبيد الله بن زياد علَى مروان أن يدعوا إلى المُوادَعَة والهُدْنَة، غيـــرَ أنّ رَجُلا يُقال له زُحنة بن عبدالله من بنى كلب تمكّن من طَعْنِ الضّحاك بحرْبـــةٍ فأنفَـــذَه فَمَاتَ، ثُمّ جئ برأسِ الضّحاك إلى مَروان، ورُوى أنّه بكَى علَى نفـــسه يـــوم الوقْعـــة فقال: أبَعدَمَا كبرتُ وضعُفتُ، صرتُ إلى أن أُقْتَلَ بالسّيوفِ علَى المُلك !!

أمّا عبد الله بن الزُّبيْر فكان يخطُبُ فى الناس بمكّة بَعد هزيمة الشاميين واستتْباب أمره علَى مكّة، كما كان هُو إمامُ النّاس فى أيّام منى وعَرفات، وكان أثنــاءَ خطابتــه يَنَال من عبد الملك بن مروان، ويُعدِّد مَساوئ بنى مَروان ويقُول: إنّ النّبــىّ ﷺ لَعَــنَ الحكَمَ وَمَا نَسَلَ، وأنّه طريدُ رسول الله ﷺ ولعينه، كما كان ابن الزُّبير يــدعو لنفْــسه بفَصَاحة وبلاغَة وحكمة وكَياسة، فمالَ إليه مُعظمُ أهل الشّام.

فلمّا بلغ ذلك عبد الملك بن مَروان مَنَعَ الناسَ من الحَجّ فضجُّوا، فحَــاولَ عَبَثــاً تحويلَهم عَن البيت الحرام.

قالَ صاحبُ مرآة الزّمان: {{ **فبدأً عبد الملك بن مَــروان ببنــاء القُبّــة علَــى الصّخرة والجامع الأقْصى ليشغَلهم بذلك عَن الحجِّ، ويــستعطف قُلــوبَهم، وكــانُوا يطُوفُون حَوْلَها، ويُحلِّقون رُؤُوسَهم وينحَرون فى يوم العيــد ، تمامــاً كمــا يفعــل الحَجيجُ فى مكّة، ففتحَ علَى نفْسه بابَ المَهالك والوَبال، وذلك بأن شنّع عليــه ابــنُ الزبير قائلاً: ضاهَى بها فعْلَ الأكاسرة فى إيوان كــسرى، والخَــضراءَ كمــا فَعَــلَ مُعاوية}}.**

حيثُ لمّا انتَهى ابنُ مروان من بناءِها صارت لم يَكُن علَى الأرض يومئذ بنــاءٌ أحسنَ ولا أبْهى من قُبّة صَخْرة بيت المقدس، وقــد عَملــوا فيــه مــن الإشــارات والعَلامات المكذُوبة أشياءً كثيرةً ممّا هى فى علم الله من أسرار الآخرة، تماماً كمــا يفعل اليهودُ والنّصارى، حيثُ صوّروا فيه الصِّراطَ، وبابَ الجنّة، وقــدَم رســول الله ﷺ، ووادى جهنّم، فاغترّ الناسُ بذلك وإلى زماننا هذا – لذلك لَزَم التوضيحُ ووَجــب التّبيينُ لإظهار الالتباس ، وتحرير العقائد من الأهواء وإظهار ما يُــسمّى الأهميّــة التاريخيّة والدينية والأثرية لقُبّة الصّخرة الذى كان إنشاؤه من أجل الغَــرض الــذى ذكَرْنا وللتّأكيد علَى أنّه لا يتَعدّى كونه أثراً تاريخيّاً أقامَه الأُمويون، وتُراثاً إنــسانيا أثريّاً لا يتَّصل بالدِّين الإسلامي بشئ من قريب أو من بعيد .

أما النُّعمانُ بن بشير فكانَ علَى حمص عاملاً لابن الزبير، فلمّا تملّــك مَــروانُ خَرج النُّعمان هارباً فاتبَعَه خالد بن خلِّى الكُلاعى فقتَله وحزّ رأسهُ واستقّر بذلك مُلــك الشام بيدِ مَروان بن الحَكَم.

ثالثًا: ظُهورُ الشِّيعَة فى الأضْواء

سنةَ أربع وستِّين من الهجرة، وبعد أن ماتَ معاوية بن يزيد بن مُعاويــة، بــايعَ أهلُ خراسان « مُسلمَ بن زياد بن أبيه »، وأحبُّوه حتى أنّهم سمُّوا باسمه فى تلك السَّنة أكثرَ من ألف غُلام مولُود، ثم نكثوا بعد ذلك واختلَفوا، فخَرج عنْهُم مَن بايعُوه، وترَك عليهم غيرَه، ثُم لم تلْبَث جموعٌ من الشِّيعة أن اجتمَعُوا علَى « سُليمانَ بــن صــرد »، وتواعَدَوا« النِّخيلة » ليأخُذُوا بثأرِ الحُسَيْن بن عليِّ بن أبى طالب، ومــازالُوا مُجِــدِّين فيما قالُوا، عازمين علَى تنْفيذِهِ ثَأْراً لمقْتلِ الحُسين بكربلاء مــن يــوم « عاشــوراء » عشرةَ من المحرَّم سَنة إحدى وستِّين هـ .، وقد ندَمَ هؤلاء علَى ما كان منهم لَمَّا بعثُــوا إليه، فلمّا أتاهُم خذلُوهُ، وتخلَّوا عنْهُ، ولم ينصُروهُ.

فاجتَمَعَ هُؤلاءِ فى دارِ سُليمان بن صــرد، وهــو صــحابيٌّ جليــلٌ، فتعاهَــدُوا وتواعدُوا، وتعاقدُوا، ثم جَمَعوا من أموالهم وأسلحتهم شيئاً كثيراً، وأعدُّوه لمقصدهم.

أمّا رُؤُوسُ القائمين علَى هذا الأمر فإنّهم خمسة هُم (سُليمان بن صرد، المُــسيِّب بن نَجيَّةَ الفزارى، عبد الله بن سعد بن نفيل الأزْدى، وعبــد الله بــن وال التميمــيّ، ورِفاعةَ بن شدّاد البجلى) وكلُّهم من أصحاب عليٍّ ﷺ.

وقامَ المُسيب بن نجيّة خطيباً فيهم، فحَمد الله وأثنَى عليه، وقالَ: أمّــا بعْــدُ، فقــد ابتُلينا بطُولِ العُمر، وكَثْرَةِ الفتَنِ، وقد ابتلانا اللهُ فوجَدَنا كاذبين فى نصْرةِ ابــن ابنــةِ رسُولِ الله، بعد أن كَتبْنَا إليه وراسَلْناهُ، فأتانَا طمَعاً فى نصرتنا إيّاهُ، فخَذَلْناهُ، وأخْلَفْناهُ، وأتَيْنا به إلى مَن قتله وقَتَلَ أولادَه وذُرِّيَّتَهُ وقراباته الأخيار، فما نصرْنَاهُم بأيــدينا، ولاَ خذلْنا عنهم بألسنتنا، ولا قوَّيْنَاهُم بأموالنا، فالويْلُ لنا جَميعاً، ويْلاً مُتّصلاً أبداً لا يفتَــر ولا يُبيد دونَ أن نَقتُل قاتلَهُ والمُمَالئين عليه، أو نُقتــل دُون ذلــك، وتــذهبُ أموالُنــا، وتُخرَّب ديارنا، أيُّها النَّاس قُومُوا فى ذلك قوْمةَ رَجُلٍ واحــد، تُوبــوا إلــى بــارِئكُم ﴿ **فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ** ﴾ { البقَرَة: ٥٤ }، وذَكَرَ كَلاماً طويلا، ثمّ كَتَبُوا إلى جميعِ إخوانِهم أن يجتمعُوا بالنِّخيلة فى السَّنة الآتية، فأجابَهم أميرُ المــدائن، وتوافقُوا مَعهُم وقد وفَد إلى الكُوفة مَن يُدعَى « المُختار بن أبى عُبَيْد الثّقَفى الكذّاب » وقد لعبَت برأسْــه السابئة، فَــوَجَدَ الشِّيعةَ قد التفّت علَى سُليمان بن صُرد، وعظّمــوه تعْظِيماً زائداً، وهُم مُعدُّون للحَرب.

(١١٥)

فلما استقرّ المُختار عندهم بالكوفة، دعَا إلى إمامَة المَهدى مُحمد بن علىٍّ بن أبى طالب وهو المُلقّب «مُحمد بن أبى الحَنفيّة فى الباطن » ولقبُه المَهدى كما قالت تلك الفرقة، فاتّبعهُ علَى ذلك كثيرٌ من الشِّيعة، وفارَقوا سُليمان بن صرد، وصارَت من وقتها الشِّيعَةُ فرْقَتَيْن:

الجُمهور منهم مَعَ سُليمان بن صرد يُرِيدُون الخُرُوجَ علَى النّاس ثأراً للحُسين.

والفرقةالأُخرى يُريدونَ الخُروجَ للدّعْوَة إلى إمامة مُحمد بن الحَنَفيّة، وذلك عَن غير أمْرِ ابن الحَنَفية أو رِضَاه، وإنّما يتقوّلُون عليه، ليُرَوِّجُوا علَى النّاس به، وليتواصُلوا إلى أغراضهم الفاسدة.

ثم اختلفَ الفريقان من داخلهما، ومنهم مَن بايع عبد الله بن الزبير بعد أن استفحَلَ أمرُهُ، والتفّ حولَه خلقٌ كثيرٌ من الشِّيعة.

ولكن الجُمهورَ ظَلّ مع سُليمان بن صرد حتى بلَغوا نَحواً من سبعة عشر ألفا وكلُّهم يطلُبون الأخذَ بثأر الحُسين.

ولمّا خرجوا إلى النخيلة فى السنة التّالية (خَمس وستّين) كما تواعدُوا سَلَفا كانُوا قليلاً، فَلَم تَعْجب سليمان قِلّتهُم، فأرسَل مُناديا يُنادى فى الكُوفة « يا لثارَات الحُسين »، حتى بلَغَ المسجد الأَعظمَ، فَسَمِعَ الناسُ فخرَجُوا إلى حيثُ سُليمان ومَن مَعَه بالنخيلة، وخرج أشرافُ الكُوفة، فكانوا قريباً من عشرين ألفا أو يزيدُون:

فَجَاءَت بوَصْلٍ   حين لا ينفع الوَصْلُ

فلو كان هذا العزمُ والاجتماعُ قبلَ وُصولِ الحُسين إلى تلك المَنزلة لكانَ أنفع له وأنْصَر من اجتماع سُليمان وأصحابه لنصرته بعد أربع سنين.

ولمّا عَزَمَ الخُروجَ بهم انصرفُوا عَنه، ولم يبقَ معهُ سوى أربعةُ آلاف، فسارَ بهم قاصدا الشّام، وما كانوا يقطعُون مَرْحَلَةً فى الطّريق إلاّ وقد تخلّف عنه طائفةٌ من الذين مَعه.

فلمّا مَرُّوا بقَبْرِ الحُسين صاحُوا صيْحَةً واحدَةً، وتباكُوا، وباتُوا عنده ليلةً كاملةً، وظلُّوا يوماً يترحّمون عليه، ويستغْفرُون له ويترضّون عنه.

ولمّا أرادوا الانصرافَ جعلَ لا يبْرَح أحدُهم حتى يأتى القَبْرَ فيترحّم علَيْه ويستغْفرُ له، حتى جعلُوا يزدحمون عليه أشدّ من ازدحامهم عند الحَجَر الأسوَد.

ثُمّ سارُوا إلى الشامِ فلما دَنَوا، خطَب سُليمان أصحابَه فرغّبهم فى الآخرَة وزهّدهُم فى الدنيا، وعيّن من يتولّى أمرَهم إذا هُو قُتل.

أ – عين وردة:

والتقا الجمعان، فدعا الشاميُّون أصحابَ سليمان إلى الدُّخولِ فى طاعةِ مرْوان بن الحكَم، ودَعا أصحابُ سُليمان الشّاميين إلى أن يُسلِّموا إليهم عُبيد الله بن زِياد، فيقتُلُوهُ ثأْراً للْحُسين، وامتنعَ كلُّ فريقٍ أن يُجيبَ دعْوةَ الآخَر، فاقتَتَلُوا قتالاً شديداً طُوال يومِهم إلى اللّيلِ، ولم يتوقّفوا من أجل الصّلاة، وكانت الدائرة للعراقيين علَى الشّاميين.

وجاء الدّعمُ إلى الشّاميين، فاقتَتَلوا قتالا شديدا إلى حين ارتفاع الضُّحى، ثُم تمكنّوا من تطويقِ أهل العراقِ، وأحاطُوا بهم من كُل جانب، فَخَطَبَ سليمانُ ابن صرد فى الناس، وحرّضهم علَى الجهاد، ونادَى: يا عبادَ الله، مَن أرادَ الرّواح إلى الجنّة، والتّوبة من ذنبِه، والوفاء بعهده، فليأتِ إليَّ، فترجّل معهُ ناسٌ كثيرون، وكسروا جُفُون سُيوفِهم، وحَملوا حتى صاروا فى وسطِ القومِ، وقَتَلُوا من أهْلِ الشّام مقتلةً عظيمةً، حتى خاضُوا فى الدِّماء، وقد تمكّن أحد رُماةِ الشّام من أن يُصيب بسَهم سُليمان بن صرد أمير العراقيين فوقَعَ، ثُم وَثَب ووَقَع، ثمّ وثَبَ وهو يقُولُ « فُزْت وربِّ الكَعبة » وقُتل سُليمان فى معركةٍ لَم يَرَ الشَّيْبُ ولا المَرَدُ(١) مثلها قَط فحملَ الرّاية المُسيَّبُ بن نجيّة، وقاتلَ قتالا شديداً حتى قَضى نَحْبَه ولَحق به صحبُهُ رحمهم الله. لا يَحْجزُ بينهم إلاّ أوقاتُ الصلاة.

فآلت الرّايةُ إلى ابن نفيلٍ، وماتَ خلقٌ كثيرٌ، ودخَلَ الظلامُ، ورَجَعَ الشاميون إلى رِحالِهم، ورَجَع أميرُ العراقيين، وحامل الراية « رفاعة بن شداد » بمن معَهُ من الناس إلى بلاده، وانصرَفَ أهلُ المدائنِ إليها، ورَجَعَ أهلُ الكُوفة إليها، وقد قُتل منهم خلقٌ كثير وجَم غفيرٌ.

وهكذَا هلَك جيشُ التَّوَّابين، وهم أتباع سُليمان بن صرد الصّحابى الجَلَيل النَّبيل، العابِد، الزّاهد، الذى رَوَى عن النبىّ ﷺ، وشهد مع أميرِ المُؤمنينَ عليٌّ ﷺ القتالَ أيّام صِفِّين، وهُو من أركان الشِّيعةِ، كمَا كان فِيمن كَتب إلى الحُسين بالقُدومِ إلى العراقَ،

(١) مَرَدَ الغُلامُ – مَرَدَاً : نَبُتَ شَارِبُه . فهُو أمْرَد . (ج) مُرْد .

فلمّا قدمَها خذلُوه، وتخلّوا عنْهُ، وكان ما ذكَرنا، وماتَ فــي واقِعــة{{عــين وردة }} « مقتُولا » سنة خمس وستين علَى المشهور .

وقُتِل عن عُمْرٍ يُناهز ثلاثاً وتِسعين سنة « رحمه الله » وحُزّت رأسُه، وحُمِلــت مع رأس المُسيب بن نجيّة إلى مَرْوان بن الحَكَم، الذى علّق الرُّؤوس بِدمَشق.

وفى رمضانَ من السنة ذاتها كانت وفاةُ { مروان بن الحكم }، ويعُودُ سببُ وفاتِه إلى أن كان قد تزوّج بأمِّ خالد بن يزيد بن معاوية وهى « أُم هاشــم بــن عُتبــة بــن رَبِيعَة».، وكان مُراده من هذه الزّيجة أن يُصَغِّرَ ابنَها خالد فــى أعــيُن النــاس، لأنّ الناسَ كانت تُريدُ توليَتَه بَعدَ أبيه يزيد ابن مُعاوِيةَ.

وفى إحْدَى جلْساتِ مروان مع جُلسائِه، دَخَلَ عليهم خالد فتكلّم فيه مَروان بــسوء وخاطبَه بقوله: يا ابن الرّطبة الآست(١).، فرَجع خالد إلى أمِّه، ورَوى علَى مَــسامعها ما كان من زوْجها، فقالت له: اكتُم ذلك عَن النّاس ولا تُعلم به أَحَدَاً، أوْ تُعلمْهُــم أنّــك اعْلَمْتَنى، فلمّا دَخَلَ عليها مَروان سألَها إن كان خالد قد ذكَرَه بسُوءٍ عندَها ؟ فأجابتــهُ بنَفى سؤاله، وقالت: وما عَساه يقولُ وهو يُحبُّك ويُعظِّمُك ؟

ونامَ مروان عندها فى ليلته هذه وهو لا يدرى أنّها آخر اللّيالى فى حَياتــه، فلمّــا أَخَذَهُ النّومُ عَمدَت إلى وسَادَةٍ فوضعَتْها علَى وجْهِه، وتحامَلَت هى وجواريهــا عليــه حتى ماتَ غمّاً، فى ثالثِ شهر رمضان سنة خَمس وستين بدمْشق، عَن عُمر قِيل إنــه إحدى وثمانون سنة، وقِيل ثلاث وستون عن مُدَّة إمارَة تِسعة أشهرٍ وبِضع أيّام.

(١) النّاعمَة الطّريّة

ب – جَبّانة السَّبَيع

بَعْد قليلٍ من وقْتٍ مَضى علَى وقْعَة عَين ورْدَة، شَرَع المُختار وهو ممّن انشقُّوا عن سُليمان بن صرد، بَل وفى طليعَتهم، وقد شرَعَ فى تتبُّع قَتَلَة الحُسين من شَريف ووَضيعٍ، وخَرج بمَن معه إلى ظاهرِ الكُوفة، ولمّا كان مَخرجُه ومَن مَعَه إلى عُبيد الله بن زياد جهّز له جيشاً يُلاقيهم، والتقا الجَمْعان، فاقتتلوا قتالا شديداً، اضطّربت فيه جُيوش الشّاميِّين، ولمّا دَخَل الليلُ عليهم باتُوا مُتحاجزين، فلمّا أصبحُوا توافَقوا علَى تعبئَة واستعدادٍ وكان يوم عيد الأضْحى سنة ست وستين، فاقْتَتلُوا قتالاً شديداً انهزم فيه جيش الشاميين، وقَتلوا أميرَهم "عبد الله ابن حملة "واحتوَوْا علَى ما فى مُعسكَرهم وحاصَروهُم، وأسَروا منهم ثلاث مائة أسِير فجيئ بهم إلى { يزيدِ بن أنس } وهو علَى آخرِ رمَق فى حياته، فأمرَ بضرب أعناقهم، ومات يزيدُ من يَوْمه.

ولمّا بَلَغَت الأنباءُ أهلَ الكُوفة، وأنّ يزيد بن أنس قد قُتل خشِى أهلُ الكوفة علَى أنفُسهم، وتخوّفوا من ابن زياد، وخَشَوا بأسَه، فأرادُوا دَرْءَ الشرِّ عن أنفسهم، وبدلاً من الالتفافِ حول المُختار، اتّفقوا علَى حربِه وقتاله، وإخراجِه مِن بين ظهرانيهم، واعتقَدُوا أنّه كذّاب، وأنّه مُتَقوّلٌ علَى مُحمَّدٍ بن الحَنفية فى قولهِ أنّه قد أمَر بالأخذِ بثأرِ الحُسين، وهو لم يأمُر بشئ.

فاجتمع أشرافُ الناسِ من قَتَلَة الحُسين، وأجمَعوا أمرَهم علَى قِتال المُختار.

ثم اقتَتَل الناسُ فى نواحِى الكُوفة قتالاً عظيماً، وكثُرت القَتْلى بين الفَريقَين، وجرَت فصولٌ حربيّة، وأحوالٌ مُؤسفةٌ يطولُ استقصاؤُها، وقُتل جماعةٌ من الأشراف فى يوم عُرِفَ باسم (جبّانة السّبيع)، وهو الأربعاء الرابع والعشرين من ذى الحجة سنَةَ ستٍّ وستِّين، وكان النّصرُ للمختار علَى هؤلاء، وأُسِر منهم خمسمائة أسير، فعُرِضوا عليه فقال: انظُروا – مَن كان منهم شَهدَ مَقتلَ الحُسين فاقتُلوهُ، فقُتل منهم مائتان وأربعُون رَجُلا، وقتَل أصحابُه أُناساً آخرين، ثم أَطْلَقَ البَاقين.

وتتبّع المختارُ « شمر بن ذى الجوشن » أمير السّرية التى قَتلت الحسين حتى قتلَهُ، ثُمّ أرْسَلَ المُختار قائدَ حَرَسه إلى بيت { خولى بن يزيد } الذى احتزّ رأسَ الحُسين ففاجَئَهم، فخرَجت إليهم امرأتُه، فسألُوها عنه، فقالت بِصوتٍ مسْمُوعٍ لا أدرى

أينَ هُو، بينَمَا أشارَت بيَدِها إلى المَكان الذى هو مُختَفٍ فيه، وكانت تبغضُه شَديداً مُنذ اللّيلة التى جاءَ إليها ومعهُ رأس الحُسَين، فدخلُوا إليه فحَملوهُ، واقتادُوهُ علَى المُختار، فأمَرَ بقتلهِ قَريباً من دارِه ثُم إحراقه بعدَ ذلك.

ثمّ بعثَ المختار إلى يزيد بن ورقاء، قاتل عبد الله بن مُسلم بن عَقيل، فلمّا أحاطَ الجندُ بدارِه خرج يُقاتلهم فرمُوهُ بالنِّبال والحجارة حتّى سقطَ، ثم حرّقُوه وبه رمق الحَياة، ثُمّ طلَبَ المختارُ سنان بن أنس الذى كان يَدّعى أنّهُ قتلَ الحُسينَ، فوجَدُوه قد هربَ إلى البصرةِ أو الجَزيرة فأمَر بهدمِ دارِه.

أمّا عَمرو بن سعد بن أبى وقّاص، أميرُ الجيش الذين قتلُوا الحُسينَ، فقد بلَغَه أنّ المختارَ يُريدُ قتلَه، فَخَرَجَ من منزلِه ليلاً يُريد السّفَرَ إلى ابن زياد، فنَهَاه مَولاه عَن قصْدِه، فأرْسلَ عَمرو إلى المُختارِ رسُولاً يسألُه عمّا إذا كان المُختار مُقيم علَى أمانِه له أمْ لا وكان المُختار قد مَنَحه إيّاه من قَبل ؟

فلمّا أتى الرّسول إلى المُختار قال له اجلس، فلمّا جَلَسَ قال المُختار لقائد حَرسه: إذهَب فأتنى برأْسه، فَذَهَبَ إليه فقَتَلَهُ، فَلَمّا جاءَ برأسه إلى المُختار، قال المُختار لابن عمرو بن سعد « حَفص » وكان جالسا عند المختار: أتعرف هذه الرّأس؟ فاسترجَعَ وقالَ: نَعم ، ولا خَيْرَ فى العَيْش بَعْدَ، فقال له المُختارُ : صدَقْتَ ، ثُم أمَرَ فضرُبت عنُقُه، ووضعَ رأسَه مع رأس أبيه وقال: هذا بالحُسين، وهذا بعَلِيٍّ الأكبر ابن الحُسين، ولا سَوَاء. ثم بعَث برأسيهما إلى مُحمد بن أبى الحَنفية وكَتَبَ إليه كتاباً فى ذلك:

« بسم الله الرّحمن الرّحيم: إلى محمد بن علىٍّ، من المختار بن أبى عُبيد، سَلامٌ عليكَ أيُّهَا المَهديّ، فإنّى أحمدُ الله الذى لا إله إلاّ هو، أمّا بعدُ، فإنّ الله بَعَثَنى نقْمةً علَى أعدائكُم فَهُمْ بين قَتيلٍ وأسيرٍ، وطَريدٍ وشريد، فالحمد لله الذى قَتَل قاتلَكم، ونَصَر مُؤازرَكم، وقد بعَثتُ إليك برأس عمرو بن سعد وابنه، وقد قَتَلْنا ممّن اشْتَرَكَ فى دَمِ الحُسين وأهل بيته، كُلُّ مَن قدَرنَا عليه، ولن يُعجِز اللهُ كُلّ مَن بَقِى منهم، ولستُ بمُحجِم عنهم حتّى يبلُغنى أنّه لم يبقَ علَى وجهِ الأرض منهم أحدٌ، فاكتُب إلىّ أيُّها المهدىُّ برأيك أتّبعُه وأكونُ عليه، والسّلام عليكم أيُّها المَهدى ورحمةُ الله وبركاته(١) ».

---

(١)البداية والنهاية ج ٤ ص ٨٢٠.

ولم يذكُر عُلماء السِّيَّر أنّ ابن الحنفية قد ردّ إليه جواباً.

وأبدت الأيّامُ للمُختار ما لَيس بوسْعِهِ مُلاقاتِه، فجيشُ الشّام من قِبَلِ عبد الملك بن مَروان مع عُبيد الله بن زياد يقْصدُونَهُ فى جَمْعٍ كثير وحشْد كبيرٍ، وابن الزُّبيــر فــى مكّة لا ينامُ عنهُ، فشرَعَ يُصانِع ابن الزُّبَيْر ويَعمَل علَى المكْرِ بهِ، وخداعــه، فأرســلَ إليه يُعْلِمْهُ أنّه علَى الطّاعة والعَهد.

ومكَرَ الطَرفانِ كُلّ علَى الآخَر فأرْسَلَ ابنُ الزُّبير العبّاسَ بن سَهلٍ إلى المُختار علَى رأس جَيْشٍ مُدّعيا أنّه لمقَاتَلَة جَيْشِ الشّام، وأرْسَلَ لَهُم المُختار المُؤنَ والزّاد، وفرقةً من جَيْشه.

فلمّا كان الليلُ بيّتَهُم عبّاس بن سهل فقتلَ أميرَهُم وطائفةً من الذين مَعَــه، وأسَــرَ منهم خَلْقاً كثيرا ثم قَتَلَ أكثرَ هؤُلاء الأسرَى، ورَجَع القليل إلى المُختار.

أمّا ابن الزُّبير فكان يتوجّس فى نفْسه خيفةً اتْقَاء مُحمّد بن الحنَفية مَعَ المُختــار، وذكَرَ ابن جرير مِن طريقِ المدائنى وأبى مخنف أن ابن الزبير عَمَدَ إلى ابنُ الحَنَفيّــة وسبعةَ عشر رجلاً من أشراف الكُوفة وهم ضُيوف البيــتِ الحَــرَامِ فحبَــسَهم حتّــى يُبايعُوهُ، فكرهوا أن يُبايعُوا إلاّ مَن اجتمَعَت عليهِ الأُمّةُ، فتهدّدَهم وتوعّدهم، واعــتقَلَهم بزَمزَم، فكتبُوا إلى المُختار، فجيّش جُيُوشَه، ثُمّ سَارَ بِهم حتّى دَخَل المَــسجد الحَــرَامَ نَهَاراً جَهاراً وهم يقُولُون: يا لثَارات الحُسين.

بينمَا ابن الزُّبير قد أعدّ الحَطَبَ لابنِ الحَنَفية وأصحابه ليحرقَهم فى مُعْتَقَلِهم عنــد زمْزم إذا ما بايعُوه خلال مُهلة تبقّى منها يومان، فعَمَد أصحابُ المُختــار إلــى ابــن الحَنَفية فأطلقُوه، وقالوا إن أذنتَ لنا نُقاتل ابن الزبير فقالَ: إنِّــى لا أرَى القتــال فــى السجدِ الحرام.

فقال لهم ابن الزُّبير: ليس نبْرَح وتبْرَحُون حتى يُبايع وتُبــايعُوا مَعــه، فــامتنَعوا عليه، وجاءَت جُمُوعٌ جديدةٌ للمختار فجَعَلُوا يقُولُون وهم داخل الحــرَم يــا لثــارات الحُسين، فخافَ منهم ابن الزُّبير وكَفّ عَنهُم.

ثم أرْسلَ المُختارُ إبراهيم بن الأشتر النّخعى إلى عُبيد الله بن زياد لمُقاتَلَته، وكان قد أرسلَ معه كُرسيّاً يستنصرُون به، ويستَفتحون علَى عدُوِّهم تماماً كما يفعل اليهودُ.

وهو ما أشارَت به السابئة علَى المُختار، وقد أرادوا لِيؤجِّجُوا الفِتنةَ، ويزيدُوا فى الضّلال كُلاًّ ممّن ضلّ أو أضلّ سواءٌ بسواء.

فلمّا تواجَهوا ودارَت رَحَا الحَرْبُ، قتَلَ ابن الأشتر ابن زياد من غير أن يعرفَــه، ولمّا انتَهَت قال لأصحابه: التَمسُوه فى القَتلى، فالتمَسُوهُ، فإذا هو عُبيد الله بــن زيــاد، وقد ضَرَبَهُ الأشتر فقطَعَهُ نصفَين، فاحتزُّوا رأْسَه وبعثُوه إلى المُختار، مــعَ البــشارة بالنّصر علَى أهل الشام.

وهكَذا روّج السّبئيّة (السّابئة) للكُرسى، وزادُوا فى أسْراره، وبالغُوا فى قُدْرَاتــه حتى بَلَغَ الشِّيعةُ فى تعظيمه مبالغ الكُفْر، بعد أن لَعب اليهُودُ المُنبسِّين داخل المُسلمين وهُم يتظاهَرون بأنّهم مُسلمون، وقد لَعبُوا برأس المُختار لقِلّة عقْله، وضَــعْفه، وقلّــة علْمه، وكثرة جَهْله، ورداءَة فهْمه، وترْويجه الباطلَ علَى أتباعــه، وتــشبُّهِ الباطــل بالحقِّ، وقد أضلّ الطّغام، واجتمعَ عليه جُهّالُ العَوَام.

مقتل المختار بيد الجزار:

كان عبد الله بن الزبير قد عَزَلَ فى سنة سبعٍ وستِّين من الهجــرة نائبَــه علَــى البصرة، وولاّها لأخيه مصعب بن الزبير ليكون ردءاً وكُفُؤاً للمُختــار، فلمّــا دَخَــل مصْعب البصرةَ اجتمعَ الناسُ عليه ثُمّ قَامَ خطيباً فيهم، وقَرَأَ قَوْلَه تَعَالى ﴿ **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا** ﴾ [القَصَص: من ٤] وأشارَ بيده نَــحْوَ الــشّام أوْ الكُــوفة، ثُمّ قال ﴿ **وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّــةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۞ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ** ﴾[القَــصَص: ٥، ٦] وأشــارَ إلــى الحجاز وقَالَ: يا أهلَ البصرة إنكم تُلقِّبون أُمرَاءكم، وقد سَمَّيتُ نفْسى الجزّار، فــاجتمعَ عليه النّاسُ.

أمّا المُختار فقد ابتُلى بقِلّة الدِّين والكُفر حتى ادّعى أنّه يُوحَى إليه، كما أنّه كَــذَبَ فى قوْله بنصرة أهل البيت، وهو قَوْلٌ يستَترُ فيه ليجمعَ عليه رِعَاعاً من الشِّيعة الــذين بالكُوفة ليُقيمَ لهم دوْلةً ويجُولُ ويصُولُ علَى مُخالفيه جَولةً وصوْلَةً.

وقد انصَرَفَ عنه كثيرُون من أتباعه إلى البصرة بسبب طاغُوته وعناده وكُفــره، وقد صاروا من أنصار الجزّار.

(١٢٢)

وعَزَم مصعب بن الزبير الخروجَ لقتالِ المُختار، فخَطَبَ النّاس، وحضّهُم علَــى الخرُوج، ورَكب هو وخَلقٌ كثيرٌ من أصحابه، وخرجَ المُختارُ فنزَل حرُوراء، وتَلاقى الجَمْعان، ووَقَفَ المختارُ في بقيّة أصحابه، فاقْتَتَلُوا قتالاً شديداً إلى اللّيل، وقُتلَ أعيــانُ أصحابُ المُختارِ وسوادَتِهم، وتَفَرّقَ عنه أصحابُه، ثُمّ هَرَبَ إلى قصْرِ الكُوفة يحْتَمِــي به، فحاصرَه مصْعب، فلمّا اشتدّ عليهم الحِصار، ومُنعوا الميرة والماء قال لأصــحابه: **إنّ الحصارَ لا يزيدنا إلاّ ضَعْفاً، فانزلوا بنا نُقاتل حتى اللّيل حتــى نَمــوتُ كرامــاً.** فوَهَنُوا، فقالَ: أمَا والله لا أُعطي بِيَدي، ثم اغتَســَل، وتــَطيّبَ، وتحنّطَ، وخرَجَ فقاتلَ هو ومَن مَنَعَهُ حتى قُتلوا، وكما قَتَلَ مصعب جماعةً من أصحاب المُختار {المُختاريّة} فقد أسَرَ منهم نحواً من خَمسمائة أسير.

ثم أمَرَ مصعب بكَفِّ المختار فقُطعت وسُمِّرت إلى جانب المَسْجِد فلم يزلْ هُنالــك حتى جَاء الحجّاجُ فسألَ عنها فَقيل له هي « كفُّ المُختار » فأمَرَ برفْعِهــا، ونزْعِهــا، ودَفْنها، وذلك لأنّ المختارَ من قَبيلَةِ الحَجّاجِ، ولهذا أخَذَ الحَجّاجُ بثأْرِهِ من ابن الزُّبير، فَقَتَلَه وصلَبَه عند الكعبة شُهُوراً كما سنذكُر عند مَوْضعه.

مقتل الجزّار:

سارَ ابنُ مروان في جُنودٍ هائلَةٍ من الشّام قاصداً مصعب بــن الزبيْــر ، ودَخَــل بعضُ رِجَالِه إلى البصْرةِ ســرّا ، فدعوا بعض أهلها ، فاستجابَ بعضُهم ، بيْنَمَا كــان مصعب قد سارَ إلى الحجازِ ، ولكنّه عادَ ودخلَ البصرةَ علَى إثْرِ ذلك ، فأنّبَ الكُبراءَ من النَاسِ ، ولامَهُم ، وسبّهم علَى دُخولِ أولئك النّفرِ من عند ابن مَروان ، وإقــرارهم ما دعاهُم إليه ، فهدَمَ دُور بعضهم ، وذَهَبَ بجُنــدِهِ قاصداً الكوفة ، ثم بلَغَه أنّ جــيشَ ابن مرْوان جاءَ يقصدُه .

فَخَرَجَ مصعب وقد اخْتَلَفَ علَيْه أهلُ العراقِ، وخَذَلُوهُ تماماً كما كانَ من شــأنهم ودأبِهم مع عليٍّ بن أبي طالب، والحَسين، ومُسلم بن عقيل، والحَسن ﷺ جميعاً. وَجَعَلَ يتأمّل فيهم فوجدَهُم لا يُقاتِلُون أعداءَهُ، فاستَقْتَلَ وطمَّن علَى نفْسِهِ وقَالَ: « لي بالحُسَين بن عليٍّ أُسْوَة ».

تَوَاجَهَ الجَيْشانِ، ووقَعَتْ معاركُ طاحنةٌ مات فيها« عيــسى بــن مــصعب بــن الزُّبير» بين يدي أبيه، وقد أُثْخَنَ مصــعب من الرّمْي، فَوَجَدَهُ « زائدةُ بن قُدامة »

علَى حاله فَحَمَلَ علَيه فطعَنَه وهو يقولُ: « يالثارَات المُختار »، ثُمّ نَزَلَ إلَيْــه رجُــلٌ يُقالُ له « عُبيد الله بن ظبيان التّميمي » فَقَتَلَهُ وحزّ رَأْسَهُ.

وذلك فى الثّلاثاء، الثّالث عشر من جُمادى الأُولى، وقيل جُمادى الآخرة من سنة إحدى وسبعين من الهجرة – فى قول الجُمهور.

ولمّا وُضِع رأسُ مصعب بين يدَى عبد المَلك، بكَى عليه ونعَاهُ بكلام طيِّب، ثُــم أمَرَ بدفنه، وابنه عيسى، وإبراهيم بن الأشتر فى قُبور خاصّةٍ بمَــسْكَنِه بــالقُرْبِ مــن الكُوفَة.

وبايعَ أهلُ العراق ابن مروان بَعد مَقْتَلِ مصعب، وارتَحَلَ إلــى الكُوفــة، وولّــى أخــاهُ (بِشر بن مَروان) عليها، أمّا البصرة فولّى علَيْها (عُبيد الله بن خالد بن أبــى بكرة)، وانقطعَت ولاية ابن الزُّبير علَى العراق من سَنَتها، وتجدُر الإشارةُ ههُنا إلــى أنّ « الجزّار)» مصعب بن الزبير) له أولادٌ هُم [« عُكاشة وعيــسى وقــد قُــتِلا معَه » وسكينَة] وأمُّهم "" فاطمة "" بنت عبد الله بن سَبَأ.

واسْتَتَبّ الأمرُ لابن مرْوان الذى أقَرّ « المهلب بن أبى صفرة » علَــى الأهــواز ومَا معَها، وكانت فى وقتِ ولايته وقعةٌ عظيمةٌ بيْنَهُ وبينَ الأزارقــة مــن الخــوارج بمكانٍ يُقال له « سُولاف » [منطقة من بلد خورستان]، وتواقَعَ النّاسُ فى دوْلة عبــد الملك بالأهْواز، ومَكَثُوا مُتَواقفينَ نحْواً من ثمانية أشْهر، وجَرَت بينَهُم حُروبٌ يَــضيقُ المَقَامُ بها، فكسَرَ الناسُ الخوارجَ كسْرةً فظيعَةً، وطردُوهُم كُلّ مَطْرَدٍ، ولكن لَقِى جيشُ ابن مروان جُهداً عظيماً، وماتتْ خُيُولُهُم أو كُسِرت قوائمُها، ولم يرجِــع أكثــرُهم إلاّ مُشاةً إلى أهليهم.

ج – الحرَامُ فى البَيت الحَرَام:

قال عُلماءُ السِّيَرِ إنّ عبد الملك بن مروان بعَثَ الحجّاج بن يوسُف الثّقَفــى إلــى عبد الله بن الزُّبير ليحاصره بمكّة، ويعُودُ السَّببُ فى ذلك أن ابــن مــروان لمّــا أرادَ الرُّجوع إلى الشّام بعْدَ أن أَخَذَ العراقَ، نَدَبَ النّاسَ ودَعَاهُم إلى قتال ابن الزُّبير، فلــم يُجِبْهُ أحدٌ، فقامَ الحجّاج وقال: يا أميرَ المُؤمنين، أنا لَه. فوافَقَه عبد الملك علَى ذلك.

فخرَجَ الحجّاج فى جمادى الآخر سنة ثنتين وسبعين من الهجْــرة، ومعــه ألفَــا فارسٍ من أهل الشّام، فَسَــلَكَ طريقَ العراق، ولم يَــعرِض للمدينة حتى نَزَل الطّائف

ومن هُناك بدأ فى إرسال رُسلهِ وبَعْثه إلى « عَرَفَة ».

أمّا ابن الزبير فكان يُرسل خَيْلَهُ فَيَلْتَقِيان، فيكُونُ الظَّفر لأهلِ الشّامِ، ومَكَثَا علَى ذلك وقْتاً فاعلين، حتى وهَنَت قُوّة ابن الزُّبير، وملّت جماعَتُهُ، وتَفَرّق عنْهُ عامّةُ أصحابه.

ثُمّ كَتَبَ ابن مروان يطلُب إليه الإذْنَ بدخُول الحرَم، وأن يمُدَّه بِرجَالٍ، فأجَابَه إلى ما طَلَبَ مع طارِق بن عمرو علَى رأْسِ جيْشٍ كبيرٍ.

وارْتَحَلَ الحجّاج من الطّائف، فنزَلَ بئرَ « ميمُونَة »، وحَصَرَ ابن الزُّبير بالمسْجِدِ، فلمّا دخَل ذو الحِجّة، حجّ بالنّاس الحجّاج فى هذه السَّنة، وهُو ورجالُه مُدَجّجين بالسِّلاح.

أمّا ابن الزبير فإنّه محْصُورٌ فى المسجدِ لم يتمكّن من الوقُوفِ بعرَفَات، ولم يتمَكّن من تأديةِ ما بَعدها من الشّعائرِ، وكذلك كان حالُ كثيرٍ ممّن مَعَه، غيْرَ أنه نَحَرَ بُدْنَاً يوم النّحْرِ، وعلَى الجانب الآخر لم يتمكّن كثيرٌ من رجالِ الحجّاج وطارق بن عمرو أن يطُوفُوا بالبَيْت، فبقُوا علَى إحْرَامهم لم يحْصُل لهُم التحلُّل الثّانى، والحجّاج وأصحابُه نزولٌ بين الحجُون وبئر ميمُونة – فإنّا للهِ وإنّا إليه راجعون، وقد حاصَرَ الحجّاجُ ابنَ الزبير خمسةَ أَشْهُرٍ وسَبْعَ عشرة ليْلة علَى المشهُور فى الرِّوايات، فقد حُوصر ليلةَ الحِجّة سنة ثِنتَيْن وسبْعين، وقُتلَ فى السّابع عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين.

وقد بدَأت تلك السّنة وأهلُ الشّام يُحاصرُون أهْلَ مَكّةَ، وقد نَصَبَ الحجّاج المجانيق علَى مكّة ليحصُر أهلَها، حتى يخرُجُوا إلى الأمان والطّاعة لعبد الملك بن مروان.

وقد استَعَان الحجّاج بالحَبَشَة المَسيحيّة، فكانُوا مَعَه، ومعَهم جميعاً خمسة مجَانيق، وشرعُوا يقذفُونَها بالمجانيق من كلِّ جانب، ثم حاولُوا الدُّخولَ إلى ابن الزبير فى المَسْجِد فشدُّوا عليه، فشدَّ عليهم وأخرَجَهُم مرّات كثيرَة.

ونَزَلَت الصّواعقُ والرّعودُ والبروقُ، وأصواتُها تعلُوا أصواتَ المنْجَنيق، وأصابَت صاعقةٌ إثنى عشر رجُلاً من الشّاميين فضَعُفَت قُلُوبُهم، فشجّعهم الحجّاج وقال لهم: إنّ القوم يُصيبُهم ما يُصيبُكُم.

وفى اليومِ التّالى أصابت صاعقةٌ كثيراً من أصحابِ ابن الزُّبير، ثمّ نَزَلَت صاعقةٌ علَى المنجنيق فأحرَقَتْهُ، فتوقّف أهلُ الشّام عن الرّمى.

فقال لهم الحجّاج: ويْحكُم ! ألَم تعلَموا أنّ النّارَ كانت تنزل علَى مَن كـان قَبْلَنَـا فتأكلُ كلَّ قربانهم إذا تُقبل منهُم ؟ فلوْلا أنّ عَمَلَكُم مَقْبُولٌ ما نزلَت النّار فأكَلَتْهُ، فعَادُوا إلى المُحاصَرة.

ورَفَضَ ابن الزبير النُّزولَ إلى الصُّلح والبيْعة لابن مَرْوان، وخَرَجَ أهلُ مكّة إلى الحجّاج بالأمان وأخَذُوا يتركُون ابن الزُّبير حتى بلغُوا أكثرَ من عشْرة آلاف، فـأمّنهم الحجّاج حتى خرج إليه كذلك (حمْزة & وخبيب) ابنا عبد الله بن الزُّبير، وأخَذا عهْداً بالأمانِ، فشَكَا ابن الزُّبير لأُمِّه (ذات النِّطَاقَين _ **أسماء بنت أبـى بكـر الـصديق** _ رضِى الله عنهما) انصرافَ الناس من حَولِه، فوَاستْه وحضتّه علَى الصّبر واسـتقبالِ الآخرَة، وبشّرتْهُ بفَضْلِ الله ورِضْوانِه.

فلمّا كانت ليلة الثُلاثاء السّابع عشر من جمادى الأولى باتَ ابن الزُّبيـر يُـصلِّى طوال ليلته، ثُم جَلَسَ مُمْسكاً بعَلاّقة سيْفه، ثمّ أغْفى ثُم انتبَه عند الفَجْر كَعَادَته، ثمّ قال: أذِّن يا سعْد، فأذّن عند مقام إبراهيم، وصَلّى ركْعَتَى الفجر وهى سُنّة مُؤكّدة، ثُمّ أُقيمَت الصّلاة، فصلّى الصُّبحَ وهى الصّلاة المفْرُوضَة، ثُمّ حرّض أصحابَه، وحَضّهُم علَـى طلَبَ الآخرة والموت فى سبيلِ الله، ثُمّ حَمَل وحَمَلُوا إلى الحُجُون.

فَلَمّا لم يستطيع أهلُ الشّام لقاءَه وفَرُّوا كُلّ مَفَرٍّ، ابتَكَرَ الحَجّاجُ لوناً جديـداً فـى المَكر والخديعَة، فأرْسَلَ إليه امرأةً آجرَة(١) فجاءَته فأصابَته فى وجْهه، فـارْتَعَشَ لهـا وسَالَ الدّمُ علَى وجْهه، ثُمّ سَقَطَ علَى الأرْضِ فأسْرَعُوا إليه فَقَتَلُوهُ ﷺ، فخرّ الحجّـاج ساجداً – قبّحَه الله – ثُمّ قامَ هُو وطارق بن عَمرو عليه وهو صَرِيع.

وارتجّت مكّةَ بُكَاءً علَى عبد الله بن الزُّبير.

ثُم كتَبَ الحجّاج إلى ابن مَروان بما وقَعَ، وبَعَثَ إليه برأس عُبد الله بن الزُّبير، ورأس عبد الله بن صَفْوان، وعمارَة بن حَزم.

وكان الحجّاجُ قد أمَرَ المبعُوثين أن ينصبوا الرُّؤوسَ بمكّةَ عِبرةً للناس، ثُمّ يَسيرُوا بها إلى الشّام، ثمّ أمَرَ كذلك بجُثة ابن الزُّبير، فصُلبت علَى ثنيّة (كَدَا) عند

---

(١) آجرة أو مأجورة: لها أجْرٌ علَى عَمَلٍ

الحَجُون، ويُقال صلَبها مُنكَّسة شُهُوراً طويلة حتى مرّ عليها عبد الله بن عُمــر فقَــال: رحْمةُ الله عليك يا أبَا خبيب، أمَا والله لقد كُنتَ صوّاما قوّاماً، أما آن لِهذا الرّاكب أن ينزل، فبعثَ الحجاجُ مَن يُنزله، فأُنزِل عن الجِذْع، ودُفِن هُناك، وصارَ الحجّــاج بــن يُوسُف الثّقَفِى وهو علَى مكّة واليمَامة واليمَن من سَنَته تلك.

ويُعد عبد الملك بن مَرْوان بحَقٍّ هو والد الخُلفاء الأُمويين، وقد دَامَ مُلكُهُم حتى كان انقضاءُ دوْلة بنِى أُميّة، وابتداء دَولة بنى العبّاس سنة ثنتين وثلاثين ومائة من الهجْرة.

وقد شهد العَصرُ المَلكى الأُمَوى مراحلَ مُتنوِّعة، وأطــوارَ مُتعــدِّدة، وأصْــنافَ مُتباينة، وألواناً شتّى من الفتنِ والدّسائس والحُروب المحلية " العربية العربية "، ومَاتَ أوْ قُتل فى تلك الفتْرَة الكَثيرُون من الخلْق من المَوَالى والأسْياد، ودارَت معاركُ حربيّة كثيرَة بين بنى أُمَيّة ومن انشقّ عليهم، أو خَرَجَ علَى طاعَتهم، أو رَفَض ولايَــتَهم، أو تَمَرّد عليهم، من أمثلة ذلك ما كان فى وقْعَة " الزّاوية " بين الأشْعث والحَجّــاج، ثُــمّ وقْعة " دير الجماجم " سنة إحدى وثمانين من الهجْرة، ومقْتل « سعيد ابــن جبيــر » رحْمَة الله تعالى عليه سنة أربع وستين من الهجرة.

وهذه واحدة تشهدُ علَى جبُروت بنى أُمية وقهرهم النّاسَ، فلمّا بايعَ عبد المَلك بن مرْوان فى حياته لولده « الوَليد » بُويع له أوّلاً فى دمَشْق، ثُم فى سائر الأقــاليم، ثُــمّ أخَذَ البيعةَ لأخيه سُليمان بن عبد الملك من بَعْده، فلمّا انتهَت البيعةُ إلى المدينة، امْتَنَــعَ « سعيد بن المُسيب » أن يبايع أحداً فى حياة عبد المَلك، فأمَرَ نائبَ المدينة "جابر بــن الأسود بن عوف "، فضربَه ستين سوطا، وألبَسَه ثِياباً من شَعْر، وأركبَه جَمَلا، وطافَ به فى المدينة، ثم أمَر به فذهبَ إلى ثنيّة (ذباب) – وهى المكــان الــذى يــصلُبون النّاسَ عنده ويقتُلُونَهم، فلمّا وصَلوا إليها ردُّوه إلى المدينة. فأودَعوهُ السِّجنَ. فقال لَهم: والله لو أعلمُ أنّكم لا تقتُلُونَنى لم ألْبس هذه الثِّياب. **وفى ذلك القدر الكفاية**

وخلاصة ما تقدّم أنّ النّبي الكريم عليه أتمّ الصّلوات والتّسليم، قد تَرَكَ المُــسلمين يُواجِهون ما تتطلّبه حَياتهم وأحوالُهم السِّياسية بعده، فى ضوء الظُّــروف والمَــصالح المُتجدِّدة والمُتطوِّرة، وفى إطارٍ من الــشُّورى والحِــرْص علَــى الجَماعــة، دُون أن يُلزمَهم بطريقٍ يسلكُونها، ولم يُمهِّد لهُم قواعدَ لاختيارِ أحد بِعيْنِه.

وهو الأمرُ الذى أدّى إلى ظُهور حالةٍ من الفَرَاغ الهائلِ بَعد وفاة الرّسول ﷺ ممّا أدّى إلى حُدوثِ شكْلٍ من أشكالِ التّنافُس فى إبداءِ الرّأى لا أكثر، غيرَ أنّه لم يُؤدِّ إلى انقسامات بين الرّعيلِ الأوّل من المُسلمين.

وقد نتجَ عنه ظُهور تيّاراتٍ، يَحمل كلُّ واحدٍ منهم رأياً خاصّاً – دون التّجرُّؤ علَى فرْضهِ تعْيينا علَى الآخَرين.

فالأنصارُ قالوا: يكون اختيارُ خليفة رسولِ الله ﷺ بالانتخابِ العامِ بينَ المُسلمين سواء فى ذلك المُهاجِرين والأنصار بِشرط المَقدرة علَى حِراسَةِ الدِّين، وسياسة الدُّنيا، حُجّتهم فى ذلك أنّ الإسلام قد سوّى بين جمَيعِ أتباعه، وأذْهَبَ عن قُريش كبرياءَ الجاهليّةِ، ورَأَوْا فى أنفُسِهم أنّ لهُم فضْلَ النّصرة والإيواءِ، ورشّحوا لِلخلافةِ واحداً منهم.

فأمّا المُهاجرون فقد رأوا أنّهم أوّل الناس إسلاماً، وقد تحمّلوا الكثيرَ من الأذَى فى سبيلِ الدّعوة، وهُم أهلُ النّبى ﷺ وعشيرَتُه.

كما أنّ العرب لم يُسلِّموا القِيادة لِغيرهم حتّى مِن زمَن الجاهلية – لذلك فرأيهم قام علَى أن تكُون الخِلافةُ بالانتخابِ العام فى قُريشَ خاصّة.

بينَمَا رَأَى فريقٌ ثالثٌ تخْصيصَ الخلافَة فى بنى هاشم، فهُم الأَوْلى بالخَلافة، قَرَابةً لِلنّبى المُختار ﷺ، ورشّحوا لذلك علِيَّ بن أبى طالب وأولادَهُ مِن بَعدهِ بطريقِ الوراثَةِ والتّعْيينِ، لا بِطريقِ الشُّورى والانتخاب.

وعلَى الرّغم مِن اختلاف الآراء وتنوُّع الأمزِجة، إلاّ أنّه لم يكن لِذلك كُله أثرٌ واضح فى اختيار أوّل خليفة فى الإسلام لِتمكُّن الإسلامِ فى نُفوسِ أتباعه، ورساخَةِ عَقيَدتِه فى ضمائرهم، وشدّة إيمانِهم فى أعماقِهم، فلما دبّت الفتْنةُ ولعب اليهودُ ألاعيبَهم كان ما كان علَى نحْو ما ذكَرْنا بإيجازٍ واقتضَابٍ.

الفصلُ الرّابع

اليَهُوديَةُ والنّوائِبُ البكر

أوّلًا: الاختلافُ الأبَديُّ

لمّا أحسّ المسلمون مُنذ اللّحظة الأولى لوفاةِ نبيِّهم الكريم بفراغٍ كبيرٍ، فــاجتمعُوا لأجلِ ذلك فى سقيفةِ بنى ساعدة لاختيارِ واحدٍ منهُم، ليسُدَّ هذا الفراغ الهائــل، وذلــك قَبل أن يُدْفَنَ النّبى ﷺ ثُم لَحق بالمُجتمعين بعدَ قليل « أبو بكر، وعُمر، وأبو عبيدة بن الجراح ».

ولمّا كان الرَّسول ﷺ قد لحق بربِّه دُون أن يُلزم المُسلمين بطريق يسلكُونَها علَى نحْو ما تقدّم، ومِن ثمّ فَقَد انقَسَم المجتمعون فى السّقيفَةِ للتّباحُثِ والتّشاوُرِ والنّظرِ، فما أن اقترحَ أحدُ الحاضرين الخِلافة لأبى بكر حتى أقبلَ علَى بَيعته جميعُ الحاضرينَ بعد حوَارَاتٍ ومُناقشاتٍ كادَت تُودى بوحْدةِ المُسلمين، حتى تمّت البيعــةُ لأبــى بكــر ﷺ ليكون هو أول خليفةٍ فى الإسلام لرسول الله ﷺ.

غير أنّ علىّ بن أبى طالب ﷺ. لم يحضر مُؤْتَمَرَ السّقيفَةِ، ولمّا بلغهُ خبرُ البيْعَــةِ لأبى بكر كان فى نفْسِهِ شئٌ، وقد تابَعَه عليه آخرون.

ويُعد هذا نُواة تأسيس الفريق الثّالث المُشار إليه سلَفاً، وهو ما يُقرِّرُ أنّ الخلافــةَ فى قَرابةِ النّبي للأقرَبين، وقد قدّموا لها عليّاً ﷺ رغم تأخُّرِه فى النّــسَبِ عــن عمِّــه العبّاس بن عبد المُطّلب، وذلك لمزايا فى علىٍّ قدّمتْهُ علَى العبّاس عمِّه، ومثّل هــؤُلاء النُّواة الأُولى لفرْقة الشِّيعة التى تكوّنت فيما بعد.

والخلافَة:

مصدر خَلَف: يُقالُ خَلَفَهُ خِلافةً – كان خليفَتَهُ، وبَقى بَعْدَه – والجمعُ خَلائف وخُلفاء وفى الاصطِلاح: الخِلافة رِياسة عامّة فى أمُــورِ الــدُّنيا والدِّين ونيابة عَن الرسول ﷺ.

وقد ذَكَرَ ابن خلدون فى مُقدمته " ص ١٥٩ " أنّه أُطلِقَ علَى القائمِ بهذا المنْصِب لفظَ الإمام تَشبيها له بإمامِ الصّلاة فى وُجُوب مُتابعَتِه والاقتداءِ به، لهذا تُعْرَف الخِلافةُ بالإمَامَة الكُبرَى.

ومنزِلة الخَلِيفة من الإمام كمنزِلة الرّسولِ منها، له عليها الولاية العامّة، وله حقُّ القِيام علَى الدِّين، يُقِيم الحُدودَ، ويُنفِّذُ الشَّرائِعَ، بيدِه وحدَه زِمام الأُمّة، وتستمدّ منه كُلّ ولاية.

والخِلافَة: نِظام مُستحْدَث فى الإسلامِ، يَجْمَعُ فيهِ الخليفة بين السُّلطَتَيْن الدِّينيّة والزَّمَنية، ولا تتعدّى وظيفةُ الدينِ إمامَة المُسلمين فى الصّلاة، والمُحافظة علَى الدِّين، ومُعاقبة الخارِجين علَى تعاليمه.

وللخلافةِ شروطٌ يجب توافُرها فى الخلِيفَةِ باعتبارِه الإمام الأكْبَر، ولستُ بصدَدِ الحَديثِ عنها فى هذا المَقام، وإنّما سَنُورِدُها إن شاءَ اللهُ تَعالى فى الجُزء الثّانى من هذا الكتاب والمُعنوَن {{ حُدودٌ فاصلَةٌ }}

كما تُوجد ثلاثُ طرُق لاخيتارِ الخلِيفة وهى:

الأُولى: طريقة الانتِخاب (الاستشاريّة) كما كان فى اختيارِ أبى بكرٍ الصّدِّيق ﷺ علَى نحو ما كان مألوفاً عند العرب.

الثّانية: أن يَعهد الخلِيفةُ القائِم إلى شخْص بالخِلافة، كما تمّ بها اختيار عُمر بن الخطاب ﷺ ولم يستَبِد فيها أبو بكرٍ برأيه بل علّقَهَا علَى قُبولِ المُسلمين.

الثّالثة: فهى الاختيار الشُّورى من أفْراد يُعيِّنُهم الخليفة القائِم، حيث قَدْ رشّح لهُم عمرُ بن الخطّاب ستة من المُبشّرين بالجنّة علَى أن يختارُوا واحدا منهُم فى ثلاثةِ أيّام وتمّ بها " اختيار عُثمان ﷺ. "

وكما تقدّم فإن ما حَدَثَ من انقسامِ فى الرّأى لم تتولّد عنه آثارٌ واضحةٌ فى المُجتمع الإسلامِي الأوّل بسبب ما ذكرْنا، بالإضافةِ إلى يقَظَة الخلِيفَة الأوّل، وتمُكّنه من القضاءِ علَى حَرَكةِ الرِّدّة الجارِفةِ التى اجتاحَت [اليمن، واليمامة، وحضرموت وبلدان الخليج العربى، بل وفى البطنِ العربىِّ ذاته، ثُم ما كان من دفْع أبو بكر جُيوشَ المُسلمين، وقُوّاتِهم وقد باتُوا مُنشغلين بالفُتوحاتِ الإسلامِية فى دوْلتَى الفُرس والرُّوم،

الأمرُ الذى أدّى إلى الإنخراط فى الدّعوة والفُتوحاتِ، والانشغالِ عــن كــل خــلاف داخليٍّ.

ثُمّ خَلَفَ أبُو بكر ﷺ القويّ، الحازِم، العادِل – الفارُوق « عُمر بن الخَطّــاب »، وكان مِن الشّجاعة والحَزم فى حُكمه وإدارتِه وعدْلِه وقَضائه، بحيث استقرّت أمــورُ المُسلمين فى عَصْرِه استقْراراً هائلا راسخاً فى خيْرِ وضْعٍ ، وعلَى أكْمَلِ صُورةٍ.

كمَا تنعّم أهلُ الذِّمّة وأَمنوا علَى عقيدتهم، وحياتِهم، وأرْواحِهم، وأُسَــرِهم، وفــى الجُملة باتوا آمنين مُطمئنِّين مُتَمَتِّعين بما وَجَدُوا من حُلول للمشكلاتِ والمُعضلاتِ التى صَاغها الإعلانُ العالميُّ الأوّل لحقوق { الإنسان والحيوانِ والطّيــر } الــذى صــاغهُ الرّسول ﷺ وأعلنَه ميثاقاً عامّا فى خُطْبَتِه الجامِعَةِ المانعةِ يومَ عرفاتِ الله فــى حجّــة الوَداع.

ومِن المسائل التى حَسَمَها ﷺ للقضاء علَى البدع والمُحدثَات أنّ رجُلا يُقــال لــه (صُبيغُ بن عَسل) أخذَ يسأل عَن المتشابهة، ويتحدّثُ فــى أمــورٍ خلافيــة لا يُفيــد الخَوضُ معَها، ولا يُنتج الحديث فيها غيرَ بَلبلة أفكارِ العامّة من الناس، فأرسلَ ﷺ فى طَلَبِه، فلمّا جاءَه أخذَ الفارُوقُ يضربه علَى رأْسِه بعراجين النّخْلِ حتى أدْمــاهُ. فقــالَ الرَّجُلُ: حسبُك يا أميرَ المُؤمنين، قد ذَهَبَ الذى كُنت أجده فى رَأْسى(١).

ومنه يُستفاد أنّ المسلمين قد نعَموا بالهُدوءِ والوَحدةِ والاستقرارِ والأمــنِ والــسّلم فى عصْرِه ﷺ، بفضلِ خصالِه وشِيَمه القاهِرةَ للخارجينَ والمُحدثِين، وهو الأمرُ الــذى غلّق الأبوابَ أمامَ المُتربّصين بالأُمة، المُريدين بها إرادةَ السّوء خاصةً من أولئك النّفرِ من اليهود الذين أجلاهُم الفاروق، أو من أولئك الذى تَظاهروا بالإسلام وظلُّــوا علَــى يهُوديّتِهم وفى طليعَتِهم مَن ذكَرْنا سَلفاً عبد الله بن سبأ لعنَه الله وقبّحه والــسابئة مــن بَعده، وهؤلاءِ وهؤلاءِ لم يُقدّر لهمُ النّجاحُ فى مساعيهم الهدّامة كما أرادُوا وخطّطُــوا إلاّ لِما كان مِن عُثمان ﷺ وما وقَعَ فيه مِن أخطاءَ فى إدارةِ دَوْلَتِه.

---

(١) تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى ص ٢٣٥

أ – وَبَدأت الفِتْنَةُ:

بدأت الفتنةُ تعْبَثُ فى صفُوفِ الأُمّة، والخلاف يدُبُّ بوحْدَةِ المُسلمين مُنذ عــصْر الخليفة الثّالث – عُثمان – ولعبَ ابن سَبَأ وأتباعُه دورَهُم بجدارةٍ وإصْرارٍ حتى تألّب علَى عُثمان المُتألبون، وخرَج عليه الخارجُون، واضطّربَت أحوالُ الدّولةِ والنّاسِ حتى كان مصرعُ أميرِ المُؤمنين، ووقَعَ بذلك ما كان يحْذره عُقلاءُ المُسلمين ويُحّذرون منه، وتمزّقت وحْدة المُسلمين مُنذ ذلك الحين، ولم يجتمعُوا فى وحْدة هَدف، أو تَحت رايــةِ صفٍّ إلى الأبدِ.

ولمّا قُتل عُثمان كان أكثر الصّحابة متفرّقين فــى الأمــصار، فبــايَعَ الثُــوّارُ وجماعــاتٌ من أهل المدينة **علىَّ بن أبى طالب** ﷺ، ولم يُؤْخَذ رأىُ أهل الحَوَاضِرِ الأُخرى فى تلْكَ البيْعَة، وتنكّر لها الكثيرُون، ولم يعترفُوا بها فكانَت الحُروبُ الأهليّــة والبَينيّة التى كان علَى قائمة ضحاياها عليٌّ ﷺ – رابع الخلفاء الراشدين.

وهكذا تقوّض نظامُ الشُّورى الذى كان أساس انتخــاب الخُلفــاء، وهــو قاعــدةُ الاستقرار فى الحياتَيْن الدِّينية والسياسية.

ولمّا قامت الدولةُ الأُمَوية لم يتقيّد بنُو أميّة بما كان يتقيّد به الخُلفاءُ الراشدون ﷺ أجْمَعين، تقيُّداً كاملاً.. حيث استحالَت الخلافةُ إلى نظام ملكيٍّ اســتبداديٍّ قــائمٍ علَــى التّوريث وهو أقْرَبُ ما يكُون إلى السِّياسة وأبعد ما يكُون عن الدِّين، والــشّاهدُ علَــى ذلك أن أبا بكر الصديق ﷺ قال عندما بُويع له بالخلافَة مُعلناً مُجاهِراً: (أيُّها النــاس أنِّى قد وُلِّيتُ عليكُم ولَستُ بخَيْرِكُم، فإن رأيْتُمُونى علَى حقٍّ فأعينُونى، وإن رأيْتُمُونى علَى باطلٍ فقوِّمُونى – أطيعُونى ما أطعتُ اللهَ فيكم...) الحديث.

وقد قالَ عكس ذلك تماماً الخليفةُ الأُمويّ (عبد الملك بن مروان) وهو يخطب الناس علَى المنبر بعد مَقتل عبد الله ابن الزُّبير حيث قال: (مَن قال لِى بعدَ مَقامى هذا: اتَّقِى اللهَ ضَرَبتُ عُنقَه).

وشتّان بين ما قاله الخليفة الصدِّيق، والخليفةُ الأمَوى.

وقد تمتّع الخُلفاءُ من بنى أمية بمظاهر الأُبَهَةِ والعظَمَةِ التى كـان يتمتّـع بهـا المُلوكُ والقيَاصرةُ، حيث تأثّروا بالبيئَةِ الجديدةِ فى دمشقَ، وغدَت الخلافـةُ وراثيـة، بحَيثُ يُعيِّن الخليفةُ وليَّ عهْده، ويأخُذ له البيعةَ تماماً كما يحـدثُ الآن فـى عالمنـا العربي قَصْراً، وما يُراد له أن يكون فيه، علَى عَجَلٍ كان أم علَى مَهَلٍ.

وتلك هى مُسبِّباتُ سوادُ القُوّة، وسيادَة العَصا، وقَهْر القوانينِ الوضْعيّة للتّشريعاتِ السّماوية، ثُم كانت الغَلبةُ والدّولةُ لأبالسة البَشَرِ الذين يتحكّمُون فى تلك البيعة، أو هذه التّزكية كونهم أهل الأغلبيةِ التى تُجيدُ التّصْفيقَ لكلِّ من يركب وقـد أضْـحى الحُكْـمُ بفضْلِ عبقريتهم يبيتُ فى بيتٍ واحدٍ لا يكاد يتعدّاه إلى سواه.

ومن هنا نبلُغُ الثبُت أنّ الأمّةَ الإسلامية عندما تخلّى وُلاةُ أمورهـا عَـن نظـام الشُّورى الإسلامِي، تقطـّعت أوصالُها، وصـارت إلى شُعوب، وقبائـلَ، وقوميـاتٍ مُـتطاحنة، وأحزابٍ مُتناحرة. وباتُوا فى أُمَميّة وقُطْرِية وجُزئية يتصارعُون من أجْلِ البَقَاء، **وإنّا لله وإنا إليه راجعون.**

ولمّا كان عليٌّ ﷺ أميرَ المؤمنين، انقسمَ المُسلمون مُبكّرا بين مُعسْكَرٍ مُؤيِّـد لـه ﷺ، وهو المُطالَبُ بتقْديمِ الوَلاءِ إلى الخليفةِ الرّابع ، ومُعسْكَرٍ آخَـرَ يُطالِـبُ بالثّـأْرِ لعُثمان والقَصَاصَ من القَتلة.

وعلَى نحْوِ ما ذكَرنا وما روَى علماءُ السِّير فقد طَحَنَت الحرْبُ فى يوم الجَمَـل، ووقْعَة صفِّين، وغيرهما عشرات الآلاف من المُسلمين، ولمّا انتهـوا إلـى التّحكـيمِ خَرجَت الخوارجَ علَى عليٍّ ﷺ .

وعلَى غير ما يَهوى العلويُّون جَرت الأمُورُ بالجَميع، فبنُو أميّة قد استقرّت لَهـم الأمورُ عن طريقِ القَهْرِ والْغَلَبَةِ والتّسلُّطِ، وقد أثارَ هذا كثيراً من الأسئلة فـى نُفُـوسِ النّاس:

هل خلافة الأُمويين شرعيّةٍ ؟ أو أنّهم مُغْتَصبون ؟

وإذا كانوا مُغتَصبين فمن هو صَاحب الحَقِّ ؟

وما رأيُ الدِّين وموقفُ الشّريعة من أصحابِ الجَمَل وَصفِّين ؟

هل كان لهم خيارٌ فيما كان بينَهم من القَتْلِ والتّقْتيلِ ؟ أمْ مُجبرُون عليه ؟

وإذا كانوا مُختارين فأيُّهُمَ المُصيبُ ؟ ومَن المُخطِئ ؟

والحاصل أن انقساماً حاداً ومُدمِّرا حَدَثَ بينَ المُسلمين فى الإجابة علَى كلِّ تلـك الأسئلة، لا تزالُ آثارُه باقيةٌ حتى الغَد.

وعلَى الرغم من أن كثيرين من الصّحابة والتّابعين قد تذمَّرُوا كثيراً من إفـراطِ بنى أميَّةَ فى الإسراف والاقتباس عن الرُّوم من نُظم الحُكم والأبَّهة والتقليد المعمـاري والزُّخرفي كما هو الحالُ فى قُبّة الصّخرة، إلاّ أنّهم قد سالَمُوا بنـى أُميَّـة لجَبَـرُوتهم مُكرَهين.

غير أنّ هؤلاء السّادة من الصّحابة والتّابعين ﷺ أجمَعـين، وهُـم أُولُـوا التُّقَـى والورَع والامتثال بالمنهج المُحمّدى الشَّفَّاف، كان عليهم قسراً الإلتزامُ بتأْدِيَة الـصّلاة خلفَ هؤُلاء الخُلفاء ذَوى السُّلوك غير المُرْضي.

فأُثيرت لذلك تساؤُلاتٌ، وفُتحت أبوابٌ ما كانت ضرورةٌ من فتْحها، من ذلك مـا أُثير عمّا إذا كان للعمل دَخلٌ فى الإيمان ؟ أمْ لاَ ؟ وفى حالة مـا إذا كـان الجـوابُ بالإيجاب. فَما حالُ مُرتكبى الكبائر ؟

هل هو مُؤمنٌ فتجُوزُ الصّلاة خلفَه ؟ أم كافر فَلا تصحُّ ولا تجُوز ؟

وأَخَذَت كلُّ طائفة من الطّوائف تُحاولُ الإجابة بما لِكـلٍّ منهـا مِـن مقـاييسَ، ونظْرَاتٍ إلى الحياة، فتأزمّت العلاقاتُ بين كُلٍّ منهم، وتعمّقت أسبابُ الخلاف للأسباب التّالية:

* دخول مجْموعات من أهل الأديان القديمة فى الإسلام فى الوقت الذى تصدّعت فيه الوحْدة الإسلامية، وفى الوقت الذى انعدمَ فيه الحاكم القويُّ.

* تحَول النّسيج العربى إلى خليط من الأجناس والعناصر التى لها ثقافاتٌ مُتنوعّـةٌ ومُتعدِّدة، ولم يكونوا هؤلاء بعد قد دخَل الإيمانُ فى قلُوبهم، ولم يدْرُوا بعد ما هـى تعاليم الإسلام السّمحة. فسَعَى بعضُهم بين المُسلمين يبغُونَهم الفتنَةَ، وليلْبسوا عليهم دينَهم، مُستعِينين بما وضَعُوهُ من الأحاديثِ " المدسوسة " يُروِّجون بها مـزاعمَهم وأباطيلَهم.

وكان عبد الله بن سبأ وهو من يُهود صنْعَاء باليمَن قد ادّعى الإسلامَ فى عـصْرِ عُثمان ﷺ، كما تقدّم فإنه أوّل مَن دَعَى لأن تكوُن الخلافَة لعليّ فإنّه الأحقُّ من عُثمان وشَرَعَ فى الدّعوة لما يَدّعِى فى الكُوفة، والبَصْرة، ومصر، والشّام حتى كان ما كان.

ثُمّ تغلْغَلَ هذا اليَهُوديُّ فى نُفوسِ الشّيعة حتّى تمكّن أن ينقل إلى تعــاليم الــشّيعة أقْوَالاً من اليُهودية مثل [الوَصيّة ، والغَيْبة ، والرّجعيّة ، والحُلُول] ومثله كان " الجهم بن صفوان " الذى أسّس مذْهبَ الجَبْرِ فى الإسلام .

* ظُهورُ الشِّيعَة كتيّارٍ دينيٍّ سياسيٍّ فى مرْحَلَة مبكِّرة للمُطالَبَة بولاية علــيٍّ ﷺ، ثُمّ خَرج الخوارجُ علَى عليٍّ ، وقد قرّرت الفِرقةُ الخارجةُ أنّ العَمَلَ شَرْطٌ فى الإيمانِ ، وقَرّروا كذلك أن مُرتكبى الكبائرَ كُفّار لا تجوزُ مُهادنتهُم كما لا يجُوزُ الاقْتدَاءُ بهم ، ومن ثَمّ فتبْطُلُ إمامتُهم وولايتُهُم ، وتَفسَد بذلك الآثارُ المُترتِّبة عَلَيْهَا .

* أمّا المُرجئة: وهم الذين قدّموا الإيمان وأرجأوا العمَل وأخّروهُ، فكان قولُهم إنّــه كما لا ينفعُ مع الكُفرِ طاعةٌ، لا يضُرُّ مع الإيمانِ معْصيةٍ، وفى رأيهــم أنّ مُرتكِبــى الكبائرَ مُؤمنُون كاملوا الإيمانِ.

وثمةُ فرْقةٌ أُخْرى لا تميلُ إلى هؤلاء ولا إلى هؤُلاء، وقد قرّرت تلك أنّ مُرتكب الكبيرة مُؤمن غيرُ كاملِ الإيمان، فتصحُّ الصّلاة خلْفَه، وهى فرْقة المُعتــدلين بقيــادة « الحَسَن البَصْرى »، وكان علَى الضِّدِّ من تلك الفرْقة « واصلٌ بن عَطــاء » الــذى اعتزلَ الجماعةَ إلى ساريةٍ فى المسْجدِ وأخَذَ يُقرِّرُ إلى البصرىّ "عنــدما ذهَــبَ إليــه يحتويه" أنّ مُرتكب الكَبيرةِ ليْس مُؤمناً مُطْلقاً، وليسَ كافراً مُطلقاً، وإنّما هُو فى منزلةٍ بين المَنْزلَتَيْنِ، وكان ذلك مَولد فِرقَةٍ جديدةٍ أطْلَقُوا عليها إسم {{ المُعْتزَلة }}.

ب – التّفرُّق والمُفَارَقات

قال ابنُ ماجة: حدّثنا أبو بكرٍ بن أبى شيْبة. حدّثنا مُحمّدٌ بن بِشر. حدّثنا مُحمد بن عمرو عن أبى مسلمة عن أبى هُريرة قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: (تفرّقت اليهودُ علَــى إحدى وسبعين فِرقة وتفرّقت النّصارَى علَى اثنتين وسبعين فِرقة ، وســتفْتَرِقُ أُمّتــى علَى ثلاثٍ وسبعين فِرقة) .

وقالَ أيْضاً: حدّثنا عَمرو بن عُثمانَ بن سَعيد بن كريش بــن دينــار الحِمْــصى. حدّثنا عبّاد بن يُوسف. حدّثنا صَفوان بن عَمرو عن رُشدَين بن سَعْد عن عَــوْف بــن مالك قالَ: قالَ رسُولُ الله ﷺ (افترقَ اليهودُ علَى إحْدى وسبعين فرْقَة فواحــدةٌ فــى الجنّة وسبعُون فى النّارِ، وافتَرَقَت النّصارَى علَى ثْنَتَيْن وسبعين فِرقة فإحدى وسبعُون

فى النّار وواحدة فى الجنّة، والذى نفسى بيده لتفترقنّ أُمّتى على ثلاث وسبعين فرقة " واحدة فى الجنة واثنتان وسبعُون فى النّار(١). قيل يا رسولَ الله مَـــن تـــراهُم ؟ قـــال: الجَمَاعَةُ) وفى مُستدرك الحاكم أنّهم لمّا ســـألوهُ عن الفرقة النّاجية مَن هُم ؟ قـــالَ : (ما أنا عليه وأصحابى) .

أى أنّ المُخلّص من الفتن عند وقُوعها هو لُزومُ الطّاعة واتّباع الجَمَاعة.

وعند اشتداد الفتن، وتفرُّق الجماعة، وغيْبة الإمامة بيّنَ الرّسول ﷺ ما يجـــب أن يكُون من سبيل، وما يُتّبع من مسالك للخلاص من المهالك، حيثُ قال فى حديثه فيمَـــا رواه حُذيفة (فاعتزل تلك الفرَق كُلّها ولو أن تعُضّ بأصل شجرةٍ حتى يُدركُكَ الموتُ وأنتَ علَى ذلك)(٢).

وصَدَق الصّادقُ المصْدُوقُ الذى إذا تكلّم لا ينطق عَن الهَوَى، عليه أتمُّ الصّلوات والتّسليم، فلقد وقَعَ كثير ممّا أَخْبَرَ به ﷺ صحابتَه سواءٌ فى ذلك ما كان فى حَيَـــاتهم أوْ مَا هُو كائن علَى أعيُننا الآن وفى كُلِّ زمانٍ.

حيث ظَهَرَت الفتَنُ، وتعدّدت الفرقُ مُنذ عصْر الرّعيـــل الأوّل مـــن المُـــسلمين وصارَت كلُّها فرَقَاً أضّاديّة يَرمى بعضُها بعْضاً بالكُفْر، فتهدّد بـــذلك كَيـــان الأُمـــة، وتصادَمَت أفكارُها، واختلَفَت أهواؤُها، وتقاتَلَ أبناؤُها، وتطاحَنـــت قُواهَـــا، وســـالَت كالأنْهار دماؤُها وهى عزيزةٌ غالية ولكن رَخَصَت علَى أصْحَابها وهانَت علَى أهلهـــا، ثُمّ قَلَّ حَيَاهَا، فهانَت علَى أنفُسها، ثمّ هانَت علَى الآخَرين حتى باتُوا يرْصُدون لهَا كُـــلّ مَرْصَد، ويقعدُون لها كل مقْعَد، فكانت بعد أن وهَنَت قُواها، وفَترَت عزائمُها أن تَجرّأَ عليها أعداؤُها فَوَقَعَ الهُجُومُ علَى ديارنا الإسلامية من كُلِّ جانب، وفى كُلِّ مكانٍ فـــى زَوَايَا الأرْض حتى بَدَا الإسلامُ وكأنّه يعُودُ غريباً مُضطّهدا كمَا بدأ عند فَجْره **فإنّا لله وإنّا إليه راجعُون.**

وقَبْلَ الخوْضُ فى العَرْض لما يُسمّى بالفرق الإسلامية من حَيثُ نشْأة كُـــل منهـــا أيديولوجيا وجُغرافيا، ثُمّ عن آثارها، واختلافاتها، وأهدافها أجدُ من اللازم الـــلازب أن

---

(١) الفتن والملاحم ص ٢٠ العلامة ابن كثير .

(٢) انظر / هذا بلاغ للناس . للمؤلف – المكتبة المحمودية بالأزهر الشريف .

نُلقى بعضَ الضّوء علَى مَن أرادَ الفتنةَ، وروّجَ لَهَا وأشْعلَ نارَهَا، وهــو أحــدُ أهــمّ أسبابها.. إنّه (عبد الله بن سبأ) قبّحه الله وخسَّأه " هو وأتباعَــه " ومَــن هُــم علَــى شاكلتِهم من المُندسِّين فى بُطون المُسلمين.

ومن ثَمَّ نقُولُ:

قُلنا أنّ الخليفة الثّالث (عُثمان بن عفّان) قد أتى أعْمَالاً لم يأتها قَبْلَــهُ الإمامــانُ السّابقان (أبو بكر، وعُمر) من ذلك مَثَلاً ما كان منه فــى تنْحيــة الكثيــرينَ مــن الصّحابة، واستعانَته بأهْله وعشيرَته من بنى أُميّة، حيثُ كان منهُم أكثرُ عُمّالــه علَــى الوَلايَات، كَمَا اتّخَذَ من مَروان بن الحَكَم كاتبا لهُ وأميناً علَى سرِّه، وقد عَمَل هذا علَى هدْمِ ما بناهُ أوّلُ وثانى الخُلفاءُ الرّاشدين، ومن أهمِّها مُحاربَة العَصَبيّة القَبَليّة، والتّأكيد علَى أنّ العربَ والمُسلمين من غيرهم أُمّةٌ واحدةٌ إعْمالاً لقوله ﷺ (لا فَــضْلَ لعرَبــىٍّ علَى أعْجمىٍّ إلاّ بالتّقوى...) الحديث.

وقد حَكَمَ الأُمويُّن البلادَ { كأمويين بأنف شامخٍ، واســتعلاءٍ علَــى النــاس، لا كعَرَب مُتساويين فى الحُقوق والواجبات }، ممّا حَرّكَ الشُّعورَ القديمَ فى زمن الجاهلية بَيْن بنى هاشم وبنى أُميّة.

كما كان لاختيار عُثمان وتفْضيله علَى عَليّ أخطرَ الأسباب وأهمّها فــى نُــشوء ظاهرة التَّشيُّع لآل البيْت، ووضْع نُواتها الأُولى وبخاصّة أنّ الشُّعورَ الــشّعبىُّ العــام والجارف كان مُؤيِّداً لعَلىٍّ حتّى علَى عمِّه العبَّاس، كما كان يُوجَد قولٌ مُرتَقَبٌ وظَــنٌّ قريبٌ فى تولّى علىٍّ أُمُور الولاية بَعْدَ الفارُوق رضىَ الله عنْهُما.

ويروى عُلماءُ السِّير أنّ عليّاً ﷺ أحَسّ كثيراً بشعُور الضّيق، ومُحاولة الإبعــاد، فقال مُخاطبا عبد الرحمن بن عَوْف عقب إعلان اختيار عُثمان (ليس هــذا هــو أوّل يوم تظاهرتُم فيه علَيْنا، فصَبرٌ جميلٌ واللهُ المُستعانُ علَى ما تَصفون)(١).

وكما قال عُلماءُ السِّيَر فإنّه مع انحرافه عن نهْج سلَفه لكبر سنِّه، واعتماده علَى أقاربه، وعزْله كثيراً من الصّحابة، انتشرَت جمْعياتٌ سرِّيَّةٌ فى أواسط فتْرة ولايَته تدعُو جميعاً إلى خلْعه، وتوْلية غَيْره مما أدّى إلى ظُهور حركَة الشِّيعَة بقُوّة علَى مسْرح الأحدَاث.

---

(١) الطبرى ج ٣ ص ٢٩٧.

وكان عبد الله بن سَبأ من يهود صنْعاء باليمَن علَى رأس إحدَى تلك الجَمْعيات أوْ هذه التّنظيمات.

وقد ادّعى ابنُ سبأ هذا دُخُولَ الإسلام، لا حُبّاً فيه، ولكن تألُّبًا عليه وكيْداً لـه، حيثُ تَظَاهرَ بأنّه اعتَنَقَ الإسلامَ وباتَ من أشدِّ المُدافعين عنهُ، ليتمكّن من الطّعن فـي الإسلام، والتمرُّد عليه، والإحداث فيه من الدّاخل، لأنّ ذلك أيسر لهُ من أن يظلّ علَى يهُوديّته فيحاربه كعدُوٍّ خارجي.

وقد كوّن ابن سبأ من هؤلاء الثائرين (رُؤساءُ الجمعيات والتنظيمات الـسِّرِّيَّة) جماعةً، وربطَ بينهم برباط وثيق وحبل منيع لا يُصيبهُ وهَنٌ ولا عَطـبٌ. ذلـك هـو **{{ حُبُّ آل البيت }}**، والتّشيُّع لهُم، رغبةً في اكتساب عطف الجماهير، وبـدأ يُـدْخلُ علَى تفكيرهم ألواناً من الآراء والفلْسَفَات، وصُوَراً من التّعْقيدات والإبهامات، وخَلَـقَ الرِّوايات، ووَضَعَ الأحاديثَ، ونَثَرَ بُذُورَ الأفكار الضّالّة التي نُسبت للشيعة فيما بعْـد، وقد آمنوا بها واعتنقُوها، وقد تبعَه كثيرون ممّن عاصـرُوه، وممّـن جـاءُوا بعـدَه، وسارُوا علَى شاكلَته، وهؤلاء ليسُوا شيعة، إنّما هُم حقّاً (مُدَّعُو التّشَيُّع) وهُم أعداءٌ للمُسلمين عُموماً

سواء في ذلك أهل السُّنّة والشيعة.

وهؤلاء قد تسرّبت أفكارُهم، وامتزجت بأفكار الآخَرين، حتى أنّها أصابت أفكـارَ أهل السُّنة والجماعَة، وامتزجَت بها، وكان من أهمِّها مـا أثـارُوهُ حـولَ موضُـوع (عصمة الأنبياء) التي لم يكُن يَعْرفُها الصَّدر الأولُ للإسلام في غير التّبليـغ، فَلمّـا نسب مُدّعُو التّشيُّع العصمةَ المُطلقةَ للأنبياء تسرّبت هذه الفكرة إلى أهل السُّنة، وَوُجدَ منهم مَن يعتنقَها ويُدافع عنها إلى الغد.

دَخَلَ ابنُ سبأ الكوفةَ، والبصرةَ، والشامَ، ومصرَ، والـيمن، والمدينـةَ، ومكّـةَ، وكانت الكُوفةُ بمثابة الأرض الخصبة التي تَرعْرَع فيها فكرُ السابئة، ومنهـا انتـشَرَ سريعا، وبسرعة كبيرة، وقد راجت هذه الأفكارُ الجهنّمية الخبيثةُ المـدمِّرةُ فـي تلـك البلاد حتى تلبّدت بها الأُفُق، ووقَعَت علَى الأرض الأزمةُ التي عُرفت باسم « الفتنة » وهي التي أدّت إلى انفصام وحْدة المُسلمين السياسية والفكْرية والعقائدية وإلى الأبد.

وذلك لأنّ الكُوفة بالعراق قد صارت مقرّاً دائماً لأنصار عليٍّ بن أبـــي طالـــب، الأمر الذى أجاد ابن سبأ توظيفَهُ، وأحسنَ استغلاله، فقد اتّخــذَ مـــن الـــدّعوة لعلـــيٍّ، ومُناداته لأحقيّة أهل البيت سَنَداً يخفى وراءَه أغراضَه الخبيثـــة، وأخـــذ يتنقّـــل فـــى الولايات الإسلامية تأسيساً على سُمومه، كما أنّ الكوفةَ كانت مأوى للسّاخطين علَـــى بنى أمية، وهى كذلك المَرتع الخصْب لأتباعِ المانْويـــة، والمذدكيّـــة، والزرادشـــتية، والمذاهب المُختلفة، وكثير ممّن قهرهَم الإسلامُ وغلبهم علَى أمرهم فتظاهَرُوا بالدُّخول فيه.

ثم تطورت الأحداثُ لتبْدو الكوفةُ وكأنّها العاصـــمةُ الـــسياسيةُ لقُـــوى الـــرّفض، بالإضافة إلى الشيعة، ثم وفَد إليها عليٌّ بن أبى طالـــب ﷺ ليُـــصبغ تلـــك الـــصِّبغَة بالشرعية كقائدٍ عسكريٍّ، وسياسيٍّ، ودينيٍّ للخارجين علَى حُكم بنى أُميّة، والسّاخطين عليهم، وجَعَلَها بذلك عاصمةً له مُنذ أن قصَدها لمُحاربة طلحة والزُّبير.

ولقد تميّز أهل الكُوفة باستجابتهم الشديدة لكُـــلِّ نـــداءٍ للثّـــورة، وكـــأنّ الثـــورةَ واضطرابَ الأمنِ هدفٌ مقصودٌ لذاته لا يتعدّاه ولا يتجاوَزَه إلى مراحـــل أو أطـــوارٍ أُخرى، لذلك كانوا كثيراً ما ينهزِمُون أو يصطنعون الهزيمة، وكثيرا ما كانوا يقتلُـــون زُعماءَهم وكبارَهم من الشيعة بأيديهم، ومن أفضل الأقوالِ التى قيلـــت فـــيهم وهـــى أصدقُها **(قلوبُهم معَك وسُيوفُهم عليكَ)**.

وقد بنى الشِّيعة عقيدتَهم فى الإمامةِ علَى حديثٍ نبويٍّ يقولُ: إنّ الرَّسُولَ ﷺ مَـــرّ عندَ عَوْدَته من حِجّة الوَداعِ بغَدير (ضم) « مكان بين مكّة والمدينةَ » وعندَهُ آخَـــى بينَه وبينَ ابنِ عمِّه عليٍّ وقالَ ﷺ (عليٌّ مَـــوْلاى الّلهُـــمّ والِ مَـــن ولاهُ وعـــادِ مَـــن عاداهُ**)**(١).

وقالوا استنتاجاً من هذا الحديث أنه يتضمّن مُبايعةً ضِمنيةً من الرُّسول ﷺ لعلـــيٍّ، وأنّ عليّاً وَصِيّ الرسول، فقد أوْصى له بالإمامةِ من بعده لشروطٍ خاصّةٍ يتفـــرّد بهـــا بالإضَافة لعلُوم دينه التى تلقّاها عن النّبى، وأن الإمامةَ يجب أن تنتقل من عليٍّ إلـــى أولاده الواحد بعد الآخر، لأنّ هذه الشُّروط تتّصل من نَسْل عليٍّ بِطريق الوراثة مـــن الإبن إلى الإبن.

---

(١) موسوعة المغرب العربى ج ٢ ص ٢٩.

ولعلّ هذا هو السّببُ الذى يعودُ إليه تلميحُ مُعاوية لعُثمان قبلَ مقْتَلَــه بــضرُورة الانتقال إلى الشّام حتى يتمكّن بنو أُميّة من التّصدّى مُبكّراً للعمَل الشّيعى المُكثّــف إذا ما حَدَثَ التّشيُّعُ لبنى هاشم، كما يجْعل الولايةَ مقصورةً علَى الأُمويين، هذا غير سبب شخْصىٍّ يتعلّق برُؤية مُعاوية المُستقْبلية للأحــداث وهــو أنّ الحُكــم ســيؤُولُ إليــه بالضّرورة. وهو ما كان كما رأى.

وما أن انتقلت عاصمةُ الدولة الإسلامية إلى دمشْقَ حتى تأكّد أنّ الحجازَ لم تعُــد المرْكز الذى تُدار منه شئُون الدولة الإسلامية التى اتّسعت رُقعتُها كثيراً، وشهدَت مــع ذلك تطوُّرات سياسيةٍ حادّةٍ وخطيرةٍ علَى النّحو الذى ذكرْنا.

وقد عبّر عن ذلك الأستاذ أحمد أمين فى كتابه (فجر الإسلام) بقوله « والحــقُّ أنّ التّشيُّعَ كان مأْوى يلجأُ إليه مَن أراد هدْم الإسلامِ لعداوةٍ أو حقدٍ، ومَن كــان يُريــدُ إدخال آبائه من يهُوديةٍ ونصرْانيةٍ وزرادشْتيةٍ أو هندُوسيةٍ، وكلُّ مَن كان يُريد استقلالَ بلاده والخُروجَ علَى مملَكَة الإسْلام، وكُلّ هؤُلاء كانوا يتّخذونَ حُبّ أهل البَيْت ســتاراً يُخفُونَ وراءهُ كُلّ أهدافهم فى مُحاولة للكَيد للإسلام وأهْله، وقالُوا بأقْوالٍ كانَــت عنــد اليهُودية والنّصرانية والفلاسفة من قَبل الإسلام ».

والحقيقةُ الأكيدةُ أنّ هؤلاء أخذُوا اسمَ الشّيعَة الحَقيقىِّ، وانحَرَفُوا بعيداً، ومالُوا كُلَّ المَيْل إلى الخَليط الجَديد من الأفكار والعقائد المُمتزجَة بحُثالة أفْكَار أتْبــاع الــدّيانات الأُخرى ممّن تظاهَرُوا بالدُّخول فى الإسلام ليتمكنّوا من هدْمه لأنّه الأسْهلُ لهُــم مــن مُحاربَته باعــتبارهم مُغايرينَ للْمسلمينَ فى العَــقيدَة، وهُم خَليطٌ غير مُتجــانس مــن أتباعِ النِّحَل والديانات القديمة، وقد استعملوا اسمَ الشّيعة ستاراً، ونَسَجُوا خَلْفَــهُ ألْوانــاً من الأكاذيب والأباطيل يقصدُون بذلك الكيدَ للإسلام والمُسلمين.

هذا وقَد وصَلَ عبد الله بن سبأ إلى مصر بعد "" ٦ "" ست سنواتٍ فقط من تــولّى عُثمان الخلافةَ، وأخذَ يتوسّل مع نَفَرٍ من الرّجال الذين مــالُوا لدعْوَتــه فــي الكُوفــة والبصْرة والشام، وكان من أبْرَز الرِّجال الذينَ آمنُوا بدعْوة ابن سَبَأ { مُحمّد بــن أبُــو بَكْر الصِّديق } « عامل مصر لعلىٍّ » وغيرُه من الصحابَة الذين رَأوْا أنّ عليّاً أحــقُّ بالخلافَة من بنى أُميّةَ لما عُرفَ عن علىٍّ بن أبى طالب من سَبْق فى دُخُول الإســلام، وما لَهُ من بُطُولات نادرة فى نَشْر الإسلام والدِّفاع عنه، كما أنّ الدعوة لعَلىٍّ تُصادفُ هوىً طبيعيّاً وَمَيْلاً فطْريّا وَوَلَهاً نفْسيّاً مبْعثه الحُبُّ والوَلاءُ للرّسُول ﷺ ولآل بيْته.

وابنُ سبأ هذا لم يجدْ صُعوبةً فى التّرويجِ لأباطيلِه ومَزَاعمِه التى جمَعَــت إليــه الكثيرين الذين التفُّوا حَوْلَهُ، ودَعَوْا بدعْوته، خاصّةً وأنّه والدُ فاطمـــةَ أُمُّ « عُكاشـــة، وعيسى » اللذان قُتِلا مع والدهما مصعب بن الزُّبَيْر – كما تقّدم – كما أنّ ابــن ســبأ هذا هُو جدُّ " سكينة " بنت مصعب من " فاطمة " وهُم جميعاً إخوة لعبدالله ومُحمّد، من مصعب وأُمُّهُمَا " عائشة بنت طلْحَةَ " وأمُّها " أمُّ كُلثوم " بنت أبى بكر الصِّديق، وكلُّهم جميعاً إخوة " لجعفر، ومصعب، وسعيد، وعيسى الأصغر، والمُنذر{من أُمّهات شــتّى} وهم كذلك إخوة للرّباب، وأمها " سكينة " بنت الحُسين بن عليٍّ بن أبى طالب(١).

ومن هذه القاعدة يُمكنك النّظر إلى هذا السّبق الاجتماعي الفريد، كما يُمكنك تدبُّر ما كان لإبنِ سبأٍ هذا من إمكانياتٍ هائلة تُؤَهِّله للتّرويجِ لأباطيلِه فى جَميــعِ الأوْســاطِ (الأسيادِ والمَوَالى) علَى اختلافِ الشّرائحِ العقائديّة والاجتمَاعيّة، وانطلاقاً من هــذه يُمكنُكَ إعْمال العَقْلِ والبَصرِ فى حجْمِ الآثارِ التى ترتّبت علَى ذلــك. ﴿ والله غَالبٌ علَى أَمْرِه ﴾ { يُوسُف: ٢١].

---

(١) عقيدة الشيعة ص ٣٢٩ & ٣٣٠.

ثانياً : نشْأَةُ الفِرَقِ

أ – الشِّيعةُ:

الشيعة فى اللُّغة: الصّحبُ والأتباع.

وفى عُرف الفقهاء والمُتكلِّمين: أنصارُ علىٍّ بن أبى طالب وبنِيـــهِ، المُتَحمِّــسون للدِّفاع عنهُم والعَمَلِ علَى إسنادِ الخلافةِ إليهم.

ولقد ذكَرْنا كثيراً عَن هؤلاء فى مقامنا هذا، عن نشأتهم الأولى، وتطوُّر دعوتِهم، وإمكاناتِهِم وإرهاصاتِهم، ونُضيف ههُنا أنّ الفُرسَ (الإيرانيِّين) وهُــم حــديثُو عهْــدٍ بالإسلام. كانت قُلوبُهم تُعظِّم كثيراً البيتَ المالك فى فــارسَ لطُــولِ خُــضوعهم لآلِ ساسان، وهُؤلاء من المُسلمين الجُدد كانوا يَرَوْنَ أنّ دَمَ المُلوك لــيس مــن جــنْسِ دَمِ الشّعب، لذلك كانوا ينظُرون إلى البيتِ النّبَويِّ بمثْلِ نظْرتِهم إلى البيتِ المالك، فــرأوا أنّ أحقّ الناس بخلافة النّبىِّ الكريم هُم ذُوو قرَابتِه، ولذلك اجتمعُوا معَ الشِّيعة ومــالُوا إليهِم.

ولمّا اندسّ فى صُفوف الشِّيعة مَن ذكرناهُم سلفاً، فقــد تــردّدت أصــداءُ تلــك المُعتَقَدات والنِّحَل فى مبادئ بعضِ الفِرق الشِّيعية، وزلّت أقدامُ الكثيرين منهم، وضلت عقولهم،وانْقَسَمَ الشِّيعةُ من آنها بالضّرورة إلى غُلاة مُتطرِّفين فى الدِّين والدُّنيا، فمِنهم مَن قدّسوا الأئمة، ورَموا مُخالفيهم بالكُفر، وآخرين مُعتَدِلين اكتَفُوا بتخطِئة المُخــالِفين دُون تكْفيرهِم.

وهكذا تصدّعت وحْدتُهم، وتفرّقت جماعتُهم مع كونهم لهم مجمُوعة من المبادئ يدِين بها مُعظم طوائفهم الأضّادية، ومِن أهَمِّ تلكَ المَبادِئ.

١ – الإمامةُ:

وهى عندهم ركنُ الدِّين وقاعدة الإسلام، فلا يجُوز للرّســولِ أن يغفلهــا، أو أن يُفوِّضها إلى الأمّة. وإنّما يتعيّن عليه بالأصَالةِ أن يُعيِّن إماماً معْصُوما مــن الكبــائرِ والصّغائر، وفى نَظَرِهم أن ّعلىَّ بن أبى طالب هو الذى عيّنه الرسُول ﷺ إمامــا مــن بَعْدِه.

وأَتَى الشِّيعةُ فى هذا الموضُوعِ بنُصوصٍ أوّلُوها علَى مُقتضَى مذهَبِهم، وأكثرهــا موضُوع، أو مطعُون فى طريقِ تحقيقِهِ، أو هو بعيد عَن تأويلاتِهم الفاسدة.

(١٤٢)

وقد رَوَى الشيعةُ عَن الصادقِ الكريم ﷺ أنّ الوصيّة نزَلت علَى مُحمد ﷺ « كتاباً بخَطٍّ مُشَاهَد رفعَه النّبيُّ إلى عليٍّ »، وقد اختَلَفُوا فيما بينَهُم فى تحْديــد هــذا الــنّص المزْعُوم، فقرّر بعضُهم، أنّه قد نُصَّ فى هذا الكِتاب علَى عليٍّ باسمه ونَسَبِه، ثُم يقُــوم مقامَه منبعده رجلٌ من وَلَد فاطمة رضى اللهُ عنها، وهؤلاء يقفُون من أبى بكرٍ وعُمرَ وعُثمان ومَن بايعَهُم وقْفَةَ تشدُّدٍ ومُغالاةٍ ويتبرّءُون منْهم.

٢ – رأيُهم فى علِيٍّ:

تدْفَعُ الشيعةُ مقامَ عليٍّ ﷺ مقامَ أقاربِه من أصحابِ الرسول ﷺ، وقالوا فيه: إنّــه أفضلُ الخلقِ بعد النّبى، وأنّه لن يتجَاوز أحدٌ من المُسلمين الصِّراط إلاّ مَن كان بيــده جواز من ولايتِه، وزادُوا فى المُغالاة والتّطرُّف حتى قالوا « **قد شهدَ الثّقلان أنّه لوْلا سيفُه ومواقفُهُ فى بدْرٍ، وأُحُدٍ، والأحزاب، وحُنَيْن، وغيرِها لمَا اخضَرَّ للإسلامِ عــودٌ، وما قامَ له عمُود** » وكما قال شاعرُهم :

ألا إنّما الإسلامُ لوْلا حُسامه   كَعَفطَةِ عنزٍ أوْ قُلامةِ ظافرٍ

كمّا أنّ هؤلاء قد كفّروا الصّفوةَ، وأعلنُوا البراءةَ منهم، وسارُوا يتقرّبون إلى الله بلَعْنِهم، وضَمّوا إلى الصّفوة من أُمهات المُؤمنين (عائشة وحفْصة) ولَهم فى ذلك اللّعن أدعيةٌ يُردّدُونها بعدَ الصلاة.

وقد رُوِى عَن أئمة الشيعة المُغالين قولُهم (ثلاثةٌ لا يكلّمهم الله يومَ القيامــة، ولا ينظُر إليهم، ولا يزكّيهم ولهُم عذابٌ أليم: {{ مَن ادّعى إمامةً ليْست له، ومَــن جَحَــد إماماً من عند الله، ومَن زعَم أنّ أبا بكرٍ وعُمر لهُما نصيب فى الإسلام }}.

واتّخَذَ الشّيعةُ مع كُلِّ ما تقدّم مِقياساً للكُفْرِ والإيمان، وهو الاعترافُ بإمامةِ عليٍّ، فمَن أقرّ بها المُؤمنُ، ومَن جحَدها فهُو الكافر.

وقد قالَ هؤلاء المُغالُون بأنّ لِعَلِيٍّ كثيرٌ من خوارقِ العاداتِ علَى المألوفات، وأنّه علَى عِلْمٍ كَثيرٍ بالمُغيّبَات، وذكَرُوا أشياءَ راجَت فــى العــراق – مــأوْى العقائــديات والنِّحَل، ومُسْتَنْقَع المذاهبِ المُتحلِّلة آنذاك ــ، وفــيه مَن سمعوا بمــذاهبِ الحُلول من النّصارى واليُهود، وقد اندفعَ من العِراقيين كثيرٌ ممّن جَهَرُوا بأنّه حَلّ فى عليٍّ جُــزءٌ إلهىٌّ، واتّحد بِجَسَده، وبه كان يَعلمُ الغَيْبَ، وبه كان يُحارب الكُفار وينتــصرُ علــيهم. إلى غيرِ ذلك من الحَيف الظّاهر والضّلالِ المُبين من أقوالِ الغُلاةِ الذين خالَفوا مَبادئ

الشّريعة السّمحة.

٣ ــ العِصْمَةُ مِن الزّلل :

للأئمة فى نَظَرِ الشِّيعة صِلةٌ روحيّةٌ بالله تعالى مِن جِنس الصِّلة التـى للرّسـول والأنبياءِ، فالإمامُ فى رأيهم يُوحَى إليه، وإن اختلفَت طريقةُ الوحْيِ إليه عَـن الرُّسـل، وقال عالمُهم فى هذا: (إنّ الرسولَ هو الذى ينزل عليه جبريلُ فيراهُ ويـسمعُه، أمّـا الإمامُ فيسمَع الكلامَ ولا يرَى جبريلَ)، لذلك صار الأئمّةُ فِى رأيهم معْـصُومين مـن الصّغائر والكبائر، ولا يجُوز عليهم الخَطَأ والنِّسيان.

وبهذا جَعَلَ الشيعةُ وصْفَ العِصْمة المُطلَقة لأئمّتهم قَبل الإمامةِ وبَعدَها، ومهّـدوا الطريقَ أمامَ تلك الدّعوة لِتَستُّر الأئمة، وإحاطتِهم بجَوٍّ من الخَفَاءِ والغُموضِ.

٤ – عِلْمُ الأئمّة:

يرَى الشِّيعةُ أنّ الإمامَ قد أُحيط بكُلِّ شيءٍ علماً، بعد أنْ أطلعَهم اللهُ علَى جميعِ مـا أنزلَه مِن الكُتب علَى اختلافِ ألسنتها، ولمّا كان هُناك نوعانِ من العلم (علمُ الظّاهر، وعلم الباطن) فإنّ النبيَّ ﷺ قد تعلّم هذين النّوعين من العلم عَن عليٍّ بن أبى طالـب، وهُم يقُولون بأنّ أحداً لم يجمع القُرآن كلّه ولم يحفظهُ كما نزَل، غير علِيّ والأئمّة من بعده.

ولدَى الشِّيعة ما يقُولون بأنّه مُصحف فاطمة وهـو الأصَـحُّ فـى رأيهِـم مـن المُصحف الذى بأيدى أهلِ السُّنَّة والجَمَاعَة، حيثُ زعمُوا أنّها مكَثَتَ بَعد وفاة والـدها ﷺ خمسة وسبعين يوماً عليها من مصائب الحُزن ما لا يعلمُها إلاّ اللهُ، فزعمُوا أنّ اللهَ ﷻ أرْسَلَ جبريلَ يُسلِّيها، ويحدّثها عَن أبيها، وبما يكونُ بعدَه فى ذُرِّيتِه، وذلـك فـى وُجُودِ عَلِيٍّ الذى كان يسمَع ويكتُب حتى جاءَ منه مصحَفٌ قدرَ القرآن الكريم ثـلاث مرّات، وهو خالٍ تماماً من الحَرَام والحَلالِ، غير أنّه فيه علم ما يكُون، وقـد ورثَـت الأئمّة تلك الثّروة العِلْمية، وورّثُوها لِمن بعدهم بِدون منفعةٍ أو أجرٍ.

والإمامُ فى زَعْم الشيعة يَعْلَم مَتى يمُوت، وهو لا يمُوت إلاّ عَـن إرادةٍ منـه أو اختيارٍ، وكان عليٌّ يَعلَمُ ساعةَ موْته وقاتلَهُ.

والإمامُ عندهم هو حُجّة الله علَى عباده، والإيمانُ به جزءٌ من الإيمانِ، لأنّ الأئمةَ عندهُم لا يفعلُون شَيْئاً إلاّ بعَهْدٍ من الله وأمْرٍ منه لا يتجاوزُونَه، وهـو عنـدهم بهـذا مُشَرِّعٌ ومُنفِّذٌ لا يُسألُ عمّا يَفْعَل، والخَيْرُ كلُّ الخير فيما أقْدَمَ عليه، ومَا نَهَى عنه فإنّـه الشّرُّ.

وكان لأقوالِ الشِّيعةِ هذه صداها البعيد فى أقوالِ الصُّوفية، ومـا يُردِّدُونَـه مـن ـ أباطيلَ – سنعرضُ لَهَا فى حينها إن شاءَ اللهُ تَعَالى.

٥ – التّقيّةُ:

التقيّة فى الُّلغة: هى الحَذَرُ والكتْمَانُ .

وفى الاصطلاح: أن يُحافظ المَرءُ علَى نفْسه، ودينه، وعرْضه، ومالـه مَخَافـةَ العدُو، بحيث يُظهر غير ما يُضمْر، فهى إذا "" كتمانٌ ومُـداراةٌ ""، وتظـاهُرٌ بغيـر الحَقيقة مَخافَةَ كُل أو بعض ما ذُكر.

وهُم بذلك يتطابقُون معَ أُسُس عقيدة الماسُونية تطابُقاً تامّاً غير منقُوص(١).

وقد جعلَ الشيعةُ التّقيّةَ مَبْدأً أساسيّاً فى حَيَاتهم، وجُزءاً مُكمّلاً لتعاليمهم، ودَعَـوُا إليه، وتوَاصَوا به، ورَوَوْا فيه عن أئمّتهم الكَثيرَ، وَوَقَعَ من قوْلهم فى ذلـك (لا ديـنَ لمَن لا تَقيّةَ لَه)، وكذلك قولهم (الكتمان جهادُنا)، وقد تأثّر الشيعةُ بهذا المَبْدَأ تـأثُّراً شَديداً حتى أنّهم إذا أحَسُّوا خَطَراً من سُنّيٍّ أو من كافرٍ دارُوه، وأظهَروا المُوافَقَةَ تقيَّةً للأحداثِ واستجابةً للمُتغيِّرات عَلَى خلافٍ كُلّيٍّ مُطْلَقٍ لباطنهم، وما يُؤكّدُ عَلَى ذلك أنّ أساسَ أحداثهم التّاريخيّة وراءَها دائما إمامٌ مُخْتَفٍ يدعُو إلى نفْسه، بيْنَمَا يبُـثُّ دُعاتَـهَ فى الأمْصارِ مُتظاهرين بطاعَة أُولى الأمْر لذلك جَعَلَ الشيعةُ لجُملَة كلامهـم ظـاهراً يَفْهَمهُ العامّةُ، وباطناً يتعاملُ به الخاصّة، وقد أضحَوا وهُم أقدرُ الفرق الإسلاميّة عَلَى العَمَلِ فى الخفَاءِ، وهُم ينسبون التّقيّةَ بهذا المَعْنى وعَلَى هذا الحالِ إلى عليٍّ ﷺ، حيث

---

(١) انظر كتابنا : المؤلمرة الكبرى على العروبة والإسلام والإنسانية عبر مراحل التـاريخ ، عـن الدار العالمية للنشر والتوزيع – فيصل – الهرم .

يقُولون بأنّ سُكُوتَه عن أبى بكرٍ وعُمرَ وعُثمانَ وصَلاتَهُ خَلْفَهُم تَقيّةً، وكـذلك نُـزُول الحَسن علَى مُصالَحَةِ مُعاوية كما تقدّم كان تقيّة، وهُم مُخطئون أشدّ الخَطأ، ومُنحرِفُون أشدّ الانحرافِ عن حقيقةِ مواقِفِهم المُخْذِلَةِ التى خَذَلَت علِيّاً ومُسْلِم، والحَسَن، والحُسَيْنَ علَى نَحو ما أَوْرَدْنَا.

٦- المَهْدى المُنتَظَر:

كلمةُ مَهديٌّ فى المَعنى الدِّينى: مَن هَداهُ اللهُ فاهتَدَى، وقد استَعْمَلَها الـشيعةُ فـى موْطِنٍ جَدِيدٍ وعَجيبٍ، حيثُ قالوا: هو إمام (خليفة) مُنتَظَرٌ، يأتى فيملأُ الأرضَ عدْلاً كما مُلِئت جُوراً.

وليسَ بغَريبٍ أو بعَجيبٍ أن يكُون عبد الله ابن سبأ هو أوّلُ مَن أطلَقها علَى هذا المَعنى، عندما زَعَم أنّ علِيّاً لم يُقتل، وأنّه المَهديّ المُنتَظر، وسينزِل إلى الدُّنيا، وينتقِم من أعدائه.

ثُم انتَقَلَت هذه الفكرة الزّائِفَةُ من السّبئية إلى الكيسانية من الشيعة الـذين جَعَلُـوا مهْدِيّاً خاصّاً بهم هو مُحمّد بن الحنفية ﷺ، مَعَ أنّه قد ماتَ وصلّى عليهِ والِى المدينـة (**أبان بن عُثمان بن عفّان**) ودُفِن بالبقيعِ سنة ٨١ هـ.

ومعَ نهاية القرن الثّانى الهِجْرِيِّ خَرَجَتْ الإماميّةُ من الـشيعة بـصيْحَةٍ جديـدةٍ غريبةٍ، ومقُولةٍ كارِثيّةٍ مُصيبة. حيثُ قالوا برِجْعةِ أعدائهم كذلك ليعُذَّبَ الأعداءُ أمـامَ الأئمةِ بسببِ عُدوانهم عليهم، وقد قالَ قائلُهم: [إنّ أبا بكر وعُمر رضـى الله عنهُمـا يُصلّبَان علَى شجرةٍ فى زمَن المَهدى ثمّ يمُوتُ الجَميع، ويُبعثُون يومَ القيامة].

تلك هى أهمُّ ما اعتَقَدَ أوْ دَانَ به مُعظمُ طوائف الشّيعة، وهى بعضٌ من الخُطـوط العريضة لثقافتهم ومُعتقداتهم.

غير أنّ الغلاةَ من تلك الطّوائف كانت لهم مبادئ أُخرى لا تمتُّ للإسلام بـصلَة، إنْ هى إلاّ تأثُّراً وصَدَىً لما يُقال له الدِّيانات القديمةُ التـى خَـالَطَ أتباعُهـا الـشيعةَ والسّاخطين علَى بنى أُميّة، فأثّروا فيهم وإلى حدٍّ بعيد، فقد آمَن بعضُ الغُلاة بنظريـة التّجسيمِ والحُلول، فعَلِيٌّ حسَبَ زعمهم قد حَلّ جزءٌ إلهِيٌّ وتجسّد فيه، وهذا هـو قـولُ المجُوس والفلاسفة القُدماء.

(١٤٦)

وقد أدخلَ الهنُود كذلك علَى الشيعةِ القولَ بتناسُخ الأرواح، وقالوا بأنّها لن تمُوت، وإن ماتت فإنّها لا تفْنَى، وإنّما هى تنتقلُ من بدَنٍ إلى بدَنٍ، وفى كلِّ بَدَنٍ تستفيدُ الرُّوحُ تجاربَ ومعلُوماتٍ حتى يتحقّقَ لها شوقُها بعِلْمِ ما لا تَعْلَم، وتستغْنِى حينئذٍ عَن المادّة، ويتّحد العاقلُ والعَقْلُ والمَعْقُولُ.

وربطَ هؤلاء الثّوابَ والعِقابَ بنظريةِ التّناسُخِ مَرَاتبَ أربَع هى:

* فَسْخ: وهو انتقالُ الرُّوح إلى جَماد.

* رَسْخ: وهو انتقالُ الرُّوح إلى نَبات.

* مَسخ: وهو انتقال الرُّوح إلى حَيوانٍ يُناسب صاحبُها فى الأوْصاف.

* نَسْخ: وهو بقاءُ الرُّوح مُجرّدة عن المادة بعدَ بلُوغها مَرْتبَةَ الكَمَال.

وقد تأثّر بنظَرية التّناسُخ هذه فريقٌ من الشيعة السّبئية، وفريقُ الحَربيّة من الكيسانية.

ولعلّك تجد أثرَ ذلك كائنا فى الشّام حتى الآن عند فريقِ الدُّرُوز، الذين يقولون: أنّ مَن لَم يُؤْمن بعليٍّ فيعُودُون جمالاً أو بغالاً وحَميراً، أو مثل ذلك من أصناف الحيَوانِ، ويُقرِّرُون ذلك ويُؤكِّدون عليه.

ولعلّهُ من أبْرَزِ الأخطاءِ التى وقعَ فيها هؤلاء ومعهُم كثيرون من جهلةِ الرّوافض، هو الاعتقادُ بأنّ قبرَ الإمام عليٍّ بن أبى طالب موجُودٌ بمشْهدِ النّجف، وهو قولٌ لا دَليل عليه، ولا أصْلَ لَه، وعلَى المشهُور أنّه لمّا قُتلَ رضى اللهُ عنه صلّى عليهِ ابنُه الحَسن فكبّر عليه تسع تكبيرات، ودُفن بدار الإمارة بالكُوفة خوْفاً عليه من الخوارجِ، ومَن قال منهم أنّه حُمل علَى راحلته فذَهب إلى حيثُ لا يُسيغُه عقلٌ ولا يقبلُه شرعٌ.

والمشهُور أنّ الذى يُعظِّمُونَهُ بالنّجفِ ليْس أمير المُؤمنين عليّ: إنّما هو قبْرُ المُغيرة بن شُعبة، ولَو تأكّد الشِّيعة من ذلك لَرَجَمُوه بالحجارة، ويُعدُّ ذلك هو **الخطأ الأوّلُ** البارزُعند هَؤُلاء.

أمّا الخطأ الثّانى: فهو ما كان منهم من سيِّئ الصّنيع فى يوم قَتْلِ الحُسين، فالحُسين كان من سَادات المُسلمين، وعُلماء الصّحابة، وابن ابنةِ رسُول الله ﷺ التى هى أفْضل بَنَاتِه، وقد كان عابداً شجاعاً وسخيّاً، وقد كان أبُوه أفضل منه فقُتِلَ، وهم لا

يتّخذون مقتَلَهُ مأتَماً كيَوم الحُسين، فإنّ أباهُ قُتل يوم الجُمُعة وهو خارجٌ إلـى صـلاة الفَجْرِ فى السابع عشر من رمضان سنة أربعين‌ه، وكذلك كان عُثمانُ أفضلَ من عليٍّ عند أهْل السُّنة والجماعة، وقد قُتل وهو محْصُورٌ فى داره فى أيّام التّشريق من شـهر ذى الحجّة سنة ست وثلاثين، وقد ذُبح من الورَيد إلى الوَريد، ولَم يتّخذ الناسُ يومَ قتله مأتماً، وكذلك عُمر بن الخطّاب، وهو أفضل من عثمان وعَليٍّ، وقد قُتل وهو قائمٌ فـى المحْراب يُصلِّى صلاةَ الفجْر ويقْرأُ القُرآن، ولَم يتخذ الناسُ يوم قتله مأتماً، ورسـولُ الله سيِّد ولد آدم فى الدُّنيا والآخرة، وقد قَبَضَهُ اللهُ كما ماتَ الأنبياءُ قبلَه، ولم يتّخذ أحدٌ يومَ موْتهم مأتماً يفعلُون فيه ما لا يفعلُه هؤلاء الجَهَلة مـن الرّافـضة يـومَ مـصْرع الحُسين، فلا يَحْسُن أبداً ما يفْعَله الشِّيعةُ من إظْهارِ الجزَعِ والحُزنِ الذى لَعلّه تَـصَنُّعاً ورياءً، وهم يتَشبّهون فى أفعـالهم هذه باليَهُود كونهم يلطمون الخُـدودَ، ويـضربون أنفسَهم بالحِجارة أو بالسِّيوف حتى تسيلُ منهم الدِّماءَ وهُم فى غمْرَة هذا العشق وتلـك الضّلالات.

ونُوجِز فيما يلى بيانًا نُوضِّح فيه مدَى تأُثر فِرق الـشيعة بالعقائـديّات والنِّحَـل الأُخرى. فمن أهمِّها:

* قال الشيعةُ أنّ الخلافَةَ (الإمَامَةَ الكُبْرَى) لا تـكُون إلاّ فى آل عليٍّ بَيْنَمَا كان قولُ اليهُود أن المُلك لا يكُون إلاّ فى آل داوُود.

* قال الشيعة برجْعة الأئمة بَعد الموت، وبرجعة أعدائهم، وقال اليهُود برجْعَة بعض الأفراد إلى الحياة بَعْدَ الممَات استَناداً إلى أنّ اللهَ تعالى قد أماتَ عُزَيْرَاً مَائة عامٍ ثمّ بعَثه.

* يقُولُ بعضُ الشِّيعة بنسَب الإمامِ إلى الله، وأنّ الله تعالى قد حَلّ فى عليٍّ وتجسّدَ فيه، وأنه لم يمُت، وهو حتماً سيرجِعُ، وأهلُ النّصرانيّة يقولون بِنسبَة المسيح إلى الله تعَالَى وأنّهُ ابنُهُ.

وقالَت الفئتان أنّ الّلاهوت اتّحد فى النّاسُوت فى الإمام، ومَن اتّحد به الّلاهـوت فهُو نبيٌّ، وبذلك يلتقِى عليٌّ ﷺ وعيسى عليه السلام فى رأي هؤُلاء الذى التَقَى فيه ضـلالُهم وجَهْلُهم.

ولمّا تأثّر الشيعةُ بالثّقافات المُنحلّة الطّاعنة فى الدّين التى لا تُروِّجُ إلاّ حيفا بيِّنـــاً، وإلحاداً هادفاً، فقد دَفَعَهم تعصُّبهم إلى الاعتقاد فى أنّ المُؤمنينَ حقّاً هُم (عليٌّ، وبنُوهُ، ومَن ناصرَهُم وآذرَهُم، واعتقدَ إمامَتَهم)، ورفضُوا لذلك كلَّ علمٍ يصلُ إليهم عَن غَيْرِ شِيعيٍّ، وحَصَرُوا أنفسَهم فى دائرةٍ خاصّة بهم، ومُغلّقةٍ عليهم.

ومع تعدُّدِ الثّقافاتِ، وذُيوعِ الخُرافاتِ، ورواَجِ الإرهاصاتِ، تحلّلت فرقةُ الــشيعةِ إلى مجموعَةٍ مِن الطّوائفِ أو الفِرَقِ الدّاخليّة.

ب : الانصهارُ:

١ – الكيسانيّة:

وهُم أصحابُ كيسان (موْلى أمير المؤمنين عليٍّ بن أبى طالب) وهــو تلميــذ مُحمّد بن الحنفية (مُحمد بن عليٍّ بن أبى طالب) رضى الله عنهُما، ثم انقسَمُوا علَــى أنفسِهم إلى طوائفَ مُختلفةَ الأفكارِ والمبادِئ، غير أنّهم يجْمَعهُم القولُ بــأنّ الـــدِّين طاعةٌ رجــُلٍ، وأنّ مُحمد بن الحنفية هو الإمام الرّابع وأمُّه امرأةٌ من بنى حنيفة، ومع أنّه توفّى سنة٨١.هـ .إلاّ أنّ الكيسانية اختلَفُوا فى أمْره، فمنهم مَن زَعَمَ أنّه حــيٌّ لــم يمُت، وأنّه فى جَبَلِ رَضْوَى بالقُرب من المدينة المُنوّرة، يقومُ علَــى حراســته أســدٌ ونمرٌ، وعنده عينٌ من الماءِ وأُخرى من العَسَلِ، ولم يتّفق الكيسانية علَى سببِ حبْــسهِ فى هذا المكان وهذا الزّمان.

فمن قائلٍ إنّ لله فى حَبْسه سرّاً لا يعلَمه إلاّ هو، ومن قائلٍ إنّ ذلك كان عقاباً من الله لخُرُوجِه إلى يزيد بن مُعاوية بَعد مصْرَعِ الحُسين، وقُبوله العَطَاءَ منــه (ضــمن الشُّروط التى قبلها الحَسن ﷺ لنَفْسه ولأتْباعه)، ومن تَعَاليمهم أنَ لكُلِّ ظاهرٍ بــاطنٍ، ولكلِّ تنْزيلٍ تأويل، ولكُل مثالٍ فى هذا العالَم حقيقة كائنة فى العالَم، ويُجاهرُ الكيسَانيّةُ بأنّ مَن عرَف الإمامَ فليصنَع ما يشاءُ، ولا إثْمَ عليه ولا حــرَج، ومــنهم مَــن قــالوا بالحُلُولِ وبالتّناسُخ مثل طائفةِ الحرْبية.

٢ – الزّيديّة:

وهُم أتباعُ زيد بن عليٍّ الأصغر (زَين العابدين) بن الحُسين بن على بــن أبــى طالب رضى اللهُ عنهم جميعا.

وقد وضَع زيدُ شُروطًا للإمامةِ من أهمِّها:

(١٤٩)

{ أن يكُون الإمام فاطميا عالمًا زاهداً شُـجاعاً، شَـيخاً، وأن يَخـرُج مُطالبـا بالإمامة، فإن لم يَخرُج مُطالبا فلَيس إماماً }، ومن ثَمَّ فإنّهم أجـازوا تَعْيـين غيـره، وهذه نظْرَةُ عدْلٍ تفردُّوا بها، وعلَى ذلك فإنّهم لم يَعْترضُوا علَى الشّيْخَيْنِ (أبو بكـر، وعُمر) مع وجُود عليٍّ لأنّ عليّاً لم يخرُج مُدافعا عَن حقِّه.

والزّيديّةُ هُم أقربُ المذاهبِ إلى أهلِ السُّنة وإلى الشِّيعة الحقيقيِّين، وأجـازُوا أن يكُون الإمامُ مِن عليٍّ مِن غيرِ فاطمة، إذا ما خَرج أبناءُ فاطمة طَلَباً لَها، كمـا أنّهـم اشترطُوا فى الإمامة شُروطاً يوافقُها أهْلُ السُّنة.

وقد اتّجه زيدُ إلى الكُوفة، ووفَد عليه كثيرونَ من الشيعة، ووعدُوه بالنّـصْرة إنْ هُو خَرَجَ علَى بنى أميّة، وأخْطَأَ فى ذلك كما أخطأَ أجدادُه من قَبْـل، فاتّخَـذَ الكُوفَـةَ أنْصَاراً لهُ، وأعلنَ الثّورةَ علَى بنى أُميّة، فبايعَه نحو من أربعين ألفـا ورفَـعَ لـواءَ الحرْبِ، وخرَج إلى القادسيّة ليُقاتِل { يُوسُف بن عمرو} والى [هشام بن عبـد الملـك علَى العراق فى ١٢٢ هـ }.

فانفضّ عنهُ مُبايعُوهُ، وكَما خَذَلوا أجدادَه خذَلُوهُ، ولم يجد حوْله عند الالتحامِ غير مائتين وثمانية عشر رجُلاً لم يُغنُوا عنه من الهزيمةِ شَيْئاً، وقد أصـابَهُ سـهْمٌ فمـاتَ لليلَتَيْنِ خلَتَا من صفَر ١٢٢ هـ، ودفَنَه شيعتُه، فنَبَشَ أعوانُ الأميـر العراقـى قبْـرَه، وأخرَجوا الجُثمان، وفصلُوا رأسَهُ، وأرسلُوا إلى الخليفةِ الذى أمَر بأن يطُوفوا بها فـى الأمْصار، وقُدِّرَ له أن يَدفنَهُ أهلُ مصر فى المكَان الذى يُعرف الآن خَطأً بمسجد عليٍّ زين العابدين، وهو قريبٌ من سَلَخَانَة القاهرة التى تُعْرف الآن (مَذْبَح السَّيِّدة)، وهـو فى الحقيقةِ قائمٌ علَى رأسِ زَين العابدين بن عليٍّ الأصغر الذى يُكنـى (علـىّ زيـن العابدين) إبن الحُسين بن عليٍّ بن أبى طالب ﷺ جميعاً، أمّا الجسَد فقد صـلَبُوه فـى الكُوفة أكثرَ من عامَين حتى ماتَ هشام، فأمَر الوليدُ بإنزالِه وإحْرَاقِـه، وذَرى رَمـاد الجُثة فى الهَوَاءِ – ولا حوْل ولا قوّة إلاّ بالله.

وقد تمكّن ابنُه يحْيى من الهرُوبِ إلى خراسان، ولَبث هُناك قرابةَ الثّلاث سنوات يستعدُّ للثّورة، ويتهيّأ للخُرُوجِ علَى بَنى أُمية، ولمّا خرَج سنة ١٢٥ هـ، كـان مـصيرُه مثل مَصيرِ أبيه، حيثُ صُلب ثُمّ أُحرِق، وذرى رمادُه فى نهرِ الفُرات.

وقد تمكّن أحفادُ يزيد وولدُه يحيى من إقامةِ الدّولة الزّيدية فـي طبرسـتان فـي مُنتصف القرنِ الثّالث الهجري بعد أن نجَحُوا تماماً في نشرِ مذهبهم الزّيدي، ثُمّ انتقَـل هذا المَذهب إلى اليمَن، بعد أن وَجد فيه أتباعُه ضالّتَهُم المنشُودة كيْ تكُون بعيدةً عـن أنظارِ الدولةِ العبّاسية السُّنية التى قامت فى العِراق، وذلك من حيـثُ الأمـن، وبُعـد المَسافات، وصُعوبة الوُصول إليهم هُناك.

كما أنّ الزّيدية فى اليمَن سيتمكّنون من البحث، وتنظيمِ الرِّجال الذين من المُمكن أن تتألّف قلُوبُهم من أجل مُحاربَة الدولة العبّاسية فيما بَعد.

٣ – الإماميّةُ: وهُم أكبر طوائف الشيعة الذين يُمثّلون دورَهم علَى مـسرحِ الحيـاةِ الدينيَة، والسياسية إلى اليومِ، وقد عُرفوا بهذا الاسم لأنّ تعاليمَهم قد تركّـزت حـولَ الإمامةِ، وكثُرت اهتماماتُهم بهم.

وفى رأيهم أنّ عليّاً هو الإمام الأوّل، وهم يقطعُون بأنّ الرسـول ﷺ قـد نَـصَّ صرَاحةً علَى إمامته بالاسم وبالشّخص تَعْييناً، وأنّ الإمامة فى فاطمةَ دُون غيرها.

وقالُوا بأنّ مَن وُلّى الإمامةَ قبلَ عليٍّ أو نالَها بعدَه من غيرِ أبنائه من فاطمة فإنّهم ظالمون مُغتَصبُون، يجب التّبرُّؤ منهم، ومَن يتولّهم فليسَ من الإسـلام فـي شـيء، ويزعُمون بأنّ الصحابة بمُخالَفَتهم العهْد الصّريح من النّبى لِعليٍّ بالخلافة قـد ارتـدُّوا عَن الإسلام عَدَا " عَليّاً وولدَيه الحسَن والحُـسَين "، وأبَـا ذَرٍّ الغفَـارىّ، وسُـليمان الفارسي، وطائفةٌ يسيرةٌ، ويزعُم هؤلاء من القول كما جاءَ فى كتاب [التّبـصير فـي الدّين / ص:٢٤] أنّ القُرآن قد غُيِّرَ فيه بالزّيادة والنُّقصان، فقد كان فيه النصُّ علـى إمامةِ عليٍّ، فأسقطَهُ الصّحابةُ، فلا اعتمادَ علَى القرآن الآن، ولاَ علَى الـشّريعة التـي بأيدى المُسلمين، وإنّهم بذلك يبغُون إسقاطَ التّكاليف الشّرعيةِ بالجُملةِ عن أنفُسهم.

ويمُكن القولُ بأنّ زعيم تلكَ الطّائفة الإمام « مُحمّد البـاقر »، وقـد خَلَفَـه فـي الإمامة ابنُه جعفَر المُلقّب (جعْفر الصّادق) وكان ذا حظٍّ عظيم فى العلمِ، ونَـصيبٍ وافرٍ فى الحِكْمَة، وقد عاصَرَ نهاية الدّولة الأُمَوية، وصدْراً مـن الدّولـة العبّاسـية، وتوفّى فى خلافة أبى جعفر المنصُور سنة ١٤٨ هـ.

وقد صرَفَه اهتمامُه بالعلم عن الاهتمام بالسياسة، فلم يشتغل بها لكثرة متاعبهــا، ولاستفادته من تجارب الآخرين فسالَم بنى أميّة، ولم يتعَــاوَن مــع العبّاســيين، وقــد أوْصَى جعفر الصّادق لولَده الأكبر " إسماعيل " بالولاية من بعده، فلمّا مات ولدُه فــى حياة أبيه انْقَسَمَ الإماميَةُ إلى عــدّة طوائــف مــن أشــهرها: {{ الإثنــا عــشرية، الإسماعيلية }}.

* الإثنا عَشْريّة:

اعترفوا بوفاة إسماعيل بن جعفر الصّادق، ونقلُوا ولاءَهم علَــى أخيــه مُوســى الكاظم، وقد عُرفوا بهذا الاسم لأنّهم يُنْهُونَ سلسلة الأئمّة بالإمام الثانى عَشر (محمــد المهدى المُنتظر) الذى يجب علَى الناس طاعتَه حتى يُؤذَنَ لَهُ فى الظُّهور.

ولهُم فى غَيبته رأيٌ طريفٌ حيثُ قالُوا: إنّه دخَل سردَاباً بمدينة سامرّا – أو هــى ""سامرّاء"" – عندما أُريدَ اعتقالُه، وتغيّب فيه سنة ٢٦٠هـ، وقرّروا أنه سيخرُج آخــر الزّمان ليملأ الأرضَ عدلاً كما مُلئت جُوراً، وهم ينتظرُونه إلــى الآن، ومــنهُم مَــن يقفُون كلَّ ليلة بَعد صلاة المغرب بباب هذا السِّرداب، وقد قدّموا مرْكباً ليركبه أثنــاءَ خُروجه، ثُمّ هُم يهتفون باسمه، ويدعُونه للخروج حتى تَشْتَبك النُّجومُ، ثم ينفضُّون إلى حالهم، لذلك فهُم يُسمُّونه المَهْدي المُنتظر.

وتأوّل هؤلاء فى إمامهم قولَ الله تعالَى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُــولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التّوبة: ١٠٥].

فَقَالُوا هُو الإمامُ المُنتظرُ الذى يُرَدُّ إليه علمُ السّاعة ولا يَغيبُ عنّا.

والمُلاحَظ معَ الدِّراسة التّطبيقية والمسْح المَيدانى أنّ هذا المذهب الشِّيعي انتــشَرَ فى بلاد فارس مُنذ عصر الصّفويِّين، حيثُ أمرَ الشّاهُ إسماعيل الصّفَوى" الخُطباءَ بَعد اعتلاء العَرْش سنة ٩٠٩ هـ. بأن تكُون الخُطْبة باسم الأئمة الإثنى عشر، وأن يُضاف إلى الآذان (أشهد أنّ علياً وَليُّ الله)، وقد أصدَر أوامرَه المُــشدّدة بقتْــل كُــل مَــن يُعارض ذلك.

ومن ثَمّ فقد انطبعَت تعاليمُ هذا المذهب فى نُفُوس الفُرس وعقُولهم، وتأثّرتْ بــه حَيَاتُهم العامّة { السياسية، والدينية، والاجتماعية }، والشّاهدُ علَى ذلــكَ أنّ الدُّســتورَ الإيرانيُّ الدّائم ينُصُّ صراَحَةً علَى أنّ شاهَ إيران يحكُم نيابةً عَن المَهدى المُنتظر.

ومن أبرزِ رجالاتِ الشيعةِ الإمامية في الزّمن المُعاصَر « أيــة الله الخُمينــي » الذي قاد ثَورةً شيعيّةً في إيرانَ تسلّمت زمامَ الحُكم سنة ١٩٧٩م.، وله كتابٌ.(كَــشْفُ الأسْرارِ)، وكتاب (الحُكومةُ الإسلامية)، وبالرّغم من أنّه قال بفكْرَةِ ولايَــةِ الفَقيــه، ومن أنّه رفَعَ شعَاراتٍ إسلامية عامّة في بدايةِ الثّورة إلاّ أنّه مــا لبــثَ أن انفــضَحَت أسرارَه، وبانَ عَوارُه، وكشَفَ عَن نَزْعَةٍ شيعيّةٍ مُتعصبّة ضيّقة، وقادَ البلادَ إلى حَرْبٍ مُبيدة مُدمِّرة مع العراق(١)، وقد أكّدَ الخُميني في كِتابه (الحُكُومَة الإسلامية) خُــروج الإمام المُنتظر الثّاني عشر المُقيم في سرداب في سامرّاء كما يزعُمون، وهو "محمــد المهدي بن الحَسَن العسكري" المولود سنة ٢٥٦هـ. وماتَ في ٢٦١هـ. ولكــنّ الــشيعةَ ينفُونَ موْته، وفي ذلك يقولُ الخُميني:

(لقد مَرّ علَى الغيبةِ الكُبرى لإمامنا المَهدي أكثرَ من ألف عام ، وقد تَمُرُّ أُلوف السِّنين قبلَ أن تقضي المصلَحةُ قُدومَ الإمام المُنتظر) .

وممّا جاء في أهمِّ كتاب لديهم بعدَ القُرآن الذي فــي أيــديهم (كتــابُ الكــافي) للكلِّيني ما نَصُّهُ (إنّ عندنا لمُصحف فاطمة عليها السّلام، وهو مُــصحف فيــه مثــل قرآن أهلِ السُّنة ثلاثَ مرّات، ويُقسِمُ صاحبُه بأنّه ما فيــه مــن قُــرآن أهــلِ الــسُّنة والجَماعة من حَرْفٍ واحدٍ).

وهكذا تجد الشيعةَ يُضلُّون العبادَ بأفكارهم، ويُبدّلُون دينَ الله، ويُحرِّفــون كتابَــه باسم الإسلامِ، وينشرُون الزّنْدَقَةَ والخُرافاتِ باسم الدِّين الإسلاميِّ الحَنيف، وهُم جميعاً نتاج الفتنة التي قادَها عبدالله بن سَبَأ اليهودي، وأتباعُه، وأعوانُهُ، وهي الفتنةُ الأشدُّ لما فيها من الطّعن في الإسلامِ، وشعائرِه، وفي سلَفِ الأمّــة وأعلامهــا مــن أصــحابِ الرّسول ﷺ، وخاصّة أبو بكرٍ، وعمر، وعائشة، وعثمــان ﷺ، وكــذلك الطّعــن فــي غيرهم .

إنّ استعمالَهم لعقيدة التّقيّة وإخفاءَهم لكُتبهم الأساسية التي علَيْها اعتمادُ مــذهَبهم المُنحَرف عن الصِّراط المُستقيم جَعَلَ الكثيرين من المُسلمين يستهينُون بأمرهم ويُقلِّلُون من خطُورتهم علَى الأُمّة إن لّم يعتنقُوا مذهبَهم، ويسلُكوا مسلكَهُم.

---

(١) انظر كتابنا ــ وحيد القرن ورياح التغيير

اللّهُمّ إنا نبْرَأُ إليكَ ممّا يدّعِي هؤُلاء من المُعتقدات الباطِلَة، ونَكِلُ أمرَهُم إليك ولاَ حولَ ولاَ قُوّةَ إلاّ بك.

* الإسماعيلية:

وهُم الطّائفة الذين رفَضوا الاعترافَ بوفاة إسماعيل بن جعفر الصّادق وأنكَــروا هذا القولُ بالكُلِّيَّة، إنّما كان قولُهم أنّ أباهُ أظْهَرَ موتَه تقيّةً من الخليفة العباســيِّ أبــى جَعْفر المنصُور، وهو فى رأيهم لايزالُ حيّاً إلى اليوْم، وأنّه هو الإمــامُ القــائم علَــى الواقعِ وإن كانَ مُستَتِراً.

واتّفقُوا معَ الإثنى عشرية فى كوْنِه سيملأُ الأرضَ عدلاً بعد أن مُلئت جُورا، غيرَ أنّهم اختلفُوا عليهم فى القولِ بأن سلسلةَ الأئمة تنتهى عند الإمام السّابع " إسماعيل بــن جعفر المنصور "، وذلك لأنّ اللهَ – حسْب قولهم – جَعَل الكَواكــبَ الــسيّارة ســبْعاً، والأراضين سبعاً، والسّموات سبعاً، وأيام الأسبُوع سبعاً، فمثل ذلك جعَلَ الأئمّةَ سبْعاً.

ومنهم مَن اعترفُوا بوفاة إسماعيلَ ولا يعتبِرُونه إماماً لأنّه ماتَ، وهؤلاء من الإسماعيلية يعتبِرُون الإمام السّابع مُحمّد بن إسماعيل، وليس إسماعيل بن جَعفر نفسُه.

وقد عُرِف هذا الفريقُ بالباطنيّة، وذلك لقولهم بالإمام البــاطن – أىْ المَــسْتُور – وكانت أول نشأتهم فى البحرَين بالقرامطة، وصاروا بعد قُوّة لا يُستهان بها حتى أنّهــم هدّدوا من قاعدتهم هُناك أمنَ المُسلمين حيث هاجَموا العراق والشّام، وسفكُوا من دماءِ الحجيجِ فى الحجاز دمًا غزيراً، ونزعُوا الحَجَرَ الأسودَ من مكَانه، وبَقى فــى أيــديهم فترةً طويلَةً.

وينتسِب إلى هؤلاءِ مُؤسِّسُوا الدّولةَ الفاطميةَ فى المغرب العربــى التــى كانــت تهدف إلى الحصُول على السِّيادة العُليا من دُون الخلافة العبّاسية، وقــد اســتقرّ لهــا الأمرُ، ولم تكُن أيامها معدُودات، ولم تُعانى من فتَن الخُروج علَى الشرعيّة كغيرهــا. بل دولةٌ فاطمية علَويّة راسخة، قويّة. زاحَمت دولةَ بنى العبّاس، وقاســمُوهم مَمَالــك إسلامية علَى الرّغم من وجُود أعدائهم من الأُمويِّيِّن فى الأندلُس، وسيطرةِ العبّاســيين على المشرِق العربي.

وبهذا يُمكن القولُ بأنّ هذه الطّائفة من الشيعة وَهُمُ المُتفرّقون فى الهند، وإيــرانَ، وشرقيِّ إفريقيا، والشّام، وعُمان عَلَى ساحلِ الخليجِ العربــي، وفــى بــلاد المغــرب العربي، ويُوصف هؤلاء بأنّهم مُسالمون مُوادعون، وباتُوا دُعاةً إلى الإســلامِ حيــثُ استقرّ بهم المُقام، إلاّ أنّها دعوةٌ للمذهب الشيعيِّ الذين هُم عليه.

ويزعُم الإسماعيلية أنّ معرفة الإمام جُزء من الإيمانِ، فمَن ماتَ لا يعرف إمامَه فقد مات ميْتَةَ الجاهليّة.

وللدّعْوَة تسع دَرجات مُتتاليات، ابتداؤها بالسُّؤال عن أمُورٍ قــد أُخفيــت حكمــة التّشريع فيها لإثارة الشّك فى نَفْسِ المدْعُو، وتنتهي بتلْقينه بعد أن يحــدُث الاطمئنــانُ إليه أنّ شرائع الإسلام من صلاة وزكاتٍ وحجٍّ، إنّما وقَعَــت علَــى جهــة الرُّمُــوز لمصلحة العامّة ليُشغَلوا بها عَن بَغْي بعضهم علَى بعضٍ، ولا يجــب العمــلُ بهــا إلاّ بحسبِ الحاجةِ من رِعاية مصالحِ الدّهماء، أمّا المعارف العامة فيكفى معرفتهــا، ولا يُلزمه العَمل بها.

وهكذا تنتَهى تلك الدعوةُ بهدم الإسلامِ، والتّحلُّل من قُيوده للعارفين(١).

وهُم كذلك يقُولون بعصمة الأئمة كغيرهم من أتباعِ المذهب الشّيعى، غير أنّ العصمةَ لَديهم لَيست فى عَدَم ارتكابِ المعاصي والأخطاء، بل أنّهم يُؤَوّلون المعاصى والأخطاءَ بما يُناسبُ مُعتقداتهم.

* يُضفُون علَى الإمام صفاتٍ تَرفَعَه إلى ما يُشبه الإله (والعِياذُ باللهِ) ويخصُّونه بعلمِ الباطنِ، ويدفعُون له خُمس ما يكسبون.

* يقولون بالتناسُخ، والإمامُ عندهم وارثُ الأنبياء جميعاً، ووارثُ كلِّ مَن سَــبَقَه مــن الأئمة.

* يُؤْمنون بالتّقيّة والسّرّيّة، ويطبّقُونها فى الفَتَرَاتِ التى تَشْتَدُّ عليهم فيها الأَحداثُ.

* شعارُهم (لا حقيقةَ فى الوُجود، وكلُّ أمرٍ مُباح) وكانت وسيلَتُهم قــديماً الاغتيــالُ المُنظّم، والامتناع بِسلسِلَةٍ من القِلاع الحصينة(٢).

---

(١) انظر الجزء الثانى من الخطاط للمقريزى – بتصرف .

(٢) الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة .

ثالثًا: مزيجُ العَقائد

أ – الفِرَق:

❁ الخَوارِجُ

سَبَقَ القَوْلُ فى نشْأةِ الخوارجِ، وفى مُناسَبَةِ خُروجهم وتوقيتِها، وما يُمكن القــولُ بهِ فى هذا المَقام أنّ أكثر مُعتنقِى هذا المذهب هُم من العرب الــذين ســكُنوا الكُوفــةَ والبصرةَ، وانضمّ إليهم المُعادُون لبَنِى أُميّة، والسّاخِطون عليهم، وهؤلاء علَى علاّتهم مَصبُوغين بالصِّبْغة البَدَوِيّة بما يُحْسَبُ لها من المَحَاسنِ، ومــا يُعــاب عليهــا مــن المَساوئ.

لذلك تجدُ العصبيّة القَبلية فيهم وقد ترسّخت إلى أقصى الدّرجات، فهُــم شُــجعانٌ يقدِّمُون أنفُسَهُم لعقيدَتهم من غيرِ جُبنٍ أو مَهَابة، كما أنّهم محــدُودُو النّظــر، ضــيِّقُو الأُفُق، كثيروا الاختلاف علَى رؤسائهم، وذلك لأنّهم لم يُقدِّسُوا أئمّتهم كما فَعَلَ عُمُــومُ الشيعة، وكانت نظرتهم إليهم مُغايرة، حيثُ كانوا لغَلَبة خِصال البَدوِ عليهم أبعــدَ مــا يكُونُون عنِ التطُّور، وعليهِ فإنّهم كانوا ينظُرونَ إلى الأئمّة نظْرةَ العرب إلــى شــيْخِ القَبيلَة.

وقد التزموا ظواهرَ الكتابِ باعتبارها نُصُوصا توقيفيّةٍ لا مَجَال فيها للاجتهــاد أو التّأوُّل، الأمر الذى أوقعَهُم فى أخْطاءٍ فادحة تتناقَضُ مع صحيحِ الدِّين وأصلِ العقيدة، مثل ذلك رأيهم فى أنّ كُلّ من أَكَلَ مالَ اليتيم فإنّه فى النّار لقوله تَعالى ﴿ **إنَّ الَّــذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُــونِهِمْ نَــارًا وَسَيَــصْلَوْنَ سَــعِيرًا** ﴾ [النِّسَاء: ١٠]، وأمَا مَن قَتل اليَتيمَ فلا يستوْجب ذلك العذَاب لعَدَم النّص عليه، وبذلك وُجد منهم مَن استحلّ دماء أطفالِ المُسلمين من غيرهم، ومن عجائبِ أخبــارِهم أنهــم أصابُوا مُسلماً ونَصرْانيّاً، فقالُوا: احفظُوا ذمّةَ نبيِّكُم، فعَصمُوا دَمَ الذِّمِّي، وأهــدَروا دمَ المُسلم الذى يُخالفُ فرقَتَهُم.

وانقَسَمَ الخوارجُ إلى نحو عشرين فِرقة على ما قال بِه الجمْهُور، غير أنّهم اتّفقُوا علَى مجموعةٍ من المبادِئ، **من أبرزها:**

وحْدة الآراء: حيث اعترفُوا بإمامة الشّيخين « أبى بكر، وعمــر »، واعترفــوا بخلافة عُثمان حتى حابَى بنى أمية، وتحَامَــل علَــى الــصّحابة فكفّــرُوه، ونقَــضُوا الاعترافَ ببَيعَته، ثمّ اعترفُوا بخلافة عليٍّ، ولكنّهم كفّروهُ، ونَقَضُوا الاعترافَ ببَيعتــه عندما قَبلَ التّحكيمَ، وقالوا بــكُفر الحَكَمين (الأشعرى، وابــن العــاص)، وكفّــروا كذلك كُلّ مَن قبل التّحكيم، كما كفّروا أصحابَ الجَمَل علَى إطلاقهم، وكفّروا الوُلاةَ من مُعاوية وقومه، ونادَوْا بالخُروج عليهم جَهاراً، لأنّ كُفرَهُم يجب أن يُقابَل بشدّة وقَسْوة، وهم بذلك مُخالفين للشيعة فى **أمْرَين أساسيّيْن:**

الأوّل : إنّ فرقة الشيعة وقَعَت فى مُغالاتٍ كبيرةٍ فى تقديــسهم علــيّ ﷺ، أمّــا الخوارجُ فإنّهم يُكفِّرُون عليّاً، ويُعَظِّمُونَ قاتلَهُ، وقد تأوّلوا فى عَليٍّ ﷺ قولَــهُ تعــالى: **﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾** [البقرة : ٢٠٤] .

الثانى: اتّخذ الشيعةُ من التّقية منهجاً، وجعلُوها مبدأً أساسياً مــن مبــادئهم، أمّــا الخوارج فقد رفضُوا العَمَل بها وجاهرُوا بالخُرُوجِ علَى السُّلطانِ الجائرِ مهْما كانــت الظُّروف.

وإحقاقًا للحقِّ فإنّهم يُمثِّلون الجبْهَةَ الديمقراطية فى الإسلام، لأنّهم يُنكرون قــانون توريث السُّلطة علَى عكْسِ ما كان عند العَلَويين والأُمويين، والعبّاسيين، بَل ويُنكرونه علَى أُمرائهم أيضاً.

والعَمَلُ عند الخوارجِ جُزءٌ من الإيمانِ، لأنّ الإيمانَ ليسَ عقيدةً فحَسْب، وإنّما هُو عقيدة وعملٌ، فكُل مرتكبٍ للكَبيرة من المُسلمينَ فهُو عندَهُم كافرٌ.

وقد قالُوا إنّ أحقّ الناسِ بالخلافة أصلُحهم لها عربيّاً كان أم غيْرعربى، قُرشيّاً أو غيرقُرشيٍّ، وأنّ الخلافةَ يجبُ أن تكون بالاختيارِ الحُرِّ بــيْن المُــسلمين، وإنْ كــان المُختار عبداً حبشياً، ومَن وقَع عليه الاختيارُ فإنّه لا يملك التّنــازل، وإذا ســارَ فــى المُسْلمين بما لا يتّفق ومصلحة المسلمين فقد وجَبَ عزلُه وقَتْلُهُ.

ومن أبرزِ طوائف الخَوارج:

وهؤلاء قد استحوَذوا علَى إقْلِيمَي (فارس & وكرمان) ودَانَ لهم النــاسُ هنــاك بالتَّبَعية والقِيادة، ومثّلت عقيدتُهم ومُعتقداتُهم خَطَرَاً بالِغاً علَى مُخالفِيهم منَ المُـسلمين، بما فى ذلك طوائف الشيعة المُختلَفة.

فقد اعتبروا ديارَ مُخالفيهم ديارَ كُفر، واستباحُوا فيها دماءَ النِّـسَاءَ والأطفــال، مُتأوِّلِينَ فيهم قَوْلَ الله تعَالَى: ﴿ **إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا** ﴾ [نوح: ٢٧]، وحرّمُوا الأكْلَ من ذبائحِ المُسلمين المُخالفين لهُم، وقالوا بِعَــدَمِ جــوازِ مُناكَحَتِهم، أو رعايةَ أماناتهم، وقطَعُوا بأنّهم لا تَوَارُثَ مَعهُــم، وتجــاوَزُوا فــأعلَنوا البَرَاءةَ الأبديَّةَ مِن [القَعَدَة]، وهُم المُتَخَلِّفون من الخوارجِ عَن الهِجْرةِ مــن الكُوفــة والبَصْرَة بَعد قُبول علَيٍّ التّحكيم.

وهؤلاء كانوا يعقدُون امتحاناً لكُل مَن هاجرَ إليهم يتبعُهُم مُدعيّاً أنّه علَى رأيِهــم، حيثُ كانوا يدفَعُون إليه أسيراً مِن المُخالفين المُسلمين أوْ طفلا من أطفالهم، ويأمُرونَــه بِقَتْله، فإنْ هو فَعَلَ صدّقُوه، وقبِلُوهُ عُضواً فيهم، وإن تحَرّجَ أوْ أَبَى قَتَلُوهُ.

وقطَعُوا القولَ بأنّ أطفالَ مُخالفيهم مِن المُسلمين مع آبائهم فى النّــار، بينمَــا لــم يقُولوا بذلك فى أبناءِ المُشركين، كما أقرُّوا قولَهم بأنّ القُرآن الكَريم هو وحدَه مــصدَرُ التّشريع، ورفضُوا السُّنَّةَ النّبويةَ علَى إطلاقها، ولم يُقِيموا وَزْناً للاجتهادِ رغم اعتــداده أصْلاً مِن أُصولِ الأحكامِ الشّرعية.

أمّا القرآن الكريم فإنّهم كانوا يتعاملُون مع نُصوصهِ بعد تأويلها حسب أمْــزِجَتهم، وتطويعِها بحسبِ أهوائهم من ذلك مثلاً أنّهم كانوا يُـسقطون الــرّجم عــن الزّانــي المُحصن لعدم وُجُود نَصٍّ صريحٍ علَى ذلك فى القُرآن، بينَما أقامُوا حَدَّ القذفِ فى حقِّ المُحْصَنَاتِ لورُود ذلك فى القُرآن الكريم صَرَاحةً، كما كانوا يقطَعُون يدَ السّارقِ فــى القليلِ والكَثيرِ لأنّ القرآن الكريم لم يُفرِّق تصريحا أو تلميحا بينَ المُخالفين.

اختلفَ هؤُلاءِ مع الأزارقة فى تكفيرِ مَن لَم يُهاجر إليهم مــن الخــوارجِ، لأنّهــم يقُولون بجوازِ الإقامة فى ديارِ الأعداء، وذلك اعتماداً علَى أنّ الرّسُول ﷺ أقــامَ بــين مُخالفيهِ فى العقيدةِ فى مكةّ ثلاثَةَ عشرَ عاماً.

❁ النّجْدَات

وقد قالوا بأنّ الدِّين قسمان:

الأوّلُ: معرفة اللهِ ورسُوله، والتّصديق بما جاء من عند الله بالجُملة، وتحْريم دماء المُسلمين، وهذا واجب العلم للعوَام، ولا عُذر لِلْجَهل فيه.

الثّانى: كُل ما هو سوَى ذلك من أمُور الدِّين، وقَالُوا بأنّ النّاسَ مَعذُورُون حتـــىّ يعلَمُونَ بالحَلال والحَرَامِ.

والاجتهاد فى رأيهم أمْرٌ واجبٌ مُقدّسٌ، ورغَبُّوا فى عُلُوِّ شأْنه، وقالُوا بـــأنّ مَـــن اجتهدَ وأخْطأَ معذُورٌ، وخالفُوا الأزارقةَ فى جُملةِ ما قالُوا، وناقضُوهُم فى كَثِيـــرٍ ممّـــا اعتقَدُوا.

❁ الجَبْريةّ والقَدَريّة

الجَبْرُ: انعدامُ الإرادة أو الرّغبةِ قهراً – أىْ – أنّ الإنسانَ لا يخلُقُ أفْعَالَ نفـــسِه، وليسَ له شيءٌ من الأفعالِ التى تُنْسَبُ إليه.

والاختيارُ: انتفاءُ الأشياءِ طواعيةً عن إرادة حُرّة، وهل الإنسانُ مَسيّرٌ أمْ مُخيّـــر، وجميعُها مسائل وإشكالاتٍ قديمة وطاعنة، شَغَلَت الفلاسفةَ، ورجالَ الدِّين، وعلماءَهُ.

وقال أصحابُ هذا المذهبِ أنّ العبدَ لا يُوصَف بالاستطاعَة، فـــلا قُـــدرَة لـــه ولا استطاعَة ولا اختيار، وإنّما هو مُجْبرٌ علَى أعمَاله، ونسْبة الأفعالِ إلى العبْد مَجازيّـــة، أىْ أنّه ما دامَ العقابَ جَبْراً، وجَبَ أن يكُون الثّوابُ جبْراً كذلك، فالإنسانُ بالـــضّرورةِ عندهُم لا يقدر على شئٍ، وهو مقهورٌ مُجْبَرٌ، فكل شيءٍ علَى هذا مرَدُّه إلى الله خَلْقـــاً وإيجَاداً، وصَيرُورةً، وإرادةً، وقَهراً، ولا مَشيئةَ ولا اختيارَ للإنسان حتى فى ما يأكُـــل أو يشرَب أو يلْبس.

وكان جهم بن صَفوان أول مَن قال بالجَبْرِ، وظَهَر فى « ترمذ » بمذهبه الجديد، وقُتِل هناك سنة ١٢٨هـ.، وكان من أشهر تلاميذه « **الجعد بن درهـــم** » الـــذى كـــان موْلى لِبَنِى الحَكَم، وقد تأثّر به شديداً، وهو أوّل مَن قـــالَ بخَلْـــقِ القُـــرآن مـــن أُمـــة المسلمين، لهذا
فقد أمَرَ الخليفةُ هشام بن عبد الملك بقتْلِه.

ولمّا ماتَ مُؤسّسوا هذا المذهب بقِى أتباعُهم فى " نهاوند " يــدعون إلـــى تــركِ العَملِ والرُكونِ إلى القَدرِ المحتومِ – وهو التواكُل الذى أضْعَفَ المُــسلمين – الأمــر الذى أدّى إلى نُهوض العُلماءِ لمقاومة هذا المذهب الجديد، ولا زالَت آثــارُه موجــودة أمامَ أعيُننا حتى الآن.

أمّا القَدَرِيّةُ: فهم أصحابُ مَذهب الاختيار، أىْ أنّ الإنسان ليسَ مجْبورًا علَى فِعــلٍ أتَاه، وإنّما بإرادتـــه المُستقلّة، وذلك اعتماداً علَى أنّ صـــريحَ بعــض الآيــاتِ فـــى القرآنِ الكريمِ يَنسب الفعل إلى الإنسان نفْسه، كقوله تعالى: ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَــالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾ [الزّلزلة: ٧، ٨]، وقولـــه تعـــالى: ﴿ **فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُر** ﴾ [الكهف: ٢٩]، وأصحابُ هذا المذهب قــد نَفُوا العلم والقَدَرَ عن الله سبحانَه وتَعَالَى، وأثبتُوهُ فى حَقِّ العبدِ. فجعلُــوا كــلَّ شـــيءٍ لإرادة الإنسان وقُدرته.

والجَدير بالذِّكر أنّ زعامةَ هذا المذهب ترّكزت فى رجُلين همـــا (غـــيلان بـــن مَروان الدمشقى، ومعبد بن خالد الجهنى) وهذا قُتِل فى المراحلِ المُبكِّـــرة لتأســـيسِ المذهب.

۞ المُرْجِئَةُ

وهُم من قالوا بإرجاءِ العَمَلِ وتقديمِ القولِ، ونُواتُهم أولئك النّفر من الصّحابة الذين رفَضوا الخوضَ فى الحرْب الأهليةِ التى دارَت بين المُسلمينَ بعد مقتــلِ عُثمـــان ﷺ ووقفُوا علَى الحِياد بين المُتنازِعين، وأرجأُوا الفصْلَ فى تعْيينِ المُصيب أو المُخطـــئ منهم إلى الله ربِّ العالمين.

وفى زمن العبّاسيين ظَهر علَى السّاحة مذهبُ الإرجـــاءِ، وأخـــذ أصـــحابُه فـــى الاشتغالِ بأُمورٍ دينية، وقالوا فى الحَلال والحرامِ، وفى تحديدِ المُـــؤمن مـــن الكـــافرِ، والإيمانِ والكُفر، وذلك بعد أن كانت جماعة سياسية خالصة.

ورأى أكثرُهم أنّ الإيمانَ هو المعرفة بالله وبرُسله، وقالوا بأنّ العملَ ليس رُكنـــا من أركان الإيمان ولا شرطاً لَه، ولا داخلاً فى مفهُومه، وأكّدوا علَى نظـــريتهم هـــذه بقولهم (لا يضرُّ مع الإيمانِ معصية كما لا ينْفَع مَع الكُفر طاعَة).

والإيمانُ عندهم لا يزيد ولا ينقُص، وإن كان بعضُهم قد خالفوهُم القولَ.

وجاءَ فى كلامهم أنّ المُؤمنَ مُرتكبُ الكبيرةِ لا يُخلّد فى النّار مُخالفين بذلك المُعتزلة.

وأجْمَعَ أهْلُ السِّيرة أنّ المُرجئة لم يجدُوا مُعاناةً من الأُمويين ولم يضطهدُوهم كما كانوا مع غيرهم من الطّوائف الأُخرى لأنّ بنى أُميّة فى رأيهم مُؤمنُون لا يجُوزُ الخُروج عليهم، وبذلك فقد التزمُوا الحياد ولم يقُومُوا بأفعالٍ ضد الدّولة.

✱ القَرَامطَةُ

حركةٌ باطنيةٌ هدّامة، اعتمدَت التّنظيم السِّرِّى والعسكرى، ظاهرُها التَّشيُّع لآل البيت، والانتساب إلى " مُحمّد بن إسماعيل بن جعفر الصادق "، وحقيقتُها الإلحادُ والشّيوعيةُ والإباحية، وهدْمِ الأخلاقِ، والقضاءِ علَى الدّولة الإسلامية.

سُمِّيت بهذا الاسم نسبة إلى « حمدان قرمط بن الأشْعث » الذى نشرَها فى سوادِ الكُوفة سنة ٢٧٨هـ.

ومن أفكارِ هذه الفرقة ومُعتقداتها ما يلى:

✱ قامت دولتُهُم الشيوعية التى أسّسوها علَى شُيوع الثَّروات، وعدمِ احترامِ الملكية الشّخصية.

✱ يجعلُون النّاسَ شُركاءَ فى النِّساء بحجّةِ استئْصال أسبابِ المُباغضة فلا يجُوز لأحدٍ أن يحجُب امرأتَه عن إخوانه.

✱ إلغاء أحكام الإسلامِ الأساسية كالصّوم والصلاةِ وسائرِ الفرائضِ الأُخرى.

✱ استخدامُ العُنفِ ذريعةٌ لتحقيقِ الأهدافِ المُعلَنَة أو غَيْر المُعلنة.

✱ يعتقدون بإبطالِ القولِ بالمعادِ والعقاب، وأنّ الجنّة هى النّعيم فى الدنيا، والعذَاب هو اشتغالُ أصحابُ الشرائع بالصّلاة والصِّيامِ والجهاد والحَج.

✱ يعتقدون بأنّ الأئمّةَ والأديانَ والأخلاقَ ليست إلاّ ضَلالاً.

✱ يدعُون إلى مذهبِهم اليهودَ والنّصارى والمَجُوسية والفلاسفة أصحاب المُجون والمَلاحدَةَ والدّهريِّين، ويَدْخلُون علَى كلِّ شخْصٍ من البابِ الذى يُناسبة(١).

---

(١) الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة

❁ الأشاعرةُ والماتريديّة

والأشاعرة: هُم أتباع أبوحَسن الأشعرى من نَسل الصّحابى الجليل أبـــى مُوســـى الأشعرى، وكان ظُهوره فى العِراق.

والماتريدية: هم أتباع أبو المنصور الماتُريدى الذى ظَهر فـــى بـــلادِ مـــا وراءَ النّهر.

ولمّا كان من الخَليفة المُتوكّل ما كان فى زَمنه، وانتهزَ أصحاب الأهواء الـــضالّة فرصةَ غضب النّاس، وتألُّبهم علَى المُعتزلة، فعملوا علَى تـــرويج أفكـــارهم الخبيثـــة الهدّامة التى سَنُوردِها فى الموضُوع التّالى مُباشرة.

فظَهَرت جماعة المُدافعين عن الإسلام بوقف تيّار هذه الشُبهات عن طريق إحكامِ العقْلِ والنّقل، والتوفيق بينهُما بطريقة متوسِّطة من غير تطرُّف أو غُلُّو.

فكان أبُو الحسَن الأشعرى الذى عَمـــلَ علَـــى أن يُـــصلح بـــينَ المُعتزلـــة والفُقهـــاء والمتحدِّثين، عن طريقِ التّوفيقِ بين أقوالهم التى اشتدّ فيها الخلافُ نَظَرَاً لتطرُّف كُـــل فريقٍ وتعصُّبه لرأيه. وتوسّطَ بينهُما، ومن أهم أقواله فى الرَدِّ علَى الجَبْريـــة « لـــيسَ للعبدِ قُدرة علَى الإحداث، وله القُدرة علَى الكَسب »، وعن طريقِ ذلـــك اســـتطاعَ أن يُوجِد نوْعاً من البحث، يُميِّزُه أسلوبُ الوسطية غالبَاً فلا يميلُ إلى التطرُّف.

وسُرعان ما ظَهَر أثرُ هذا التوجُّه واضِحًا فى التّفكير الإسلاميِّ، فقد خفَّت حـــدّة المُغالاة، وخفّ الهُجومُ علَى الصّحابة، وانتـــشرَت آراءُ الأشـــعريِّ فـــى الأمـــصارِ الإسلامية.

أمّا أبو منصور الماتريدى فقد تميّز منهجُه بكونه وسَطَاً بين الأشاعرة والمُعتزلة، وحقيقة الاختلاف بين الأشاعرة والماتريدى أنّه خلاف لَفْظى فى الأعَمِّ والأغْلب.

أمّا الحقيقةُ العلميّةُ والتاريخية التى لا يُمكن إنكارُها أن كُتبَ علـــم الكـــلامِ التـــى بأيدينا كُتبَ بعضُها علَى منهجِ الأشاعرة مثل (مَتْن المواقف وشرْحِه) وكُتبَ البعضُ الآخَر علَى منهجِ الماتريدى مثل كتاب (العقائد النّسفية).

❁ المُعتَزلَة

وقد توسّط موقفهُم بين اللِّين والشِّدّة، ومُرتكبُ الكبيرة عندهم ليس مُؤمنـــاً، وهُـــو ليس بكافرٍ، لـــكنّه إذا خَرَجَ من الدُّنيا وكان آخر عهده بها كبيرة ولم يُدرك توبةً فإنّه

فى النّار خالداً فيها، غير أنّ عذابَه فى رأيهم فى دَرَكةٍ فوْق دركَة الكُفّار.

وهؤلاء لهم مبادئ خاصّة أقامُوا عليها مذهَبهم هى (التوحيد الخالص، والعدْل الشّفاف، والوعْد والوعيدِ، والأمرِ بالمعروفِ والنّهى عنِ المُنكر) وهو ما يكُون بالقَلبِ، واللّسان أو اليدِ أحياناً، ويكُونُ بالسّيف لتقويمِ المعْوجّ إن لم تُفلح مَعَهُ الوسائلُ الأُخرى.

وفيهِ مُخالفة صريحة لحديث الرسول ﷺ، لكَون العمل به جاءَ من الدّنيِّ إلى الأعلَى ترتيباً ، فالثّابتُ عند أهلِ السُّنة والجماعَة، وفى صحيحِ الأحاديث أنّ تَغْيير المُنكرِ باليد ابتداءً، لأنّ الشِّدَّة تُلَيِّنُ العُصاة، فالحديدُ لا يُطرق بغَيْرِ الحديد، ثُمّ باللِّسان، وهذا أجدى مع المُؤمن العاقِل الذى وقَعَ فى كبيرةٍ ، وقد تنفَعَ معَه الذِّكرى ﴿ **سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى** ﴾ [الأعلى: ١٠] وهذا جيِّد، ثُم يكونُ بالقلْب، وذلك أضعفُ الإيمان لقوله ﷺ فى اعتزالِ النّاس عند اشتدادِ الفتنِ كما قال فى حديث حُذيفةَ **[فإن لم يكُن لهُم إمامٌ أو جماعةٌ فاعتزل تلك الفرق كلّها ولو أن تعُضّ بأصلِ « جِذع » شجرةٍ حتّى يُدركَكَ الموتُ وأنتَ علَى ذلك]** .

كما أنّهم قالوا باستخدامِ السَّيف لتقويمِ المعوجِّ، وهذا ما لا حقِيقةَ له ولا أثَر فى قُرآنٍ أوْ سُنَّة.

وقد قرّر المُعتزلةُ سُلطانَ العقلِ أمامَ مَن يقفون عند النُّصوص التوقيفية، وأكّدوا علَى حُرية الإنسانِ، وإطلاقِ مَلَكَاتِه، فهُم بذلك علَى الضِّد ممن قيّدوا حركَته وسلَبوا إرادَته وهم يُنكِرون سُلطانَ العقْل.

ولَو سادَت ثقافةُ المُعتزلة هذه بين الأُمّة لمَا أعْجَزَها التّسليمُ بالقضاءِ والقدَر، ولا شلَّ الجبرُ مَلَكَاتها، ولم يقعُد بها التواكُل عن التوكُّل والأخذ بالأسباب، ولَنَهضت الأمَّةُ نَهضة تجعلُ لهم فى التّاريخ مكانةً أقوى وسُلطاناً أعَزّ.

وقد تمكّن المُعتزلةُ من أن يقضُوا علَى شبُهات أعداءِ الإسلام من الدّهرية والروافضِ والحشويّة، وحقّقوا قدْراً كبيراً وقطَعُوا طوْراً عظيماً من النّجاحات، كما أنّهم يُعاد لَهم بالفضلِ فى تأسيسِ عُلوم البحْث والمناظرِ والبلاغَة، وقد سجّل التّاريخُ علَى صفَحاتِه ما قدّمُوه للإسلامِ مِن خِدماتٍ.

(١٦٣)

وأثَارُوا مُشكلَة:

وعلى ذات القدْر الذى ذكَرْنا فيه للمعتزلة آراءَهُم ومواقفَهم النّافعة خاصة فيما يتعلّق بالتّوحيد وهو الغاية فى السُّمو والرِّفعة، وعلى احترامهم للعقل، وقولهم بأنّه خُلق ليعْلَم، لأنّه فى مقدُوره أن يَعْلم. إلاّ أنّهم خَلقُوا مُشكلة، وأوقعُوا أنفُسَهم فى مُشاكَلة ما كان ينبغى الوُقوعُ فيها.

ففى أواخر العَصْر الأُمَويِّ، وعلَى يد " الجعد بن درهم " مُؤدِّب {مَروان بن محمد} آخر الخُلفاء الأُمويين ظهرَت مُشكلة القول بخلق القرآن الكريم، وقد قامَت هذه المَسألة علَى نفْى الصِّفات التى تُؤدى إلى تشبيه الله تعالى بمخلُوقاته، فالكُلام عندهم من صفات المخلُوق، وإذا كان القرآنُ هو كلامُ الله فلا بُد وأن يكُون للمتكلِّم آلَةٌ للكلام – أىْ – (لسان)، وهذا مُحالٌ علَى الله تَعالى.

ولمّا كان القرآنُ كلاماً، ومُضافاً إلى الله تَعالى فلا تكُون الإضافة إلاّ علَى مَعنى واحِد، وهو أنّه مخلُوق لله تَعَالَى وليْسَ صِفة لَه.

الأمرُ الذى ثار له الخليفةُ الأُموي هشام بن عبد الملك، فأمَر أميرَهُ عَلَى العراق بقتل زعيمَي هذا المَذهب (الجهم بن صفوان، والجعد بن درهم) فقُتلا، وسكَنَت هذه المسألة وآلت إلى الاستيدَاع حتى جاءَ زمَنُ الخليفة " المأمون " بعد سنة تسع وتسعين ومائة من الهجرة فى زَمَن العصْر العبّاسي الأوّل، وكان الخليفةُ يميلُ إلى الاعتزال، فخرجَت مُشكلةُ القول بخلق القُرآن فى أيامه من جديد، وقد حَمَلَ الناس علَى ذلك، حيثُ كان يمتحن العُلماءَ فى ذلك، كما أنّه لم يُولِّ أحداً وظيفةً مَا لمْ يكُن علَى مثل رأيه، وازدَادَت محنةُ القول بخَلق القرآن الكريم، ولمْ تَجد هذه الدّعوة مُعارَضة من غير الإمام أحمد بن حنبل الذى لَحقهُ أذىً من العَنَت والمتَاعب والمَشَقّة.

والتفّ حولَه أتباعُه من الحنابلة حتى جاء الخليفةُ المتوكِّل الذى كَتَبَ إلى أُمرائه فى الأمْصار سنة ٢٣٤هـ. بوقف الحديث فى هذا الموضوع، وعدَم امتحان الناس فيه، وانتهت بذلك المُشكلة التى سبّبت كثيراً من الشّقاء والمتاعب للعلماء والعامّة أيامَ وَلاية (المأمُون، المُعتصم، والواثق).

ولم يجْنِ المعتَزلَة من وراء مذهبهم هذا غيرَ نقْمة الناس عليهم. علَى الرّغم من وجُود بعض العُلماء الذين اتّفقُوا مع المُعتزلة فى رأيهم، وقالُوا بصحّته.

وخشيةَ إثارة العَوَام، وإيثاراً للسلامة انتَهُوا إلى التوقُّف عن إثارة هذا الموضُــوع فى عصرِ الخليفةِ المُتوكِّل الذى أمَر بذلك حتى لا تتأثَّر مكَانَــة القــرآن فــى نُفــوسِ النّاس.

۞ الظّاهريّة

هُم أولئك الذين أنكَروا القِياس بِنوعيهِ (الجَليّ، الخَفىّ)، وأبطلُــوا العَمَــلَ بــه، وذلك لأنّهم حصَروا الأدلّة الشرعية فى ظاهرِ النُّصوص من غيْر تأويلٍ.

وفى الاجماعِ ردُّوا القياسَ الجلىِّ، والعلّةَ المنصُوص عليهــا إلــى الــنّص، لأنّ النّصَّ علَى العلةِ نصٌّ علَى الحُكْمِ فى جَميعِ محالها.

وهؤلاءِ إمامُهم " أبو سليمان داوُود الظاهرى " (شافعى المَذهب) ثُم خرج علَى أصُول الشّافعية، وقد أعدّ جماعتَه بما جاهرَ بهِ من الآراءِ والإحداثات.

وقد أنكرَ الجمهورُ هذا المذْهب، وباتَ ولاَ بقاءَ له فى غيرِ بُطُون الكُتب.

ب – دوْلَة السّفَّاح:

ممّا سبق يُتَبَيّنُ أنّ الأمة الإسلامية مُنذ صدرِ تاريخها الأول، قد تعرّضت لكثيرٍ من الحُروب الأهلية الطّاحنة، والمُصادمات الدّامية المُؤلمة، وأهُينت كرامتها شرّ مَهانَة بيد أبنائها، واستَبَاح الكثيرُون دماءَها، واستحْيَوا نساءَها، واستحلُّوا حُرماتِها، ودنّسُوا مُقَدّساتِها، وسلَبوا أموالَها قسراً، وقتلُوا أولادَها قهراً.

وأصبحَ المُسلمون فى خطْبٍ فادحٍ، وبلاءٍ عظيمٍ بعد أن صــارتْ لهــم قبلَتــان وكَعْبَتانِ يحجُّون إليهما، وذلك بعد أن أقامَ بَنو أميّة قُبّة الصّخرة واتّخذوها كعبة علَــى نحو ما أوردْنا، ثُم ما كان من ضرب الكعبةِ بالمجانيق، وتصدُّعها وانهيارهــا نتيجــةَ قصفِها بمدافعِ الحجّاج بن يوسف الثقفى المدعُوم من قبل الحبشَة المسيحية، وكذلك ما كان من سفْكِ دماءِ المسلمين فى الشهرِ الحرامِ فى البلدِ الحرامِ فــى قلْــبِ بيــتِ اللهِ الحرامِ.

وقد انقسمَت الأُمة إلى فِرَق وطوائف، وتحلّلت بالضّرُورة هذه إلى فِرَقٍ وطوائَف أدنَى تعدُّدية وأكثر تحلُّليّة، وظهرَت فيها المذاهبُ والشّيعُ، ومن ثَمّ فقد تبدّدت طاقاتُها، وتحطّمت قُدراتُها، وتبخّرت أحلامُها ولكن إرادةَ الله قاهرة وغالبــة: « **وَاللّهُ غَالِــبٌ عَلَى أَمْرِهِ** ».

(١٦٥)

فالرسول ﷺ ماتَ، وتَرَكَ للأمّة ميراثاً عظيماً وخيْراً وفيراً ما إن تمسّكت بــه لا تضلُّ بَعْده أبداً (كتابُ الله تعالى، وسُنّة النّبيِّ ﷺ). وكــذلك كانــت إرادة الله علَــى مَشيئَته سُبحانَه وتعالى، فالنّبيُّ ﷺ قد دَفَنَ كُلَّ أولاده الذُّكور قَبل وفاته، ثُم هُوَ لم يُــولِّ علَى الأمّة وصيّةً منه صحابيّاً من صحابته، وكان نصيبُ بنى هاشم خاصّة بيت عبــد المطلب كبيراً فى أكبرِ مأساةٍ إنسانيةٍ عبْرَ التاريخ السياسيِّ أو الدينيِّ فــى العــصُور المُختلفة، فقد قُتل أقرب الأقرَبين لهُ ﷺ (عليٌّ وأولادُه، وأحفادُه، وأبناءُ إخوة عليٍّ من جَعفر ومن عَقيل) وهذه أفجَع كارثة فى التّاريخ الإسلاميِّ كلِّه تمّ تدوينها حتى الآن.

وأغلبُ الظّنِّ فى رأيي، واللهُ تعالى أعلى وأعلَمُ بمــراده ومَــشيئَته، أنّ الحكمــة الإلهيَةَ اقتضَت ذلك لأجلِ عدمِ إقرارِ مَبدأ تــوْريث النُّبوّة أو الخــلافة أو الإمــــارَة، كمّا أنّه من المحتمل أن يُبالغ بنُو البَشَر، وأن يُحْــدثُوا غلُــوّاً فــى تقــدير آل البيــت وتقديسهم وتعظيمهم، فيصنَعُوا لأجْل ذلك التّماثيلَ حُبّاً فيهم وتمجيداً لهم وتعظيماً فــى شأنهم، فيحدُث الانحراف و الانصرافُ إلى عبادة الأوثانِ من دون عبــادة الله ، كمــا كان من شأنِ بنى البشر فى { وُدّ ، وَسُوَاع ، وَيَغُوث ، ويعُوق ، ونَسْرًا }(١).

وقد افترَقت الأُمة كما قال ﷺ إلى العديد من الفرق الأضادية التى شابَهَت اليهــود والنّصارى فى كثيرٍ من أفعالهم وأقوالهم.

فهؤلاء هُم الأُمويون وقد قامَ ملكُهم ببناء " قُبّة الصّخرة " واتّخذوها قبلةً، وحَجُّوا إليها فى مَنأى عَن بيت الله الحرام، فأحرَموا وطــافُوا حولَهــا، ورجَمُــوا، وحلّقــوا، وذبَحوا الهَدْى، وتحلّلُوا.

والشِّيعةُ قد اختلَفوا علَى أنفُسهم، وعمّت بَلواهُم، وسادَت انقــساماتُهم، وتنوعّــت آراؤُهم، واختلَفت أهواؤُهم، وأباحُوا نساءَهم لأحبابهم، واستحلُّوا سفْكَ دماءَ مُخــالفيهم من المُسلمين، وقتلُوا أطفالَهم وأسْراهُم، وحُرِّقَت الجُثثُ والأجسادُ وفيها رَمَق الحيــاة، ولَنا فى مُحمد بن أبى بكر الصِّدّيق، ويوم صفِّين، وليلة الهرير ما لَنَــا مــن العظــة والعبْرة، ووقَعَ الهَرَاءُ، وكان الافْتراءُ، وقُلْ ما يُمكن أن يُقــال أو مَــا لا يُقــال عــن المآسى والألامِ علَــى مــا نــزَل بالأُمــة مــن انقــسامات وانهزامــات أدّت إلــى

(١) انظر كتابنا / صراع الحضارات وحوار الدبابات.

إدبارات وانتكاسات، ولنا جميعاً كلُّ الحقِّ فيما يُجاز من الآهات والأنّات، **وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.**

وما أظنُّ ذلك واقعاً إلاّ بَعد أن كان ما كان من أمير المـؤمنين « عُثمـان بـن عفّان » ﷺ ومُحاباته لبَنى أمية دون غيْرهم من العَرَب، وما تَبع ذلك مـن انـصراف الكثيرين من الصّحابة فى الأمْصار واختلافهم عليه بسبَب ما كان من انصياع عُثمـان – بحسب أقْوال عُلَماء السِّير – لما كان يُمْليه عليه عامِلُه علَى الشّام « مُعاوية ».

ولستُ بصدَد مُحاكمتِهِ ﷺ عنه أوتسْجيل رأْيٍ شخْصىٍّ لي فى إرادة الله القـاهرة لما دُونها، أمّا ما يُهوِّن علينا مرارَة الأحداث هو أنْ نُسلِّم بمُراد الله تَعـالى ومـشيئَته القاهِرة وهو الذى بيده ملكُوتُ كُلِّ شئٍ وهو يُجيرُ ولا يُجارُ عليه، ولَه الحُكـم وإليـه المَآب.

وكذلك ما كان من استفحال أمر ابن السّوداء وأتباعه حتـى بـدأت الفتْنـةُ فـى الاشتعال، زِد على ذلك ما أحـدثَه بنُـو أميّة فى شـكل الحـُكم وأسـلُوبه، حَيـث أصابتْهُ الصّيرُورة والتَّغُيُّر من حُكم إسلامى مَبنيّ علَى الشُّورى علّى نَحـو مـا بيّنـا إلىنظام المُلك القائم علَى التّوريث، مما أثارَ الشُّعورَ العام ضدّ بنـى أمَيّـة فـى كُـل الأمصار، حتّى انتهَيْنا إلى ما نَحن بصدده من التّسجيل والتّحْليل، والكلام والبيان.

واستمرّت الأزمةُ فى الاشتداد والفتن فى التفعيل حتى بُويـع "" لأبـى العبّـاس السّفاح "" بالخلافة فى ليلة الجُمُعة لثلاث عشرة ليلة خَلَت من ربيع الآخَر سنة ثَنَتَـيْن وثلاثين ومائة من الهجرة.

وكانت تلك نَواة انتقال الخلافة إلى بنى العبّاس، حيثُ قُتلَ آخرُ خُلفاء بنـى أُميّـة (مرْوان بن مُحمّد بن مروان) فى معْركةٍ فاصلة قادَها مروان بن محمد وأتباعُه فى نحو من مائة وخمسين ألفاً، وعلَى الجهة الأخرى أبو العبّاس (السّفاح) ومَعَهُ جـيشٌ كثيفٌ، وكانت مقتلَةٌ عظيمةٌ، انهزمَ فيها أهلُ الشّام، وهَرَبَ مَروان، فلمّـا رَأى أهـلُ حمص قلّة مَن معَه، اتّبَعُوهُ ليقتُلوُهُ، ونهَبُوا ما معَه، غيرَ أنّه تمكّن من الإفْلات مـنهم، وفَرّ لاجئاً إلى"" مصر "" ودخل منطقة الفيُّوم، وسألُوا عنه.. فاتّبعُوهُ، ووجدُوهُ مُحتَميـاً فى كَنيسة " أبُوصير " بالفيّوم ضمن أعمال مركز إطسا الآن، فَوَافُوه من آخر اللّيـل، فانهزَم مَن مَعَه من الجُند، وخَرج إليهم مَروان فى نفرٍ يَسيرٍ مَعَه ، فأحاطُوا به وقتلُوهُ

فى العشر الأخير من ذى الحجة من ذات السّنة – قَتلَهُ رجُل مـن أهـل البـصرة – فابتدَرَ إليه رجُلٌ من أهل الكُوفة فحزّ رأسَه، ثُم أرسلَ بها إلى السّفّاح.

وانقضَى زمنُ بنى أُمَيَّةَ، وبدأت دوْلَةُ العبّاس، ولكُلٍّ عصْرِ رجالٍ ودَوْلَة.

والسّفّاحُ هو: {{ عبد الله مُحمّد بن على السّجاد }} بن {{ عبد الله الحبر بن عباس بن عبد المطلب }}، الذى استقلّ بالخلافة، واستقرّت يدُه علَـى العـراق، وخراسـان، والحجاز، والشّام، والدّيار المصرية، خَلاَ الأندلُس فإنّه لم يحْكُمها، ولم يـصل إليهـا، لأنّ مَن دخَلَها من بَنِى أمية ملكَهَا واستحْوَذَ عليْها.

لم ينسَ زُعماءُ الدّولة الجديدة من بنى العبّاس عقب انتصاراتهم ضـحاياهُم مـن الهاشميِّينَ الذين اعْتَدَى عليهم الأمويُّون، وأزهقوا أرواحَهم، فعملُوا علَى الانتقام مـنهم بشَرِّ الأساليب، وكان انتقامُهم مُرّاً قاسياً يقصدُون به أن يثأرُوا لقَتْلاهم، وأن يـضْمَنُوا ألاّ تقوم لدوْلة الأُمويِّين قائمة، أو يُرفَع لها لواء، فمَارسوا ضدّهم ما لا يُمكن رصْـدُه، أوْ يتيسّر تسجيلُه، من ذلك ما ذكَروهُ أن ابنةَ مروان بن محمد تضرّعت إلى " صـالح بن علىٍّ " هاتفَةً: (نحنُ بَنَاتك وبنَات أخيك ياعَمّ، فليْسَعنا من عفوك ما وَسَـعَكُم مـن جُورنا) أجابَ: لا نستبقِى منكم أحَدَاً رجُلا ولا امرَأة، ألم يقتُل أبوك بالأمْس ابنَ أخى **إبراهيم بن مُحمد**؟ ألم يقتُل هشام بن عبد الملك " **زَيد بن علىٍّ بن الحُسين** " ، وقَتَـلَ **امرأةَ زَيْد بالحيرَة** بيد يُوسُف بن عمرو الثّقفى ؟ ألم يقتُل الوليدُ بن يزيد **يحيـى بـن يزيد**؟ ألم يقتُل عُبيد الله بن زياد **مُسلم بن عقيل** ؟ ألم يقتُل يزيدُ بن معاويـة **الحُـسين بن علىٍّ مَعَ مَن قُتل بَين يديه من أهل بيته** ؟ فمَا الذى استبقيْتُم منّا أهلَ البيت ؟(١).

وعقَدَ الأصفهانى(٢) فصْلاً خاصاً ذَكر فيه مَن قُتلَ فى عهد أبى العبّاس الـسّفاح من بنى أُمَيّة، كَمَا خصّصَ ابن الأثيرُ فصلاً مُماثلا لهذا الغرَض(٣).

وفى كتابنا المُتقدّم علَى الذى بأيدينا والمُعَنون (صـراع الحـضَارات وحـوارُ الدّبابات) أفردْنا صفحاتٍ كثيرة عرَضنا عليها موضُوعات عديدَة، وروايات طويلَـة،

---

(١) مروج الذهب – السعودى: ٢: ٢٠٧.

(٢) الأغانى – الأصفهانى ج: ٤: ٩: ٩٤.

(٣) الكامل فى التاريخ ك ٥: ١١١ وما بعدها.

ذكَرْنا فيها ما نَزَلَ بالدّولة العبّاسية من آلام، وما حلّ بها من أحْزانٍ، وما كــان مــن الأمْرِ المُهين والحَدَثِ المشين الذى يُدمَى له الجَبين وقد حلّ بالعرب والمُسلمين.

والواقع أنّ العباسيين ورثُوا مُلكاً مُتّسعاً عن الأمويين، وهؤُلاء من أهــل الــسُّنة والجَماعة علَى الرّغم ممّا كان بينَهم من حُروبٍ داميةٍ غير أنّ العبّاسيين استقرّت لهُم الأمورُ علَى سطْحِ الأحداث، وأمسكُوا بنواصى التّاريخ وتداخَلُوا فى الأمصار يألفُون، ويُؤلفُون ويتعلّمون ويُعلِّمُون، ويُرسلون البعثــات التّعليميــة يُترجمُــون ويبتكــرُون ويُضيفُون ويعملُون ويصنعُون، من غير كَلَلٍ أو مَلَلٍ حتى دانَــت الأرضُ لعلُــومهم، وأقرّ العالَم بفضلهم، وأشرقَت الأرضُ بضيائهم حتى جاءَت النّكبةُ الكُبــرى، ووقَعَــت البلْوى العُظْمَى على دُرّة الشّرْق عاصمة العباسيين الكُبرى (بغــداد) التــى كانــت مظْهرَ عزِّهم وفخرِهم، وحاضرَة حضارتهم، وقد انتقلَ إليها المنصُور من الكوفة فــى ١٤٩هـ – ٧٦٢.م – واكتملَ بناؤُها فى ١٥٠هـ – ٧٦٣ م.

وماتَ المنصــور فى السّادس من ذى الحجة سنة ١٥٨هـ. بــعد أن خَرَج إلــى مكّة للحجّ ومَرِضَ فى الطّريق، وما أن دخَل مَكّة حتى اشتدّ عليه المرَضُ، ولما ماتَ دُفن بثنيّة المعلاّة مكشُوف الرّأس كونه مُحْرِما، وقد حُفِر له مائــةُ قبْــرٍ ودُفِــن فــى غَيْرِها، ولهذا فقبرُه غير معروفٍ حتى الآن، وما كان ذلك إلاّ خَشيةَ أعدائه من بنــى أُمية حتى لا ينبشُوا عن جُثّته فيُخرجُونَها ثُمّ يُمثِّلُون بها.

ولم تلبث الدولةُ العباسية أن تعرّضت لعوامل تَمردُّ وضعْفٍ داخليةٍ مثــل تمــرُّد الفرق الإسلامية من العَلَويين والخوارج والمُعتَزِلَة، وعوامل أخرى خارجية مثل تمرُّد الفُرس، والأتراك، والصّقاريِّيّن، والسلاجقة، والبُويهيين، بالإضافة إلى تدخُّل العناصر الأجنبية، وما كان لها من آثارٍ خطيرة أثّرت على حياة الدّولة سياســيا، حتــى باتــت عاجزة عن التّصدِّى للهجْمة الشّرسة الزّاحفة من الشّرق التى قادهــا هُولاكــو، وقــد استطاعَ هذا أن يحشد جُيوشَة حول بغداد سنة ٦٥٦.هـ، وهى ما تُقدّر بحوالي مــائتي ألف، وبَغداد آنئذٍ تموجُ بسكانها.

وفى بداية الأمرِ رَأى الخليفةُ العباسى (المُستعصم) آخــر الخُلَفــاء العبّاســيين حتْميةَ الخُروج، فخرَج لِلقائهم بــجيشٍ قليلٍ مُدافعاً بما تَيَسّر، ولَحــقت به الهزيمةُ، ثُم

سلّم نفْسَه، ونساءَه، وأولادَه، وبلاطَهُ، وحاشيتَهُ إلى الغازي المغُولي، الذى أوْدَعَهم فى السِّجن، ثُمّ قتَلَهُم جميعا.

ودَخَلَ المغولُ المدينةَ يقتُلُون وينهبُون، حتى كاد يفْنى كُلّ سكّانها، وجرَت الـدِّماءُ فى الطُّرقات، واصطبَغَت بها مياهُ دجلةَ عدّة أميالٍ، وقـد اسـتمرّت هـذه الأعمـالُ الوحشية الهمَجيةُ حوالي أربعين عاما، اندلَعَت فيها ألسنةُ اللّهب فى كل جوانب المدينة حتى أكَلَت الأخضرَ واليابسَ والتهمَت كل ما فى طريقها من معالم الحضَارة المُتعدِّدَة، وقَضَت علَى التُّراث الإسلامي، وعُصارة الإنتاج الفكري فى مدَى (٥٠٠) خمسمائة عام فى أيّام معْدُودات، فكانت أفْظَعَ مأساةٍ فـى الأنْفُـسِ والأمْـوالِ، وكنُـوز العلـمِ والمَعْرِفة أُصيبَت بها الإنسانية(١) حتى جاءَ مارس ٢٠٠٣ م بعد حـوالى ٧٦٩ عـام مَضت علَى الفجيعَة الكُبرى حتى تكّررت المأساةُ بالمدينة المنكُوبة بعد أن حاصَـرتْها جيُوش الغُزاة " الأنـجلو أمريكية " وسقَطت بغدادُ فجْر التّاسعِ من إبريل مـن العـام ذاته من جديد تَحْتَ وطأة الاستعمار تترنّحُ، والواقعُ الآن من اعتـداءات جَـيش مَـن نصّبت نفْسَهَا زعيمةً للعالَم الحُرِّ وأُمّ الديموقراطيات فى العالم بقيادة (بوش الثـانى) ليُعدُّ نُموذَجَاً مُتطابقَاً ومُتشابهاً تماماً مع ما فَعَلَـهُ تَتَـارُ العُـصور الوُسـطى بقيـادة (هُولاكو)، وهكذا تجرّع العراقيون الكأسَ مُرّاً فى جُرعةٍ مُدتها مائة وخمْسين عامـاً أو تزيد، بواقعِ مرّة فى كُل سبعة قُرونٍ مُتتاليةٍ – ولنَا ولهُم الله.

وبعد قليلٍ من سُقوط بغداد انهارَ الأمويون فى الغرب، وضاعت منهم فِرْدَوْسَـهُم الزّاهر فى الغَرْبِ الأندلُس، وفردوسهم الأخضر فى الشّرق (الفلبِّين).

وعلَى هذه الأطلالِ قامت دُولٌ وممالك إسلامية تميّـزت بالجُزئيـة والقُطْريـة، وبدَت فى مجموعها تَنُمُّ عن نكْبة عُظمى من الشّرْذَمَة والتّحلُّلية.

من أبرزها:

ظُهور إمبراطورية (الكاتم) الإسلامية فى الشمال النيجيرى سـنة ٣٩٠هـ، ثُـمّ ظَهَرَت الدّولةُ الصليحية فى اليَمَن سنة ٤٣٧هـ. وكانت مُوالية للخلافَة الفاطمية فـى،

---

(١) نظرات حول العصر العباسى الأول ص ٢٠٦.

مصر، الغَزْنَوية وأسّسها التُّركى (ألب تكين) وعاصمتها غزنة بأفغانستان فى ٦٩٢: وظَهَرَت تباعاً كل من دولة الصِّنْهاجيين (بنى زيرى) فـــى تُـــونس ٩٧١: ١١٦٧م، ١١٨٧م، والبويهية الفارسية ٩٣٢: ١٠٥٥م، الحمدانية فى حَلَب والمُوصل من ٨٩٢: ٩٩١.م وهذه قضى عليها الفاطميون، والطُولونية فى مصر ٨٧٠ م بقيادة " أحمد بـــن طُولُون "، الأغالبة من ٨٠٠: ٩٠٩ وأسّسها " إبراهيم بن الأغْلَب " فى شمال إفريقيـــا وقَضَى عليها الفاطميُّون، والأدارسة فى المغْرب وأسّسها " إدريس بن عبـــد الله بـــن الحَسَن " ٧٨٩: ٩٨٥ م، والرُّسْتُميين وَشَمَلَت قِسْماً كبيراً من الجزائر ونصف تُـــونُس ومُعظم ليبيا عاصمتها { تاهرت } بالجزائر، وهى دولةٌ للخوارج الأباضية فى شـــمال إفريقيا ٧٦١: ٩٠٨ م، ودوْلة المَهْديين فى اليَمَن ١١٥٩: ١١٧٤ وقَضَى عليها تُورَان شاه بن أيُّوب أخو صلاح الدين، ودَولة بنى رسُول وأسّسها " عُمر بن عبد رســـول " فى تَعِز باليَمَن، واتّسَعَت فيمَا بعد لتشمل اليَمَن والحجاز، وهذه قَـــضَى عليهـــا بنـــو الطّاهر ١٢٢٩: ١٤٥٤م، وفى تُونس وشرق الجزائر وطرابلُس الغرب قامت دولـــة الحفصيِّين من ١٢٢٩: ١٥٧٤م. وهذه قضى عليها العُثمانيون، ودَولـــة بنـــى نَـــصر (بنى الأحمر) ١٢٣٢: ١٤٩٢ وهى آخر ممالك الأندلُس فى غرناطة أسّسها " مُحمّد بن يوسف بن نصر " وَسَقَطت فى أيدى الأسبان فى يناير ١٤٩٢، كما سَقَطَت قَبْلَهـــا كُلٌّ من دولة بنى عباد، ودوْلة بنى حمّاد ودولة المُوحِّدين فى المَغْرب التى قامَت علَى أنقاض دوْلة المُرابطين.

وهكَذا صارت الأمّة من أُمة واحدة تجْمتع تحْت لواءٍ واحدٍ حتّى مقْتل عُثمان ﷺ إلى دُولٍ تتنازَع علَى السِّيادة والإمَارَة مثل العبّاسية فى بغداد، والأمَويّة فى المغـــرب العربىِّ والأندلس، والفاطمية فى مصر واليَمن وبعض أجزاء الشّام، ثُمّ تحلّلـــت كُلُّهـــا فيما بعد علَى نحوِ ماذكرْنا ثُمّ أصابتها حُمّى التّفتيت إلى أشلاءِ دُولٍ تتَصَارَعُ من أجْلِ البقاء، أو إلى دُول تُقاتلُ من أجلِ بَسْط النُّفُوذ، حتى وقَعَـــت جميعُهـــا تحـــتَ مذلّـــة الاستعمار الخارجى الذى تقاسَم الأمّةَ بأنيابه ومخالبه، وناءَ عليها بكَلْكَله، ومزّقَهَا كـــل مُمَزّقٍ، وأصبحَ لكُلِّ طَرف مُستَعْمرٍ نُفوذه الجُغرافى والسياسى وباتت الأمّةُ مقهُـــورة مغلُوبة أسيرَةَ فى ديارها.   **ولا حَوْل ولاّ قُوّةَ إلاّ بالله.**

(١٧٢)

(١٧٣)

البَابُ

الـــــــــثّانِي

تَحتَ نِيرِ الإستِعمَار

(١٧٤)

الفصلُ الأوّل

المفاتيحُ فى التّصريح

أوّلاً: أوْلويّات المُقارَنة

أ - فصلٌ فى الاختلاف:

من الضروري بمقدارٍ أن نعرض لأهل السُّنة فى هذا المقام بعد أن أسْهَبْنا الحديثَ للضّرورة عن إخْوةِ الدّين والعَقيدةِ المُغايرين فى الاعتقاد بعد أن ذَهبَت بهم الفِتنُ والأحداثُ إلى حيثُ ذهبُوا، وحيث تفرّقوا أوْ افتَرقوا، وذلك لأنّ الأمة الإسلاميّة استقرّ أبناؤُها عند ثَقَافَتَيْن فى نهاية المَطاف، ولا يُعْلَم حتى الآن أىُّ الفريقين أكْثَر شيوعاً وأعظم صيتا وأشهر نَبَأً، وأفَرُ حظّاً فى كثْرةِ مُتّبعيه.

فأمّا الأُولى: فإنّها الشِّيعة.

وأمّا الثانية: فأهل السُّنّة.

أمّا الشيعة فقد عَرضنا لَهم ما تيّسر، وما أُتيح لنا قَدْرَ المُستطاع من دُون إيجاز أو إسْهاب، ومن دُون مُحاباة أو تحامُل، وأولئك هُم كثير ممّن قالوا بولاية عليٍّ بن أبى طالب، وكذلك من اندُّسوا مُدّعين التشيُّع من أتباع ابن السّوداء، ومَن تبعَهم من أتباعِ الدِّيانات القديمة، ومن خلفهم مَن دونَهم.

وقد انتشر هؤلاء فى العراق وفارس والهند والصِّين وبعض باكستان، وجنوب الحجاز، وشرقه، وفى الخليج العربى، كما يشكلون غالبيّة قبائل اليَمَن من أتباع الزيديّة، وكذلك فى بعض المناطِقِ بالمغرب العَرَبى، ومُعظم بلدان إفريقيا، وهُم يُدانون النِّصف من الأُمة تقْريبا.

أمّا الذين قالُوا بولاية عليٍّ بن أبى طالب، وهُم أصل المُتشيعين ونُواتهم الأُولى، فإنّهم أعلمُ الناس وأتقاهم وأخْشاهم لله، كونهم من صَدْر صحابةِ الرّسول ﷺ، وهُم أصحاب الدّعوة الأولى للخُروج من المدينة إلى الكُوفة .

وأمّا أهلُ السُّنة: فإنّهم مجموعُ الصّحابة الّذين نهلُوا من مَعين النُّبُوَّة الصّافي ما أضاءَ بَصَائرَهم، وحرّر أفكارَهم من الجُمود.

وقد تفوّق منهم فى القَضاء « **علىٌّ** » ﷺ، وقد تفوّق فى المواريث وكُل ما يحتاج إلى تقسيمٍ « **زيدُ بن ثابت** » ، وتفقّهَ فى العلم بالحلال والحَرَامِ « **مُعاذ بن جَبـــل** »، ونبغَ فى قِراءةِ القُرآن « أُبَىُّ بن كَعْب ».

وكانت عِناية المُسلمين أوّل الأمْر مقصُورة علَى تدْوينِ القُرآنِ الكريمِ، والحـــديثِ النّبويّ وروايته، واستنباط الأحكام الفقْهية، والفَتَاوى الشّرعية.

وأهلُ السُّنّة هُم رجالاتٌ عَرَفُوا طَريق اللهِ فاهْتَدَوا إليه وزادَهُم اللهُ هُدىً بتمسُّكهم بِصَرِيح القُرآن، وسُنّة النّبي العدنان، وهُم أتباع أبى مُوسى الأشْعرى، وأبى منـــصور الماتُريدى، وهذَانِ قد سارَا علَى طريق السّلف فى فهْم العقائد، ويُنتَسب كذلك إلى أهل السُّنة بنو الصّحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وبنو العبّاس، وبنو أمية، ومَن عـــاشَ من أحفاد أبى طالب ممّن بقى فى المدينة، ولم يميلُوا إلى أهل الكُوفة والبَصْرة، ولَـــم يُؤيدوا أهلَ دمشْق، وقد باعَدُوا أنفُسَهم عن الفتن والدّسائس، وهؤُلاء جميعاً هُم غالبيـــة أهل الحِجاز، والشّام، وبعضِ لُبنان، وغير قليلٍ من سُوريا، وهم كذلك مُعظــم أهــلِ الباكستان، ومصرَ، وأفغانستان، وبعضٌ فى الهند، والصِّين، وقَليلٌ فى اليَمَن، وعُمان، والخليجِ، وبلدان المَغْرب العربى، وهُم يُدانون النِّصف كذلك من مجموع الأُمة إذا مـــا أضَفنا إليهم أهلَ السُّنّة فى إفريقيا وخاصّة السُّودان.

ولَستُ بصدد الخوْضِ أو العَرْضِ لعلُوم أهل السُّنة، ومصادرِ التّشريعِ عندهُم، أو مُناقشة أحوالهم الاجتماعية أو الاقتصادية، أو مـــا يخُـــصُّ حيـــاتَهم فكريّـــا كـــان أو (مُعاملاتياً) أو إنجازاتِهم، وآثارهم، وأفضالِهم، وأَوْجُه نفْعهـــم، وإداراتِهـــم، ونُظُـــم الحُكم عندهم وقضائِهم، أو عُلومِهم من حيث النّشأة والتّدوين والتّطوُّر، أو عُلمـــائِهم، وكذلك أصَحّ كُتُبهم.

إنّما أشتغِل بما هو فى مضمُون العَمل الذى نَتناوَلُه، من دُون مَيْلٍ عَن قَصْدنا، أوْ حَيْد عن درْبِنا، حيثُ المُراد فى المَقام هو إبرَاز أهمِّ خصائص الفقْه الشِّيعى، ومُقارَنته بِفقْهِ أهل السُّنّة حتى نقف علَى حقيقة البَلاء، ونَغُوص فى الأغوارِ السّحيقة التى أقامَت عليها كلتا الطّائفتين أمورَ العقيدة والأحكامِ التشريعية، خاصةً إذا ما علِمنـــا بانقـــسامِ الشيعة إلى"خوارج & وشيعة"، ثُم ما كان فى شأنِ الخوارجِ من انقسامات، وما لحـــق بِطـــائفة الشيعة من تـــفتيات أفرزَت الفـــرقَ الأضّادية عند الشـــيعـــة أنفُسهِم حتى

صارَ بعضُهم لِبعضٍ عدُوٌّ، وكذلك فنحن نشتغِل بما للأرض التى نَشَأَت عليهــا تِلــك الفرقُ من الأمة، وهى أرضٌ مشاع لأتباعِ الدِّيانات المُختلفة من أصــحاب نظريــاتِ التّثليثِ كما قالت المانوية، وأصحابُ الشِّيوعيةِ الجِنْسِيةِ مــن المذدكيّــة والقرَامِطــة، والصّابِئة، واليَهُود، والنّصارى، والسّابئة، والخارجين علَى بنى أميــة وقــد ادّعــوا التّشيُّع، الأمر الذى بَدَت معَه الأمُورُ علَى حقيقتها، وظهَرَت به الشِّيعةُ وهم خليطٌ غير مُتجانس، ومُجتمَع غيرُ مُتوافقٍ يعُجُّ بالأفكار الأضــادية. وتلــك هــى مــا تُعــرف بالمُجتمَعَات الإثنية.

وقد أدّى ذلك بالضّرورة إلى وجُودِ خليطٍ عجيبٍ مــن الأهــواء، وألــوانٍ مــن الأمزجة، ومنهم مَن أنكرُوا القُرآنَ الكريم، وآمنُوا « بالجَفْرِ »، وتنكّــروا للنبــى ﷺ، ومنهم مَن قالَ بنُبُوّة علىٍّ ﷺ.

ومن هُنا فقد تعدّدت الأحكامُ وتلوّنت الإفتاءاتُ، وعمّت الافتــراءَاتُ عنــد هــذه المُجتمعات المُعتلّة التى لم يُقدّر لها الإلتفافُ تحتَ لواءٍ، ولَم تَشأ الاجتماعَ علَى كلمــةٍ سَواء.

ولمّا كان الفقْه هو معرفةُ أحكام الله تعالى فى أفعالِ المُكلّفين بالوُجوُب، وللنّــدب، والإباحَة، والكراهية، والحَظْر. معْرفةٌ مُستمدّةٌ من الكتاب والسُّنّة، وما نصَبَهُ الــشّارِعُ من الأدلّة لاستخراجِ الأحكام منها، لذلك صارَ الفقهُ هو القاعدة الأساسيةُ الصّلبةُ التــى تقومُ عليها أعمدةُ عقيدةٌ بعينها، لذالك فإنّه يتعيّنُ علينا مُلْجَئين الخوض لعقــد مُقارَنَــة لازمة للضّرورة المُلجئَة بقصْد التّعرُّف علَى مُجْمَلِ الأحكامِ العامّة التى تُنظِّم العادات التّحْتية، والسّلامة العقْلية، والنّفسية، والاجتماعية، والسُّلوكية عند أهل السُّنة والــشِّيعة عَلَى السّواء، باعتبارها ضرُورة للوقُوف علَى حقيقة الأشياء، وإظهــارِ المُعتقــدات، وكذلك بغَرَض التّفتيشِ عَن إجابة سُؤال تاريخىٍّ قديمٍ وهام.

وحتى يتسنّى لنا تَعيينَ الحقّ من الباطلِ لزم بالضّرُورة تكرار السُّؤالِ القديم:

مَن المخطئ ؟!!!!! ، ومن المصيب ؟ !!!!!!

وإذا كان أهلُ السُّنة والجماعة، وأتباع الفرق الأخرى قد اعتمدُوا فــى اســتنباط الأحكام الشّرعية والفقْهية علَى الكتاب والسُّنة، إلا أنّه وُجِد بين الفقْهين اختلالٌ واســعٌ **من أهمِّ مَا يُميِّزُه:**

١ – أنّ أُصُول وفُروع أهل السُّنة – ممّا تُخالف تعاليم الشّيعة رَفَضَهَا الشيعةُ علَى إطلاقها، وأَتَوْ بما يُلائم هواهُم بدَلاً عن تلك التّعاليم.

٢ – استمدّت الطائفة الشيعيةُ أحكامَها من القُرآن المُفَسّر تفْسيراً شيعيّاً ومن السُّنة المَرْويّة عَن الصّحابة المُتشيِّعين لعَليٍّ دُون غيرهم، ممّا حَصرَهُم فى دائرةٍ خاصةٍ مُنكمشةٍ فى مصادرِ تشريعها عمّا كان عليه أهلُ السُّنة من شُمول واتِّساع.

٣ – يعتمد أهلُ الشيعة علَى الكِتاب (الكافِى فى عُلوم الدِّين) لمُحمد بن يعقُوب الكلِّينى، وهو الكِتاب الجامع للأحاديث المرويّة عَن الشيعَة دُون غيرهم، وليس فى كتابهم هذا ما رُوى عن أبى بكر، وعُمر، وأبى هُريرَة، وعائشة، وغيرهم من المُتّهَمينَ لدَى الشيعة بعدم الوَلاء للأئمّة العَلويين.

٤ – أنكَرَ الشيعةُ الإجماعَ والقِياسَ كمصدرَيْن من مصادرِ التّشريع لأنّهُما يُؤدِّيان إلى الأخذ بأقوالِ غيْرهم، والدِّين لا يُؤخذ بالرّأى، وإنّما هو عندَهم مأخوذٌ من الله ورَسُوله، فالأئمّةُ مَعْصُومون فى رأيهم، وإنّهم يتعاملُون مع أقوالِ أئمتِّهم علَى أنّها نُصوصٌ من قبَلِ الشّارع لا مجالَ مَعَها لمُناقشة أو اجتهاد.

وكما حدَثَ اختلافٌ كبيرٌ فى الفِقه عند الطّائفتين، كان لا بُدّ أن ينشأ عن هذا الاختلاف سلوكٌ مُتباين فى الأخذ بالحلالِ والحرامِ، والمُباحِ والمكرُوه، وكان الاختلافُ فى أدَقِّ وأخْطَرِ الميُولِ والرّغباتِ والشّهوات واضحاً جليّاً خاصةً فيما يتعلّق بنكاح المُتعة(١).

ويسمُّونه النِّكاح المُنقطع، وهو ما يعنى أن يَتَعاقد الرَّجُلُ مع المرأة علَى الزّواج بأجرٍ مُعَيّن إلى أجلٍ مُعَيّنٍ، وهذا النِّكاح لا يُلزم حقُوقاً، ولا يُوجبُ تَوَارُثاً، أمّا المَولُود فحقُّه ثابت فى الميراث، ولا حاجَةَ فيه إلى شُهود، ولَيس فيه طلاقٌ، وينتهى عقدُ النِّكاحِ هذا بانتهاءِ الأجلِ المُحدّد فى عَقْده، وعدّة هذه حَيْضتَان لمَن تَحيضُ، أمّا الصّغيرة التى لا تحيض، ومَن بلَغْنَ اليأْسَ فعدَتُّهُنّ خمْسة وأربعون يوماً، ولا عدّة لهُنّ إذا ما تمّ تطليقُهنّ من النكاح الدائم، إذْ يُمكن لهُن أن يُزوِّجن أنفسهنّ أوْ أن يتمّ تزويجُهن من فَوْر وقوعِ الطّلاق أو التّطليق.

---

(١) تاريخ الفرق الإسلامية ص ٣٤.

ونكاح المُتعة هذا لا يعرف حُدوداً لعدَدِ المُتمتّع بِهن، فللرّجل حق التمتُّع بما شاءَ من النساءِ من غيرِ عَدَد، أمّا النِّكاحُ الدائم عندهم فليسَ له فيه أن يزيدَ علَى أربَع.

وكانَ هذا النوع من النكاح معروفاً أوّل الإسلامِ حتى نَزَلَ قولُ الله تعالَى: **﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾** [المُؤمنُون: ٥ ، ٦]، حَيْث قضَى بتحريمِ النِّكاحِ بَعْدَها إلاّ بعقدِ النِّكاح المَعلُوم بالضّرورةِ عند أهلِ السُّنة والجماعة، وهو ما يُعرَف بالزّواج الشّرعى الذى لا بُدّ مِن أن يَتَوافر لصحّته شُروطٌ أربَع { الإشهار، الإمهار، الولىّ، شاهدا عدل } وذلك باتّفَاقِ الجُمهور علَى ما ثَبُت مِن قولِ النّبى ﷺ فى الصّحيحَين ، وفى غيرِ روايةٍ ، أو بملك اليمين .

أمّا ما يُسمّى نِكاح المُتْعَه فليس بنكاحٍ لأنّه يرتفع بغَيْر طلاقٍ بمُجرّد حُلُول أجـل الاتّفاق علَى الاستمْتاع، وهو كذلك لا توارُث فيه بين الزّوْجين، وهذه المُتمتّع بهـا لا يُمكن قُبول نكاحها لانعدام ثُبوت ملك اليمَين.

وقد أخرجَ مُسلم وأحمد بسندهما إلى سبرة الجهنى، أنّه كان مع النبى ﷺ، وسمعَهُ يقولُ: (**يا أيُّها الناس إنّى كُنت آذنتُ لكُم فى الاستمْتَاع من النِّساء، وإنّ اللهَ قد حرّم ذلك إلى يومِ القيامة فمَن كانَ عندَه منهُن شئٌ فَلْيُخَـلِّ سَـبِيلَه، ولا تأخُـذوا ممّـا آتيتمُوهنّ شيئاً**)، ورَوَى أحمد وأبُو داود أنّ رسول الله ﷺ نهَى فى حجّة الوداع عن نكاح المُتعة ، وأكّد عُمر بن الخطاب ﷺ تحريمَ المُتعة أيامَ خلافته ، وممّا قـال فـى ذلك (**لاَ أُوتى بِرَجُلٍ نَكَحَ امْرَأَةً إِلَى أَجَلٍ إلاّ رجَمْتَه**) .

وبهذه الأدلةِ جَزَمَ أهلُ السُّنة بتحْرِيمِ المُتعة، وانعقدَ إجماعُ فُقهاءِ الأمصارِ علَـى ذلك.

أمّا الشيعة فقد أباحُوا المُتعةَ، واعتبرُوها قُرْبَةً يُتقرّبُ المُتمتِّعُ بها إلى ربِّه ورَوَوْا حَديثاً فى ذلك تبدُو آثارُ الوضْع واضحة فيه حيث قالُوا: أنّ رسولَ الله ﷺ لمّا أُسْـرِى به لَحَقَ بهِ جبريلُ، فقالَ يا مُحمّد. إنّ الله يقولُ إنّى قد غفَرتُ للمُتمتِّعين من أُمّتك، ومَا من رَجُلٍ تمتّع ثُمّ اغْتسلَ إلاّ خَلَقَ اللهُ من كُلِّ قطْرةٍ تقطرُ منه سبعين مَلَكاً يـستغفرون لهُ إلى يومِ القِيامة، ويلعنُون مُجتنبِيها.

وذكر مُحمد الكلِّينى صاحب كتابهم (الكافى فى علوم الدين) أنّ الإمــامَ البــاقِر سُئل عنها فقال (أحلّها الله فى كتابه وسُنّة نبيِّه، نزلَت فى القُرآن ﴿ **فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِــهِ فَآتُــوهُنَّ أُجُــورَهُــنَّ** ﴾ [النِّساء: ٢٤] فهى حلالٌ إلى يوم القيامــة(١)) ولا يــزال الشيعةُ يُباشِرُون المُتعةَ إلى اليومِ معَ ما تُؤدِّى إليه مِن فَسَادِ المــرْأة، وذيــوع الزِّنــا، وتَوْهين الرّوابط الأُسرية والاجتماعية.

وقد ضجّ عُقلاءُ العراق وفارس بالشّكوى من هذه المُمَارسَات.

أمّا أهلُ السُّنة فكان قَولُهم أنّ الآيةَ نَزَلَت فى النِّكاح الدّائم، والسِّياقُ يــدلُّ علَــى ذلك، والدّليلُ أنّ الله تعالى ذكَرَ مَن يُحرمُ الزَّواجُ بهنّ من النِّساء، ثُمّ أبــاحَ مــا وراءَ ذلك، فيحدُث بذلك أن يُصرَف قوْله تَعَالَى ﴿ **فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِه مِــنْهُنَّ** ﴾ [النِّــساء: ٢] إلى الاستمتاع بالنِّكاح المعرُوف، وقد سُمِّى المَهْرُ أجْراً فى كثيرٍ من الآيــات كقوْلــه تعالى ﴿ **فَانكحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ** ﴾ [النــساء: ٢٥] أىْ مُهُــورَهُنّ، والآية بهذا الدّليل لا تُنهِض للشيعة دَليلاً، ولا تُقيمُ لهُم حُجّة، مع أنّهــم قــد اعترَفُــوا بصِحّة ما رواهُ علىٌّ بن أبى طالب من أنّ النّبي ﷺ قد نَهَى عن المُتعه يومَ خيْبر، غير أنّهم قرّرُوا أنّ علياً قال ذلك علَى سبيل التّقيّة.

ومن مُخالفاتهم كذلك أنّ الفَرْضَ فى الغُسْلات مَرّة، وأنّ الثّانيــةَ سُــنّةٌ، والثالثَــةَ بِدْعة، كما أنّه يجُوزُ للمُصلِّى أن يُشمِّت العاطسَ، وصــلاةُ الجنــازة عنــدهُم خَمْــسَ تكْبيراتٍ، وليست الطّهارَةْ عندهُم شرْطاً فيها، والزّواج بالكتابة عندهم حَــرَامٌ، وهُــم يزيدون فى الآذانِ بعد حَىَّ عَلَى الصّلاة حَىَّ علَى خَيْر العَمَل، ويجتزئُون فى الوُضُوء بالمَسْحِ علَى الرِّجْلين من غيْر خُفٍّ عَن غَسلهما، ولهُم فى الإرث كلامٌ طويــلٌ، فهــم يُنكرون العَوْلَ، ويقدِّمُون ابنَ العمِّ الشّقيق علَى العمِّ. يهدُفون إلى تقــديم علــيٍّ علَــى العبّاس عمّه، وإذا مات أحدٌ من بنتٍ وابنُ ابنٍ "" حفيد "" جعلُوا المالَ كُلّه للبنت، وقــد خالفَ الشِّيعةُ أهلَ السُّنة فى كثيرٍ من المسائل(٢).

---

(١) تاريخ الفرق الإسلامية ص ٣٧ أحمد مجاهد مصباح.

(٢) المختصر النافع فى فقه الإمامية .

هذا غير تلك الطائفة من الشيعة الذين آمنُوا بمصحف فاطمة، وهو خــال تمامــاً من الحلال والحرام بحسب قولهم كما ذكرنا سَلَفاً، غير أنّــه يُقــرِّر لهُــم الــسياسية، والإدارةَ، ونُظُمَ الحُكم، أمّا الأحكامُ الشرعيّة علَى جُملَتهــا مــن الحــلال والحــرام، وصيام، وزكَاة فلا عَينَ لهَا ولا أثَرَ يدلُّ علَيْها، ومن هنا كانَ جوازُ لقاء الأخ بأُخْتــه، والرَّجُل بخالَتَه أو عمّته، أوْ أُمِّه، مُتأثِّرين تماماً بالعقيدة المذدكيّــة التــي يَعتقــد بهــا الكثيرون حتّى اليوم فى كلٍّ من العراق وإيرانَ علَى الرّغم مــن تــصريحهم بــأنّهم مُسلمون شيعة، وتلك دعْواهُم يُؤمن بها جُهلاؤهم حتى الآن، وهُــم علَــى عنــادهم، وغُلُّوهم، وغيِّهم، وضلالهم **﴿ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَــانِ ﴾** [آل عمــران: ١٦٧].

ب – *الوَكَالَةُ الإستعْماريّةُ*:

كُنّا قد عرَضْنا فى كتابنا السّابقُ المُعنون (صراع الحضارات وحوارُ الدّبّابات) للحركة الاستعمارية العامّة، وآثارها علَى الجَسَد الإسلامى كلِّه، وما كان منهــا مــن تقْطيع أواصر الأُمّة وتجْزئتها، وتحْويلها إلى أمَم وقوْميّات وجماعات مُتنــاحرَة فيمــا بينَهَا بسبب الدّين تارةً، أو اللّوْن، أو الجنس، أو المَذهبية أو العقائدية كالجــاري فــي لبنان حالياً، أوالنّزْعات الشخصية، والمصادمات القَبَليّة تارات أُخَــر كالحــادث فــي السودان شرقه وغربه وجنوبه وشماله، كما بيّنا فيــه كيْــفَ الــتهَم الاســتعمارُ دُوَلاً وممالك إسلامية بكاملها، وابتَلَعَهَا داخلَ أحشائه، فلم يعُد يُسْمَع بها بَعْد أن اختفَت مــن الخريطة العالَمية واندمَجت قهْراً فى دُوَلٍ ذات ثَقَافَات وعقائدَ أُخرى من أكَلَة الكــلاب والخنازير كمَا فى الفلبِّين، وعبَدَة النّار والصّليب كمَا فى رُوسيا الــشيوعية وأســبانيا الصليبية، وشرَحْنا فيه كيفَ أُجبرت أقطارٌ إسلامية كثيرة علَى التّنصير والــرِّدَّة كمــا هو الحال فى مملكة "" زنجبار الإسلامية ""ولمن لا يعرفها **{فإنها دولة البوســعيديين فى أفريقيــا}** وهذه قد تعرّض أهلُها لعمليّات إبادة جماعية، ولإجبارهم على التّنــصير والطّعن فى الإسلام إكراهاً كتلك التى كانت فى أسبانيا والفلبين، ومؤخرا فى الشيشان والبوسنة والهرسك وألبانيا، كما بيّنا كيف أُجبرت شعوبٌ أُخرى علَى التّهجير وتــرْك الغلْمان والأوْطان، تشْهدُ علَى ذلك عملياتُ التّرويس(١).

---

(١) صراعُ الحضَارات – للمؤلف.

كما أزحْنا فيه السّتارَ عن المجازرِ الوحْشيّةِ التى تعرّض لها المُسلمون، ثـم مـا كان فى شأن دفْنهم فى مقابر جماعيّة مَجهولة لم يتم الكشف عنهـا حتـى الآن وهُـم أحياءٌ، أو نصفُ أحياءٍ، وهى المجازر التى لم يُقدّر لها أن تنته بعدُ، وذكرنا كذلك مـا تيّسر ذكرُه ممّا كان من فضائحِ هؤلاء الكَفَرة الفَجَرة عند تعامُلِهم مع أكـوامِ الجُثـث والأشلاءِ، التى ألقوا بها فى البِحار والأنهارِ، يشهدُ على ذلك نهْرَا (درينة، ودجلـة) وخليجُ البنغالِ، والبُحيراتُ العُظمى، وخليج عدن مُـستخدمين فـى ذلـك الجرّافـات الميكانيكية واللّوادر.

وقد أناءَ الاستعمارُ على الأمّةِ بكَلْكَلِه، وكانت مُصيبتُنا عظيمةً، وخطبُنـا فـادحٌ، والسُّوء مهُولٌ حَظُّهُ حتى يومنا هذا، بل ويعدُوهُ إلى الغَدِ البَعيد.

ولكن كيفَ عاش أهلُ السُّنة والشِّيعةُ تحتَ نير الاستعمارِ، وما هى آثارُه ونتائجه على الطائفتين ؟.

لقد وقف الاستعمارُ الأوروبى من الإسلام مَوْقفا عدائيّاً حين التقَيَا فـى القـارّتين الإسلاميتَين(١)، وذلك لأنّه أدركَ أنّ القُوى الإسلامية أكبُر عقَبةٍ فى سبيلِ استقرارِه.

ومن هنا فإنّه أخذَ يتحدّث عمّا أسماهُ "" الخَطَرُ الإسلامي ""، ومن ثَمّ وقَـف فـى سبيلِ الإسلامِ وقفةً شديدةً، مُستخْدماً مُختلفَ الوسَائلَ ليحُولَ دُونَ انتشارِه، ويُمثِّل هـذا الأسلوبُ الدّعائيِّ الخَطّ السياسيِّ الثّابت للاستعمارِ تجاهَ الإسلامِ والمُسلمين.

وعلى الرغم من ذلك فإن الإسلام تمكّن من تحقيقِ كثيرٍ من الانتـصاراتِ إبـانَ العهدِ الاستعماريِّ بعد أن نجَحَ فى اجتيازِ العَرَاقيلِ التى وضَعَها المستعمرُون أمامَه.

ولمّا أحسّ المستعمرُ بالرّتابة والنِّظام فى القطاعَاتِ الإسـلامية، ووَجَـد علَـى النّقيضِ منها الفَوضى والهمجية عند الوَثَنيين وغيرهم، فغضّ الطّـرفَ عَـن رجـالِ الدّعوة الإسلامية ليضْمَنَ الهُدوءَ فى مُستعمراتِه، الأمرُ الذى أحسنَ المُسلمون استغلالَه حتى تمكّنوا من زلْزلَةِ أركانِ الاستعمارِ، وتقويضِ بُنيانه، حتـى اضـطُّرَّ للرّحيـل، وخلّف كثيراً من المُشكلات السياسية، والحُدودية، والفوضوية، والفَقر، وجنّد العُمـلاءَ والخَونَةَ المُوالينَ له للعملِ لِصالحِ تحقيقِ أطماعِه، ونيْلِ مآربِه بطريقِ الوَكالَة والإنابَة والجَاسُوسية.

---

(١) آسيا وأفريقيا.

إلاّ أنّ الاستعمارَ قبلَ رَحيلِه، وأثناءَ مُحاولاته تأكيد سيطرَته علَى المُستعمرات التى يحكُمها، لجَأ إلى أساليبَ حديثةٍ وفعّالة، استطاعَ عن طريقها الدُّخول إلى قلْب الأُمة ليُصيبهَا فى مَقْتلٍ إصاباتٍ بالغَةٍ ومُؤثِّرة حتى كانَ له ما أرادَ منها وما تمَنّاهُ لها.

ومَا كان الاستعمارُ ليصلَ إلى ما وَصلَ إليه إلاّ من خلال اختراق العُقول الفارغة، واحتواءِ الأهْواءِ الضّالةِ من أصحابِ القُلوبِ الغُلْف من العُملاء والخَونَة سواءٌ فى ذلك الحُكّام أوْ المَحْكُومين الطّامعين فى أُبّهَةِ المقاعد أوْ الرّانينَ إلى الثّراء السّريع، وهما يُمثّلان المُدْخَل إلى القُلوبِ الغُلف التى طُبِعَ عليها من إخوةِ ديننا، وبنِى أوطاننا، حتى ظهَرَت علَى السّطح فرَقٌ ونِحَل مُتفرّقاتٌ ومتضَارباتٌ، لا تقل بحال عمّا كان الأمرُ عليه عند السّلف من قضايا الشّيعة وفرَقِهم، وما كان من شأنهم علَى نحْو ما بيّنا.

وقد نتجَ عن هذه المُمارسات الاستعمارية الحديثة بالتّعاون مع الخائنين والخارجين والمارقين أنْ ظهرَت الفرقُ من جديدٍ، ولكنّها هذه المرّة أصابت أهلَ السُّنّة والجماعة، وعادت بذلك آفات الخلافات وشطط الخُزعْبلات، وعلَل الأمزجة والأهواءِ، وأصبحَ الكثيرون من شيعةٍ وسُنّةٍ لا يعيشُون فى قلْبِ الأزَمَاتِ فحَسْب بلْ باتُوا وهُم صانعوها، وكانت من أخطرِ هذه الفرَقِ:

١ - الصُّوفيّة:

حركَةٌ دينيّة انتشرَت فى العالم الإسلامي عقب اتّساع الفُتوحات، وازديادِ الرّخاء الاقتصادى كردّة فعل مُضادة للانغماس فى التّرف الحضاري، مَا حمل بعضهم علَى الزُّهد الذى تطّور بهم حتى صارَ لهُم طريقة مُميّزة عُرفت بهذا الاسم (الصُّوفية)، إذْ كانوا يتوخّون تربيةَ النّفس، والسُّموَّ بها بُغيةَ الوُصُول إلى معرفة الله بالكشف والمُشاهدَة، لا عن طريق التّقليد والاستدلال، لكنّهم جَنَحُوا فى المَسار بعد ذلك حتى تداخَلت طريقتُهم مع فلْسفاتٍ هندية، وفارسية، ويُونانية، وأُخرى مُختلفة العقائد الظنِّية.

وذهَب ابن الجُوزى البغدادى (٥٩٧)هـ. إلى أنّ الصوفية نسبة إلى رَجُل يُقال له (صُوفه) واسمه « الغوْث بن مُر »، ظهر فى العصر الجاهلى، وذهبَ غيرُه إلى أنّ الصُّوفية إنّما هى اشتقاقٌ من (سُوفيا) اليُونانية والتى تعنِى الحكمةَ، وقيل الصوفية

من الصُّوف لاشتهارهم بلبسه، وقيل من الصفّة – أىْ – صفةُ مسجد رسـول الله ﷺ، وقيل من الصّفا، وقيل من الصّف الأول، وأقوال أُخرى كثيرة.

وهكذا نجدُ المتكلّمين من بعض أتباع الصوفية أو غيرهم، قد فشلُوا جميعـاً فـى إقناعنا بالنّبت الأول لهذه الحركة، وعلَى أى أرضٍ نشأت، وإلى مَن تَنْسب، وهَل هـى عربية أم غير عربية.

لقد شابها الثُّبوت١، وعابَ شأنَها اللّبسُ، ومن ثَمَّ عجزْنا نحنُ عن بلوغ الثُّبت مـن نشأة هذه الحركة والتّثَبُّت من طَورها الأوّل.

ومن أشْهَر شخصياتهم المعرُوفة: أبُو مُغيث الحُسين بن مَنصور الحـلاّج، أبـو الفتوح شهاب الدّين السّهرُودى، أبو حامد الغزالى، محيى الدين بـن عربـى الملقّـب " بالشّيخ الأكبر " الذى يَعتبر نفسَه خاتَم الأولياء، وقد وُلد بالأنـدلس، ورحَـلَ إلـى مصر، وحجّ البيتَ الحرام، وزارَ بغْداد، واستقرّ فى دمشق حيث ماتَ ودُفن، وله فيها إلى الآن قبرٌ يُزار.

ومن أفكار ومُعتقدات هذه الفرقة ما يلى:

* يَعتقدون بأنّ الدينَ شريعةٌ وحقيقةٌ، والشريعةُ هى الظّاهر من الـدِّين، وأنّهـا البابُ الذى يدخُل منه الجميع، والحقيقةُ هى الباطنُ الذى لا يصلُ إليه إلاّ المُـصْطَفُونَ الأخيار.

* لا بُدّ من الذِّكر والتأمُّل الرُّوحى، وتركيز الذِّهن فى الملأ الأعْلى، وأعْلى الدّرجات لديهم هى درجة المَوْلى.

* لا بُد للمُتَصَوِّف من التأثير الرُّوحي الذى لا يأتى إلاّ بواسطة الشّيخ الذى أخَـذَ الطريقةَ عن شيْخه.

وللصُّوفية مدارسُ عدّةٌ تُعرَفُ بمدارس « **الزُّهـد، الكَـشْف، المَعْرفـة، وحْـدة الوُجود، والإتّحاد والحُلول** ».

هذا غير الطُرق التى ينتهجُها أهلُ الصوفية والتى من أهمِّها:

* **القادريـة:** تُنسب إلى "" عبد القادر الجيلانى "" المدفُون فى بغداد، حيث تَزُورُه كل عام جموعٌ كثيرة من أتباعه للتَّبرُّك به.

* الرِّفاعية: تُنسب إلى "" أحمد الرفاعى "" (٥٨٠هـ) من بنِى رفاعة (قبيلة مِـن العرَب) وجماعته يستخدمون السّيوف والحِرابَ فى إثباتِ الكرامات.

* الأحمدية: وتُنسب إلى "" أحمد البدَوى "" أكبر أولياء مصر (٥٩٦: ٦٣٤هـ)، وُلِدَ بفَاس، ورحَل إلى العِراق، واستقرّ فى طنْطا "" بمصْرَ "" حتى وفاته، ولــه فيهــا ضريحٌ مقصودٌ، امتاز بالفرُوسية، عكَف علَى العِبادة، وامتنعَ عن الــزَوَاج، وأتباعُــهُ مُنتشرون فى جميعِ أرجاء مِصر، وشارَتُهُم حَمراء.

* الدُّسُوقيّة: تُنسب إلى إبراهيم الدسوقِي (٦٣٣: ٦٧٦هـ)، وطريقتة تدعو إلــى الخروج عن النّفْسِ وحُظُوظِها، رأسُ مالهُم المحبّة لِجَمِيعِ الخَلْقِ، والتّسليمِ والــسُّكون تحت مُرادِ الشيخ وأمْرِه، وهى تدعو إلى العِلمِ والعَمَلِ به معَ عدمِ استِحبابِ الخلوة إلاّ إذا كانت بأَمْرٍ مِن الشيخ.

* الأكبرية: نِسبة إلى الشّيخِ الأكبر« مُحيى الدين بن عربى ».

* **الشاذُليّة**: نِسبة إلى "" أبى الحَسَن الــشّاذُليّ "" (٥٩٣: ٦٥٦)، وُلِــد بقريــةِ مرسيّة، وانتقل إلى تُونس، ودَخَلَ العِراق، وماتَ فى صحراء عيذاب فى طريق إلــى الحَجِّ.

* **البكداشية**: كان الأتأراكُ العثمانيــون ينتمُون إلى هذه الطــريقة، وهــى ما تزَالُ مُنتشِرة فى ألبانيا، كما أنّها أقربُ إلى التصوُّف الشِّيعى منها إلى التصوُّفِ السُّنِّى، وكان لها دورٌ بارزِ فى نشْرِ الإسلام بينِ الأتراكِ والمَغول {على طريقتهم الخاصة}.

● **المَوْلَويّة**: أنشأهَا الشاعِر الفارسي (جلال الدين الرُّومــى) ٦٧٢هـ والمــدفُون بقُونية، يتميّز المولوي بإدخال الرّقص والإيقاعاتِ فى حلقاتِ الذِّكر، وقد انتَشَرُوا فــى تُركيا وآسيا الغربيّة، ولهُم بقايا فى الأيام الحاضِرة فى حلَب وبعض أقطارِ الشّرق.

* **النّقْشَبَنْديّةُ**: تُنسَبُ إلى الشيخ (بهاء محمد بن محمد البخارى) المُلقّب (بِــشاه نقشبند) ٦١٨: ٧٩١هـ. وهى طريقة سهلة كالشّاذلية، وانتشرَت فى فــارِس، وبِــلاد الهِند، وآسيا الغربِية.

* **الملامتية:** مُؤسسُها "" أبو صالح حمدون بن أحمــد بــن عمــار "" المَعْــرُوف بالقصّار ٢٧١.هـ، أباحَ بعضُهم مُخالطةَ النّفس بُغية جِهادها ومُحاربَة نقائصها، وظَهَــرَ الغُلاةُ منهم فى تُركيا حديثا بمظهر الإباحية والاستهتار، وفعل كُل أمرٍ دُون مُراعــاة للأوامر والنّواهى الشّرعية (تَحت رعاية الصهيونية العالمية).

ولا شكّ أنّ ما يدعو إليه الصُّوفيون من الزُّهد والورَع، والعمل من أجلها يُمكــن قبوله أو استحسانه، لكنّهم انحدَروا إلى أمورٍ مُنكَرة، بَــل كُفــرٍ وزَنْدَقَــة، وبِــدْعاتٍ وخُزعبلاتٍ، وترانيمَ، وألوانٍ مَعيبةٍ، ورقْصٍ وغناءٍ، ونُورد تمثيلاً شيئاً ممّا يقُولون به ويعتقدُونه:

* سَلَكَ بعضُهم طريقَ الشّعوذة والدّجل، واهتمُّوا ببناء الأضرحة وقُبورِ الأولياء، وإنارَتها، وزيارَتها، والتّمسُّح بها، وكُلها من البدَعِ التى ما أنزلَ اللهُ بها من سُلطان.

* بعضُهم يقولُ: الأعمالُ بالجوارحِ لا وزْنَ لها.، وإنّما النَّظــرُ إلــى القُلــوب، وقلُوبُنَا والهةٌ بحبٍّ الله، وواجلة إلى معرفة الله، وإنّما نخُوض فى الدنيا بأيدينا، وقلُوبُنا عاكفةٌ فى الحضرَة الرَّبوية، فنحنُ مع الشّهوات بالظّواهرِ لا بالقُلوب.

* منهم مَن يُؤمن بوحْدَةِ الوُجُود، وأنّ كل موجُود هو اللهُ، وأنّ الأولياءَ يُــديرُون العالَم، ويتحكّمون فى الكَون.

كما يُنسب إلى التصوُّف ما يقومُ به القوم من نَحيبٍ، وأنينٍ، ورقْصٍ مُعيّن وتمايُل مقيت مصحوبٍ بذكْرِ الله، أو الإنشاد، أو ترديد اسمٍ من أسماء الله تعــالى، أو مَقطــع من الاسم فى إيقاعٍ جماعى، فينقلب الأمرُ أحياناً إلى الــضّد فيخــرُّ الــذاكرُ صــريعَ غيْبُوبَتَه يفنى فيه كالنّوم المغناطيسى، أو تنتابُه حالةٌ من الْوَجْد، فيصيحُ بــالمُنكَرِ مــن الأصوات والمَمْقُوت من الحركات فى سفافةٍ وابتذال.

وذكروا أنّ الصُّوفى فى أعَمِّ فرقِهم إذا تقدّم به السِّنُّ رُفعَت عنهُ التّكــاليفُ مــن جميعِ العبادات والفرائض.

الصُّوفية فى خدمَة الاستعمار

لمّا كانت الطرُق الصُّوفيةُ تزدهر، وتنمُوا معَهَا حلقــات الــذكر أو مــا يُــسمى (الحَضْرَة) فى البيئات البسيطة حيثُ الفراغ الرُّوحى والفكْــرى، وحيــث لا تبتَلــع الأعمالُ أوقاتَ الناسِ، فقد أدّى ذلك إلى شيوع المتصوِّفة، ووجُود الدّراويش، وهُم مَن

(١٨٦)

وَصَفهم الخوارزمى بقوله (**إنّ الواحد منهم خفيفُ الظّهْر من كُل حَقٍّ، مُنفَكُّ الرّقبة من كل رقٍّ، لا يَلزَمُه أداء الزّكاة، ولا تتوجّه إليه عوائلُ النّائبات، ولا يستبطئُه إخوانُه، ولا يطمعُ فيه جيرانُه، ولا تُنتظرُ منه فى العيد أُضحية، فهو كالمسجد يُحمَل إليه، ولا يحمل عليه، ويأخُذُ ولا يُؤخَذ من يديه، فهو إمّا غانمٌ وإما سالمٌ(١))**.

وقد كانت الصوفية واسعةَ الانتشار فى مصر، وفى سواها من البلاد الإسلامية حتى مَطلع القرن العشرين، وقد راجَت أفكارُها، وزاعَ صيتُها فى البيئات المذكُورة، ممّا شجّع النّاس على التجمُّع حولَ الشّيخ، وفى الانضمام لحلْقات الذِّكر، لإشباع ظمأهم، وسَدِّ حاجاتهِمُ النّاشئة عَن ضيْق العمَل واتّساع الوقْت، والتماس البركة، والدّعوات الصّالحات من الشّيخ الذى توهّموا أنّ له كرامات واسعة يلعَب الخيالُ فيها إلى حدِّ القول بفَكِّ العانس، وشفاء المريض، ولإزالة العُقم، وكان الأتباعُ والمُريدُون يتناقَلون هذه الخُرافات، ويُضيفُون إليها، فيتوافَدُ علَى المشايخ بذلك جُموعُ الرّاغبين فى الانتساب إلى الصُّوفية، أو إلى الدين الإسلامي علَى الطريقة الصُّوفية فى المناطق الوَثَنية خاصة فى إفريقيا عندما دخَلها الإسلامُ علَى أيدى مَن يُعتَقد أنّهم المُهاجرون العرب وهم (جماعةُ الشّهيد زَيد بن علىٍّ " زين العابدين " المعروف" علىّ الأصغر) ابن الشّهيد الحُسين بن علىٍّ بن طالب ﷺ جميعا. وقد هاجرت هذه الجماعةُ من اليمَن ثُمّ دخل أتباعُها إفريقيا فى مراحل تالية.

وقد عاشت هذه الجماعةُ فى مبدأ الأمْر فى خوف بين السُّكّان الأصْليين الوثَنيين، ولكنّها نجَحَت بالتّدرُّج فى نشر الإسلام، ثُمّ فى بسْط نفُوذها علَى طُول السّاحل، بَيْدَ أنّ جماعة أُخرى من العَرب أشدّ وأقوى، جاءَت من الإحساء علَى الخليج العربى فارّة من الصِّراع الذى كان يدُور هناك بين الخُلفاء والقرامطة، ونَزَلَت بالقُرب من المَكان الذى ينزل به الزّيدية سالفو الذِّكر، الأمرُ الذى اضطُرَّ معه الزّيديةُ إلى اللجُوء إلى الدّاخل الإفريقى باعتبارهم شيعة مُغايرين للقادمين الجُدُد وهُم من أهل السُّنّة.

وقد عَملَ هؤُلاء وهؤلاء علَى نشْر الإسلام هُناك كلٌّ حسبَ طريقَتة، وقد انتَشَرَ فى إفريقيا مَذهبُ **الإمامُ الشّافعى**، ومَذهب **الإمام مالك**، وعاش المذْهَبان جَنباً إلى

---

(١) رسائل الخوارزمى ص ٩٠.

جنب فى تعاوُن ظاهر(١)، وتتابعَت الهجْراتُ العرَبية بعد ذلك، ومن أهمِّها جماعـات من الأُمويين فى مُنتصف القرن الثامن عشر عقب سُقوط الدّولة الأُموية.

والجدير بالذِّكر أنّ الاستعمارَ الإنجليزىّ عندما كان جاسما علَى الهنـد، شـجّع نشاطَ المذاهب المُختلفة التى ينتمى المسلمُون إليها، كما عَملَ علَى دعْم الملَل المَحليـة من البُوذيِّين، والسِّيخ، والهندوس بقصد إشاعة التّفرقة بينَ المُسلمين، وإضعاف قُواهم، وشغلهم بحرُوب وقائية تُلهيهم عَن قتال المُستعمر بتحويل اهتمامـاتهم للـدّفاع عَـن أنفسهم ووجُودهم.

كما عمل الإنجليزُ علَى صُنع مذاهبَ عقائدية، قامت فى الأساس علَى الانحراف التى ذكرنا منها ما تيسّر لنا، ودافَعَ عنها بشدّة، وبدَورها قد دافَعَت عنه كذلك. الأمـرُ الذى أفضى فى النِّهاية إلى إطالة عُمْر المُستعمر فى البلاد التى حلّ بها.

لهذا أدخلَ المُستعمرُون الأوربيون وبخاصة البريطانيُّون منه إلى أفريقيا أفواجاً مـن المُهاجرين الذى يتبعون المذهب المختلفة التى رباها الاستعمار فى الهند.

وعلى هذا عجّت المُستعمراتُ الإنجليزية بجماعات من الاسماعيلية والأحمديّة، وغيرهما، وراحَ هؤلاء وهؤلاء يدعُون للإسلام كما يَرَوْنَهُ، فكانَ لهم نشاطٌ واسعٌ فى المُستعمرات الإنجليزية بإفريقيا الشّرقية والجَنوبية والوُسطى، كُلِّلَ بنجاح كَبير، ولكنّ النّتيجَةَ التى لم يتوقّعها الاستعمارُ كانت انتشار الإسلام فى هذه الرُّبوع.

وأصبح المسلمون فى أفريقيا تماماً علَى ما كان عليه الحالُ فى آسيا، حيث كانت السُّنّة والشِّيعة فى المُعترك المُتَناوَل.

وانتشرَ الإسلامُ هناك ممزُوجاً بالأفكار والسُّموم سالفَة الذِّكر، واللهَ أسألُ أنْ يُـتمَّ علينَا جميعاً انقشاع الانحرافات، وزوالَ الخُـزعبلات، وأن يُبَـصِّرَنَا خطايانـا، وأن يُلهمنا الرُّشد والصّواب، وأن يُعمِّق صلَتَنَا بصحيح دينه الذى رضى لنا.

ومن أخطر ما قالت به الصُّوفية وهى مُخُّ مُعتقداتهم ما جاءَ عنهُم (إذا سـلّط اللهُ علَى قوْمٍ ظالما فليس لأحدٍ أن يُقاوم إرادةَ الله أوْ أنْ يتأفّف منها) وذلك لأنّ المُستعمر هو الوَلِي الذي لا تَجُوز مُخالفته بأمرٍ من الله، كما أنّه إذا ما كـان ذلـك فـلا وجـهَ

---

(١) **معجم الأدباء ١: ٢٤٧ ياقوت الحموى.**

للاعتراض أو المُقاوَمَة، وطبْقاً لمُعتقداتهم فإنّه إذا أقدمَت أمريكا مثلاً علَى احتلال بلدٍ عربي أو إسلامي آخرَ بعد أفغانستانَ والعراق، فمرَدُّ ذلك إلى مشيئة الله الذى جاءَ بها إلى هذه الدولة أو تلك، لعلَّةٍ يدّخرُها الله فى علْمه، فليس للشعوب المعتدى عليهم الحقّ فى مُقاومة الغُزاة المُستعمرين، فإن كان ذلك منهم فإنّه يُمثّل اعتراضاً علَى قضاء الله وتمرُّداً علَى مَشيئَته، لأنّه سُبحانه وتعَالى إنّما جَاء بأمريكا – بحسب قولهم – إلاّ لخَيْرٍ أُريد بمن وقَعَ تحْت الاحتلال، فلا يصحُّ قتالُ الأمريكيين وجُوباً أو نَدْباً، أو القول برحيلهم سلْمَاً أو حَرْبَاً – ولْتكُن مَشيئة الربِّ غالبة – إن شاءَ أبقى المُستَعمرَ وهو الخيرٌ، وإن شاءَ أذهبَه وهو خَيْر **﴿ وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسدَ منَ الْمُصْلح ﴾** {البقرة:٢٢٠}، ناسخُون بهرائهم عَبَثَّا ما قال تعالَى **﴿ وَقَاتلُوا في سَبِيلِ اللَّه الَّذينَ يُقَاتلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إنَّ اللَّهَ لَا يُحبُّ الْمُعْتَدينَ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقفْتُمُوهُمْ وَأَخْرجُوهُمْ منْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾**، وقوله تعالى **﴿ وَقَاتلُوا الْمُشْرِكينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾**، وقوله تعالى: **﴿ قَاتلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بأَيْديكُمْ وَيُخْزِهمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْف صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمنينَ وَيُذْهبْ غَيْظَ قُلُوبهمْ ﴾**.

فلمّا عَرفَ المُستعمرون عن الصوفية هذا المُعتقد، إستغلُّوهم فى صالحهم، وطوّعوهم لرَغباتهم. فحينَمَا اقترَب الجُنود الفرنْسيون من مدينة (قَيروان) فى تُونس، واستعدّ أهلُها للدفاع عنها. جاءوا يسألُون إمامَ المَسْجد أن يستَشيرَ الضّريح الذى فى المسجد، فدخَلَ الإمامُ (سيد أحمد الهادى "الصُّوفى") الضّريحَ، ثُمّ خرجَ يقولُ (إنّ الشيخَ ينصَحكُم بالتّسليم لأنّ وقوعَ البلاء صارَ مُحتملاً) فاتّبع القومُ كلمتَه ودخَل الفرنسيون آمنين فى ٢٦/ ١٠/ ١٨٨١م.

كما أدّت الصوفية للاستعمار الفرنسى خدماتٍ جليلة، وكذلك للإنجليز ولنا مثال فى هزيمة عرابى فى التّل الكبير فى مصر ١٨٨٢م. فكما ذَكَر المُؤرِّخون أنّ السّبب الحقيقىّ فى الهزيمة، أنّ أهلَ الصُّوفية شَغَلُوا الجُنُودَ فى التَّلِّ الكبير فى أذكارهم المَعْطُوبة حتى نصف الّليل، ثُمّ نامَ الجنودُ فدخل الإنجليزُ فى الفجر(١).

---

(١) مجلة التوحيد المصرية سنة ٣٢ـ عدد ٢٣ فى ٣ ربيع أول ١٤١٥ ه، وفضائح الصوفية / عبد الرحيم عبد الخالق.

وحيث الأمر كذلك لا استغْراب فى دعم الاستعمار لمثل هذه الفرق، وتقريب مشايخها المحسُوبين علَى الإسلامِ، بل والدّفاع عنهم متى استوجَبَ الحالُ ذلك.

وطُرُق الصوفية المعرُوفة حتى الآن تبلُغ (٦٤ طريقة).

ولو كانوا جميعاً علَى هُدَىً وبَصيرة ! فلماذا إذاً لا يتّفقُون علَى طريقةٍ واحدةٍ مـــا دام كلُّهم يدعون إلى الإسلامِ كما يقُولُون ؟!!!!

والحاصل أنّهم لا يفعلُون ذلك، وسوف لا يفعلُونَهُ عاقباً لسببٍ منطقـــي وعقلـــي واحد، وهو أنّ لكُل مشْيَخةٍ من مشايخِ الطُّرُق هذه لها دُخُولُها، ويقاتِـــلُ عنهـــا بـــشدة المُنتفعون بها ومَن وراءَهُم، ولهم فيها مسائل أُخـــرى تتعلّـــق بالمـــال، والأعمـــال، وصناديقِ النُّذور، واسألُوا أصحابَ التّفجيرات الكُبرى والاغتيالاتِ الشّهيرة فى العـــالم الإسلامي.

وإذا كان الجِهادُ رُكناً أساسيّاً، وفِكْرَاً جوهَرِيّاً فى عقلِ وقلبِ الشريعةِ الإســـلاميّةِ ذاتِها فإنّ الصُّوفية تُباعد بين هذه العقيدة وأتباعها. لأنها مُنذ القِدم، وحتى اليـــوْم مـــن شأنِها إخراجُ الناسِ من عبادة الله تعَالى إلى عِبادة المشايخ، ومن التّوْحيدِ إلى الـــشِّرْكِ وعِبادَةِ القُبورِ، ومن السُّنّة إلى البِدَع والخُرافات، ممّن يدّعُون رُؤيـــة اللهِ والملائكـــةِ والرُّسل والجنّة.

٢ – الدُّروز:

فِرقَة باطنية أسّسها الخليفةُ الفاطمي المُلقّب " الحاكم بأمر الله "، عاش من ٣٧٥: ٤١١هـ، كان شاذّاً فى فكْرِه، وسُلُوكِه، وتصرُّفاتِه، شديدَ القسْوةِ والتناقُض، والحقد علَـــى الناس، أخذت تلك الطائفة جُلّ عقائدِها عن الإسماعيلية، وهى تنتَـــسبُ إلـــى نـــشتكين الدُّرزى، نشأت فى مصر، وهاجرت إلى الشّام، عقائدُها خليطٌ من عدة أديان وأفكـــار، كما أنّها تُؤمن بسريّة أفكارها، ولا تنشُرُها علَى الناس، ولا تُعلِّمُها حتى لأبنائها إلاّ إذا بلغُوا سنّ الأربعينَ، ومن أفكارهم ومُعتقداتهم ما يلِي:

* يعتقدون بأُلُوهية الحاكم بأمرِ الله، ولمّا ماتَ قالُوا بغَيْبَتِه وأنّه سيرجع.
* يُنكرون الأنبياءَ والرُّسل جميعاً، ويُلقِّبونَهم بالأبالسةِ.
* يعتقِدون بأنّ المسيحَ هو داعيتُهم حمْزة.

(١٩٠)

* يبغضُون جميعَ أهل الديانات الأُخرى والمسلمين منهم بخاصّــة، ويــستبيحُون دماءَهم وأمْوالَهم، وغشهم متى تمكّنوا من ذلك.

* يعتقدون بأنّ ديانتهم نسَخَت كُلَّ ما قبلها، ويُنكِرون جميــعَ أحكــامِ وعِبــاداتِ الإسلام، وأُصُولِها علَى الإطلاق.

* يقولون بتناسُخ الأرْواحِ، وأنّ الثوابَ والعِقاب يكونُ بانتِقَالِ الرُّوح مــن جَــسَدِ صاحبِها إلى جَسَدٍ أسْعَدَ أوْ أشْقَى.

* يُنكِرون الجنّة والنّار والثّوابَ والعقابِ الأخرويّين.

* يُنكرون القرآنَ الكريم، ويقولون إنّه مِن وضــع سُــليمان الفارِســي، ولهــم مُصحف خاصٌّ بهم يُسمّى (المُنفرد بذاته)(١).

وهؤلاء قد صدّروا إلى صفوة العالمِ العربــيِّ والإســلاميِّ وســائلَهم الفاســدَة، وأفكارَهم الشّاذّة مُغلّفة بغُلاف تألَفه نفوس المنحرفين وهُم كُثْرُ، سبيلُهم إلى ذلك الغناءُ والرّقصُ، ومِن أشهرِ سُفرائِهم المُغنِّى الشّهير [[فريد الأطرش & وشقيقته أسمهان]]، وغيرُهم ممّن يُقال عنهم نجومُ الغناء والطّرب، وما هُم في الحقيقةِ غير دُعاة للإباحية والفوْضَوية والــشُّذوذ، واســألُوا رُوّادَ الحَفَــلات الــصّيْفية، ومُــشاهدى الكلِيبَّــاتِ الحدِيثة.......   **ولا حَوْلَ ولا قُوّةَ إلاّ باللهِ العَليِّ العَظِيم**

---

(١) الموسوعة الميسّرة فى الأديان والمذاهِب المعاصرة. / الرياض.

ثَانياً: فِى أعْماقِ الدُخَانِ

أ – السِّيخيّة:

وهى مجموعةٌ دينيةٌ مِن اليُهود الهُنود، وقد اندمَجَ فيهم القــادمون مــعَ الغــزوِ الاستعماري، وقد صنَعَهم الاستعمارُ البريطاني علَى أعْيُنِه، وبدأُوا مِن وقْتِهم يــدعُون إلى دينٍ جديدٍ فيه شئ مِن الدِّيانَتَينِ، المحلية (الهِندُوسية) والعالميــة (الإســلام)، واتّخذوا لهُم شِعاراً جديداً يُعبِّر عن عقيدةٍ جديــدةٍ تحــت مُــسمّى (لا هِنــدوس ولا مُسلمون).

وقد ناصبُوا المُسلمينَ العَدَاءَ خلالَ تاريخِهم، وبِشكْلٍ عنيفٍ، كما عادُوا الهنــدوس أنفُسهم، متّخذين إثارة الفِتَنِ واختلاقِ الاضطراباتِ وإحداث القَلاقِلِ وســائلهم لِتفْتيــتِ القارّة الغنيّة، وذلك بقصد الحُصُولِ علَى وَطَنٍ خاص بهم ليعيشوا فــى مَنــأى عــن الثّقافات السّلفية، مع الاحتفاظ بالوَلاءِ الشديد للإنجليزِ خلال فَتْرة استعمارِ الهند.

تأسّست هذه الفرقة علَى يد (ناناك ٩)، ويُدعى غُورو – أىْ – (المُعَلِّم) ويُقال له (جُورو نانك)، وُلِد هذا فى ١٤٦٩م. فى بيئةٍ هندوسية تقليدية النّشأة، دَرَسَ فيهــا علومَ الدِّين، وتنقّل فى البلاد، وزار مكّة والمدينة، وأنحاء من العالَم. ادّعى أنّــه رَأَى الرّبَّ، حيثُ أمَرَه بدعوة البَشَر، ثمّ اختفى ثلاثة أيامٍ ظَهَرَ بعدَها مُعلِناً (لا هِندوس ولا مُسلمون). ومِن أهمِّ أفكارِ ومُعتقدات هذه الفِرقة:

* يدعُون إلى التّوحيد. ويُسايرون المُسلمين لِتحريم عِبادة الأصنام.
* إباحة الخُمور، وأكل لحْمِ الخنْزير، وتحْريم لحْمِ البَقَرِ مُجاراةً للهنادكَة.
* أصولُ الدِّين لديهم خَمس (بانج كهكها) أىْ الكافات الخَمس (١).

كيس: معناها جَمْع الشّعْرِ دُون قَصٍّ، ووضْعِه تحتَ عمامَةٍ.

كارا: إسورَة مِن الحديد.

كاخ: الخَنجر. & **كريبا:** لباس قَصير.

كانجاهو: المُشط لِتسريح الشّعر الذى لا يُقَصّ أبداً.

---

(١) ذلك بأنها تبدأ بحروف اللغة الكورمكية

ومن مُعتقداتهم:

* تركُ الشّعر مُرسلاً بدون قَصٍّ من المهد إلى اللّحد، وذلك لمنع دُخول الغُربــاء بينهم بقصد التّجسُّس، وهذه تُشابه إلى حدٍّ كبيرٍ بعضَ الطُّرُق الإسلامية علَى نَحْوِ مــا ذكَرنا، ومنه يتّضح مَدَى التأثُّر بالعقيدَة اليهودية، والتى أكَلَها وشربَها الشّبابُ المُــسلم منذ مايسبق أيامنا هذه تحتَ مُسمّى الهيبز والخنافس ومُسايرة المُوضة.

* أن يلبس الرَّجُل سوارا حديديّا فى معْصَمه بقصْد التّذلُّل والاقتداء بالدّراويش (فرقة ممّن يُحسبون علَى الإسلام).

* أن يلبس الرَّجلُ ثياباً (وهو أشبه بلباس السِّباحة) تحْتَ السراّويل رمْزاً للعفّة.

* أن يضعَ الرَّجلُ مُشْطَاً صغيراً فى شعرِ رأسه لتمشيط شعره، وترجيله وتهذيبه.

* أن يتمنطَق السِّيخي بحربَةٍ صغيرةٍ أو خنْجَرٍ علَى الدّوامِ، وذلك لإعطائه قُــوّةً، واعتداداً، ليُدافع عن نفْسه إذا لزَم الأمرُ.

* للمعلِّم (غُورو) درَجَة دينية تأتى بعدَ مرحلة الرّب، فهو الذى يدُلُّ فى نَظَرهم علَى الحقِّ والصِّدق، كما أنّهم يتعبّدونَ لله بالأناشيدِ الدِّينية التى نَظَمَهَا المُعلِّمون علَى طريقة المُتصوِّفة.

* يعتقدون بأنّ رُوح كُل واحدٍ من المُعَلِّمين تنتقِل منه إلى المُعلِّم التالى له كقــولِ الإثنى عشرية من الشِّيعة.

ويذكُرُ المؤرِّخُون أنّ السِّيخ قد تحوّلوا إلى أداةٍ فى أيدى الإنجليز يضطّهدونَ بهم حركَاتِ التّمرُّد المتعدِّدةِ ضد الاستعمارِ فى القارّة الهندية، وقد حصَلوا مِــن الإنجليــز علَى امتيازات كثيرةٍ.

ولا زالَت هذه الصّنيعة اليهودية الإنجليزية تُثير لَهيب نارٍ تأجّج، وتُسبِّب صراعاً مريراً بين الهندوس والمُسلمين، وحتى الآن فى شبه القارّةِ الهندية علَى الــرّغم مِــن تقسيمِ الهند إلى ***هندوسية، وباكستانية***.

ويمكنُ القولُ بأنّ السِّيخية تُعدُّ بحق هى السّهم الأوّل فى صُدور المُسلمين فى شبه القارةِ الهندية.

ب ـ *الهِندُوسيّة:*

ديانة وثنية يعتنُقها مُعظمُ أهْلِ الهِنْدِ، وقد تشكّلت عبر مسيرة طويلة مــن القَــرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى وقتنا الحاضر.

إنّها ديانةٌ محلية تضمُّ القِيم الرُّوحية والخُلُقية إلـــى جانـــب المبـــادئ القانونيّـــة، والتّنظيميةِ، مُتّخذة عدّة آلهة بحسب الأعمالِ المُتعلِّقة بها، فَلِكُلٍّ منطقة إله، ولكُلِّ عملٍ أو ظاهرةٍ إله، ولا يُوجد للدِّيانة الهندوسية مُؤسِّس مُعيّن، ولا يُعرف لمُعظــم كُتُبهـــا مُؤلِّفون مُعيّنون، غير أنّ بعضا من علماء، وأهلَ التاريخ قرّروا أنَ " الآرِيِّيْنَ " الغزاةُ المُسالمين القادمين من الخليجِ إلى الهِندِ فى القرن الخامس قبلَ الميلادِ هُم المُؤسِّـــسُونَ الأوائل للديانَة الهندوسية. ، **ومن معتقداتهم:**

* أنّ لهم عدداً هائلٌ من الكُتب عسيرة الفَهم، غريبة الُّلغة، وقـــد اجتهــدَ كُتّـــابٌ كثيرُون فى تأليف كُتب تتناولُ شرحَها واختصارَها، وقالوا عنها أنّها كتبٌ مُقدّسة، من أهمِّها (الويدا، الريج ويدا، بساجورويدا)، وهذه يتلُوها الرّهبان عند القَرابين، وكتاب (ساما ويدا) يُنشِدون أناشيدهُ أثناء إقامةِ الصّلوات(١) والأدعية (وآثار ويدا) وهـــو عبارة عن مقالاتٍ من الرُّقى والتمائم لِدفع السِّحرِ، والتوهُّم، والخُرافات، والأســـاطير، والشّياطين، وكُل واحدٍ من هذه الويدَات يشتملُ علَى أربعةِ أجـــزاء هـــى (ســـمهتها، البراهمن، أرانياك، وآبانيشادات)، وكلُّها خُرافات وخُزعبلات.

لا يعرفون التوحيد بالمعنى الدّقيق، لكنّهم إذا أقبلوا علَى إلهٍ من الآلهة الأُخـــرى يُخاطِبُونَهُ " بربِّ الأربابِ أو إلهِ الآلهة "، ويقُولون بأنّ لكُل طبيعةٍ نافعةٍ أو ضارّة إلَهاً يُعبَد، كالماءِ، والهواءِ، والأنهارِ، والجبال..، وهى آلهةٌ كثيرة يتقرّبون إليهـــا بالعبـــادة والقَرابين.

وقد تشكّلت هذه الجماعةُ من طبَقاتٍ ما تزالُ قائمةً إلى الآن وهـــى (البراهمـــة، الكاشتر، الويش، الشّودر) ويخضَعُ الجميعُ لهذا النِّظام الطّبَقِي بدافِعِ دينِـــي وعنـــدَهُم الكثيرُ من المُعتقداتِ الفاسدَةِ، والخُرافاتِ، والأباطيلِ، كحَرْقِ الأجْـــسادِ بَعْــدَ المـــوْتِ وغيرِها.

---

(١) صَلَوَاتٌ (ج) . مُفرَد صَلُوتٌ (طُقوسٌ دِينِيّة عند اليهُود والسِّيخ وغيرهم)

غير أنّ الاستعمارَ الأوروبِّى فى شبهِ القارّة الهنديّةِ لم يتمكّن من تحقيقِ الاستفادةِ المُمكنَةِ من هذه الجماعة ولم يفلَح فى توظيفها – ممّا اضطرّه إلى البحْثِ عن أُنـــاس يتعاونُون مَعَهُ، ويُخلصون لَه، ويشارِكُونه الضّغْنَ والحقد والطّعن علَـــى المُـــسلمين، فَوَجَدَ أمامَهُ أهْلَ الفتْنةِ والفَسادِ (اليهُود) فتعاونُوا مَعَه، وحَمَلُـــوا لـــواءَ ه، واعتَنَقُـــوا مبادئهَ، وروّجُوا لسُمومه، حتى ظهَرَت علَى المسرَحِ مع نهايةِ القرنِ الخامسِ عـــشر وبداية السّادس عشر الميلادى جماعةُ السِّيخ علَى نحْو ما ذكَرناه.

ج – البابيّة والبَهائية:

نشأت هذه الحركةُ سنة١٢٦٠.هـ. الموافق ١٨٣٩.م. تحـــت رعايـــة الاســـتعمار الرُّوسى، واليهودية العالَميّة، والاستعمار الإنجليزى، بهدفِ إفسادِ العقيدةِ الإســـلامية، وتفكيكِ وحدة المُسلمين، وصَرْفهم عن قضاياهُم الأساسية.

أَسّس هذه الحَرَكَة ""علِى محمد رضا الشيرازى، وحُسين علـــى المازنـــدرانى "" وأعلن الشيرازى أنّه البابُ، ولمّا هَلَكَ قامَ بالأمْرِ من بَعْده رفيقُهُ المـــرزا " حـــسين " الذى لقب نفْسَه " بهاء الله "، وقد سمّى حركَتَهُ بالبهائية، التى وَرَثَـــت البابيّـــةَ علَـــى اعتبارِ أنّها المرحلة الأولى التى تُمهد للبهائية.

وقد وُلد البهاءُ فى ١٢/ ١٨١٧/١١م. فى قرية { ندر } إحدى قُرى المازنـــدران فى إيران وهلَك فى [مايو١٨٩٢.م] بعكّا فى فلسطين عَن عمر يُناهز ٧٥ سنة، بَعـــد أن فقدَ الذّاكرة وأُصيب باختلالٍ فى عَقْله، وأصابته الحُمّى ليحلّ محله ابنُـــه{ عبّـــاس أفندى } المُلقّب بـــ { عبد البهاء }(١).

وكان بهاء الله فى البداية حريصاً ألاّ يُعرِّض نفسَه للخَطَرِ مـــن قِبـــل البـــابيِّين، واستطاع جذْبَهم إليه تدريجيّاً.

وقد بدأ بتقديم نَفْسه علَى أنّه ما هُو إلاّ مُبَشِّرٌ للنّاس بمجـــئ المَهْـــدى المُنتظَـــر " الشِّيرازى " كما كان يُوحَنّا المعمدان مُبشراً بالمسيح، ثُم انتَقَـــلَ بعـــــد ذلـــك إلـــى ادعَاءَاتٍ أنّه المَسيح وأنّه نَبىٌّ ينزلُ عليه الوَحْىُ، بَل إنّه هو الذى أَخْبَرَ بمجيئه جميـــعُ الأنبياءِ والرُّسل.

---

(١) الموسوعة المُيَسّرة .

وقال : وفى ليلةٍ من اللّيالى فى عالم الرُّؤيا ، سَمِعتُ هذه الكلمــات العُليــا مــن جَميعِ الجهات (إنّنا ننصرُك بك وبقَلَمك ، ولا تحزَن عمّا وردَ عليكَ ولا تخَــفْ إنّــك من الآمنين ، سوف يبعث الله كُنوزَ الأرض وهم رجالٌ ينصُرونَك بك ، وباسمك الذى به أحْيا الله أفْئدَةَ العارفين) (المازندراني : لوح العلم ص ٢٢٢) .

ومن أهم شخصيات الحركة (قُرَّةُ العَين) ، وهى امرأة سيِّئةُ الــسُّمعة مُنحرفــةُ السُّلوكِ ، وكانت لهذه واقعة أثناءَ مُؤتمرهم (بدشْت) علَى نهــر (شَــهرُود) فــى حُضور أكثرَ من ثمانين بابيّا ، والذى انعقدَ سنة ١٢٦٩هـ – ١٨٤٨ م ، حيث قامــت ***قُرّة العَيْن*** "" **شاعرة قزوين الجميلة** التى اشتهرت **بالفَصَاحة والأُنُوثــة الطّاغيــة** ""، وأعلنَت عن نسخ الشريعة الإسلامية فقالت : اعلَمُوا أنّ أحْكامَ الشريعة المُحمديّة قــد نُسخَت الآن بظُهور الباب ، وأنّ اشتغالَكُم الآن بأمُور الــصّلاة والزّكــاة والــصّوم، وسائر ما أُوتِى به مُحمد كلُّه عملٌ لَغْو ، وفعْلٌ باطل ، ولا يَعمل بها بعْدَ الآن إلاّ كُــلُّ غافل وجاهل ، وإنّا نحنُ الآن فى زَمَن الفترة ، فاخرُجوا من الوحْدَة إلــى الكَثْــرَة ، وفرِّقوا الحجابَ بينكُم وبين نسائكُم بأنْ تُشاركُوهن بالأعمال وتُقاســمُوهن بالأفعــال ، وأخرجُوهنّ من الخلْوَة إلى الجَلْوَة ، فَمَا هُنَّ إلاّ زهْرَة الحياة الدُّنيا، وأنّ الزّهرةَ لا بُــدّ من قطْفها وشمِّها لأنّها خُلقت للشّمِّ وللضّم بلا حُدود وبلا كَمٍّ ، ولا تحجُبُــوا حلائلَكُــم عن أحبابكم ، إذ لا رَدْعَ الآنَ ولا مَنْعَ ، ولا صَدَّ ولا حَدَّ ، فخُذوا حظّكُم مــن هــذه الحياة فلا شئَ بَعد المَمَات .

ولم تتوقّف عند هذا الحدِّ بل أفْتَت بأنّه يجوزُ للمرأة أن تتزوّج من تسع، وادّعــت أنّها مظهر « فاطمة » بنت النّبى زوْج عَلىٍّ رضى الله تعالى عنهما، وقالــت حُكــم عَينى حُكْمُ عينها ، وكُل شئ أُلقى عليه نَظْرَتى يَطْهَرُ ويصيرُ حَلالاً .

ولمّا بَلَغَ أسماعَ (الباب) فى سجنه ما تمّ فى مُؤتمر أتباعه ، المُنعقد فى "دشــت" ، وما قالته قُرّةُ العين أقرّها علَى كُلِّ ما قالَتْهُ .

وقُرة العين اسمُها " فاطمة " وكُنيتُها أُمُّ سلْمى سُمِّيت أيضاً (رزيــن تــاج) أىْ (التّاج الذّهبى) لأنّها كانت ذهــبية الشَّعر ، ولقد انبهرَت هذه المرأة بجَــمال المرزا على محمد المُلقّب بالباب ، ثُم بعد ذلك استولَت علَى عقــل مــرزا (حــسين علــى المازندرانى) وكانت هى أول مَن أَطلَق عليه هذا اللّقب (بهاء الله) الذى عُرِفَ به

(١٩٦)

بين أتباعه وسُمِّيت به جماعتُه فيما بعد.

أما هى فقد أعدَمَها الشّاهُ الإيرانى فى ذات عام انعقاد المُؤتَمَر .

وقد لاقت الحركةُ البابية ومن بعدها البهائية ترْحيبا كبيراً من الدّوائر اليهُودية العالَمية ، حتى أنّها أوعَزَت إلى يهُود إيران أنْ ينضمُّوا لهذه الحَرَكة بصُورة جمَاعية ، فدَخَل من طهران (١٥٠) يهودياً ، ومن هَمَذان (١٠٠) يهودى ، ومن كاشان (٥٠) يهوديا ، ومن كلباكان (٨٥) يهوديا ، بالإضافة إلى حَبْرَين اثنين(١) .

وسخّرت أجهزةُ الإعلام الصهيونية كلّ طاقاتها ، وجنّدت إمكاناتها للدّفاع عن هذه الحركة ، وذلك لأنّ بهاء الله قضَى حياتَه فى الدّعوة إلى التّجمُّع اليهودى علَى أرض فلسطين ، وبلغَ الأمرُ باليهود أنّهم فسّروا بعضَ نُبُوءات العهد القديم بما يخدُمُ البهاءَ علَى أنّها تُنبئُ بظهور بهاء الله وولده عبّاس افندى ، فكانت البهائية أحَدَ وُجُوه المُحاولَة الصهيونية للسّيطرة علَى فلسطين ، وكان البهاءُ يتحدّث ، ويُبارك اليومَ الذى تُنْصَبُ فيه راياتٌ صُهيونيةٌ فوْقَ أرض فلسطين ، فيفرَحُ المُخلصُون أتباعه ، وينُوحُ المُشركون قبائل الخلافة العُثمانية .

ومع قيام الحركة أخذ أصحابُها علَى عاتقهم إبطالَ فكْرَةَ الجهاد الإسلامية إلى جانب القول بنسخ الشريعة الإسلامية ، حيث قال بهاء الله (إيّاه) على الصفحة ٦٤ من كتاب مفاوضات البهاء (لم يبق لتلك الشريعة حُكْمٌ) ، فاستحقّ التّكريمَ عن جَدارَة ، فسارَعَ القائد الإنجليزى بمنْحه وساماً ، تعْبيراً عن شكر الإمبراطورية البريطانية حينما قابَلَه فى حيفا سنة ١٩١٧ م (٢) .

كما نُسب إلى عبدالبهاء قولُه (إنّ أكثرَ فلاسفة اليُونان تعلّموا الحكمة من بنى إسرئيل وأنّ رسالة البهائية هى توحيد المُسلمين والنّصارى واليهُود علَى أصل نواميس مُوسى) .

وأضاف عبدالبهاء أنّ عملَ مُوسى لا يساريه عملٌ فى التّاريخ وسوف يأتى اليومُ الذى لا يجدُ النّاسُ كتاباً يُنقذهم إلا نواميس موسى .

---

(١) روز اليوسف ع – ٣٧٩٠ – ٢٧ / ١ / ٢٠٠١ .

(٢) الطريق إلى جهنم / ص : ١٤٦ .

وقد أطْلَقَ الرّجُلُ علَى نَفْسه لَقَبَ (غُصن) مُشيرا بقوله هذا إلى ما جــاء فــى التّوراة (ويخرُج غُصنٌ من جذع يسّى . أىْ . ذُرِّية داوُد . يرفَع العَلَمَ الإلهــى علَــى جميعِ الأُمُم)، وتتضِّح توجُّهات اليهودية بالتعمــُّق فى تعاليمِ البــهائية، وهى ظــاهرة بوضُوحٍ عند جماعاتِ (المُورمُون ، وقدّيسى الأيامِ الأخيرة ، وجماعات شُهود يَهُوه).

وشُهود يهُوه هذه كان أول ظهورٍ لها فى أمريكا باسم جمْعية (جلْعَاد) ثم تبــدّل إلى (تلاميذ التّوراة) ومن هُناك انتشرَت فى الوطنِ العربى باسم شُهود يهُوه.

أمّا مُؤسِّس الحركةِ الصُّهيونيه " تيودور هيرتــزل " فإنّــه مــن أشــهرِ وأبــرزِ الأعضاء المؤسِّسين لهذه الجمعية التى لا يُؤمنُ أتباعُها بقيامِ الإنسان بعد موْته ، فــلا قيامَ إلاّ قيامَ مَمْلكة إسرائيل، ولا بَعْثَ إلاّ بَعْثُها أمّا ما يُقال عن خُلود الــرُّوح وبقائهــا بَعْدَ الموْتِ فإنّها خُرافة رَوّجَتها بابل الفاجرة الزّانية(١) ومن أفكارِ ومُعتقــداتِ هــذه الفرقة ما يلى:

* يعتقد البهائيون أنّ البابَ مُحمد على رضا الشيرازى هو الذى خلَق كُــلَّ شــئٍ بكلمَته وهُو المبدأُ الذى ظهرَت عنهُ جميعُ الأشياء .

* يقولون بالحُلول والاتِّحاد كغيرهم من الشيعة والنّصارى واليهُودية .

* يقولُون بالتّناسُخ وخُلُودِ الكائنات ، وأنّ الثوابَ والعقابَ إنّما يكونُ للأرْوَاحِ فَقَط علَى وجهٍ يُشبه الخَيال .

* يُوافقون اليهودَ والنّصارى فى القوْل بصلْب المَسيحِ .

* يُؤوِّلُون القرآن تأويلات باطنيةٍ ليتوافق مع مَذهبهم .

* يُنكرون مُعجزاتِ الأنبياءِ وحقيقةَ الملائكة والجنِّ ، كما يُنكرون الجنّةَ والنّارَ.

* يقُولون بأنّ الباب (المرزا) ناسخ لشريعة مُحمد {{ ﷺ }}

* يُنكرون أنّ يكون مُحمد {{ ﷺ }} خاتَمَ الأنبياءِ والمُرسَلين، وقد وضَــعُوا كُتُبَــاً مُعارِضَةً للقرآن كتلك التى فى يدِ الشِّيعة (مُصحَف الجَفر).

---

(١) أنظر المؤامرة الكبرى ــ للمؤلف

ومَعَ قيامِ إسرائيلَ، تمّ الاعترافُ هُناك بالبهائية كجمْعيةٍ أهلية وتمّ إعفاء أوقافهـا من الضّرائب، وقد وفّرت إسرائيلُ كُلَّ أشكال الحماية للجمعيّة وأتباعها وقـد تحـوّل البهائيُّون بقبلتهم في الصّلاة والحجِّ إلى (عكّا) المركز الرّئيسي العـالمي للبَهائيـة، بَدَلاً من أوّل بيتٍ وُضع للناس وهُو الّذى فى مكّة مُباركا.

والعَجيبُ أنّ البهائيين لم يعُودوا مُجرّد مجمُوعاتٍ تعيشُ فـي الظّـلام، أو تَحْـت الأرضِ أو بينَ الجُحُورِ بعدَ أن أصبحُوا رافضين لنَمَطِ حياتهم بعد أن امتلكُوا الجُرأةَ، فانطلقُوا مِن إسرائيل إلى العَديدِ من دُول القارّتين الإسلاميّتين (أسْـيا ، أفريقيـا)، والأشدُّ عجباً هو ما كان من ظُهـورهم العلَنـي فـي كُبريـات العواصـم العربيـة والإسلامية، ففي مصر (أرض الأزهر) ظَهَرَ أحدثُ نبتٍ لهذه البُذور الشّطيانية.

إذْ قصدَ مجموعةٌ من هؤلاء المُعتنقين للبهائية مجلّة (روز اليوسف) في ينـاير ٢٠٠١ في مُحاولة منهم للإعلان عَن انتمائهم إلى هذا الدِّين الجَديد المزْعُـوم، وهُـم يحملون معهُم قائمةً طويلةً بطَلَباتٍ خاصّة بهم، وهو ما يُثير شُكوكاً قويّة، وإرهاصَاتٍ شديدةٍ عَن إحتماليّة أن تكون هذه الفرقَعَة الإعلامية تبدُو مرسُومةٌ في تخْطيطٍ مُـسبَق، وذلك بغرَض فرضِ وُجودهم بشكل قويٍّ، والاعلانِ عن أنفسهم، وإن كان بطُرُقٍ غير مُباشرة.

وهذه المجموعة ثَبُتَ بَعْدَ التحقُّقِ من شخْصياتهم أنّهم خليطٌ من مُختلفِ الـدِّياناتِ بقصدِ إفسادِ المُجتمعِ والدِّين.

أمّا أحدُهم فترجع جُذوره إلى أُسرة مُسلمةٍ، وتبيّن أنّ إعتناقَه للبهائيةِ ترجع إلـى الجدِّ الثّالث، وبينهُم شخصٌ آخَرَ تعُودُ جذُورُه إلى المسيحيّة، والآخر من جُذورٍ مُختلفة (الأبُ بهائي من جّذُورٍ مسيحية، والأُم بهائية تَعُودُ لأصلٍ مُسلمٍ)، وأفكارهم (مثلهم) خليطٌ من اليهودية والمسيحية والإسلام والبُوذية، والكُنفُشْيُوسيّة، وغيرهم .

ومن المُثيرِ للدّهشة أنّ مَن بينهِم مَن يحملُ فـي خانـةِ الدِّيانـةِ ببطاقـةِ إثبـاتِ الشّخصية (بهائي) .

والأشدُّ إثارة أنّ الزواج داخلَ الأسرةِ البهائية قد تمّ طبقاً للـشريعة الإسـلامية، وطبقاً لما تعارفَ عليه المُجتمعُ من توثيقٍ لوثيقة الزّواج. بينما يحملُ أحدُ الأبناء طبقَاً للأوراقِ الرّسـمية صفة " مسيحي " في خانة الديانة، وإبنٌ آخر صفة " مسلم " ، وقد يحملُ الثّالث صفةً أُخْرى علَى الرّغم من انتمائهم جميعاً إلى الأُسرةِ البهائيةِ .

وقد وَقَعَ هؤلاءِ في قبْضَةِ رجالِ الشُّرطة الّذين بدَوْرهم دفَعُوا بهم إلـى النِّيابـة العامّة لمباشرة التّحقيقات معَ أصحاب هذهِ الحَرَكةِ فيما هو منسوبٌ إليهم من اتهامـات قامَت علَى ما استقرّت عليه وانتهت إليهِ التحرِّيات الجادّة، وما جَمَعَهُ رجالُ الأمْن من معلُومات توافرَت لَهم ، وتثبّتُوا منها، والتي كان من بينها تأليبُ طبقةٍ علَـى طَبَقَـة، وضبطِ كُتبٍ ومنشُورات عَن البهائية، غيرُ مُصرّح بتداوُلها.

وعلَى الرّغم من اعترافِ إحدى السيدات التي تمّ إلقاءُ القبْضِ عليهنّ ضمن هـذه القَضية وهُنّ المـُعتنقاتُ لما يسمونه بالدِّين الجديد، بوجُود علاقات جـنـسية غيـر مشروعةٍ بين رجالِ ونساء هذه المجموعـةِ ، إلاّ أنهـم أصـرُّوا علَـى نفْـي هـذه الادعاءات، وأكّدوا علَى أنّ هذه السِّيدة أُوحِي إليها بأن تَقُول هذا الكلام وأنّ ما يُقـال عَن هذه العلاقات الجنْسيةِ غير صحيحٍ .

وحاولُوا التأكيد علَى هذا بقولهم أنّه جاءَ في ألْواحِ .. بهـاء الله .. أحـدُ الكُتـب المُقدّسة لَدَى البهائيين والذي يُسمونَه الكتاب الأقْدَس: (**فضْلُ الإنـسانِ فـي الخدمـة والكمالِ لا في الزِّينة والثّروة والمالِ ... أنتم أغصانُ شجرةٍ واحدة وأوراقُ غُـصنٍ واحد ليس الفضلُ في حُبّكم أنفُسكم بل لحبِّ أبناء جِنسكُم ، وليسَ الفخرُ لمن يُحـبُّ الوَطَنَ بل لمَن يُحبُّ العالَم**).

وفيه أيضاً: (**يا ملأَ الأرضِ تالله ما جئنا إلاّ لتَطْهير نُفُوسـكُم مـن الـضّغينَةِ والبَغضاء، سيشهدُ بذلك مَن عنده أُمُّ الكتاب، كذلك زيّنا كتابَ الظُّهورِ بـذكْرِ مُكلِّـم الطُّور. طُوبَى لمن أقْبَلَ، وويلٌ لكُل جاهلٍ مُرتَد. يا عبادَ الرّحمن إذا جـاءَكم نـاعِق. ذَرُوهُ بخوفه .مُتشبّثِينَ بذَيْلِ غايةِ ربِّكُم فالقُ الإصْبَاح، شأنُ الإنسانِ هـو الـصِّدق والمَحَبّة والوَفَاء، وما يظْهَر به تقديسُ ذاته بينَ الأحزاب**) – نَصُّ بَهـاء الـدِّين –، وقالُوا بأنّ هذه السِّيدة التي إدّعت بلقاءاتها مع قائدِ مجمُوعة سُوهاج لا تنتمي للبهائية، وأنّ علاقتَها به مُجرَّد صداقة . بإقرارِ البهائيِّين فـي قريـة " الـشُّورانية " مـسرح الأحداث، وأضافُوا بأنّها من قريةٍ أُخرى، وعلَى خلاف مـع زوْجهـا، وأنّ قائـدَهم { محمد عبد الرحمن } سَبَقَ له أن أصلَح بينَها وبينَ زوْجِها غير البهائي.

ولا تعجَب فعجبٌ قولُهم، والطّامةُ فى مُنكَر فعلِهم، فمِن قَبيلِ التّرويج لِمَا تُسمّى بالدِّيانة البهائية فى مِصر أقامَ مُواطنان يُقال أنّهما مصريان. الدّعوى رقم {٢٤٠٤٤} لسنة ٥٨.ق. أمام الدائرة الأولى/ مَحكمة القضاء الإدارى بمجلس الدولة المصرى، ضدّ كل من [[وزير الداخلية المصرى، رئيس مصلحة الأحوال المدنية، رئيس مصلحة الجوازات والهجرة، ورئيس المجلس القومى لحقوق الإنسان]]، وقد انعَقَدَت عَلَناً فى يوم الثلاثاء الموافق٢٠٠٦/٤/٤ برئاسة السيد المستشار/ فاروق على عبد القادر رئيس محكمة القضاء الإدارى، وعضويةالسّيدين الأستاذَين المُستشارين ((صلاح الدين الجروانى، و.د. حمدى الحلفاوى))، وحضور الأستاذ المستشار (وسام سعيد) مُفوِّض الدولة، للنّظر فى وقائع الدّعوى التى أقامَها المُدَّعيان بتاريخ ١٠/ ٦ /٢٠٠٤ طالبيَن فيها الحُكمَ بوقف تَنفيذ ثُمّ إلغاء القَرَار السّلبى المطعُون فيه وإلزامِ المُدَّعى عليهم بالمصرُوفات، وذكَرَ المُدَّعيان شرحًا للدّعوى، أنّهما مصريّا الجنسية وبَهائيَّيّن الديانة، وتقدّما بطلب إضافة أسماءِ بناتهما " باكينام، وفرح، وهنا " علَى جواز السّفر الخاص بهما إلاّ أنّهما فُوجئا بامتناع الإدارة عن تسليمِ جوازاتِ السّفر الخاصة بهما وكذا سحب بطاقتهما دُون سَند من القانون، ونَعَى المُدعيان علَى ذلك المَسْلك بمخالفة الدُّستور والإعلانِ العالَمى لحقُوق الإنسان علَى النّحو الواردِ لعريضة الدّعوى والتى اختَتَمَهَا المُدّعيان بالطّلبات المذكُورة.

وقد تُدُوولت الدّعوى بالجلساتِ علَى النّحو المبيّن بمحاضرها حيثُ تبادلَ الخُصوم المُستندات والمُذكّرات وبعريضةٍ مُعلنة قام المُدعيان بتعديلِ طلباتهما لتصحيح الحُكم بوقف تنفيذ ثُمّ إلغاء القرارِ السّلبى بالامتناعِ عن إصدار وتسليمِ بطاقات شخصيّة يُثبَت بها فى خانة الديانة "" البهائية "" وكذا عن إصدارِ وتسليمِ شهادات ميلاد خاصّة ببَنَاتِهم {{ باكينام، وفرح، وهنا }} يُثبت بها الديانة البهائية.

وقد قرّرت المحكَمة قَبول الدّعوى شكلاً لاستيفائها أوضاعَها الشّكليّة، وتقرّر إصدار الحُكم بجلسة ٢٠٠٦/٢/٢١ ثم تقرّر مد أجل النطقِ بالحُكم لإتمامِ المُداولَة لجاسة ٢٠٠٦/٣/٢٨ ثم لجلسة ٢٠٠٦/٤/٤، وحكَمَت المحكمةُ بالحُكم التالى (**قبول الدّعوى شكلاً، وبإلغاءِ القرار المطعُون فيه، وما يترتّب علَى ذلك من آثار علَى النّحو المُبَيّن بالأسباب، وألزمت الجهة الإدارية بالمصروفات**).

ثُمّ تقَدَمَ وَزِيرُ الدَّاخليّةِ المصريّ بالطعن رقــم (١٦٨٣٤/١٨٩٧١) لــسنة ٥٢ .ق. ، والذى تم إرفاقه بالطعن ١٦٨٣٤ لسنة ٥٢.ق. أمام **الــدائرة الأُولـــى فحــص** إحدى دوائر **المحكمة الإدارية العليا بمجلس الدولة المصرى**، رول جلسة يوم الإثنين الموافق ٢٠٠٦/٥/١٥، وبعد تقديم الخصوم لمستنداتهم وحوافظهم، تُدوولت القــضية وترافعَ ودافَع الطّرفان، وبعدَ سماعِ الأطرافِ وطبْقاً لما رآهُ مُستشارو الــدّائرة مــن أسبابٍ بيّنُوها فى الحُكم الذى تمّ تلاوته عَلَنَاً قرّرت الدّائرة القرارَ التّــالى ((أَمَــرَت الدّائرة بإجماعِ الآراءِ بوقف تنفيذ الحُكم المطعُون فيه وإحالــة الطّعنــين إلــى هيئــة مُفوِّضى الدّولة لتُقَدِّم تقريراً فى موضوعهما فى جلسة ٢٠٠٦/٦/١٩)).

وعليه فإنّ هذه القضيّة لا تأتى إلاّ علَى سبيلِ الإخلالِ بالنّظــام العــام، وكــذلك للسّعي من جانب المطعــُون ضدهما للاعتراف بالبهائية، لا لمُجــرد إثبــاتٍ لحالــةٍ مَدنيةٍ ممّا يُعد خُروجا علَى مُقتضيات النِّظام العام ومَــا أجْمعَــت عليــه الدّســاتير المصرية المُتعاقبة، لأنّ الأديانَ التى يكْفُلُ النِّظامُ والدُّستور حمَايةَ القِيامِ بشعائرِها هى ما نصّت عليها المادة ٤٦ من الدُّستور الحالى وهى الأديان السّماوية المُعترف بهــا، أمّا البهائية فإنها ليْست من الأديانِ المُعترف بها حسْبَما أجْمَعَ عليه أئمّــةُ المُــسلمين، وهى لا تعدُو كونها حركةً فكرية دينيّة مُتطرِّفة تَتَناقض معَ مبادئ وأصُــولِ الأديــانِ السّماوية الثّلاثة، وقد أقامَها يهودُ إيرانَ، ورَحَلَ زُعماؤُهــا إلــى إســرائيل، وهُنــاك ترعْرَعَت وانتشرت، ويأتى المُوساد الإســرائيلي فــى مُقدمــة مُمَوِّليهــا ومُنــسقيها ومُخطِّطِيها ومانحِيها وراعِيها، والآن يُريدُون التّرويج لها داخلِ قَلعة المُسلمين الأُولى وحامية حمَى الإسلامِ علَى مدار التّاريخ. فى مصرَ بلد الأزهر.

وتجدرُ الإشارةُ إلى أنّ التّشريع البهائي لا يسمحُ بتعدُّد الزّوجــات لأكثــرَ مــن سيِّدَتين لكلِّ بهائى. ولكنّه يُتيح نكاح الأقارب مادامَ البهائيون قلّة وضُعفاء، ولمّا تتقوّى البهائية وتزدادُ نفُوسُها عندئذٍ يندُر وقوعُ الزّواج بين الأقاربِ (كتاب خزينــة حُــدود وأحكام / ص ١٨٦).

وقد أقرّ أتباعُ هذه الدِّيانة أنّ عُقوبة الزّنى (٩) تسعة مَثَاقيل ذَهَب تُسلّم إلى بيتِ العدلِ في عــكّا، وهو ما ينــطبقُ علَى الزّاني غير المُحصن والزّانية غير المُحصنة،

أمّا المُحصنة والمُحصن فلا حُكم عليها إلاّ أن يحكُم عليهما بيتُ العدلِ (مكاتِيب عبد البهاء ص ٣٠١).

كما جاءَ في كتاب الأقدَس (ألواحُ بهاءِ الله) ما نَصُّه (ومَن اتّخذَ بكْراً لخدمَتِه لا بأسَ عليه. كذلك كان الأمرُ من قِبلِ الحقِّ بالوَحْي مرمُوقا) (الأقدس : ١٤٢) ولا يجِد أتباع البهائية حرَجاً من استخدام الآيات القُرآنية وبعض من الإنجيل والتوراة في أحاديثهم علَى الرّغم مِن تعارُض مُعتقداتهم مع ما يُنادون به مع الشّرائع السّماوية، وهُم يُعلِّلون ذلك بأنّ البهائية دينٌ سماوِي!!!؟.!!! مُوحىً بهِ من الله مصداقاً للوعود المُقدّسة المنصُوص عليها في التّوراة والإنجيل والقُرآن، وفي كتاب يهُوذا وكريشنا، ويقُولون بأنّ دينهم ((البهائية)) نَشَأ من الإسلام كما نشأت المسيحية من اليهودية.

ويدَّعِي البهَائيون المصريون بأنّهم مَعروفُون لوُلاة الأمورِ في كلِّ العُهود منذ ١٨٦٤م. حتى إلى الآن، ويقولون أنه علَى الرّغم من أنّهم لم يقترفوا جُرما أو إثما، ولم تصدُر عنهم أي مُخالفة قانونية أو أدبيّة، أو ما يمَسُّ الكرامةَ، أو ما فيه اعتداء علَى الآخرين، إلاّ أنّهم يجدون في حياتِهم اليومية كثيراً من القسْوَة والإهانة الشّديدة منذ عام١٩٦٠م. حتى الآن، وهم مقهُورين معَ كُلِّ ذلك إلى عدمِ الرّدِّ في الصّحافة أو المنابرِ الإعلامية رَغم إقرار القانُون والدُّستور لهذا الحق الّذي تنكّرت لهُ السُّلطات – بحسب قولهم – حيث كُلّما حاولوا ذلك مُنعوا منه، وتمّ تهديدهم بأقصَى أنواعِ التّهديد ، بينما يكونُ كُل هذا في الوقتِ الذى ينُصُّ فيه الأقدَس علَى أنّ المُجاهَرةَ بالبهائيّة واجبٌ دينِي وهم يُؤمنون به أيّما إيمان، فالبهائيُّ عليه أن يُجيب بمنتهى الصّراحة إذا سُئل عن دينه، أما التّقيّة وإخفاء العقيدة أمرٌ مُحرّم عندهم لأنّهم إنّما يتكلّمون أمام الله أولاً، ثُمّ المسئولين لأنّ اللهَ يقولُ (**وَأَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولُ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ**) [النِّساء: ٥٩] وهم يجدُون سعادةً بَالغةً في الهُجوم الذي وقعَ عليهم لأنّه أحد وسائلِ جذْبِ النُّفوسِ إلى البَهائيّة وإذا كان الإسلامُ يجعلُ من عَقيدتهم هرَاءَ وخُرُوجاَ علَى صحيحِ الدِّين. فإنّهم يردُّون بأنّ الله في الوحْي المُنزّل علَى بهاء الله قال: (مَن يُنكرني في أرضي أُنكرهُ في سمائِي).... أيْ أنّ المُسلمين لا خَلاقَ لَهم عند الله في الدُّنيا ولا في الآخرة، هذا بالإضافة إلى نَصٍّ يرتاحُون إليه كثيرا فى

(٢٠٣)

كتابهم الأقدَس (**قُل إنّ الإعراضَ عَن كُل مُغرضٍ مُنادٍ لهذا الأمر وبه ذاعَ أمـــرُ الله وشاعَ ذكرُه بينَ العالَمين**). ولقد مــرّت عمليّات اســتقبال أعــضاء جُــدُد بــثلاث مراحل:

الأولى : كانت قبل عام ١٩٦٠م، حيث كانت عمليات التّبــشير تنتــشر بــسهولةٍ ويُسرٍ بالنسبة لأي فكرة أو عقيدة فى زمن الاستعمار الأوروبي للعالم الإسلامي، ففي مصر كان يُوجد مَحْفَلٌ محلِّيٌّ، وهذه المحافل يُسمــُّونها { بيــوتُ العدالـــةِ المحلِّيّـــة } ولكن رئـــيسَ الجُمهورية العربية المُتحدة الزّعيم (جمال عبد الناصر) ضيّق الخناقَ عليهم عندما أصدرَ القرار رقم ٢٦٣ لسنة ١٩٦٠م. بحَلِّ المحافل والمراكز البهائيـــة في كُلٍّ من القُطرالشّمالي (سوريا)، والجَنوبي (مصر) والاستيلاء علَى أملاكها.

الثانــــــيةُ: وتمثّلت في تشديدِ تضْييقِ الخناقِ عليهم مــن خــلالِ العلاقــاتِ الشّخصية سواء بالأماكن التي يسكنُون بها ، أوْ في مواقعِ العملِ لأنّ أيَّ بهائي يكــونُ معروفاً لأهله وجيرانه وزُملائه في العَملِ .

أما الثالثة: وهي التي يعيشونها الآنَ في ظلِّ ثَوْرةِ الاتصالاتِ وما يُصاحبُها من سهولةِ الحُصـــولِ علَى أي معلومةٍ مهما بلغَت دقّتها أو خُطورتها من خلال المواقـــع التي تبثُّ سمُومَهم علَى شبكةِ المعلوماتِ الدولية (إنترنـــت)، وفــضائياتُ الأقمـــارِ الصّناعية.

وفي نيجيريا ظهرَت مُؤخّرا جماعةٌ دينية تُمارس طُقوســاً دينيـــة تَــدّعي أنّهـــا إسلامية، يتمُّ فيها تبادُل الزّوجات، وقد انعزل رئيسُ الجماعةِ عن أتباعه الذين يُعدُّون بالآلاف، وهؤلاء يزعُمون أنّهم مُسلمون ويندَسُّون في الطُّرُقِ الصُّوفية، كما يقومُـــون بالطَّواف حولَ مبنَى تمّ إنشاؤُهُ علَى هيئة الكعْبة المُشرّفة، علَى أساسِ أنّهـــم يُـــؤدُّون مناسكَ الحجّ والإسلامِ حَولَها، وقد رفعُوا شعاراً قالُوا (***فيه أحبَّ جـــارَكَ كمـــا تُحـــبُّ نَفسَك وشاركهُ زوجَاتك***).

ويُلاحظ أنّ مَسلَك الجَمَاعَةِ التي وقَعت في قبضةِ الشُّرطة النيجيريـــة ، يتطـــابقُ تماماً مع ذلك التّنظيم الذي تمّ إلقاءُ القبضِ عليه في الصّعيد المصري ٢٠٠٢.م والّذي كان يتزّعمه "**مُدَرِّسٌ** "، وكان يستدرج الأعضاءَ ويُؤكِّد أنّ تبـــادُل الزّوجـــات رَمْـــزٌ للمَحبّة المُشتركَة، وتعميقًا لانتماء الأعضاء في الحُبِّ الجمَاعي الإلَهي .

وعَن المحافلِ البهائية:

فالمحفل: هو **الهيئةُ** البهائية المُنتخَبة من جُموع البَهائيين في كُل منطقة، **وتكُون** مُهمّة هذا المحفل القيامُ برعايةِ شئُون المُجتمعِ البهائي في المَنطقة الخاضعة لـه من النّاحية الدّينية كالزّواج، والإجتماعات الدينية الأسبُوعية التي تُناقش أمورَ البَهائيين، ويحضَرُ هذه الإجتماعات الرِّجالُ والنّساءُ.

وهؤلاءِ ليست لهم طُقُوسٌ أو مَراسِم، أو كَهَنُوت، أو رجالُ دينٍ، لكنّ طُقُوسَهم وشعائرَ صلاتهم تَتمُّ من خلال النِّظام التّشريعي البهائي، ويُطلَق عليه إسم (أعضاء بيت العدل المحلي) – ***المحفل***.

أمّا الصلاةُ فتكونُ بشكل "" فُرادَي "" إلاّ في صلاة الميِّت، وتكونُ عبارة عَن أدعية جماعية أو مُناجاةٍ يقومُ بها أي شخصٍ مثل (**إنّا لله قانتون، إنّا لله صابرون، إنّا لله مُنقلبون**). وهُم يضعُون في اليد اليُمنى للمُتوفّي خاتَماً مكتُوبا عليه (**قد بدأتَ من اللهِ ورجعْتَ إليه مُنقطعا عمّا سواهُ، ومُتمسّكا بإسمه الرّحمن الرّحيم**).

ومِن هرائهم أنّهم يُفسِّرون القُرآن الكريم حسبَ أهوائهم عندما يُوجِّهون سُمومَهم إلى المُسلمين، ويستعينُون بآياتِ الإنجيلِ عندما يُحاولون تجنيدَ المَسيحيين، ونفسُ الشّيء يفعلُونَه بإستخدامِ الأديانِ والنِّحل الوَثنيّة مثل{ البُوذية، والكونفشيوسية}.

فعلَى سبيلِ المثال، يُفسِّرُون قولَ الله تعالى (**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفّاً**) { الفجر: ٢٢ } بقولِهم: **(ها ربُّك بهاءُ الله قد أتى، والمَلَكُ هُم اّللذين أتَواْ مَعَه من إيرَانَ**)، كمَا أنهم يُفسِّرون قولَ الله تعالَى (**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْح ۞ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجَاً ۞**) { النّصر : ٢،١ } بقولِهم { **سيأتي يومٌ يدخُل الناسُ في دين بهاءِ اللهِ أفواجاً أفواجاً** }.

ويتّضح بجلاءٍ أنّ الاستخدامَ المُغرض للعقائد الدينية السّماوية هو جَوهر العقيدةِ البهائيةِ المزعُومة، حتى أنّهم في بعضِ الأحيانِ يقومُون بنسخ كثيرٍ من الآياتِ القُرآنية أو النُّصوص الإنجيلية، وفي أحيان أُخرى يقُومون بصياغة آياتٍ وهميةٍ علَى نَفسِ منوالِها.

د. القديانيّة:

حركةٌ فكرية نشَأتْ في القّارة الهندية ١٩٠٠م بتَخْطيطٍ من الاستعمار الإنجليزي بهدَفِ إبعادِ المسلمين عَن دينهم وعَن فريضةِ الجهاد بشكلٍ خاص، حتى لا يُواجِهوا المُستَعْمِرَ باسْمِ الإسلامِ ، وقد أسّسها [مرزا غُلام أحمد القديانيّ]، وكان ينتمِي إلى أُسرةٍ اشتهرَت بخيانة الدِّين والوَطن، وهو معروفٌ عند أتباعه باختلالِ المَزاج، وكثرةِ الأمراضِ، وإدمان المُخدّرات.

وقد تُوّج أحدُ أقطابِ الحركةِ المدعُو " نور الدين " بتاج الخلافة علَى رأسه، أمّا أمير القديانية اللاهورية " محمد علي " فهو المَنظر للقديانية وجاسُوس الاستعمار.

ومن أهم الأفكار والمُعتقدات لفرق القديانية عُمُوما :

* يعتقدُون بأنّ الغُلامَ مُؤسِّسُ الحَرَكةِ هو المَسيح المَوْعُود .

* يعتقدُون بأنّ اللهَ يصومُ ويُصلِّي ، وينَامُ ويصحُوا ويكتبُ ويمضِي ، ويُخطِئ ويُجامع ﴿ **تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبيراً** ﴾ (الإسراء: ٤٣)

* يعتقدُون بأنّ جبريل ﷺ ينزِل علَى غُلام أحمد، وأنّه يُوحِي إليه، وكلماتُهُ كالقُرآن.

* إلغاءُ عقيدة الجهاد، والطّاعة العمْياء للحكومة الإنجليزية لأنّها حسب زعمهم ولِيُّ الأمرِ بنَصِّ القُرآن.

* كُل مُسلمٍ عندَهُم كافرٌ حتّى يدخُل القديانية ، كما أنّ مَن زَوّجَ أوْ تَزَوّجَ من غَيرِ القديانيين فهو كافر .

يُبيحون الخمرَ والأفيونَ والمُخدّرات والمُسكرات .

* تعتقد القَديانية بأنَّ النُّبوّة لم تُختَتَم بمُحمّد ﷺ بل هي جاريةٌ، واللهُ يُرسل حسب الضّرورة، وأنّ الغلامَ أحمد هو أفضَل الأنبياء جميعاً.

للطُّرُق القديانية عُموماً علاقةٌ وطيدة معَ إسرائيلَ، وقد انتشرُوا مثل الفيرُوسَات أو السّرطانات في بلدان العالَم الإسلامي كُله خاصةً في المنطقة العربية منه، وهُم يخدمون الاستعمارَ في إيجادِ مراكزِ حسّاسة لهُم في مناطق تواجُدِهم.

هـ. الأباضية:

فرقة من فرق الخوارج إلاّ أنّ أصحابها والمُنتسبون إليها ينفُون عَن أنفُسهم هذه النِّسبة، إذ يعدُّون مذهبَهم مذهبًا اجتهاديّاً فقهيا سُنّيا يقفُ جنبا إلى جنبٍ مع الشافعية، والحَنَفية، والمَالكية، والحنْبَلية، مُؤسُّسها الأوّل [عبد الله بن أباض القاعسي المري] الذي يرجع نسبُه إلى أباض، وهي من قُرى اليمَامَة . **ومن أفكارهم ومُعتقداتهم:**

* لا يقُولُون برؤية الله تَعالى في الآخرة لقوله تَعالى ﴿ **لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ** ﴾ { الأنعامُ: ١٠٣ }.

* القرآنُ لديهم مخلوقٌ مُتأثِّرين بقولِ المُعتزلَة.

* أفعالُ الإنسان خَلْقٌ من الله واكتسابٌ من الإنسانِ، وهُم بذلك يقفون وسَطاً بينَ القَدَرية والجَبْرية.

• مُرتكب الكبيرة عندهم كافر، ولا يُمكن في حالِ معصيتِه وإصرارِه عليها أن يدْخُل الجنّةَ إذا لم يتُب منها، فإنَ الله لا يغْفِر الكبائرَ لمرتكبيها إلاّ إذا تابُوا منها قبلَ الموت.

* الإمامةُ بالوصية باطلة في مذهبهم، ولا يكُون الإختيارُ في الإمامَة إلاّ عَن طريقِ البيْعَة، كما يجوزُ تعدُّد الأئمّة في أكثرَ من مكانٍ.

* يُؤَوِلُون بعضَ مسائلِ الآخرَة تأويلا مَجازيا كالميزان، والصِّراط.

* يقُولون بأنّه لا منزلة بين المَنزلتَيْن – أيْ بينَ الإيمانِ والكُفر، فهما ضدّان كالحياةِ والموتِ، وكالحركةِ والسُّكُون.

* عندهم لا يخرجُ الشّخصُ من الإيمانِ إلاّ ويدخُل في الكُفر فمَن لَم يكُن مُؤمناً يكُن كافراً لا محَالَةَ، مُستشْهِدينَ علَى ذلك بقوله تعالَى ﴿ **إمّا شَاكِراً وَإمّا كَفُوراً** ﴾ .

* مَن يرتكب كبيرةً من الكبائرِ يُطلقون عليه لفظةَ كافرٍ زاعمين بأنّ هذا الكُفر كُفر نعمَة لا كُفر ملّة، بينَما يُطلقُ أهلُ السُّنة والجَمَاعة كلمةَ العصيانِ أو الفسُوق، ومَن ماتَ علَى ذلك في نظرِ أهْلِ السُّنة يُعذَّب في جهنّم حتى يطْهَر من عِصيانه ثُمّ ينتقلُ إلى الجنّة(١).

---

(١) الموسوعة المُيسّرة في الأديان و المَذَاهب المُعاصرة

و : التِّيجانَية :

أسّسها "" **أبو العبّاس أحمد بن محمد المختار بن أحمد بـــن محمـــد بـــن ســـالم التِّيجاني**"".

وقد عاشَ ما بين ١١٥٠هـ: ١٢٣٠هـ، وُلِـد فـي قريـة {عـين ماضـي } بالجزائر، وقد عُرِف أتباعُه بالتِّيجانية، وفِرقتُه صُوفية يؤمن أصحابُه بجُملة الأفكـار والمُعتقدات الصُّوفية، ويزيدون علَيها شيئاً خاصّاً بهم كالإعتقاد بإمكانية مُقابَلَة النبـي ﷺ مُقابة مادِّية، واللِّقاء به [لقاءً حسيّاً] في هذه الدُّنيا، وإنّ النّبـيَّ ﷺ قـد خـصّهم بصلاة " الفاتح لِمَا أُغْلِق" التي تحتل لديهم مكانَةً عظيمة(١).

ومن أفكارِهم ومُعتقَدَاتهم :

* يزعُمون بأنّ مشايخَهم يعلَمون الغَيْبَ فضلاً عن الأنبياء، فهُم يقولُـون عـن شيخِهم أحمد التيجاني (ومن كَمالِه رضي الله عنـه ونُفُـوذِ بـصيرته الرّبّانيّـة، وفراسَتِه النُّورانيّة التي ظَهَرت بمُقتضاها فى مَعرِفة أحوالِ الأصوابِ وفي غيرِها إظهارُ المُضمَرات، والإخْبار بالمُغَيّبات، والعلْمِ بعواقبِ الحاجَات، ومـا يترتّـب عليها من المصالحِ والآفات، وغير ذلك من الأمُور الواقعات).

* يدّعي زعيمُهم أحمد التيجاني بأنّه قد التَقَى بالنّبي ﷺ لقاءاً حسياً ومادياً، وأنّـه كلّمه مُشافهةً، وأنّه قد تعلّم من النّبي ﷺ { الفاتح لما أُغْلقَ] وهؤلاء في الأصـل مُؤمنون بالله سُبحانه وتَعَالى، ويُقسِّمُون الغيبَ إلى قِسمَين:

- غيبٌ مُطلَق : استأثَرَ اللهُ بعلْمِه .
- غيبٌ مُقيّد : وهو ما غابَ عَن بعضِ المخلُوقين دُون بعضٍ .

---

(١) المصدرَ السابق

ثَالثاً : صِنَاعَةُ الأَوبَاشِ

• **البُوذيّةُ:**

تُعتبر البُوذية مِن الدِّياناتِ القديمةِ التي ظهَرت في القرن الخامس قبْلَ الميلادِ بَعد الديانة البرهمية (إحدى طَبَقَات الهِندوسية)، وكانت البُوذية كغيرها مِن الديانات التي انتشَرَت في أفرِيقيا إلى جانب عبادة الأوثان، والظّواهرِ الطّبيعيــة، وأرواحِ الأجــدادِ والثّعابين، والجَديرُ بالذِّكرِ أنّ كُلّ ما يُعْبَدُ مِن دُونِ الله ﷻ هو طاغوت.

وعندما ظَهَرت البُوذية في الهِند كانت تنتشر بمصر عِبادة "" الثّالُوث ""، وهُو مـــا يُؤكِّد علَى أن الحضارَتين الهِندية والمصرية القديمتين قامَتَا فى الأصل علـــى عبــادة البَقَر، والحَمير، والكِلاب، والكَبش، والجُعران، والعِجل، فَهُم بِالجُملة عبدةُ الطواغيت، ومِن ثَمّ فلا يجب التغنِّي بما يُسمى حَضَارة الأجدادِ الــذينَ ســرَقوا ذَهَــبَ الــبِلاد، ووضعُوه فى توابيتِهم استعداداً للبعث فى العالمِ الجديد، وورّثُوهُ لمن بَعْدَهُم .

تدعُو البُوذيةُ إلى التّصوُّفِ والخُشونةِ، ونَبْذِ التّرفِ والمُناداةِ بالمحبّــةِ والتّــسامُحِ وفِعْلِ الخيْرِ، لكنّها لم تلبث بعد مَوْتِ مُؤسِّسها إلى أن تحوّلت إلى مُعتَقَدَاتٍ باطلةٍ ذات طابعٍ دِيني وثَني.

ولقد غالَى أتباعُها في مُؤسِّسها (سدهارتّا جُوتاما) المُلقب "" ببُوذا "" حتى ألّهُوهُ، وبُوذا تعني (العالِم) ويُلقّب أيضاً (سكيامونى) بمعنى (المُعتكِف) وكانَــت نــشأتُه علَى حُدود نيبال. **ومِن أفكارِ ومُعتقداتِ هذه الفِرقَة:**

* يعتقِدُ البوذيُّونَ أنّ بُوذا هو ابنُ الله، وهو المُخلِّص للبشريةِ مِن مآسِيها وآلامِها، وأنّه يتحمّل عن البشرية جميعَ خطاياهُم.

* يقولون قد دلّ علَى ولادةِ بُوذا " نجْمٌ كبيرٌ " ظَهَر في أُفق السّماء ويدعُونه نَجمُ بُوذا.

* يعتقدُون أنّ تجسُّد بُوذا كان بِواسطة حُلولِ رُوحِ القُدُس علَى العذراء (مَايَا).

* يقولون لمّا وُلِد بُوذا فرحت جُنودُ السماءِ، ورتّلَــت الملائكَــةُ أناشــيدَ المحبّــة للمولود المُبارك.

* يُصلِّي البوُذيوُن لِبوذا، ويعتقِدون أنّه سيُدخِلُهم الجنّة، والصّلاة عِندهم تُؤدّى في اجتماعاتٍ يحضرها عددٌ كبيرٌ مِن الأتباع.

(٢٠٩)

* يعتقدون أنّ هيئةَ بُوذا قد تغيّرت في آخرِ أيّامه، وقد نزلَ عليــه نُــورٌ أحــاطَ برأسهِ وأضاءَ من جسدهِ نُورٌ عظيمٌ، وقال الّذين رأوهُ **[[مَا هَذَا بَشَرٌ إنْ هُــو إلاّ إلهٌ عَظِيمٌ]]**(١).

ولم يذكر التاريخُ علَى صفحَاتِه أنّ الحضارَة العربيةَ القديمةَ ومن بعدها وريثهــا الشّرعي (الحضَارة الإسلامية) أنّها قد تصادَمت أو تصَارَعت أو حتى تنافَست مــعَ الحضارَة الهندية يَوْماً من الأيّام، بينما عانَى المسلمُون وقاسُوا من أتباعِ الحــضَاراتِ الأخرى كالفارسية، والرُّومانية.

وإذا كان المصريونَ قديماً قد قد دخَلوا فى صراعات مــعَ حــضاراتِ الجــوار القديمة، إلاّ أنّهم والحضارةُ العربية القديمةُ قد تعاونُوا تعاوُناً غير محدود، وتــداخلُوا تداخُلاً لا ينفَصلُ معَ الحضارةِ الهنديةِ مُنذ قدمِ التّاريخِ، وقد ارتَبَطُوا بروابطَ تجاريَــةٍ وبحريةٍ واقتصاديةٍ واجتماعية، وبرباطِ المُصاهرة والنّسب... وكــذلك كــان هُنــاك ارتباطٌ عسكريٌّ وثيقٌ شَهد تعاوُناً غير محدُودٍ بينَ أساطيلِ البحــرِ المتوســط بقيــادةِ الأسطول المصري ، والأسطولِ الهندي الذي دخل الحربَ إلى جانبهم ضدّ الأســطول البُرتغالي سنة ١٥٠٩م فيما تُعرف تاريخيا موقعةُ ﴿ ديُو ﴾(٢) هــذا فــضلا عَــن وجُود أسرٍ عربية كبيرة عاشَت في كُلِّ رُبُوعِ الهند، بفضل تزاوُج التُّجار العربِ مــن الهندياتِ، وذلك مُنذ ما يسبق الفتحَ الإسلامي للهند بقرون طويلة. الأمرُ الــذي يــسّر للفاتحين العرب أمرَ إدْخالِ الإسلام إلى تلك المناطقِ بيُسرٍ وسهُولة.

وظلّ الحالُ في تطوُّرٍ دائم يُحقِّق نجاحاً مُستمرّا ومُتجدِّداً في كُل الميادين وعلَــى كُل الاتجاهات حتى مطلع القرن السادس عشر المــيلادي، حــينَ بــدأت ردّة الفعــل الصّليبية علَى الدِّيار الإسلامية في القارّتين الإسلاميتَين.

غيرَ أنّ البُوذيين لم يتعاونَوا معَ الاستعمارِ الأورُوبي كما كان يَتَوقّع الأوروبيُّون منهم، حيثُ لم يتعاونَوا معهُم ولم يُظَاهرُوهُم في سبيلِ نَيْلِ مأْربهم وتحقيقِ بغْيتهِم من المُسلمين،وهو الأمر الذي جَعَل المُستعمِر الدّخيل يبحثُ عمّن يتعاونُون معهُ

---

(١) المصدر السابق

(٢) أنظر / صراع الحضارات وحوار الدبابات

ويُخلِصُونَ له، فلم يكُن أمامه سوى اليهُود الهُنود علَى نَحو ما ذكرنا آنفاً، هذا غير ما استحدَثوُه أو صاغُــوه، أوْ استدعُوه مِن بطنِ التّاريخ ووظّفُوهُ مِن ذلك:

١ * *السهم الذهبي:*

إذا جازَ لنا القولُ عن اختلافِ المُسلمين وافترَاقِهم على نحــوِ مـــا أنْبَأنَـــا **بـــه المعصُومُ** ﷺ ، وبِمقدار ما تيسّر لَنَا ذكره، وإذا اتّفقْنَا – مُجرّد اتّفاقٍ – علَـــى تــسميتِه بالسّهم الأوّل الّذي أصابَ الأمّة فأحدثَ نزيفَ المُخاصَمَات، وأشْعلَ فَتيلَ المُنازعـــات، وفَجّر براكينَ العَدَاوات، وبسببِ ما كان مِن شدّة إصابته أنْ لازَمَ الفــشلُ المُــسلمينَ، وذهَبَت ريحُهم وهانُوا علَى الناسِ بَعد أن هانُوا علَى أنفُسهم، وكذلك إذا جازَ لنَا القولُ أنّ تجنيدَ أعداءَ الإسلامِ وصناعَتِهم وصياغَتِهم أُسلُوباً وأدوات كما كان في الهِند، ومـــا فعلُوه في إفريقيا مِن إغراقها بإرساليات التّبشيرِ، وأنّ ذلك نُعدُّه السّهمَ الثّاني، فإن مـــا يُمكنُنا الجزم به الآن هو أنّ السّهم الثّالث، وهو الأحدثُ في جُعبةِ الأحقادِ ومُــستودَعِ المُؤامراتِ ضدّ الأمّة الإسلامية، وهو الأسرَعُ والأقْوَى نفاذاً ووصُولاً إلى أغوارها... فإنّه إذاً هو السّهمُ مُزدَوج الرّأسِ المُدبّب الذي إحْــدى قِمّتيـــه المَاسُـــونية، وأُخـــراه العَلمانية.

١ . الماسونية:

الماسُونية في الإصطِلاح (**مُنظمة يهوديةٌ إرهابيةٌ ســريّةٌ غامــضةٌ مُحكمـــةُ التّنظيم**) وفي الُّلغة (البنّاؤون الأحرار)، وهي تهدُف إلى ضَمَان ســيْطرةِ اليهُـــودِ علَى العالَم، وقد أسّسها (هيردُوس اكريبات سنة ٤٤.م) ملـــك الرُّومـــان بمـــساعدة مُسشارَيه اليهُوديّين (حيرام ابيود) نائب الرئيس، (موآب لامي) كاتم سر أوّل، وقـــد قامَت الماسُونية مُنذ أيامها الأولى علَى المَكْرِ، والتمْويه، والإرهاب ، حيث اختـــاروا رُموزاً، وأسماءً وإشاراتٍ للإيهامِ والتّخْويفِ، وهي يهودية مِن البداية إلـــى النِّهايـــة، وتُسمى أيضاً (القُوة الخَفيّة).

تدعو الماسُونيةُ إلى الإلحادِ والإباحيةِ والإفساد، جُلُّ أعضائها مـــن الشخـــصيات العامّة المرمُوقة في العالَم، تَختارُ هذه النّوعية بحُكْمِ تأثيرها علَى الـــشّعوب لـــضمانِ تنفيذِ أغراضِ اليهُود والصُّهيونية العالَمية، يُوثّقُهم عهدٌ بحفظ الأسرارِ، ويقومُون بمـــا يُسمّى بالمَحافِل للتّجمُّع والتّخطيطِ والتّكليفِ بالمهامِ ، وظاهرالماسُونية خلاف باطنِها،

استطاعُوا خداعَ الكثيرين من كبار السّاسة والمُفكِّرين والشخصيات العامة لخدمة جماعَتهم، وقد تمكّنوا عن طريقِ الماسُونيين العرَب من تأسيس المحْفَل الرئيسي المُسمّى محفل الشّرق الأوسط في بلاد الشام ومقرُّه (**سُوريا**)، وتمكّنوا كذلك من إخضاعِ هؤلاء السّاسة لخدمة الماسُونية، وأعلَنوا شعاراتٍ برّاقةً تُخْفي حَقيقَتهم، فخدَعوا كثيراً من المُسلمين، أو إن شئت قُل ما قالهُ الماسُونيون عنهُم (المُغفّلين)، ولا عجَب أن تبدأُ احتفالاتُهم بكلماتٍ رنّانة تَتَباكى علَى واقعِ الأمّة وضَياعها، أو تُختَتَم الكَلمةُ بآيةٍ من القُرآن الكريم أو حَديثٍ نبوي شريفٍ ممّا وَرَد فى الصّحيحَين.

وما عليك الآن إلا أن ترْفَعَ ناظريكَ، ولْتنْظُر إلى الجهات الأربع لتَتَبَيّنَ حقيقةَ ما صَنَعَ الماسُونيون في أُمّتنا، ومَن باتُوا لهم أتباعاً وهُم في مَرْمَى البصرِ وفي حُدودِ المسامعِ في عالمنا الإسلامي كُلِّه، ولعلّك تعْلَم شيئاً عن المنطقة الروتارية ٢٤٥٠ التى تضم ٩ دُول بها [١٢٣] نادياً، يضم كُلُّ نادٍ {٤٠٠}عُضْوَاً ، وتقع مــصرُ تنظيمياً ضمن المنطقة الرُّوتارية {{٢٤٥٠ }}، وقـد أقـام الماسُونيون الأجانب والعَرب والمصريون علَى أرضنا الطّيِّبة أكثرَ من نادٍ ماسُوني يأتي في طليعتهم أنديـة " **روتارى مصر الجديدة & روتارى القاهرة الكبرى & ليونز جاردن سيتى الدولى**".

والماسُونية بحُكْمِ كَوْنها مُنظّمة سرِّية غامضة تَعتمدُ علَى إخفاءِ أدواتها وأهدافها، فإنّ أعضاءَها وقياداتها يَتَعَمّدُون إخفاءَ مُعتقداتهم ومَبَادئهم، وإظهارَ غير ما يُخفون لعامة النّاس.

ومن أهَمِّ مُعتقداتهم :

* يكفُرون بالله وكُتبه ورُسُله، وبكلِّ الغيْبيات، ويعتبرون ذلك خُزعبلات.
* يعملُون علَى تقويضِ الأديانِ – كُلِّ الأديانِ – عَدَا اليهودية.
* العملُ على إسقاطِ الحُكُوماتِ الشّرعية، وإلغاءِ أنظمة الحكْمِ الوطنية في البلادِ المُختلفة، والسّيطرةِ عليها، خيرُ شاهدٍ علَى هذا إسقاطُ الخلافة الإسلامية في تركيا، والحيلُولة دُون وُجُودِ دولةٍ إسلاميةٍ سُنّيَّةٍ فى وسط أوروبا (البوسنة والهرسك)، ومُحاربَة قِيامِ حُكم إسلامى فى الجزائر وتونس، وإسْقاط الرئيس الشّرعِى للعراق "" **صدّام حُسَين** "" وإحتلالِ **العراق** ، وما يُراد بالسُودان وسُوريا وإيرانَ، واليَمَن، وما يُعدُّونَ لهُ فى الخفَاء ولَم تظْهَر ملامحُه بعد للسّيطرةِ علَى

العالَم الإسلامي تباعاً ومن دُون استثناء .

* إباحةُ الجنس واستعمال المرأةِ كوسيلةٍ للسيطّرة والسيادة **﴿ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى .... ﴾**

* العمل علَى تقسيمِ غيرِ اليهودِ إلى أُممٍ مُتنابذة تَتَصارعُ بشكل دائم **﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾.**

* تسليحُ هذه الأطراف وتدبير حوادثَ لتشابُكها، وخُذ من عالَمنا العَرَبي الأمْثلةَ.

* بَثُّ سُموم النِّزاعات داخل البَلَد الواحد، وإحياء رُوح الأقلِّيَّات الطّائفية والعُنصرية كَمَا هو الكائن فى لُبنان، وجنُوب السودان وغربه، وما وقَع فى اليَمن بينَ القُوات اليمنية التابعَة للرّئيس على عبدالله صالح والمُنشقِّين عليه بقيادة نائبه علَى سالم البيض ، عندما تطاحَنوا بالدبّابات ، ووقعَ تحْتَ المُجنزرات أربعون ألف يمني طَحَنتهم رَحَا الحربُ الأهلية هُناك، ومُشكلة كشمير بين الهندِ وباكستان، وما أُريد لكل من مصر والمغرب والجَزائر .. إلخ (١) .

* العملُ علَى السيطرة علَى رُؤساءِ الدُّول لضمانِ تنفيذ أهدافهم التدميرية باستخدامِ وسائلٍ خبيثةٍ ومُتنوعة ومُتعدِّدة .

* إطالةُ أمَد الحُكّام والرُّؤساء ، ومُحاولة جعل الحُكم ورَاثياً خاصةً في العالَم الإسلامي والذي بسببه تَثُورُ الجماهير لدَرَجَةِ الغَلَيان فتتَمرّدُ علَى حُكّامها ، ويزدادُ الحاكم في قمْعه وبطْشه ضدّ الجماهير دفاعاً عَن مَقعد السُّلطة فتُخرّبُ الدِّيار بأيدي أصحابها .

* بثُّ الأخبار الُمختلفة والمتُضاربة، والأباطيل والدّسائس الكاذبة حتى تُصبح كأنّها حقائقُ لتحويل عُقُول الجماهير، وطَمْس الحقائق عن أعيُنهم.

دعوةُ الشّباب والشّابات إلى الانغماس في الرّزيلة، وتوفير أسبابها عبر الفضائيات المُتخصِّصة، والأندية الاجتماعية، والرِّياضية التى يختلط فيها الحابلُ بالنّابل، هذا بخلاف تجميع الشباب والشابّات العرب مُسلمين ومسيحيين مع نُظَرائهم من اليهود وأكثرُهم من الفتياتِ اللاتي قامت المُوساد بإعدادهنّ وتدريبهنّ وتأهيلهنّ، من أجل تطْويع الشباب العربي وتلقينه ثَقَافَةَ السّلام كما يُريدُونَه لنا ليحلّ السّلامُ علَى هذا المعنى، ووفقَ هذه المفاهيم مَحَلّ فريضة الجهاد ، ضمن ما يُعرف باسمِ جمعياتِ

(٢١٣)

وحركات السلام، وهو السلام الاجتماعي الذى نادَت به "" رزين تـاج "" والقرامطـة، وغيرُهم، كما يُروِّجُون لإباحة الاتصال بالمحارمِ، وتوْهين العلاقاتِ الزّوجية، وتحْطيمِ الرّباط الأُسَري، وعلَى رُؤوسِ الأشهادِ يقف شاهدٌ على ذلـك، وهـو آخـر تقـاليع العلاقاتِ الجنسية المُبرّرة خطأً بما يُسمّى الزّواج العُرفي، وقد ظَهَر مُؤخّرا فى مصر بَعدَ أنْ راجَ فى عالَمنا العربي والإسلامي شـرقاً وغرْباً، حيثُ يقومُ بعـضُ طُـلاّب الجامعاتِ والمرْحَلَـةِ الثّانـوية، بل والإعداديةِ بإحضار جهاز تسجيل يُسجّلونَ عليـه تقديمَ الفَتَاة نَفْسَهَا للشّاب قائلةً (زوّجتُكَ نَفْسي) فيقولُ لهَا "المَتعُوس"- قبلـتُ -، أيْ أنّ الأمرَ تَجَاوَزَ الورَقَةَ إلى التّسجيلِ الصّوتي، ولا نّدْري إذا كان هذا التّحَوُّل أوْ هـذا التّغْيير بِهدفِ الحفاظ علَى وثيقة الإتّفاق ***[[الباطل]]*** أو بهدف سُهولة التّخلُّص منـه إذا رَغَب أحدُهُما مُسايرَة المُوضة، حيث ابتكَر الشبابُ شكلاً جديداً لعلاقاتهم الجنْـسيّة غير المشرُوعة مع الفَتيات، إذ يكْتُب الشابُّ بالوشْم إسمَ فتاته المـدعُوّة "" زوجَتـه "" علَى ذراعه، وهي تفعلُ كذلك – ثُمّ يُصبحان زوْجاً شرعاً بحسب جهلهـم – وطبقـاً للمفاهيمِ والمُعتقدات الزّائفة التى آمنوا بها ـــ، كما أنّ هناك البعضُ يجـرَحُ إصـبعَه ويخلطه بدمِ إصبع معشوقته، ويَعتبران اختلاط الدّمَين وثيقةَ زواجٍ أبديّـة، أو رباطـاً قويّاً مَنيعاً بينهُما، ولا تعجب إذا علمتَ بوجود أقراص منع الحمل مع كثير من الطَلَبَة والطّالبات لتَسْهيل مُمارسَة الرّزيلة بلا مُشكلات أُسَريّة أو اجتماعية علَى أعْيُن النّـاس ومسامعهم،. وسوف يكُونُ الأكْثَرُ عَجَبَاً إذا علمْتَ مَن يُقدِّمُها لهُم.

والسُّؤال : لماذا يحدُث ذلك ؟ وإلى أيِّ مدىً يقعُ هذا في إطار الـصحّة العقليـة والسّلامة الدِّينية والاجتماعية ؟ وكيف نُعيدُ شبابَنَا إلى دائرة الصّواب ونُـدخلُهم فـي منْظُومَة القيَمِ الدينية التي أصبحت مُهدّدة، وأصبحَ الخُرُوجُ عنها هو القاعدةُ ؟ وذلـك في ظلِّ إعلامٍ مرئيٍّ أو مسمُوعٍ أو مُصَوَّر لا يهتَمُّ بغيرِ عرْضِ اللّحمِ النِّسائي الأحمَر علَى مدار السّاعة ليحُرِّكَ الساكنَ، ويثيرُ الجوارحَ لدَى شبابٍ جـاءَ فـي أيـامٍ هـي الأصعَب من ظُروفه.

وهذا يا سادة "" ليس عُرُفيا ولا زوَاجا ""، إنّها إشاعةُ الرّذيلة والفوضَى عن طريق دعْوى الشّباب والشّابّات للانغماسِ في الخَطيئة بَعد توْفيرِ أسبابِها.

وأقرأ للأساتذة عُلماء الأزهر الشّريف، وعُلماء الاجتماع موضُوعا وافيا وشافياً فيه تشخيصٌ للحالة المُزرية ((أعراض ، ونتائج ، وأثار ، وعلاج))(١).

* الدعوى إلى العُقم الاختياري وتحديد نسل المُسلمين(٢). وهذا قائمٌ علَى رُؤُوس الأشهاد لا يحتاج إلى تعليق.

وتلك هي الماسُونية قديمةَ النّشأة، عميقةُ الجُذور في حَرَكة التّاريخ، وهي تتميّزُ بأنّها حَرَكَةٌ فكريةٌ ليس لها دستورٌ أو تشريعٌ سماوي، أو نحوه، حيثُ مُعتقداتهم ليست إلاّ مجموعة من الأفكار من صياغة البَشَر قد صيغَت بإحكام شديد، ووُظِّفت بإجادةٍ وإتقانٍ وإخلاصٍ علَى خيرٍ وأفضل وأجْوَد ما يكون من المُسلمين في التّعامُل مع القرآن الكريم وسُنّة النّبي الأمين .

ومازال الماسُونيون يُحقِّقون الكثيرَ من النّجاحات والعَظيمَ من الإنجازات، في كُل بِقاع العالَم بعد أن وَقَعَ كثيرون في شباكِهم، وباتو يُدافعُون عن مُعتقداتهم، وينفِّذُون مُخطّطاتهم علَى حين غفلةٍ من الجميع، سواء كان ذلك منهم عن قصد مُباشر أو عن غير قصْد، من ذلك مثلاً ما بَرَزَ من مُصيبة الدّعوة إلى العُقم الاختياري لدَى الأُسْرَة المُسلمة، حيث جاء تصريحُ وزير الصّحة المصري، والذي نشرته الصّحافة الرسمية في مصر في ٢٠٠٣/٦/٢٦ خيرُ شاهد على قوْلنا، حيثُ أعلنَ الوزيرُ أنّ وزارَتَه بدأت تُوزِّع كبسُولات (الإمبلانون) للسيدات – تضمن عدمَ الإنجاب لمُدة ثلاث سنوات متّصلة، وأضاف المصدَر أنّ الكبسولةَ الواحدة تُكلِّف الوزَارة (٢٣) دولار، كما أعلنت الوزارة عن مشرُوعها القومي العملاق، الذي يرمي إلى تحديد نسل الأُسرة المصرية إلى طفلَين إختياريّاً، وتُقدِّم الوزارةُ وثيقةَ تأمين هَديّة تتراوحُ قيمتُها بينَ عشرة آلاف وعشرين ألفاً من الجُنيهات للأم التي تُنجبُ طفلَيْن فَقَط تتسلّمها عند وصُولها لسن ال ٤٦عام .

وهكذا أمْسَينا ونحن نحمل ألويتَهم في نَشوة، وشرَعت سمُومُهم تسْري في دمائنا، بَعد أن نحّينا أنفُسَنا بعيداً عن ديننا، ثُمّ أصبحَ الإسلامُ فاقداً سيطَرَته علَى الشُّعوب الإسلامية، وانحَسَرَ في طُقوسٍ مُعيّنة مثل صومْ رَمَضَانَ، وعاشوراءَ، وليلة

(١) جريدة الجمهورية / تحقيق للأستاذ : فريد إبراهيم ــ ع ــ ١٨٦١٦ /الخميس ٢٠٠٤/١٢/١٦

(٢) الموسوعة الميسرة

النِّصف من شعبان، والإهتمام بكَعك العيد والجِلْباب الجديد، واللّحم المَشوي، وإن كان لحمُ حميرٍ أو قطط أو كلاب – لا يَهُم– { وقد باعه الجزارون لنا، وابتعناهُ منهم عن طيب خاطر في غشٍّ مفْضُوحٍ } المُهم أنّك تَشمُّ الدُخان رمْزاً لعيد اللّحم (عيد الأضحى المبارك)، وباتُ كثيرٌ من المُسلمين لا يدخُلون المسجد في غير صَلاة الجُمُعة، وتعطّلت الأحكامُ الشّرعية، وأصبحَ الرّجل يُباهي بفطره في نهارِ رمضان، ويُجاهرُ مُفتخراً بمعصيةٍ قَد ستَرَه الله فيها، ووقَع علَى الأعينِ زنا المحارم، حتى حملَت الأمُّ من ولدها، والفتاةُ من والدها والشقيقةُ من شقيقها.

والأشدُّ كُفراً أنّ بعضَ الأنظمةِ في عالمنا الإسلامي أصدَرت تراخيص للعاهرات لمُمارسة البغاء، وجَعلت لهُنّ إجراءاتٍ طبيّة وفُحُوصاتٍ دوْريةٍ لضمان سلامَتهن علَى الصِّحة العامّة، وخُلُوِّهنّ من الأمراضِ المُعدية والخبيثة، وسَهّلت لهُنّ اللّقاءات براغبي المُتعة الحرام في بُيوت مُخصّصة مَعلومَةٍ في أرقى أحياءِ المُدن والعواصم الشهيرة، ثمُ انتشرت العدْوى تحتَ ضغط الفقر والحاجَةِ إلى نُواة المُجتمع الأُولى – إلى القريَة البَسيطة – فَعَمَّ الفسادُ، وسادت البلْوى، واختَلَطَ الحابل بالنّابلِ، وراجَت لذلك تِجارة المُخدّرات والسُّموم البيضاء – ولستُ أدْري كيْفَ يتم إدخالُها ؟!!، بل وزراعتها وإنتاجها في كثير من بلدان العالَم الإسلامي.

إنّها المَنظومة المُتكاملة من السّعي الدّءُوب، والجُهد المُتواصلِ، والعَمَلِ الجَبّارِ، والرّغبة الجادّة في القَضاءِ علَى المُسلمين، وتقويضِ حصن الإسلامِ، وإصابة أتباعه بالعَجْزِ، والخُبولِ، والمُجونِ حتّى يتسافَدُون كما تتسافدُ البهائمُ في الطُّرُقات، وانتشرَت مع ذلك جرائمُ اختطاف الإناثِ وإغتصابهنّ حتّى الأطفال دُون العاشرة من العُمر.

وجَلَسَت الفتياتُ بمحْضِ إرادتهنّ علَى المَقاهي يُدَخِّنَّ الشِّيشة، ويتعاطَينَ المُخدّرات، وحُبوب الكيف، ويَبِتْنَ في المَلاهي والكازينُوهات حتى السّاعات الأُولى من الصّباح التالي في غيبة تامة لدَوْرِ الأُسَرِ التربوي الرقابي التعليمي، ويشهدُ على ذلك سائقوا التاكسي في أعْرَقِ عواصمِ العالمِ وفي أشهرِ شوارعِها السِّياحية – وللحديث بقية .

المُهم أنّ الماسونية نَجَحَت في تحقيقِ أهدافها، وتمكّنت من جَنْي ثمارِ أطماعها فوق أرضنا الطّيِّبة، حتى أصبحنا نبدُو وكأنّنا لا نحنُ عرب ولا نحنُ مُسلمون.

(٢١٦)

ولقد استخْدَمَ المحفَل الماسُوني الأعْظَم في الشّرق أسلحةً ماضيةً تمكّن بفضلها من المُشارَكَة على تحقيقِ مُجْمَلِ مطامعه، وكان سلاحُ التّبشيرِ أحد أخطر وأهم تلك الأسلحة كونه جاء يحمل معه عقيدَتين تحملهما طائفتان في رؤوسها.

الأولى: تعمل في مجال تَنصير المسلمين علانية ومُجاهرةً بجُرأتها وتحدِّيها للقوانين الدولية المُتعارف عليها فيما يخُص حقّ الفرد المُطلق فى أن يعتَقد ما يشاء، تساعدها الأرصدةُ الماليةُ الضّخمةُ التي تُمولُّها مصادرُ أجنبية عديدة معلومة للجميع.

الثانية: تعمل في خُبث وتَوْرِيةٍ لقهر المُسلمين، وإذلالهم وتجويعهم، وتحْديد نسلهم، وتهميش دوْرِهم...إلخ، ففي كتابه (الطّبيب في بلاد العرب) قال { بول هاريسون } لقد وُجدنا نحنُ في بلاد العَرَب لنجعلَ رجالَها ونسائَها نَصارَى.

وقال صموئيل زُويمر رئيس جمعيات التّنصير في مُؤتمر القُدس للمُبشرين والمُنعقد عام ١٩٣٥م، (إنّ مُهمة التّبشير التي ندَبَتكُم الدُّول المسيحيَّة للقِيام بها في البلاد الإسلاميّة لَيست في إدخال المُسلمين في المسيحيَّة فإنّ في هذا هدايةً لَهم وتكريماً، إنّ مُهمّتَكُم أن تُخرجوا المُسلمَ من الإسلام ليصبُح مَخلُوقاً لا صلة له بالله)

ولا حَرَجَ فى التّأكيد علَى أنّ هؤلاء فى مسيس الحاجَة إلى مَن يُنصّرَهم ويُبَصِّرَهمُ بعقيدتهم التى ضلُّوا طريقَهَا، وليتَهم ينشغلون بالبحث في أُمور المحبّة والسّلام التى تركَهم عليها السيِّد المسيح ﷺ ليستَبينُوا الطّريق الذى ضلُّوا، وعنهُ أضلُّوا، بدَلاً من الانشغال بتنصير المُسلمين وهو العمل الذى لا يُنتج سوَى العُنف والعُنف المُضاد، وهو كذلك الأصل فى تأجيج ما يُعرف بصراع الحضارات الذى لا يَعْرِف للحوار لُغَةً غيرَ حوار الدّبابات.

إنهم جميعا يتّفقُون ويعمَلون على إخراج المُسلم من دينه ليُصبح مخلُوقاً لا صلة له بالله، ومن ثّم يفقدُ الصّلة التي تربطُه بالأخلاق، ليجيء النشءُ الإسلامي مُطابقا لما أرادوُه له، فيصبح غير مُهتم بعظيم الأُمُور، ويحبُّ الخُلودَ إلى الرّاحَة، ويُدمن الكسلَ، ويسعَى للحصول علَى الشّهوات البهيمية بأي أسلُوب. حتى أصبحَت الشَّهواتُ والاستمتاع باللّذات هَدَفَه في الحَياة .

ولمّا صَارَت الأُمورُ إلى هذا الحدِّ المؤسف، وأضْحَى المسلمون علَى هذا التَّحوُّل الخطير، حتى انزلقَ فيه البعضُ عن قناعَةٍ أو في غيْبَةِ الوَعْي ، أظهر الأعداءُ أحدثَ

الطّبعات علَى آخر الصّفحات، وأخرجُوها في العَلَن، وأطلقُوهــا صــيحاتٍ جذّابــة، وشعارات برّاقة جذَبت إليهم المُغفّلين الذين حملُوا ألويتَهم في نَــشوَة وبهجـــة ، بَــل وأضحوا وهم يُدافعون حتى الاقتتال البَيني فيما يجب أن نُسميه حَقّاً البهائم العاملة.

وبذلك تهيّأت الأرضُ تماماً، وتجهّز المُزارعون لغرس شتلات أحدث الإبــداعات التي تُنكر فكرة وجُود ربِّ الأرض والسماوات، وباتت البيئةُ حاضرةً مهيّأة لاســتقبال الدّعوة الجديدة.

ب:- الْعَلْمَانيَّةُ:

الْعَلْمَانيّةُ: هي الدّعوة الجديدة، بفتح العَيْن، وسُكُون الّلام، وترجمَتُها [الدُّنيويّــة أو اللاّ دينية] وهي دعوةٌ غايتُها إقامة الحياة علَى غَيْر دين.

وفي الجانب السِّياسِّي: **تعني اللا دينيّة في الحُكم.**

وهي اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم أو المذْهب العلْميِّ، بدأت في أورُوبًّا كُنواةٍ لاستقطاب العالَم وقياداته من خلال هذا المذهب الفَوضَوي، وقد انتشَرَت العَلَمَانيةُ فــي الأقطار بتأثير الاستعمار، والتّبشير، والشُّيوعية، وقد اتّسع انتشارُها، وتبلْوَرَ مَنهَجُهــا، ورُسمت سياسُاتها، وتحدّدت أفكارُها في مُعظم دول العالم، خاصّــة العــالَم العرَبــي والإسلامي الذي باتت قياداتُه تَتَفاني في سَبيل الدّمج في نظام اللاّ نظام المُسمّى النِّظام العالمي الجديد الذي قاعدته العَلْمانية وأعمدتُه العولمة، أو الكوكبة قهراً في نظام الـــلاّ نظام واللاّ رتابة واللاّ شُمول.

ففي مصر: أدْخَلَ الخديوي إسماعيل المفتُون بالغرب القــانونَ الفرنــسي ســنة ١٨٨٣م، وقد تعطّل العملُ بالشّريعة الإسلاميّة مُنذ ذلك الحين وإلــى أحْيــان أُخــرى قادمة وأمْسَت مصرُ علمانيةً ***ولا حوْلَ ولا قُوّةَ إلّا بــالله***، وعلَــى غــرار مــا فَعَــلَ العلْمَانيُّون فى بريطانيا، وفرنــسا، والــدانمارك، وأمريكــا، والنــرويج، وروســيا، وتركيا...إلخ ، خَرَجَ علَيْنا مَسؤُلون حُكوميُّون ووزراء مُعاصرون يتّهمُونَ الــشّريعة الإسلامية بالتّخَلُّف والرِّدَّة، ويرمُون المُحجّبات بالخَبَــل الفكْــريِّ واللّــوث العقْلــي، ويدعون إلى أمركة السلُوك وعولَمَة الأخلاق، والتّنصُّل من المَوْرُوث الثّقافي البــالي المُسمّى بالشّريعة الإسلامية كما سَبَقَ لأسلافهم أن طعنوا فى القرآن الكــريم وسَــبُّوا الرّسُول المصطفى الأمين.

(٢١٨)

وكأنّ هؤلاء وهؤلاء لم يقرأوا قَوْلَهُ تَعَالى: ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾{ النّور: ٣١ }

وبناءً عليه يتعيّن علَى نسائنا وهُن (الزّوجة، والأُخت، والعمّة، والخالَة، والبنت، ...إلخ) ممن يستُرن أنفسَهُن بالحجاب أن يُثْبِتْنّ سلامَتَهُنّ العقلية من كُل لَوثٍ أو خَبَلٍ، وأن يُبَرْهِنّ على براءَة صحتهِنّ النفْسية من كُلِّ سُوءٍ ليُؤكِّدْنَ علَى استوائهِنّ ويُمسين مُؤهّلاتٍ لاستيعاب " الثّقَافَة الجَديدَة " ثقافة العرْض المجّاني لأجسادهِنّ في مُسلسلات الهَوى، وأفلام المُجون، ويبِتْنَ ساهراتٍ حتى الصباح يرقُصن في ليالي الأضواء إياها، وكذلك يتعيّن عليهِنّ بالأصالَة أن يُثبتن سلامةَ أجسادهن، وقُوّتهن حتى يتمكَنّ من مُبارزَة الله جل وعَلا بالمعاصي وسُوء العَمَلِ ـــ أيْ في الجُملَة ـــ إعلان الحَرْب على الله تعَالى حرْبًا من غير هوادَة، وصدق الله العظيم القائل ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۞ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾{ آل عمران: ٢٠:١٨ }

وفي الهند: ١٧٩١م. كانت الأحكامُ وفق الشريعة الإسلامية، ثُمّ بدأ التّدرُّج لإلغاءِ الشريعة بتدبيرِ الإنجليز.

وفي الجزائر: كان إلغاءُ الشّريعَة عقبَ الإحتلال الفرنسي سنة ١٨٣٠م.

وفي تونس: أُدخل القانون الفرنسي سنة ١٩٠٦م وفي المَغرِب ١٩١٣م.

وفي تُركيا: لَبِسَ الأتراك ثوْبَ العلْمانية عقب إلغاء الخلافَة، وإستقرار الأمُور بيدِ **السّفّاحِ** +مصطفى كَمال+ المُسمّى زُوراً وبُهتاناً " أتاتورك " ــ أيْ ــ" سيد الأتراك " سنة ١٩٢٣م .

وفي العراقِ والشّام: أُلغيت الشّريعةُ أيامَ الخلافةِ العُثمانيةِ، ومــع ثُبُــوت أقــدامِ الاستعمار الإنجليزي الفرنسي.

وفي معظم إفريقيا: حيث امتلكت نَوَاصي الأمُورِ فيها حُكوماتٌ نَــصرانية، بعــدَ رحِيل الاستعمار خاصّة فى الأمصارِ التي كانت تخضعُ للسيّادةِ المصرية.

ومن ــ دُعاة العلْمانــيةِ في مُحــيط عالمنـــــا الإســلامي (ميــشيل عَفْلَــق) مـــــؤسِّس حزبَ البعث في سُوريا والعراق، وميــشيل ســماحَة، كمــال حُــوراني، والمُلقّب عميدُ الأدبِ العربي (طه حسين)، وصاحب دعوة تحريرِ المــرأةِ (قاســم أمين)، وأنور السّادات وشعارُه (لا دين في السياسة ولا سياســة فــي الــدين)، و" جمال عبد الناصر" بطلُ ما يُسمّى بالقومية العربية التي أنشأها الاستعمار للقضَاءِ علَى أيةِ مُحاولَةٍ لقيامِ الخلافة من جديد، ولإجهاض أيّةِ فكــرةٍ لقيــامِ مُنظّمَــةٍ أو جامعَــةٍ إسلاميةٍ، وقد أنشدَ شاعرُ القوميةِ العربيةِ الشّاميِّ المَنشأ أنُشُودَتَهُ التى تدعُوا إلى قيــامِ أي شكْلٍ من أشكالِ الوحدَةِ العربيةِ أو الإقليمية عدَا الوحدَةِ الإسلامية حتى وإن الكُفــر سبيلهم لها، إذ قال شاعرُ القومية إياها مُتغنّياً فيها:

سَلامٌ علَى كُفْرٍ يُوَحِّدُنَا * وأَهْلاً وسَهْلاً بَعْدَه بجَهَنّم

ومن أمثالهم فى آسيا الإسلامية "سُوهارتو ، وسوكُارنو" في أندونيسيا ، "ونهــرو وغاندي" في الهند ، "وبرويز مشرف " في الباكستان وأنطوَان سعادَة ،وغيرهم.

وقد تميّزت هذه الدّعوة بما يلي :-

* بعضُ العَلْمانيين يُنكرون وُجُودَ الله أصلاً، ويقولُ المُؤدّبُ مــنهم أنّ الله فِكــرةٌ غير مطروحة.

* بعضُهم يُؤمنُ بوجُودِ الله لكنّهم يعْتَقِدُون بعَدَمِ وجُود أيّةِ علاقةٍ بــين الله وبــين حياةِ البَشَرِ.

* إقامة الحياةِ علَى أساسِ مادّيٍّ وعلَى غيرِ دين.

* فصلُ الّدين عن السياسة.

* نشر الإباحية والفوضَوية الأخلاقية وتهديمِ كيانِ الأُسرةِ.

كما أنَّ للعلمانية في عالمِنا الإسلامِي والعربِي لَمُعتقداتٍ ساعدَ علَى انتشارها كُلٌّ مِن الاستعمار الغربِي وإرساليّات التبشيرِ كل بحسب طبيعةِ الأدوارِ المنُوطة بـــه ومِن أهمِّها:-

* الطّعن في حقيقةِ القُرآن والنُّبوّة.

* الزّعم بأنّ الإسلامَ استَنْفَدَ أغراضَه، وهو عِبارة عن طُقُوس وشَـــعائِر رُوحِيـــة فقط.

* الزّعمُ بأنّ الفقهَ الإسلامي مأخوذٌ عن القانون الرُّوماني.

* الزّعم بأنّ الإسلامَ لا يتلائَمُ مع الحضَارة، ويدعُو إلى التخلُّف.

* الدعوة إلى تحريرِ المرأةِ وفقَ الأسلوبِ الغربي حيث تكـــونُ الانطلاقـــةُ نحـــو الإباحية، والحُرية، والفوضوية الجنسية والأخلاقية، والتأكيد على حُقوق الشّواذ.

* تربيةُ الأجيالِ تربيةً لا دينيّةٍ بعد خُروجِ الأُمِّ عن دينِها وأخلاقِها وبَيْتِها، ولليهود دورٌ بارِّزٌ في ترْسيخِ مبادئِ العَلْمَانيةِ من أجلِ السّيطَرَة، ومِن أجْلِ إزالةِ الحاجِزِ الدّيني الذي يقفُ أمامَ اليهُودِ حائلاً بينهم وبينَ أُمَمِ الأرضِ.

أمّا العلمانيون العَرَب فإنّهم فئةٌ من الناسِ تُحار فيهم الألبابُ، وتـــضطّرِب لَهـــم الخواطِرُ، وتُثار الإرهاصاتُ بسبب ما رأيناهُ منهم من إمكانـــاتٍ هائلـــةٍ فـــي تغْييـــرِ جِلدهِم، وتبايُن ألسنَتِهم، والجُلوس علَى كُلِّ الموائد.

فمِنهم مَن ولّى وجهَه شَطْرَ البيتِ الأحْمَرَ بعد أن وَافقَ الإتحادُ السُّوفيتي علَى تمويلِ مشرُوع السّد العالي، ومثـــلّوا في رأيي الحرسَ الـــقديم، ولمْ تلبثْ جلُودُهم أن تبدّلت للتّكَيُّفِ مع دعوةِ الاشتراكية التي أطلَقَهَا جمال عبد الناصر، وآمنوا بعقيدَةِ الإتّحاد الاشتراكي، ودافعُوا عنها، وركب من أفلَتَ منهم مِن اعتقالات ثَورة التصحيح "الساداتية"في ١٩٧١/٥/١٥م عند مطلع حُكم السّادات قِطَارَ التّصحيحِ كما قِيل، وقد تمكّنوا مِن احتلالِ مراكزَ مُتقدمة في كراسِي السُّلطة، أمّا المُشتغلِين منهم بِالعملِ الصّحفِيِّ فقد ثُبِّتَتْ لهم أعمدةٌ ثابتة في واجهاتِ الصُّحف، ومنهم مَن اعتَلى المنابِر التي استحدَثَها الساداتُ، ثم إتّخذوا مِن التعدُّدية الحزبية قميصاً جديداً، وسُرعان ما صفّقوا وهللوا للانفتاح الاقتصاديِّ والأخلاقِيِّ والإعلامِيِّ علَى الغربِ.

ولم يلبث هؤلاء جميعا أن خلَعُوا ملابس الاشتراكية، كالثّعابين تُغَيِّرُ جِلْدَهَا مــن جديد لِمُسايرة ركْبِ الرأسمالية الوافدة، واللّعب علَى وَتَر اقتصاديات السُّوق، وسُرعانَ ما طارَدتْهُم الفضائح الشّهيرة عبر وسائل الإعلام والصّحافة الحُرّة الجريئــة، التــي كَشَفَت عن إغراق الأسواق بالسلع المستَوْرَدَة الفاســدة، مــن الأســماك، واللُّحُــوم، والدّواجن، كما أدخَلُوا لَبناً للأطفال يُشتبهُ فى تشبُّعه بالإشعاع النّــووي، وأكلنــا فــي عَصْرِهِم الجُبْنَ الأبيضَ المخْلُوط ببودْرَة السِّيراميك والقيــشاني، وكــذلك لــم يــسْلم المَرضَى من تناوُل الأدوية مُنتهية الصّلاحية أوْ تلك التى تَمّ إنتاجُها فى بعض الدول الأوروبية خصيِّصاً من أجل تدمير عضلة القلب وإصابة المُسلمين والعرب بمــرض ضَغْط الدّم المُرتفع (hyper tension) وأنا واحدٌ من هُؤلاء الضّحايا.

ثُمّ عَبَرَ بهم الفَسادُ إلى كثير من المواقع والمُختلف من الميادين، واجتازَ الصِّعابَ من الموانع حتى تغلْغلَ في الضّمير الإنساني. فسُرقت مــوادُ البنــاء، وأُدخــل إلــى الإنشاءات الأسمَنت المُستورَد الفاسد فانهارَت المدارسُ على التّلاميذ، وتهدّمَت الأبنيةُ الحديثة علَى مَن فيها، وظَهَرَت مافيا مجالس الإدارات فــي المــصانع والــشّركات، وظَهَرَت المحسُوبيات، وانحصرت دائرةُ التّعيينات لأبناء السّادات والسّيِّدات، وظَهَرَت علَى الملأ فضائحُ تخريب وتدْمير الاقتصاديات الوطَنية، وضرْبها في مَقْتــل، وبــات أكثر من " ٩٠٠٠٠٠٠٠ " (تسعين مليون) شاب عربي فى ذمة حُكُوماتهم مُتَعَطِّلينَ عن العَمَل، وظهَرَت فضائحُ نُوّاب القُروض، ووُزَرَاء الائتمان، وبَرَزَ تُجار الكيــف، وأضْحَى الهاربُون من التّجنيد مُشرِّعين للأمة، وطَفَت علَى السّطح كلُّ أوْجُه الفَساد.

وقد أدّى ذلك بدَوْره إلى ظُهور آفات اجتماعية خَطيرَة، هي في مُجملهــا بعيــدة تماماً عَن التركيبة الثّقافية والاجتماعية لمُجتمعاتنا الإسلامية وشمائلنا العربية الأصيلة.

إنّ هؤلاء وهُؤلاء أعداءٌ للدِّين والدُّنيا بالضّرورة، غير أنّ منهم مَــن يُظهــرُون عداوتَهم عَلَناً، ويُجاهرونَ بها مثل العَلمَانيين الأتْراك، ومنهم مَــن يُخْفُونَهَــا إيثــاراً للسّلامة كما هُو الحالُ في عالمنا العربي.

إنّ هذه الأقليّة العَلمانية رغْمَ سَطْوتهم علَى المنابر الإعلامية الرّسمية أو الحزبية أو المُستقلة إلاّ أنّهم لا يزالُون نَكرَةً في الشّارع السياسي، حظُّهم الرفضُ من الأغلَبيّــة الواعية، رغم تشدُّقهم بأنّهم دُعاة سَلام، ورغم الإعــلان عن أنّهم مُؤسِّسون لجمعيات

ومُنظّمات السّلام، وأنّهم أنصار الحُريّة، وهُم المُقــاتلون دفاعــاً عنهــا، الــضّامنون لتوْصيلِ الدّعم لمستحقّيه من معدُومي الدّخل البالغة نسبتُهم حوالى٨٥% من النّــسيج الاجتماعي في عالمنا الإسلامي، الأمر الذي أدّى إلى فَساد الذِّمم، وتخْريبِ الضّمائر، واستحْلالِ ما للغَيرِ من أماناتٍ أو حُقوق، حتى وصلَت بنا الأحــوالُ إلى حَــدٍّ قــــيام أحد مُوظفي وزارة التّمْوينِ في إحْدى مُحافظات مصر والمُلقّب طبقا لطبيعــة عَمَلــه (أمين مخازن) وهــو في الحقيقةِ خائنٌ لأمانتِه، غير أمينٍ في عملِه، حيثُ قامَ غير الأمينُ بسرقة القمحِ المخصّصِ لصناعةِ رغيفِ الخُبز المُدْعَم "" العيش "" الــذي فـــي عُهدته بالمخازنِ، واستولَى عليهِ وباعَه لحسابه الشّخصي ثُمّ قامَ بتعبئة الأجولة رَمْــلاً أصفَر، ولم يلبَث أن افتُضح أمْره، وأُحيلَ إلى النيابة التي باشَرَت التّحقيقَ .

وقد ابتلى اللهُ تعالَى هذه الفِئة الضّالة {{ مَن عبدُوا هواهُم }}، فأصابتهُم الوجيعةُ، وأحلّت بهم الفجيعةُ. حيث ظهَرَ من أبنائِهم عبــدةُ الــشيطان، ومُــدمنوا المخــدّرات، وانتشرَ بينهم الشُّذوذُ، وابتُليت بناتُهم ونساؤُهُم بالفَسَادِ الفاضح في صــالاتِ الدِّيــسكو الشّهيرة (ديسكو بنات الزّوات) حيثُ الرّقصُ، والمُجُون، والرّذيلــة، والفُجــورُ حتــى الصّباح، وارتادَت نساؤُهُم أنديةَ {{ الروتاري، واللّيُونز، والأليانس }}، وبتن عُضواتٌ فاعلات في جمعية { براي بريث }، ورَشفْنَ كــؤُوسَ الهوَى في البارَاتِ والخمّارات، وتَمَايلْنَ في المَلاهي والكباريهات، وخَرَجْنَ في الشّوارِع يُعْلنّ عَن مفاتنِ أجــسادهِنّ وهُنّ كاسياتٌ عارياتٌ، مُميلاتٌ مائلاتٌ، يخطُبنَ الفُجورَ، ويمارِسْن الفحشاءَ والمُجون (واللهُمّ لا شَمَاتَةَ).

هذا التّجمع العَلْماني المحْسُوب علَى المُسلمين، عملاً بموجب البيانــاتِ المُــسجّلة بِخانة الدّيانةِ بالبطاقَة المدنية لا أكثرَ لكُلٍّ منهُم ، وقد التقُوا جميعــاً مــع الماسُــونيين العَرَب، وكوّنوا فيما بينهُم غطاءاً شرعيّاً لإرساليات التّبشير المسيحي، كــي تُمــارِسَ عملَهَا بحُريّة تامّة تحقيقاً للمُخطّط الاستعماري وتأكيداً لأهدافــه وترجمــةً لوســائله المُستحدثة والمُسمّاة (حوارُ الأديانِ)، والأديانُ السّماويّةُ منهم بَراء .

لقد اتّفقُوا فيما بينَهم علَى مُناهضة كُل ما هو إسلامي مُناهضةً جبّارة، وردّدُوا ما قالَ الغربُ الاستعماري عن ربْط الإرهاب بالإسلام، بل اعتنقُوا تلك النّظريةَ وآمنــوا بها بقُوَةٍ، ودافعُوا عَنها باستماتة.

ثُمّ اتّفقُوا علَى دسِّ السُّم في العَسَلِ، واستخدَموا لتحقيقِ أغراضهم المُتاحَ وغيــر المُتاح، المُمكن وغير المُمكن، فانتشرَت صناعةُ الفضائيات، واستوردُوا لأجلهـا مـا يُسمّى الأطباق الفضائية (الدّش) التي تقف شامخةً علَى سقفِ العشَشِ في الرِّيــف، والأبراج في الحــضَرِ علَى السَواء، هذا غير الفَساد المجّاني الذي تبثُّــه القنــواتُ الأرضيةُ علَى مدارِ السّاعة لإيصالِ الفُجور والفَساد إلى أماكنِ التجمُّعات، وإلى كُــلِّ بيت، ليقتَحمَ علَى النّاس غُرفَ نَوْمِهم، وليفْعَلَ فعلَ السِّحرِ في عُقول الشّباب والفَتَيــات المُفتقرينَ إلى المَناعة الدينية والأخلاقية والتربوية، ويضعُهم جميعاً علَى حافّة الهاوية ونحنُ معَهُم. بسبَبِ الإصرارِ علَى إيصالِ كُلِّ أوْجُــه الفــساد، وأشــكاله، باســتخدام الدّعوات المجّانية للإباحية والمــُجون التي يتمكّن الرّاغبُ بواسطتها من الانتقالِ مــن مشهد جنسي إلى مشهــدٍ جنسيٍّ آخَرَ، وهذا هو مرضُ الانحلال العام الذي سادَ فــي زمن ما يُسمّى صناعة الــسِّينما وثقافــة الفــضائيات، لأن الرّقيــب علَــى الإنتــاجِ والمعروضِ في حاجةٍ إلى من يرقُبُه أو يُرَاقبه، لأنّ مقصّه قد انكَسَر، وعيناه لم تَعُــد تَرَى غير مُنتجات غسيلِ المُخ من (كُورة، وجنسٍ، ومُخدّراتٍ) وتــدْريسٍ للجَريمَــة علَى أصُولها، وتلك في حقيقتها هي هَوَسُ الشّبابِ الماجن من الجيلِ الضّائعِ.

هذا غير هَيافة الإعلاناتِ التي تعُجُّ بالإسفافات، بالإضافة إلى دواليــب العــرضِ الزُّجاجية [الفاترينات] التي لا تخدش الحياءَ فحسَب، بل تُــصيب الأذواقَ بانتكاســة حادّة لما تُقدّمُه من أفعالٍ فاضحةٍ في الطُّرقات العامّة بعرضها لأخَصِّ خُــصوصياتِ الملابس الدّاخلية للمرأة بشكل مُنفِّرٍ فاضحٍ وواضحٍ ، وبصُورةٍ مُقزّزَةٍ ومُنفِّــرَةٍ ، ولا حَرَجَ أن يعرض هذه الأشياءُ على السّيدات داخل المحلاّتِ رجُلٌ لا سَيِّدَةٌ . """ ألا لعنة الله """.. . .

ولكن أمَا آن الآوانُ أن تُقيم حُكوماتُ العالمِ الإسلامي" إن كانت كذلك " سدّاً مَنيعاً أمامَ هذه السِّيول الجارفة من الصِّناعات العَلْمانية المُسجّلة ســواءٌ منهــا المحلِّــي أو المُستورَد خاصّة الأفلام التي تحوي الكَثيرَ من مشاهدِ الجِــنْس، والقَتْــل، والعُنــف، والسّرقة، والجريمة المُنظّمة علَى أُصولها ؟!!!

أمَا آن الآوانُ أن نُشكِّلَ جهاتٍ رقابية فاعلة وصارمةٍ وصالحة، تكُون لَها القُــدرةُ علَى مُــعالجَةِ المَوادِ التي تنشُر الخَلاعَةَ والفسادَ والاستهتارَ في كُلِّ الأوساط، وهي

تستهدف بالأصالةِ الوَسَطَ المُتَدَيِّنَ كُلّه، والأجيالَ الجديدة بوجْه خاص.

أما آن الآوانُ أن تُغلق حكوماتُنا الإسلاميةُ والعربيةُ الصُّحفَ والمَجــلاّتِ التـــي تستعملُ الفضائحَ ، وتُروِّجُ لها، وتنشُرُ الصُّورَ الخلاعية التي تُثيــر غرائـــز الـــشّباب طمَعَاً في تحقيقِ نسبة التّوزيع، وزيادَةِ المبيعاتِ القياسية التنافُسية مـــن أجـــلِ شـــفطِ العائدات ؟

أما آن الآوان لِمنْعِ المُثير من البرامج علَى شاشات التِّلفاز، وحَذْفِ أو منعِ فقَراتِ الرّقص الشرقي والغربي الذي لا يُرجَى منـــه إلاّ إثـــارةُ الـــشّهواتِ البهيميِّـــة لَـــدَى المراهـــقين والمُراهقات لإنقاذهم مِن الإصـــابةِ فـــي الـــنّفس والأخـــلاقِ والـــسُّلوك.

أمَا آن الآوانُ بَعد الصّيحة الكُبرى، وما قِيلَ عَن النّهـــضة الكُبـــرى أن تتوحّـــدَ مجْهُوداتُنا، وتتصافحُ أيدينا، وتُخلصُ ضمائرُنا لِتَنقيحِ ما أصابنَا مِن عطْبٍ، وتـــصحيحِ ما حَلّ بنا مِن النّوائِب، وتخْليصِ ما اســـتقرّ مِن الرّواسِب، وكـــذلك للعمـــل بجديّـــة لِصالحِ العبادِ وسلامةِ البلادِ، ولن يتسنّى ذلك إلاّ بتصحيحِ مفاهيم الدِّين، وتصْويبِ مـــا اعوجّ مِن أمُورالعقيدة، ونحنُ نُؤكِّدُ علَى هوِّيتنا، ونُحقِّق شخصيّتَنَا العربية الإســـلامية قبل أنْ نُصاب بالتّسرطُن، أو يُدركَنَا الضّياعُ مع ما يفِدُ إلينا في إطارِ إعلاميٍّ وثقـــافيٍّ قهريٍّ فى إطارِ ما يُسمّى القرية الواحدة، أو الكوكبة، أو المواكبـــة. أو بتعْبيـــرٍ آخَـــرَ "" العوْلمة ""، وكلُّها تعبيراتٌ فضفاضَةٌ للصّنيعة الإستعمارية الحديثـــة التـــي أعـــدّتها وأخرَجتْها الولاياتُ المُتحدةُ الأمريكية والمُسمّاة (النِّظام العالمي الجديد) الذي يرمـــى إلى إصْهارِ الثّقافات قَهْرَاً، أوْ إدماجها طوْعاً، وإلغاءِ الدِّيانات قسْراً، ليعيش العالَمُ وهو مجموعةٌ من المُقلِّدين المُشابهين لِلبَبْغَاوَات أو المُتمثِّلينَ بالقُرداتية. ولكنّه مع ذلك لـــن يَصِلَ إلى شيءٍ رغْمَ قهْرِه تحتَ سُوط العوْلَمَة.

وفي إطارِ العَلمَانيّةِ التي سادَت، ظَهَرَ ما يُسمّى بالتّعليم العَلْمـــاني الـــذّي أقامَـــه المُستعمرُون بَعد أن امتنعَ المُسلمُون عَن الالتحاق بالمدارِس التي أقامَتهـــا الجمعيـــاتُ التّبشيريةُ في البلادِ الإسلامية، ثُمَّ أُقيمَت بعد ذلك الجامعـــاتُ العلْمانيـــةُ فـــي الـــبلادِ الإسلامية لِتحقيق هدفينِ أساسيّين:

الأول: تقويضُ العلُوم الشرعيةِ والدِّراسات الإســـلامية ، ومُناهـــضة جامعـــاتِ الزّيتونة ، والقَـــيروان، والأزهَر، وبَغـــداد، ودِمشق، والجامعةُ العالميةُ الإسلامية فى

الباكستان (شاه فيصل مسجد)، والجامعات الإسلامية فى المملكة الــسعودية، وفــى غيرها.... .

الثاني: إفسادُ نُظُم التّعليمِ صراحةً.

وتسلّلت صنائعُ العَلْمَانيين والماسُونيين فدخَلَت كلَّ البُيوت، وأصــبحَ المُــسلمون علَى ما أمسوا عليه من الالتفاف حَوْلَ الشّاشةِ يَهيمُون في عالَمٍ من الصُّور، وانحَصَر تفكيرُهُم فيما ستفــعلُه الذِّئاب فوقَ الجــبَلِ مع ابن العَمِّ بــدّار، وآخــرُون يُطلقُــون العنانَ من غير"" كُوفي"" فيضعُون نهايةً مُبكِّرةً للحلقاتِ القادمَةِ التي لا يختلــف فيهــا موقفُ الأخ قَيْس مع ليلى، أو الأخ أدهم مع صاحبِه بدران.

وانصَرَفَ المُسلمون بعيداً عن رُوح الإسلامِ وتعاليمه ومنهجِه، فالمَدَارس تُلــزم التلاميذَ بحفْظِ قطَعِ النّثر والشِّعرِ من إنتاجِ المدَرسَةِ الرُّومانسية وعلَى وَجْه التّحديــد منها ما يُسمّى " أدب المهجر" الذي كان مولِدُهُ علَى الأرضِ الأمريكية تحْديداً، حيــثُ كان مُطران، وجُبران يعيشانِ، كما يُطلقُون للتلاميذِ العنَــان فــي التّخَيُّــل والرّسْــمِ، وصــناعَة التماثيل فى مادّةِ التّربيةِ الفنيّة " الرّسم " ويهمّه من ذلك مجْمُوع الدّرجات، أمّا العُلومُ الشرعية فقد تمّ تنحيتَها، وتراجَعَت الموادُ الدِّينية الإسلاميةِ والمــسيحية ولا يَهُمُّ مجْمُوعُ درجاتِ الامتحانات فيها لأنّها لا تُضاف إلى درَجَــاتِ المجمــوُعِ الكُلِّــي المُؤَهِّل للتّعليم الأرْقَى والفُرص الأفْضَل، وهو ما يُؤَكِّدُ علَى أنّ الْعَلْمَانية لا تقُــومُ إلاّ علَى أطلالِ الأديانِ، ولا تَعيشُ إلاّ علَى دنــيءِ الأفكــارِ والــسُّموم الناقعــاتِ مــن المُعتقدات.

٢ * الأحْبَاشُ " فِرْقَةُ الأوْبَاشِ ":

تُسمِّي نفسَها (جمعية المشاريعِ الخيريةِ الإسلاميةِ) وهي فِرقةٌ ضــالّة تَنْتَــسب لمُؤسِّسها الضَال (عبد الله الحبشيِّ) الهرريِّ من بلاد هرر التــي اســتولت عليهــا الحبشةُ بعد أن انسحبَ منها الجيش المصري تحتَ ضغطِ بريطانيا.

وقد استطاعَ هذا الرّجلُ أن يُكَوِّنَ فِرْقَتَهُ في أثيوبيا (الحبــشة) تحــت رعايــةِ الاستعمارِ، واليهُوديةِ العالمية، واندسّ رفاقُه داخلَ المسلمين لتفريق الصّف بين أهــلِ السُّنّة والجماعة، واتّبَعه الكثيرون ممّن باعوا دينَهم وضــمائرَهم لتنفيــذ المُخطّطــاتِ اليهودية والاستعمارية، ودُعاة الباطل.

والأحباشُ فرقَةٌ ضالّة ومُضلِّلَةٌ، تتّخذُ من لُبنانَ مرْكزاً رئيسيّاً لها، ولَهَا ما يُقاربُ أربعينَ فرْعَاً في دُول عدّة منها:(الأردن، استراليا، السويد، فرنسا، سويسرا، أمريكا، بريطانيا، بلجيكا، روسيا، ألمانيا... وغيرها).

وقد قدم عبد الله الحَبَشي إلى الشّام سنة (١٣٧٠هـ-١٩٤٩م) تقريبـاً لينفُـثَ سُمومَه القاتلةَ بَعْدَ أن نَشَرَ عقائدَهُ الفاسدة ، ودعاويه الباطلة في بلاد الحبَشة، وحارب أهلَ التّوحيد فيها، وتعاونَ مع حُكّامها الظَّلمة في إغراق مدارسها السّلفية، وتسْليم مَن يُخالفُه من الدُّعاة إلى حكُومة الطّاغية هيلاسلاسي، حتى أطلَق عليه النـاس (شـيخُ الفتنة)، وفي دمشقَ لم يجدْ المرتعَ الخصب، أو المنـاخَ الملائـم لتـرويج بـضاعته الفاسدة لانكشاف أمْره، وبيان قَصْده بفضل فطنة أهل الشّام، خاصّةً أهلَ الفضْل مـنهم أمثال الشّيخ : "" مُحمّد ناصر الدّين الألباني "" ، حيثُ تصدّوا لـه جَميعـا بـالرُّدود الفاعلة علَى هرائه، وكذبه وافترائه، فانتقلَ إلى لُبنان، وهناك حيثُ أحفاد الفينيقِيِّـيِّن ، وسُلالات الأورُوبيين، حيثُ الهوَى والمُجون، والأشعار والرّوايات، والحَمْراوات فـي السّهرات، والشقراوات الفاتنات، مَعَ كَثْرَة الجُهلاء، وقلّة العُلماء ساعدَته ظُرُوفُه فـي تمْكينه من مطْلَبه وتحقيق عظيم مقصده .

وفي معرض جوابه للجاليَة الإسلامية اللبنانية باستراليا سنة ١٤٠٦هـ قال عنه سماحَةُ الشّيخ عبد العزيز باز (أنّ هذه الطائفةَ معرُوفةٌ لدينا فهـي طائفـةٌ ضـالّة، ورئيسُهم المدعُو عبد الله الحبشي معروفٌ بانحرَافه وضلاله ، فالواجـبُ مقـاطعتهم، وإنكار عقيدتهم الباطلة، وتحذير الناس منهم ومن الإسْتمَاع لهُم أو قُبول ما يقُولون).

وقد بدأ هذا الهرري الدّعوةَ إلى طريقته الشاذّة مُستَعْملاً أساليبَ الخُبث والمَكْـر والدِّراما بجذب النّاس، ولَفْت الأنظار إليه. مثل (**القَـصص، وحكايـات الخُرافـات، وتأويل الرُّؤى**) وذلك في أماكن التجمـعات، والمقاهي، فالتفّـت حـولَه جمـوعُ النِّساء، والشّباب، وأضحَى الرِّعاعُ من الناس يتهافتُون عليه، فعنده يجدُون ما يـرُوق لهُم من الفَتاوى الكاذبة، والأباطيلَ الزّائفَة.

وقد عرضَ الأحباشُ لمذهبهم الذي لاقَى رواجاً هائلا في تلك الأوساط المُنحلّة من ذَوى العُقول الخَربَة .

وكانت أهم دَعاويهم الضالّة ما يلي :-

● إجازة الزّنا بنساءِ أهلِ الكِتابِ نكاية في دِينهن!، ولأنهنّ نقضْن عهدَ عُمـر ﷺ، وهذا ما يكشف عن التّأثر الشّديد باليهودية عقيدةً وسُلوكا، حيث المُجتمع اليَهُودي، يعتبر المرأةَ محورَ حياته، فالرُّجُلُ عليها طارئٌ – المُهم أنّ هذه المرأة أو تلك تَقود الرّجُل إلى حيث شاءت، وقد أخرجتْهُ من بيته ودينه، حتى تحصُل منه علَى النُّطفة – مُجرّد النّطُفة – ولا يهم بِمقدار أن يكون صاحب النُّطفة مجُوسيا أو مُسلما، وإن كَان مُسلما فذلك خيرٌ، لأنّه آنئذٍ يتم التحقّق من خُروجه عن دينه وهذا هو بيت القصيد.

ولكِنّ الأهمّ هُو مُعالجة قِلّة عددِ اليهُود، ودعْم نسْلهم وتَحْسِين سُلالاتهم بواسطة التّهجين أَوْ قُل التّلقيح الحَيَواني. ولأنّ المرأةَ عِندهُم مُجرّدَ وعَاءٍ للإنجاب " أى " معمل مَعْمَلٍ لِتَفْرِيخِ الولدانِ اليهُود، باتَت وهي سيِّدةٌ عظيمةٌ، وسيِّدةٌ أُولى، وسَيِّدَةُ مُجتَمَعٍ كونها تُخرج المُسلمَ عن دينِه، فتحْبَلُ منهُ ثُمّ تَضعُ مَوْلُودَهَا مجّانا لِليَهُود، ثُمّ تُرضِع الولِيدَ الحِقدَ والضّغنَ علَى المُسلمين خاصّة، وعلَى العالمِ من حَوْله عامّة(عدَا اليهُود)، وعليه تكون المرأةُ عندَهُم هى محورُ الحياة فهى التى خَرَجَت فأخْرَجَت المُسلم عن دِينِه، وأخَذَت منه النُّطفة فحمَلَت، فَوَلَدَت، فأَرْضَعَت، ورَبّت من غير متاعبَ الزّواجِ، ومن دُونِ إرهاقٍ للدّولة أو ميزانية الأفراد، ثُمّ قدّمَتْهُ شابّاً يافعاً للمجتمع اليهودي، فيُعلِّمُونَه من حينه بعد ذلك عشقَ الذّهبِ وأصُولَ السّرِقَة والسّطوِ علَى مُقدّرات الشُّعوب التي لا يدَعُونَها تتربّح أَبَدَاً. ثُمّ يأتى بعد ذلك تكريمُ هذه الأُمّ المثالية فى التقليد المُتّبعِ والمعروف بعيدِ الأم، ولا مكان هَهُنا للأبِ لأنه المجهُول الذى ألقى النُّطفَةَ (وَفَلْسَعْ)، وتَرَكَها "وهى المظلُومة" لِمَتاعب الحمْل، والولادَة، والرّضاعَة، كما أكّد علي " ندالته" وألقى عليها وحْدَهَا مَتاعبَ التّربيةِ فى الزّمن الرّديء.

● يُهَوِّنُون من شأن المعاصِي مثل لمْس المرأة وتقبيلها، ومُفاخَذَتها، ومُباشرتها، إلاّ الإيلاج بِحُجة أنّ ذلك من الصغائر مما روّج لِمذهبهم وساعدَ علَى انتشاره بينَ أوساطِ الشّباب الذى فَقَدَ عَقْلَهُ وَخَسرَ نَفْسَه.

• يُجَوِّزُون الاختلاط بين الرِّجالِ والنساء في الـدُّروس والاجتماعـات، وفـي المسابحِ شبه عُراة، وذلك لأنّ عقيدتـهم تتشابَهُ مع الفِرَقِ الأُخْـرَى فـي تأويـلِ القرآن الكريمِ تأويلا باطلا وهُم بذلك يُحرِّفون الكلِم من بَعدِ مواضعِه ، فلهُم فـي قوله تَعالى: **﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾** [النُّور:٣١] ، ما يتّفِقُ مـع تفسير أهلِ السُّنّة والجماعَةِ مِن حيثُ وُجُوب ضَرْبِ الخِمارِ الفضفاضِ علَى صدرِ المرأةِ فلا يُظهِر محاسنَها، ولا يُبرِز مساوئَها وخصائصَها ومَفَاتنَها اتقاءً للفتْنَـةِ، ويقولُون بأنّ الآية الكريمة لو قُرأت: (علَى جُبُوبِهن) فهو ما يعني وضعَ النِّقابِ علَى الجباهِ " الوجهِ، والرأسِ، والصّدرِ " ليستُر الصّدر، والظّهْرَ، والبَطْنَ، وهـذا قولٌ حَسَن وفعلٌ حميدٌ، غير أنّهم أجازُوهُ بشَرْطِ مشيئَةِ المرْأةِ طواعيةً مِـن دُونِ إكْراه، علَى أن يكُون ذلك منها في الأسواقِ والطُّرقات – أى فـي الجملـةً عنـد خُروجِ المرأة ـــ، فإن أُكْرِهَت علَى فعلِ ذلك فَلَهَا الأجرُ علـى الطّاعـةِ وَعَـدَمِ التّمَرُّد، ومَن أكْرَهَهَا يصيرُ آثماً.

أمّا عند دُخولِ المرأةِ المساجِدَ والمسابحَ وجلْساتِ [[العلْمِ]] """ الـضّلال """ التي تنعقدُ بغَرَضِ الجَمْعِ والاختلاط الفاضحِ، فإنّهم يُروّجُون لِحـقِّ المـرأةِ فـي التّبرُّجِ على سبيلِ الوُجُوبِ، وكذلك يُعطُونَهَا الحَقّ في التحلُّلِ من ثيابها ما شاءَت، والتبرُّجِ، والتّزَيُّنِ والتّطيُّبِ قَدْرَ المُستطاع، لأنّ الله تعالى يُحبُّ الجَمَالَ على مجازِ أنّ أخاها المُسلم في مَعيّةِ الله، ممّا يَمْنَعُ حُصُولَ وقُوعِ عينـاه علـى مكـروهٍ أو مُحرّم، وبَعد التّحلُّلِ من الثياب يأتي التّحللُ الأخلاقي في عالمِ العَرْبَـدَةِ والمُجـونِ في عالمِ المسابحِ والمساجد عند الحبشية، حيثُ يحدثُ الاختلاطُ،، وتَقَع الفحـشاءُ، وَيُؤْتَى فى ناديهم المُنكَرُ، ويحلُّ البَغْىُ!، ولما لا وقد قال فضيلةُ الشّيخ "" كليـبّ "" بأنّ للمرأةِ أن تُصلِّى بالمَايُوه.

* إباحةُ الغناءِ والرّقصِ معَ قِراءةِ القُرآن، وإباحةُ إتيانِ المرأةِ من دُبُرها، ولهُـم في ذلك طقوسٌ خاصّة علَى أنغامِ المُوسيقى.

* يُجَوِّزُون الرِّبا مِن بُنوكِ الكفّارِ بزَعْمِ أنّه يجوز أخـذ مـالِ الكفـار فـي دارِ الحرب.

• إسقاطُ الزّكاةِ في العُملَةِ الورَقِيّةِ، وإيجابُها في الذّهب والفضة فقط.

* إباحةُ الدُّفوفِ والمزاميرِ في المَسَاجِدِ والمُناسباتِ، والاحتفالات والموالد، وما أدراك ما تلك الاحتفالات فى لُبنانَ، وليتَكَ تُعمل قياساً على مـا يكُـون مـن أتبـاعِ الصُّوفية في مثل هذا، وما ذلك كُله نُعدُّه غيرُ تَحْقِيرٍ لعظـيمِ دَوْرِ المـساجدِ، وإفْـسَادِ أجوائها الرُّوحانية والدِّينيّة.

* إباحةُ المَيْسرِ (اليانصيب) والقِمار بكُل أشكاله وألوانه وأَدَواته ونَتَائِجه، وغيـر ذلك من المُحرّمات.

وقد نجحُوا إلى حَدٍّ بعيدٍ بالتّعاوُنِ مَعَ زنادقةِ الغربِ الذينَ أخذوا عن الحبشيّة هذا السّبقِ الفريد. في إدخال هذه الصِّناعة الفاسدة إلى كُبرياتِ الدُّول العربية والإسـلامية وصغيراتها علَى السّواء، مُستخدمين في ذلك أسبابَ اللُّؤْمِ والخَبَاثة، والتي كـان مـن أخطرِ وسائلها تلك البرامج الخفيفَة الدّعائية التي بها تمكّنوا من الاستيلاء علَى أمـوالِ الغلابَة والمطحُونين، الباحثِين عن سداد الرُّمـق، فوقعُـوا ضـحايا لمـن خـدعُوهم بالمُشاركَةِ في سباق الثّراء السّريع، وقد وظّفوا برنامجا شهيرا ذَكيّا، وجنّدوا له واجهةً ذكيّة " مُذيعاً عربيا فينيقيّاً خَفيفَ الظِّل "، وقدّموهُ للنّاسِ تحتَ عُنوان (مَـن سَـيربح المليون) ولما آتت الفكرَةُ أُكُلَهَا، تَمّ مُضاعفة المليون إلى المِلْيُونَيْن ، لتتضاعَفَ بذلك فُرصَ السّطْوِ والسّيطرة علَـى أمـوال الأُميِّـيِّن المطحُـونين الحـالمين الطّـامعين "" بمزاجهم ""، وقد نَقَلَت إلينا الصّحافة العربية نبأً هو من أَسْوَءِ نتائج هـذا البرنـامج مفادُهُ أنّ رجُلا سعودياً طلّق زوجَه أمّ ولده بسبب ما وقع عليه مـن قيمـةِ اسـتهلاك فاتُورة التليفون المنزلي، حيثُ أجرَت زوجُهُ مُكالَمَاتٍ بَلَغَـت [[٩٠٠٠٠]] تـسعين ألف ريال سُعودي خلال ثلاثة شُهور فقط، علَى أمَلٍ منها بـالفوز بمُجـرّد دعوتهـا للتسجيل والتّسابُق فى محنة من سيربح المليون ثُمّ علَى أمَلِ الفوزِ بالجائزَةِ الحُلم .

وإذا كان هذا مثالٌ في بلدٍ عربي بترولي ثَريٍّ يُعد أبناؤُه من أصحابِ الدُّخول العالية فمَا بالك بما هو كائن بالمساكينِ المطحُونين الآملين الحالمين ممّن وقعُوا في براثن المُتاجرين بآلامهم وآمالهم .

وإلى جوارِ هذا البرنامج جاءَ استحداثُ أداةٍ أُخرى للنّـصب، رُبّمـا كانـت قـد سقَطَت خطَأً عند أهلِ اللُّغة وعند واضعي قواعدِ النّحو مثل سيبويه والزمخشري، إنّها أداة النّصـب في القامُوس الفهلَوي التي تعملُ عملَ أدواتِ النّصب غير التى تعلّمناها

فى قواعد اللغة العربية، لأنّها ليست إلاّ للنّصب علَى العباد من خلال رقَــمٍ تليفــونيٍّ شهيرٍ هو[٠٩٠٠] الذي تتمُّ برمجتُه وتأجيرُه أو بيعُه ليعمَل كذلك عملَ أدوات النّصب تحت شعارِ "" اتصل لتربح "". ومَن ذا الذي لا يُريــد أن يَــربح، فــالبعضُ يتــربّح، والكثيرون يخسَرُون علَى أملِ التربُّح السّريع بمجرد حلِّ الســؤال أثنــاءَ الاتــصال (بضربة حَظّ)، وبذلك تكون [٠٩٠٠] ، وما شابَهَهَا، هــي أدوات للنّــصب علَــى العباد، وصدق الله العظيم القائل **﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيــرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾** [البَقَرَة: ٢١].

* تتظاهر جمعية الأحباش بالتعليم الــديني، وبنــاءِ المــساجدِ والمــدارس، ومُساعدة الأيتامِ والفُقراءِ، وغير ذلك من أعمالِ البرِّ، مثلهم في ذلك مثل ما تؤدِّيه جماعةُ الصُّوفية، وباقي الفِرق التي تعتمد على هذه الأساليب في نــشْرِ أفكارهــا وعقيدتها ابتداءً بالأندية الماسونية ومحافلها، وما ذلــك غيــر شــعاراتٍ برّاقــةٍ، وشِراكٍ خداعيّةٍ يستخدمُونَهَا لابتزازِ أموالِ المُسلمينَ، وإفسادِهم بها، ومحــاربتهم بإتباعِ الأساليبِ التّالية:

* يُركِّزون بشدّة علَى المساجدِ لتكون مساجدَ ضرارٍ وكُفرٍ ، ولتَتَحول إلى مراكزِ ثقافيّة لعقيدَتِهم الضّالة باسْمِ الصّلاةِ والدِّين لإفسادِ عقيدةِ المُسلمين .

* بثُّ سُموم مُعتقداتهم من خلال وسائل الإعلامِ المسمُوعة والمقروءَة والمرئيّــة باسمِ المُسلمينَ من أهل السُّنّة عن طريقِ (إذاعةٍ محليّةٍ في لُبنان، ومجلّة شهيرَةٍ ، وقناةٍ تليفزيونيةٍ مُتخصِّصَةٍ)، هذا غير امتلاكهم لقناة فضائية لُبنانية تعمل علَــى مدارِ السّاعةِ، وقد تمّ تحميلها على أكثر من قمر صناعي أُوروبي وعربَي.

*طبعُ الكُتبِ والمنشُوراتِ، والأشْرِطَة وتوزيعها في المَواسم والمناسَــباتِ وعبْــرَ مراكزِهم في الدُّولِ الأُخرى .

* تكوين فرق للغناء والأناشيد الدينية، كما يزعُمون ويرُوق لهم كالأناشــيد التــي يتبجّحون بها علَى نَفْيِ العُلُوِّ للهِ تعَالَى مثل قولهم (اللهُ ليسَ في السّماءِ وليسَ لــه مكَان).

* حرْصُهم عَلَى نَشْرِ الشِّركِ باللهِ بانتشار أشــعارِ المُتصوِّفة كالبوصــيري وابن الفارض ، يُصاحب ذلك أنغامُ المُوسيقى والدُّف والمزامير، مــع أناشــيد العــشقِ والغَرام الدِّيني داخلِ ساحاتِ المسجد.

(٢٣١)

• يهتمُّون بالأندية الرِّياضية، ويعملُون علَى نشرِ كُرة القدَم النِّسائية، ويجاهدون في سبيلِ الدّعوة النِّسائية لها، حتى قِيل أنّ كُلّ أتباعهم من النِّساء، لأنّ فتاوَى الحبشي وزُمرته الفاسدة تُناسبُ مُيولَهُنّ ورغباتِهنّ، كالسُّفور، والاختلاط المساجِن، والغناء، والرّقص وغير ذلك، وهذا دأبُ أعداءُ الإسلامِ الذين يجتهدُون في إخراجِ المرأة المُسلمة، وإفسادها مُستعملين لأجْل ذلك شعاراتٍ برّاقةٍ وكلمَاتٍ ساحرَةٍ مثل تحرير المرأة، وإنصافِ المرأةِ، ومُساواة المرأة بالرّجل... إلخ وأخيراً خرجت علينا دعواتُ تَسْيِيدِ المرأة .

ولعلّنا نرصُد ما حولْنا مُنذ وَقْتٍ طَويلٍ من أحداثٍ جِسام وقَعَت، وقَصصٍ وحكاياتٍ في تلك الأنديةِ الرياضيةِ والاجتماعية، فلعلّنا نعيشُ الآن عصرَ السّباحة الإيقاعية، وكُرة القَدَمِ النّسائيَة، ومُسابقاتِ ما يُسمّى بملكاتِ الجَمال، وأخيراً ظَهَرَت مُوضة حَركاتِ السّلام النِّسائية العربية الدولية، ولسوفَ نَرَى إلى أيِّ مدَى ؟ وكيْفَ سيكُون السّلام الدولي ؟، و كيف سيتحقّق علَى الطّريقة النِّسائية بعد أن تحارَبَ رجالُ العالَمِ طويلا عبْرَ عشراتِ القُرونِ وما زالُوا !! ؟، وقد قَتَلَ البَشَرُ الأنبياءَ والمُرسلينَ، ونشرُوا بعضَهُم بالمناشير، ورمَوْا بعضَهُم بالزِّنَا مثل ""مريم وداوود عليهما السلام""، وقال بعضُهم بحَبْسِ الله تَعَالى، وأنّهم لم يفرجُوا عنه إلاّ بعْدَ صفْقَةِ قرّرها يعقُوبُ النّبيُّ وقبلَهَا **الرّبُّ** مُقابل إطلاقَ سراحه، ولم يفْلَح كذلك قادةُ الحُروبِ الطّويلة وجنرالاتها ولا كبار ساسة العالم فى فرْضِ الأمْنِ والتّنعُّمِ بالسلام ولَو فى مقدار ساعة واحدة من نهارٍ أو بعضها فى بُقعةٍ واحدةٍ من الأرضِ عبر هذا الزّمنِ الطويل، ولا بأْسَ من أن تسُود ثقافةُ السّلامِ المرْجُوّة بَعد ابتكارِ ما قِيلَ عنهُ رياضةُ المشْيُ من أجلِ السّلام؟!!!، ولا بأْس إذا كان الأمرُ كذلك من أن أُوَجِّه دعْوَةً من هذا المقامِ إلى الجميعِ لأن نَمْشى إلى بيتِ المقدس، ثُمّ نمشى إلى بغْدادَ، فكابُول، فكشمير، فمنطقة البلْقان، ثم نُعرِّج علَى دُول المغربِ العربيِّ، ومنه إلى تشاد، فدار فور، فالقرن الإفريقي، ثُم اليمَن لنمْشى علَى نارِ الفتنة اليمنية الحكُومية الحُوثية فنُطفئها، ثُمّ نعبر الحُدودَ اليمنيّةَ السعودية لنطفئ نارَهَا المُستعرَةَ مُنذ مُعاهدة الطائف ١٩٣٦م، ومن هُناك نجنحُ إلى الخليجِ العربيِّ ليحلّ السلامُ بين قَطَر والإمارات، ثُمّ بيْنَ الإمارات وإيران ولَرُبَّما ترْحل إيرانُ عن الجُزرِ الإماراتيّة الثلاث التى تحتلُّها (طنب الكُبْرَى ، وطنب الصغرى، وأبو مُوسى) وذلك إذا رأت الأبطالَ فى رياضةِ المشْى من أجل السلام،

ويا حبّذا إذا أسرَعْنا الخُطى إلى الشّيشانِ، ثم ننحرفُ شرقاً إلى أندونيسْيا، فالكوريّتَيْنِ، فهيا بنا نـــ...

• الطّائفة الحبَشية تُشبه الخوارج إلى حدّ كبيرٍ، فهُم يُكفِّرون عُلماء الأُمة وأئمّتَهم ودُعاتَهم كالأئمة [[أحمد بن جرير الطّبري، وابن خُزيمةَ، وشيخ الإسلام بن تيميةِ، وابن القيِّم، وابنُ كثيرٍ، وإمامُ الدّعوة السّلفية "الشيخ محمد بن عبد الوهاب"]]، وهُم كذلك يرمُون بالكُفر أعلامَ الأُمة المُعاصرين وعُلمائَها مثل الشّيخ [[عبد العزيز بن باز، والشّيخ ابن عُثيمين، والألباني، وأبو بكر الجزائري، ومـــشايخ الحـــرَمين]] وغيرهم من الدُّعاة والمُفكِّرين من أمثال [[سيد قُطب، وحسن البنا، وفتحي يَكَـــن، وفَيصَل موْلوِي، ويوسُف القرضاوي]]، وغيرهم

* يعتقدون بأنّ **الله ليس فوقَ العرْش،** بل إنّهم يُكفِّرون مَن يعْتَقدُ ذلك، ويقولُـــون **الله ليسَ فوقَ ولا تحتَ، ولا عن يمينٍ ولا عَن شمالٍ ولا داخلِ العالَم ولا خارجه** فشبّهوه بالعدَم كقولِ الجهمية.

* يقولُون أنّ الكافر مُضطَرٌّ ومجبُورٌ علَى الكُفرِ بسبب أنّ اللهَ هو الـــذي أمكَنـــه عليهِ فلا يستطيعُ رَدّه ، ويقُولُ شيخُهُم الضّال في ذلك في شَرْحِهِ لكتابه (الصِّراط المُستقيم) **لولا إعانةُ اللهِ للكافرِ ما استطاعَ أن يكفُر .**

* يُبيحون الاستغاثةَ بغيْرِ اللهِ من المخلُوقين، وطلَب الحاجَة منهم والمَدَد، وهُم في ذلك مُتأثِّرين بأفعال الصُّوفية، فقد أفتى شـــيخُهم الهـــررَي بـــذلك حيـــثُ قـــال: **(الاستغاثةُ بغيرِ اللهِ والاستعاذةُ لا تُعْتَبَرُ شرْكاً، كَما زَعَمَ ابنُ تَيمية والوهّـــابيين من بعده، فلو قالَ يا رسولَ الله، يا عَليِّ المدد، فهو عندهم كافر).**

ويقولُ ردّاً علَى سؤالِ مَن يستغيثُ بالأمواتِ (يجوزُ ذلك، فإنّه يجوز أن يقُـــول أغثني يا بَدَوِي. ساعِدني يا بَدَوِي) قيـــلَ لهُ إنّ الأرْوَاحَ تكُون فـــي بَـــرْزَخٍ مُعـــيّن فكيف يُستغاثُ بِهم وهم بَعيدُون ؟ فأجاب بقولِه (اللهُ تعالى يُكرِّمهم بأن يُسمعهُم كلاماً بعيداً وهُم في قُبورِهم ، فيقضُون حوائجَ المُستغيثِينَ بِهم ثُمّ يعُودونَ إلى قُبورِهم)(١).

---

(١) مذكرة بعنوان (كشف الأستار عمّا فى فرقة الأحباش من الفتن والأخطار _ من إصدارات جمعية الهدايـــة والإحسان فى لبنان) " شبكة المعلومات الدولية "

*يقولون بفسق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكذلك مُعاوية بن أبي سفيان ﷺ. وهُم بذلك يتشابهُون معَ كثيرٍ من فِرَق الشِّيعَة.

ومن أبرز أتباع الهرري الضّال علَى سبيلِ التّمثيل لا الحصر:

١- **نزار الحلبي**: رئيسُ جمعية المشاريعِ الخَيرية وخليفةُ الحبشي، وقائدُ الأحباش في بيروت.

٢- **سمير القاضي**: قائدُ الأحباش الدِّيني في الشّمال (طرابلس) وما حولها، وهو إنسان حاقد جِدّاً، يستفتح دُرُوسَه بِلَعْنِ وسَبِّ ابن تيمية، ومُحمد بن عبد الوهــاب رحمهما **الله**.

٣- **أسامة السيد**: زعيمُ الأحباشِ في البِقاعِ، وقد كان قبلَ تَحَبُّــشِه داعيــةً طيِّبــا فأغواهُ الأحباشُ وأضلُّوه.

٤- **حسام قراقيرة**: نائب رئيس الجمعية.

٥ - **كمال يوسُف الحُوت**: ذلك الرَّجُلُ الذي أفْسدَ الكُتُبَ بِتحقيقاتِه الضّالة، وأضْفا عليها عقيدةَ شَيْخه الحبَشي.

٦- ومن قادته السياسيين **عَدنان الطرابلــسي**: النّائب في البرلمان اللبناني، وطــه ناجي المُرشّح للانتخابات في طرابلس [ولم يَفلح] وهو صــاحب أكبــر شــاليه [مسبح] لِلْعرى والسِّباحة في ((طرابلس الشرق)) خليط من الرّجال والنِّــساء، وهو إنسان ماكِر وحقُود للغاية علَى أهل السُّنة والجماعة.

وحتى ننفي كلَّ شَكٍّ ونقطَعُ الطّريقَ علَى أي رَيْبٍ في أنّ الحبشيَّ الضّال عميــلٌ للأعداءِ مُنفِّذ لِمخطّطاتِهم فإنّنا نُورد هذه الحادثة.

فقد طلب مُفتي الجمهورية اللبنانية الشّيْخ ((**حَسن خالد**))، في عَــصْرِ رئــيس الحكومة اللبنانية السيد (**رشيد كرامي**) أن يمْنَعَ الحبَشيَّ من عودتِه إلى لبنــان فــي إحدى أسفاره لِمَا يقــوم به مِن دَور مشبــوه وَخَطَرٍ علَى أهلِ السُّنة، فاســتجاب لــه رئيسُ الحكُومة، ومَنَعَ الحبشيَّ من دخُولَ لُبنانَ ، ولكن لم يمضِ سوى أســابيعَ قليلــة حتى أَمَرَت السِّفارة البريطانية ببيروت رئيسَ الدّولة آنذاك (أمين الجميل) ورئــيسَ حُكومتِه السِّيد رشيد كرامي بِضرورة دُخول الحبَشيِّ إلى لبنان، فرَضَــخَت الحكومــةُ للأمرِ تحتَ وطأةِ الضّغط البريطاني، وجــزاءُ المُفتي قتلَه علَى يدِ الأحباش، وقُتِلَ مَن ظاهرُوهم عليهم بَعد أن كفّروهم، وشنُّوا عليهم حرباً شعواء. فماذا يعني كل هذا ؟

(٢٣٤)

فهذه هي الأغوارُ وهذه هي ملفّاتها نغُورُ في أعماقِها ونتصفّح ملفّاتهـا السّاخنةَ التي تُـدمي الجَبِينَ وهي تعُجُّ بالمـآسي والآلام ، والتي مَعَهَا لا أرَى بشائرَ خيْرٍ، أو بصيصَ أملٍ في حُدوث انفراجةٍ تُخمد نارَ الفتنـة، وتُـنقِّح العقيـدةَ مـن الأخطـاء، وتُخلِّصها من الشّوائب. وتُصحِّح مَسارَ التّاريخ الذى انحَرَفَ عن مسارِه كثيـراً بعـد رحيلِ الخلافةِ الإسلاميةِ التى كثيراً ما وَقَفَت حائطَ صَدٍّ مَنيعٍ أمام ما أُريدَ للأمّة مـن أخطارٍ وما أُحيك لها من مُؤامَرَات، وكذلك بعد استـسلام العـالم العربـي المُهـين للانقسامات والحروب البينية والطّائفيةِ إلى ما يُشبهُ الانتحار، ثُمّ وقوعهِ من جديد فـي شِباك الاستعمار الصليبي الحديث.

وذلك لأنّ الأُمة استسلَمت للكائن، وقبلت بالواقع، ورَضيَت بالذِّلّة والمَسكَنة، حتى أمْسَت وهي ألدُّ الأعداءِ لنفْسها، وباتت على شَفَا جُرف هارٍ أخْشى أن ينهَار بنا جميعا في نارِ جهنّم.

وصارت الأُمّةُ تترنّح لا تُريدُ أن تفيق وتحلّلت إلى أحزابٍ وفِرَقٍ ، سلَكَ أتباعُهـا مَسالك شتّى، ودُروبَ مُختلفة، وأضْحى بنُو الأُمة بعضُهم لبعضٍ عدُو، فبـاتوا وهُـم شيعةً وسُنّةً، وقالَت كلُّ طائفةٍ بكُفر الأخْرى، ومازالُوا علَى الضّدِّ وإلى حين، وتحلّلت الطائفتان كذلك، وأمسكَت كلٌّ فِرقةٍ بمصحَفها الخاص الذي تُنكرهُ الأخرى.

وإذا كان اليهودُ ومنذ صدرِ الإسلام الأوّل قد صنعُوا كلَّ هذا علَى حين غفْلة من المُسلمين، فإنّما يُعاد بالسّبب إلى عشقِ المُـسلمين للمقاعِـد، وتعطـيلِهم لأحكـامِ الله وشريعَتِه، ومخالفتِهم السُّنة المُطهّرة، واتِّباعِهم الأهواء حتى تنازعُوا ففشلُوا وذهَبَـت ريحُهم وإلى آجالٍ طويلةٍ قادمة ، ومع ذلك فقد رَحَل سلطانُ المُسلمين وولّى ، وبـاتَ المسلمون عاجزين عن مُجرّد الدِّفاع عن أنفُسهم.

أمّا أعداؤنا الآن ومُنذ قُرون مَضَت فإنّهم أشدُّ تنظيمـاً، وأحكَـمُ سـيطرةً، وأدَقُّ عملاً، كما كان أسلافُهم يعملُون من غير كَلل، ويـسعَون مـن دون مَلـلٍ لـضرب المُسلمين والإيقاع بينهم يبغُونَهُم الفِتْنَةَ ويزيدُونَهم خبَالاً، ويُشعلُون النّارَ فيمـا بيـنَهم وبين غيرِهم ممّن حولهم، ثُمّ إحاطة الجميع بسياج خارجِي صنعُوه في بلادِهـم- ثُـمّ تركُوا الجميعَ يغْلي وينصَهِرُ، وهم وحدهم فقط في مَنأى تَامّ وأمانٍ كامل عَـن هـذه المُؤامرات ، وتلك المكيدات.

(٢٣٥)

الفصـــلُ الثّانِـــي

مُخـــــاصَمَاتُ أهْلِ الهَــــوَى

أوّلًا: القَضَايا الخلافيّة

يأبى المُسلون إلاّ التفاعُل مع ما أُريد بهم من مُؤامرات، ومعايشة ماقد بُثَّ بيــنهُم من خِلافاتٍ، إذ سُرعان ما وقَعوا في قَضايا خِلافيةٍ تُصيبُ في مَقتلِ صَـميم ديــنهم، وتُهدِّدُ مَبادئ مُعتقداتهم، فاشتَغلوا بموضُوعاتٍ سُوفسطائيَّة، ومَسائل جَدليّة لا يُفيد العلم مَعها، ولا يضُر الجَهل بها، وَوَقَعَت مُخاصَمَاتٌ علميّةٌ ومُشاحناتٌ فقهيّة، وتــصادمات اجتماعيةٍ، بات الحديثُ عَنها أو الخوضُ في حقيقتها لا يعْدُو كونه تحــصيلُ حاصِــلٍ لثبُوتِ العلم بوجُوبه، ولِصدْقِ تواتُره عبرَ عشراتِ القُرون.

من ذلك مثلاً ما رُوِي عن أوّل مَن طُوهِرَ من الرِّجال، حيث كان أوّل المُــسلمين **[إبراهيم عليه السلام]**، كما كانت السيدة **هاجر** هي أول من طُوهرت من النــساء(١)، وعلَى الرّغم مِن بُلوغنا الثَّبت مِن قوله ﷺ في غيرِ موضعٍ عن جوازِ ختَان الإنــاث، فإنّ عُلماءَ المُسلمين وقعُوا في جدَلٍ شديدٍ مازال علَى أشُدِّ ه حتى الآن. بسبب الهَالــة الدعائية الكَبيرة، والثّورة الكلامية والإعلامية الغزيرةَ التي أُحيط بها موضُوعٌ ما كان له أن يُثار من أساسه لشدّة خُصوصيّته، وحساسيته كونــه يخــصُ صــميم العقيــدة، بالإضافة إلى توقيتِه وهو الأحرَج في حياة الأُمة، فبدلاً من الاشــتغال بالتــدبُّر فــي **إستراتيجية التّدْميرِ وأوهامِ السّلام**، وما ينزل بساحة الفلسطينيين على مدارِ الــساعة، بخلاف تخرْيبِ وإحراقِ العراقِ وتقتيلِ شعْبِه، فضْلاً عن مشاكلِ المُسلمين فــي إقلــيم غربِ السودان – كما يروِّجُون ويزعمون – فبَدَلاً من ذلك كُلِّه إشتَغَل الإعــلام فــى بعضِ من الدول الإسلامية والعربية بِموضُوعِ ختَان الإناث، وقد صــارت لــه هالــة إعلاميةِ غير مسبُوقة كتلك التى أُثيرت مع ما قالوا أنه فيروس (سارْس) الذى قيــل أنّه أصابَ الدّجاج فى شرق آسيا، وقد أُثير هذا الموضُوع لإيجادِ نوعٍ مــن تخفيــف الضّغط على ما يُسمى بقُوّاتِ التّحالفِ الدّولي التى كانــت تتهَيّــأُ للانقــضاض علــى

(١) انظر البداية والنهاية .. المجلد الأول

أفغانستان، وتدكُّ عاصمتها كابول بمئات الآفِ من الصواريخِ، وعشراتِ الآلافِ مــن أطنان القنابلِ بدعْوى الإطاحة بحكومةِ طاليبان السُّنية السّلفية، والقضاءِ علــى تنظــيمِ

القاعدة، والقبض علَى زعيمه أُسامة بن لادن، وتغليف كل ذلك بــاحتلال أفغانــستان الأصولية احتلالاً عسكريّاً غربيّاً صريحاً، وما أشبه الليلةَ بالبارحَة، فقد ســمعنا عمّــا قِيل أنّهُ فيروس متطوِّر من الفيروسات التى تُصيب الطيورَ، والمعروف (h5.n1) وهو من نوع مُتحوِّر ومُتطوِّر، وتأتى خُطورتُه كما قِيل من أنّــه يُــصيب الإنــسانَ ويهدِّده بالمَوْت، وبسببِه تمّ تدمير اقتصاديات الغلابة لمجرد انفعالات عاطفية ومخاطر ظَنِّية، وتهدّدت صناعة الدّواجن، وأصبَحت الثّروة الدّاجنة علَى شَفَا الانهيار التّام فــى بعض الدول الرّائدة فى هذا المَجال وفى طليعتها مصر التى كانت قد حقّقت الاكتفــاءَ الذّاتى من الدواجن، كما كانت تُصدِّرُ كميات كبيرة من فائض إنتاجها لسدِّ احتياجــات السّوق الدولية، هذا غير إحالة قرابة مليونين من العاملين فى صناعة الــدواجن إلــى طابور القوى العاطلَة، وأخذنا نُنَبِّه، ونُحذِّر، ونلْطُم، وننُــوحُ رعبــا مــن الفيــروس الإعلامي الجديد، وشرعنا نُخرِّب بيوتَنا بأيدينا، ونَسِينا أو تَنَاسينا الآلاف ممّــن مــاتُو نتيجَةَ إصابتِهم بالفَشَل الكلوى، وبالالتهاب الكبدى الوبائى المسمّى (فيروس . سى)، وضحايا السّكْتة المُخيّة، والسّكته القلبية، وقَتلى مَرَض السُّكر، أو أولئــك المُــصابين بأمراض القلب، وَمَن حصدَهُم الموتُ البَطيءُ "" الشّلل النِّصْفى "" الناتج عن الاصــابة بضغط الدم المُرتَفع، أو أولئك الذين يُهدِّدُهم حصادُ المــوت نتيجــة إصــابتهم بهــذه الأمراض اللّعينة التى تهدِّدُ الصغيرَ والكبير،هذا بخلاف المعرضين للمــوت جُوعــاً وتقدرهم الإحصائيات الأممية بنسبة ٤٠% من مُسلمي العالم، وأرَى أنه لا بُــد مــن الإسراع فى إنشاء مراكزَ طبية وطنية أو قومية مُتخصِّصة لاحتواء هــذه الأمــراض ومحاصَرتها والقضاء علَيها، بَدَلاً من الاكتفاء بالمُكاء والتّصْدية لِلْهالات التى يُثيرُهــا الغربُ وهو يحصُد من ورائها الكَثيرَ.

وقد قال أهلُ الفِكْر والطِّبِّ والدِّين، وأدلَى كلٌّ بدلْوِه في موضوع ختــان الإنــاث، ولمْ يُدلِ أحدٌ بدلوه في قضايا تخريب الاقتصاديات العربية بأيدى أصــحابها، وذيــوع الفِتنة بين العالم الإسلامي والعربي منه خاصّة، وكذلك أحْجَمَ الجميعُ عن القول فــي القضايا المُلتهبة، أو الإشارة إلى شبَاك التّنصير التى تعُجُّ بها الدِّيار الإســلامية فــى الجزائر، وإندونيسيا، والشّيشان، والبُوسنة، والصُّومال، وأوغندة ، واليمن، وفلسطين،

(٢٣٨)

والسُّودان المهدّد بالتّفيت والتقسيم والاحتلال ، والعراق الذى يتم الآن تهذيبه، وتأديبه، وإصلاحه فى زنزانات الحبْس والتعذيب الأمريكية ليصبْح عراقاً حُرّاً جديدا بعــد أن

يتمّ تهويده، أو تنصيره ليصيرَ بالتالى قاعدةً لنَشْرِ الديمقراطية الأمريكية فـــى الـــشّرق الأوسط كما أريد به.. إلخ فطفَت علَى سطح الأحداث أشياءٌ عديدةٌ، اشتغلَ بها عُلمــاءُ الأُمّة خاصة " أهل الدِّين والقانون "وما هي في حقيقتها غير فَرقعة إعلامية تحمل فى أطوائها مدلُولات سِياسية نجَحَت فعلا في أن تكون مؤشرا عَملِيا وترجمةً فعليــةً لمــا ذَهَبْنَا إليه.

٥ ا _ بَين العُلمَاء والْعَلْمَانِيِّين:

كانت مُشكلة المُشكِلات في وقْتِها، وقد احتلّت مساحةً كبيرةً فى أدمغــة النّــاس، وانصرفَ أهلُ الفكرِ، والأدبِ، والطبِ، والسياسة، والاقتصاد، وبعــضٌ مــن عُلمــاء الدِّين ممّن يُقال لهم رِجال الدين، وازداد الطِّينُ بلّة بعد أن تحدّث فيها الصّحفيون، بل والمُذيعون فى الإذاعة والتِّلفاز، وقد كانت صنيعة إعلامية خالصة لا ضـــرُورة منهـــا يُرتجى نَيْلُها، ولا ثَمَرَة يُنتظَر جَنْيها.

فقد أوردَت اللواء الإسلامي علَى صفحاتِها تحتَ عُنوان "بُحوث وفَتَاوى إسلامية" في قضايا مُعاصرة.ج٣- العدد الصادر في الخميس ٢٣ من ربيع الثاني ١٤١٥هـــ الموافق ٢٩ من سبتمبر ١٩٩٤م، أورَدَت موضُوعا مُختارا عَن فَتْوى الخِتان التي دارَ حولها جدلٌ كبيرٌ مُنذ انعقاد المُؤتمر الدّولي لِلسُّكّان فى القاهرَة في ذاتِ العام.

وقد عُرِضت القضيّة التي أرّقت الكثيرين علَى شيخِ الجامعِ الأزهرِ [[جاد الحق عَليّ جاد الحق]] ليقطعَ القَوْلَ في الخِلافِ الواقعِ بِشأنها، وقد قالت المجلّة ما نَصُّهُ: هذه الفتوى .. أجابَ عنها فضيلةُ شيخِ الأزهَرِ في حُكْمٍ قــاطعٍ مَــصحُوب بالأدلّــة والبرَاهين مُؤكِّدا أنّ الختانَ مَشروعٌ في الإسلامِ، وأنّه واجِب علَى الذّكر والأُنثى معاً، وفي أدلّتِه علَى هذا الحُكم **يقُول:** إنّ الختانَ للرِّجالِ والنِّــساءِ مــن فطــرة الإســلامِ وشعائرِه، وأنّه أمْرٌ محمُودٌ اتّفقت عليه كلمةُ فُقهاءِ المذَاهبِ الأربعة، ولم يُنقَل عن أحدٍ منهم قولٌ بمنع خِتانِ الرِّجال أو النِّساء، أو عدمِ جوازِه، أو إضرارِه للأُنثى إذا هو تَــمّ علَى الوجْهِ الذي علّمه الرّسول ﷺ لأمّ حَبيبة، وكانت معرُوفة بِختانِ الجواري قال لها ﷺ : (**يا أمَّ حَبيبة إذا أنتِ فَعلت فلا تَنْهَكي، فإنّه أشرَفُ للوَجهِ وأحْظَى للزّوجِ**).

(٢٣٩)

وإذا قِيل إنّ هُناك خِلافاً بين الفُقهاء حَول الختان بِقول "شيخِ الأزهرِ" والكلامُ لِفضيلة شيخِ الأزهرِ رَحِمَهُ اللهُ وطَيّبَ ثَرَاه: الخِلافُ مَحصورٌ حَوْل حُكم الخِتانِ هل

هو [**واجبٌ أَمْ سُنَّةٌ ومَكْرمَة**]، فهو خِلاف في الاصطلاحِ الذي يندرجُ تحتَه الحُكم لا في أصلِ الحُكم.

ولم يكتفِ فضيلتهُ بعرضِ آراءِ الفُقهاءِ، وإنّما استدلّ بآراءِ الأطبّاء الموثوقِ فـي عملِهم ودينِهم، وفي سياقِ عَرْضِه لرأي الأطبّاء قال: إنّ الطِّبَّ علْمٌ والعلمُ مُتطـوِّر، تتحرّك نظرياتُه ونظراتُه دائماً، وعلَى ذلك فلا يصحُّ أن نترُك أمراً بَيّنَه الرّسـولُ ﷺ إلى قولِ غيرِه وإن كان طَبيباً.

إنّ أقوالَ الأطباء في هذا الأمرِ مُتضاربة – والكلامُ لشيخ الأزهر– فمـنهم مَـن يرَى تركَ ختان الإناث، وآخرُون يرون ختانَهنّ، وخُلاصةُ أقوالِ المُؤيِّدين له أنّ الفتاةَ التي تُمنَع من الختان تَنشأ من صغرها حادّة المزَاج سَيِّئة الطّبع في مُراهقتِهـا وهـذا أمرٌ يجبُ أنْ نُحذِّر منه في عصرٍ تتداخلُ وتتزاحَمُ فيه الفتنُ، ويتلاحمُ فيـه الرِّجـالُ والنِّساءُ في كافّة المجَالات فلَوْ لم تُختَتَن الفتياتُ علَى الوجْه الذي شرحهُ رسولُ الله ﷺ لأُم حبيبة لَتَعَرَّضْنَ لمُثيراتٍ عديدةٍ تُؤدِّي بِهِنَّ إلى الانحراف والفَساد.

وأشار فضيلتُه إلى وقتِ الختان بقوله: "" أُحيلُ الفَتوى بتفويضِ تَحْديدِ وقْتِ وَسَنَةِ الختانِ لوَلِيِّ الأمْرِ بمشُورة الطّبيبِ حسْبَ صِحّة وطاقة المختون ذكَرا أوْ أُنثى وحَسْب مصلحتِه بشرط أن يكونَ هذا قَبل البُلوغ الطّبيعِي لكلٍّ منهما.

وفي نِهاية حديثِه عَن الختان يذكُر فضيلتُه أنّ ما جاءَ في فقه الإمام أبي حنيفـة، وهو مذهب فضيلته في الإفتاء، أنّ الختان من شـعائر الإسـلامِ ومِـن خصائـصِه، وبمُقتضَى ذلكَ يكونُ الختان للذّكر والأُنثى.

ويبدو أنّ ما قال الإمامُ الأكبر رحمَهُ الله كان غير كافٍ لإثبـاتِ الحُجّـة علَـى خوارجِ العَصْرين الحديث والمُعاصر، وهُمُ الرّاكبون لكُلِّ مَوْجـةٍ، المُـصفِّقون لكُـلِّ راكِب، المُسترزِقُون مِن رخيصِ الأرزاقِ، فراحُوا يتكلّمون ويحتجُّـون، ويرُوحُـون ويجيئون فَتُسَيِّرُهُم لذلك حماقتُهم، وتقُودُهم جهالَتُهم.

استمرّت هذه الإشكالية، وتطوّرت وأخَذَت أكثرَ مِن حقِّها، حيثُ عُقِـدت لأجلهـا النّدواتُ، ودارَت بسببها المُناقشاتُ وانـعقَدَت في حُبِّها الاجـتماعات ، ورُصِدت لَها

الميزانيات، وقِيلت فيها إرهاصاتٌ قرابة عامَين أو يزيد.

ووسط هذا الزّخم من الآراء، والاجتهادات، [وَوَجَع الـدِّماغ]، طَلَعَـت علينـا جريدة الأهرام القاهرية في عددها ٤٠٠٣٧ بتاريخ ١٩٩٦/٧/١٩ وطالعتنـا بـالخبر التالي : (**مَنعُ ختان الإناث ومُعاقبَة المُخالفين**)

إذ قالَ مُحرِّر الخَبر :

تقرّر منع إجراء عمليات ختان الإناث نهائيا في جميع وحْـدات وزَارة الـصّحة سواءٌ في المُستشفيات العامّة أو المركزية أو الوحْدات الصّحيّة علَى اختلاف أنواعها.

ويُحظَرُ علَى جميع العاملين في القطاع الطِّبِّي، وهيئات التّمريض، والأطبّاء فـي عياداتهُم القيام بهذه العملية التي تُعدُّ عملاً مُخالفـا لـلآداب ولـوائح مهنـة الطِّـب والتّمريض، كما تقرّر اتخاذ الإجراءات القانونية ضدّ الدّايات، وغيرها مـن مُرتكبـي هذه العمَلية من خارج القطاع الطِّبي والأطباء بالقطاع الخَاص.

وصرّحت الدكتورة ... وكيل وزارة الصحة لقطاع السُّكان ووزارة الصحة، بأنّه ثَبُت بالدّليل القاطع بأنّ هذه العادَة ليسَت إسلامية أو فرعونية، بل هي إفريقية، وتُؤدِّي إلى أضرار صحِّية ونفْسية للفَتاة.

غير أنّ الجريدة الغرّاء لم تكشف لَنا عَن طبيعة الدّليل القاطع، وعن ماهيّتـه، وإذا كانَ عقليا أم نقليّا، وهو الذي جَزَمت به المُتحدِّثَةُ [الدكتورة المذكورة] ولـم يـشف صُدورنَا ذكر نَصٍّ من القُرآن الكريم، أو حديث شريفٍ، أو إجماع فقهـى، أو حُكـم قياسي، يُمكن أن نعتبرُه بُرهاناً علَى صدق قولها الذي يُؤكِّدُ عَلَى نفْي إسـلاميّة هـذه العادَة، ولم تذْكُر الجريدةُ توثيقاً لما أورَدَت لَنا، أو عند مَن قَرَأت ؟ وفي أيِّ المراجـع ؟ ولمَن؟ وما الذي يُؤكِّد علَى إفريقيتهـا، وينْفـي فرعُونيّتَهـا، ويُؤكـد علَـى عـدم مشرُوعيتها وإسلاميتها، أو ينفي كونْها من مُستحدثات الأُمُور وهـي بدعَـة، وهـي ضَلالة، وكَمَا قالَ ﷺ ((وكلُّ ضَلالة في النّار)).......الحديث. وفى الجُملة من أينَ جاءَت بما تقول ؟ وما حُجّتها ؟ وما وثيقَتَهَا ؟ !!!! وهل خَضَعَت مصرُ لأيِّ احـتلال إفريقيٍّ أخَذْنَا عنه هذا المَوْرُوث البغيض علَى حَدِّ قوْلها ؟. ثم أوَ لَـمْ تَـدْر الـدكتورة المتحدثة أنّ مصر هى التى توسّعت فى إفريقيا حتى أخْضَعَت أوغندا عند البُحيـرات العُظمى، وكذلك منطقة القَـرن الإفريقي للسيادة المـصرية مُبكِّراً مُنذ عصر الأُسَر،

وأخضعَتْهُم لثقافَتِها(١) حتى عبدوا الكَبْشَ والجُعرانَ كما كان الفراعنـــةُ يَعْبُـــدُون، ولا تعجب إذا ذكرتُ لكَ فى هذا المقامِ أنَّ غالبيّةَ القبائلِ المُحافظة فى إفريقيا لا يلجـــأون إلى ختان الإناث من الأصل بل يقُومُون بخياطَةِ فـــروجهنّ لمـــنْعِهنّ مـــن مُمارســـة الرّزيلَة، ولا يُرفع هذا الخيْطُ إلا ليْلَة زفافِ العرُوس إلى عريسها، وفي هذا المقـــامِ لا يَفُوتَني أنْ أُقرِّر أنّ فضيلةَ الشّيخ مُحمد متولي الشّعراوي أفتى في واحدةٍ من تسجيلاته لبرنامج ((لِكُل عروسين)) للتليفزيون المصري "القناة الثالثة" ردّاً علَى ســـؤال فـــي المُوضوع ذاته عام ١٩٨٥م حيث قالَ رحمةُ الله تعَالَى عليه (بَتْرُ الشّيء الزّائد عَـــن الشّيء بالنّسبة للرّجلِ فيه طُهر ، وبَترُ الشّيءِ الزّائد عن الشّيئَيْن بالنّسبة للمـــرأة فيـــه عفّة ومَكْرَمَة).

وَصَدَقَ اللهُ العظيم القائلُ ﴿ **وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائضِينَ** ﴾ [المُدثِّر: ٤٥] .

وَصَدَقَ الرّسولُ الكريم القائل (**إيّاكُم ومُستحدثات الأُمور**) .... الحديث .

ب _ فَتيَاتُ الكيف:

وإلى جانب تلك القضيةِ السّاخنة السّابقة، ظهَرت قضيةٌ حديثة هى الأشدّ سخُونة في الآونةِ الأخيرة، وقد اشتغَلَ بها الرّأي العام، وعكَفَ عليها الباحثُون في مجالاتِ البُحوث الاجتماعية والجنائيةِ والنّفسية.

تلك القضية التي لا يُمكن التّعَرُّف علَى أبعادِها وآثارِها وأسبابِها، من دُون وضْعِ علاماتِ استفهامٍ كثيرةٍ وكَبيرةٍ أمامَ كُل كلمَةٍ فيها، وذلك لأنّه ليس من اليسيرِ اختيـــار رأسٍ للموضوع الذي نُريدُ العرْضَ لَه من غيرِ علاماتِ استفهامٍ، متبُوعات بعلامـــات تعَجُّبٍ أمامَ سيولِ الأسئلة المُتلاحقة بحثاً عن تعريفٍ دقيقٍ للمادّة التي نَتَنَاولُها، ومـــن هذه القاعدةِ تنطلق ألسنَتُنا بالأسئلَة التى مَا تزالُ تبحَثُ عَن أجوبةٍ، وإلى حينٍ:

* لماذا ازدادَت نسبةُ الفتياتِ في جرائمِ المُخدّرات ؟!

وتنهالُ الأسئلة المُلحّة تباعاً في تواليها، والرُّدودُ تتلاشَى من فورِها، من ذلـــك مَثلاً:

* هل هي الرّغبةُ في الهُروبِ من حياةٍ فارِغَةٍ أوْ مُشكلاتٍ صَعْبَةٍ ؟!

---

(١) أنظر _ صراع الحضارات وحوار الدبابات للمؤلف

* هل هي مُحاولةُ خوضِ تجربةٍ جديدة باعتبارِهــا مُغــامَرَة تــرتَبِطُ بمرْحلــةِ المُراهقَة فتبدأ بالتّدخين، وتنْتَهي بالمُخدّرات ؟!

* هل هي مُحاولة لتقليدِ النُّموذجِ الغَرْبي في الحياةِ والــذي يُطــلُّ علينــا عبْــرَ القَنوات الفَضائيةِ في عَصْرِ (العَوْلَمة) وما يَلْزَمُهَا من سَمَاءٍ مفتُوحَةٍ ؟!

والإجابة عَن تلك الأسئلة لا تحتمل الخوضَ فــي الإنــشاءات السوفــسطائية، أو القول بالإرهاصاتِ الجدلية، وحيث أنّها ظاهرة اجتماعية جديدة تنُمُّ عَــن مُجتمعــات مُعتلّة، تَعَيّن بالضّرورة وضْعَها تحتَ الميكروســكُوب المَعْمَلــيِّ الخــاص لتحْليلِهــا، ودِرَاسةِ أسبابِها، واستقراءِ نتائجها، ومعالَجة آثارها.

وقد تحدّث العلماءُ والخُبراءُ عنها فقالوا: بأنّ مردّ حُدوثِها إلــى ثلاثــةِ أســبابٍ { **تقليد الغرب – الهُروب من المُشكلات – الإتّجَار** }، واعتبروا الأخيرةَ أهم الأســبابِ الثّلاثة.

والمُلاحظ أنّ الوقوعَ في براثِن الإدمانِ والاتّجارِ في المُخدِّرات لم يعُد مقــصوراً علَى الرِّجال فقط، إنّما إمتدّ الخطَرُ إلى الإناثِ أيْضاً، فازدادت نسبة الفتيات والنِّــساءِ اللاتي يتعاطَين المُخدِّرات أو يُتاجرنَ فيها.

وقد أرْجَعَ علماءُ الاجتماع، والطِّبِّ النّفسي، والمراقبُونَ، وأهلُ العلْم والمُختصُّون رَصد الظّاهرة، ومُتابعتِها ودراستِها، أرجعوا حُدوث الكارثةِ إلى تغْيير أوضاعِ المرأةِ (إجتماعيا، واقتصاديا، وثقافيا، وبيئيّاً) وهذا التّغْييرُ المُفاجئُ هو الإفــرَازُ المُباشــرُ لمَجهُوداتِ المحافلِ الماسُونية وأنديتها التي يترأسُّها رُؤساء دُولٍ، وســيداتُ مُجتمــعٍ، وسياسيُّون، ومُثقّفون، ورؤساءُ حكُومات، ووزَرَاء، ومحافظون، وهــو كــذلك نتــاج صيحَاتِ العَلْمَانية المُنحلّة المُضلّة بعد أن صارَت توجُّهاً محلّيّــا، وإقليميّــاً، وقارِّيّــاً، ودوْليّاً سواء بسواء.

وحولَ المرأةِ وجرائم المُخدّرات أجْرَت الدكتورة "سَحَر حافظ " بالمركز القَــومي للبحوث الإجتماعية والجنائية دراسةً مُهمّة جاءَ فيها :

أنّ المجتمعَ المصريّ يُعاني كَمَا عانَى العالمُ أجمَع من مُشكلة المُخدرات، التي أصبحَت ظاهرةً خطيرةً تُهدِّد حاضرَ المُجتمعات ومُستقبلَها.

والثّابت علَى ضوءِ البياناتِ المُتاحة لدَى الإدارة العامَــة لمكافحــة المُخــدرات يكشِف عنِ اتّساع جرائم المرأةِ في مِصر نتيجةَ إقدامها على ارتكــاب ذاتِ الجــرائم التي يَرتكبُها الرّجُل، ومِن أكثر الأنماط الإجرامية بين النِّساء والفتيات، والأحداث هي جرائم المُخدّرات (تعاطياً أو اتِّجاراً)، عكس ما كانت عليه الجريمة فــي الــستّينات، حيث كانَت جرائمُ الدّعارة أوّلاً ثُمّ المُخدرات في المرتبةِ الثّانية، بالإضافةِ إلى أنــواعٍ أُخْرى مِن الجرائمِ النّسائية التي ترتبط بتعاطي المُخدرات مثل جرائم البَغاء والآداب.

وكشفت الباحثةُ في دراستها التّحليلية عن حديثِ الأرقام في رصد هــذه الكارثــة المفضُوحة حيث أثْبَتتْ النتّائجُ ما يلي: ازدياد نسبة الجرائم في المُخدرات بينَ النِّــساءِ بسنبة ٤,٥% عام ١٩٩٥م عن الأعوام ٩٢، ٩٣، ٩٤، وأخَذَت أعدادُهُنّ في الزّيــادةِ في الأعوامِ التّالية حتى وصل إلى ٤٦٠ مُتهمة في عام ٢٠٠٢، بينَما وصلَ عــددُهُنّ خلالَ الشُّهور من يناير حتى مايو ٢٠٠٤ إلى ١٠٧ متهمة في قضايا المخدرات.(١).

ومن واقعِ بيانات مصلَحَةِ السُّجُونِ تَبَيّنَ أن نسبَة النِّساءِ إلى الرِّجالِ تبلُغُ حــوالي ٣,٦ خلال السنوات من ٩٢: ١٩٩٥م، وبلغَ عددُ المُتّهمات بالتّعــاطي ٣٨٥ مُتهمــة، وبالاتجار ١٥١٤ متّهمة، ويُلاحــظ أنّ بعــضَ النــِّساء المــــقبوضِ علــيهن لهُــنّ اتصال بالمُخدرات بطريقةٍ أوْ بأُخرى في قضايا عديدة مثل السّرقات والقَتل والآداب.

ومن بين النِّساءِ المسجُونات ٣١,١% مُتّهمات بالمخدِّرات، وظلّ عددُهُنّ في تزايُد حتى وصل إلى ٤١٢٣ في أول مايو ٢٠٠٣م .ومنه يتّضح أنّ إجرامَ النِّساء في حالاتِ التّعاطي والإتجار بالمُخدّرات يتّجه إلى التزايُد، حيث لم يعُد حالات فردية خاصّة بعدَ انتشارِ ظاهرة (تدخين البانجُو) بينَ الطّالبات في مصر منذ عام ١٩٩٥م.

والثّابت حتى الآن أنّه ليس للإدْمان علاجٌ حاسم، فتلك التي يقُولون بأنّها كبسولاتٍ تُوضع تحتَ الجلد، وغيرها مُجرّد عمليّات نَصبٍ .

فعِلاج المُدمن علاجٌ مُجتمعيٌّ وسُلوكيٌّ أوّلاً وأخيراً، كونه يُصبح مَــصدَرا لألآم عائلته، وعاراً علَى أُسْرَتِه ، وعبْئاً علَى الدّولة، وهو الأمرُ الذي يحتاجُ إلـــى تكــاتُف الجُهودِ وتضافُرِ قُوَى المُجتمعِ والنِّظامِ لإنقاذِ الشّبابِ والفَتَيات من هذا الخَطَرِ الدّاهم .

---

(١) الأخبار المصرية . ص (٥) فى ٢٠٠٣/٧/٢١

جـ - العُبُورُ إلى المَاضي :

انقضى علَى زمانِها عشراتُ القُرونِ، وحاق بأهلِها ما كانوا يصنعُون، وباتَتْ سيرتُهم ذكرى للذّاكرين، وموعِظة إلى حينٍ.

وقد استدعاها من أغوارِ التّاريخِ السّحيقِ لَفيفٌ ممّن استحبُّوا العَمَى علَى الهُدَى، والطّلاحَ علَى الفلاحِ – تلك هي فاحشة النّشاز – التي راجَت قديما في غير بلادِ العرب، وهي صناعة قومُ لُوطٍ ﷺ الّذين نَزَلَ بساحتهم ما نزل من أمر الله ﷻ ﴿ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ [الصافات :١٧٧] فَمَا تَرَكَ اللهُ فيها من أحَدٍ من العَالَمين.

وقد ورَدَت القرآن الكريم في غيرِ موضع، وفي غيرِ واحدةٍ من السُّوَرِ لما قالَ اللهُ تعالَى ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنينَ ﴾ [الذّاريات: ٥٥]

غيرَ أنّ الإعراضَ عن دين الله القَيِّم، وملّة إبراهيم الحنيف، وإهمالِ سُنّة النّبي الأمين، وهجرانِ آياتِ الذِّكْر الحكيم، من أتباعِ العَلْمانية، والماسُونية، وأهلُ الإباحية، والفوضويّة – كُلُّ هؤلاء أفرخُوا أجيالاً لا تُقرُّ مَعْرُوفاً ولا تُنكرُ مُنكَراً ، ولا تحلُّ حلالاً ، ولا تُحرِّمُ حَرَاماً ، وهم جميعاً لا يعرِفُون من الدّين إلاّ اسْمَه، ومن القُرآن إلاّ رَسْمَه، فصارُوا بذلك أرضاً خصْبةً تَنبُت فيها كُلّ الأفكار الشّاذة، وتنمُو عليها المبادئُ الهدّامة، وتُقام عليها أعمدةُ الكُفر والطّاغوت، ومن ثَمّ فقد انشقّت جماعةٌ من هذه الأجيالِ عن زمانِها، وشَرَدَت عن أُمّتها، وهجرَت الجمَاعة، وامتَطَت العوابِر للعُبور إلى الماضي، حيث الحياة في عصر الشّواذ.

فنبيُّ الله لوط ﷺ قد نزل بمدينة سدُوم ولها أهْلٌ من أفجَر الناسِ، وأكفرهم، وأسوأهم طَويّة، وأردأهم سريرَة، يقطعُون السّبيل، ويأتُون في ناديهم المُنكر، ولا يتناهَوْن عن مُنكر فعلُوهُ، لبئسَ ما كانوا يفعلُون، ابتدعُوا فاحشةً لم يسبقهم إليها أحدٌ من بني آدم، وهي إتيانُ الذُّكران علَى العالَمين، وترْكِ ما خَلَقَ الله من النِّساءِ لِعبادِه الصّالحين،

فدعاهُم لوطٌ ﷺ إلى عبادة الله وحدَه لا شريكَ له، ونهاهُم عن تعاطي هذه المُحرّمات، وإتيان الفواحش والمُنكَرات، والأفاعيل المُستقْبَحَات، فتمادَوا علَى ضلالهم وطُغيانهم واستمرُّوا علَى فجُورهم وكُفرانهم، فأحلّ اللهُ بهم من اليأسِ الذي لا يُرَدُّ مالَم يكُن في خُلدهم وحُسبانهم، وجعَلَهم مَثُلَةً في العالمين ، وعِبرةً يَتّعظ بها الألبّاءُ من

العالمين، فكان كما قال الله تَعالَى ﴿ **وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ۞ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ** ﴾ **[القمر : ٣٦،٣٧].**

وما ذلك سوى استحقاقٌ لحقِّهم، كونهم يأتُون الرِّجال..أي .." يشتهُون شـهوَة "، وقُبْحُ هذا العمل مُقرّر في الطِّباع، فلا حَاجَةَ فيه إلى تَعْديدِ الوجُوه علَى التّفْصيلِ، **ومُوجبات القُبح كثيرة. من أهمِّها:**

أنّ هؤلاءِ القومِ كانوا يحترزُون عَن حُصولِ الولَد لأنّ حصولَهُ يحمل الإنسانَ عَلَى طلبِ المالِ، ومِن ثَمّ إتعابُ النّفسِ في الكَسبِ، وهم يُحبُّونَ الكَسَلَ ويخلدُون إلى الرّاحة.

والحاصلُ أنّ الله تعالى جَعَلَ الوقَاعَ سَبَبَاً لِحُصُولِ اللّذّة العَظيمة، حتى أنّ الإنسانَ بتلك اللّذة يقدُم علَى الوقاعِ، وحينئذٍ يحصُل الولَد شاءَ أمْ أَبَى، وبهذا الطّريق يبقَى النّسل، ولا ينقطع النّوع، فوضْعُ اللّذّة في الوَقَاعِ يُبقي النّوْعَ الإنسانيَّ الذي هو أشرَف الأنواعِ ، ومِن هُنا وَجَبَ الحُكمُ بتحريمِه قَطْعَاً حتى تحصُل تلك اللّذّة بالطّريقِ المُفضي إلى الولَد(١).

أمّا هؤلاءِ (قوْم النّشاز) فإنّهم لا يُريدون حُصُول الولَد لمَا سَبَقَ ذكره، فكانُوا بذلك يُحاربون الله ورسُوله، ويفُضُون بالجنس البشري إلى الانقراض، فذاقُوا وبَالَ أمرهم ولمّا جاءت رُسُل الله إلى لُوطٍ يُخبرُونَه بإرداة الله تَعالى بإهلاك هؤلاء القومِ وأن يسْرِي لُوطٌ وأهلُهُ إلاّ امرأَتَه– إستثناءً – بِقِطْعٍ مِن اللّيل، ولا يتخلّف منهم أحدٌ، لأنّ إرادةَ الله حاصلة، ومشيئتَه غالبة، وهو لا يدري أنّهم ملائكة الله الكرام، عندها خَرَجَت إمرأةُ لُوط وأخبرَت القومَ عَن ضيفه، وقد سيءَ بهم لُوطٌ وضاقَ بهم، وقال هذا يومٌ عصيبٌ، تخوُّفاً عليهم من قومه أهْلُ الفاحشَة والفُجُور.

وجاء أهلُ المدينة (سدوم) يستبشُرون فرحاً بالغَنيمَة، ونَهَمَاً للوليمَة، وكانَ ما حكَت الآيةُ ﴿ **وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ** ﴾ **[هود : ٧٨].**

---

(١) مفاتيح الغيب ج ٧ ص : ١٨٧

فأمَرَهم لوطٌ عليه السلام بقربانِ نسائِهم، وحذّرهُم الاستمرارَ علَى طـريقتهم وسـيِّئاتِهم فلا ينتهُون ولا يُردَعُون، بل كُلَّما نهاهُم يُبالغون في تحصيلِ شهوتِهم ويُحرِّضون، ولم يعلَمُوا مَا حَمّ به القدَرُ ممّا هُم إليهِ صائرون.

وجَعَلَ لوطٌ يُمانعُ قومَهُ الدُّخولَ عليهم والبابُ مُغلَقٌ، وهم يرمُون فتْحَـه، وهُـو يَعظُهُم وينهاهُم من وَرَاءِ الباب، فلمّا ضَاقَ الأمرُ، وعَسَرَ الحالُ قال: لو أنّ لـي بكـم قُوة أوْ آوِى إلى رُكنٍ شديدٍ لأَحْلَلْتُ بكم النِّكال، فقالت الملائكة (**إنّا رُسُلُ رَبِّـكَ لَـن يَصلُوا إلَيْكَ**) [هود: ٨١].

وذَكَرَ المُفسِّرُون أنّ جبريلَ عليه السلام خرجَ عليهم فـضرَب وجُـوهَهم خَفْقَـةً بطرْفِ جناحِهِ فطُمِسَت أعيُنُهم حتى قِيل أنّها غارت بالكلية(١). ولم يبقَ لَهَا محَـلٌّ ولا عَين ولا أثَرٌ، فرجَعُوا يتحسّسُون مع الحيطانِ، ويتوعَّدُون رُسُل الرّحمن، ويقُولُـون: إذا كان الغدُ كان لَنا ولَه شأنٌ، وهم لا يدرُون في الغدِ إلى أينَ هُم صائرون ﴿ **إنّ مَوْعدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بقَرِيبٍ** ﴾ [هود: ٨١].﴿ **فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَاليَهَا سَـافلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حجَارَةً منْ سجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عنْدَ رَبِّكَ وَمَا هيَ مـنَ الظَّـالمينَ ببَعيدٍ** ﴾ [هود: ٨٢ – ٨٣].

ولمّا ذهب هؤلاءِ واندَثَرت أخبارُهم، وانقطَعَت آثارُهم، بدأُوا يُطلُّون علينا من جديدٍ مِن شُرفات الهَوى والخَبَل والمُجون، حتى تَمّ الكشفُ عن جماعةٍ من الشّواذ، يتزعّمُهم مُهندسُ التّدريبِ بشركة حاسبٍ آلي، ومِن بينهم أستاذ جامعي، وأطبّاء، ومُحامون، ومُوظّفـون، وطُلاّب، وبقّـال، وحلاّق، وسائقون، وبَعد تحرِّياتٍ مُضنيةٍ قامَت بها أجهزةُ الأمنِ في مِصرَ، تَمّ إلقاءُ القبضِ عليهم، وتقديمهم إلى النيابة العامّة، وبدَوْرِها دفعَت بهم إلى محمكة جنوب القاهرة التي انعقَدَت رابع جلساتها صباح الأربعاء ٢٠٠١/٩/٥م. لمُحاكمة جماعة الشّواذ هذه، وفيها طلَبَ مُمثِّل الادعاء بضرورة الوُقوف هُنَيْهَة أمام موقف هيئة الدِّفاع الذى نفَى التُّهمة، وطالَب بعدم لَصْقِها ببعْضِ المُتهَمين، وقد أحضر شُهوداً عشرة، وقد جاءَت أقوالُهم في غيرِ صُلب القضية، وكانت مُجرد عِلْمٍ عام لا يُفيد في ذلك المَقام، فهُو علم لا ينفع وجَهل لا يضُرُّ.

---

(١) انظر : التنفسير العظيم (مفاتيح الغيب) لإمام فخر الدين الرازي

وتَناول مُمثلُ الادعاء في مُرافَعَتِه أدلّة الثُّبوتِ، وهي اعترافات للمتّهمين، وجاءت طبيعية ومُطابقة للحقيقَةِ والواقع، وصدَرَت عن إرادَة حُرة.

فقد اعترفَ المُتهم الأوّل أنّه اعتادَ مُمارَسة الجِنس مَع الرِّجال مُنذ كــان طالبــا بالإعدادي، ودَرَجَ علَى تصوير هذه المُمارســاتِ الــشّاذّة فوتُوغرافيــا، والاحتفــاظ بالصُّور العارية، وأنّه قد مارَسَ اللُّوَاط مَع المُتهمين، وأنّه يُمارِسه إيجابيّــاً، وأحيانـــاً سلبيّاً.

وأضافت النِّيابةُ: أنّ المُمارساتِ الشّاذة بين الرَّجُل والرَّجُل أيّــاً كانــت طبيعتهــا تُعتبر من قَبيل مُمارسة الفحشاءِ، فهي فُجُورٌ، وما دامَت كذلك فإنّ الجريمة قد وقَعَت، وأضافَ أنّ اعترافاتِ المُتّهَمين قد بَلَغت من الفُجْرِ ما جاءَ علَى لسان أحدِهم باعتيــاده مُمارساتِ الفُجورِ مَعَ الرِّجال بغْرِ تَمْييزٍ، وأنّ ذلك يتِم بمقابلٍ مــادي، وفــي أحيــانٍ أُخرى بدون مُقابل.

كما اعتادوا إقامةَ حفلاتٍ ماجِنةٍ بمرْكبٍ سياحيٍّ، يأتوُن علَــى ظهرِهــا الأفعــالَ الشّاذة كُلّ يوم خميس من كُلِّ أُسْبوعٍ، وهم يتراقصُون بصورة خليعة تُؤكِّــد مَــسلكَهم الشّاذ، وأشارَ علَى الصُّوَر الفاضحة التي تم ضبطها بمنــزل المُــتهم الأول وعــددها [٨٩٣] صورة، يَظهر فيها رِجالٌ وفتيانٌ عُراة يُمارسون الشُّذوذ في أماكِنِ مُغْلَقَــةٍ، وفي داخلِ السّيارات، وبينَ الحُقول(١).

والحاصل أن هؤلاء الجماعة وصَل بهم الحالُ إلى تحديد أماكنَ مُعيّنةٍ لإجــتلابِ الشّواذّ، ومُمارسة الشُّذوذ، وهذا هو حالُ الجماعة، وما يُريدُونَه لبلَد الطُّهرِ والعفَــاف، لبلدِ الأزهرِ الشّريف. وقِياساً علَى قومِ لُوط فيما نَسَبُوا أنفسَهُم إليه يقَع علــيهم قولُــه تعالى ﴿ **بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ** ﴾ [الجمعة : ٥].

---

(١) جريدة الجمهورية _ العدد الأسبوعى ص ٢٤ فى ٢٠٠١/٩/٦

د- شَــــوَاذُ الأغْنيـــاء:

لَم نقرأْ عنْهُ تعليقاً ، ولم نَسمع فِيه تكذيباً ، ولم نشْهَد فيه تحقِيقــا ، ممّــا جَعَلَنَــا نتسائلُ ***أينَ نحنُ ؟ وما هذا ؟ ومَن المَسئُول ؟ وكيف ؟***

إنّه النّبأ الذي نشَرته جريدة (النّبأ) المصرية الأُسبُوعية فـــي عـــددها الـــصّادر بتاريخ ٢٠٠٣/١٠/٥م – ولن أنقله نَصّاً لأنّه طويلٌ ومَقيت، فَضلا عَــن أنّــه يكــادُ يكشِف بالاسم عن أكابرَ المُجرمين أبطال الخَبَر الوارِد.

أمّا مُوجَزه فهُو :

قَامَ أحدُ رِجال الأعمالِ (الأغنياء قَوي) بإقامةِ احتفالٍ بعيد مِيلاده، ضَمّ عدداً من المُقرّبين، إلى جانِب عدد مِن الفنّانّاتِ ذات الوَسَط اللاّمع والصِّيت الذّائع، ضَمّتهم جميعاً بَهجَةُ الاحتفال، واختلطُوا جميعاً عند نخْبِ الاحتفال.

وتَخيّل ما شئتَ فيما يُمكن أن يكُون آنئذٍ، ولا تنطقنّ بسؤال.

وبَعدَ أن أطْفَأ رَجُلُ الأعمالِ الشُّموع احتفالاً ببدء عام جديدٍ مِن عُمره وسطَ مُكاء الحاضرِين وَتَصْدَيتِهم، رَفَع الرّجُلُ يدَه مُشيراً للحضُورِ للاستماعِ، فأنــصتَ الجميـــع، وأعلَن بطريقَةٍ مَسرَحيّةٍ عن مُفاجَئَة الحَفْل ، تماماً علَى طريقةِ فيلم سينمائيٍّ شَـــهِيرٍ ، وهي تقديمُه **سيارة مرسيدس** أحْدَث مُوديل جائزة لِصاحبةِ أحْسن رقْصةٍ بين جميلاتِ الحفْل بِشرط أن تخلْع مَن تُريد دخُولَ المُسابقَة مَلابِسَها، وترقُص عارية (تماما – أي والله –هكذا).

وكانت المُفاجئةُ: تنافُس الحاضِرات لِلفوز بالجائزة التي نالتها إحْدى الفنّانات مـــن أصحابِ الأسماءِ الجديدة الشّهيرة، بعد أن تقدّمت ورَاحَت تخلَعُ ملابِسَها قِطْعَةً قِطْعَةً، إلى أن استوفَت الشُّروطَ المَطلوبَةَ التي وضَعَها صاحِبُ الاحتفالِ بمـــا يُـــسمّى (عيـــد ميلاده).

وقد رقَصَتْها العاريةُ "" تمامًا "" التي نالت استِحسان الحاضِرين، الـــذين أجمعُـــوا علَى حقِّها في الفوزِ بِالجائزةِ الكبيرَةِ .

وقَعَ هذا ويَقَع مثله الكثيرُ في الوقتِ الذي يعيشُ فيه المُواطنون هُمُومَ البحثِ عن رغيفِ العَيْشِ، ويُعانُون مِن الوقُوف لِساعاتٍ طويلة في سبيلِ الحُصولِ عليه.

ونحنُ لا نُنكر علَى أصحابِ {[الفُلُوس]] حقّ التّنعُّم بها، خاصّـة إذا لـم تكُـن قُروضاً من البُنوك وأموالِ المُودعين، غير أنّ هذا النّعيم يجب أن لاّ يتجاوَز حُـدود العُرْفِ والأخلاقِ، وأن لاّ ينخَر في عَصَبِ القِيَمِ التي بَدَأَتْ تتآكل، وتَتَهَاوَى مقاوَمَتُهـا حتى أوشكَت علَى الانهيارِ في كثيرٍ من المواقعِ – هـذا إذا سـلّمنا – وأسـتغفرُ اللهَ العظيم – بتنحية الدِّين بَعيداً عن الواقعَة ، وتَرَكْنَا الشّأنَ للْعَلْمَانيينَ والماسُونيين الـذين يجتهدُون لحماية مُجتمعاتهم، وإيجاد الحُلول لمشكلاتها ليعيشوا جميعاً فى رَفَه حيـاة، ولينِ عيْش، حتى أنّهم في بلادهم أقامُوا أنديةً اجتماعيـةً لرعايـة القطـط الـضالّة، ولضمان سلامتهَا نفسياً وصحيّا، كما أقاموا نوادي أخرى يُعلِّمون فيها الخرافَ كيـف تَعْزِف المُوسيقى، بل ويُعَلِّمُونَ الكلابَ كَيْفَ تلعَب كُرةَ القَدَم، والحَميرَ كيف تُغَنِّى .

أمّا نحن في العالمِ الإسلاميِّ فلا زلنا نُسرع الخُطي في السّعي للخلـف، للعُبـور إلى الماضي، للتغنِّي بأمجاد الأجداد، الذين تعلّموا فعلمُوا، فَعَلَّمُـوا العَـالَمَ، وَجَـدُّوا فَوَجَدُوا، وَتَرَكُوا للبَشريّة ميراثاً هائلاً فى كُلِّ فُـروع العُلـوم، والفنـون، والثقافـة، والآداب، والزِّراعة، والطِّب، والكيمياء، والرياضيات، والرياضة، والفَلَك، والفلْـسَفَة، والجبْرِ، والعمارَة، والهندسة، والأسلحة... إلخ بحيث لم يدعُوا باباً للعلم إلاّ طَرَقُـوه، ولا دربَاً للمعرفة إلاّ سَلَكُوهُ، وقد فرّطنا نحنُ فى هـذا التُّـراث الهائـل، والميـراث العَظيم، نتيجةَ جهْلنا وَتَراجُعنَا، أو أنّنا أُجْبِرْنَا علَى التّفريط نتيجةَ وقُوعنا قُروناً طويلةً تحتَ نيرِ الاستعمار، وبتنا ونحن مُستَوْردين حتّى لمُمرضاتِ الإيـدْز مـن بلغاريـا، واسألوا الأطفال الليبيين وعددهم { ٤٣٥ } طفلا، وكذلك إنفلوانزا الطيور، ولم نكتـف بالعُرْى الجسديِّ، والكليبّات الجنسيّة التى اقتحَمَت علَينا حتى غُرَفَ نومنا، وقد انتقَلَت فيها الرّاقصات من الرّقص الرأسى التّقليدى إلى الرّقص الأُفقى الحديث ـــ أى أنّها ـــ { بترقص وهى راقدة... ياحلاوة ياولاد }، حيثُ تُصوِّرُ الكاميرا كُلَّ شئٍ مِـن جِـسمِ الرّاقصاتِ العارياتِ العاهراتِ ، ويُبرزُ المُصوِّرُ أخصّ أسرارِ أُنوثتهنّ وأجـسادهن، وكأنّهُنّ لا يَبغين من وراءِ ذلك التّمايُل وتلك الخلاعة غير تعْهيـرِ الفتيـات، وأَسْـرِ الشّبابِ جنسيّاً، لتأْهيلِ الجميعِ لثقافَة العوْلَمة الجديدةِ الوافدَة.

وإنـي أتسائل من جديدٍ أين نحْنُ ؟ وما هذا ؟ ومن المسئول ؟ وكيف ؟

... فَلْنَا أَنتَ يا الله.

ثانياً : تحْت حُكم العَلْمانيِّين

يُعتبرُ الإسلامُ بحقٍ جامعاً مانعاً لكلِّ ما يُرادُ مــن معْنَــى لكَلمــة (الحــضارة) بمعناها العام، وذلك لأنّه عندما ينزلُ بأرض تنتَشرُ عليها حضارتُه التي تشْمَل العقيدةَ، والأخلاقَ، والشّريعة، والتّشريعَ الإسلامي يمتدُّ ليشملَ السياسةَ، والاقتــصادَ، والــنُّظُمَ الاجتماعية، وغيرها.

لذلك فإنّه يرسُمُ حياةَ المُسلم في مُختلف اتِّجاهاتها، ويُوَضِّحُ له ما يأخذُ بـــه ومـــا يَدَعَهُ، الأمْرُ الذي جَعَلَ المُسلمين في وضْع السِّيادَة العالَميّة، وبفضل الدين الإســـلاميِّ فقد انزَوَى للمسلمين حقّاً، وهُم{ الصدر الأول } من الأرض أقصاها. ممّا مهّدَ الطّريقَ لاندثار مَدَنيّة الآخرين، وفَتَحَ الأبوابَ لوَضْع ما يُسمّى حضارات الآخَرين من عَبَــدَة البَقَر والحَمير والكلاب، وعبدة الأوثان، والأصنام، والنيران، والعجــل، والجُعــران، والطاغوت إلى أغوار التاريخ.

ويُقرِّر هوبير ديشان علَى ذلك بقوله: إنّ كبارَ المشايخ، وأفذاذَ العُلماء، كانوا فـــي مُنتهى الاستقَامَة والمعرفَة بقواعد الإسلام، فكانوا لا يــدّعُون لأنفُــسهم كَرَامـــات أو خوارق، وكانوا علَى فضْلهم وَسَعَة علْمهم لا تعدُوا علاقةُ الواحد منهم بمُريديه علاقةَ الأستاذ بطلبَته، وكان الخاصّة المُستنيرُون يَرَوْن العُلماءَ مُربِّيين رُوحيِّــين يُوجِّهــون النُّفوسَ، ويُبصِّرون النّاسَ بأحوال القُلوب، ولكنّ العامّة كانت تنظرُ لهــؤلاء العُلمـــاء نظرةَ تقديس(١).

والحضارةُ الإسلامية في ناحية الجنس واللّون حضارة تدعو إلى الإعجاب والفخْر، لأنّ الإسلامَ نَقَلَ مجَالَ التّفاضُل من مكَان الجنس واللّون إلى مجال العمَل النافع والخُلُق الصّالح.

وإذا قُورنت بالفكْر الأورُوبيِّ تجاهَ الجنْس واللّون، يتّضح أنّ شَطَطَ الفكر الغربي كُله بكبار فلاسفته ومُفكِّريه قد قرّروا أنّ استبعادَ الأورُوبيين للزِّنُوج عمــلٌ طبيعـــي اقتضـــته حكمةُ الله حتى أنهم قالُوا { إنّ الرّجُل الأَسْــودَ مكانُه في عالم الحَيوان بينَ

---

(١) الديانات فى إفريقيا السوداء ك ص ١٤٦ . هوبير ديشان

الشّمبانزي والجيبون [القُرود شديد الشّبه بالإنسان](١).

وأوردَت المراجع التاريخيّةُ خيرَ شاهدٍ نُعدُّهُ أقْوَى دليلٍ علَى صدْقِ ما ذهَبْنَا إليه عند مُقارنة الحضارةِ الإسلاميةِ بغيرها، فجاءَ في غيرِ مصدر أنّ أحدَ الزُّنوج المُسلمين من أبناءِ السِّنغال، وقد بيع في سُوق الرّقيق إلى سَيِّدٍ إنجليزيٍّ اشتراهُ، ليعملَ في مزرعتِه في لندن، فلمَحَه سيِّدُه ذاتَ يومٍ يأكُل القصبَ فمَا كانَ من سَيِّدِه إلاّ أنْ عالجَ المُشكلة من أساسها، فخلَع أسنانَ الزِّنجي الذي أكَلَ القَصَبَ من غَيْرِ إذْنٍ.

وزنجيٌّ آخَرَ كان يعملُ في خدمة الخَيْل، وأعمالِ أُخْرَى هي عليه شاقّة، وقد شاهَدَهُ سيِّدُهُ يركَبُ حُصاناً أبيضَ من المُخصّصين للرُّكوب والتّنزُّه (للأسْياد البيض فقط)، وكان الزِّنجي في طريقه به إلى حيث مكان النّظافة والاستحمامِ المُخصّص للخَيلِ، فما كانَ مَن السّيِّد إلاّ أن أطْلَقَ عليه عيارَ مُسدّسه فأرداهُ قتيلاً في الحالِ.

من هُنا باتت حضارةُ الغَرْبِ مُهددة بالتّحلُّل، وبدَتَ عاجِزَةً أمامَ الحضارة الإسلاميّةِ التي أتاحت للعالم طابعاً حضاريّاً مُتفرِّدا، ونُمُوذجاً واضحاً مُتميِّزاً.

وينبغي من هنا أن نُنبه إلى أنّ الاستعمارِ يقفُ بالمرصاد للإسلامِ في كُلِّ حين، ويعملُ بكلِّ جَهدِه للنّيل منه، فهو يُثيرُ الفتَنَ في داخلِ الدُّول، ويُدبِّرُ النِّزاعات علَى الحُدُود بين دول الجوار، ويُرسل عُيونَه للتجسُّس... إلخ، غير أنّه لَمّا وَجَدَ نفْسَهُ مُضطّراً للرّحيل عَن المُستعمرات التي كان يحتلُّها اجتهَدَ في أمرَين اثنينِ لهما من الخُطورة مَكان، ومن الأهمية مقدار:

* **الأول:** أن يرحَل بقوّاته ليبقى نُفُوذُه.

* **الثّاني:** أن يختَفي مُمثِّلوهُ البيض ليظْهَرَ مُمَثِّلوهُ المَحلِّيِّين .

وهَكَذا توارَى الاستعمارُ خَلْفَ الاستقلال، أو لَبس ثوبَه، وصَنَعَ قَادةً مَحلِّيين كالمثّال يصنَع تمثالاً، ثُم أغْرَقَ البلادَ بإرساليات التّبشير التي جُل اهتماماتها تحديد نسلِ المُسلمين باستخدام ما يُقالُ لها برامج الأمُومة والطُفولة، والدخُول إلى قَلْب الغلابة عن طريق إنشاءِ المشاريعِ الخيريّة تحتَ مُسميات مُختلفة مثل جَمعيات الصُّم والبُكم، وجمعيَات الأطفال المُعاقين ذهنيّاً، وبرامج التّأهيل المهنيِّ والمُستشفيات غير

(٢) إفريقيا والثورة : ص ١٨٩ أحمد سيكوتورى

الوَطَنية التى تُقيمُها إرساليات التّبشير فى العالمِ الإسلاميِّ بلا استثناءٍ ويقُولُــون إنّهــا خيرية ومجانية للقادرين ولغير القادرين، أوّلاً لأنّها رمزُ للمحبّــة وتَبَرُّكَــات الــسّلام ...إلخ ، وما ذلك حُبّاً في المُسلمين ولا في الإسلامِ إنْ هو إلا خَطٌّ عقائديّ طويلٌ فــي مُحاربةِ الإسلامِ ومُشَاغلَته بمُعارضين من بيئته .

والحقُ أن المُبشِّر المسيحيِّ يَعْرِفُ الكثيرَ عن الإسلامِ ، ثم يُحَرِّفهُ مــن بعــض مَوْضعه؛ ثُمّ يُهاجمُهُ من خلال هذا التعَرُّف المُنحَرف، وذلك كائن في الوقْــت الــذي أصْبَحَ فيه أكثرُ المسلمين علَى غير درَاية بنواقضِ الوُضُوء ولا بحُقوق الجار، وضَلُّوا مسالك الصّالحين العارفين، كما أهمَلُوا لُغَتَهم الجميلةَ وهي الوعاءُ الذي جاءَ به كــلامُ الله وأحاديثُ الرّسول ﷺ ، بينما يُفيد التعرُّفُ عليها بدراستها وفهْمها في فَهْمِ صــحيحِ الدِّين وأُسُسِ العقيدةِ ، ورُوحِ الفقْه، هذا غير ما كان مــن إعــراض الكثيــرين مــن المُسلمين عَن قراءة القرآن الكريم، والاكتفاء بوضْعِ المُصحف الشّريف أمــامَ ســائقِ السّيّارة للتبرك به، وعلَى المكاتب فى جهات العَمَل ، وليُقسم به رجالُ الأعمالِ علَــى طَهَارة أيديهم المُلوّثة، وليظْهَرَ به الُّلصُوصُ والسّارقون والسّماسرةُ بمظهرِ الــشُّرَفاءِ الأَتْقياء.. إلخ، كما جَرَت علَى اللِّسانِ العربَيِّ تعريباتٍ للغريبِ مــن الكلمــات التــي صرِنَا نستخدمُها عن سُوء فَهم أو بانعقاد قَصْدٍ مثل استبدال تحية الإسلام بــــ (هــاي شلّة، وجود باي، وهاى) بَدَلاً من تحيّة الإسلامِ العَطرة ، وأضْحت مُفــردات لُغــة جديدة غريبة وعجيبة تعرف باللغة" ***الْعَرَبيزِيّة*** " فأصْبحت " أُمِّي " مَامْ ، وأضــحَى " أبي " دَادْ ، وصار الشّباب الإسلامي "" روشْ طَحْن "" والعوَض علَى الله.

واشْتَغَلَ المسلمُونَ حديثا بالتّقريبِ بين الثّقافات الأضّادية تحتَ شعارِ مَــا يُــسمّى حوار الحضارات الذي أفرزَ شَيئا جديداً وعَجيباً سمعْنَا به في زمَننا هذا؛ وهو ما قالوا عنه (الخطاب الدِّيني الجديد). أيْ .{[إعادة تأهيل الأئمّة والدُّعاة]] علَى لُغة جديــدةٍ تُنهي تماما ثَوابتَ فريضَة الجهاد وتُجرِّمُ الحَثّ علَيْها ، وتدعُو إلى مُــسالَمَةَ الأعْــداءِ واكتساب صداقَتهم لكسْب صَدَقَاتهم، وتحُضُّ على حُبِّ العالَم علَى حساب حُبِّ الوَطَن، بينَمَا أهملُوا تماماً، أو لربّما نَسوا أو تنَاسوا العملَ علَى التّقريب الثّقــافي بــينَ بُلــدان العالَم الإسلامي مُتعدد الُّلغات مُختلف اللّهَجَهات.

وقد فاتَنَا أنّنا إذا أردنا أن نُحقِّق ما حقّقه المُسلمون السّابقون من انتصارات، ورُقيّ، وسُؤْدُد فَعَلَينا يتعيّن بالضّرورة العودُ الحميد للإسلامِ، والتّخَلُّق بأخلاقِه، والعملُ بشريعتِه.

وإذا كان الاستعمارُ قد رَحَلَ وتوارَى خَلْفَ الاستقلالِ، واعتمدَ علَى وُكلائه من العُملاء والخونَة، فإنّ له إلى جانبِ ذلك وُجدَت النّقاباتُ العُماليّةُ الغربيّةُ التي تعملُ على تغلغُلِ نُفُوذه الاقتصاديِّ، والسياسي في الدُّول الإفريقية، كما هُو حالُ النِّقابات العُمالية في كُلٍّ من نيجريا، السِّنغال، ساحلِ العاج، لَيْبِرْيا، أُوغندة، ورُواندا، النِّيجر، تشاد، السُّودان، فضلا عن إثيوبيا "القلعة المسيحية" فى إفريقيا التى تعمَلُ وكيلاً للاستعمارِ فى إفريقيا، وقد استقطعت من الصُّومال فى القرن الماضي مناطقَ (أغادين، وعروسة، وجالا)، ثُمّ فى عام ٢٠٠٧ أعادت احتلالَ الصُّومالِ كُلِّه بالإنابةِ عن الإمبريالية الأمريكية والصُّهيونية العالمية، وبدعم عسكري ومادي صريح، ليتخلصوا من صُداع المحاكمِ الإسلامية من جانبٍ ، ولِتنصيب نظامِ الرّئيس عبد الله يوسف العميل، والموالى لأمريكا وإثيوبيا وإسرائيل، وكذلك لإجهاض أيّة مُحاولة للتّقارُبِ الإسلاميِّ اليمنيِّ الصُّوماليِّ خاصة وأن البلدين يتحكّمان فى مدخل البحر الأحمر من ناحية الجنوب، وذلك فى غيبة تامّة للجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي، وكأن الصومال يقع فى قلب قارة انتريكتيكا المتجمدة.

كما عملَ الاستعمارُ علَى أن يصنَعَ في الدُّول الإسلامية قياداتٍ مَحلية تنتمي إلى وَطَنِها وأُمّتِها إسْمَاً ومَظْهَرَاً، أمّا عَمَلياً وجَوْهريّاً فإنّها تتعاونُ معهُ وتعملُ لأجلِه، وتحْمِلُ ألويتَهُ فى نشوة، وتدافع عن استراتيجياته (مُخطّطّاته) وترْعى مصالحَهُ رعايةً كاملةً، وتُهمِلُ أمرَ شُعوبِها ، والأمثِلة الحيّة علَى هذا.. عديدة وحاضِرة منها:

● أ- النُّمُوذجُ الإيرانيُّ:

اعْتَرَفَ مَلِك المُلوك (الشّاهنشاه) الإيراني **# مُحمد رضا بهلوي #** بإسرائيلَ، وتبادلَ مَعَهَا العَلاقات الدبلوماسية والاقتصادية القويّة، وصارت له معَها مَنافع ومصالحَ تجاريةٍ مُتنامية، مُتناسياً وبشِدّةٍ العلاقاتِ الدِّينيّةِ والتّاريخيّةِ التي تربطُ بلادَه بالعربِ، ومن ثَمّ فقد نَشأ تعاوُنٌ كبيرٌ بين هيئةِ المُخابراتِ الإيرانية (السّافاك)، وهيئة المُخابرات الإسرائيلية، وكان هذا التعاون لِصالحِ الشّاهِ ضدّ المواطِنين الإيرانيِّين ، ثُم

ضد إيران ذاتها بَعد أن قطَعَ الشّاهُ علاقَتَه بالعالَمَيْن العربي والإسلاميِّ، وسُرعان مــا انقلَب هذا التعاون ضدّ الشاه نفسَه فيما بَعد ***{ وما من طير طارَ وارتَفعَ إلاّ كَمَــا طَــارَ وَقَعَ }*** .

وقد وصَفَ الشاهُ علاقَتَهَ بإسرائيلَ بقوله: (إنّ تعاوُنَنَا معَ إسرائيلَ لا يقتصِر عَلَى المُخابرات فَقَط، بلْ إنّه أوْسَعُ من ذلك بِكثيرٍ).

ولقد أرْسلَ الشّاهُ مجْمُوعاتٍ من كُل أسلحةِ الجيش، وفُروع الإدارَة للتّدريب في إسرائيلَ، ومن الناحيةِ الإقتصاديةِ وَصَلَ ميزانُ التّبادُل التِّجاري بينَ إسرائيل وإيرانَ (٤٠٠ مليون دُولارا سنويا، واشترَى الشاهُ أسلحةً من إسرائيلَ بمِئات الملايين من الدُّولارات(١).)

وفي عصره أُقيمَت في"" برسو بلويس "" بمناسبة مُرور ٢٥ قَرنا (٢٥٠٠ عــام) علَى تأسيسِ الإمبراطوريةِ الفارسية علَى يد {{ قُورش }} العظيم، احتفالاتٌ أُسطوريةٌ بمناسبة ذكرى وفاةِ الإمبراطور قُورش الذي انتهَت أمجادُه مُنذ عهدٍ بعيدٍ، غيــر أنّ هذه الإمبراطوريّة حلّت بها ظروفٌ قاسية من الآلام والمُعاناة والانكماش، علَى نحــو مَا بيّنا في كتابنا السّابق (صراعِ الحضَارات وحوار الدبابات) غيرَ أنّ الشاهَ فيما يبــدُو كان يحلم باسترْجاعِ الماضي، وقد بدأ بتخويفِ جيرانه، وإعدادِ الجُيوشِ التي وَصَــفها هُو بأنّها تفوقُ جُيوش بريطانيا في مَنطقة الخليج، ولم يكتفِ بهذا فحَسب، بــلْ ذَهَــبَ يُحْيِي اتجاهات قُورش في التّعاوُنِ مع اليَهود، حيث كَشَفَ الحفلُ الأســطُوريُّ الــذي أقامَه الشّاه في١٩٧١.م عن مَغْزَى رَهيب.

ففي مهرجانِ **قُورَش** أفادت المصادرُ أنّ احتفالاتِه الباهرة تكلّفت مليــارات مــن الدولارات (أسعار مطلع السبعينات)، فالشّاهُ أعادَ الحياةَ إلى نحوِ ٢٥٠٠ عام مَضَت، فكان يتعيّن بالضّرورةِ أن تَحْمل الملابسُ طابعَ ذلك العصرِ البعيد.

وقد صُنعت في فرنسا أجملُ الملابسِ للجنودِ المُــشتركين فــي العــرضِ مــن المدَنيين، كما صُنعت الخيامُ الخلاّبة المُكيّفة الهواء، وحَمَلَت الطائراتُ الطّعامَ السّاخن من مطعم **مكــسيم** بباريس، وأضاءَت بريطانيا شوارِع طهرَان فجعَلَتْها تمُوجُ بالبَهْجة،

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية. ج ٨ ص ١٦٦، ١٦٧

وكان الشاهنشاه يستقبل ضُيوفَه وهو في قمّة الزهو والفخر، وطَهْرَانُ فى قمّة الأنَاقَـــة والفَخَامَة والأُبّهة ، فكانت ذهبية الألوان مَاسية اللّمَعَان(١).

ولم يشأ الشاهنشاهُ أن ينتهي عند هذه التّصرُّفات فحسب، بل تجاوَزها إلى أبعد مَدَى حيث أصدرَ مجموعةً من الأوامر والقرارت التي تَنُمُّ عن اتجاهاتٍ لا إسلامية ومنها :

* ألغى الشاهُ التقويم الهجري ووضَعَ بدَلَه التقويم الإخميني.

* احتضَنَ الشّاه فرقة البهائيّة المُتّجهة إلى الصُّهيونية، ووضَعَ في أيديهم أخطـرَ أعمال المُخابرات، وهؤلاء لم يسلَم منهم أحدٌ في إيرانَ حتى النِّساء، كمـا أنّهـم لـم يتعاونوا أبداً مع نِظام الخُميني المُرشد الأعْلى والأبُ الرُّوحي للثّورة الإسلامية فيمـا بَعد.

ولمّا أحسّ الشّاه أنّ أيّامَه قد حانت، فاتّجه لتهريب الأموال للخـارج، وتكوّنـت للشّاه ثرْوَةً هائلةً خارجَ إيرانَ منها مثلاً **٢٥%** من مُؤسّسة **كـروب** الألمانيـة، وقـد إشتراها الشاه بمبلغ **٥٥٠** مليون مارك ألماني، أمّا الجواهر التي يمتلكُها الشّاه فـأعْلَى من الوصْف، وهي تشمَل الكُنُوزَ المُذهلة التي انحدَرَت إليه مـن العُهُـود الـسابقَة، وتشمَل "" عرش الطّاوُوُس "" وهي **جوْهَرة مصنُوعة من الذّهب الخـالص المُرَصّـع بالماس والأحجار الكريمة** .

أمّا الأُسرة المالكة في إيران ، ومُؤسسة بهلَوي تمتلكـان **٨٠%** مـن صـناعة الأسمنت في إيران ، **٧٠%** من الفنادق السياحية ، **٦٢ %** مـن البنـوك وشـركات التأمين ، بالإضافة إلى نصيب كبير من صناعة السّيارات والنّسيج وغيرها .

وفي ديسمبر ١٩٧٨م الموافق ١٣٩٩هـ، حيث ذكْرى مقتل الحُسين ﷺ، فكانـت المظاهراتُ، والثّورَةُ، والأزْمةُ ، وهي بحق أعنفُ الثّـورات فـي عـصْرِ الأُسـرَة الشاهنشاهية، فوجدَ الشاهُ نفسَه مُضطراً إلى الرّحيل، فحاولَ أن يأخُذ مَعَه مـا يُـسمّى **(جواهر التّاج)** وهي تشمل التِّيجان التـي اسـتخدَمَها فـي تَتْـويجِ نَفْـسه، وتتـويجِ الإمبراطورة، ووليِّ العهد سنة ١٩٦٧م.، ولكنّ هذه الذّخيرة كانت مُودعةً في خـزائنِ

---

(١) المصدر السابق ص ١٨٣ . بتصرف

علَى بعد **(٢٠)** عشرين مترا تحتَ الأرض، وكان مُؤمّناً عليها بمبلغٍ رهيبٍ يَصلُ إلى **٥٠٠ مليار دولار**، وقد أخّر الشاه مُغادرتَه لإيرانَ في ١٦/١/١٩٧٩م على أمل أن يحصُل عليها، ولكنّ المُوظفِّين الذين كانوا يعرفون أسرارَ الوُصول إليها كانوا في إضرابٍ مع باقِي موظّفِي الدولة، وغادَرَ الشّاهُ في اليومِ التالي إلى مصر دُون أن يأخُذ تلك الذّخيرةَ مَعَهُ، وقد ظنّ أنّه سيعُودُ، وفي مصر تلقّى دعوةً من المَغْربِ فذَهَبَ إليها في ٢٢/١/١٩٧٩م، وكان ملكُ المغربِ يعتقِد أنّ الشّاه سيعودُ إلى بلاده، فأرادَ مُجاملَتَه، وسرُعان ما اتّضَحَ أنّ الشّاه لن يعُود، ممّا جعل ملك المغرب يهمس بأنّ بَقَاءَ الشّاه غير مرغُوبٍ فيهِ .

وسُبحان الملِك الدّيان، فقد أُصيبَ الشّاهُ بالسّرطانِ، إضافَةً إلى تشرُّده، وأخَذَ يَتَنَقّلُ من مكانٍ إلى آخَرَ للعلاجِ أوْ الإقامة، دُون أن يجد مكاناً للاستقرارِ، وباتَ وأُسْرَتُه يقذُفُهم قُطْرٌ إلى قُطْرٍ، فَطَارَ من **المغرب** إلى جُزر **بهاما**، **فالمكسيك**، **فالولايات المتحدة الأمريكية**، وأخيراً إلى **بَنَمَا** التي ضاقت به بسُرعة.

حَاول الرئيس الأمريكي آنئذٍ **جيمي كارتر** الإتّجَارَ مع حكُومةِ بَنَما بموضُوع الشّاه لتسليمِهِ للثُّوار في طهْران، نَظير إنهاءِ مُشكلة الرّهائن الأمريكيين المُحتجزين في إيران.

اتّصل كارتر بإيران، وطارَ مبعوثُها إلى بَنَما للتّوقيعِ علَى اتفاقيةٍ بين البَلَدَيْنِ لتسليمِ المُتهمين وهي الأُولى بين البلدينِ علَى مدار التاريخِ، وقد تم تفصيلها وحياكَتها بأقصى سُرعة تحتَ الرِّعاية الأمريكية.

ولكن الجُهودَ التى بُذلَت أنقذت الشّاهَ قَبْلَ توقيع هذه الاتفاقية بوقْتٍ قَصيرٍ، حيثُ أعْلَنَ السّاداتُ أنّ طائرةَ الرِّئاسةَ المصريّةَ سَوْفَ تنطلق فَوْراً إلى بَنَمَا لنَقلِ الشّاه وأُسْرَتِهِ إلى مصر، ولكنّ **رُوكفلر** و **كيسنجر** مهندس السياسة الخارجية الأمريكية آنذاك كانا قد استأجرا طائرةً خاصّة لنقلِهِ إلى مصر قبلَ بضع ساعاتٍ من توقيعِ الاتفاقية، وعادَ الشاهُ إلى مصر.

وقد رحّبت مصر به وبأُسرَتِهِ انطلاقاً من ريادَتِها الإسلامية ودوْرِها الحضاري وواجبِها الإنساني، ولم يكُن للشّاه من خيارٍ أمام قُوّة المُتغيِّرَاتِ غير الإقامة في مصر اعتباراً من ٢٤/٣/١٩٨٠م، وخضَعَ لعلاجٍ مُكثّف لازمٍ لحالَتِهِ، ولكنّه كان يُشفَى من

داءٍ ليندفعَ إليه داءٌ جديدٌ حتى **مات** في ١٩٨٠/٧/٢٧م ، ودُفن في مصر حيث كـان قد دُفن أبُوهُ من قَبل.

ب – الرَّجُل الأحْمَر:

ما أنْ انْزَوَى الرئيسُ الإندونيسي سُوكارنُو إلى الظِّلِّ بعداء أداء سوهارتو قَـسَمَ اليمين الدستورية بَعد أن أصدرَ المجلسُ الاستشاريُّ المُؤقّت قَـرَاراً بتَعْيينـه رئيـساً للجمهورية في ١٩٦٨/٣/٢٧م. حتى أصابت العللُ سُوكارْنُو واجتمَعَت عليه النّوائبُ حتى ماتَ في ١٩٧٠/٦/٢١م.، بعد أن زَرَعَ بَلاده بالكنائس وحوّل مـساجدَها إلـى أنديةٍ للمُلحدين الشّيُوعيين بعد أن انزلَقَ في براثن الشّيُوعيّة حتى قالُوا عنـهُ **الرّجُـل الأحمر** .

وقد خلّفَ سوكارنو تاريخاً غير نَقِّي، فقد أظهَرَت التحقيقاتُ التـي أعلَـن عنهـا المُدّعي العام الإندُونيسي أنّ سوكارنو رَصَدَ لحسابه في بُنُوك طُوكيو مبلغ **مليـونين ونصف المليون من الدولارات الأمريكية**، وأنّ " **سوبندريو** " الرّجُل الثاني بَعده رَصَدَ لحسابه مبلغَ **١٩٢ ألف دولار** في بُنوك سويسرا، وأنّ الوزير " **خير صالح** " رَصَـدَ لنفسه **١٦ مليون دولار**، وقد انتحرَ الأخيرُ في السِّجن قبلَ تقديمه للمُحاكمة(١).

ولم ينتفع هؤلاء بما سرَقوا من أملاك شُعوبهم وما نَهَبُوا من ثَـرْوَات أوطـانهم، وإنّما تَرَكُوا اللّعنات تُصَبُّ عليهم من الشّعب الذي عانَى الحاجَةَ والفَقر، وهم يكنـزُون الذّهب والفضّة سَرِقَةً من أموال شُعُوبهم المقهُورة.

وإذا كان هذا هو حالُ البعض ممّن عُرِفَت أرصدَتُهم التي انتهبُوهـا مـن قُـوت الشّعب الإندونيسي، فإنّ الوثائق تُقرِّر أنّ سوكارنُو أَنْفَقَ نَفَقَاتٍ باهظةٍ علَى رحْلاتـه، وبخاصّة إلى اليابان حيث تزوّج من زوجَـته الأخيرة "" **راتْنا ديوي** "" كما كانت هذه الزّوجة تُنفق عشرات الآلاف من الدولارات لرحلاتها التي تـشتري فيهـا ملابـسَها وأدوات الزّينة الخاصّة بها من باريس.

وأمثال بهلوي وسوكارنو في عالمنا الإسلامي كثيـرون، غيـر أن شـيئاً مـن أسرارهم لم يُكـتشف بعد، وسـيأتِي اليـومُ حتماً الذي ينقطعُ فيه رجاؤُهُم ، وتُفتَضَحُ

---

(١) صفحات من تاريخ إندونيسيا المعاصرة ص ١٥٤ : ١٥٥ محمد أسد شهاب

أسرارُهم، وتتكشفُ أغوارُهم، وما لَهُم يومئذ مِن الله مِن عاصمٍ، ولــيس لهُــم أمـــامَ شعُوبهم آنئذٍ مِن حائِلٍ..

ج – نماذِجُ القَهْرِ في المَغْرِبِ العَرَبي:

طالت رِحلتُنا في أغوارِ العالمِ الإسلامِي ونحنُ نكشف أسرارَه، ونتعــرّف علَــى خباياه، ونُفتِّش في طيّاته، وبينما نحنُ على كذلك علي حال الّصبر والمُثابرة نتــصفّح ملفّاته السّاخنة إذ طلَعت علينَا قضايَا هِي الأعقد من التعقيدات والأحَرُّ علَــى الــصّدرِ من الجَمَرَات المُوقَدَات.

فمَا أن تحدّثنا علَى سبيلِ المثالِ لا الحَصْرِ عن أحوالِ المسلمين في إيرانَ وفــي إندونيسيا، وأسقطْنَا عَمْدَاً الكلامَ عنِ **الخديوي إسماعيل** العاشــق لأوروبــا، والملــك **فاروق** ـــ الدُّمية فى يد الإنجليز – ملك مصر السابق، وآخرين، من دُونهم لِسابق العلمِ بِهم وبِما كان منهم مِن سَرِقة واكتناز، وتخريبٍ وتأريبٍ، وسلبٍ ونهبٍ، وامتــصاصٍ واستيلاءٍ، وشفطٍ بلا طردٍ لِثروات الشُّعوب المطحونة والتهــام مُقــدّراتها ومُقوِّمــات حياتِها، حتى وقَعَت أيدينا على * ملّفِّ النّارِ * أو هُو مَلف **العار** في المغْرِب العربــي .. وهو الذي كشفَته حكايةُ الضّابط الجزائري الذي فرّ مِن وطَنَه إلى فرنــسا، وهــو واحدٌ مِن عشراتٍ مِثله سلكُوا ذاتَ المَسْلَك، وهُناك أدلَى باعترافاتٍ مُثيرةٍ تَقْشعِرُّ منها الأبدانُ، وهى تقودُ بالضرورة إلى هَوْلِ الصِّراع المُتأجِّج الذي يُعبِّر عن الحقد المريرِ ضِدّ الإسلامِ والمُسلمين خاصّة الأصولِيِّين منهُم وهم أهلُ صَحيحِ الــسُّنّة ومُلازمــي الجَمَاعة، وهم كذلك المُتحرِّرُون مِن المنهجِ الغربِي لِلدّعوة والمُسمّى **(إعادة تأهيــل الدُّعاة)** وقد بدأ أوّل ما بدأ تطبيقه فى المملكة السعودية وهؤلاء مَــن قــالوا عــنهم **الجماعات الأصولية** ثُمّ قالُوها صراحةً الإرهــاب الإســلامي، والعجيــبُ أن تبتلــع حُكُوماتُنا الإسلاميةَ الطُّعْمَ الغربِي ، وتُردِّدُ النّغَمَات ذاتها بالعَزْفِ علَى تلك الأوتارِ، ثم تتعامل معَ تلك الجمَاعة بأعنفَ وأقسَى وأفْجَرِ أنواعِ التعامُلِ الوحْشِي الذي سَلَكَت فيه مسالِكَ التّصفْيةِ الجَسَديّة..

وهذه هي بعْضُ مُفردات الموْضُوع:

فقد قال الضّابط الجزائري: إنّ الجيشَ الجزائري وأجهزةَ الأمنِ الجزائريةِ التي كان يعملُ في صفوفها، هُم الذين يمارسُون عمليّاتِ الإرهابِ والقتلِ بهدف تشويه صورة الإسلاميين، وكذلك بغرَضِ تَصْفية العناصرِ الأمْنية والعسْكرية المحبُوبة والمعروف عنها الإخلاصَ للدِّين والوَلاءَ للوطن.

وقد ذكرت جريدةُ الأهرامِ القاهرية في ١٩٩٥/٣/٣١م نقلاً عن مصادرَ صحفية مُطّلعة { بريطانية، وفرنسية } أنّ ضابطا آخَرَ اعترف لهُ بأنّه قَتَلَ (١٤) أربعةَ عَشَرَ ضابطاً من زُملائه، كما أضاف أنّ المُشرفَ عَلَى الفَتْرَةِ اللّيليةِ في أكاديميةِ الشُّرطة الجزائريةِ قد دَسَّ السُّمَّ لألْف وستمائة (١٦٠٠) من الطُّلاب.

ويمْضِي التقريرُ الذي أورَدتهُ الصُّحفُ الغربيةُ ليُشيرَ إلى قولِ مجمُوعةٍ من ضباطِ الشرطة الجزائريين المُحالين إلى التّقاعُد ، أو مَن انتهت مُدة خدمتهم، وقد ثَبُتَ عنهم قولُهم: (**كُنّا نُحاربُ الجماعاتِ الإسلاميّةِ المُسلّحة، لكنّنا أدْركنا بَعد أنْ ناقشْنا المسألةَ فيما بينَنَا أنّ الأحداثَ الكُبرى كانت تقُوم بها جهاتٌ حُكوميةٌ**).

كما أضاف الضّابط الأوّل نفسُه أنّ أجهزةَ الأمنِ الحُكومية أصبحَت مُتعطّشة للدِّمَاء، وهي لذلك تُنفِّذ أوامرَ القتلِ الصّادرةِ إليها من رُؤساءَ مَجهولِي الهويّة، دُون أن يتبيّنوا ما إذا كانت الضّحية مُذنبة أَمْ بريئةً وما إذا كانت مسلّحة أو غير مُسلحة.

ولعَلّ ما تقدّم يُلقي الضّوءَ علَى حقيقةِ الأوضاعِ المأساويةِ المُؤسفة، ويُحدِّد أبعادَ حرْبِ الإبادة التي تُؤكِّدُ علَى أنّ ما يُسمّى بالإرهابِ الإسلاميِّ هو صناعةُ حُكوماتٍ علمانية حُسبتْ ظنّاً علَى شُعوبها الإسلامية، وهي تهدفُ إلى تشْويه صُورةِ التّيّارِ الإسلاميِّ في أعيُن الشُّعوبِ التي تحكمُها، وذلك هو الوضعُ الذي تستغلّهُ جماعاتُ التّبشير الأجنبية التي تعمل فى الجزائرِ أحسن استغلالٍ، وتُوظِّفه أفْضَلَ توظيفٍ.

وهذه مُجرّد روايةٍ حقيقيةٍ لصورةٍ مُجسّمة لأحدِ مسالكِ الحُكُوماتِ العلمانية في العالمِ الإسلامي، وهو مسلَك لا يهدفُ إلاّ لتقويضِ الحُرِّياتِ، وتكميمِ الأفواه، وإيجادِ مُبرِّرات لسياسات العُنف، والدّموية، والتّصفية الجسدية، ومُناهضة الإسلامِ.

وقد تحوّل الكثيرونَ مِن قادةِ عالمنا الإسلاميِّ إلى مُحذِّرين، وبعضُهم مُحرِّضين، والآخَرون يستعِدُّون ، ويستدعُون الدُّولَ الأجنبية ضدّ شُعُوبِهم لِقاء وُعُودٍ لَن تكون

(٢٦٠)

إلاّ لأجل غَرَضٍ مرسومٍ في وقتٍ معلومٍ، مُرتبطٍ بالمنَح " القُروض " وإعادة جدولةِ الديون وتلميعِ المقاعدِ، وتأمين شاغليها حتى بعد إنتهاء العُمر الافتراضي لبعضهم، بل وانتهاء الصلاحية التفويضية الشعبية، وانظر إلى التونسي " الحبيب بورقيبة " وإلى الجزائرى " الأمين زروال " ، واللبناني " أمين الجميل "، والإندونيسي " سوكارنو " والشاه الإيرانى بهلوى.. وغيرهم.

د ــ السُّنِّيّة الكُرديّةُ:

لم تشأْ مُشكلةُ الشَّعْبِ الكُرديّ أن تنحَصِر مع هــوْلِ الفظــائعِ ، وكَــمٍّ الجــرائم الإنسانية، والأخلاقية التي تعرّض لها الأكرادُ في شمالِ العراقِ فــي المنطقــةِ التــي أعلنُوها جُمهوريةً خاصة بهم مِن طَرفٍ واحدٍ أطلقوا عليها كُردستان العراق، وأعلنوا (**أربيل**) عاصمة لهُم، فقد تعرّض الأكرادُ إلى حَمْلاتٍ مُتعدِّدَةٍ اســتهدفَت وجُــودَهم ابتداءً من التّهجيرِ القَسرى، وانتهاءً إلى حَدِّ الإبــادةِ الجماعيــةِ بواســطةِ الأســلحةِ الكيماويةِ.

والحاصلُ يُشير إلى ما يُشبه إتّفاقاً ولو تصادُفيا بين حُكومَتي العــراق وتُركيــا، سواء بسواء في التّعامُلِ مع قضيّةِ الشّعبِ الكُرديِّ المُسلم السُّنِّي، وأسلوبِ مُعالجَتها.

تلك القضية الغائبة في الأغوارِ عن المسْرَحِ الدّولي بجُملَتِــه، بعــد أن تَكاتَفَــت وسائلُ الإعلامِ العربية والإسلامية، وتضامَنت مع الإعــلام الغربــي والــدّولي فــي ضرورة التّكتيم، والتّشويش، وفرضِ تعتيمٍ إعلامي تام علَــى الاغتيــالاتِ المُنظمــةِ والمجازِرِ الوَحْشية، والإبادةِ الجماعيّةِ التي ترتكبُهــا الحكومــاتُ العَلْمانيّــةُ التُّركيــةُ المتعاقبةُ التي بيَدِهَا مَقَاليدُ الأمُور في بلدٍ حَمَلَ لواءَ الخلافة الإسلامية حيناً من الدّهر، وهي الحُكُوماتُ التي تَتَعاوَنُ مُباشَرَةً معَ الصّهاينة فــي مُناهــضة الإســلامِ وتقْتِيــلِ المُسلمين.

وخيرُ دليلٍ علَى هذا ما كان من ضُلوع المُوساد الإسرائيلي في اختطافِ الــزّعيم الكُردي ((عبد الله أوجلان)) من مَلجأه في بوسطِ إفريقيا، بالتعاون مع المخــابرات التركية، ونقله بواسطةِ طائرةٍ إسرائيليةٍ خاصةٍ طارَتْ بهِ مُباشرةً إلى أحَدِ المطــاراتِ العَسكريّةِ التُّركيةِ من غيرِ توقُّف، وهو مكتوف الذراعين، معــصُوب العَيْنَــيْنِ، ولا يزال ســجيناً حتى الآن يقضي عُقوبة السّجــن مَدَى الحياةِ، بعــد أن رَضَخَ الأتراكُ

(٢٦١)

لضُغوط دولية شديدة تهدف إلى تراجع الأتراك عن إعدامه، وقد تَرَكَت هذه الحادثَــةُ أسئلةً مُحَيِّرَةً وكثيرةً، تستلزم البحثَ لها عن إجابات شافيات منها على سبيل المثال:

ما هى مصلحة إسرائيل فى مُحاربة الشّعب الكُرْديِّ الــسّنّيِّ والقَــضاء عليــه؟ وتكْمُن الإجابةُ فى أنّ الذى حرّر بيتَ المقْدس، وبَسَطَ السيّادَةَ الإسلاميّةَ عليه بعــد أن طَرَدَ الصّليبيين، ثمّ طهّرهُ من دَنَس اليهود للمرّة الأُولى بَعْدَ فتْحه علَى يَد **خالــد بــن الوليد** ﷺ فى ولاية عُمر بن الخطّاب ﷺ كان هو **صلاح الدين الأيوبى الكردى { إنّهُ الثّأْرُ القديمُ }**

• ما هو المُقابل الذى حصُلت عليه إسرائيل نتيجةَ تعَاوُنها مَعَ نظــام **سُــليمان ديميريل** العلْمَانى؟ إنه التأكيد علَى الصّداقة الإسرائيلية للأتــراك، والتّعــاون البنّــاء والمُخلص من اليهود مَعَ الأتراك، ولإثبات عدَم جدْوَى أى علاقــة أو تقــارب مــع العَرب، ولإفشال أية محاولة عربية لإيجاد هذا النوع من التقــارب أو التّفــاهم، بَــلْ وإذكاء نار الفتنَة والعَدَاوات القديمة إلى الحدِّ الذى وَصلَت فيــه الأمُــور إلــى حالــة الانفجار والتّلميح بإعلان الحرْب بين تركيا وسوريا، وكذلك حتى تُكَرِّس إسرائيلُ من إحتلالها لهضبة الجُولان السُّورية المُحتلّة التى وطّنت فيها قرابةَ مائتى ألف مُستوطن يهوديّ جائت بهم من أمريكا، وكندا، وروسيا، وبلاد أُخرى مُــستَغلّة بــذلك انــشغال السُّوريين بالتّحضير لحرب شاملَة مَعَ الجار التُّركيِّ، وكذلك للضّغط علَى سُوريا حتى لا تُعيدُ فتحَ ملفّ ميناء **الإسكندرونة** السُّوري الذى تحتلُّه تُركيا من القــرن الماضــي، وقد اعتبر الأتراكُ أنّ أيّةَ حديث فى هذا الموضُوع يُعتبر بمثابة إعلان للحَرْب عليهم.

• إلى أيِّ مَدَى يمْضى ويصيرُ التّعاون الإسرائيلي التُّركي ويتطــوّر ؟ وفــى أيِّ المجَالات وعلَى أيِّ الأصعدَة ؟ هذا بخلاف التّصنيع الحربيِّ المُشترك الذى أثْمَرَ عــنَ حُصُول إسرائيل علَى عُقُود صيانة الطّائرات والمُدرعات التركيّة، وقد وقّعَ الطّرفــان اتفاقيّةَ تعاوُن استراتيجي عسكَريٍّ فيما بينهما ؟ وهُنا يجب التأكيد علــى أنّ إســرائيلَ سوْفَ تتحالفُ مَعَ الشّيطان نظيرَ حُصُولها علَى قطْرة مياه نظيفة، فما بالك من الميــاه المجانية الواردة إليها من تركيا، والتى تَصُبُّ فى بُحيْرَة " **طبرية** " شــمال إســرائيل، وتُعتبر طَبَريَة بمثابة ""**مسمار جحا**" الذى تتزرّع به إســرائيلُ لإفــشال أى مُحاولــة لانسحابها من هــضبة الجُولان السُّورية التى تحتلّها حتى وإن كان ضمن اتفاق سلام

شامل يُنهى النِّزاع العربي الإسرائيلي برُمّته.

• هل تمكّن الأتراكُ والإسرائيليُّونَ من اختراق المجالِ الجويِّ لأكْثَرَ من دوْلــةٍ إفريقيةٍ من دُون رصْدهم أو اكتشافهم ؟، وهل تم اختراق النظام الحاكم فــى الدولــة الذى كان قد نزل بها أوجلان ؟، أَمْ تَمّ اختراق أجْوَائه وأنظمته الدّفاعيةِ والرّقابية فقط ؟ وهل تعَاوَنَت بعضُ دُولِ إفريقيا فى العملية، ؟؟؟؟؟؟ إنَّ عمليةَ خطْفِ أُوجْلان مــن وسط إفريقيا ونقله مُباشرةً إلى تُركيا لَيُمَثِّلُ مُؤشِّراً قويّاً على تغلْغُلِ النُّفوذ الإســرائيليِّ على كافّةِ الأصعدَةِ فى القارّةِ السّمراءَ، ثُمّ أيْن تسْعَ دُولٍ عربيّةٍ تنتَمى إلى القارّة ذاتها من حيثُ سَبْقِ هذا الوجُودِ الصُّهيوني العدوّ اللّدُود أوْ علَى الأقلِّ مُوازاته أوْ مُساواته.

• هل دخلَت تلك الطائرةُ أجواءً عربيّةً أمْ لا ؟ ، ولمَ لا وقد سَمَحَ السُّودان سَــلَفاً للطّيران الإسرائيليِّ لا بفتْحِ أجوائه أمامَه فحــسْب، بــلْ والنُّــزول **ترانزيــت** علَــى الأراضِي السودانية لنقل يهُودِ **الفلاشا** جَوّاً من إثيوبيا إلى إسرائيل ؟

وإذا سلّمنا مجازاً بأنّ فضح جرائم صدّام حسين ضد شعبه الكُردي إنّمــا كــان على سبيل التّشهيرِ به وبنظامه العراقي وفضح أمــره، بقــصد تــصويرِ الحُكُومــات العربية وقياداتها في صورة مصّاصِي الدِّماء، وإبرازِ قضاياها الداخليــة فــي ثــوبِ الإرهاب الإسلامي الأسود ((إيّاه))، فإنّ الرئيس العراقي لم يُمارس إجراءاتِ القمعِ أو قُل الرّدع هذه إلاّ بعد أن أعلَن الأكرادُ الانفصالَ بالإقليم الشّمالي (**حــوالي ثلــث مساحة العراق الكُلِّيَّة**) وأغناهُ على الإطلاق، وإعلانهم إقامة دوْلتِهم المستقلة يُساندهم في ذلك دعمٌ أجنبي صريح تتقدّمه تُركيا ذاتها، وإيران التى تعمل من جانبهــا علــى انفصالِ الجنوب العراقِيِّ الشّيعيِّ، وكل ذلك بتمويلٍ أمريكي صريحٍ، وإشــرافٍ فنِّــيٍّ إسرائيليٍّ مفضوح.

ولا بُدّ من التّسليمِ بأنّ الأكرادَ شعبٌ مظلوم حيثُما كان، وأينَما وُجِد، في العراقِ، أو في سُوريا، وفي إيران، أو فى تركيا، ولقد تحالَف الكُلُّ على ضرْبه وقهْره، وإبادَته بالأسلحة الفتّاكة التي كثيراً ما تُطاردُهم. كما فعَلَ صدّام حُسين في **حلابجــة**، وبمثــل ذلك حصدَتْهم تُركيا بقنابلِ الطّائرات في مَخَابئهِم في الجبالِ إنابَةً عن أُورُوبا الصّليبيةِ التي تُريُد أن تستريح من صُداعِ الأُصُوليةِ الذي يُؤلمها، ويُرهقها، ويؤرّقُها سواءٌ فــي ذلك " الشّعبَين: **البُوسنْوِي والكُرْدِي** " بسواءٍ، وكذلك إنابةً عن إسرائيلَ التي لها عظيم

الأدوارِ المشبوهة، والأعمالِ المُؤكّدةِ في كُل السّاحات وعلَى كُلِّ الأصعدَة والميادين.

أمّا الأتراكُ فإنّ لهُم بُعدا استراتيجيّاً خطيراً يرمُون إلى الوصُول إليه بـأي ثَمَـن حتى ولو كان الوقُوفُ علَى القرآنِ الكريمِ بالأحذيةِ، أو تمزيقِ المصَاحفِ وإلقاءِها في دوراتِ المياه، أو حرقها والتّبَاولِ عليها، ولا بأس في إعلانِ كُفرهم الصّريح بـالله – أمّا هذا البُعد فغايته الوُصُول إلى عُضوية الإتحاد الأوروبي، وهو الـرافض بـالقطْع لهذا المـطلب التُّركي، علَى الرّغم من علمانية النّظـام والدّولـة، وإلغـاء الـشريعة الإسلامية، ومُحاربَة الإسلاميين، واحتضانِ إسرائيل، واعتبارهـا حليفـاً اسـتراتيجياً للتُّرك، وإعلانِ التعاون اللا محدُود مَعَهَا سياسيّاً، وعسكرياً، واقتصادياً، وأمنيـاً، ثُـم مُؤخّرا ما أعلَن عنه نظام " رجب طيب أرطوغان " زعيم حـزب العدالـة والتنميـة الإسلامي "رئيس الحكُومة التركية" التي فازت في الانتخابات الأخيرة باسم الإسـلام، وكذلك بإسم الحزب الإسلامي التركي عن إلغاءِ عقُوبة الزّنى من قـانون العقُوبـات، وبالتّالي إسقاط الجريمة وإلغاء وصفها في الإجراءات الجنائية التركيّة ليُصبح الأتراكُ علَى شفا العُبُور إلى الإباحية الأورُوبية، وممّا يُؤكد ذلـك أنّ الـدّولتين الـصّليبيتين الكبيرتين **ألمانيا وفرنسا** باتتا تُناهضان الأحلامَ التركية، وتُجْهضَانِ آمالَها في محاولةِ الحُصولِ علَى عُضويةِ الإتحادِ الأورُوبي – غيرَ أنّهما أعلنا عن إمكانية إقامةِ علاقاتٍ خاصة من نوعٍ مّا مع الأتراكِ في مَنأى عن أحلامهم المُعلنة.

وعلَى الرغم من كل التنازلات التي يقدّمُها الأتراك يوماً بعد يـوم، تنـازلاً تلْـوَ الآخَرَ فإنّهم لن يحصلُوا علَى مُجرّدِ تحريرِ استمارَةِ التّرشيحِ لتلـكَ العُـضوية حتـى تتحوّل المساجدَ في تُركيا إلى نَوادٍ للمُلحدين، أو أن يُرفع الصّليب عليها تمامـا كمـا فعَلَ السّفاح " دبيدر" في القلعة الحمراء بأسبانيا.

كما يمكنُنا القولُ بأنّ هذا التعْتيمَ الإعلاميِّ المفروض علَى المأساةِ الكُرديـة هـو بمثابة الجِدار النّاريِّ الذي ضُربَ ليحُول دُون رُؤية حقيقةِ الأحْداثِ الجِسامِ التي تنزلُ بالمسلمينَ في القارّةِ التي تحمل لواءَ المسيحيةِ في العالم " أوروبا " ويمـلأ الأجـواءَ نعيقُها { الحرية ـــ الإخاء ـــ المساواة }.

أما الحقيقةُ المُؤلمةُ فهي أنّ الأكرادَ أينَمـا ولّـوْا وُجـوهَهم اسـتقبلَتْهُم المـدافعُ والرّشّاشاتُ لتجمَعَـهُم رايةُ المَوْتِ ، بعدَ أن انعدَم الرّجاء في وطنٍ لهُ رايةٌ يضمُّهم،

والعَجَبُ العُجابُ أنّ الأكرادَ العراقيين بزعامة مَسعُود البرزانـــي المـــدعُوم صـــدّامياً تنازَعُوا وتقاتَلُوا مَعَ الأكْرادِ المدعُومين تُركيا بزعامة جلالِ الطاّلباني الـــذى أصـــبح رئيساً معيّناً للعراق من قبَلِ الأمريكيين بعد الاحتلال الأمريكي للعراق مارس ٢٠٠٣، وَسقَطَ منهم فيما قيل أربعةُ آلافٍ قَتيلٍ في منطقة السُّليمانية في شمالِ العراق.

هكذا في بساطة مُخيفة، واستخفاف مُؤلم بمصيرهم ووجُودهم، وكأن لـــمْ يكفهـــم الأعداءُ المُسلَّطون عليهم من كُلِّ جانبٍ، فإنّهم يذْبَحُون بعضَهم البعضُ دُون أن نعلَـــم علَى أيِّ شيء يتقاتلون، ولماذا يُقْدمُونَ علَى الحربِ فينتحرُون ؟

ولم يشفِ غليلَنا، أو لَم يُصلح بَالَنَا ما قيل عن أنهُما حزبـــان يحمـــلان عَـــدَاوات كبيرةٍ، وبينهما خلافاتٌ قديمةٌ، ولا ما قيلَ عن أنّها الأصـــابع الخارجيـــة – التُّركيـــة والإيرانية – غير الموساد، والمخابرات الأمريكية وكلُّهم أشْعَلُوا الفِتْنَةَ، وأذكَـــوا نـــارَ الأحقاد، وإذا سلّمنا جَدَلاً بصحّة تلك الأقاويل، فإنّما تسبقُنا أسئلتُنا:

* هل هؤلاءِ القوم ليسَت لهُم عقُولٌ يُدركُون بها ؟!   * أوْ ليست لهُـــم أبـــصارٌ يُبْصرُون بها ، أو آذانٌ يسمعُون بها ؟!   * أليس منهم رجُلٌ رشيد ؟!

وإذا كان الأكرادُ في شمالِ العراقِ قد تعرّضوا لمأساة شديدة، فإنّ مآســـيهم فـــي كُردستان تُركيا أصعَبُ وأشدُّ إيلامًا ممّا يتعرّض له أي شعبٍ آخر في العالمِ الكبير.

فالواقع أنّ مشكلةَ الأكراد تناسَاهَا المجتمعُ الـــدولي برُمّتـــه، وأنكرتْهـــا جميـــعُ الطّوائفُ والحكُوماتُ، ومَردُّ ذلك إلى تضافُر وَسَائل الإعلامِ، وتكاتُفهـــا علَـــى كَـــتْمِ وتشْويشِ الأنباءِ الصّادرة من هُناك، والتي تحمل إلى العالَم بعْضاً مـــن مُعانـــاةِ هـــذا الشّعب المُسلم.

كما ضرَبَ الجميعُ تَعْتيماً إعلامياً علَى المجازرِ التي تُرتكَب في حـــقِّ المـــدَنيِّين الأبرياء في كُردستان تُركيا ، وذلك على خلاف تام معَ ما كان يَظْهر واضـــحاً عَلَـــى المَلأ من مُشكلاتِ الأكراد في كُردستان العراق، بغَـــرَض فـــضْح النِّظـــام العراقـــي وتعريَته ، والتّذرُّع له بأسبابٍ لمُعاقَبته، وإذلاله، وتجويعِ شعْبه، وحصارِه عن طريـــقِ فرضِ العقُوبات والحَظْرِ الجوي "" إياه ""(١).

---

(١) التفاصيل فى كتابنا : وحيد القرن ورياح التغيير

والحاصل أنّ الحكومات العَلمانية التركية تُمارس ضدّ الأكراد الأبرياء القهْرَ، والبطْشَ، والظُّلمَ، بمُوجَب القوانين العُرفيةِ وحالة الطّوارئ التي تحكُم كُردستّان.

ويُعطي الحُكْمُ التُّركيُّ لنفْسه الحقَّ في إنزال التّنْكيل والتّعذيب والقهر بالشّعب الكُردي المسلم السُّنّيِّ، وهو الحقُّ الذي أدّت مُمارسته إلى كثافة ملحُوظة للسُّكّان في المُدن الرئيسيَّة، بَعد أن فرّ أبناءُ القُرى والمُدُن الصغيرَة أمامَ الهَجَمات الشّرسَة التي يتعرّضون لَهَا، وقد بَلَغَ عَدَدُ القُرَى المُدَمّرَةَ ألفَي قرْيَةٍ(١) وفق آخر البيانات المَنشورَة في ١٩٩٥/٦.

وقد تشابَهَ المَوقفُ الإسلاميُّ برُمّتِه مع الموقف الدّوليِّ **الأعْمى والأصم والأبكم** حيث نَسي المُسلمونَ تماماً قضيّةَ إخوانهم الأكْراد، وأهملُوهُم علَى جُملتهم مع كَوْن قضيتهم إسلامية مَحْضة تتعلّق بحقوق شَعْبٍ مُسلمٍ مُلتزم بإسلامه لا أكثرَ.

وما أظنُّه واقعٌ إلاّ بَعد أن ابتلعَ المُسلمُون الطُّعم، وشَربوا عليه، وهو التّسليم الأكيدُ، والإيمانُ المُطْلَقُ بما سَوّقَهُ الإعلامُ الغربيُّ المُغرضُ علَى أنّها **قضية قوميةٌ تُريدُ** الانقلابَ والتّمرُّد، وتُحدثُ المزيدَ من الانفلات الأمنّيِّ والوطنيِّ مثل **الزّنُوج** في جنُوب السودان، و**البرْبَر** في المغرب العربيِّ، وقد استغلّها المُروِّجون استغلالاً جيداً، وانحرفُوا بها بعيداً، وتحرّكوا للفَتك بها بعد أن نَفَضَ المُسلمُون أيديَهُم تماماً منها، علَى عكس المطْلُوب منهم تماماً.

وتكْمُن مُشكلة الأكراد في حرمانهم من حقُوقهم الإنسانية الأساسيّة التي وهَبَها لهُم ***((الله جلّ وعَلا))*** وأكّدت عليها دعَاوى الماسُونية والعَلمانيّة فيما يُعرف بالإعلان العالَمي لحقوق الإنسان، هذا غير القوانين والمَواثيق والأعراف الدولية المُرتبطة بهذا الصّدد، وكذلك مع ما يُراد لهُم من الانصهار في القومية التُّركية الْعَلْمَانيّة، والتأكيد علَى نسْيان الهويّة الكُرديّة بتاريخها وعُلمائها وآدابها، وقياديِّيها، وزعمائها، ودورها في التّاريخ الإسلامي. والجديرُ بالذِّكْر أنّ عددَهُم يتجاوزُ الآن العشرين مليون علَى أقلِّ تقديرٍ وهُم من أهلِ السُّنّة مُنذ أن دخلُوا فى الإسلامِ.

---

(١) المختار الإسلامى/ عدد : ١٤٩ فى ١٩٩٥/٦/١٣ . م

ثُمّ هُم علَى قُوّةِ دينِهم وكثرةِ عَدَدهِم المُضطّهدُون دائماً في ديارهم، وهُم كذلك المُهجّرون قسْراً وجبْراً، بيْنَمَا الأنظمة العلمانيّة هُم أصحابُ الحقِّ والدِّيار والحياة، وهي ترفَع شعارَ الجحيم للأكراد، ولقد تعرّض الأكرادُ في موْطنِهم بتُركيا علَى أيدي هذه الأنظمة لِمَا يفُوقُ الوصْف ويسبقُ الحَصْرَ بدءاً من حربِ الإبادة التي شنّها ضدّهم عميلُ الصّهيونيةِ اليهُودي التُّركيِّ (مصطفى كمال أتاتورك) والتي رَاحَ ضحيتها أكثرُ من أربعين ألف شخص في مناطقِ ***ديار بكر، وزيلان، وبالُو، وديرسم***، وقد دَمّرَت قُوّاتُه تمامًا مناطق (***شرناخ، وبنخول***) بالدبّابات والطّائرات، فضلا عن تفريغِ (٢٠٠٠) ألفينِ من القُرى وتهْجيرِ ساكنِيها إلى مناطقِ أُخرى.

وقد أجمعَت الشُّعوبُ الإسلاميّةُ علَى صَمِّ الآذانِ، وإخراسِ الألسُنِ، مع استعمال العُيونِ في المُشاهدة وكَفَى، والتزامِ الصّمت التام علَى ما يحدُث بِشكلٍ نَمَطي لإخوانهم وأخواتهم من أبناءِ الأكرادِ المُسلمين الذين يعيشُون داخل سياجٍ يحكُمه القابِضُونَ بالحديدِ والنّارِ، وهو واقعون بينَ سندان التّنكيلِ والتّهجيرِ، ومطرَقةِ التّهويد أو التّنصير وتلك قَضيّتُهُم قد غابَت عمداً في ظُلمات أرشيف المُجتمعِ الدولي المُتآمِر علَى المُسلمين، وقد افتضحت مؤامراته حتى الآن في كلِ من أفغانستان والعِراق، والسُّودان، وإيرانَ، واليَمن، والصومال، والجزائر، والشِّيشان، والبوُسنَة، وألبانيا، والصحراء المغربية ...إلخ .

ولْيَعْلَم المُسلمون أنّ المؤامرةَ التي تُحاكُ ضدّ الشّعب الكُردي قد مزّقت كردستان إلى خَمْسِ قطعِ جُغرافيةٍ وإداريةٍ بَعد تقْسيمِ التّركَةِ العُثمانيّة، بينَما كُلُّ جُزءٍ منها يَقَع عليه الإضطِّهادُ من الحكُومة المركزيةِ في القُطر الذي صارَت تبعيتُهم إليه.

الأمرُ الذي أدّى إلى حرمان الأكرادِ من حُقُوقِهم المشرُوعَة، واضطهادهم ومُحاربتهم وتشريدهم من ديارهم، وما هذه غير مُؤامَرَةٍ صُهيونيّةٍ صليبيّةٍ عُدوانيّةٍ ثأريةٍ مُشتركَةٍ من نَوعٍ خاصٍ ونُموذج فَريدٍ، أُريدَ بها الانتقامُ من الكُرديّةِ السُّنّيّةِ ثأراً من البطل *<u>صلاح الدين الأيوبيِّ</u>* الذي أنْجَبَهُ الشّعبُ الكُرديُّ، وهُو الذي استردّ بيتَ المقْدِسِ وطهّرَهُ من دَنَسِ اليهود ورِجْس الصّليبيين بَعد احتلالٍ طويلٍ.

وطالت مُعاناة الشّعب الكُردي مِن جراء هذه المُؤامرة الحاقِدة مُنذ قَرْنٍ مَــضَى، علَى أيدِي عُملائِهم مِن الأنظِمة الديكتاتورِية، المُوالية والعميلة، المُوحَى إليها مِن قِبَلِ العَدُو المُتربِّص بِنا أيّمَا تَرَبُّصٍ، وهو يُريدُ الإيقاعَ بِنَا والقذْفَ بِنَا إلى مَحْرقَةِ التّاريخ.

ثَالثَا: جُذُور المأْساة:

إنّ المُتتبع لحركة التّاريخ، والرّاصدَ للعلاقات الغربية مَع أبناء الأُمــة المُحمّديــة يُلاحظ حقْداً مريراً يملأُ صدرَ الغرب حتى دَرَجة الجُنــون، وهــو حقــدٌ مــصحوبٌ بالخَوف الرّهيب من الإسلام، وهذان { الحقد والخوف } هُما العاملان اللّذان يُبلْوِرَان مواقفَ العَنَت الغربيِّ وكراهيته للمُسلمين ديناً وقوْمية، ولعلّ هذا ما يُفسِّر الــسِّرَّ فــي الحمَلات الصّليبية المُتعدِّدَة علَى الشّرق الإسلاميِّ، وقد باءت نهاية بكثير من الفَــشَل، وهُزِمت جنُودُهم الذين هاجمُوا الديار الإسلاميّة بالمَلايين، غيرَ أنّهم حقّقوا قليلاً مــن المكاسبِ التي لازالت موجُودة حتى الآن، وقد ركَضَت في مُستودَعات التّاريخ بعد أن تَمّ تجنيسُها بجِنْسيّة أجنبية، منها مَثَلاً بعْضَ الأراضي الفلسطينية التــي ضُــمّت إلــى لُبنان، وميناءَ الإسكندرونة السُّوري الذي قدّموه هديّة مجانية لتركيا.. وبعضُ الجُــزُر والجبال التي احتلّتها أسبانيا من المغرب، كما تَمّ تقطيعُ الــصُّومال إلــى ثــلاث دُول تَتَحاربُ فيما بينَها حتى الآن، وفقَدت إريتريا إسلاميّتَها وتَنَصّرت، وتَمّ التأكيــدُ علَــى عزلِ السُّودان عَن مصر، واختَفَت من خريطةِ العالمِ كُــلٌّ مــن الباكــستان الــشّرقيّة وزنجبار... إلخ.

أمّا أخطَر المكاسبِ التي حقّقَها الغَرْبُ من حَمَلاتهم تلك، فهى أن فقَدَت كثيرٌ مــن الدُّول العربية والإسلامية استقلالها فعليّا، وباتت لا تملك حتى إمكانية اتِّخاذ أي قــرار مَصيريٍّ وطَنيٍّ لصالح شُعوبها؛ كما أنّ الجميعَ باتَ عاجزاً عــن مُعالجــة مُخلّفاتــه البَشرية والاستهلاكية فى حياته اليومية، واستقدَمُوا بُيوتَ خبرةٍ وشركات أجنبية تُقــدِّمُ الرُّوجيتاتَ العلاجية وتَمتَصُّ دماءَ المُواطنينَ المَسَاكينَ وباتَت مُعظمُ الأنظمــة غيــرُ قادرةٍ علَى مُعالَجة مُخلّفات المُجتمع والتَّخلُّص من نُفاياته (القُمامة)، واستقدموا لأجل القُمامة شركات أجنبية فَشلَت بدورها هى الأُخرى، ورَحَلَت بعد خَيْبَة أمَل، ومــن ثَــمّ هل تَتَمكّن هذه الأنظمةُ من مُمارسة سياسات صحيحَة لقــضايا مُجتمعاتهــا سُــكّانيا، وترْبويّاً وتعليميّاً ، وصحيّاً......إلخ

ومَا تَقَدّمَ هو ذاته ما يُعلِّلُ الآن هَجَمَاتهم القديمة الجديدة والخَبيثة التــي جــاءَت مُؤخّرا تحتَ شعارٍ برّاقٍ وجذّابٍ صدّرُوهُ إلينا أو أُكْرِهْنَا عليه {**التّغيير، والإصــلاح والديموقراطية**} حتى يتدنّى بنا الحالُ إلى الأحقرِ ممّا نحنُ عليه، وهَاهُم يُخطِّطُون من

(٢٦٩)

من جَديد، بفكْرٍ جَديد، بآليّات جَديدة، وهدفهُم كما كان سابقاً ودائماً هو تدميرُ الإسلامِ وأُمّة الإسلام من جديد. وشعارُهم الجديد عنوانٌ بارز علَى الأجنْدَة المُعْلَنَة في خُبث وتَوْرية "ظاهرهُ فيه الرّحمةُ وباطنُه من قِبَلِه العذابُ"، إذْ أنّ حتْميةَ التّغْيير باتت تُحرّقُ العراقَ من ثَمانينات القرْن الماضى حتى الآن، ودَعاوَى الإصلاح هى التى تَتَبنّى تفْتيت السُّودان والصُّومال، وتجْتَهدُ لتمزيق ليبيا، وتقطيع السُّعودية إلى ثلاث دُول "" شيعيّة فى الشّرق، وسُنّية فى الوسَط، وهاشمية ساحلية فى الغَرب" يتملّكُها الأردُن المُتعاون بلا حُدود مَعَ النّظام العالميّ الجديد الذى يقُودُهُ وحيدُ القرْن.

والإصلاحُ الديموقراطي: هو الذي فجّر مُشكلة دارفُور في غرْب السُّودان عشيّةَ توقيعِ اتّفاق السّلام بالأحرُف الأُولى بينَ حُكومة السُّودان والمُنشقّين في الجنُوب، وهو الذي لوّحَ بإمكانية العَزْف علَى ذات الوَتَر في مصرَ، كما أنّه هو الذى أغْرَقَ العالَمَ الإسلاميّ بإرساليّات التّبشير – بلا استثناء.

والديموقراطية: هي التي جَعَلت اليَمَنَ يعيشُ تحتَ مظلّة الصّواريخ الأمريكيّة مُنذ سَنَوات مَضَت وحَتّى الغَد، وهي ذاتها التي قَذَفَت سيّارة الحارثيّ ورفاقَه بواسطَة صارُوخ انطَلَقَ من طائرةٍ أمريكيةٍ تطيرُ بلا طيّار فوقَ الأرض اليمنية، وهي أيضا التي أجبرَت الرئيس اليمنى **علي عبد الله صالح** عَلَى الدُّخول في حرب ضروس ضدّ المُعارضين المُسلمين أتباع المّذهب الزّيدي بزعامَة الحُوثي حتى قُتل الرَّجُلُ ومُرَافقُوهُ علَى أيدي القوات أمريكية فوق الأرض اليمنية(١).

تلكَ الشّعاراتُ باتت تطْحَنُ برحَاها أفغانستان، والعراقَ، وفسلطين، وهي تُرهبُ الباكستان، وتُهدّدُ إيرَانَ، وتُلَوّحُ ضد وسُوريا، وتُجبر الأخيرةَ علَى سَحب قُوّاتها من لبنان، ثُمّ هي كذلك أداةٌ للضّغط علَى السُّعوديين الذين ساءت العلاقةُ معهُم إلى حَدٍّ بعيد خاصة بعد تأكيد الملك السُّعودي عبد الله بن العزيز أمام القمّة العربية فى الرِّياض مارس ٢٠٠٧ بأن العراقَ يقَعُ تحت الاحتلال الأجنبي المُباشر، ثُمّ كانت هذه الشّعاراتُ وسائلَ صريحةً ومُعْلَنَةً للقضاء علَى مُجدّدي الدّعوة السّلفية مثل الشّيخ **محمد بن عبد الوهاب** مُؤسّس المذهَب الوهّابي في السُّعودية، وحَرَكات الإصلاح التى

(١) التفاصيل فى كتابنا القادم _ الحج إلى البيت الأبيض _ أعاننا الله على إخراجه

التي قامت في العالمِ **الإسلامي كالمَهدية، والسُّنوسيّة**، ومدرسة **جمال الدين الأفغــاني ومحمد عبده في مصر.**

والحقيقةُ التي لا يمكن التّنكُّرُ لهَا أو إنكارَها هي ما تكشفُ عن حقيقــةِ الأحقــادِ الغربيةِ الرّهــبية، تلك التى نتبيّنُها من بينِ أناشيدِ الجُنديِّ الصّليبيِّ الذي كــان يتــرُك أُورُوبا مُتّجِها لمُحاربَةِ المُسلمين في ديارِهم، وهــو يلــبس لُبــاس الحَــــرْبِ قادمــا لاستعمارِ بلادِ الإسلامِ ، **حيث كان يقولُ بأعلى صوْتِه:**

أتمِّي صلاتَك لا تبكي
بل اضحكي وتأمّلي
أنا ذاهبٌ إلى طرَابلُس
فرحاً مسرُوراً
سأبذُل دمي في سَبيلِ سحْقِ الأمّة المَلْعُونَة
سأُحارب الدِّيانةَ الإسلاميةَ
سأقاتل بكُلِّ قُوّتي لمَحْوِ القُرآن(١).

ولا حَرَجَ أنْ نقرِّر أنّ جُيوشَ الحقدِ الصّليبي قد انتصرَت علَى أُمّةِ الإسلام فــي ديارِها بَعد أن ذلّل لها بعضُ الحُكّام السّبيل، وهُم أسوأ قادة عرَفَهم التّاريخ.

فاستباحت جُيُوشُ الحقد الصّلِّيبي الأُمّة كُلّها، هَدَمَت المــساجد، أو حوّلتهــا إلــى كنائس، ثم أَحْرَقَت التُّراثَ الإسلامي (كُتُبِه ومَكْتَبَاتِه)، ونَهَبَت منه ما استطاعَت، ثــم حرّقوا المُسلمين أنفسَهم.

ولقد نطقَت ألسنتُهم بالكُفر، وشهدَت أيديَهُم بالطُّغْيانِ، وأفعالُهم بــالفجُور، وممّــا قالُوا هُم عن مّا اقترفُوا من الآثام نُورد بعْضَه:

تقُولُ الدكتورة (**سيغيرد هونكة**):

في ٢/يناير/١٤٩٢م رفعَ الكاردينال (دبيدر) الصّليب علَى (الحمــراء) **القلْعَــةُ المَلَكيّة للأسرةِ الناصرِيّةِ** ، فكان ذلك إعلاناً بانتهاءِ حُكم المُسلمين علَى أسبانيا.

---

(١) القومية والغزو الفكريّ ص : ٢٠٨

وبانتهاءِ هذا الحُكم ضاعَت تلك الحضارةُ العظيمةُ التي بَسَطَت سُلطانَها علَى أورُوبا طُوال العُصور الوُسطى، ولقد احترَمَت المَسيحيّة المُنتصرَةَ اتِّفَاقاتِها معَ المُسلمين لفترةٍ وجيزَة، ثُمَّ باشَرَت عمليةَ القضاءِ علَى المُسلمين وحَضَارتهم وثَقَافَتهم.

لقد حُرِّمَ الإسلامُ علَى المسلمين، وفُرض عليهم تَرْكُهُ، كما حُرِّم عليهم استخدامُ الُّلغَة العربية، والأسماءُ العربية، وارتداءُ الِّلباسِ العربَيِّ، ومَن يُخالف ذلك يُحرَقُ حيّاً بَعد أنْ يُعذَّب أشدّ العَذَاب.

وهكذا انتَهَى وجُود الملايين في الأندلُس، فلم يبقَ في أسبانيا مُسلم واحد يُظهِرُ دينَهُ خشْيةَ التّعرُّضِ لأبْشَعِ أنواعِ التّعذيب، وأقْسَى حُدودَ القَهْر.

أمّا أصنافُ التّنكيلِ والتّعذيب التي ذَاقَها المُسلمون في دواوينِ التّفتيش التي استحدثَها المُتزوِّجَانِ حديثاً (فردينَاد، وإيزابيلا) مَلكا قُوشتالة، والأراجون المسيحيّتَانِ، اللّتان اتّحدّتَا لقهرِ الإسلامِ وطَرْده من أسبانيا، فكان الغَرَض منه مُعاقبَةَ مَن يَتَظاهرُ بأنّه مُسلِم أو من يصدُر عنه أيّ سلُوكٍ ينُمُّ علَى إسلامه، حيثُ كان يُعرضُ أمرُه علَى ما أسمُوه (**دَوَاوينُ التّفْتيش**) أو مَحَاكِمِ التّفْتيش.

وكان من المُمكن أن تظلّ جرائم تلك الدّواوين غائبة في ظُلمات الأرض، لولا أنّ اللهَ تعالى سلّط بعضَهم على بعضٍ ليفضَح مُمارساتهم، ويكشفَ بغيَهم بأيدي أبنائهم وألسنَتِهم **﴿ وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾** [الأنعام : ٦٥].

فبعد مُرور أربعة قُرونٍ علَى سقُوطِ الأندلُس أرسلَ **نابليون** حمْلَته إلى أسبانيا، وأصدرَ مرسُوما سنة ١٨٠١.م بإلغاءِ دواوين التّفتيشِ في المَملكةِ الأسبانيةِ.

وقد تحدّث أحدُ ضُباط الحمْلة الفرنسية علَى أسبانيا فقال:

أَخَذْنَا حَمْلةً لتفتيش أحدِ الأدْيِرَة التي سمعنا أنّ فيها ديوانُ تفْتيش، وكادَت جُهودُنا تَذْهَب سُدىً ونحنُ نُحاول العُثور علَى قاعاتَ التّعذيب، وتابَعَ قَوْلَه: إنّنا فَحصْنا الدِّير ومَمَرّاتِه وأقْبِيتِه كُلِّها، فلم نَجد شيئا يدُلَ علَى وجُود ديوانٍ للتّفتيش، فعَزَمْنا علَى الخُروجِ من الدِّير يائسين.

كان الرّهبان أثناءَ التّفْتيشِ يُقسمُون أنّ ما شاعَ عَن ديرهِم ليس إلاّ تُهَمَاً باطلة، وأنشأ زعيمُهم يُؤَكِّدُ لنا برائَتَهُ وأتباعَهُ بصوْتٍ خافتٍ وهو خاضع الرّأس، تُوشك عيناهُ أن تنهالَ بالدُّموعِ، واستَطْرَدَ الضّابطُ قولَه: فأعطيتُ الأوامرَ لجَميعِ الْجُنود بالاستعداد

لمُغادرة الدِّير، لكنّ اللّفتانت (**دي ليل**) استمهلني قائلا: أيَسمَحُ لي الكُولونيل أنْ أُخْبِرُهُ أن مُهمّتَنا لمْ تَنْتَهِ حتى الآن ؟!!!، قُلت له: فتّشنا الدِّيرَ كُلّه، ولم نكتَشف شَيْئاً مُريبًا، فماذا تُريدُ يا لفتانت ؟! قال إنّني أُريد أن أفْحَصَ أرضيَةَ هذه الغُرفة فإنّ قلْبي يُحدثني بأنّ السِّرَّ تحتَها.

عند ذلك نَظَرَ إليه الرّهبان نَظَرَات قَلقةً، فأذنتُ للضّابط بالبحْث فأمَرَ الجنُودَ أن يرفعُوا السّجاجيدَ الفاخرةَ عن الأرض، ثُمّ أمَرَهم أن يصبُّوا الماءَ بكثرة في أرض كُلِّ غُرفة علَى حدة، وكُنا نرقُب الماءَ فإذا الأرضُ قد ابتلعَتهُ في إحْدَى الغُرف، فصُعِقَ الضابط (**دي ليل**) من شدّة فَرَحه، وقال ها هو البابُ، انظُروا فَنَظَرْنَا، فإذا بالباب قد انكَشَفَ، كان قطعةً من أرض الغُرفة، يُفتَحُ بطريقةٍ ماكرة بواسطة حلْقة صغيرةٍ وُضعَت إلى جانب رجْل رئيس الدِّير، أخذَ الجنودُ يكسرُون البابَ بقحُوف البنادق، فاصفرّت وجُوهُ الرّهبان، وعَلَتْها الغَبَرَة.

وفُتح البابُ، فظهرَ لنا سُلّمٌ يُؤدّي إلى باطن الأرض، فأسرعتُ إلى شمْعةٍ كبيرةٍ يزيد طولُها علَى متر، كانت تُضيء أمامَ صورة أحد رُؤساء مَحَاكم التفتيش السابقين، ولمّا همَمْتُ بالنّزُول، وَضَعَ راهبٌ يسُوعيٌّ يَدَهُ علَى كتفي مُتلطِّفاً، وقالَ لي: يا بُنَيّ: لا تحملْ هذه الشّمعةَ المُلوّثةَ بدَم القاتل، إنّها شمْعة مُقدّسة.

قلتُ له: يا هذا إنه لا يليقُ بيدي أن تُتَجّس بلَمْس شمْعَتِكُم المُلطّخَة بدَم الأبرياء، وسنَرى مَن النّجس منّا، ومَن القاتل السّفاك ؟

وهَبَطْتُ علَى دَرَجِ السُّلّم يتبعُني سائرُ الجُنُود والضُّبّاط، شاهرين سُيوفَهم حتى وصَلنا إلى آخر الدّرَج، فإذا نحن في غُرفة كبيرةٍ مُربّعَة، وهي عندهم قاعَةُ مُحاكمة المُسلمين، في وسطها عمودٌ من رُخام وبه حلقة حديدية ضخمَة، رُبطَت بها سلاسلُ من أجل تقْييد المُحاكَمين فيها.

وأمام هذا العمُود كانت المصْطَبةُ التي يجْلسُ عليها رئيسُ ديوان التفتيش والقُضاةُ لمحاكمة الأبرياء، ثمّ توجّهْنَا إلى غُرف التّعْذيب وتمزيق الأجساد البشرية التي امتدّت علَى مسافاتٍ كبيرةٍ تحتَ الأرض، رأيتُ فيها ما يستنفرُ نفسي، ويدعُوني إلى القشْعَريرَة والتقزُّز طُوالَ حَيَاتي.

رأينا غُرفَ صَغيرَة في حجْمِ الإنسان، بعضُها عمودي، وبعضُها أُفقــي، فيبقَــى سَجين الغُرف العمُودية واقفاً علَى رجْلَيه مُدّة سجْنه حتى يمُوت، ويبقَى سجين الغُرَف الأُفُقيّة مُمدّداً فيها حتى المَوت، وتَبْقَى الجُثثُ في السِّجن الضيِّق حتى تَبلَى، ويتــساقَط اللّحمُ عن العَظْمِ، وتأكُلُه الدِّيدانُ، ولِتَصرْيف الرّوائح الكريهــة المُنبعِثــة مــن جُثــث المَوتَي، فَتحُوا نافذَةً صَغيرةً إلى الفَضَاء الخارِجي.

وقد عثُرنا في هذه الغُرفَة علَى هياكل بشَريّةٍ ما زالَت في أغلالِها.

كان السُّجَناءُ رجالاً ونساءً تتراوحُ أعمارُهُم ما بينَ الرّابعةُ عشرةَ والسبعين، وقد استطَعنا إنقاذَ عددٍ من السُّجناء الأحياءِ وتحْطيمِ أغلالِهِم، وهُم في الرّمقِ الأخيرِ مــن الحيَاة.

كان أحدُهم قد أصابَه الجُنون من كَثْرَة ما صبُّوا عليه من العَذَاب، وكان السُّجَناءُ جميعاً عُراةً، حتى اضطُرَّ جنودُنا أن يخلَعُوا أرديتَهُم ويستُروا بها بعــضَ الــسُّجناء، أخرَجْنَا السُّجناءَ إلى النُّورِ تدريجيّاً حتى لا تَذهَب أبصارُهم، كانوا يبكُون فَرَحاً وهُــم يُقبّلُون أيدي الجُنود وأرجُلَهُم الذين أنقذُوهم من العَذَاب الرّهيــب، وأعــادُوهم إلــى الحياة، كان مشهداً يُبكي الصُّخور.

ثُمّ انتقَلْنَا إلى غُرفةٍ أُخرى، فرأيْنا فيها ما تقشعِّر لِهولِه الأبــدانُ، عثُرنَــا علَــى آلاتٍ رَهيبةٍ للتّعذيب، منها آلات لِتكْسيرِ العظامِ وسحْقِ الجِسْمِ البَشري، كانوا يبــدأُون بسَحْقِ عظامِ الأرْجُلِ، ثُمّ عظامِ الرّأسِ والصّدرِ واليدين تدريجيّاً ، حتى يُهشّم الجِــسمَ كُلَه، ويَخْرُج من الجانبِ الآخَر كُتلةٌ من العِظام المسحُوقة، والدماءُ الممزُوجةُ بــاللّحْمِ المفْرُوم.

هكذا كان الأسبانُ الصَّليبيُّونَ يفْعلُونَ بالسُّجناء المُسلمين الأبرياء.

ثم عثُرنا على صُندوق في حجْمِ رأْسِ الإنسانِ تماماً، يُوضَع فيها الــرّأسُ الــذين يُريدُون تعذيبَه بعد أن يربطُوا يدَيْه ورِجليْه بالسّلاسل والأغــلال حتــى لا يــستطيع الحَركَةَ، وفي أعلى الصُّندوق ثُقْبٌ تتقاطَرُ منه نقاطُ الماءِ البارد علَى رأْسِ المــسكين بانتظام، وفي كل دقيقة نُقطة، وقد جُنّ الكثيرون من هذا اللّونِ من العَــذَاب، ويَبْقَــى المُعذّبُ علَى حالَه حتى يمُوت.

(٢٧٤)

كانوا يُلقُون المعذّب في هذا التّابُوت، ثم يُطبقون بابَه بسكاكينه وخناجره، فإذا أُغلق مزّق جسم المُعذّب المسكين وقطّعه إربَاً إربَاً.

كما عثُرْنَا علَى سياطٍ من الحديدِ الشائك يُضربُ بها المُعذّبُونَ وهم عُــراةٌ حتــى تتفتّت عظامُهم وتتَنَاثَرُ لُحومُهُم(١).

وما ذلك لجُرمٍ ارتكَبُوهُ أو ذَنبٍ اقترفُوهُ سوى أنّهم مُسلمون يشْهدُونَ بالوحْدانية لله جلّ وَعَلا، وأنّ مُحمّدا عبدُهُ ورسُولُهُ المصطفى الأمين، وهو الرّحمة المُهدَاة والنِّعمــة المُسداة، وصدق الله العظيم وهو القائل ﴿ **وَمَا تَقَمُواْ مِنْهُمْ إلاّ أن يُؤْمِنُوا بِالله الْعَزِيــزِ الْحَمِيد** ﴾ [البروج: ٨].

إنّهم أهلُ الكُفرِ والجُحُودِ في مُواجهَتِهِم الــصّريحَة ضِــدّ الإســلام والمُــسلمين، ***ولا حَوْلَ ولا قُوّةَ إلا بالله العَليِّ العظيم*** .

أ – الصّمتُ المُريبُ:

أعلَنَت حكُومة صربُ البوسنَة في ٢٠٠٤/٤/٦م " الجُمُعة " أنّها عثُــرَت علَــى مواقع {{ ٣١ }} مقْبرَةٍ جماعية جديدة دُفنت فيها جُثث مسلمين من البوُسنة قُتلوا عــام ١٩٩٥م خلالَ مجازر "سربرينيتسا" ، وأفادت الحكُومةُ فــي بيــانٍ لهــا أنّ اللّجْنَــةَ الحُكوميّةَ المُكلّفة بكشْفِ الحقيقة حَوْل تلك المجازر أنّها حدّدت {{٣١ }} مقبــرة غيــر معرُوفة للجُمهور علَى أساسِ معلوماتٍ تَمّ جمْعُها من مُؤسساتٍ صربية، واللّجنة التي شُكِّلت في ديسمبر ٢٠٠٣ تحت ضغُوط دولية علَى أنْ تُقدّم تقريرَهــا النّهــائي فــي منتصف يونيو٢٠٠٤، وكانت سُلطات الكيان الصِّربي البُوسنَوي ترفُض وحتــى الآن الاعترافَ بقتْلِ **سبعة آلاف مُسلمٍ** في مجازرَ ارتكبَتْهَا قُوات صــربِ البُوســنة بَعــد سُقوط المدينة القَتيلَة في أيديهم في يُوليُو ١٩٩٥م، قبل أشــهر مــن نهايــة الحــرب البُوسْنيّة (١٩٩٢:١٩٩٥م)، وكَشَفَت قُواتٌ صــرْبِ البوســنةِ للمــرة الأولــى فــي ٢٠٠٤/٤/٣٠م عن مواقع ((٦)) ستّ مقابر جماعيةٍ في منطقة سربرينيتــسا، وتــمّ نبْشِ حوالي ستة آلآف جُثّة من نهاية الحرْب في ستّين مَقبَرَةٍ جماعية فــي المنطقــة، فيما تَبَقّى مصيرُ ألف مفقُودٍ آخَرَ مجهُولا.

---

(١) محاكم التفتيش / د. على مظهر ، التّعصُّب والتسامُح للأستاذ / محمد الغزالى صفحات ٣١١ : ٣١٨ بتصرف



﴿جنازة جماعية على مسلمى البوسنة ممن دفنهم الصِّرب أحياءً فى مقابرَ جماعيةٍ﴾

والجديرُ بالذِّكرِ أنّ البُوسْنَةَ ما بَعْدَ الحرْبِ تتألّف من كيانَين هُمَا: ((جُمهورية صرب البوسنة، والإتحاد الكُرواتي المُسلم))، **ولِكل من الكيانَيْن حُكومته، فِيما تُوجد بينهُما مُؤسساتٌ مركزيةٌ لا تتمتّع بصلاحياتٍ كبيرة.**

وَبِإيجازٍ شديدٍ فإنّ مأساةَ المُسلمين في البُوسْنَة تتلَخّص في:

*** اغتصابُ ٥٠,٠٠٠ سيدة مُسلمة.**

*** ذبح مائتَي ألف مُسلم.**

تشريدُ ما يربُو على المليونَين من المُسلمين.، **{{ وإن شئْتَ إقْرَأْ المأساةَ كاملة فى كتابِنا المُعنون /// صراع الحضارات وحوار الدبابات }}**

ويا للعجبِ العُجابُ فقد قدّر غبْطةُ البابا يُوحَنّا بُولس (بابا الفاتيكان الهالك) دماءَ وأعراضَ وأرواحَ المُسلمين التي أُزهقت علَى أيدي أبنائه الصليبيين بمبلغ ٣٠٠,٠٠٠ **ثلاث مائة ألف دولار** أمريكي قدمّها البابا إلى بُطرس بُطرس غالي الأمين العام للأمم المتحدة وَقْتَهَا، لِيُقدمها معُونة من الكنيسة لشَعْبِ البُوسنة المُسلم – الكلامُ جميلٌ – يُعبِّر عن رسالةِ المَحَبّة والسلاّمِ التي غَمَرت الدُّنيا مع مولدِ المسيحِ عليه السّلام.

وجاءَ هذا التصرُّف مِن الرَّجلِ لِيضَعَنَا بين أمْرينِ، مَالَنَا من بُدّ غير الجزمِ بكينُونةِ أحدِهما:

(٢٧٦)

الأوّل : إمّا أنّه يخشى الله .

الثاني : إمّا أنّه نَسي أو تناسى، جَهل أو تجاهُلَ مُمارسات أبناء صليبيّته.

حاولتُ إعمالَ العقْلِ إنصافاً للحقيقةِ من غير اتِّباعِ الهَوَى، ومن دُون تحامُــل أو تجامُل، فتَبَيّنَ لي أنّ غبطةَ البابا مغمُورٌ في الدِّماءِ المُسلمَة حتى أُذُنَيه علَى الرّغم من ادِّعائه بأنّ كُلّ ما يُمكن فعلُه التّنديدَ بالقتْلِ والتّباكي علَى الدِّماء.

وما هذا غير كذبٍ فاضحٍ، وتهريجٍ صريحٍ، فلو أنّ غبْطَتَهُ كان صادقاً في حُزنــه علَى دماءِ المسلمين وأعراضِهم لَمَا تبرّع بالمالِ كما فَعَلَ، إنّما كان يتعــيّن عليــه أن يطلُب إلى بُطرس" ابن " بطرس غالي " بصفتهِ آنذاك وهو المَسيحيُّ المُتعــصِّب، أن يرْفعَ الحَظْرَ عن تسليحِ المُسلمين وأن يكُفّ عن تسليحِ الآخَرين.

ولكنّ كيف هذا ؟ وهو – أيْ – البابا يقوم بتمويلِ الصِّرْبِ تمْويلاً مُباشراً عــن طريقِ كُرواتيا، وقُبرص، واليُونان، والمَجَر، كما كان سَلَفه يُموِّل عمليّــاتِ العِــصْيانِ والتّمرُّدِ في جنُوبِ السُّودان.

ولماذا لم يُعلن البابا براءةَ ساحَته من فَتَاوى كنيسةٍ تابعةٍ لهُ فــي بلجــراد أفْتَــت الجنودَ الصِّربَ بوجُوبِ اغتصابِ كُلِّ امرأةٍ وفتاةٍ مُسلمةٍ وبأنّ ذلك يُرضي الرّب.

إنّه الصّمت المُريب، والتآمُرُ الشديدُ والمُتنوِّعُ بين **التّجاهُل البــابوي وإهمالــه.** خاصّة إذا ما تأكّد لنا علمَ غبْطَته المُسْبَق بتدريسِ أبنائه في المدارسِ الصّربيةِ أساليبَ الحقْد، وإرضاعِهم الضّغْنَ علَى الإسلامِ والمُسلمين.

فتلك هي مدارسُ الصِّربِ الابتدائية تُدرِّسُ لأبنائها مَلحمةً شعريةً باســم **[إكْليــل الْجيل]** كَتَبَهَا أُرثُوذكْسي مُتعصِّب قال فيها:

سَلَكَ المُسلمون طريقَ الشّيطان.
دنّسُوا الأرضَ.
ملأُوها رجساً.
فَلْنُعد للأرض خُصوبَتَها.
ولنُطهِّرها من تلك الأوساخ.
ولنبصُق علَى القُرآن.
ولْيَطِر رأسُ كُل مَن يُؤمنُ بدين الكلاب، ويتّبع مُحمدا.
فلْيَذْهَب غير مأسُوف عليه .

بل إنّ الكنائس الأُرثوذكية أوْحَت إلى شباب الصِّرب بأنّ عمليّةَ ذبْحِ المُسلم إذا تمّت مقرُونةً بشُربِ الخمْرِ تُعدُّ أمراً يجلبُ مرْضَاةَ الرّب.

بالإضافة إلى الفَتَاوى التي أصْدَرَتْهَا تلكَ الكنائسُ والتي أباحَت فيها هتكَ أعراض المُسلمات لِكُل من يَدينُ بالأرثوذكسية، وعليها فقد أرسلَت الميليشيات الصِّربية بعضَ هؤلاء النِّسوة من مُعسكرِ السّبايا المُسلمات في المناطِق التي سيْطَرَ عليها الخنازيرُ الصِّرب إلى مناطِقَ المُسلمين بعد تقطيع أثدائهن، وهُنّ يعانين من الأفعال الوحْشيةِ من اغتصابٍ، واعتداءٍ جنْسي فاضحٍ لِجلْبِ مرْضاةِ الرّب، وقُربانا إلى الله، ولستُ أدري أيُّ إله يُبارك هذه الخِسّة، وعن أيّ إلهٍ يتحدّثُون.

وتتبنّى كُلية " الّلاهُوت المسيحي" في صربيا هذا المنطِقِ الوضيعِ، وتُدَرِّسُهُ لِمن سيكُونُون قَساوِسة ورُهْباناً في المُستقْبَل(١).

كما أقرّ برلمانُ صربيا تشريعًا جديداً صَدَرَ مُؤخّرا يقضِي بذَبْحِ المُسلمين ويُقَنِّنُ إباداتَهُم .

لقد فَعَلَ الصِّربيُّون الأفاعيلَ بالمُسلمين، وأذاقُوهم ألْوَاناً من مُرِّ العذاب، إذْ وَضَعُوا أطفالَهم في فرّامات اللّحم، ومطاحِن الأعلاف، وفى خلاّطات الأسمنت، وفى محارِقِ الحَيَوانِ، وقذفُوا بهم وهُم أحياءٌ من أعلى الطّوابِق، كُلُّ ذلك أمامَ أبنائهم وأمّهاتهم وذويهم، لقد فعلُوا الفاحشةَ في الزّوجة والأُخت والبنت وبِشكْلٍ جماعِي، وجاء تصرُّف البابا بالتّبرُّع بالمبلغ المذكُور مُثيراً للتّساؤلات، ربّما كان لإعادَة بناء { ٨٠٠ } ثماني مائةَ مسجدٍ فجّرها الصِّرْبُ الأرثوذكس، ودفَنُوا تحتَها أطفالاً أبرياءً، ونساءً مذعُوراتٍ احتمُوا بها من الذّبح والاغتصاب، وما ذلك غير ترجَمةٍ حَيّةٍ لما صرّحوا به علانية، وذكَرتْهُ ألسنتُهُم فى غيرِ مُناسبة ***(سنمحوا أُمّةَ الإسلامِ من الوجُود)***(٢).

وإذَا كان البابا كما قِيلَ في صُحُفنا العربية حزيناً علَى ضَحَايانا ومُشرّدينا وقتْلانَا ويتامَانَا، فأينَ كان وهو الأبُ الرُّوحيُّ لِمَسيحِيِّ العالَم، عندما كان مسيحيُّو الصِّرب

---

(١) مجلة المجلة عدد – ٦٤٢ ص / ٤٥ فى ١٩٩٢/٥/٢٧ / ١ . فهمى هويدى

(٢) مجلة أكتوبر فى ١٩٩٢/١١/٢٢

ينتشُون بذبْح المُسلمين مُقتَرِنا بشُرب النّبيذ، وهم يتلذّذونَ بِقتلِهم عشوائياً، واغتــصاب نسائهم وهَتك أعراضهم ؟!

لماذا وهُو رئيس الكنائس الأرثوذكسية العالمية لَمْ يأمُر الكنائسَ الأرثوذكسيةَ فــي بلجراد بالتوقُّف الفوْري عن تأجيجِ رُوح العداءِ للمسلمين في البُوسْنَة ؟ هل لم ســيمَعْ استغاثات النِّساءِ، هل كان مُغَيَّبَاً عن الوعْي فلم يرَ شلاّلات الدماء ؟ هل كان نائماً في كهْفٍ في مُحيطٍ بعيد فلَم تصلهُ إحصائياتُ كنائسه في أورُوبا بزيــادة عَــدَد الأطفــال الذين سَرَقهم القساوسَة والرُّهبان من الإسلامِ (**وهم الــذين فقــدُوا عــائلاتهم فــي البوسنة)** وتلقّفتهُم الكنائسُ بالتّنصير ((**وهُم المُسلمُون**)) .

إنّ المسيحيةَ السمحةَ تجلّت رسالتُها ومَعَها رسالةُ الحُبِّ والسّلام التــي غمَــرَت الدنيا بالنُّور كما يدّعُون، قد عبّر عنها تماماً موقفُ البابا، الذي انتظرَ طــويلاً حتــى جاءَت لحظةُ اللاّ عودَة، وهي التي يكُون تنديدُه فيها بلا تأثيرٍ أوْ وَزْن، وكلامُه كرَجْعِ الصّدى، وتهديداتُهُ مثل هَمَسِ المُحتضرين، ولما جاءت الّلحظةُ قَذَفَ تلك الــدُّرَيْهِمَات ثَمَناً لدماءِ المُسلمين، والأعراضِ، والمساجد، والضياع.

لقد قال أحدُ مشاهيرِ الصّحافة المصرية والعربية تعليقاً علَى التّصرف البابوي مَا نَصُّهُ (وهو مسيحي بالطبع): "" لم يعُد ضرُورِّيًا أن يحُثّ زعماءُ المسلمين أتباعَهم لِكي ينتصروا لإخوانهم المُسلمين. لقد جعلَتْهَا كلماتُ البابا في عُنقِ كُلِّ إنسانٍ يعرف اللهَ ".... انتهى.

وهذا القائل هو بعَيْنِه مَن قَادَ الحملةَ الدِّعائِيّةَ في الشّرقِ لموقفِ البابا وتصريحاته الهادفة في البَحرِ الُّلجِّي.

وممّا قالَ في معرضِ مقالٍ صحفي له: (يتعيّن علَى المُسلم أن ينامَ ملءَ جَفنَيــه، ويغْرَقُ في بحرِ الأحلامِ الوردية، فالبابَا يُوحنّا سيقُود جَيْشاً من أتبــاعِ كنيــسَته لِيُنقــذَ المُسلمينَ والمساجدَ، ويحمي المُسلمات من وحْشيةِ الإغْتصَابَات، وحُمّى الإنتهَاكَاتِ)

لقد أصبحَ الذِّئب الجائعُ حامياً للخرافِ الثّمينة، وعَلينا أن نُصدِّق.

إنّ دماءَ المسلمينَ في رَقَبَةِ كُلِّ الحكوماتِ الإسلامية التي لم تفعــلْ شــيئاً، وفــي رِقابِ كُلِّ الشُّعوبِ التي لم تُقدِّم شيئاً لنصرْةِ الإسلامِ، ممّا أوجَبَهُ الله تعالى من جهــادٍ ومُناصَرَةٍ وإغاثة وتبرُّع.

(٢٧٩)

وهذا خطبٌ جَلَلٌ، وتلك مُصيبةٌ أَفْدَح، تطابقَ فيها موقـفُ الأنظمـةِ والقيـادات والحُكُومات والشُّعوبِ الإسلاميَةِ، وهو عجْزٌ له جُذورُه وثوابتُه مُنذ عـصرِ القوميّـةِ العربية ومُناصَرَةِ الحركَةِ الثّوريّة. مُنذ عصر إعلان تأسيسِ حركَةِ عدمِ الانحيازِ بـين رئيسة وُزراء الهند "**أنديرا غاندي**" التي بدأت برنامَج حكُومَتها آنذاك بحَقْـنِ رجـالِ المُسلمين بدمِ البِغال لإصابتهم بالعُقم الأبدي من أجل القَضاء عَلَى الجنْسِ المُسلم فـي الهند ، و"**جمال عبد الناصر**" صاحب التّـاريخ المعـروف مـع التيّـار الإسـلامي، و"**جُوزيف بروس تيتو**"، الرئيس اليوغسلافي – صـاحب التّـاريخ الأسْـود – فـي صراعِهِ ضدّ الإسلام، ومُناهضته للمُسلمين ، وإخْلاصِه للإسرائيليين، وهـذه واحـدة شاهدة عليه: فخلال إحدى زِياراتِ **تيتو** المُتكررة لمصْرَ، طلبَ الشّيخ "**أحمـد حـسن الباقُوري**" – وزير الأوقاف آنذاك – مِن الرّئيسِ عبد الناصـر أن يُفـاتح تيتُـو فـي الإفراجِ عن الزّعيم المسلم ***(علي عزّت بيجوفيتش)*** الذي أُودِعَ المُعْتقَـل، ويُجـرى تعذيبُه في بلجراد.

وعندما استَفْسرَ عبد الناصر مِن صديقهِ (تيتو) عن هذا الموضوع أجابَهُ قـائلا: إنّ هذا الرّجُل أخطر من تنظيمِ (الإخوان المسلمون) عِندكم في مِصر وهو يُطالـب بأن تتولّى الحركةُ الإسلامية السُّلطةَ في أيِّ بَلد تكُون لَها الأكثرِية العَدَدية، كما أنّ هذا الرّجُل يرفضُ كلَّ ما هو غير إسلامي في مُجتمع المُسلمين.

ثُمّ توقّف تيتُو قليلاً، وسألَ عبد الناصر: لماذا تتوسّط لَهُ وأنت تَتّخذ نفسَ الموقف منهم في مِصر ؟

وسَكَت عبد الناصر لقُوّة الحُجّة والمنطِق التي تحدّث بها تيتو(١).

وإذا كانت تقاريرُ صحفية مُختلفة قد تحدّثت عَن أنّ عناصر صُهيونية وضُبّاطاً أورُوبيِّين مُرتزقة كانوا قد شاركُوا في الحَرْبِ علَى المُسلمين هناك؛؛ فماذا قدّم المُسلمون لإخوانهم بِغرض الدِّفاع عن الدِّينِ، والنّفسِ، والرُّوح، والعرْضِ.

وإذا كان عبد الناصر قد سكَت عند استفهام تِيتو الاستنكاري، فما الـذي يُـسْكِت الباقِين ؟! – وسأكون الآن أول السّاكِتين.

---

(١) المساء المصرية فى ٦/٦/ ١٩٩٣ م محمد على إبراهيم ، الصربيون خنازير أوروبا ص٩٤

ب – العَدْوَى في بِلادِ المُسلمين:

فيما يبدو أنّ دواوين التفتيش هذه قد انتقَلَت عدواها إلــى بعــضِ بقــاع العــالَم الإسلاميِّ، لتَبيتَ وقد استعْمَلَهَا حُكّامٌ فَجَرَةٌ ومُجرمُون، وقد سلّطُوها علَــى شــعُوبهم، وعلَى رُؤُوسِ الأشهاد يقف ما قال الأستاذ الكبير عبد الودُود يُوسُف **(جلال العــالم)** في كتابهِ **قادة الغربِ يقولون دمِّرُوا الإسلامَ أبيدُوا أهلَه**. ليُبَرْهِنَ عملياً علَــى تفــشّي هذه الظاهِرَة الفتّاكة.

قال الرجل: ذَكَر لي شاهدُ عيان بعضَ أنواعِ التّعذيب التي تُمــارَس فــي أحــدِ البلدان الإسلامية ضدّ مجموعة من العُلماءِ المُجاهدين فقالَ:

بعد يومٍ من التّعذيبِ الشّديدِ ساقَتْنَا الزّبانيةُ بالسِّياط إلى زنزانتنا، وأمَرَنا الجلاّدون أن نَسْتَعِدَّ ليوم آخَرَ شديد.

صباح اليومِ التّالي أمَرَنا الجلاّدون أن نخرُج فوراً، كُنا نستجمعُ كُل قُوّاتنــا فــي أقدامنا الواهنة هَرَباً من السِّياط التي كانت تنزِل علينا من حَرَسٍ كان عدَدُهم أكبرَ منّا، وأخيرا أوقفُونا في سَهْلٍ صَحْراويٍّ تحتَ أشعّةِ الشّمسِ اللّاهبة، حَوْلَ كَوْمة من الفَحْــمِ الحَجَري، كان يعملُ الحرسُ جاهدين لإشعالِها، وقُرْبَ النّارِ مَصْلَبةٌ خشبيةٌ تستندُ إلــى ثلاثة أرْجُلٍ.

اشتعلت كَوْمَةُ الفحْمِ الحجري حتى احمرّت، فجْأة سمعْنَا شتائمَ تأتي من بَعيد، التَفَتْنا فوجَدْنَا خمْسَةً من الحَرَس يقُودُون شابّا عَرَفه بعضُنا كان اسمُه "جاويد خان إمامي" أحَدُ عُلماءِ ذلك البلد.

امتَلأَ الأُفقُ بنُباحِ الكلابِ المجنُونة، رأينا عشْرةً من الحرَس يقُودُون كلْبَين ارتفاعُ كُلٍّ واحد منهُمَا متراً ، علِمْنَا بعد ذلك أنّهُمَا قد حُــرِما من الطّعام مُنذ يومَين، اقتَــرَبَ الحرسُ بالشّابِّ **جاويد** من كوْمة النّار الحمْراء، وعيناهُ مُغْمَضتَانِ بحزامٍ سميكٍ.

كُنّا نتفرّج أكثر من مائة سجين، ومعنَا أكثر من مائة وخمسين من الحرَس، معَهُم البنادقُ والرشّاشاتُ، فجأةً اقْتَرَبَ من الشّابِّ جاويد عشرةً من الحُرّاس، أجْلَسوهُ علَــى الأرض، ووضعُوا في حُضنْه مُثَلّثاً خشبيّاً ربطُوهُ إليه ربْطاً مُحكَما، بحَيْثُ يبقَى قاعداً لا يستطيعُ أن يتمدّدَ، ثُم حملُوهُ جميعاً، وأجلسُوه على الجمْرِ الأحْمَر، فصرَخَ صــرخةً هائلةً ثُم أُغــمَى عليهِ، سقطــَ أكثرُ من نصفْنا مُغمَى عليه ، كانوا يصرُخون مُتألمين،

وعمّت رائحة شواءُ لحمِ جاويد المنطقة كُلها، ومن حُسن حظّي أنّي بكيتُ بكـــاءً مُــرّاً لكنّني لم أُصَبْ بالإغماء لأرى بقيّةَ القصّة التي هي أفظَعُ من أوّلها.

حُمل الشابُ علَى الخَشَبَة وفكّت قُيُودُه، وهو غائّب عن وعيْــه، وصُــلِبَ علَـــى المَصلَبة الخشبية، وربُط بها بإحكام، واقترَبَ الجلاّدون من الكلبَيْن الجـــائعَيْن، ففكُّـــوا القُيود عن أفواههما، وتركُوهما يأكُلان لحمَ ظَهْرِ جاويـــد المَـــشْوي، بـــدأت أشـــعُر بالانهيار، أنّه لازالَ حيّاً، والكلابُ تأكلُ لحمَه، فقدتُّ وعْيِي بَعدَها، لم أفـــق إلاّ وأنـــا أصرُخ في زنزانتي كالمجنُون، دُون أن أشعر... جاويد... جاويد.. أكلَتْك الكـــلابُ يـــا جاويد.. جاويد، كان إخواني في الزنزانة قد ربطُوني وأحاطُوا رأسي وفَمي بالأربْطةِ حتى لا يَسمع الجلاّدُون صوتّي فيكونُ مصيري كمَصيرِ جاويد أو كمصيرِ (شـــاهان خاني) الذي أُصيب بالهيستريا مثلي فأصبَح يصرُخ جاويد... جاويد، فأخذَه الجلادُّون ووضعُوا فوقَهُ نصفَ بَرْميلِ مَمْلُوءٍ بالرّمل، ثُمّ سحـــبُوه علَى الأسلاك الشائكَة التـــي ربَطُوها صفّاً أُفُقيّاً، فماتَ بَعدَ أن تقطّع لحمُه ألف قطعةٍ وهو يصرُخ (الله أكبـــر).. .. لا بُدّ أن ندُوسُكم أيها الظالمون، وأخيراً أُغْمَى علَيَّ، فَتَحتُ عيني، فُوجئت أنّني في أحدِ المَشَافِي، وفُوجئتُ أكثرَ من ذلك بسَفيرِ بلدي يقِفُ فوقَ رأْسي، قـــال لـــي كيـــفَ حالُك... يبدُو أنّك ستشفى إن شاءَ اللهُ. لو لم تكُن غريباً عن هذه البلاد مـــا اســـتطعتُ إخراجكَ، فاجَأني سائلاً: لكن بالله عليك، قُل لِي مَن هو هذا جاويد الذي كُنتَ تـــصرُخُ باسْمه، أخبرتُهُ بكلِّ شيء، فامتقَعَ لونُه حتى خشيتُ أن يُغْشَى عليه.

ولم نُكمل حديثَنَا إلاّ والشُّرْطَةُ تسْأَلُ عنِّي ، اقْتَرَبَ من سَريري ضـــابطُ بـــوليس وسلّمني أمْراً بمُغادَرَةِ البلاد فوْرَاً، ولم تنجَحْ تدخُّلات السّفير في إبقائي حتـــى أشْـــفى، حملُوني ووضعُوني في باخـــرة، أوصـــلتْني إلـــى مينـــاء بلـــدي، كُنـــت بثيـــاب المـــُستشفى، ليس مَعي وثيقة تُثبِتُ شخصيّتي، اتّصلتُ بأهلي تليفُونيا، فلمّا حَضَرُوا لم يعرفُوني لأول وَهْلة، حملُوني إلى أوّل مُستشفى، بقيت فيها ثلاثة أشـــهُر فـــي بُكـــاءٍ مُستمرٍّ ثُمّ شفاني اللهُ،. وأنهى المسكين حديثَه أنّ مُديرَ السِّجْنَ يهُوديٌّ، والمَسؤُول عَـــن التّعذيب ألماني نازي، أطْلَقَت تلك الحكومةُ في ذلك البلد الإسلامي أيديَهم يفعلُون فـــي عُلماء المُسلمينَ كَيْفَ شاءُوا !!!!!! وهذه وقائعُ نُبيِّنُها لبعْضٍ ممّا غارَ وغابَ عنّا وبعُدَ في **أغوارِ العالَمِ الإسْلاميِّ**، وقليلٌ من القراءَةِ في **مَلفّاتِه السّاخنَة**.

(٢٨٢)

الفصلُ الثّالثُ

اليَــدُ العُلْيَـــا

أوّلاً: فِي ظِلال العَوْلَمةِ

نحنُ المُسلمُون أهلُ القرآنِ والإيمانِ، نُخطئُ أشدّ الخَطَأ بإصرارنا علَى التّقليــد الأعمى للإنسان الغربي، فيما نَعتبرُهُ تحديثاً لحياتنا وتطويراً لهَــا، لدرجَــةِ صـــهْرِها وسبْكِها في الملكُوت النّمَطيِّ الغَرْبيِّ الذي بَدَت عليه أعــراضُ الــشيخُوخةِ بعــد أن أصابَته العلَلُ الأخلاقية، والآفاتُ الإجتماعية والسُّلوكية في مَقْتَلٍ.

فإذا ما وقَعنا أسْرى لأهوائنا، وسلّمناها مشيئَتَنا تقُودنا لممارَسَة التّقْليــد الأعمـــى لمدنيّةِ الآخَرين، فَلَسوْف نخْسَرُ آنئذ أعَزّ ما نَملك، وأغْلى ما لَنا مِن رَصيدٍ في الحياةِ الدُّنيا والآخرة، سوف نخسرُ أنفُسَنا لأنّنا لن نبلُغ ممّا بلَغَه الإنسان الغربي حـــديثا مـــن العُلومِ النّافعَةِ، لأنّهم يَضْربُون عليها سياجاً من حَديدٍ لا يُمكنُ إختراقُها، غيـــر أنّهـــم وللحقِّ يسمحُون بتصدير حلاقـــة الكابوريـــا، والبانـــك " بتفخـــيم البـــاء " والهيبـــز، والإسترتش إلى بلادنا.

ومن ثَمّ فقد بدا البعضُ أقزاماً، أو نُسَخاً مُشوّهةً، بعد أن اجتهدُوا وجَـــدُّوا حتـــى بلَغُوا الأقاصي في تغريبِ (تأريب) حياتهم، وسُلُوكهم، وأنماطِ معيشتهم، كالأطفـــالِ مبْهُورين، ومُقلِّدين، ومُتشبِّهين، ولكنّهم لن يصلوا إلى شيءٍ بتقليدهم.

وعلَى الرّغم ممّا حَدَثَ لنا من الإنبهارِ، وما أصابَنا من النّشْوَةِ، فإنّ الغرْبَ بـــدا ومُنذُ حينٍ مَضَى يبحَث عن تَعْريبِ أخلاقه ، وسُلوكيّاته، بل وجُملة حياته، طَلَبا للنّجاةِ من الفوضوية الأخلاقية، وبَحْثاً عن ضوابطَ للإباحيةِ الهزليةِ التي تفَشّت هُناك حتـــى بدا الغربُ وكأنّه رَجُلٌ في التِّسعين من عُمره.

والحقُّ أنّ هذا ليسَ دَورُنا ولا مقامُنا، لأنّ الواجبَ علينا هو الأخذُ بيدِ الإنـــسانيةِ جمْعاءَ، بعد أن التصقَت بالدُّنيا، وأخْلَدَت إلى الأرضِ، فنصلُ بها إلى رحابٍ أوسَـــع، وآفاقٍ أسمَى، نحو المعارجِ الرّبانيّة، والآفاقِ الإيمانيّة، وما ذلك إلاّ لأنّنـــا أصـــحابُ ثرْوةٍ هي الأعظَم، وأمانةٍ هي الأخطَر في الدّعوةِ والتّبليغِ والتّكليفِ والتّشريف.

إنّ المُسلم الأمين يُمكنْهُ أن يُعيدَ أمجادَ أجداده الأُمَويين والعبّاســـيين فيما وصلُوا إليه من فُتوحاتٍ وإرسالياتٍ تنويرٍ،أضاءت جنباتِ العالَم التي انزوَت تحتَ شرف لواءِ

الإسلامِ طِيلةَ قُرونٍ طويلة.

ولمّا كان الأجدادُ رُوّاداً مَدُّوا الجُسورَ لأوروبا حتـــى عبَــرَت حـــواجز الجهـــل والمرضِ والتخلُّف، كان من المُمكن أن نستَمِر ونُضيف، وأن نُجدِّدَ في ظِـــل الثـــورةِ العلْمية والتكنولوجية الحديثة، غير أنّ الرّكب توقّف، وتَرَاجَعَ المسلمون، فانكبُّوا علَى وجُوههم، واختلفُوا، واقتَتَلُوا، وانشغلُوا بتوافهِ الأمُـــور، وقـــادَهُم المـــزاجُ، وجـــرّتهم أعضاؤُهم التّناسلية، ووقعوا "بمزاجهم" فيما نهاهُم عنه القرآنُ الكـــريمُ وشـــدّدَ علـــى اجتنابِه ونبّهَ علَى عدَمِ إتيانه، فتنازَعُوا ففشلُوا فذهبَت ريحُهُم، فنَسُوا أنفسَهم، وغَلَبَـــتْهم عُقدَةُ النّقصِ، فراحُوا يُهرولُون إلى السّيد الأورُوبيِّ، فـــلا يَـــرون إلاّ مـــا يـــراهُ، ولا يشتهُون غيرَ ما يشتهيه.

ولكنّ السّيِّدَ الأورُوبيَّ بدأ يشيخُ، وبَلَغْنا نحنُ بشيخُوخَتِه مُفترقَ الطُّرق، وأصبحْنا بالأصالةِ يتعيّن علينا كافّةً أنْ نَكُفَّ عن التقليد، وأن نُغَير الفلْسَفَةَ التى تقـــودُ الرّكـــب، وأن نسعَى بالضّرورةِ إلى العودةِ إلى اكتشافِ الذّات، وأن نـــستخرج كُنـــوزَ الـــنّفْس، وتقديم عطاءاتها، وأن نجِدّ ونجتهدَ فى تلميعِ كُنوزِنا المُهْمَلة فى بطْـــنِ التّـــاريخِ ومَـــا أكثرها، وسوْفَ لا يتسنّى لنا ذلك من غيرِ الكّف عن الرّضاعة من الأثـــداءِ الغربيـــةِ السّامّةِ التى تُرضِعُ الهَبَلَ العَلْمَانى، وهو ما يستوجبُ الفطامَ عن موائـــدِ الماسُـــونية، وغلْقِ محافلِها ونواديها، واستتابةِ أعضائها والاســـتغناءِ عـــن مـــشاريعها الخَيْرِيّـــة، واستئصالِ شأفتها كما فَعَل **رئيسُ دولة الإمارات العربية المُتحدة** ﴿ ***الشّيخ زايد بـــن سُلطان آل نهيّان*** ﴾ رَحِمهُ الله تعالَى وطَيَّبَ ثَرَاهُ، وتلكُم هى الضّرورة المُلجئـــة إلـــى إعْمَال ما قالَ الرسول ((تركت فيكم ما إن تمسكتم به لا تـــضلوا أبـــدا ..كتـــاب الله وسنتى)). (الحديث)

أ ـ يـــدُ الطّاغيـــة :

لمّا بدأت أورُوبا العدُو اللّدود الأوّل للمسلمين فى بُلوغ الشّيخُوخَة، آلَ أمْرُ الرِّيادة فى حَمْل لواء الصّليب إلى النّجم الجديد القادم من أقاصى الغرب، من وراء البحـــار، من العالم الجديد الذى اكتُشفَ مُؤخّرا ولم يبلغ عُمرُه حتى الآن مقدارَ الرُّبع من تاريخ أمّتنا الإسلامية، إنّه (**وحيد القرن**) الذى ظَهَر علَى حين فجأة، فأمْسَكَ بمفاتيح العلْــم والمدَنية، ودَانَت له سيادةُ الأراضى والبحار والفضاء، وصَارَ يــتحكّم فـــى التّجـــارة، والزّراعَة، والصّناعة، والإعلام، .. إلخ، وبات راعيهُ (جُورج بُوش الثانى) يحمــلُ لواءَ الحرْب الصّليبية الجديدة علَى الدّيار الإسلامية؛ بَعد أن باتَ مُطمئنّا إلـــى وَحْــي السّماء التى تُباركُ بحسب قوله إبادَةَ المُسلمين، واستحياءَ نسائهم، وتنصيرَ أطفـــالهم، وتحريقَ زراعاتهم، والاستيلاءَ على مُمتلكاتهم، ونهب ثرواتهم بـــأمر الله ومُباركَتـــه وبَرَكاته، حتى باتَ كالأخطبوط له عدة أذْرُع، وله فى كُلِّ ميْدانٍ تجربة، وفـــى كُـــل بحْث خبرة، وأمْسى وهو مُمسكٌ بمفاتيح حُلول الأزمات الدّوليـــة التـــى أجـــادَ هـــو صناعتَها، وصاغ بعقْله سياستَها حتى أضحَى الكلُّ يتبـــع خُطواتـــه، إمّـــا رضـــاءً أو استرْضاءً نتيجةَ قلّة الحيلَة، وأصبحَ الجميعُ رهنَ إشارته يأتمرون بأوامره، وينتهُـــون عن نواهيه، إلاّ مَن أَبَى فى العلَن مثل العراق، وكُوريا، وسوريا، وإيران، وفنـــزويلا، وسوف لا يستمر إباءُهُم وتمرُّدُهم طويلا إمّا طوْعاً وإمَا كَرْهاً .

وقَفَز الطاغيةُ إلى الشّرق لا يقتحم غيْرَ ديار المُسلمين، لا يُحرِّقُ غيـــر بيـــوتهم، ولا يهلك إلاّ أبنائَهم، قَفَزَ كالقسْوَرَة الجائع يُطاردُ الحُمُـــرَ المـــستنفرة فـــى الـــشّرق الإسلاميّ لا فى سواهُ، بينما هو ذاتُهُ قد سَلَكَ مسالك النّعامَـــة أمـــامَ الكُـــوبيِّين وهـــو مُلاصق لحدُودُهم وأمام الكُوريِّين علَى بُعدهم.

انطلقَ إلى أقاصى الشّرق فسلّمَ له اليابانيُّون وغيرُهم، وأمْسَك بذيله الإستراليونَ، واسترضاهُ الأوروبيُّون، وخَطَبَ وُدّه الرُّوس، ورَضَخَ العربُ، وانـــزَوَى المـــسلمون وملّكُوهُ مشيئتَهم، حتى بدَت الأمورُ وكأنَّ الرِّحال ستُشدُّ إلى البيت الأبيض عمّا قريـــب لتقبيل العَتَبَات الأمريكية، وللوقُوف علَى أبواب الطّاغُوت الذى يُقيم الـــدُّنيا ويُقعـــدُها، وفى خُلده وفى مُخطّطاته أن يتّخذ من العالم الإسلامى مسرْحاً يُشخِّصُ عليه عُروضُ، ومُختَبَراً يُجرِى عليه إختباراته، ومَيْدَاناً يُنفِّذُ فيه تجاربَهُ التى سيبدأها فيما أرَى بتحديد

(٢٨٥)

وتَوْصيف أوقات العُمرة، تَعْيين مَواقيت الحَجِّ، وقد يُعدِّدُ علَينا مرّات ذكــر الله تعـــالى بالألْسُن، وقد يضعُ قانوناً جديداً للتّشهُّد لأنّ مَن قالَ **بسم الله الرحمن الرحيم توكّلــتُ على الله صارَ إرهابيّاً**، ووَجَبَ قتلُه، وإسقاطُ حقُوقه، وإهدارُ دمه، واســألوا **(ماجــد البطوطى)** قائدُ الطّائرة المصريّة التى قَصَفَها الأسطولُ الأمريكيُّ فوق مياه المُحــيط الأطلسى (بأشعّة نانو ٧)، وقد عاشت مصرُ بسبَبها أياماً سوداءَ، وحجبُوا عنّا حتـــى تقريرَ الصندوق الأسوَد، وتحطّمت الطائرةُ، وأكلت الأسماكُ لحُومَ رُكّابها المصريين، واستقرّت الطائرة فى رَحم المُحيط الذى لن يدفعهم إلى خارجه يوماً، ومعهُم ضــاعت كُلُّ الحقائق عدَا الحقيقةُ الوحيدة الأكيدةُ فى مُحيط الأغوار وهى التى تُبــرهن عليهــا الأحداثُ يوما بعد يومٍ وهى أنّ هوانَنَا علَى النّاس لم يكُن إلاّ بسبب هوانِنَا علَى أنفُسنا أوّلا، ثم أراهُ كذلك وهو يجعَل البعضَ يتجسّس علَى البعض حتى يُبلغُهم بــأنّ مُــسلما يُدرك الصّلاة فى المسجد، أوْ أنّ مُؤذّنا يُؤذّن للصلاة فى غير المواعيد المُعلنة سَــلَفا ومن دُون الإلتزام بالمعايير العالمية المُوحّدة للآذان الذى قــد يتوحّــد مــع أجــراس الكنائس ومعابد اليهود التى يتمُّ زراعتها الآن فيما تبقّى من أرض المُسلمين ولا بــأسَ أن يكُون هُناك مبنى واحد يضُم المُتديِّنينَ من أصــحاب الــشّرائع والملَــل والنِّحَــل والعقائديّات، ولْتُسمّى مثلاً مُجمّع الأديان.

وقد حدّد الرّاعى الأمريكى غير الصّالح أولوياته ورَسَم سياســاته الراميــة إلـــى تطهير الأرض من مشارقها إلى مغاربها من مكاره الأصُولية الإسلامية، وتطهيرهــا من أخطارها وإنقاذها من مكائدها الشّريرة، كمَا أكّد علَى أنّه سيُوَثِّقُ صِلات الأرْحـــام عن طريق السّماح بلقاء المحارم، وسيقضى علَى مشاكل الشّباب بتسهيل البغَــاء مـــع إصدار التّشريعات الخاصّة بالسّلامة الصِّحّيَّة والمهَنيّة لمُمارسيه، وســيجعل النِّــساءَ ملكيةً مُشاعَةً للجميع كما كان أجدادُه سَلَفا وكمثل ماهُم عليه الآن فى بلادهم يعيــشونَ فى أندية الشّواذ، وجمعيات السِّحاق، كما أنّه سيضَع حُلولاً جزرية للخرِّيجين العاطلين عن العمل من خلال تأمين بيع البانجو للشباب ورَوَاج تجارته، وتسهيل مهنة الرّقص، والغناء، والدّعارة المُباحة عبر وسائل الإعلام للجميع صغاراً وكباراً، وسيقضى علَى مُشكلات الإسكان المُزمنة عن طريق تعْميم الإقامَة فى المقَابر ومُزاحمة الموتَى فـــى عالَم الرّحب والسّعة بلا حُدودٍ وبلا كَم {{ مع الاعتذار لقُرّة العين **رزين تاج** }} ، وفى

الأنفاقِ وعلَى الأرصفة، وتحتَ الكبارى، وفى مواسيرِ المجارى مــع إخــوانهم فـــى الخليقَة الصّراصير، هذا غير إقامَة نُموذج جديد لحديقة حيوانٍ طبيعية للإنسانِ أفضلَ بكثيرٍ ممّا كانت عليه أقفاصُ المُعتقلين التى لا تضمُّ بين أقفاصها فرْداً واحــداً غيــر مُسلم هُناك فى "جُوانتانامُو المحتلة"حيث القاعدة العسكرية الأمريكية على الأراضـــى الكويبية، وقد أُعلن مُؤخّراً فى بلادِ الكُفرِ عن عدمِ مُطابقتها لمعاييرِ الأُمَم المتّحــدَة أوْ الإتحادِ الأوروبى، بينما لم نسْمع عن العرَبِ أو المسلمين فيها رأياً ولــم يــصدُرعنهم تعليقاً علَى الرّغم من أنّ كُل المُعتقلين فيها مــن العــربِ والمُــسلمين دُون ســواهُم (واسألوا أنفسكم)

وهو كذلك (وحيد القرن) سوف يُمسك بمفاتيحِ الفلاحِ والنجاح، والجنّة والنّــار، لمَن انزوى إلى لواءه أو جاءَ تحت رايته التى شعارُها وقوامُهــا ﴿ **كُونُــواْ هُــوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ** ﴾ { البَقَرة : ١٣٥ }،﴿ **وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَــن كَــانَ هُــوداً أَوْنَصَارَى** ﴾ { البَقَرة : ١١١ }.

وتلك هى ملامحُ النِّظام العالميِّ الجديد، وبالأدقِّ نظام اللا نظام الــذى ســيُقيمُهُ وحيدُ قَرنِه علَى قاعدة هشّة من الحقد، والكراهية، والبغضاء، والنُّفور، عمادُها عوابرُ القارّات، ورأسُها أمُّ القنابل، وأبوابُها الأسلحةُ البيولوجيــة والكيماويــة والجُرثوميــة، سماؤُها مَظَلّة الصواريخ الرّهيبة "" وهى الأسلحة الممنوعة على الغلابة ""، طريقُهــا إسكاتُ مُعارضيه بالأسلحة المُحرّمَة دَولياً وانظُروا إلى ما خلّفتْهُ التّفْجيراتُ الأمريكيةُ الذّريّةُ فى الجَزيرَتَيْنِ اليابانيّتَيْن " **نجازاكى و هوروشيما** "، والأسلحة التـــى تُــصيبُ بالعَمَى الدّائم ، واسألوا عنها اللبنانيين، والعراقيين، وكذلك دهْس المُتمنِّعــينَ عليــه، أوالمُمْتنعين عنه، أو المنشقِّينَ عن طاعته بالمُجنْزَرات، وسحْق مَن أَبَى، وذَرّه فى مياه الرّافدين، أو فى النّيل، فى المُتوسط أوْ فى الأحْمرِ، فى البُحيــرات العُظمـــى أو فـــى الخليج، فى النّهر الأصفرِ أوْ فى خليجِ الخنازير.

إنّها القاعدة الكبيرَةُ للإمبراطورية الزّائفَة التى رَسَم حــدُودَها وحــدّدَ ملامحَهــا انطلاقاً من أرضنا الطّيِّبة التى سوف يبتلعُها وبسُرعة كبيرةٍ، نتيجــة حالــة الخــزى والوَهَن والضّعف العربى والإسلاميِّ العام، التى حلّت بالجميع بَعد أن ظلَموا أنفــسَهم، ولكنّها سوف تكونُ عسيرةَ الهضْمِ، مُرّةَ المَذاقِ، سَيِّئَةَ الطّعْمِ.

والدّليل: **أُسامة بن لادن، ومصعب الزقاوى، والمُقاومة العراقية البطلة** التى تُزلـزِلُ الأرضَ على مدارِ السّاعة تحت أقدامِ الإستعمارِ الأنجلو / أمريكي، مما اضطُّر رئيس الوزراءِ البريطانى" **تونى**" إلى الإعلانِ عن خُطةٍ لسحبِ قُواته من العِراق، وقـد بـدأ فى تسْلِيم بعْضِ قواعدِ قوّاته البريطانيّة فى الجُنوبِ العراقيِّ (البصرة) إلى القـوّاتِ العراقية، وفى أمريكا ذاتها انهزَمَ الجمهوريون فى انتخابـات الكـونجرس الأخيـرة "ربيع ٢٠٠٧" بسبب الخسائرِ الرّهيبة والمُتزايدة فى الأفراد والمُعدّات فـى صـُفوفِ الأمريكيين الذين يُقاتلون إلى جانبِهم عشراتُ الآلافِ من المُرتزَقَة المحترفين، وفـازَ الديمقراطيون الذين تعالت أصواتُهُم مُطالبين بضرُورةِ وضْعِ جدول زمَنِيٍّ للانـسحابِ من العراقِ بحلول مارس ٢٠٠٨، كما اضـطُّرّت القيـادتَيْنِ الـسياسيّة والعَـسْكَريّة الأمريكية إلى الُّلجوءِ عن مخْرَجٍ لما هُم فيهِ وما يواجهُهُم على أرضِ الرّوافد الثلاثـة (دجلة، والفُرات، والبترول) من صعاب جمّةٍ إلى مَدِّ أيديهم إلى أعْدَى أعدائهم فـى طَهْرانَ، ودَعَت أمريكا إلى مُؤتمرات إقليميةٍ حولْ العراق أكثر من مرة انعقد أولهـا فى الأردن، وآخرُها فى مُنتجع شَرْمِ الشّيْخ بمصرَ "" الثالث والرابـع "" مـن مـايو ٢٠٠٧، تلك هى المُقاومةُ العراقيةُ البطلةُ التى نَعَتَهَا الجميعُ بالإرهاب.

وسُرعانَ ما سوف يسْقُط وحيدُ قرنه (أمريكا)، ولَسوف يكُون سقُوطُهُ مُـدَوِيّا؛ كما كانت عند قيامِها تُرهِبُ المقهُورين بقُوّتها، وسطْوَتها، وهيْمَنَتِها، وعلَى قـدْرِ مـا كانَ الصِّدام مُتلاحقاً وعنيفاً بين الشّرق الإسلاميِّ والغـرب المـسيحيِّ مُتمـثّلاً فـى الحَمَلات الصليبية، فَلَسَوْفَ يكونُ الصِّدَامُ أشد عُنفاً، والسُّقوطُ أعنفُ قَسْوَةً وأخْسأ حِدّة، حتى يرتَدُّوا علَى أعقابِهم خاسئين .

ولَمّا كان الطاغيةُ يُمسك بمفاتيحِ النظام العالمى الجديد، فقد باتَ بالتّـالى فـى وضْعٍ يمكِّنه من صياغةِ خططِ العالم، وتحديدِ ملامحِ غدِه، مُنفرداً ومن دون مُنافس أو مُنازِع بعد أن أجْرَى دراساتٍ مُستفيضة لعواملِ نجاحه واحتمالاتِ فشله، ولمّا اطمأنّ إلى اكتشافِ سَرائرَ من نعَتَهُم بالأعداء، وتأكّد ممّن وصفَهم بالأصدقاء، بَعد أن تعدّدت رحلاتُ قادة العالَم الإسلامى للحج إلى البيت الأبيض، باتَ وحيدُ قرنِـه وهـو غيـر مطمئنٍ بالجُملة إلى أتباعِ دينِ الحُرية والجهاد، وهُم الذين يرفُضُون الـضّيم والقهـرَ والذُّلَّ، لأنّ دينَهم الإسلامُ دينُ سيادةٍ بطبْعِه ، ودين دُنيا ودَوْلَةٍ، وهو دينٌ لا يصحُّ أبداً

أن يُقاد، وأنّه خُلِقَ ليقُودَ نَحْو عزِّ الدُّنيا وجاهها، وشَرفِ الفَوْزِ بالآخرة ونَعيمها، شَرَعَ فى تصنْيفِ دُول المنطقةِ العربيةِ إلى دُول مُعتدلة مثل **مصر، والأردن، والسعودية،** بالإضافة إلى إسرائيل، ومارقة مُتَمَرِّدةٍ مثل إيران وسُوريا، ومَغرب عربي مُنكَبٌّ على حاله" لا بيهش ولا بينش "، مُنشغلٍ بمُحارَبةِ الإرهاب الذى أغرقَهُ فيه الثَّالوثُ العدائي الأزلي ضد المسلمين والعرب (الصهيونية الصليبية الماسونية)، وقد نجَحَ الأمريكيون فى إثارة شُكُوكِ الدُّول المُصنَّفة بخانة **المُعتدلة** عن طريقِ التَّرْويجِ زيفاً بأنّ هُناك مشروعٌ (فارسيٌّ) للسيطرة علَى المنطقة، وحاولوا دمْج إسرائيل فى المُثلث المُعتدل لمواجهةِ ما يُشاعُ بأنّه الخَطَرُ الشِّيعيِّ الصّفَويِّ، وأنّها _أىْ _أمريكا تُريد الإنتصارَ لأهْلِ السُّنَّة " الحلوين " على الشِّيعة الكَفَرَة.

ومن هُنا فقد بات الإسلامُ وهُم يرَوْنَه فى الغرْبِ كُله خطراً داهما يُطِلُّ عليهم برأسه، ويُشرفُ بعينَيْه علَى نظامِ الّلا نظامِ الذى ابتدعُوه.

وقبْلَ أن يُلَمْلِمَ الإسلامُ أوضاعَه، ويجمَعَ شَتاتَه، وقبْلَ أن ينْهَضَ من كبوته، رأى أباطرةُ الإمبراطورية الجديدة **صَهْرَهُ وأتباعَهُ** فيما يُسمى بالنظام العالمى الجديد، وجعلُوا لأجْلِ ذلك وَصفةً سحريّةً أسمُوها (العولمة)، وهى دَعوةٌ باطلَةٌ ومَا أُريدَ بها غيرُ الباطلِ، وهى فكرة زائفة ومُغرضةٌ، قُصد بها حسب الهدَف المُعلن تقريبُ الثّقافات بين الشُّعوب ــ أىْ ــ إقامةُ ما يُسمّى بجُسُور التّقارُب بين الحضاراتِ المُتباينَة عن طريقِ ما يُقال له حوارُ الأديانِ. أو حوار الحضارات.

أمّا المعنَى الحقيقيُّ فَقد أسْهَبْنا القولَ فيه، وبيْتُ القصيدِ المنشُود لا يُترْجِم غيرَ استشعارهم لخَطَرِ الكَرَامة والإباء والشُّموخ، والعزّة الإسلامية؛ التى كانت وما تزالُ دائما يرَوْنَهَا مكْمَن الخَطَرِ وكُلّ الأخطار.

لهذا باتَ السياسيُّون وصانعُوا القَرارِ فى البيتِ الأبيضِ، يعملُون لإيجادِ صياغةٍ خاصّة، من نوْعٍ خاصٍّ ومُتميِّزٍ، للتّعامُلِ مَعَ الذِّئْبِ الّلئيم " **الدِّين الإسلاميِّ** " الذى يظُنُّونَهُ قد تهَيّأُ للإنقضاضِ علَى الحَمَلِ الوديع " الحضارة الغربية والأمريكية "، فأصبحوا علَى إقرارِ سياسةٍ جديدةٍ لدفْعِ الأخطارِ المُحتمَلَةِ قبلَ وقُوعها، بِغَضٍّ الطّرف عن الأخطارِ القائمةِ فعْلا هنا أو هُناك .

لهذا رَفَعَ وحيدُ قرنه شعاراً جديداً علَى رأسِ النّظام العالَمِي الجديــد، (**اقتُلُــوهم قبلَ أن يقتُلُونا**) وهذه هى فَلْسفةُ ما تُعرف الآن بالحَرْبِ الوقائية المُوجّهــة صــراحةً ضدّ الأُمة المُحمّدية أو هى {{ الحَرب الاستباقية }}، وهذا هو التطبيق العملِى لنظريةِ **العدل الأمريكى** الجديد فى النظام العالمي الجديد.

وبدأ وحيدُ القرنِ حربَهُ الإستباقيةَ علَى المُسلمين دُون سواهُم، لإنّهم كمـا تقــولُ الإدارةُ اليمينيةُ المُتصهينةُ الأمريكيةُ هُم الخطرُ الأكيدُ علَى الحــضاراتِ الإنــسانية، فراحَت تعملُ علَى تخليصِ البشَريّةِ من صُداعِ مُــزمنٍ اســمُهُ الخطَــر الإســلامى، فاستجْمَعَت قُواها، وجمَعت عدتَها، وتهيّأت فقَفَزَت إلى الشّرق الإسلامى قفْــزَةً هائلــة نَزَلَت بها فى كابول فأحرقَتْها، وأبادَت شعْبا مُسلماً عزيزاً له فى تاريخنــا الإســلاميِّ حكاياتٍ وبُطولات، فلمّا التَزَمَ المُسلمُون الصّمت إعمالاً لمَقولة التُّراث (**إن جالك الْهَمُّ طوفان ...**) تجرّأ الأمريكيون، وقفزُوا قفزتَهم الثّانية علَى دُرّة الشّرق، الأمُّ الشرْعيةُ للعواصمِ الإسلامية والعربية فى زوايا العالم الأربــع، (حاضــرةُ العبّاســيين، قبلَــةُ الطُّلاب والعلماءِ أطوار من السِّنين) .... بغداد .... فأحْرَقَتْها، ولا تــزال تُبيــدُ شعبَ العراقِ العربيِّ المُسلم فى واحدةٍ من أبشعِ المجازرِ الإنسانية، وتأتى هذه بحــقٍّ كبُرهانٍ عَمَلِيٍّ يُدلِّلُ علَى التّطبيقِ الأمينِ، والتّنفيذِ الجيِّدِ لمفهوم العدْلِ الجديدِ فى النظامِ العالمي الجديد.

لقد انزلَق النِّظام الأمريكيُّ شيئا فَشيئاً إلى ظُلم جَهير، وجَبَرُوتٍ مُعلَنٍ، وطُغْيَــانٍ مُدمِّرٍ ضد الشعُوب العربية والإسلامية علَى تُهَمٍ ظنّية، وشُــكُوكٍ وهْميّــة، إرضــاءً لإسرائيلَ والتّنظيمَاتِ اليهُودية، وتَطْييباً لخاطرِ اللُّوبى الصّهيونيِّ الذى يُبقى ويَذَر فــى الانتخاباتِ الرِّئاسيّة الأمريكية ذاتها، ولضمانِ الاستيلاءِ علَى مَنابع البترول العربــيِّ، وشَفْط مخزون الثّروات الطبيعية من باطنِ الأرض خاصّةً المعــادن النــادرَة ، ثُــمّ لضمانِ حُرِّيَةِ الملاحة الدّولية التى تخدمُ مصالحَهُم، وتُحقِّق أطماعَهم الإستعمارية فى المنطقةِ العربيةِ والعالمِ، وعلَى وجْه الخُصوصِ تلك الممرّاتُ الإستراتيجية الواقعة فى القلبِ النابضِ (**الشرق الأوسط**) وهى بحقٍّ عُنق زُجاجــة التِّجــارَة الدّوليّــةِ عبْــرَ العُصور.

(٢٩٠)

وإذا كانت هُناك بالفعلِ حُروبُ إبادةٍ تُمـــارَسُ ضـــدّ المُـــسلمين فـــى **فلـــسطين وأفغانستان والعراق** فإنّ هناك ثلاثُ دُوَلٍ إسلامية أُخرَى فى مرْمى عوابرِ القـــارّاتِ الأمريكية، واليدُ الأمريكيّةُ عَلَى زنادِ الأسلحَةِ المُصوّبةِ تجاهَ **{ دمشق ، والريـــاض ، وطهران }**، بينما هناك ثلاثُ عواصمِ أُخرى يتمُّ التّحضيرُ لإحراقِها مِن الداخلِ بنـــارِ الإرهابِ والتّنصيرِ، والحرْبِ الأهلية، والفِتنة، والإنقسام وهى**{صـــنعاء ، الخرطـــوم ، الجزائر}**، كما أنّ هناك ثلاثُ دُول أُخرى قد وقّعــت سلْماً من غَيْــرِ حَــرْبٍ وهـــى **(قطر، الكويت، وطرابلس الغرب)**، وعواصم عربـــــية أُخـــرى تحْتَـــضرُ ، وفـــى مُقَدّمَتها **{الصُّومالُ}** المُمزّق إلى ثلاثِ دُولٍ، وثلاثُ عواصم أخرى يتم التّعامل مَعَهـــا طبقا لمُقتضياتِ المرْحَلَةِ وهى **(الرباط ، تونس ، نواكشوط)**، وقد سَمَحَت هذه كلهـــا بنُزُولِ القُوّاتِ الأمريكيةِ والتّواجدِ الدّائمِ على أراضـــيها تحْـــتَ دعـــاوَى المُنـــاوراتِ المُشترَكَةِ، واتفاقياتِ الصّداقة، والدفاعِ المُشترك، ومكافحة الإرهاب.

فقد أشارَ مسئولونَ فى وزارَةِ الدفاع الأمريكية (البنتاجون) فى صيف٢٠٠٣ إلى أن الوزارة تُكثِّف جُهُودَها فى الوقتِ الراهن من أجْلِ إقامةِ قواعدَ عسكريةٍ فى العديدِ من الدُّول مثْل المغْربِ ومالى، خاصة بعد ما أُعْلِن فى أمريكا عن الكَشْفِ عن بعض الأدلّةِ التى تؤكّدُ أنّ منطقة شَمالِ إفريقيا باتَت مأوى لِعدَدٍ من أفرادِ تنظـــيم القاعـــدةِ، وبعض المنظمات الإرهابية الأخرى.

وهذه هى الضالّة المنشُودة، التى وَجَدَها **جُحَا** فى الشّمال والغرْب الإفريقى؛ وما عليه إلاّ ينزل هُناك بمدرّعاته وجُنودِهِ وخُبرائِهِ لِلتّفتيشِ عن المسمار، **وياله** من مسمَار **جُحا** الذى حيّر العالم.

وببساطةٍ شديدَةٍ عَرَضَت المملكَةُ المغربيةُ مُؤخّراً على الولاياتِ المتحدةِ أن تُوفِّر لَهَا قواعدَ عسكريةٍ على أراضيها.

هذا إلى جانبِ التواجد الفِعلِي لِلقواتِ الأمريكية على الأراضى التونسية والتى يتمُّ تدريبُها هناك بصفةٍ رُوتينيةٍ .

وقال الجنرال جيمس جونز، قائد القوات الأمريكية وقوات حلف شمال الأطلـــسى فى أُورُوبّا أنّ البـــنتاجُون يُحاولُ جادّاً الحُصولَ علَى تصرْيحٍ لِلسّماحِ بدخُولِ القواتِ

الأمريكية فى دُول أُخرى مثل الكاميرون ومُوريتانيا (١).

كما تُوجد ثلاثُ عواصم لا تُمثِّلُ إزعاجاً، ولا تُشكل أخطاراً من أى حجْم وجميعُها تحْتَ السّيطَرضة "" **مسقط، عمّان، دُبَى** ""، أما **[القاهرةُ، وأنقرة]** فإنّهما فى خانةِ العواصمِ المُحيِّرة، وهُما حتى الآن خارجِ السّيطرةِ، علَى الرّغم ممّا أبدى الأتراكُ من مظاهرَ تُؤكدُ علَى حُسن نيّتِهم ومَدَى انسجامهم مع العَوْلَمَةِ والعلْمانيةِ والماسونية إلى حَدِّ إسقاطِ عقوبة الزّنى من القانون الوضْعي التركى ، وإصدار ترخيصاتٍ للعاهراتِ ، وإلغاء العَمَل بكُلِّ أحكامِ الشّريعةِ الإسلامية، ولم يُرضِ الأورُوبيين ما كان من الأتراكِ من أشكالِ الإندماجِ الكَبيرِ، والإنسجامِ العظيمِ فى منظومةِ ***نظام اللانظام***، الذى لم ينتهِ عند السّماحِ للأمريكيين بإستخدام الأراضى والسماءِ التُّركيةِ لضربِ العراق فحَسْب، بل تطوّر إلى حدِّ دُخُول القوات التُّركية إلى الشّمال العراقيِّ لاحتلالِ بعْضه تحْتَ رِعايةِ الأمريكيين وبإذْنٍ منهُم، ولتأمين المنطقة الكُردية الغنيّة بالبترول نظَراً لانشغال الأمريكيين بدخُول بغداد، وقد تَذَرّعَ الأتراكُ بأن بعض الإقليم الشّماليِّ العراقى هو أراضٍ تُركية مَنَحها الإنجليزُ إلى العراقِ بمُوجب قراراتِ التقسيم إياه (تقسيم التّركة العُثمانية).

لذلك فإنّهمَا مُرجَئَتَان لنهاية المَطاف، عَدَا بيروت فإنّ لها تكَييفاً خاصّا ووضْعاً مُتفرِّدا لارتباطها الأيديولوجيِّ والإستراتيجيِّ الشّديد بدمشق من جانبٍ، وفرنسا من جانبٍ آخر؛ وهذا يقتضى نَوعاً خاصّا من المُعالجة الجراحية مثل تدبير حوادث الإغتيالاتِ، وإثارة نارِ الأحقاد القديمةِ، وتأجيجِ صراعِ القومياتِ والأحزابِ، وإختلاقِ الأسباب لإجْبارِ السُّوريين على الإنسحابِ من لبنان، وتصفْيةِ الوجُود الفلسطينى، وحَلِّ حزب الله المُوالى لإيران ....إلخ

ومِن هنا باتَ من المُتعيّن علينا جميعاً عَدَمَ التّسليمِ، ورفْضِ الوقُوف مكتوفِى الأيادِى، مُكتَفين بالمشاهَدَةِ، ومصْمَصَةَ الشِّفاه، والتَّحسُّر علَى ماهو كائن من غيرِ أن يرتفِع لنا صَوتٌ، أو تصدُر عنّا حركةٌ، وكأنّنا نرصُد ظاهرةً تحدثُ فوقَ المرّيخِ.

---

(١) عن واشنطن بوست ، ولوس انجلوس فى ٢٠٠٤/٤/٢٧

وإذا كنا نحْن معاشرَ المُسلمين قد فقدْنا الوحدة، وافتقرْنا إلــى شُــعورِ الأُســرةِ الواحدة، فإنّنا حتى الآن لم نفقدْ نعْمَةَ النُّطقِ، فلسَانُنا طويلٌ، وأيدينا على بعضنا أطْوَلُ، واسألُوا المُجتمعين فى مُؤتمرات القمّة العربية، وليتيقّن أربابُ الــصّمت الرّهيــب أنّ الدّائرة ما سُمِّيت كذلك إلاّ لأنّها تدورُ من غير إنقطاعٍ، وفى أى اتّجاه، وقد بَدَأَت مُنــذ حين فى الدّوران، وليتأكّدوا أنّ التُّروسَ سَريعةٌ وحادّةٌ، وأنّه لا رَيْبَ ستَدُورُ عليهم فى وقْتٍ لا رَيْبَ آت، وما أظنُّه بعيداً، فللأخطبوط أذرُع طويلة، وكثيرة، ومفتولة، لَطَــم العراقَ بإحداها، وراحَ يغترف الثّرَوات بأخْرى، وطالَت واحدةٌ الجماهيريــةَ الليبيــةَ، واستدارَ للإلتفافِ حولَ إيران، وأُخْرى تهلك الحرثَ والنّسل، وتدكُّ البيوتَ، وتقــصف بالصواريخ الأطفالَ الأبرياء فتحصد أرواحَهم وهُم يلعَبون علــى شــاطئ غــزة، أو يدرسون فى مدرسة بحر البقر، وفى سرت وطــرابلس الغــرب، وأخــرى كَــوَّرَتْ فلسطين فى أقدام الإسرائيليين ، ثم اتجهت إلى تهديد السُّوريين إلى درجــة التّحليــقِ بطائرات حربيةٍ إسرائيلية فى سماء دمشقَ فوقَ أحدِ القُصُور الرئاسية أثنــاء تواجُــد الرئيس بشّارِ الأسَد بداخله عند مقابلته لــرئيس الــوزراء اللبنــانى الأربعــاء ٦/٢٨ /٢٠٠٦، والتزم الجميعَ صَمت القُبُور، ناهيكَ عــن تكــريس الإحــتلال الإســرائيلى لهضبــة الجُولان وبعضِ الجنُوب اللبنانى المُحتــل، وذراعٌ أخــرى طالــت القــرنَ الإفريقى تزرَع العُملاءَ، والجواسيسَ، والمخرِّبينَ عند المدخلِ الجنوبيِّ للبَحْرِ الأحْمَــرِ لخلق بُؤرةِ توتُّرٍ جديدةٍ وساخنَة، ولزعْزَعة نظام على عبدالله صالح رغْــم إخلاصــه الشديد للأمريكيين، حتى ينكَبّ على مُحاربة الإسلاميين أتبــاع الحُــوثى والحــارثى والزّيدية، وليحترقَ اليمنُ بنار الحرْب الأهلية، ولتأتى أمريكا بمُوجب دعْــوَةٍ رســميةٍ من الرئيس اليمنى لحفظ الأمنِ فى البلادِ وتمكينه من مقعده كما فَعَــلَ الــشّيخ جــابر الأحمد الصبّاح أمير الكويت، ويصيرُ بالتّالى التواجُدُ العسكريُّ الأمريكيُّ العلَني عنــد باب المندب مَحميّا بغطاء الشّرعية، وحتى ينتهى وينتفى الحقُّ العربى فيه وإلى غيــر رجْعَة، وأُخرى تخصّصت فى نسيج وغزل خُيوط الأزماتِ الإقتصادية الطاحنة فــى مصر وحياكَتها بغرض تجويع شعبها وتركيعه، ***– ونحن لن نــسجد أو نركــع إلاّ لله جَلّ عُلاه***، وهى كذلك تحاول إثارةَ المتاعب للمصريين عنــد بوّابــة أمــن مــصرهم الوطنى الجنوبيِّ عن طريق إثارةِ الإضطرَابات، وخَلْخلَة الأمْنِ، وزَعْزَعَة الاستقْرَار،

وإذكاءِ رُوح الانفصالية فى الجنوب، والغرْبِ، والشرق السُّودانى، الذى أمسى مُهــدّدا بغَدٍ مَحفُوفٍ بمخاطرِ التّقسيم.

ثُمّ اجتمعت هذه الأذرُعُ كلُّها تنقلُ الأســلحةَ الذّرّيّــةَ والكيماويّــةَ والبيولُوجيــةَ وتكدّسُها فى إسرائيلَ لإجبار العَرَب علَى ابتلاعِ ألسنتِهم، ولضمان تفوُّق نوْعيٍّ وكمّيٍّ على أسلحَةِ كُلِّ العرب مُجتمعين، وكذلك لاستخدامها عند الإقتــضاء خاصّــة إذا مــا تجرّأ العربُ فُرادَى أومجتمعين للوُقُوف أمام المشْرُوع الإمبراطورى الأمريكى علَــى نحوِ ما ذكَرنا سابقا، كما وَقَفَت أذرُعُ الأخطبوطِ حائطَ صدٍّ يحُولُ دُون امتلاك العَرَبِ أو أى جِنْسٍ مُسلم لهذه الأسلحة عَدَا الباكستان المُكلفــة مــن غيــر تكْليــفٍ بمهــامٍ استراتيجية سنُبيِّنُها فى إصدارنا القادم **(الحج إلى البيت الأبيض)** أعاننا اللهُ علَى إخراجه. آمين .

إنّها يدُ الطّاغية التى تصُوغُ ملامحَ النِّظام الدّولى الجديد، الذى من أجله صــنعَت قيادات تحويليّةٍ تعمَلُ من غيرِ مَلَلٍ علَى تَحويلِ مُعتقداتِ المُــواطنِ وإعــادَةِ تــشكيلِ مورُوثِه الثّقافيِّ والعقائديِّ ، وتطويرِ احتياجاته لمواجَهة التّغْيير الحتْميِّ باتِّجاه التعاوُن فى الابتكارِ الثّقافيِّ والتجديدِ الاجتماعيِّ الشُّموليِّ المنظُور، بقصد تحقيــق الاســتجابة الايجابيّة الاجتماعية الديمقراطية للعولَمة، وهو ما يستدعى إقامةَ أو إيجاد حُكُومــاتٍ نشطة علَى كُلِّ المُستوياتِ الكوكبية، والوطنية، والمحليّــة، لــضمان تنفيــذ تكليفــاتٍ وبرامجَ وسياساتٍ تَرْمى إلى تحويلِ القِيَمِ، والمُعتقداتِ، والعاداتِ، والتّقَاليدِ، وصَــهْرِها مُجتمعةً فى ملكُوتِ العوْلمة.

ولَعَمْرِى إذا ما استكانَ أحرارُ اليوم إلى وَهْمِ السّلام، وهرولُوا إلى هُناك حيثُ الإيداعات، والحسْناوات، والسّهرات، والضّمانات، وهُمْ ينشُدُون ضالّتهم فِيما وراء البحارِ، فإنّهم حتماً سيكونُون عبيدُ الغدِ.

ب – إمسك إسلامي:

خلال نهاية عام ١٩٩٤م. شهدَت بريطانيا نُشوءَ حركةٍ احتجاجيّةٍ كُبْرَى جَـذَبَت إليها الكثيرينَ من مُختلفِ الأوساط، وحفّزتْهُم بشدّةٍ علَى المُشاركةِ الفعّالةِ فيها، وكَسْرِ حالةِ السّلبيّةِ الإجتماعيّةِ السائدةِ في حالةِ المُجتمع البريطاني آنذاك، علَى الـرّغم مـن أنّها لا تشتغلُ بالعملِ الإجتماعي الإنساني، لأنّه فيما يبدُو قد انتهَوا هُناك من مُعالجَـةِ قَضَايا الإنسانيّةِ وتخلّصوا من مُشكلاتها، حتى بَدَت الأمورُ وكأنّـه لا مُـشكلات فـي المُجتمع البريطاني برُمّتِه.

وأخذَت وسائلُ الإعلامِ الحكُوميّةِ والخاصّة تتحـدّثُ عـن أهـدافِ ونـشاطَاتِ وإنجازاتِ الجمْعيةِ المذكُورة، وقابليّتِها لإجتذابِ الجماهيرِ، وإمكانياتهـا فـي جعْلِهـم ينخرطُون في صفُوفها، وقُدرتها على تحْفيزِ مشاعرِ البريطانيين تحفيزاً للهِمَم.

أمّا نشاطُ هذه الجمعيةِ فهو الإحتجاجُ علَى نقلِ المواشي والعُجُولِ الإنجليزيّةِ إلـى أورُوبّا في ظُروفٍ مُتعبَةٍ للحيوانات، مُهينةٍ لمشاعرِها، مُهدرَةٍ لكرامتها ولحُقُوقها، هذا غير فَضْحِ القائمين على هذه العَمَليّةِ من الجهات الناقلَةِ للحيواناتِ سواءٌ كانت حُكُومية أو أهْليةٍ علَى السواء، لأنّ هؤلاء القائمينَ يضَعُون الحيواناتِ في أقفاصٍ طوالَ عمليّةِ النّقلِ، مع عَدَمِ توقُّفِ العربّاتِ النّاقلةِ لهم لفترةٍ للرّاحة، كذلك شمَلَ الإحتجـاجُ سُـوءَ مُعاملَةِ الخَنَازيرِ والطُّيورِ.

وهكذا ظهَرت في بريطانيا العُظْمَى حركةُ إصلاحٍ إجتماعيةٍ كُبرَى تعمَـلُ علَـى إنهاءِ حبس المواشي، وتحْطيمِ الأقفاص، كما طالبَت بإضاءةِ عنابرِ المواشي، ومنْحِهـا قسطاً كافياً من الرّاحةِ خلال السّفَرِ إلى المذابح.

أمّا فى عالمنا الإسلامي وهو بلاد القُرآن والسُّنّة، والعِلْمِ والحـضارَة، والنُّـور والمعْرفة، فإن حالَه يبدُو مغايرٌ تماماً لما عليه حالُ الحيوانِ في بلادِ الزّندقة والكُفرِ، وبات المسلمُ أقلّ رُتْبَةٍ في بلاده من تصنيفِ القِرَدَةِ والخنازيرِ في بلادها.

فالحاصلُ: إلقاءُ الناسِ في المُعتقلاتِ لمُجرّد الشُّبهة، وفي سُجُون ضـيّقة يُعـذّب الناسُ فيها حتى الموت أحياناً، وفيها كذلك تُهدرُ الكراماتُ الإنـسانيّةُ برمّتهـا حتـى أصبَحَت السُّجون بُؤراً صريحة للفساد، خاصّة بعد أن انتشر فيها مـا يُـسمّى " زواجُ المثلِ ".

وليت السّجين المُسلم يعامَل في بلاده كمثل ما تُعامَل الخنـــازيرُ والعُجُــولُ فـــي بلادها،وكفى بما تَسَرّبَ حَديثا من المَغْرِب العَرَبيِّ وَمن السُّعوديّة من أَهْوَالٍ وَفَضَائح.

بل إنّ الشيءَ العُجابُ أن تُصاغَ في عالمنا الإسلاميِّ بــشكلٍ مُتجــدِّد ومُــستمرٍّ القوانينَ التي تُضيِّق علَى النّاس حُرِّيّتهم، وأرزاقَهم، وتُفسدَ علــيهم حيــاتَهم، وتُــدمِّر فُرصَ استخدام مرافقهم، وقد تَجاوزَ ترزيُّوا التّشريعات والقوانين كُلّ الحُدود، بَعــد أن باتَت الدّعوةُ الإسلامية فى رأيهم جريمةً مُخلّةً بالشّرف والعرْض، وأضْــحَت وهـــى الأشدُّ خَطَراً علَى تهديدِ الأمنِ الدّاخلي والقومي فى مُجملَه، بعد أن بلَغُوا اليَقينَ من أنّ شُرورَ الأصُوليّةِ الإسلاميةِ هى بحقٍّ الخَطَرُ الدّاهمُ الذى تتدانَى معَه وتتقلّص مَخَــاطرُ العرْبدةِ الإسرائيليةِ فى المنطقة بحسبِ ظنِّهم، وهذا هو الموقف الذى تبنّتــه المَملَكـــةُ السعودية وآخرون ، قَبل وأثناء الإجتماع الطارئ لوزراء خارجيـــة الـــدول العربيـــة المُنعقد فى القاهرة، والذى قاطعتْهُ عددٌ غير قليلٍ من الدول العربيةِ من غيـــر ماكـــان يُعرف بدُوَلِ الطُّوق (دُول المُواجَهَة) فى الصِّراع العربيِّ الإسرائيليِّ، ولأنّنا لا نُجيدُ إدارةَ الأزمَات، ولا نُحْسنُ التّصرُّفَ فى غيرِ الاختلافات، فقد حَدَثَ انقسامٌ حــادٌ فـــى مواقف " الوُزراءِ العرب"" المُجتمعين فى القاهرة السبت ١٥ / ٧ / ٢٠٠٦ لمناقــشة الأوضاعِ المُتردِّيَة علَى السّاحَتَين الفلسطينيةِ واللبنانية، ولأجلِ الإتفاقِ علَـــى موقـــفٍ عربىٍّ مُوحّد فى مُواجهَة ما يَراهُ بعضُ العربِ الصّديق الإسرائيلى المُحتمـــل، بينمـــا يراهُ آخرون العدوَّ اللّدُود، وذلك فى تُطابقٍ تام علَى مـــا جـــرت عليـــه العـــادةُ فـــى اجتماعاتنا عند الشّدائد، ووقَعَ تباينٌ خطيرٌ فى رُؤاهم جميعاً، خاصّـــة مـــع الموقـــفِ السُّعوديِّ الرّسميِّ القائل بإدانةِ حزبِ الله لأنّه حَسْبَ وجهة نَظَرِ **آل سُعود** هُـــو الـــذى أثارَ العُنف وعن قَصْد وَسَبْقِ إصْرارٍ مع الإسرائيليين وجرّ وبالّهُم، وهُو بهذا الموقف يكون قد أشعل الجَبهةَ الُّلبنانيةَ الإسرائيليةَ إلى الحَدِّ الذى فرضَت به إسرائيلُ حـــصَاراً بحْريّاً، وبريّاً، وجويّاً، شاملاً على كُل الأراضى اللبنانية، بل وَتَمَادَى إلى حَدِّ اختـــراقِ المجال الجويِّ السُّوريِّ، والتحْليق فوق القصر الرئاسى المُتواجد فيـــه بـــشّار الأســـد بطائرات{ f 16 } ثُم التبجُّح بالتّلويحِ بدُخُول سُوريا وتغْييرِ نظامهـــا بـــالقُوّة وجَعْـــلِ المنطقةَ كلّها عَلَى شَفَا حربٍ شاملة، وطبقا للرُّؤية الـــسعودية المحـــدُودة فمـــا كـــان للإسرائيليين أن يفعلُوا ما يفعلونَه إلاّ بِسبب دخُول حزبِ الله فى مُغامرَةٍ غير مَحْسُوبَةٍ

ودَعى البيانُ السعوديُّ إلى ضرورة تحمُّل هذه العناصر (فــى إشــارة لحــزب الله) المسئوليّةَ الكاملَةَ عن الأزْمة وعبء إنهائها، وكأنّ لسانَ حالهم يقولُ مَن الــذى أثــارَ التّنِّينَ، ويَرَى أصحابُ هذا التوجُّه أنّ القضاءَ علَى الأُصــولية الإســلامية، وتغْيِيــبِ المُتشدِّدين عن السّاحَة، وإلقاءِ السلاح، والتّسليمِ للمطالب الإسرائيلية وأوّلُهــا وضــعُ الرُّؤوسِ فى الرِّمال، أنّها الجُدرانُ التى بها تتلاشى رياحُ التّغيير العاتِيَة التــى تهُــبُّ على المنطقة مع الإستعدادات الأمريكيّة الجادّة التى تُشير إلــى قُــرب إعــلان قيــام إمبراطورية الشر (الإمبراطورية الأمريكية) فى منطقة الشرق الأوسط.

وانطلاقاً من هذا المنطق المعكُوس باتت الدّعوة الإسلامية تستدعِي مَنعَ صاحبها " الدّاعية الإسلامي " من مُغادرَة بِلادِه، وسحبَ جواز ســفرِه، أو إلغائــه، ذلــك لأنّ الدّعوةَ الإسلامية تبدو الآن فى أعيُنِهم خَطراً داهماً يُطلُّ برأسه علَى العــالَم، الأمْــرُ الذي يقــضي بضــرورة التّعاونِ لإنقاذِ الأصدقاء من بــراثنِ وشُرورِ هؤلاء الدُّعاة، بِمنعِهم من السّفر باعتبارِهم يُمارسُون جريمةً بشِعةً حظُّها الرّفضُ التّام من المُجتمــع الدولي، تلك هى " ممارسة الدّعوة الاسلامية ".

والأشدُّ غرابةً أنّ المُهَرِّبين، والمُرتَشِين، والمُخْتَلِــسين، والنّــصّابين، وســارِقِي البُنوك، والمُستَوْلينَ علَى حُقوقِ العباد، وأباطرةِ غسيلِ الأموال، وجهابذَة المُخــدّرات، والمطلُوبين لِتنفيذِ أحكامٍ قضائيةٍ بالجُملة، والجواسيس، وعَشَرَات القَــساوِسَة، وغيــر القساوِسَة، والمئات من إرساليات التّبشير يفدُون إلى بلادنا الإسلاميّة، ويتردّدون علَى موانِئِنا البحرية، والجوية، والبرية، وهم قادمون لمُمارسة الدّعوة للتنــصيرِ والتّبــشير بالديانة المسيحيّة في بلادنا الاسلامية، وهم لأجلِها يعقدُون النّــدوات، ويُعلنــون فــي الصُّحفِ عنْها بلا مُسائلَةْ، ومن دُون أن يتجرّأ أحدٌ للسُّؤال عمّــا يجــرِي ؟ ومتــى ؟ وكيف ؟.

وتلك هي الأندية الماسونية [الرُّوتاري – الليونز – براي بريــث – الأليــانس] وغيرها، وهي أندية صهيونية للنُّخَاع، أصبحت بلادنا تعُجُّ بها، بل ويَتَبَاهَى بهــا بنــو جِلْدَتنا وإخوةُ ديننا، ويتفاخَرُون بِشرفِ الانتسابِ إليهــا، ويُــسعدُهم الحُــصول علَــى عُضويَتها.

أمّا الداعيةُ الإسلاميّ قد تمّ منعُه من السّفر لأنّه باتَ خطراً أكيداً علَــى النِّظــام العالمي الجديد، ومن ثَمّ فإنه يُفسد الحوار – حوارُ الحضاراتِ – ويحُولُ دُون اتمــامِ اللِّقاءات – لقاء الديانات –، ومن ثَمّ فلا التقاءَ معه بغَيرِ الحديدِ والنّار، إلــى أن يــتم تأهيله ضمن البرنامج الطّمُوح المعروف باسم "" **إعــادة تأهيــل الــدعاة ""، أو هــو الخطاب الدينى الجديد.**

جـــ – المشْهَدُ التّاريخيُّ:

إنّ تاريخَ الشّرق الأوسط الجديد يُكتبُ الآن علَى الأعيُن، بخُطوط حمْراءَ من دَمِ الشُّهداء، ونحن مُكتفُونَ بالمُشاهَدَةِ ومصْمَصَةِ الشِّفاة، وأخشى مــا أخــشاهُ أن يَكتُــبَ العربُ والمسلمُون، وثيقةَ استعبادِهم ، فيقْضِي بهم صنيعُهُم إلى الرّحيل فى المجهُــول المُطلق.

والمشْهَدُ التّاريخِيُّ المعروفُ على مسْرحِ الأحداثِ الآن، يُبــرهن علَــى حقيقــةِ الكارثةِ التي تشجِّعُهم علَى نَيْلِ مآربِهم، فالكثيرُ من البلادِ الإسلامية تتآكل من الدّاخل، وتنهارُ فى حُروبٍ طائفيّةٍ وقَبَلِيّة، تَكَاد وحدتُها أن تَتَمزّق ، تُوشك معالمُها أن تَتَــوارى وتَزُول كما زالَ الصُّومال التّاريخِيُّ سابقاً، والمُوسادُ تُبارك كُلَّ هذا، وتعيــثُ فــساداً وتخْريباً، بإثارةِ الفِتَنِ، وزرْعِ العُملاء، وإرسالِ العُيونِ للتّجسُّس حتّى أنّ مصر وحدها تمكنت من إلقاء القبض على (٢٧) شبكة تجسُّسٍ إسرائيلية فى أقلّ من {٢٠}عشرين عاماً، كان آخرها ما أُعلن فى ٢٠٠٧/٤/١٥ عن القبضِ على مُهندس مصريٍّ يعمــلُ فى هيئة الطّاقة الذّريةِ بمصر وشريك إيرلندى وآخر يابانى (هاربــان) كمــا تُقَــدِّمُ المُوسادُ الرّشا للعناصرِ الإجرامية، وتشْترِى ما فَسَد من الذِّممِ العربيةِ ليكُونوا وُكَــلاءَ لها في نشْرِ الثّقافات الهابطة، كما أنّها تُشكِّل العصاباتِ النّشطة في تجارة الهيــروين والكوكايين، وسرقَة الأعضاءِ البشريّة بما لها من حساسية خاصة، وتُعلن في الخَفَــاءِ علَى الجميعِ حرْباً هى الأشدُّ من حربِ الأفيُون، ونفسُ الشّيء في دوّامَــةِ الإرهــابِ التي ألصقُوها بالأُصُولية الإسلامية، وهي البطَاقَةُ التي سادتها أيادي عاطلةٌ وجاهلــةٌ من أسماءَ عربيةٍ مُريبَة، وأعمُوا عيونَهم بالدُّولارات المنثُــورة، وجنّــدوا العُمَــلاءَ، وحرّكوا عملياتهم التّخريبية لضربِ السياحَة، وإعاقةِ الإستثمار، ليُــصَاب الإقتــصاد المصريُّ خاصّة والنِّظام العربيّ والإسلاميّ بجُملَتِه بلينِ العظام وتقَوُّسِ السّاقَين ليقعُدَ

عن الحراك مُصابا بالكُساح، كما فَعَلُوا بالإقصاد اللبناني، وهذه وتلك بُروفـات حَيّـة وتجارب عملية، لأجل تعميمها وتطبيقها عمليّا علَى الاقتصاد الشّرق أوسطَي كلّه ُ قبل وأثناءَ إعداد وتجْهيز الشّرق الأوْسَط الجَديد، وهو النِّظام الذي تُخطِّـط لــه إسـرائيلُ لشفط اقتصاديّات المنطقة كُلِّها والذي سيبدأُ بتوقيــع اتفاقيـات اقتـصادية وتـشاركيّة إسرائيلية عربية شئنا أمْ لَم نشأ، وتلك نُواة تشكيل الشّرق الأوسط الجديد ولبنَةُ أساســه الذى دعى إليه شيمون بيريس علَى صفحات كتابه " الشّرق الأوسط الجديد "، ثم أطْلَقَ عليه بُوش الثّانى الشّرق الأوسط الكبير(١).، وهذا هو المشْهَدُ التاريخيُّ الــذي أمكنَنَــا رُؤيته فوقَ قمّة الجليد المتحرّكة في بلادنا، ونحنُ في بحْرٍ لُجِّيٍّ مُتلاطمــة أمواجُــه، فما بالنا بما خفى في باطن المُحيط عندما يعُم الدِّفءُ.

وعلَى الرّغم من هذا المشهد التّاريخي الدِّراميِّ فإنّ الدّاعين إلى صــهْر العــالمِ الإسلاميِّ في بوْتقة العوْلمة، لم يشاءُوا أن يفيقوا من غَيْبُــوبتهم، وأن يتوقّفــوا عــن مُحاولاتهم الجادّة لنَيل مآربهم وتحْقيق بغْيَتهم، وقد وضعُوا منهجَهم اللّئيم مُــستخْدمين طُرُقاً شتّى وأدواتٍ مُتنوعةٍ من أشهرها:

*** إفسادُ نُظُم التّعْيلم :**

والتّعليمُ في عالمنا الإسلاميِّ والعربيِّ خاصّة هو الكارثةُ التي تداعَت عليها كُــلُّ الكوارثُ، وتراكَمَت بركُوده المُشكلاتُ،وتفاقمت المعضلاتُ، فالتعليمُ غيــر الهــادف بصُورَته وأسلُوبه الحاليَّيْن؛ كان السّببُ المباشرُ في خلْق أجْيالٍ من الشباب لا تــدْرى بأي لسان تتكلّم، وهي أجيالٌ لا تعرف اللُّغةَ العربيةَ (لُغَتُهــا الرّســمية) قواعــدَ، أوْ نُطقاً، أو جوارا لُغَوياً، وهى كذلك لا تُتقن غيرَها، الأمرُ الذي أدّى إلى تعذُّر الــتّمكُّن من التعريف بالنّفْس، وفرْض المطالب، وترْجمة الطُّموحات، لأنّ الجَهــل بأبجــديات الإملاء، والعجز عن النُّطقِ السّليمِ صارَ فضيحةً ما بَعدهَا فــضيحة، والبيــانُ علَــى شاشات التّلفاز، وأمام ميكروفونات الإذاعة.

وسادت أنماطُ التّعليمِ الْعَلْمَاني، وتقهْقَرت العلومُ الإســلاميةُ، فتفاقَمــت الأزمــةُ، واشتدّ الخَطْبُ، وذاعَ البلاءُ، بعد أن توقّف تدرِيسُ العُلومِ الشّرعيةِ عند قُشور الأحكامِ

---

(١) التفاصيل كاملة على صفحات كتابنا القادم / الحج إلى البيت الأبيض

الفقْهِية، مع التّغييب العَمْدِ الصّريحِ لتوضيحِ العلاقةِ المَتينةِ بين الإسـلام والأخـلاق، وممارسة الديموقـراطيةِ وأدبِ الحوارِ،ونُظُم الحُكمِ والحُرِّية، وعلاقَة الإسلامِ بالمرأة، وتعامُله مع العقائديات المُتباينَة، والتقاءه مع الشّرائعِ السّماوية الأُخـرى، واحترامـه لأنبياء الله ورُسُله، وموْقف الإسلامِ من العُنصرية البغيضَة، ومبادئه السّمحة وروح التّسامح، والحِلْم، والعَفْو، وكمالِ الإسلامِ السِّياسيِّ، ومفْهُومِ الإقتصاد فـي الإسـلام، ورفْضِ الإسلام للثّورات والعُنفِ والتّخريبِ، وأكلِ أموالِ النّاسِ بالباطـل، وبالتّجميـد والمُصادرة.. إلخ .

إنها مأساةُ التّعليمِ الذي يعتمدُ علَى الحفظ من غيرِ فَهْمٍ، أو الفهمِ من غيرِ تطبيقٍ، ومن ثَمّ بات التّعليمُ أُسلوباً، ومضمُوناً، وأهدافاً في مَسيسِ الحاجـة لعمَليـة إصـلاحٍ كُبرَى تنتزعُ الفسادَ من جُذُوره.

*** تخْريبُ الإقتصاديّات الوَطَنيَّة:**

ونعني به إقتصاديات الدّولة الإسلامية لها في الفرد بشّكْلٍ أحاديٍّ، وفي مُجتمَعهـا الإقليميّ أوْ فى مُحيطها العالَميِّ.

والثّابتُ المجْزُومُ بحُدُوثه أنّ للدُّولِ الكُبْرَى يداً عُلْيَا وطويلةً فـي حُـدوث هـذا التّخلُّف وإحداث ذلك الخَلَل، كونها تُمثِّل الاستعمارَ بكُلِّ أشكاله وأدَوَاته وطُرُقه، ويأْتي تدْميرُ الإقتصاديات الإسلاميّة وتخريبها علَى رأسِ الأهداف المنشُودة لتَحْقيـق إقامـة منْظُومة ما يسمّى ***النظام العالمي الجديد***، ولِلتأكيدِ علَى كينُونة لُبِّ هذا النّظـام وذروة سَنَامه المُسمّاة بالعولَمة، والتي هي بعيْنها القَنَـوات الـشرْعية لعمليّـات الإحتكـار، والنّهْب، والسّلب، والفساد، والإستغلال، وإثارة الطّوائـف، وإذكـاء نـار الأقليّـات، والاعتماد علَى العُملاء والوُكَلاء، ونَشْرِ الدِّيكتَاتوريّات وهـي رأس الـبلاء، وسـبب النّكبات، وذلك لأنّها وحْدَهَا الرّاعي الرّسميّ، والحارس الحقيقي للجريمة، والتّخلُّـف، والفسَاد، والنّهْب، كما أنّها تبطشُ بشدّةٍ علَى كُلِّ يدٍ تنهَضُ للإصلاح، وتجتهـدُ لبنـاء إقتصاديات وطَنية قوامُها توظيفُ الموارد الطبيعيةِ والبشريةِ واستغلالها بشكْلٍ فـرْديٍّ دُون الاعتمادِ على الآخرين.

وتلك هي ذاتها الدُّول الكُبرى التي نَهَبَت ثرواتَنَا مُنذ أكثرَ من قرْنٍ، وأوقَعَت بينَنَا الخُصومةَ تبغيها حتى قدّمنا لها ثَرْواتنَا بمحْضِ إرادتنا سداداً لفواتيرِ حُروبِ الخلــيجِ الأُولى، والثّانية، والثّالثة، والرّابعة على الأبواب، وغيرهم، والبقية تأتى.

إنّهم أناسٌ يعملُون، ويفكّرون، ويُطوِّرُون، ويبتكرونَ. إنهم الآن يُحَصِّلُون رُســومَ حرب الخليجِ الرّابعة مُقدّما، ونحْنُ ندفَع لَهم عن رِضا وطيبِ خاطرٍ، مجّاناً، وبأمانــةٍ بالغة، وبانتظام مثاليٍّ، بإصرارنا علَى الشّقاق والقَطيعةِ والمُخاصمة، والإجماعِ علَــى شَقِّ الصّفِّ، وتفرُّق الكَلمة، والتّضْحيةِ بالأمانى العظام، بعدَ أن أصابَ الجميعَ العجــزُ عن لَمِّ الشّمل، ووحْدَة الصّفِ وَالْهَدَف.

إنّ هذا التكتُّل الغربيِّ المُخيف ضدّ شرقنا الإسلاميِّ، لا بُدّ له من تكتُّــلٍ مُــضادٍّ أكثر ترويعاً، وأشد إرهاباً، فلا شيءَ يرُدُّ هؤلاء الطُّغاة الطامعين سوى هــذه المَظَلّــة القرآنيــة **﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَــدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٠] .**

أمّا الرُّكونُ إلى الإستكَانة أمامَ هذا الإصرار القويِّ علَى إخــراجِ الإســلامِ مِــن دائرَتِه، ونزْعِ مخالبنا من أيدينا، فإنّه عارٌ علَى الجميعِ لأنّ الغربَ كُلُّهُ يعمــلُ جاهــداً لأجلِ هذا، لأنّهم يمقتُون الإسلامَ مقْتَ المَوْتِ ويخشونَهُ غايةَ الخشْية.

وجاءت مُحاولاتُ صهْرِ الأُمّة في بوْتَقة العوْلمَة ليكشفَ عَن أحدِ حلقات المُسلسلِ الأمريكي "" **حُلم السلام** "" أوْ بالأحْرَى أوهامُ السّلامِ الذى نُغَنِّى فيه أغانى طوال، وما هُو فى كُنهِه غير فكْرٍ مرْحليٍّ ، يحملُ أبعاداً استراتيجيةً وأُخرى تكتيكية، وليس هــو الغايةُ النّهائيّةُ المنشُودةُ التي انعقَدَت عليها آمالُ هؤلاء الزّنادقة، إنّما الغايــةُ تعطيــل مسيرةِ الإسلامِ، وإصابة أتباعه بالشّلل التّام علَى الرّغم ممّا هُم فيــه مــن التّــشرذُم المذْهَبي، والتعصُّب الممْقُوت، وتطلُّعات وطنيةٍ خاصّــةٍ مبعثهــا رغبــات شخــصية مزمُومة، لم تُثْمِر غير حزازاتٍ إقليمية، وصداماتٍ مُروِّعة، تبدّدت مَعَها طاقاتُ الأُمّة التي اشتغلَت بما يضُرُّ، وعملت فيمَا لا ينفَع، حتى باتت أعمالُها كالزّبد الرّابى الطافِى فوقَ السّيْلِ الجارى.

وتساقَطَت أسقُف أمانيهم، واندثَرَت في الثّرى طُمُوحاتُهم، وشغلتهُم الهيافَات عَــن عظيمِ الأُمنيات ، حتى صَارَ اللاّعبُ الذي يُحرِز هَدَفاً في مرْمَى الفريقِ المُنافس كَمَن

يصنعُ مجْداً عظيماً لبلاده أهَمُّ بكثير من إصلاح التعليم، وعلاج البطالَة، وتنمية عجلة الإنتاج، وصار احتسابُ الحَكَم لضربَة جزاءٍ تُمهِّد لإحراز هَدَف يُعَدُّ أعْظَم غايةٍ وأقدس مجْداً من دُخُول الجُيُوش العربية إلى بيت المقدس لتحرير المسجد الأقصى الأسير لدى الإسرائيليين، وهو أنبلُ غاية في تطْهيره من رجس الخنازير، ودَنَسهم، وهُم يُمارسون فيه طُقوسَهم الدِّينيّة الممْقُوتَة عياناً بَياناً، جَهَارا نَهَاراً، ويحفرُونَ من تحته الخنادق تمْهيداً لتصدُّعه ثم هدْمه، ونحن نشجُب، ونُدينُ، ونستنكرُ، ونرفُضُ، ونتوغّل، ونَستمر وننتشر.

إنّه النجاحُ أمامَ الفشل، والتقدُّم أمامَ التخلُّف، والمكْسب أمامَ الخُسارة.

هكذا صار الحالُ بين طَرَفَي المُعادلَة، إنّه نجاحُ الغـرْب في تشْكيل عُقُول ووجدان وثقافَة الشباب المُسلم الذي تبدّدَت طاقاتُهُ، ولم يبقَ منها شيءٌ نافع، وشَربَ الكأسَ بالغَرَام حُلواً، وأذْهَبَ بصرَهُ الوميضُ، ونسي نفْسَه فَبَاتَ عَلَى مشارف الضيَاع، فاختلّت بذلك القِيَمُ، وتبدّلَت المَعَايير، وتفشّت الأمراضُ الإجتماعيةُ، حتى أصبحت الحكايةُ كُلِّ الحكاية[عُيون بَهيّة]، وهي الحكايةُ التي سقَطَت بنا أسفلَ المَصْعد، فَسَقَطَ المصْعدُ علَى رُؤوسنا فتهشّمت، وَوَقَفْنَا هياكل بلا أدمغَة ، فامتَطَى الغربُ كواهلَنَا، وتفوّقَ عليْنَا بسبب الظُّلم الذي ظَلَمْناهُ لأنفُسنا، وما صاحَبَه من أمراضٍ نفسيّة، وفضائحَ أخلاقيّة أصابتنا بالعَتَه والعُتُلِّ، ثُمّ اكتَفَيْنَا بسماع **شهرزاد** وهي تحْكي **لشهريار** في مُسلسلها ألف ليلة وليلة، حتى يصْدُر عن الدِّيك الصِّياحَ، ويُدْركُ الجميعَ بِخَيْرِ الصبّاحُ، فيدخلُون إلى مَغَارَة **علي بابا** فيهنأون بنَومٍ عَميقٍ كأصحابِ الكَهْفِ في عَميقِ ثُبَات.

ثانياً: العَرَبُ في مهبِّ الرِّيح

فيما يستمرُّ المُسلسل الإستعماريُّ الجديدُ الــذي يلعَــب بُطولتَــه راعِــي البَقَــر الأمريكي بغَرَضِ ترْكِيعِ الشّرقِ واستعبادِه علَى نحوِ مَا بيّنّا، يُمكنُنا أن نــرى تــشابُها مُثيراً بين وضْعِ عالمنا العربي الآن، وما كان عليه قبــل انــدلاع الحــرب العالميــة الأولى، وما نتجَ عنها مِن هزيمة نكراء لتركُيا وألمانيا، والتي علَى إثرِهــا انهــارَت الخلافةُ الإسلاميةُ العُثمانيةُ، وعليها فقد دخلَت بعدَها قُوّاتُ الحُلفاءِ إلى قلْــبِ الخلافــة واحتلالها، ثُمّ اجتماع أورُوبّا علَى تقْسيمِ التّركة العُثمانية، عن طريقِ عــرْضِ الفــيلم الأورُوبيِّ الشّهير المُسمّى (مُؤتمر الصُّلح)، وتمثيليّة "" سايكس بيكو ""، ثُمّ "" سان – ريمون "" وما نتج عن هذا كُلِّه مِن وقُوعِ العالَم الإسلاميِّ علَى إطلاقِه فريسةً تــنهَشُ في جسدِه المريضِ أسنانُ المُستعْمِرِ الصّليبي الأورُوبِــيِّ، وتُمَزِّقُــهُ مخالبُــهُ، وذلــك بالمُقارنَة مع ما عليه العربُ الآنَ في المُحيطِ الدّولي كله.

وبعدَ إجراءِ تلك المُقارنة يَبرُزُ سؤالٌ حيوي وخطيرٌ، وهو:

هل سينجَحُ وحيدُ القرنِ في إعادةِ ترْتيبِ المشهدِ التاريخيِّ أكثر ممّا فَعَلت بريطانيا عند مطلع القرن الماضي ؟

الواقِعُ أنّ عالَمَنا العربي خاصّة يحمل تركةً تاريخية ثَقيلَةً من الهَيْمَنة العَــسْكرِيّةِ الأجنبية [الكولونيالية]، والخِداعَ والرِّياءَ، والوُعُودَ الكاذبة، مثل ما كــان مــن تخلِّــي بريطانيا عَن حليفِها الإستراتيجيِّ (الشّريف حُسَيْن) المُضطّلعُ بشرافَة مكّة المكرّمــةَ والذى ساعَدَهَا مُساعدةً جبّارَةً في القَضَاءِ علَى الخلافة التُّركيــة الإســلامية وإنهــاء عصرها الذهبيِّ، بمجرد أن دفَعَت حُكُومةُ الهندِ الإنجليزيةِ بالوافدِ الجديدِ القــادم مــن البادية "**عبد العزيز آل سعود**" ، ومكّنَتْهُ من الإستيلاءِ على الحُكْــم(١). حتــى هَــرَبَ الشّريف حُسين خارج بِلاد الحجاز بعد أن حَصَلَ على منها على موافَقَة بإقامة خلافة إسلامية عربية خالصة في مقرِّها الجديد " **الحجاز**" وبِتَنْصيبِه هُو (**الشريف حــسين**) خليفةَ المُسلمين، ثم عَزَلَت بريطانيا شريكَ أحــلامِ { الــشّريف حُــسين } الخــديوي المصْرِيِّ "**عبّاس حلمي الثاني**" لِتُطيحَ بذلك دُعاةَ وأنصارَ الخلافَة عَن الطريق.

---

(١) التفاصيل في المؤامرة الكبرى – للمؤلف

والواقعُ ينطقُ شاهداً بأن بلادَ العرَب قد خَضعَت في الماضي دبلُوماسياً أحيانـاً، وسياسياً في أُخرى، وعسكريا في الكثيرِ من الأحيانِ الأُخرى.

فتلك هي الحملاتُ الصليبيةُ قد سُيِّرَت دوْماً في إتجاهٍ واحدٍ [مـن الغـرب إلـى الشرق] تحت دعاوى دينية زائفَة، كتخْليص بيْت المَقْدس من أيدي المُـؤمنين بـدين الكلاب (المُسلمين) بحسب قوْلهم، وها هي تَسيرُ من جَديدٍ تحْت دعاوَى أشـدُّ زيْفـاً وبُطلاناً، كقولهم بأنّها تهْدفُ إلى تنْفيذِ مَهَامٍ إنسانيّةٍ غايةٍ في النُّبْل والشّرَف، مثل نشْر الديمُقْراطية، والتّأكيد علَى حُقوق الإنسانِ في مُجتمَعَاتٍ صُنِّفت بخانَات الديكتاتوريـة، والجَهْل، والتَّخلُّف، والغوغائية " العـرب والمـسلمين "، وكـذلك لإقْـصاء القـادَة الديكتاتُوريين عن الحُكم، وإقامة أنظمة ديمقراطية تقومُ علَى أساسِ إعطـاءِ الحُرِّيّـة للشُّعُوبِ كما في النُّموذَجَيْن ((الأفغانيِّ ، والعراقي)) حاليا.

واستمرّت القُوّةُ الاستعماريةُ الغربيةُ طوال قرْنين من الزّمانِ في ترْسيمٍ، وإعـادَة ترْسيم خريطة الشّرْق الأوْسط، ونَصَّبَت هذه القُوّاتُ مَن شاءت من القـادَة المحَلِّيِّـين، وأقْصَت مَن شائت، وثَبّتت دعائمَ من تشاءُ خدمةً لمصالحها الإستراتيجية، غيـر أنّـه دوْماً كان هُناك عُنصرٌ ثابتٌ، وسط كُلِّ هذه المُتغيِّرات والأمواج المتلاطمـة، وهـو وُجُود أبالسة مَحليِّين يُبرِّرون الهَجَمات الغرْبية المُتتالية علَى الـشّرق، ومـنهُم مَـن يدعُونهم مُباشَرَةً إلى النُّزولِ بأرْضه، ومنهم من يطالبُهُم بالبَقاءِ أو التّمسُّك بـالأرْض التي احتلُّوها، خشْيَةَ حُدوث الكوارث، وقبلَ مائة وسَـبْعينَ سـنة رأت بريطانيـا أنّ **{{ مُحمّد علَيٍّ }}** في مصر يُهدِّدُ حُرِّيَةَ التِّجارة نَظَراً لاتِّساع نُفوذ الدّولـة المـصْرية التي أخْضَعَت اليُونانَ وألبانيا شمالاً تحت رايتها، ومن ثمّ دانت لها الـسيادَةُ الكاملـةُ علَى البحْرين الأبيضَ والأحْمَرَ حتى خَليج عَدَن ، وبعض من المُحيط الهندي، فَعَمَلَت علَى إقْصائه، ونَصّبت مكانَه سلْسلةً من الحُكّام الضُّعفاء.

وفي ١٨٨٢م استغلّت بريطانيا ضعْفَ الحُكّام في مصر، وتـدخلّت فـي شُـئون مصر تدخُّلا صريحاً، وسُرعانَ ما كشَفَت عن حقيقةِ نيّاتها الاسـتعمارية الـصّريحة بالنُّزول إلى دُمياط واحتلالها بفضْل مُساعدات فرنسية صَريحةٍ، ثُم تقدّمت عبْرَ ساحلِ المُتوسط إلى بُورسَعيد، فالاسماعيلية، فالسويس، وواصَلَ الإنجليزُ تقدُّمَهم إلى الدّاخلِ،

فلاقاهُم "**أحمد عرابي**" بجُنُوده، ولوْلا وقائعُ الخيانة المُتعــدِّدَة، واحتفــالاتُ الــصُّوفية " **إياها** " كَمَا سَبَقَ أن بيّنَّا لَمَا كانت هزيمةُ القُوات العُرابية التي بَعْدَهَا سقَطت مــصرُ، ثُمّ السُّودان تحتَ الاحْتلال الإنْجليزيِّ – وتلك كانت البداية.

غير أنّ الشّرق العربى الأَبيِّ لم يستَسْلم، ولم تَشَأْ عجلةُ التّاريخِ أن تتوقّف هَكَــذا، إذ سُرعان ما انجَبَ الشّرقُ رِجالاً أفْذَاذاً حاولُوا شقّ طريقٍ مُستقلٍّ، سَعْياً إلى الحُريّــة والاستقلال، وعلَى الجانبِ الآخَرِ فقد نَشَطَت القُوى الاستعماريةُ لمُواجهة التّهديــدات المُتتالية التى مثَّلَهَا هُؤلاء الرِّجال الوطنيين أمثال " **سعد زغلــول** " – أثنــاء الحــرب العالمية الأولى ـــ، **وهوارى بومدين،** ومُعمّر القذّافى، وأحمد بن بلّه، وأخيرا "" **صدّام حسين** "" أثناءُ العمليّات الافتتاحية فى مُحاولة ترْسيمِ الشّرق الأوسط، والتــي تُقاتــل لأجلها الولاياتِ المُتحدة الأمريكية، وبينهُما **رشيد علي الكيلاني، وجمال عبد الناصر،** وقد تكرّس هذا النّشاط في إعادةِ ترْسيمِ المَشْهَدِ الــسياسيِّ ضَــمَاناً لإدامَــة إخْــضَاعِ العَرَب، واستمْرَار تَبَعيّتهم.

ومهْمَا اختلَفَت طَبيعَةُ هُؤلاء القادَة المَحلِّيين فقد كانُوا يُمثِّلــون بالنــسبة للغَــرْب مُجرّد أبالسَة في صُور البَشَر، لأنّهم بحسبِ التّصْوير الدِّعائى والإعلامــيِّ الغربــيِّ، يُمثِّلون خَطَراً علَى شُعوبهم، أو جيرانهم، أو إنّهم يُمثِّلون بُؤَراً للتّوتُّرات و النِّزاعــات، التى من شأنها زَعْزَعَةُ ثَوَابتِ الأَمْنِ الدّوليِّ، والاستقرار الإقليميِّ.

ومن ثمّ فإنّ حياةَ الولاياتِ المُتحدة، وأمْنها القوميِّ بات في خَطَرٍ مُحدقٍ، بل أمْنُ كُل مدينةٍ أو حيّ أو شارعٍ فيها، وعلى ذلك اتُّهِم جَمَال عبد الناصر بــالجُنُون، ومــلأَ الدنيا ضجيجُهم بمقولة (السّعي إلى رمْي اليهُودِ في البحْرِ)، أما القذّافي فقد وَصَــفَهُ رُونالد ريجان بأنه كلبٌ مسعورٌ وإرهابيٌّ معْتُوه ، وقال بوُش الثّاني عن صدّام حسين أنه مُجاهد نووي.

ومثّلت هذه وما زالت ثوابتَ الإرث العقائدي العسْكَريِّ الغربيِّ، وهي بحق تُعتَبَرُ الخَلْفية الحقيقية التي تُمكِّنُنا أوْ تُعينُنَا على فَهْمِ التّعبئة الحالية، والإصرارِ علَى نــسْفِ المشاريع التنموية العربية، وجاءَ إحراقُ العراقِ بمثابة العمليَة الافتتاحيَة الأُولى التــي تُؤكد علَى أنّ أمريكا تعتقدُ أنّ الوقتَ قد حانَ لإعادة تَشْكيلِ المنطقة ، وإرْساءِ القَوَاعدِ

الأُولى لتأسيس الإمبراطُوريّة الجديدة، وكذلك لتَغْيير منظُومــات القُــوى المحليــة، وثَوَابت الأمْن الإقليميِّ، وليس فقط السّعيُ نحْوَ تــغْيير النِّظــام هُنــا أو هُنــاك، بــل ويتخطّى ذلك إلى دَرَجَة الوُصُول لإخْفاء دُول بكاملها لا من حيثُ إحْــلال واســتبدال عقيدتها فحَسْب، بل يصلُ إلى حدِّ تغْيير اسمها ذاته، أىْ فى الجُملــة مُــصادَرَة إرادة شعْب بعَيْنه وتغْيير نظامه، والقَضَاء علَى دَوْلته، مثل ما كان فى الباكستان الــشّرقية، ومملَكة زنجبار الإسلامية، وقد أكّد علَى ذلك مُهندسُ عمليّات الحرْب على العــراق، وهو الشّخصية القويّة التي وجّهت الرئيسَ الأمريكيَّ بُوش الثاني نحْــو شــنٍّ هُجــوم عسكريٍّ مُوسّع علَى العراق من خلال عمله كنائب لوزير الدفاع الأمريكى "رامسفيلد" وهو المعروف **(بول وولفو فيتــز)** حين قال إنّ ما حدثَ في العراق سيحدُث في كُلِّ الدُّول الإسلاميّة، **وفيتز** هذا يُعدُّ أحدَ أقطاب نَظَرية الحَرْب الاستباقيَّة.

وإذا كانت شُعوبُ العالم العربيِّ من وجْهَة النّظر الغربيّة غير قادرَة علَى إحداث تغْيير لحُكُوماتهم، فإن الطّاغيَةَ سيعْمَلُ لإحلال التّغْيير المُراد وفرْضه، ولا يهُمُّ في هذا السِّياق أن يُتّهم الحُكامُ العَرَبُ آنئذ بالعمالة لأمريكا، أو أن تكُون أمريكــا هــي التــي جاءت بهؤلاء الحُكّام، أو مكّنتهم من الإمساك بمقاليد الأُمُور، وذمام الــسُّلطة لحمايــة المصالح الغربيّة، من بينهم **نوري السعيد ، ورضا بهلوي ، ومُؤخّراً عبدالله يوســف** فى الصومال **وآخرين أحياء أو أموات**.

وقد عُوملَ هؤلاء، وستكُون مُعاملةُ الآخَرينَ، كما عُوملَ ماركُوس، ومُوبوتو، وسُوهارتو، وبينوشيه، وجنرالات فيتنام الجنُوبية.

والجديرُ بالذِّكر أنّ الذى جاءَ بهم إلى رَأْس السُّلطَة لَقادرٌ علَى الذّهاب بهــم إلــى عَيْن حَمئَة، أو جَعْلهم يبيتُون بَيَاتاً شتويّاً طويلاً كما حدَثَ لعميلهم مانويل نُورْييجا.

ولا تعْحَب، فلَرُبّما كان عجَباً قولُنا أنّ الولايات المُتحدة بعد أن تمكّنت من إسقاط صدّام حُسين، واعتقاله، واحتلال العراق، بدأت تتطلّع إلــى الإســراع فــي تَرْســيم الخريطة الشّرق أوسطية، ويبدُو أنّها بدأت مشروعَها العمــلاق لتغْييــر أوْ الإطاحَــة بالأنظمَة المُناوئة سواءٌ العَلْماني منها مثل **النِّظام الــسُّوري**، أو الإســلامي الــشِّيعيِّ كالنِّظام الإيراني ومن قبْله كان السُّنّة فى أفغانستان، وذلك لأنّها تَرَى طبقاً لــسياسَتها المُعلنة أنّ الوقْتَ قد حانَ لإحداث تلك التّغْييرَات لأنّ قادةَ هذه المنطقة لم يعودُوا أبداً

نافعين لهَا، بل تحولّوا إلى عبْءٍ عليها، مما سبّب لها بعضَ المُشكلات خلال السّير على طريقِ التهامِ العراقِ، ويبدُو أنّهم سيُمَثّلون أحجارَعُثْرَةٍ، ومصادرَ متاعبَ في طريقِها نَحو إعادة تشْكيلِ خريطةِ المَنْطقَةِ من جَديدٍ.

✱ ـ أ: البناءُ فوْقَ الأطلالِ:

يبدو أنّ الأحرارَ في العالمِ من غير الدائرين في الفلَك الأمريكيِّ، أو المقهُورين منهُ، أو المُعتمدين عليه مُقتنعُون تماماً ببُطلانِ الادّعاءات الأمريكيّة، وزَيْف ما ساقَت من مُبرراتٍ لِشَنِّ حربِها الضّروس علَى العراقِ، وقد أكّد علَى موْقف هذا الفريقِ الحُرِّ مَا جاء في شهادة عالمِ الأسلحة البريطاني ((***ديفيد كاي***)) الذي لم يلْبث أن برّأ ساحَةَ العراقِ ممّا نُسب إليهِ من حيازتِة لأسلحة نوويَةٍ وكيماويةٍ وبيُولُوجيةٍ وجُرثوميةٍ وهي ما تُعرف { بأسلحة الدّمار الشّامل }، حتى اغتيلَ في بلادهِ في ظُروفٍ غامضة، ثمُّ كانت هُناك شهادَةُ سير (هانز بيلكس) السويدي الجنسية، رئيسُ لجانِ التّفتيشِ علَى الأسلحةِ في العراقِ قُبَيْلَ بداية الحرْب الأمريكية المُباشرةِ عَلَى العراقِ، وهذه وتلك قد أكّد علَى صحتهما ذلك العجزُ الأمريكيُّ أمام أفرادِ المُقاومَةِ العراقيةِ البطَلَة التي كشَفَت كذبَ بُوش وأبْطَلَت ما سوّقَه وروّجَه زُوراً وبُهتاناً عَلَى الرّغمِ من احتلال الأمريكي للعرَاقِ من أقصاه إلى أقصاه، ورغْم وجود أكثر من [٣٠٠،٠٠٠] ثلاث مائة ألف عسكريٍّ من جنسياتٍ مُختلفةٍ تحْتَ القيادة الأمريكية المُباشرةِ، وهُم يصُولُون ويجولُونَ فوْقَ كُلِّ شبْرٍ من الأراضي العراقيةِ للعامِ الخامسِ علَى التوالي، وسيستَمرُّ طويلاً غي ظلِّ هَرْوَلَةِ العَرَبِ وَرَاءَ سَرَابِ السّلام مع إسرائيل. وهو سلامٌ لن يأتي خاصّة مع تنامي الضُّغوط {الأمريكو صهيونية} وزيادتها وتنَوُّعها أمام كُلِّ تنازُلٍ يقدّمهُ العربُ للكيانِ الصُّهيونيِّ وَمَع تأكيدهم المُستمر والمُتَجَدِّد على أنّ السلام (خيار) استراتيجيّ لا عُدُولَ عنه.

والحاصلُ أنّ هذه الادّعاءات قَدْ تهاوَت أمامَ الوعْيِ الدّوليِّ العاجزعن الحرَاك أوْ النُّطق، كما ثبُتَ بُطلان تلك الافتراءات أمامَ رجُلِ الشّارع في كُلِّ مَكان في المعمُورة وهو الذي لم يفقد نعْمَةَ الكلامِ بَعد، إلاّ أنّه باتَ عاجزاً أمام قمْعِ الأنظمةِ الحاكمةِ وبَطْشها، وهي المتّهمة بالعمالة والخيانة والتدليْس والتّسييس، وهو ذاتُه الرّجُلُ الواعي الذي يشكّلُ القاعدَةَ الصلبةَ في الرّأي العامِ الذي باتَ مُقتنعاً تماماً بأنّ هذه الاعتداءات

(٣٠٧)

الأمريكيّة المُتواصلَة والمُتصاعدة علَى العَرَب والمُسلمينَ إنّما هي بسبب إعادة ترسيم الخرائط، وتَوْزيع المَوَارد، وهو الذي يختلفُ من حيثُ ما يُرتجَى من نُشوء إحداث تلك المُتغيرات، بالمقارنة مع التّغييرات الرئيسية التي أحدثَتْهَا قُوى الاستعمار في العالم العربيّ خلال العُقُود الثّمانية الأخيرة، ومن أهمِّها:

١ ــ تقاسَمَت بريطانيا وفرَنسا منطقةَ الشّرق الأوسط، وحوّلاها إلى مناطق نفُوذ تخضَعُ لهُما أوّلا وأخيراً، باستثناء الزّحف الإيطالي على ليبيا، والأسباني علَى المغرب، ومَعَ ثوْرات الشُّعوب المُطالبَة بحقِّ الاستقلال، كان هُناك انتهاكٌ صارخٌ لوُعُود الأقطاب الاستعمارية بمنح العَرب حقّ الاستقلال، وبالنّتيجة فقد وَجَدَ العربُ أنفسَهم منزُوعي الإرادة، محرُومي السِّيادة، وخَضَعَ بعضُهم لأنظمة الانتداب والحماية التي فَرَضَتها عُصبة الأُمم، هذا غير الاحتلال العسكَريّ السافر، وقد أدّى ذلك بدوْره إلى إعادة ترسيم المنطقة، وهو الذي أدّى إلى إضفاء الشّرعية علَى الحركة الإستيطانية اليهوديّة في فلسطين التي انْتَزَعَت الأرضَ من أصحاب الحقّ والتّاريخ والجُغرافيا في وطنهم التّاريخيّ فلسطين، ويُمَثِّل الفلسطينيون ثانى اثنين من الشعوب العربية الذين يرزحون تحت الاحتلال ***الأمريكى ــ الصهيونى*** فى الألفية الجديدة، والبقية تأتى.

٢- وجاءَت الحربُ العالميةُ الثانية لتفرضَ المزيدَ من المُعاناة علَى شُعوب المنطقة بعد ربْط مصير تلك الشُّعوب بحَرَكَة التنافُس الاستعماريّ بين القُوّتين الاستعماريتَيْن الجديدتَيْن (**الاتحاد السوفيتي، والولايات المتحدة**) وفي تلك الفترة أُزيلت فلسطينُ تاريخياً من خريطة الشّرق الأوسط لتحلّ مَحَلّها (إسرائيل)، بمساندَة صريحة ومفضُوحة من القُطبين الاستعماريّين الجديدين . وعَجّت الكُتُبُ الدِّراسيةُ لمراحل التّعليم الإلزاميّ فى العالم العَرَبيّ بدولة إسرائيل بدلاً من فلسطين التى حذفا العرب من مناهجهم الدِّراسيّة.

٣- لم تلْبث القُوّتان الاستعماريّتان التّقليديّتان " بريطانيا ، وفرنسا " أن اتَّحَدَتَا وتَحَدّتَا الواقعَ الجيوسياسيّ الجديد القائم، وقامتا بعملٍ عسكريٍّ خطيرٍ تمثّل في مُهاجمة مصرَ بمشاركَة إسرائيلية؛ فيما عُرف بالعُدوان الثلاثيّ عام ١٩٥٦م، لأجل إعادة السّيطرة وبَسْط النّفوذ ودحْر الحَرَكَة النّاصريّة الوليدَة المُناوئَة للإستعمار لا فى مصرَ وإفريقيا

(٣٠٨)

فحَسَب، بل فيقارّتي آسيا وأمريكا الجنُوبية بل وعند الحدود الأمريكية الشمالية ذاتها في كوبا، ويأتي الأخيرُ في صدرِ المهامِ لأنّه وَضَعَ علَى رأس أولويّاته تحقيقَ طُموح الشّعب العربيِّ في إقامةِ وحدةٍ عربية شاملة.

٤ – وقبل انقضاء عقْد من الزّمان علَى العُدوان الثُّلاثي، حاولَت إسرائيلُ تحقيقَ ما فشلَت فيه آنفاً، غيرَ أنّها نجَحَت في إحداث تغْييرٍ مؤقّتٍ في شكلِ خريطةِ مصر وسُوريا والأُردن وفلسطين، وبعضَ الجُزر عند مدخل خليج العقبة " اللِّسانِ الثّاني للبحر الأحمر"، وذلك في حرْب الأيام الستة في عام ١٩٦٧م، ليتأكّد التّفَوُّقُ الصُّهيونيُّ تَخْطيطاً وتنْفيذاً على حسابِ التّراجع العربَيِّ والإسلامىيِّ، ويُضاف إلى ما حَدَثَ من تَغْييراتٍ فى مايو ١٩٤٨م. والتى تغيّرت معَهَما بالضرّورة خريطةُ الشّرق الأوسط، التى أدركَتْها الصّيرورةُ إلى حيثُ لا يعلَم إلاّ الله، ثُمّ أُعيدت مُحاولة إعادة ترْسيمِ خريطَةِ الشّرق الأوْسَطِ بتنسيقٍ وإعدادٍ وتنفيذٍ أمريكيٍّ إسرائيليٍّ مُشترك مُتطابق من حيثُ الأدواتِ والنّتائجِ والأهْدَاف مع ما كان في نهايةِ النِّصفِ الأوّل من القرْنِ العشرين، حيث ضاعَت فلسطين بقُوّة الاستعْمَارِ البريطانيِّ ونتيجَةً للعَجْزِ العربي، بينما يضيعُ العراقُ معَ مطْلَعِ القرنِ الواحدِ والعشْرين بفضْلِ الاستعمارِ الأمريكيِّ والعَجْزِ والصّمتِ والتّخاذُلِ العَرَبيِّ العام.

٥– ومُسَايَرَةً للرّكب الأمريكيِّ، وتمَشّياً مع سياساته عند مطلعِ النِّصفِ الثّاني من القرْنِ العشرين، فقد تمّ إضعافُ إنجازاتِ النّاصريّة ومُحاصرَتها، خلال الفترة من يوليو ١٩٥٢م حتى يونيو ١٩٦٧م، حيث رَأت واشنطن في العناصرِ الثلاثة للحرَكة النّاصريّة (الوحدة العربية، الاشتراكية العربية، الحياد الإيجابي) تهديداً لمصالحها، وقد زَالَ هذا التهديدُ بفضل الحرْبِ التي شنّتها إسرائيلُ بالوكَالة عن الولايات المُتحدة، مُستبقةً بها مبدأ الرّئيس الأمريكيِّ الأسبق (ريتشارد نيكسون) القائل " نحن نُقَدِّمُ الخراطيمَ والمياهَ – فيما هُمْ – أيْ – وُكلاؤُنا المَحَليونَ مثل الفيتناميين الجنُوبيِّين، أو الإيرانيِّين، أو الإسرائيليين يُقَدِّمُونَ رجالَ الإطفاء ".

غير أنّ هذه الإستراتيجية لَم يُكتب لها النّجاح علَى طُول الخَطِّ، حيث تعرّضت لمشاكلَ عديدةٍ وصعابٍ جمّة أدّت في مُجملها إلى أن الوكيلَ الإيرانيَّ على سَبيل المثال لم يفْشَل في القِيام بمهامه وتأديةِ وظائفه فحَسْب، بل تأكّدَ فشلَهُ أصْلاً في الحفاظ

علَى وُجُوده، وتعذّر بقائه علَى قَيْدِ حياةِ الخيانَة والعمالَة، وتوَارَى إلى غير رَجْعَة.

الأمْرُ الذي حتّمَ علَى الأمريكيين ضَرُورةَ السّعي إلى توْطين قياداتها العسْكريّة مُباشرة في الشّرق الأوسط، لأجل التّدخُّل العسكري المُباشر لدعم الوُكلاء، أو السّطو المُباشر علَى مقدّرات الشُّعوب، ولتأكيد الوجُود.

ومن أهَمِّ نماذجِ الحرْب بالوكالة وأشْهرها الغزو الإسرائيليّ للبنان في عصْر الرئيس الأمريكى الهالك رُونالد ريجان، وكان يحملُ مَعَهُ أهدافاً ثلاثةً بحسب ما كَشَفَ خليفتُه "جيمي كارتر" فيما بعد:

* إعادةُ رسْمِ خريطة لبنان السِّياسيّة لتحويلِه إلى كانتُونات ودُوَيْلات مارونية.

* إجهاضُ احتمال قيامِ دوْلة فلسطينية بعد أن طَرَدَ العاهل الأردني "الملك حُسين" المُقاومَةَ الفلسْطينيّةَ من بلاده، وأجلاهُم إلى الجنُوب اللبنانِّ .

* تحجيمُ سُوريا بما يسمحُ بالتحكُّم فيها وتطْويعها.

غير أنّ المُقاومَةَ اللبنانيةَ أجهَضَت بشدّة المشاريعَ الأمريكو صهيونية في لبنانَ، وفشَلَ بذلك الهَدَفَان الأوّل والثّالث، فيما أدّى السّعي إلى الهَدَف الثاني إلى نَقل جُغـرافيّة الصّراع، ومَرْكَز ثقل القَضيّة الفلسطينيّة إلى الدّاخل الفلسطينِّ المُحتل أى فى الداخل الإسرائيليِّ ذاته، ومن هُنا اندلَعَت الإنتفاضةُ الفلسطينيةُ الأولى في عام ١٩٨٧م.

* ثُمّ جاءَ مُؤخّراً وليسَ أخيراً الاعتداءُ علَى العراق مُستهدفاً في المقام الأوّل قُدراته لا قياداته، مُستهدفاً كذلك حشْدَ التأييد الدّوليّ والرّأي العام الأمريكي للتأكيد علَى الدّور القيادي الأمريكي في المنطقة، ومُحاولاً إفهامَ إسرائيلَ أنّ حفْظَ موازين القُوى في المنطقة الحسّاسة من العالَم، والتّأكيد علَى أنّ الأمن الإقليميِّ هو من صَميمِ أعمال القُوى العُظمَى وحْدَهَا، وأنّه لا مجال للتّفاوُض علَى المُستقبل، وتَرْسيم خرائطه إلاّ ضمن مؤتمرٍ دوْليٍّ، حيثُ لابُدّ حتّى لإسرئيلَ علَى الرّغم من تحالُفها الإستراتيجيِّ من أن تَتَعَامَلَ مَعَ القَرَارات الدّوْلية المُتعلِّقة باحتلالها للأراضي العربية منذ عام ١٩٦٧م، وتلك هي ملامح استراتيجية الرئيس الأمريكى جُورج بوش الأول {الأب }.

* وبدُخُول الرّئيس الأمريكيِّ الجديد "**بل كلينتون**" البيتَ الأبيضَ خَلَفَاً لسلَفه **بُوش الأوّل**، أعْلَنَ عن تخلِّيه عن استراتيجية السّابقة، وأعلَن عن سياسةٍ مُزدوَجة ، مُلّخّصُها

دعْمَ مَهزلة ""*أوسلو*"" فيما يخُصُّ القَضيّةَ الفلسطينيّةَ واحتواءِ العراقِ ، وهى السِّيَاسَةُ التى كشَفَتْها الأحداثُ والوقائعُ المُتتاليةُ والمُتلاحقةُ، وأكّدت على أنّها المرحلة الأُولـــى من مراحلِ احتلالِ العراق سواءٌ استمرّ كلينتُون داخلِ البيتِ الأبيض أمْ خرَجَ ودَخَـــلَ غيرُهُ، وأيّاً كان مُسمّى مُرشّح الحزب الحاكمِ { الجمهورى أوالـــديمقراطى }، وســـواءٌ وقَعَت أحداث ١١سبتمبر أم ١١ بؤونة.

* وَوَرَث " **جُورج بُوش** " **الثاني** " الابن " مقعدَ الرِّئاسة خلَفاً لكلينتُون الكذّاب الـــذى أحْرَقَ العراقَ ودكّه بعَوابرِ القارّاتِ ليتوارَى خلْفَه بفضائحه مـــع مَعْـــشُوقَته مُونيكـــا صاحبة القَميصِ الأزْرَقِ الذى أخْرَجَهُ من البيتِ الأبيض فى اليوْم الأسْوَد.

وسُرعان ما نَقَضَ بُوش الثّانى كلتا يدَيه من سياســـة والـــده **بُـــوش الأوّل** تجـــاهَ الفلسطينيين، واعتَبَرَ أنّ الزّمنَ قد عَفَا علَى استراتيجيةِ الإحتواءِ التى ابتـــدعَهَا سَـــلَفُهُ " أبو عيون زرقاء " كلينتون، وتَرَكَ اتفاقيّة أوسلو لمَصيرِها المحتُوم، وسارَعَ بإعلان دعْمه لمن سماهُ هُو " رجُل السلام " إيريئيل شـــارون رئـــيس الـــوُزراء الاســـرائيلى السابقِ، وقد سَبَقَ الأخيرُ كلّ التّوقُّعَاتِ ورَكبَ قطارَ الحرْب مُبكّراً علَى مـــا يُـــسمُّونَه الارهاب، وانتهَجَ سياسَةَ الأرضِ المحْرُوقة فى فلسطين لـــذرِّ الرّمـــادِ فـــى العُيُـــونِ الكَحيلَة، وإصابتها بالعـــَمى المؤقّت عن المشْرُوعِ الإمبراطوريِّ الأمريكـــيِّ الكَبيـــر الذى يأتى احتلالُ العراقِ فى مُستهلِّ مراحله الافتتاحيّة، وذلك فوْرَ تولِّيه السلطة فـــى اسرائيلَ خلَفاً لسَلَفه الأكثر تشدُّداً والأعنف دمَوية ايهُودا باراك، حيث استمرّ الخَلَـــفُ فى تنفيذِ أجنْدَة سلَفه، وطَلَبَ من الاسرائيليين مُهلة مقدارها {١٠٠} مائةَ يوم للقـــضاءِ على الانتفاضَة الفلسطينيةِ المعرُوفَة " انتفاضة الأقصى "، والتى اندلَعَت بسَبَبِ دُخُـــول شارون نفسُهُ وبعضٌ من خنازيره الاسرائيليين فى سبتمبر / ٢٠٠٢ إلى حَرَمِ المسجد الأقْصى، ومارسُوا فيه أفعالَهُم المفضوحة وطُقُوسَـــهُم الممقُوتَـــة، ودنّـــسوه بـــالبول والخُمُورِ تحتَ حراسة مُشدّدة من الجَيْشِ الاسرائيليِّ التى وفّرهـــا رئـــيسُ الـــوُزراءِ باراك، وبهذه الأحداثُ انطلقت الصُفارةُ إيذاناً بانطلاقُ قطارِ الحرْبِ للقـــضاءِ عَلَـــى الفلسطينيين، و "**جَرِّ شَكَل دُوَل** "عربيّةٍ أُخرى لها دوْرُها المحْوَرى كَقُوّةٍ إقليميةٍ كُبرَى فى المَنطقة تأتى مصر فى طَليعَتها، بقصْدِ إحداثِ فوْضَى شاملةٍ وعامة فى المنطقَـــة، تُمهِّدُ الطريقَ لوحيد القـــرْنِ بالانطلاقِ نحْوَ الشّرق، واندلَعَت نيرانُ الأحقادِ التى تقودُ

إلى الدّمار، وانتهَت مُهلةُ المائة يوْم ولم يحقّق شارون ما وَعَد شعْبَه، ومَضَى قطـارُ الحرْبِ يدْهسُ الفلسطينيين ويَصْطَنعُ صداماً على الحُدود المصرية عند رفح ويعْتَدِى عَلَى لبنان ويهدِّدُ سُوريا، تمْهيداً لإشعالِ حرْبٍ إقليمية شعْواء فى المنطقة لتهيئة المناخ وَمَدِّ القُضْبانِ أمامَ قطارِ الاستعمارِ الأمريكى القادمِ بسُرعةٍ رهيبــة يَــدُكُّ، ويــدمِّرُ، ويدْهَسُ تحْتَ عجَلاته كلّ ما من شأنه إعاقةُ مَسيرَته الاستعماريّة الجديدة، ولم تــتمكّن اسرائيلُ من قمْعِ الانتفَاضَةِ التى أجْهَدَتْها، وأصابَتْ اقتصادَها بخَلَلٍ كبيرٍ، واســتمرّت مُلتهبة حتى أُصيب شارُون بالسَكْتَة المُخيَّة، ودَخَلَ فى موْت َ إكلينيكي ، وورَثَهُ قبــل موتَه خليفَتُهُ " ايهود أولمرت " فى حياة شارُون الذى يعيشُ حتى كتابة هذه الــسطور فى غيبةٍ تامةٍ وفى معزلٍ أكيدٍ عن الحياةِ التى وعَدَ الاسرائيليينَ بتأمينها لهُم خــلالَ المائة يوم " إياها " ولم يستطِع هُو أن يُؤمِّن دِماغَهُ ضدّ السّكتة المُخيَّةِ التى جائتْهُ مــن عند الله.

أمّا قطارُ مُكافحة الإرهابِ الذى تقُودُه واشنطن لتدهَسَ بعجلاتــه كــلّ مــا هــو إسلامى، فقد اجتَهَدَت أطقُمُه فى المُؤسّساتِ البحثية والتّنفيذيّة، وفى مراكزِ التّخطــيط والأبْحاث والدراساتِ الاستراتيجية، عَلَى المُستَوَيَيْنِ المَدَنيِّ والعــسكريِّ، مــن أجْــلِ الاجتماعِ علَى إزاحَةِ العِراقِ من طريقِ إعادة ترسيمِ المنطقةِ من جديد.

وكانت دعاوَى الحرب الاستباقية تنطلق من الأبواقِ الأمريكية التى أوْفَدَت وزيرَ الخارجيــة الأمريكيِّ "كُولــين باول" لجمْعِ التّوقيعاتِ فى سجلِّ المُوافقات العَرَبيَّةِ والدّوليَّة، ولحَشْدِ الدّعــم الدّولى بما فيه الرّأى العــام والموقفِ العربَيِّ الرّسميِّ لضَرْبِ العراق، واجتياحه، وانتهاء باحتلاله، وتلك كانت بداية اندفاع عجلاتِ القطارِ الاستعماريِّ بسرعة رهيبةٍ ليمْضى نحْوَ المجْهُول المُطلق.

أمّا كولين باول وزيرُ الخارجية الأمريكيّ؛ المسئُول عن حشْدِ المُوافقاتِ وتعبئةِ الجبهاتِ وجمْعِ التوقيعَاتِ الخاصّة بدعْمِ الولايات المتحــدة الأمريكيــة فــى حرْبهــا المُرتقبة آنذاك على العراق ؛ فقد وَصَفَه المُغنِّى الأمريكى الكاريبى الأصْل (هــارى بيلا فُونتى) بقوله: (إنّه يُشبهُ العَبيدَ المحْظُوظين الذينَ يعملُون خَــدَمَاً فــى قُــصُور السّادَة وليْسَ فى الحُقول، ويعتمدُون فى ذلك عَلَى حُــسن نيّــة الــسيِّد تجــاههم، وإلاّ فالعوْدَةُ للعملِ المُضنى فى المزارِعِ).

والواقعُ أنّ إسرائيلَ، ومن خلفها الولاياتُ المُتّحدةُ لم يُقدّر لهُمَا العبَثُ بمقــدّرات الشرّق إلاّ بعد أن استعذَبَ أهلُ الشّرق النّومَ فى العُشِّ الهادئ، يهنئُونَ بمن تُغنِّى لهــم وحْنا معانا بدْر طالع فى ليلة قدْر، وافَى ووافَى النّدْر، هُو يقُول ياليــلْ ياليــلْ، وحْنــا نقول ليلى ليلى ليلى، وعند اسيقاظهم يقولُ كبيرهُم صبَّح ياجميل ياجميل صبّح، ويُغنِّى عاملُهم فيك عَشْرةْ كُوتْشينَة فى الْبَلَكُونَة، وتتمايل آنستُهم آنى خضرة خــضرة يــاواد، وتشتكى مغنيّةٌ من سميرها وهى تهْجُرُ مضْجَعَهُ فتقول الصّراحة راحة ياعين ــ انــت ما بتعرفش ــ وبات الجميع إلاّ مَن رَحم ربِّى علَى قاسمٍ مُشترك أعظمِ يضمُّهم، وَهُمْ يظْهَرُون مَعَه على لُغَة اللى بيشْكى حالُهُ لحَالُهُ واللِّى بيبكى علَــى موّالُــه "**واهــى ماشيه**"، وتأسيساً عليه فقد جاءَ وحيدُ القرن إلى الشّرق الاسلاميِّ مُحدِّداً أهدافَهُ التى أعدّ لها برامجَ عديدة، وَجَهّزَ لها آليات شتّى لأجْل إعادة ترتيب المــشْهَد التّــاريخيِّ، والجُغرافيِّ، والسياسيِّ، والترْبَويِّ، والثّقافيِّ، والتّعليميِّ من جديد.

ولكن... هل ينجح وحيدُ القرن ووكيلُهُ المُعتَمَد فى المنطقة فى المُهمّــة الجديــدة التى أعلناها معاً تحْتَ شعار مُكافحة الإرهاب، وهو الشِّعارُ المُــبَطّنُ الــذى يرْمــى صراحةً إلى تأهيل المنطقة، وإعدادها وتطويعها للاندماج قسراً فى النِّظام الجديد الذى يكفُلُ فى نهاية المطاف مُناهضةَ الاسلام، وإبادةَ المُسلمين، وحَصْرهم فى ديارهم ؟.

إنّ الوقتَ قد حانَ لأبناء المنطقة، والفجرَ قد أُذّنَ له فى بلادنا علَى إطلاقها إيــذاناً بمُحاسبة النّفس، والنّظرَ إلى الأحداث الجارية بالتّفحيص والتّمحيص لبيــان مَــوَاطن المواعظ والاعتبار، واستيعاب الدُّروس، واستخلاص النّتائج، وما هُو علينــا بعزيــز، فلربّما انتفضَ الثابتُون، ولربّما استيقــظَ سُكّانُ القُبور، حتــى نــنفُض الغُبــارَ عــن أجسادنا التى أُوسعت ضَرْباً عَبْر تاريخنا، وحتى نتمكّن من الوقُوف علَى قوائمنا قبــلَ أن تقُومَ قيامَتُنا .

✱ ــ ب: المُسلمُونَ فى بلاد النُّور:

قالها الأعمى الذى بهَرَهُ سحرُ باريس على قدْر ما حَسّهُ ، فَذَابَ فى هَوَاهَا وتذوّقَ حلْوَاهَا، وتَزَوّجَ منها من لَو رآها ما هَامَ فى هَوَاهَا.

قائل العبارةِ دَرَسَ فيها علُومَ الدنيا، وتفوّق فيها، فأعدُّوه هُناك ليكُون سفيراً لهُم فى بلادِه يحملُ نوايا حسنةً، بعد أن حقنُوهُ بثقافَتِهِم الغَرْبيّة، ومدنيّتِهِم الفوْضَوِيةِ حتى قال فيها (بلادُ النّور).

وإليكَ نُسُوقُ هذه:

بتاريخ ١٤ / ٩ / ١٩٢٦م. تقدّم إلينا بلاغٌ آخَرَ من حضْرَةِ عبدالحميد افندى عُضوُ مجلس النُوّاب، ذَكَرَ فيه أنّ الأستاذَ طه حسين المدرِّس بالجامعَةِ المصرية نَشَرَ ووزّعَ وعرَضَ للبيعِ فى المحافلِ والمحلاّتِ العمُومية كتابا أسماهُ " فى الشِّعرِ الجاهليِّ " طَعَنَ وتَعَدّى فيه على الدِّينِ الإسلامى ــ وهو دِينُ الدّولــةِ ــ بعبــاراتٍ صــريحةٍ واردةٍ فى كتابِه سنبيِّنُهُ فى التّحقيقات.

وحيثُ إنّه نظراً لتغيُّبِ الدكتور طه حُسَين خارِجَ القُطرِ المصريِّ ، فقد أرجأْنا التحقيقَ إلى ما بعْدَ عوْدَته، فلمّا عاد بدأْنا التحقيق بتاريخ ١٩ أكتوبر ١٩٢٦م.، فأخَذْنَا أقوالَ المُبلِّغين جُملَةً بالكيفيّةِ المذْكُورةِ بمحْضَرِ التّحقيق، ثم استَجْوَبنا المُؤلف، وبعْدَ ذلك أخذنا فى دراسَةِ الموضُوع بقدرِ ما سمَحَت لنا الحالَةُ.

وحيثُ قد اتّضَحَ من أقوالِ المُبلِّغِينَ أنّهم ينسبُون للمُؤلِّف أنّه طَعَنَ علــى الــدِّينِ الإسلاميِّ فى مواضعَ أربَعَة من كتابِه:

الأوّل: أنّ المؤلِّفَ أهانَ الدِّينَ الاسلاميِّ بتكذيبِ القُرآنِ فى إخبارِه عــن إبــراهيم وإسماعيل، حيث ذكر فى ص ٢٦ من كتابــه { للتــوراةِ أن تحــدِّثَنَا عــن إبــراهيمَ وإسماعيلَ، وللقرآن أن يُحدِّثَنَا عنهُما أيضا، ولكنّ وُرُودَ هذَيْنِ الاسْمَينِ فــى التّــوراةِ والقُرآنِ لا يكْفى لإثباتِ وجودهما التّاريخيّ، فضْلاً عن إثباتِ هذه القصّة التى تحــدِّثُنَا بهجْرَةِ إسماعيلَ بن إبراهيم إلى مكّة، ونشأةِ العَرَبِ المُستعَرْبة فيها، ونحْنُ مُضطّرُون إلى أن نَرَى فى هذه القصّة نوعاً من الحــيلَةِ فى إثباتِ الصِّلَةِ بين اليــهُود والعَــرَبِ من جِهَةٍ، وبينَ الإســلامِ واليَهُوديّةِ، والقرآنِ والتّوراةِ من جهةٍ أُخْرى } إلى آخرِ مــا جاءَ فى هذا الصّدد.

الثانى: ما تعرّض له المُؤلِّفُ بشأْنِ القراءاتِ السّبع المُجْمَع علَيْها، والثّابتّةُ لَــدَى المُسلمين جميعاً، وأنّه فى كلامِه عنْهَا يزعُم عَدَمَ إنزالِهــا مــن عنــد الله، وأنّ هــذه القراءات إنّما قرأتْهَا العــربُ حسب ما استطاعت، لا كَمَا أَوْحَى الله بها إلى نَبيِّه، مَعَ

أنّ مَعَاشِرَ المُسلمينَ يعتقدُونَ أنّ هذهِ القراءاتِ مَرْوِيّةٌ عنِ الله تعالى عَلَى لِسانِ النبــي ﷺ .

الثالث: ينسبُون للمُؤَلِّف أنّه طَعَنَ فى كتابهِ عَلَى النّبيِّ ﷺ طعْنَاً فاحِشاً، من حيــثُ نَسَبِه، فقال فى ص ٧٢ من كتابه، ونوعٌ آخر من تأثيرِ الــدين فــي انتحــالِ الــشِّعْرِ وإضافته إلى الجاهليين، وهو ما يتّصلُ بتَعْظِيمِ شأنِ النّبيِّ من ناحيَةِ أُسْرَتِه ونَسَبِه فــي قريش، فَلأَمْرٍ ما اقْتَنَعَ الناسُ بأنّ النبيَّ يجبُ أن يكونَ صفْوةَ بنى هاشمٍ، وأن يكون بنُو هاشمٍ صفوةَ بنى عبد مناف، وأن يكون بنُو عبد مناف صفْوةَ بنى قُصَيّ ، وأن تكــون قُصَيّ صفْوة قُريش، وقريش صفوة مضر، ومُضر صفْوة عــدْنان، وعــدْنان صَــفْوة العرب، والعرب صفوة الإنسانية كلِّها. وقالوا إن تعدِّى المؤلِّف بالتّعْرِيضِ بنَسَبِ النبى ﷺ والتحقيرِ من قدْرِه، تَعَدٍّ عَلَى الدِّين، وجُرْمٍ عظيمٍ يُسيءُ إلى المسلمين والإسلامِ، فهُو قد اجترأ على أمْرٍ لم يسبقْهُ إليه كافرٌ ولا مُشركٌ.

الرّابع: أنّ الأستاذَ المُؤَلِّفَ أنكَرَ للإسلامِ أوّليّةً فى بلادِ العربِ، وأنه دينُ إبراهيم، إذ يقول فى ص ٨٠ "" أمّا المُسلمون فقد أرادُوا أنّ للإسلام أوّلية فى بــلادِ العَــرَبِ، كانت قبلَ أن يُبعث النبى، وأنّ خُلاصة الدِّين الإسلاميِّ وصفْوَتَهُ هى خُلاصة الــدِّينِ الحَقِّ الذى أوحاهُ اللهُ إلى الأنبياء من قبل ""، إلى أن قال فى ص ٨١ " وشــاعَت فــي العَرَبِ أثناءَ ظُهور الإسلامِ وبعدَهُ فكرةُ أنّ الإسلامَ يجدِّدُ دينَ إبراهيم، ومن هنا أخذُوا يعتقدُونَ أنّ دين إبراهيم هذا قد كان دينَ العربِ فى عصْرٍ من العُصورِ ، ثُمّ أعرضت عنه لِمَا أظلّهُ بهِ المُظلُّون وانصرفَت إلى عبادة الأوثانِ " إلى آخرِ ما ذَكَرَهُ فــي هــذا الموضُوع(١).

وكمثْلِ ما ظَهَرَت فى بنجلاديش "**نسرين تسليمه**"(٢)، وفى الهند "**سلمان رشــدى**" جاء ظُهور "**طه حُسَيْن**" فى مصر مُؤشِّراً قوياً على ظُهور التّيّارِ العَلْمَاني الذى يعمــل على تقويض الأديانِ فى مصر الأزهر وتغَلْغُله فى عُقُولِ الذين طَبَعَ اللهُ على قلُــوبهم وقالوا قُلُوبُنا غُلْفٌ، وكان الخديوى إسماعيل المَفْتون بأورُوبّا أيّما افتتانٍ وأعْظَمَه هــو أوّلُ الحُكام المِصريينَ الذين أدخَلُوا العَلْمَانيّةَ مصرَ فى العَصْرِ الحديثِ وألْغَى العَمَلَ

(١) دراسات فى الأدب الجاهلى ص ٤٠٩ وما بعدها

(٢) أنظر المؤامرة الكبرى للمؤلف

العَمَلَ بالشريعةِ الإسلاميةِ فيها إلى أن يشاءَ اللهُ.

إنها بلادُ الفرنجة " فرنسا " التى تُناهضُ الإســلامَ مُناهَــضَةً جبّــارةً، وتُظهــرُ صَداقَتَها لِلعَرَبِ ولِلمُسلمين، إنّها صاحبةُ أوّل دعْوةٍ لِقيامِ إسرائيلِ فــى قلْــبِ العَــرَبِ لاستنزافِ مواردِهِم، وتحطيمِ قُوَاهُم، وتقْطِيعِ أوْصالِهِم، ومُشاغلتِهِم بِحُرُوبٍ مُتقطِّعَــةٍ ومُتجدِّدَةٍ تجعلهُم ينصرِفُون عن التّنمية إلى الاشتغالِ بقضايا الدِّفاع عن النّفسِ، حتّــى باتُوا عاجزين عن مُجرّدِ مُباشَرَةِ حق الدّفاع الشّرعيِّ عن النّفس والوَطَنِ والعِــرْضِ، وتبدُو الصُّوَرُ واضحُةٌ ومُتناثِرَةٌ هُنا وهُناك بينما تُؤَكِّدُ قياداتُهُم دوْمَاً وَعَلَنَاًعلى الإلتزامِ بأمْنِ إسرائيل وهو ما صرّح به **ساركوزى** مُرشّح اليمين للرِّئاسَةِ الفِرنْسيّةِ خَلَفَاً **لجــاك شيراك** الذى رفض الترشيح لفترةٍ رئاسيةٍ جديدةٍ وذلك ضِــمن تــصريحاتِهِ لوســائلِ الإعلامِ الفرنسيَّةِ عقب انتهاءِ مُقابَلَتِهِ للرّئيسِ المصرى مُبارك فى بــاريس مُنتــصف إبريل ٢٠٠٧.

وها هِى فَرَنسا، فكما كانت رائدةَ الحملاتِ الصّليبيّةِ علَى الدِّيارِ الإســلاميّةِ فــى العَصْرِ الحديثِ، عادت مِن جديد تُؤكِّد علــى رِيادتِهــا لِلزّندَقَــةِ، وزعامَتِهــا لِلكُفــرِ



{{ الرئيس الفرنسى شيراك يؤكد على قيمةالمرأة عند الفرنجة }}

وقَد شهد شاهدُهم علَى ذلك حِين قال : مَن ذَهَبَ إلى فرنسا فهو كافِرٌ أوْ علَى الأقــلِّ زِنديق.

فها هو رئيسُ الوُزراءِ الفرنسيِّ (جان بيير رافارين) وقد أدْلَى بتَـصْريحٍ قـال فيه (أنّ بلاده قد تُصدر قانوناً بمَنْعِ ارتداءِ غطاءِ الرّأس (الحجاب) بالنّسبة للسّيدات والفَتَيات المُسلمات فى المدارسِ والمَصَالحِ العامّة إذا لم يتم احترام السياسَةِ العَلْمانيـة للدّولة، وقال إنّ الطّابعَ العَلْمَانيَّ فى فرنسا والقائمَ علَى الفصْل التّام بين الدّولة وكافّـة الأديانِ قَويٌّ بما فيه الكفايةُ لأنّه يخـدمُ الجميعَ فى فَرَنسا، ولكن إذا لم يكُـن هُنـاك توافُق خاص فيما يتعلّق بالرُّمُوز والسُّلوكيات الدّينية فى الأماكنِ العامّة، فإنّه لن يتردّد فِى فرْضِ احترامِ العَلْمَانية من خلالِ القوانين.

وسُرعان ما تكشّفت نوَايَا **رافارين** الحقيقية، فقد أكّد توجُّهاتِ حُكومَته عندما قـال فى تعْبيرٍ ديبلوماسيٍّ رقيقٍ ودقيقٍ وهادفٍ، كونه يُقدِّمُ دلالةً مُبطنّةً بأنّه تجهيزٌ للـرّأى العامِ الإسلامي وتحضيرٌ للجالياتِ الإسلامية فى فرنسا ليتهيّأ الجميعُ لاسْتِسَاغَة تشريعٍ خاصٍّ يقضِى بحَظْرِ ارتداءِ الحجابِ، وتجريمِ مُستخدمَتَهُ، وقد وَقَعَ بالفعْل بعد أن أعلَن وزير الخارجيةِ الفرنسيِّ فى حُكومةِ رافارين (دومينيك دو فيلبان) صُدور القـانون المَشؤم الذى يُجبرُ المُسلماتِ علَى التّبرُّج وإظهارِ الزّينة إكْرَاهاً، وقد بَدَأَ العمـلُ بـه فوْرَ الإعلانِ عنهُ فى وسائلِ الإعلامِ الفرنسى فى ١٢ / ٢٠٠٤(١)، وقد تبايَنَـت رُدودُ الأفعالِ العربيّة والإسلاميّة بين مُؤيِّدٍ ومعارضٍ، ورَافَضٍ وساخطٍ، وفعَلَت فرنسا مـا شائَت وتجمّدت المواقفُ والإنفعالاتُ والمطالبُ والتحفُّظات العربيةُ والإسـلاميةُ فـى ثلاّجة الحفظ كالعادة.

وقد أظهرَ استطلاعٌ للرّأى نُشرت نتائجُه فى يوم صُدور القانون المشؤم، ارتفـاعَ شعبيةِ الرئيس الفرنسى **{ جاك شيراك }** بنسبةِ ثمانى نقاطٍ بَعد كسْب أصـواتاً جديـدةً من مُؤيِّدى اليمين المُتشدِّد إثرَ دعوته لحظْرِ الرُّموز الدّينية " الظّاهرة " فى إشارةٍ إلى الحجاب.

إنّها كذلك فرنسا التى أطْلَقَ فيها نائبٌ فى الجمعية الوطنيـة دعوتَـه المُطالبـة بالعَودةِ إلى العمَل بمُوجَب قانون يعُودُ للقَرْن التّاسعِ عشر فى فرنسا، يدعُو إلى منـعِ النِّساءِ ارتداءَ البنطلونات بإعتبارِها من ملابسِ الرِّجال التقليديّة، ويدعُو القانُونُ الـذى

---

(١) وكالات الأنباء والصُّحف والإذاعات العالمية والفضائيات

رَسْمِيٍّ إلى أقرب مرْكزِ للشُّرطةِ من أجلِ الحُصولِ علَى تصريحٍ رسْمِي بذلك.

وهذا يا سادة هو منطق العلمانيّة المعكُوس الذى يدعُو إلـى إطـلاقِ الـشّهواتِ البهيمية، وأصحابُهُ العلمانيُّون يُريدُون للمـرأةِ أن لا تـستَتر، وأن تُظهـر مفاتنَهـا، وتكشفَ عن ساقَيْها لإبرازِ خُصوصية أُنوثتها باعتبارِها فرَاشاً ومَتَاعا للنّاظرينَ، ومن هُنا صارَ من المُتعَيّن علَى المرأةِ بمُـوجَبِ الدّعوة **الهـيجُونيّة** أن ترتـدى القَصيرَ، وأن تُظهرَ للنّاسِ مفاتنَها، وتُحدِّد ملامحَها من أخمُصِ القَدَمِ حتى شَعْرِ الرّأس.

وفى برُوكسل طالَبَ وزيرُ الخارجيةِ البلجيكـيِّ (باتريـك ديوايـل) الحكُومـةَ باستصدارِ تشْريعٍ مُماثِلٍ يقضى بحظرِ ارتداءِ الحجابِ فى بـلاده، أُسْـوة بالمـشروع الفرنسيِّ الجبّارِ فى تضْييقِ الخناقِ علَى المُسلمين وحصْرِهم، وإجبارِ نـسائهم علـى التّبرُّج.

ولا عَجَبَ أن تدّعى فرنسا صداقةَ العرب، وأن تُعلن عن تبنِّى قضاياهُم والـدِّفاع عنها، أو أن تتشدّقَ بملءِ الفَمِ عن حُبِّها للعرَبِ، ووَلَهِهَا بثقافَتِهم وعشقها لحـضارَتِهم، وقد أكلناهُ وشربناهُ، وهو فى جوْهَرِه لا يتعدّى أن يكـون دَوْراً مـن جُملـة الأدْوَار، ومُهمّةً من المَهَامِ التى تُبرزُ حقيقةَ استمرار الحُروبِ الصّليبية الطويلَـةِ والمـستمرّةِ عَلَى الدِّيارِ الإسلامية، كما يُبرهنُ عن استحقاقٍ وبجدارَةٍ عَلَى الإجمـاعِ والاجتمـاعِ الصُّهيونيِّ الصّليبيِّ ضِدّ الإسلامِ والمُسلمين.

ووسَطَ الدُّخَانِ الكَثيفِ الذى يُعتِم سماءَ الشرقِ، جائت دعوةُ الـرئيس الفرنـسيِّ شيراك لثلاثةٍ من الصّحَفيين الإسرائيليين للالتقاءِ بهم فى باريس؛ خيرُ شاهد على مـا نقُولُ، حيثُ قَابَلَ الثّلاثةَ فى القصْرِ الرِّئاسى بمُوجَبِ دعْوَةٍ خاصّة منه لبحـثِ مـسألة مُعاداتِ السّامية بحسْبِ ما أُعلِن هُناك، وبَعْدَ ذلك قابلَهُم رَئـيسُ الـوزراءِ الفرنـسيِّ رافارين وعددٌ من أفرادِ حُكُومته خاصةً وزيرَي العدلِ (دُومينيك بيرين) والداخليـة (نيكولاى ساركوزى ــ اليمينيُّ المُتصَهْينُ ــ مُرَشّح الرئاسةِ الفرنسية)، بينما تـأتى هذه الزيارةُ ضمن البروتُوكولاتِ المُتعارَفِ عليها بيْنَ فَرنسا والكيانِ الصّهيونيِّ ، وقد كان ذلك قبْلَ زيارةِ رئيس الدّولة العبريّة (مُوشى كاسـاف) لبـاريس فـى فبرايـر ٢٠٠٤م. وهو المفضُوحُ فى قضايا تحَـرُّشٍ جنـسيٍّ بمُوظّفـاتِ مكْتَبِـه، وغيـرهنّ واختلاسات، وتزْويرَاتٍ فى الكيان الذى يترأّسُه.

(٣١٨)

وفى الشّرق الفرنسيّ، أغْلَقَ المدرِّسُون مَدْرَسَةً تابعةً للدّولةِ فـي استراتسبُورج احتجاجاً على إصرارِ تلميذةٍ علَى ارتداءِ الحجابِ فى الفصْل.

وفى المدرسةِ الواقعَةِ فى { تان } بالقُربِ من الحُدودِ مع ألمانيا وسويسرا شَكَا المدرِّسُون من أنّ الفَتَاةَ التى تبلغُ من العُمر ١١ عاما، وتنحدرُ من أُصُولٍ تُركيةٍ كان قد سُمح لها بالحضُور إلى المدرسة وهى تَضَعُ منديلاً صَغيراً علَى رأسِها، ولكنّها خالَفَت بعد ذلك الاتّفاقَ الودِّى الذى تُنكرهُ بل وتُجرِّمه القوانينُ سَيِّئَةُ السُّمعةِ فى فَرَنْسَا التى تزعُم بأنّها الأمُّ الشَّرعيةُ للحريّات والعدلِ والمُساواة، وتَتَفاخَرُ بأنّها معمـلُ تفريخِ القوانينِ والدّساتيرِ التى تَحْكُمُ بها الأنظمةُ الحاكمةُ (الحكوماتُ) شُعُوبَ العالَمِ فى ظلِّ غيبُوبةٍ تامّةٍ للمُسلمينَ، وتَغْييبٍ كاملٍ لدين الله إلاّ من رَحِمَ ربى، وكانت الفتاةُ قد انتَقَلَت إلى المدرسة فى فبراير ٢٠٠٤ بَعْدَ أن طُردت مِن مدرسةٍ أُخْرَى لرفْضِها خَلْعَ غطاءِ الرّأس (الحجاب).

وقد جاءت هذه الزيارة وسطَ رُكام الأحداثِ وزخم التّوتُّرَاتِ التى سادت العلاقاتِ بين الأَقليّةِ المُسلمَةِ الفرنسيّةِ الجنْسيةِ والجالياتِ الإسلاميةِ المُقيمةِ فى فرنسا من جهةٍ وبينَ الحكُومَةِ الفرنسيّةِ العازمةِ علَى تنفيذِ القانونِ الجديدِ بشأنِ الحجابِ مِن الجهَةِ الأخْرى، وكأنّ الضّغطَ على رقابِ المسلمين والتّضييق، علـيهم هو هديّة فرنسا العَلْمانية للضّيفِ الصُّهيونى الذى لم يسبقْهُ مثيلُهُ لزيارةِ باريس منذ عام ١٩٨٨.، وعلَى العربِ والمُسلمين تَتَعيّنُ القراءة الجيِّدة للأحداث، واستيعابِ الدُّروس، واستخلاصِ النتائج.

وتُؤكّدُ الشّواهدُ إلى أنّ فرنسا تُعانى فى الوقْتِ الرّاهنِ، ومن قبل بوقتٍ قليلٍ ازدياداً وتنامياً ملحوظاً فى حدّةِ التوتُّراتِ بين المُواطنينَ الفرنسيِّينَ المُسلمين والجالياتِ الإسلاميةِ والأغلَبيةِ الفرنسيةِ من غيرِ المُسلمين، بسبَبِ قضايا العُنصريةِ البغيضَةِ التى يُعانى منها المجتمعُ الفرنسى الذى يُفرِّق بين المُواطنة والدِّيانة، وبالاختصارِ الشّديدِ أن يرفُض الفرنسيُّون الفرنْسىَّ المُسلمَ باعتبارِهِ غير فرنْسىٍّ، وذلك لأنّهم لا يُؤمنُونَ ولا يقولُون بوجُود فرنسى مُسلم، وعلَى ذلك يربطُون بين المُسلم وبين العُنف والكراهيةِ، وعُموماً بين الإرهابِ والإسلامِ.

بينما يجدُ المسلمون عَنَتاً شديداً بسببِ ذلك، خاصّة عند مُحاولاتهم التأكيدَ علَى أنّ المُواطن يُمكنُ أن يكُون مُسلماً، وفى الوقت ذاته يكون فرنسيّاً، وذلك ما ذكَرَتْهُ الباحثةُ (چاكلين كوستا لاسكو) الباحثة فى معْهَدِ العُلُـوم الـسياسيةِ الفرنـسيِّ ومُستـشارة الحكُومة.

وقد قُوبل قرارُ الحكُومة الفرنسية بشأنِ الحجابِ بردّة فعلٍ مُتفاوتةَ ومُتباينَةٍ مـن عُلماءِ الدين الإسلامى، حيث كان رأى شيْخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى فـى مُقدمة الآراء التى أباحَت تنفيذَ القانُون الفرنسيّ والتّخَلّى عن الحجابِ للضّرورة نُزُولاً على سُلطان الحاكمِ، ودَرْءاً للمفاسد، وقُوبلَ هذا الرّأى فى مصرَ وفى غيرها بمَوْجَـةٍ شديدةٍ من الاستهجانِ والاستنكارِ، من قِبَلِ كثيرٍ من عُلماء الأزهر الكبارِ وجميعُهم فى دَرَجَةٍ علْمية لا تَقلُّ بحالٍ عن تلك التى علَيها درجة الدكتور طنطاوى (الشّيخ).

ولستُ أدرى؛ أغابَ عن الأذهان قوله تعالى ﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـات يَغْضُـضْنَ مِـنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُـرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَاءِهِنَّ .... الآيـة** ﴾ [النور: ٣١] أمْ أنّهُ الشّئُ لزوم الشّئ ؟؟؟، إنّ الآيةَ نصٌّ صريحٌ، فيها تشريفٌ عظيمٌ لشأنِ الحجابِ، أو هو الخمار، (وبالبلدى) يا سادة ""غطاءُ الرّأس""، ثُمّ أوَ لَمْ يقـرأوا قولَـهُ تعـالى ﴿ **أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِى الأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾ (النِّساء: ٥٩)، وهل لَم يَطّلعُـوا علَى تفْسيرِ الآيةِ الكريمة التى تقضى بطاعةِ الله تباركَ وتعالَى فيمـا أنـزَلَ بالجُملـةِ وبالتّطبيقِ الأمين لسنّة النّبى الأمين ﷺ على كيفيّتها، وعلَى الاطلاق لما قـال تَعَـالَى ﴿ **ومَا ءاتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُواْ** ﴾ { الحـشر: ٧ } غيـرَ أنّ اللهَ تباركَ وتَعَالَى بيّن فى الآيةِ الكريمةِ أنّ طاعةَ وَلِيِّ الأمر ليسَت علَى الإطلاق، وإنّمـا هى مُعلّقَةٌ علَى شرْطٍ يجبُ التّحقُّق منه قبلَ الاقدامِ عَلَى طاعةِ الحاكمِ، لأنّ الله تعـالى لم يقُل فى الآيةِ الكريمةِ وأطيعُوا أُولى الأمْرِ عَطْفاً على مُسبق قوْلـه، وبالاختـصارِ الشّديد فإنّ الحَاكمَ إن كانَ فى طاعةِ الله ورسُوله وجبَت طاعته، وإن كان علَى غيـرِ ذلك فلا طَاعَةَ لمخلُوقٍ فى معصيةِ الخَالقِ، إذ الجميعُ فى حُدودِ الله أمـامَ الله تعـالَى سواء.

وقد شهد الموضوعُ ذاتَه حالاتٍ من المدِّ والجذرِ، حتى خَفّت حدّته، وتوارَت سيرتُه، وكعادتنا فى المُجتمعات الاسلامية والعربية التى تُغَلِّب الانفعالات العاطفيّة علَى التفكيرِ العلْميِّ السّليم، فقد تم تكفينُ المُشكلةِ ودفْنها، ووَضعْها فى ثلاجة التّبريد، وبَدَيْنَا عاجزين عن مجرّد إيصالِ رَفْضِنا للقرارِ الفرنسيِّ، أو التعْبيرِ عن رفْضه بمُوجب قرار مُماثلٍ من مُنظمة المُؤتمر الإسلاميِّ أو جامعةِ الدول العربيةِ، أو التّنظيمات المُماثلة فى عالمنا الاسلامي ومَا أكثرها.

وبيْنَ المدِّ والجذْرِ بين فرنسيٍّ يرَى فرنْسيَّتَهُ شَرَفاً هو عليه أعزُّ وأرفَعُ من أن ينتسبَ إليه مُسلم، وبين مُسلمٍ مُسالمٍ يتعيّن عليه البَرْهَنَةُ العَمَليةُ النّافيةُ على الإطلاق لكونْه إرهابياً، لَعبَت أصابعُ الفتْنَة بَيْنَ الطّرفين فأحْرَقَ الفرنسيُّون مساجد المُسلمينَ وانتقلَت نارُ الكراهيةِ للمُسلمين إلى الشّرق الفرنسي الذى يقطُنُهُ غالبيةُ الجاليةُ المُسلمةُ، وأضْرَمَ اليَمينيُّونَ الفرنسيون النارَ فى أكبرِ مساجدِ مدينت {**سينود، وآنسى**}، وكعادتَهم خَرَجَ المسلمُون فى مُظاهراتٍ سلمية احتجاجاً علَى ما يُمارَسُ ضدّهم من أعمالِ العُنف والقهْر والاضطهاد، وهم لا يملُكُون ولا يقدرُونَ لا على الدِّفاع عن مُقدساتهم ومُمتلكاتهم فحسْب، بل لايقدرونَ حتى علَى درْءِ المخاطرِ عن أنفُسهم أو علَى الأقلِّ التّعبيرَ عن أنفُسِهم من خلالِ القَنواتِ الدبلوماسية فى بلدٍ يُروِّجُ أنّه بلدُ العلمِ والنُّورِ والحُرِّيات والدُّستور.

والثّابت أنّ الحكومةَ الفرنسيةَ معْنيةٌ تَمَاماً بتوْفيرِ الحمايةِ ، وفرْضِ الحِراسةِ المشدّدةِ عَلَى المَعَابدِ اليهُوديّة لحمايَتها ممّا يقُولُون عنهُ الإرهابُ الإسلاميِّ، وهى لا تهْتَمُّ من قريبٍ أو بعيدٍ بالمساجدِ الإسلامية، وبهذا السُّلوكُ أكدّت فرَنْسَا من جديدٍ علَى كذبِ ادعاءاتها بأنّها بلادُ الحقُوقِ والحُرِّيات ، المُتفرِّدة بصيانتهما، وهى كذلك قد بَرَزَت بوجْهها القبيح لتُؤَكِّد على ريادَتها فى مَجَالِ التفرقةِ العُنصريةِ بسببِ اللّون، والجنْسِ، والدين ، وهو السُّلوك الذى يدْحضُ شعاراتهم البرّاقة (الحرية ــ الإخاء ــ المساواة) كما يؤكِّد وبجدَارةٍ علَى أنّ الكُفر كُلُّه ملّة واحدة .

أمّا نحنُ المُسلمين ، فإنّنا اكتفَيْنا بصَبِّ اللّعنات على بعضنا البعض، وتفرّغْنَا لكَيْلِ الاتّهامات، وأجَدْنا رَمْيَ إخوةِ ديننا وبنى جلدتنا بالإرهابِ والقذْفَ بالتطرُّف، وعجزْنَا جميعاً عن اتخاذِ موقفٍ موحّد أمامِ الحكُومة الفرنسيّةِ، تماماً كما وضَعْنَاعن

(٣٢١)

استحقاق أنفُسَنَا فى الثّلاجات الكبيرة وقْتَ أن أباد الصِّربُ المُسلمينَ فى البُوسْنَة والهرْسك، وعندَما أحْرَق الرُّوسُ الشِّيشَانَ ودمّروها على شعبها المُسلم، ثم اكتَفَيْنَا بمَصْمَصَةِ الشِّفَاهِ علَى الجارى فى العراق من هتْك لأعْرَاضِ نسائه، وتحريقٍ لأرضه، وإبادةٍ لشعْبِه، ثم اكْتَفَيْنا جميعاً بمُشاهَدَةِ العَدُوِّ الإسرائيلى وهو ينسفُ قطاعَ غزّة من البَحْرِ والجَوِّ، ويدكُّ الضفّة الغربية بآلياته ومُجنزرَاته، وهو يحُولُ دُون إنقاذِ الجَرْحَى والمُصابين بنسْف سيّاراتِ الإسعاف، ويَمْنَعُ انتشالَ قَتْلَى أعماله الهَمَجية، وهو حريصٌ على أن يُخَلِّى بينهُم وبيْنَ الكلابِ الضالّة، ثمّ هُم يهتكُون العرْضَ، ويحرقُون الأرضَ، ويدمِّرون البيوتَ علَى مَن فيها من غير هوادَة، وبدَعْم دولىٍّ، ومُساندَة أورُوبية بقيادَةٍ أمريكيّةٍ صريحَة؛ استخدمت حقَّ النقض ***الفيتو*** فى مجلسِ الأمْن أثناءَ انعقاده مطلعَ يوليو ٢٠٠٦ فى محاولةٍ لمُجَرّد إصدار قرارٍ يدعُو إسرائيل للوقف الفورىِّ لإطلاق النّار على الجَبْهَةِ اللبنانية دُون أن يتحدّث عن إدانَتها بعد أن بَدَأَت اسرائيلُ حربَهَا علَى لبنان، فدمّرت بنيتَه الأساسية من طُرُقٍ، ومَطَاراتٍ، ومستشفياتٍ، ومراكز قيادية، ومحطّاتِ الكهرباء، ومحطّاتِ الإرسالِ الإذاعىِّ والتليفزيونىِّ، ومحطّاتِ تحليةِ المياه وتنقيَتها أىْ فى الجُملة إحراقَ لبنان وتدميرَه، ثُمّ فَرَضَ العَدُوُّ الصُّهيونى حصَاراً شاملاً عليه مُنذ ١٢/ ٧ / ٢٠٠٦ ولمُدّةٍ تُدانى الشّهر والثُّلث، وقد وصلت إلى اللبنانيِّين من إخوانهم العَرَب بعضُ الأدوية وبرْقياتٌ المساندة (نُساندُكم فى محنتكُم ، ونشاطرُكم الأحزان) مصحوبة ببعض المُعلّبات من المربّات والعَصائر، ولُفافات القُطن الطبِّى، والميكروكروم، وشرائط المُضادّات الحيوية، بينما تسلّم الإسرائيليون قَبْل، وأثْنَاءَ، وبَعْدَ الحرْبِ من أمريكا مئات الأطنانِ من القنابلِ المُوجّهة باللّيزر وبالأقمارِ الصنّاعية، لاستخدامها إذا ما اتّسعت رُقعةُ العُدوانِ الإسرائيلىِّ وامتدّت الحربُ على لبنانَ وفلسطين لتطالَ مناطقَ أُخْرَى فى العُمقِ العربىِّ مثل سُوريا أومصر، وفى البطْن الإسلامى المُستهدف مثل { إيرانَ } تحتَ غطاءٍ تُسمِّيه أمريكا وحلفاؤُها ومن خَلْفهم الأمَمُ المتحدة "" الأمريكية "" الحرب الإستباقية، فضلاً عن مئات الملايين من الدولارات لتعْويضِ الإسرائيليينَ المُتضرِّرينَ فى الشَمالِ الإسرائيلىِّ، والنّازحين منه، وكذلك للإسراعِ فى بناءِ مُستوطنات يهوديةٍ أكثر أمْنا فى هَضَبَةِ الجُولانِ السُّورية المُحتلة فى ظلِّ انشغال السُّوريين بالدِّفاعِ عن

أنفُسهِم، ومحاولة نفى التُّهّم المُوَجّهة إليهم مِن قِبَلِ الولايات والأمم المتحـــدة وزبانيـــة جهنم من سماسرة الحروب والسلاح بشأنِ مقْتلِ رئـــيس الـــوزراءِ اللبنـــانيِّ الـــسّابقِ (رفيق الحريرى)

ولا عزاء لكم جميعا

(٢٢٣)

ثالثَاً: الأوراقُ المخلُوطَة

✱ أ _ الكلابُ فوْقَ القمّة:

إلى جانبِ تفشّى الأمراضِ الاجتماعيةِ والأخلاقية، وانتشارِ العلَل السلُوكية وما صاحَبَها مِن همجية وفوضويةٍ فى شتّى مناحى الحياة فى مُجتمعاتنا الإسلامية المُعتلّة.

باتت أرضُنا الطيِّبة وكأنّها معْمَلُ أبحاث، وميدانُ تجاربَ عملية للأسلحة الذّكية والغبيّة علَى السّواء، وأضحَت سماؤُه تعيشُ تحت مظلّة الصّواريخ الأمريكية التى تُحيط به من المحيط إلى المُحيط، ثُمّ أصبْحَت بلادُنا وهى أرضٌ خصبةٌ للأفكارِ الشاذّة والخَبيثَة التى تُناهضُ العقيدةَ الإسلاميةَ، وقد أضْحَت تنطلقُ انطلاقاً حادّاً وسريعاً فى أوْسَاطِ مُجتمعَاتنا المُعتلّة، عند بنى جِلدَتِنا ممّن زُعزِعت عقيدتُهم، وتصدّعت مبادئُهم، وتوارَت أخلاقُهم.

ولا تعجب مِن قولى فالعجبُ فى قولِهم الذى أعلنته صُحُف (دُبَىّ) نقلاً عن وكالة رويترز للأنباء فى مارس ٢٠٠٤ أثناء انشغالنا بالذِّكْرى التراجيدية الدراماتيكية الأولى للإحتلال الأمريكيِّ للعراقِ، ومفادُ الخَبَرِ أنّ خَبيراً دَوْليّاً فى الحيوانات الأليفَة يسْعَى إلى زيادة اهتمامِ الُدول العرَبية بترْبيةِ القطَط والكلاب، مُعتَبراً أنّ تلكَ الحيواناتِ خيرُ صديقٍ ومُعين للإنسانِ يُمكن أن يقدِّم الفوائد الصِّحية، وفى أبو ظبى وبعْضٍ من الإماراتِ الخليجيّةِ تباعاً أكّد "خَبيرُ الكِلاب" على ضرُورة تصْحيحِ المفاهيمِ السائدةِ فى العالمِ العربيِّ عن هذه الحيواناتِ الأليفة، مُؤكِّداً على وجُوب ترْبيَتها، ورعايتها نفْسيا وصحِّيّاً واجتماعياً، علَى رغْمِ الحالةِ الماديةِ الصّعبةِ التى تُعانى منها المُجتمعات العربية.

فالحاصل أنّ هذا الكَلْبَ النُّموذَجيّ " المترَبى " علَى الفضيلة، لا يُزاحِمُ الإنسانَ فى شىءٍ، ولا يُضايقُه فى آخَر، حيثُ تجد الإنسانَ الذى يستخدم المُواصلات العامّة فى كُبرياتِ العواصمِ والمُدُنِ العربيةِ والإسلامية محْشوراً فى سيّاراتِ الرُّكّاب، فيما يُشبهُ السّردين المُعلّب، وهو لأجلِ ذلك لا يتمكّن من الرُّكوب إلا بَعْدَ قطْعِ مسافَةٍ طويلةٍ من الجَرْى خلف تلك المُواصلات، وعند نُزُولِه منها يجب أن يكون بهْلَواناً رَشيقَاً يُجيدُ ألعابَ الهواء والتّزحلُق على الماء، فالسائقُون لا يتوقّفُون لأحدٍ صُعوداً أو نُزولاً لِصَغيرٍ أو كَبيرٍ، رَجُل أو امرأة ، مُجاراةً منْهُم لِعَصْرِ السُّرْعَة.

أمّا الباشكلْبُ ابن الكَلْبِ فإنّ مَعَاليه أرْفَعُ شَرَفَاً من مُزاحَمَةِ الغَلابَةِ فى علَبِ السّردين، لأنّه لا ولَم ولن يركبها، فهو يجلس مُنفردا على الأريكةِ الخلْفِيةِ فى السّيارات الفارهة، التى يقودُونَها سائقون من حملَة المُؤهّلات العُليا ذوى المُواصفات الخاصّة ممن يتّسمون بالوَسَامَةِ ويُجيدون إحْدى اللُّغات الأجنبية إلى جانب الأناقَة وحُسن المظهر، وقد يقودُ أو تقودُ السّيّارة زوْجة أو ابنة سَفير، أو وزير، أو مشاهير المُجتمع، أو رجُلٌ يبدُو أنّه مُحتَرَمٌ جداً ذو مَرْكزٍ مرمُوقٍ أو حسّاس، ومن الطبيعيِّ أن يتنقّل الكلْبُ باشَا فى دهاليزِ السّيارةِ الفارهَة، فيجلسُ إلى جوارِ سائقه، فيُصبْحُ " السائق بك " فى وضْعٍ لا يُمكِّنهُ من القيادة بسَببِ انْصرافه إلى مُداعبة الكلْبِ وتطْييبِ خاطره، وهو بيْنَ هذا وذاك يُشرفُ من شُرفة السيّارة علَى النّاس برأْسه، ينظُر إليهم بعيْنَيْنِ زائغَتَيْنِ مُتَهَكِّماً من حالهم، وسُرعان ما يُخرجُ لسانَهُ الطّويلُ وهو ينظُرُ إلى الواقفينَ علَى محطّات الأتوبيس تلفَحُهم الشّمس، أو يستحمُّون إكرَاهَاً تحتَ الأمطار، فيُخْرِج لسانَهُ للجميعِ فى تحدٍّ صارخٍ لمشاعرِهم ثم ينْبَحُ عليهم وكأنّه يبصقُ فى وجُوههم ويسُبّهم، وهم ينظرُون إليه غيْظَاً أوْ اشمئْزَازَاً وربّما حَسَداً فى أحيانٍ كثيرة، ولِمَ لا وهُم يختنقُونَ من الزِّحامِ والرّوائحِ الكريهةِ، والعرَقِ فى مخْمَصَةِ اختلاطِ الرِّجال بالنساء، والتصَاقِ أجسام الجميعِ بلا فَواصلَ أو ضوابط تحت ضَغْطَ الزّحْمَة، ثم يمتزجُ الحابِلُ بالنّابلِ، فتعُمُّ الفوْضى ويكثرُ النّشلُ، وتسُودُ المُضايقاتُ، والسِّرقَةُ بالإكراه.

وقد يحدثُ أن يُصابُ الإنسانُ بنوْبَةٍ من الصُّداع أو الإغماء، أو بنَوْبَةٍ من المَغَص، فيتوجّه مُباشَرَةً إلى الصّيدلية ليشْرَحَ حالَتَهُ إلى بائعِ الأدْويةِ الذى هو فى الغالبِ لا يحْملُ مؤهّلا سوى المُتوسِّط أو الأَقَلّ منه، فيصفُ البائعُ للمتعُوسِ الدّوَاءَ السِّحريّ ببَرَكَةِ دُعاء الوالدَين. "'وَيا صابت يا خابت ""، وما ذلك غير انعكاسٍ حقيقيٍّ للظُّرُوف الاقتصادية، وكثير ما يُفضى هذا التصرُّف البدائيِّ إلى أمراضٍ أشدّ خُطورَةٍ مثل الإدمان، أو الفَشَلِ الكُلوى، أو إصابات الكَبد الفيروسية.

أمّا الكلبُ ابن الباش كلب "إيّاه" فإنّ له بطاقة صحِّية لدَىَ طَبيبٍ بيطَريٍّ بدرَجة دكْتوراه، يُتابعُ حالتَه المزاجيةَ، والصِّحيةَ، والسُّلوكيةَ، والغذائيةَ أوّلاً بأوّلَ، حيثُ له كَمِّية مُحدّدة من الّلحُومِ الحَمْراءَ يوميا، لا تنقُص عن مقدارها المعْرُوف لكنّها قد تزيد،

كما أنّ له كَميةً وافيةً من الّلبنِ والبيْض، ونصيبٌ من الخُبْزِ الفـاخرِ، بينمـا يُـشرف مستشارُون كبارٌ علَي صحّته الجنسية والإنجابيَة بما فيها فُحوصَات ما قبلَ الـزّواج، ويُشرفُون علَى مراسمِ زواجه، ويسجّلُون بالكاميرات لقاءاته الزّوجيـة، ثـم يتـابعُون الحمْلَ حتى إتمام عملِيّة الولادة، إلى أن يأتى وليُّ العهْد إلى الدُّنيا فيملؤها سعادةً بعـد أن مُلئت قسْوة، ولا تنتهى المُتابعَةُ بانتهاءِ المَوْلُود السّعيد، بل تمتدُّ لرعايـة الأمّهـات المُرضعَات، ولا بأْس من وجُود مجلس طبىٍّ خـاصٍ ينعقـدُ لرعايـة الكلْبـة هـانم ومولودها السّعيد.

وكثيرٌ مايُصابُ الإنسانُ بالزّهقانِ والاختناق، فإذا ما أرادَ الخُروجَ من حالة اعتلال المزاجِ وفترات التّوتُّر التى ألمّت به، وهى محورُ حياته فَعَلَيْه أن يبحث أوّلاً عن مَخْرَج، فلربّما ينجَحُ به فى تصويبِ الخَطَأ واعتدالِ الصُّورة، وإصلاحِ البال، ولكنّه ليس بوُسعه غير التّقْليب فى قَنَوات التليفزيون، وهى الشىءُ الوحيد المُباحُ والمتاحُ قهراً وقسراً، فلربّما وَجَدَ مشهداً فُكاهيّاً يضحَك عليه للحظات، غير أنّه يُصاب غمّا علَى غمٍّ، ويزدادُ أرفاً على أرَف، خاصة عند سماعه نَشَرات الأخبار التى تضحكُ علَى الجميعِ، وياحبّذا عندما ينقطِعُ الخبرُ ليجدَ المُغنيّات يُغنِّينَ عليه للإتصال بأداة النّصب إياها (٠٩٠٠)، فيهربُ إلى قناة أُخْرى ليجدَ الرّاقصات الماجنات العاريات، والمغنِّيَات العاهرات صاحابات (حبّْ الوَاوَا، بُوسْ الوَاوَا، خلِّى الوَاوَا تصحْ ......!!!! أنا من دونك أنا بردانه أ .....، ثم يأتيه إعلانٌ عن فيلاّ فى المُجتمعات الجديدة، ويسأله المذيعُ.... نفسك فيها .. ويلاطفه قائلا ممكن تشتريها.... " طَبْ ازّاىْ!!! " وهذا وذاك من مُسبِّبَات الإصابة بمرَض ضَغْط الدّم المُرتفع، وهو مَرَضٌ لا يُصيبُ إلاّ مَن عندَهُ دَمٌ ويأبَى العيشَ فى الثّلاجات، وهو مرضٌ عصريٌّ، عَصبيٌّ، مزاجيٌّ، عُضويٌّ يرتبطُ بشدة بحالات اعتلال المزاجِ، وانتشارِ الآفات فى مُجتمعاتنا المُعتلّة.

أما هذا الكلبُ المُحترَم فإنّه محظوظٌ للغاية، فالجميلةُ الفاتنةُ تصحبهُ ساعَة العصارِى تتمشّى إلى جوارِه تارَةً، وتحملهُ علَى صدْرها، وهى تضمُّه إلى قلْبها أُخرى، فتُقَبِّله فى فَمه، وتخطُبُ وُدّه ورضاءَه، فتداعبُه بنُعومَة أصابعها وطرَاوَة شفتَيْها، وهما يستنـشقانِ معاً هواءَ العصارِى علَى شواطئنا السّاحرة، يرنُوان معاً إلى

شمْسِ الأصيلِ " ياليل "، حتى تمنّى مَن رآهُما حسداً مِن عند أنفسِهم أنْ لَوْ كانوا كِلابا أولاد كلاب.

ولِمَ لا وقد أصابت هذا الإنسانُ أنيميا الفُول ومُشتقّاته، واكتفَى من اللّحم برائحَةِ شوائه المُنبعثة من فلسطين، والعراق، ولبنان، وامْتَنَعَ عليه اللّبنُ ومُشْتَقّاتُهُ بعد أن أصابت ثرْوتَــنا الحيوانــيّةُ الحُمّى القُلاّعية، والتهابُ الجلْد العنقُوديّ الوبائى، ودُمِّرت الثّروةُ الدّاجنة بسببِ ما قِيل انفلوانزا الطّيور، هذا غير التهام الأسعار لمُجْمَلِ دُخُول الأفراد، واتّساع الفَجْوة بين المواردِ والإنفاق، حتّى أكَلَ عادلُ " الزّلط " بعد ما كان يُقال أنّه يشربُ " اللبنَ ".

كمَا أنّ الإنسانَ صَارَ من المُتعيّنِ عليه أن يعيشَ حياتَهُ الاجتماعية، وأن يمارسَ أَخَصَّ أسرارِه الأُسرية فى مسْكَنه تحتَ (بئْر السُّلّم) أو عَلَى الأرصفة، سماؤُهُ بطانيّة مُهلْهَلَة، وهى منازِلُ مُتحرِّكةٌ لكثيرٍ من بنى البَشَرِ الأقلّ رُتبة من الكلابِ إيّاها، أو فى المقابرِ، حيث يرَى المَيِّتُ ما حولَهُ ومَن حولَهُ، والأحياءُ فى نشْوة اللّحَظَات ومُتعة اللّقاءات وهو لا "يتنحنح"، والتى سُرعانَ ما يندَمُون عليها أشدّ النّدم مَعَ امتلاء البُطُونِ إيذَاناً بقدُومِ أُناسٍ آخرينَ إلى دُنيا المنحُوسين، حيثُ سينضمُّونَ بَعد شُهورٍ قليلَةٍ إلى طابورِ المُتسوّلين أو النشّالين، أوْ أندية القمار وأوكارِ الشّواذ، وبالتّالى فلسوْفَ تظْهَرُ آفاتٌ اجتماعيةٌ، وصحيّةٌ، وسُلوكيةٌ، وأخلاقيةٌ جديدة، ومُتطوّرَة بُنُموِّ وتطوُّر الوافدين الجُدُد.

أمّا هذا الكلبُ فإنّه يعيشُ حياةً اجتماعيةً صَحيحَةً وسليمةً، وذلك لأنّه يُمارسُ حياتَه وخُصوصياتَه فى سعادةٍ تامة، ولذّةٍ هانئة، من غير مُعاناةٍ أوْ شائبَة، أوْ تخوُّفٍ أوْ تحرُّج، بينَمَا أصدقاؤُهُ من البشرِ القائمُون علَى خدمته يُجْرون له التحاليلَ اللاّزمَةَ، ويُقَدِّمُونَ لهُ التّغذيةَ الأساسيةَ لأجلِ سلامته، والحفاظ علَى صحتّه، وتحْسين سُلالَته، حتى يأتى إلى الدُّنيا من ظَهْرِه كلبٌ نافع يُنَفِّذ بدقّة الأعمالَ المطلُوبة منهُ، ويُنجز ما يُسنَد إليه من مهامٍ، حتى فى أدقِّ الأسرارِ التى تعلَمُها صديقاتُ الكلاب.

تلكَ هى مُجتمعاتُ الكلابِ المُنتجة، التى يُباع صغيرُها بالمئات من الدولارات لتستمر بهم الأيامُ فى لين عيش وترَف حياةٍ يعيشونَهَا بالطول والعرض" **والنّاس نايمين ع الأرض**"حتى بدَتِ الأمورُ، وكأنّ العاقلَ وحدهُ علَيه أن يتقدّم بالشُّكر لكُلِّ مَن

يسبُّهُ بمقولة ""يابن الكلب"" ، لأنَّه قِياساً علَى ما تقدّم يُصبحُ للإنسانِ كُلّ الفَخْرِ عندمَا تسبُّه بقولِك له يا ابن الكلبِ، وإن كان فى ذلك مُنتهى التّحقِيرُ للكلبِ.

ياسادَة هل سمعتم عن كلبٍ من هذهِ الكلابِ أُصيبَ بمرضِ السُّكّرِ، أو بضَغْطِ الدّمِ المُرتفعِ، أو الشّلل الرّعّاش، أو أنيميا الفُول، أو بالسّكتة القلبية أو المُخيّة، أو بمرَضٍ نفسيٍّ مثل اعتلال المزاجِ.

إذا كانت تلك الدّعوة المثاليةُ الجديدةُ للإهتمامِ بتَرْبية القطط والكلابِ قد انطلقت علَى أرضِنا الطّيِّبة فى عالمنا العربيِّ، وهى تعبيرٌ صادقٌ للغزْوِ الثّقافيِّ الغربيِّ الشّاذ الرّامى إلى التّأكيد علَى أنّ هذه الصّناعة الخلاّقة { تربية القطط والكلاب } ذات الجدْوى الاقتصادية الكبيرةِ، هى أنفعُ وأجْدَى من إقامَةِ مصَانعِ الصُّلب، والتّعدينِ، والصناعاتِ الثّقيلة فى مُجملِها، وتَظَلُّ وهى الأجْدَى من مصانعِ السُّكر، والأغذية، والملابس التى قتلتها المُنافسة الصِّينية، وهى الأهمُّ من زراعةِ الأرضِ وتربيةِ الحيواناتِ النّافعَة، إنّما انطَلَقَت لتَحلّ تربيةُ القططِ محلّ تربية البقَرِ والجامُوس، والكِلاب محلّ الماعزِ والضّأن، فلا بأسَ من تربيةِ القطط والكلاب، وتصديرها للحصُولِ علَى العُملة الصّعبة لنستوردَ بها الُّلحومَ والألبانَ، طَعَاماً لأولادِ الكلابِ بعد أن امتَنَعَ عليْنَا الّلحْم والّلبن والبَيْض ...... والحمد لله.

ويبدُو أنّ الشّرق لم يعُد مَرْتَعاً للرُّعاة ومُرَبِّي الكلاب فحَسْب، بل بات وهُو أرضاً خصبةً لغرْث الأفكارِ الشّاذة الوافدة من أقاصى الغربِ، يشهدُ على هذا ما كان فى ثانى أكبر دولة إسلامية من حيثُ عَدَدِ السُّكّان بعد اندونيسيا، وهى الدولةُ التى يدين كُلُّ سُكّانها وبلا استثناء بالدِّين الإسلاميِّ (**ماليزيا**) حيث لا يُوجد مواطن ماليزى واحد غير مسلم.

هُناك فى ماليزيا جاء تعهُّد رئيس الوزراء الماليزى الجديد (عبدالله أحمد بدوى) بمواجهةِ المعارضَة{{ الأصولية الإسلامية }}، التى حثّت النّاخبينَ علَى عَدَمِ التّصويتِ لمرشّحى الحُكومة باعتبارِ أنّ هذا يؤدِّى بهم إلى الجحيم.

وجاء تعهُّد البَدَوَىّ، وتهديدُه خلالَ حملةٍ انتخابيـــةٍ فـــى ولايـــةِ ملْقـــا اســـتعداداً للانتخاباتِ العامّة التى كان مُقرّرا لها مارس ٢٠٠٤، وفيما يبـــدُو أنّ هـــذا البَـــدَوىُّ سيقودُ بلدَه المُسلم الأصُـــوليّ إلى رِحابِ العَلمانية الواسعةِ خلال فتْرَةِ ولايتِهِ القادمةِ ،

وأنه سَيدخُلُ بالماليزيِّيْنَ إلى دوّامَةِ الفوْضَى السّياسِيَّةِ والحزْبيـةِ، وصَبْغِ أجوائهـا بالاضطراباتِ والتوتُّراتِ ليتطابقَ مع النُّموذج الأندونيسى سواء بسواء.

وما ذلك بمُثِيرٍ للدّهشةِ، لأنّ رياحَ التّغْيِيرِ العاتيةِ القادمَةِ من الشّمالِ والغرْبِ لهـا فعلُ السِّحرِ فى التأثيرِ الأيديولوجى عند أبناءِ الأُمّةِ الذين امتعضُوا لغـتَهم الجميلَـة، فهاجمُوها، وطالبوا بإحراقِ سيبويه والزّمخشرى، وتمزيقِ كُتُبِهم، وزادُوا فتحدّثُوا عن تحطيمِ قواعدِ الُّلغَةِ التى أثْرَت العالَم مُنذ ما يقرُب من العَشْر قُرون وحتّى الغَد البعيد.

وها هو الصّحفيُّ المصريُّ الباحث عن الّلمعانِ والشُّهرة، المتطلِّـع إلـى بلـوغ أقاصى المَجدِ مُراسل قطاع الأخبار فى أورُوبّا، وقد أصْدَر كتابا مُؤخّراً، زيّن لَهُ فيـه الشّيطانُ عملَه، فأصدرَه مُعنوناً بطلب سُقوطِ سيبويَه لأجْلِ أن تحْيَا الُّلغةُ العربيةُ، وقد هاجَمَ فيهِ ألفَ التثْنية، وأنكرَ وتنكّر فيه لنونِ النِّسوة اللائى احتضنّه، وأرضعْنَه هُنـاك فى بلادِ العلْمانية لَبَنَ السّرسُوب الخالص، وأفطمُوهُ على الضّغن والحقد ضدّ لُغة دينِ الله وكتابه، وأطعَمُوهُ على موائدِ الصُّهيونية والماسُونية، حتى باتَ حاقداً وبشدّةٍ علَـى لُغته ودينه.

لقد عادَ الرّجلُ لتوِّه من أورُوبا، وأصبحَ وكيلاً لقطاع الثقافَةِ فى مصر، ومن هُنا بدأ يصبُّ الّلعنات علَى دُستورِ الُّلغة العربية، مُطالباً بتحطيمِ أبجدياتها، وهـو متأكِّـدٌ تماماً كغيرِه من المُثقّفينَ الواعين أن لاّ فهْمَ لصحيحِ الدِّين من غيرِ فهمٍ دقيقٍ وأمـينٍ للجوارِ الُّلغَويِّ الذى يستلزمُ فتحَ ما قبْلَ الألف، وكسْرَ ما قبل اليَاء، ورفْـعَ مـا قبْـلَ الوَاوْ، وإن كان غير ذلك فلن يكُون له عَلاقةٌ بالُّلغةِ العرَبيةِ التى تُبرزُ خصائصَها نونُ النِّسْوَة، وتاءُ التّأنيثِ، وألفُ التّثْنِيَةِ، وليس هُناك من عربيّةٍ لاتعرفُ شيئاً عن هذهِ غير ""**العربية اليد**"".

لقد ردّد هذا ما يقولُ الغَرْبُ من دَعاوَى باطلة وزيْف مُخلّق، وافتراءات مقصُودة ضدّ اللغَةِ العَربيَّةِ بقَصْدِ إفسادها لا لشئٍ إلاّ لأنّها لغةُ القـرآنِ الكـريم ولُغَـةُ الـدِّين الإسلاميِّ الحنيف، وليعْجَزَ الجميعُ عن إدراكِها وكذلك عن فهْمِ دينِهم فهْماً صحيحاً ما بُوعدَ بينَهُم وبينَ لُغَةِ القُرآنِ الكريمِ، فيُحالُ بالتّالى القـرآنُ الكـريم إلـى الاسـتيداعِ وأستغفر اللهَ العظيمِ عن هذا الذّلَل اللفظيِّ، وإن قَرَأَهُ قارئٌ فلتكُن قرائتُه له من غَيْـرِ فهْمٍ، كالمُبْتَدِئُ فى المُـطالَعَةِ يقْرَأُ شعْـراً عَرَبِيّاً كلاسيكِيّاً فلا يُمكنه، ومن ثَمّ يصـيرُ

فهمُهم للقُرآنِ الكريم أشبهُ بترانيمَ، أو طقُوسٍ من غيرِ مَعنى ولا وعْيٍ، فتتوارَى بذلك الابداعاتُ، وتتَعَطّلُ الانجازاتُ، وتتخلّف أحكامُ الشّريعة.

لقد تحدّثَ الأحْمَقُ فى بُطلان ألفِ التّثنيةِ وطَلَبَ حذْفَهَا، وهو يعلَمُ أنّ اللغةَ العربيةَ هى المتفرِّدة بهذين {{ الجمال ، والبلاغة }}، الواردان فى قوله تعالى **﴿ فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِكُمَا تُكَذِّبَان ﴾** { الرّحمن }، وفى الآيةِ الكريمةِ خطابٌ لمُنتَهى الجُمُوع من (الجنِّ والإنسِ علَى إطلاقِهما)، ماكان منهم، ومَن هو كائنٌ، ومَن سيكونُ بعد ذلك إلى أن تُعقَم النِّساءُ، فكيف ننطقُها من غيرِ ألِفِ التّثنِيَةِ التى يطالِبُ بشطبِها " **المحْرُوس م العين** "، أهُو أفصح بياناً، أو أبلَغُ حُجّة من الله تعالى. ﴿ **تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً** ﴾.

إنّه البلاءُ الذى حَلّ بالأمّة من الجُهلاءِ مُدّعى الثّقافَةِ والتّنْوير.

إنّها ثقَافَةُ الكيف، وغسيلِ الأموالِ، وزواجِ المثل، التى تأتى خُطوةً أُولى نحْو تَمْهيدِ الأرْضِ لنثْرِ بُذورِ الفَسَادِ التى تردُ إلينا مَعَ بنى جلدتنَا، إخوةِ دينِنَا، بنى أوطَانِنَا، والأنظمةُ تفتحُ لهم الأبوابَ علَى مصراعيْها طواعيةً واختياراً، بعدَ أن صارَ الرّقيبُ فى مسيسِ الحاجةِ إلى رقيبٍ يرقُبهُ، وهكذا، والبيانُ فى نانسى، وهيْفاء، ورُوبى، إنّها حرثُ الأرضِ لزراعةِ ثقافةِ السّلام الذى ينْطَوى عليه المشروعُ الأمريكى الجبّار المُسمّى ***(الشرق الأوسط الكبير)*** الذى يُعوِّلُ عليه الكثيرُونَ ممّن تمّ تطعيمُهم بالثّقافة الجديدةِ من أنّه سيحقِّق الحرِّيةَ للجَميعِ، ويجْعَلُ المنطقةَ واحةً للديمقراطية الأمريكية مُتطابقةً مَعَ النُّموذَجِ العِراقيِّ والفلسطينيِّ والأفغانيِّ، ولأنّ الجنّة تحتَ أقدام مامَا أمريكا ***كبيرةِ الأمّهات*** لذا يجبُ علينا أن نتمرّغَ فى التُّرابِ تحت أقدامها فتعتّلى أشلائنَا طويلاً لنَنَالَ رضاها، لأنّها الأشدُّ حرصاً على مصالحِ المُسلمينَ المقهُورين من حُكُوماتِهم فى دارفور، والعراق، والصومال...إلخ المُعانينَ من " **عبَط** " الإرث الثّقافيِّ البالى المُسمّى بالدِّين الإسلامي الذى حَرَمَنَا كثيراً من مُباشَرَةِ حقُوقنا المَدَنيّة والسياسية والاجتماعية، فصرنا نحنُ من وجْهةِ نظرها لا نتمتّعُ حتى بالحدِّ الأدنى لحقوقِ الحميرِ التى ترتَعُ غافلَةً هانئةً فى واحةِ الديمقراطية الأمريكية الغنّاء..

والحقيقةُ الثّابتَةُ فى هذا الخضَمِّ من الأكاذيبِ المُتلاطمة، أنّ إزاحةَ الدِّين الإسلاميِّ من الطّريق لا يكُون إلا بالتّخلُّصِ من أبنائِه المُخلصين وإبادَتِهم ، مَتَى وأين

(٣٣٠)

كانوا، وهُم لأجلِ ذلك يُسمُّونَهم بما شاءُوا مِن أسماء، ويختلقُونَ الأســبابَ لتــصنْفِيَتهم ومُحاربتِهم والقضاءِ عليهم، ولا أجدُ تحرُّجا مِن أنّ أقرِّر أنّهــم قــد حقّقــوا بعــضَ النّجاحات فيما أرادوا، والأمثلة مُتوافرة وقائمة فوْقَ رؤُوس الأشهاد.

وذلك لأنّ المسلمين الحقيقيِّين (الأُصوليِّين) يرفضُون إسرائيلَ علَى الجُملــة، أو فى التّفْصيلِ، ويَرَوْنَ بأن لا مكان ولا مَجَالَ لها فى الشّرق باعتبارِها نَبْتاً غير شرعيٍّ للحركةِ الاستعماريّةِ العامّة الجاسمَة على الشّرق مُنذ القرنِ السّادس عــشر المــيلاديِّ حتى الآن، ووكيلاً شرْعيّاً فى مُشاغَلَةِ العَرَبِ وإبعادِهم عن قضايا التّنميــة البــشَريّة، والإجتماعية، والإقتصادية، واستنزافِ موزاردِهم، وإنهاكِ قُواهم فى حُروبٍ مُــستمِرّةٍ ومُتَقَطِّعَةٍ حتى لا تَقُومُ لهُم قائمَةً أبَدَاً.

فإسرائيلُ هى الوكيلُ الشّرعيُّ لأمريكا وأورُوبا فى تدميرِ اقتــصاديات العــرَب، وإجبارِهم علَى الدُّخول بين حين وآخر فى حُروب غير مستعدين لها، ومن ثَــمّ فهــى غير مُتكافئة، ونتائــجُها دائماً تصبُّ فى صالحِ الوكيلِ ومُوكِّله، والخاسرون دائماً هُمُ العربُ الذين خسرُوا أنفُسَهم ، لأنّ الغربَ عامّة جَعَلَ مــن إســرائيلَ مخْزَنَــاً هــائلاً مُتكدِّساً لأسلحتِهِ المُتطوِّرة سواءٌ التّقليديُّ منها أو النّوَوِيِّ، ليضمْنَ تفوُقّها المُطلق فــى تهديدِ العالم العربى بأسْرِه ، لأنّ حظّها الرفضُ الشّعبيُّ المُطلَق، لأنّها الوكيلُ الرّسميُّ للحركَةِ الاستعْمَاريةِ العامّة مُنذ القرْنِ الماضى.

أمّا رائدةُ الحركة الاستعمارية الحديثة (أمريكا) فإنها تــدعَم إســرائيلَ "عينــى عينَك " سياسياً، وعسكرياً، واقتصادياً، وتُكرِّس فيها الأسلحةَ المتطــوِّرةَ، والمحرّمــة دوْلياً، وتحظُرُ علَى العربِ وحدَهم دُون غيرهم امتلاكَها أو الشُّروعِ فــى تــصنيعها، لتكون إسرائيل دوْماً هى ***البُعبُع*** الذى يُرهِبُ الأولادَ الصِّغارَ ويردعهم عنــد التمَــرُّدِ والخُروجِ على طاعة الأم ***أمريكا أو لمجرد الإنحراف عن المسار*** ، حتــى صــارت إسرائيلُ فى قُوّةٍ لا تُضاهيها قُوةٌ، وفى سيادة لاتُضاهيها سيادةٌ، وفى وضعٍ لا يُضاهيه وضعٌ، فى وقت باتَ فيه الضعفُ العربى فى أسوءِ حالاتــه، وأمــسى فيــه العــربُ يخطُبُون وُدَّهَا ويتقرّبُون إليها ويلْتقى سياسيُّوهم سرّاً مــع الإســرائيليين فــى أشْــهَرِ العواصمِ الأوروبية، ثُمّ تأتى بعدُ الزِّيارات غير الرّسمية، أو الرّسمية الــسِّرية غيــر المُعلَنةِ بين هذا وذاك فى ظلٍّ تعتيمٍ إعلامىٍّ تام من إعلامٍ تَخَصّصَ "**بمَعْلَمَة**" فى هيافةِ

الإعلانات، وعبط المسلسلات، وحكايات ألف ليلة، والشاطر حسن، وقول ياعم جابر.

وإسرائيل لا يُمْكِنُ قبولُها علَى المُستوى الشّعبى الإسلاميِّ باعتبارها مُغايِرَة فى الدِّين والعقيدة، كما أنّها لا يُمكن تقبُّلها فى الوَسَط المُحيط بها والمعرُوف **دُوَلُ الطُّوق** كونها تتحدّثُ العبرية وتدين باليهودية وهى كيان استعمارِيٌّ لقيطٌ رابِضٌ على أرضٍ إسلاميّةٍ عربية لها فى التّاريخ صوْلاتٍ وجَوْلاتٍ.

ولمّا كانت هذه حقيقةٌ أكيدةٌ غير قابلةٍ للتّحويلِ أو التّغيير، جاءَ طرحُ الشّرق الأوسَط الكبير كبديلٍ عصريٍّ يُحقِّق لإسرائيلَ الاندماجَ السّلسَ فى المنطَقة ابتداءً بدُول جوارها المُتاخم، وحتى تتمكّن من تحقيقِ ما فَشَلَت في تحقيقِه عن طريقِ الحرْب، ولتجْنى مُبكِّراً ثمارَ اتفاقيّاتها الاقتصادية التى توصّلت إليها مُؤخّراً مُغلّفةً برعاية أمريكية مُباشرة، وسوف يكون للإسرائيليين ما أرادُوا فى ظلِّ تلويحٍ أمريكيٍّ بالدُّولارات السّاحرة لإيجادِ حلُول للأزماتِ الاقتصاديّةِ الطّاحنةِ التى عجزت الحكُوماتُ العربية عن إيجادِ حُلولٍ لها غير الاستمرار فى الاقتراضِ من صُندوق " **النّكَد** " الدّوليِّ، والبنك الدوليِّ الذى يترأسُّهُ دائما اليمينيُّون المتطرفون وآخرُهم **وولفو فيتز** مُهندس الحرب الأمريكية على العراق وصاحب نظرية الحربِ الوِقائيّةِ التى تَتَبَنَّاها الإدارةُ الأمريكيّةُ الحالية بقيادة **بوش الثانى**.

وتلك هى القاعدة الصّلبة من وجهةِ النّظر الأمريكية لبناء الشّرق الأوسك الكبير، ومحور بنائه، خاصّة مع السِّباق الجارفِ الذى تستبِقُهُ الأنظمةُ الإسلامية والعربية فى شرَفِ توقيعِ اتفاقياتٍ اقتصاديّةٍ، أو أمنيّةٍ، أو عسكرية مع الوكيلِ الدائمِ للأمريكيين (إسرائيل) من وراءِ السّتار، ومن غيرِ إعلانِ الشُّعوبِ التى اختارَت تلك الحكُومات، وذلك بقَصْدِ إيجادِ حُلُولٍ عاجلَة ومُؤقّتة لا تزيد الأمُورَ إلا تعْقيدًا والمُشكلات إلاّ تفاقُماً بحَيْثُ يُولَدُ المولُودُ بعد مائة عامٍ من الآن وهو يرثُ مُسْبَقاً تركَةً هائلةً من دُيونٍ لا يعْلَمُ عنها شيئاً، ولم يستفد منها بقرْش صاغ واحد.

وإذا كانت الولاياتُ المُتحدةُ الأمريكيةُ تعملُ بإخلاصٍ وجَدٍّ لدمْجِ إسرائيلَ القهْريّ فى المنطقة، فإنّها كذلك تعْملُ من غيرِ كَلَلٍ ولا مَلَلٍ علَى تَطْويعِ اقتصاديات العالم للرأسْمالية الأمريكية التى يُمسكُ الصّهاينةُ بمفاتيحِ إدراتها، من خلال إدخالِ الشّركات الصهيونيةِ الخالصة إلى أسواقِ الاستثمارِ فى كُلِّ القطاعاتِ والأنشطةِ فى كُلِّ مكانٍ

فى العالَمِ، ابتداءً بالشّركاتِ العاملةِ فى مجالِ إنتاج البترولِ وانتهاءً بـالفُوط الـصحيّة واللِّبان الجنسيِّ إيّاه ... وانتهاءً بشركات التأمين التى تعمل فى العالم العربـى بنظـامِ المناطق الحُرّةِ أو التى تَمّ تأْسيسُها فى الخارجِ وهى تحْمل أسماءً عربيةً برّاقة، تقُـومُ على التّرْويجِ لها ويعملُ فى خدْمَتِها أعْتى البُنُوك الوَطَنيّةِ فى كُبرياتِ الدُّولِ العربيـةِ، مُستخدمين فى ذلك ألواناً مُختلفةً من التأثيرِ النّفسى الفعّال.. من ذلك مثلا:

أليانس: أو أليانز: شركةٌ تعملُ فى مجالِ تأميناتِ الحياةِ فى مصر، وهى إحـدَى مجمُوعة أليانز العالَمية، وفى مصرنا تُسَمّى " العَرَبيّةُ الدّوْليّة للتأْمين ".

وهى شركةٌ دوليةٌ صهيونيةٌ للنُّخاعِ لا تحتاجُ عند تأسيسها إلـى رُؤُوس أمـوالٍ لكنّها فى قليلٍ من الوقتِ يمكنُها الحُصولُ علَى رُؤُوسِ أموالٍ ضخمَةٍ عن طريقِ بيـعِ وثائقِ التأمينِ لراغبى بيْعِ خَطَرِ حوادث الـسيّارات، أوْ الحريـقِ أوْ الـسّطْوِ علـى المنشآت الصناعية أو التِّجاريّة، أوْ التعويض عن الوَفَاةِ من الآمِلينَ فى تأمينِ مُـستقبلِ أبنائهم إذا حدَثَت وفاةُ المؤَمّن عليه خلالَ مُدّة التأمين، أو إذا كان التأمينُ مُحدّد المُدّة، وهى بذلك قد تَخصّصت فى الاستيلاءِ على أموالِ الأُميين الذين لا يملكُون من حُطـامِ الدُّنيا سوى الأملُ فى غدٍ أفضلَ، وحتى هذا الغَد الذى هو فى علْمِ الله وحْدَه، نجحُـوا فى المُتاجرةِ به، والاتِّجَارِ فيه.

وقد تأسّست مجموعةُ الأليانز لتأميناتِ الحياة فى ألمانيا سنة ١٨٩٠م ، يعمل لـديها شبكةٌ هائلةٌ من العاملين فى تسْويقِ التأمين (مندوبُون) تبلغ أكثر من ١٨٠٠٠٠ مائة وثمانين ألف مُنْتِج (مندُوب تأمين) سبقَ إعدادُهم وتوجيهُهُم لإقناعِ النّـاس بأهميّـةِ التأمين لِضمَانِ سدادِ أقساط دوريّةٍ فى المواعيدِ المذكورةِ بعقْـدِ التـأمين (الوثيقَـة) وذلك حتى يتمُّ الاستيلاءُ علَى أموالِ المُستأمنين (بائعِى الخَطَـر) بأسـلُوبٍ مُـنظّم ودقيقٍ يكتسبُ الحُجّةَ القانونيّةَ بمُجرّد توقيعِ العَميلِ علَى طلبِ التّأمين الـذى بمُوجبـه يَصدُر عقدُ التأمينِ، وهو عقْدُ إذعانٍ لِشرُوطٍ لم تَشَأْ أن تكتبهـا الـشّركةُ فـى طَلَـبِ التّأمينِ غير أنّها أوردَتْها صراحَةً فى عقْدِ التأمينِ المُصْدَر، بينَمَا تَفتخرُ الألْيانس بأنّها اجتَذَبَت حوالى ٦٠ مليون عميلٍ فى أكثرَ من سبعينَ دوْلة، كما يتباهون بأنها تُعتبـرُ واحدةٌ من أضـخَم مُؤسساتِ الخدماتِ المَاليّة فى العـالمِ تُديرُ أصولاً تبلغ أكثر من

{ ٤٠٠٠ } مليار جنيه مصرى(١). ومن الجَدير بالذكر أنّ الألْيانْس هــى أحــدُ أهــمُّ وأخطرُ الأندية الماسُونيّة فى العالم، ينحصر دورُها فى المشْرُوعات التّجاريــة التــى تبيعُ الوهْمَ وتعملُ علَى التّوازى مَعَ **الروتارى. وبراى بريث. والليونز.** كُلٌّ يعمَلُ فــى إنجازِ المَهام المنُوطَة بهِ علَى سواءٍ فيما تَمّ تحديدهُ سَلَفاً فى مَــسارهِ الفــردى أو فــى مُحيط المجمُوع الذى يضمُّهم.

والحقيقةُ التى لا خلافَ عليها أنّه لا أُصولَ لهذه الشّركاتِ ولا خلافه ، إنّها فقــط مبالغ تأمينٍ بالأرْقام فقط ــ أىْ ــ رُؤوسُ أموالِ حَمَلَة الوثائق الذين بــاعُوا الخطــرَ لشركة التأمين نظير سَدادهم لرسُومٍ يدفعونَها بشكلٍ دورْيٍّ مُنــتظم ومــنظّم تُــسمّى الأقساطُ، يتم إيداعُهَا مع حُلُولِ سداد القسط الدّورى أيا كانت طريقةُ سداده فى خزائنِ الأليانس.!!!!!

ولكن هل تحدّثت الأليَانْس عن ضَخِّ هذا المبلغ الهائلِ كما يقولُون فى مَطبُوعاتهم الدّعائية فى السُّوق المصرية لاستثماره وتَوظيفه مُساهَمَةً منها فى إيجادِ فُرَصٍ عملٍ للشّبابِ ومن أجلِ القضاءِ علَى البَطَالَة، من خلالِ برنامج طمُوح يضمَن إقامةَ المصانعِ أو المَزَارعِ أو استصْلاحِ الأراضى، ولدَيكَ عزيزى تكمُنُ الإجابةُ، أنّها ما جَائت إلاً للمُتاجَرة بآلامِ النّاس وآمالهم من خلالِ وثيقة التّأمين، ولعلّنا نضعُ ثِقَتَنَا فى شَركاتِنا الوطنية، وفُروعُها تُغطِّى كُلّ مصرنا العزيزة وتمتدُّ لتقدم خدمة تأمينية متميزة فى بعضِ من الدول العربية الشقيقة.

ولم يتوقّف الأمرُ فى الحَرْبِ الخفيّةِ التى جعلَت الكلابَ فوقَ القمّةِ عند حُدودِ ما ذكرنا، بل وصَلَ إلى حَدِّ اســتدْعاءِ الأحداثِ التاريخيّة المأساويّة من سجــلّات الصِّراع الدامي والمرير عبر تاريخه الطّويل بغَرَض التّشفّى والشّمَاتة وإثارةِ المَشَاعرِ، من ذلك مَثَلًا المشْرُوب المُسمى ((**ديُــــــو**)):

أو تَدْرُونَ ما ديُو ؟ !!!؟؟؟

إنّها معركةٌ حرْبية بحْرية ، وقَعَت أحداثُها فى عــام ١٥٠٩م. بــين الأســطولِ المصرى المُتحالِف مع الأسطولِ الهندي، وبعضِ أساطيلِ البحرِ المُتوسط من جانــبٍ،

---

(١) **مطبوعات بنك مصر التى تحمل اسم (برنامج التعليم) الذى يتبناه البنك الوطنى**

والأسطولِ البُرتغاليِّ علَى الجانبِ الآخر عند منطقَة يُقالُ لها **ديو** قبالة السوّاحلِ الإفريقية، وقد انتهت أحداثُها بهزيمة مَريرَة وقاسيةٍ للأساطيلِ المُتحالفَة التى فرّت أمام الأسطولِ البُرتغاليِّ، وقد تمكّن الأخيرُ من أن يُلحق هزيمةً قاسية بالأسطُولِ المصرى الذى قد تمّ تدميرهُ عن آخرِه ولم تَسلَمْ منه قطعةٌ بحريةٌ واحدة، ولم ينجُ منه أحَدٌ.

وها هم الآن يستدعُون موقعةَ **ديو** البحرية من أرشيفِ التّاريخ الاستعماريِّ القذرِ، ويجعلُونَهَا علامةً تجاريّةً دولية لمشروبٍ شعْبيٍّ، فى مُتناول العَوَام حتى يُمَجِّدُهُ الجَميعُ ويُرَدِّدُونَ اسمَه، ويصيِّرونهُ إلى الاستمرارِ والخُلود، ويعُودُ الاهتمامُ باستدعاء "" **ديو** "" وتلميعها وترديدها إلى أنّها تذكرةٌ بالنّكْسَة المريرَة والهَزيمَة الثّقيلة التى نَزَلَت بنا عند مطْلَعِ الحَمَلات الصليبية عَلَى الشّرْقِ إعمالاً لمَقولَة "لو كنت ناسى ......أفكّرك"، ولستُ أدْرى هل نَسينَا كُلَّ شىءٍ حتى يُفرض علينا أىُّ شىءٍ ؟ !!!!!.

ثم انظُر مَعى إلى سُلوكيّاتِ وأدواتِ الأساتذَة فى الاستيلاء على أمــوالِ النــاس، فانظر إلى ما صنَعُوهُ لنا من قطعة شيكولاته أسمُوها " جيرسى " تُباع بــسعر (رُبــع الجنيه فى مصر) وهى الآن أقل وحدة مالية مُساعدة فى مُتناول الطِّفل المُعدَم، وقــد أنتجُوها خصِّيصاً لهذا الفقيرِ، للسّطو على ما فى يده، وذلك لأنّ المَــالَ هــو إلهَهُــم الشّديد الطّمع، ولا يَعْنيهم بمقدارِ طريقةَ السّطو عليه، أو كيفيّة تحصيله، أو مقدارِ مــا يحصلُون عليه كمًّا، ولا كَيْفاً، ولا زَمَنَاً، المُــهمُّ أن يتمكّنوا من سطْوتهم الجبّارَة علَى المالِ الذى يعشَقُونَهُ، ولا يكلِّونَ من طُرُقِ جَمْعِه حتى من خــلالِ إنتاجِ وبيْــعِ كــيس شامبُو بسعر عشر قُروشٍ ليس فى يد الفقير غيرها. **ولكن أو تدْرُون ما جيرسى؟!!!**

إنّها اسم المُدمِّرة الأمريكية التى دكّت بيرُوت، وحوّلتها إلى جَحيمٍ طــوالَ فتــرةِ الحرْبِ الأهلية اللبنانيــة ١٩٨٢، بغَــرَضِ تمكــينِ الكتــائبيِّين المُنــشقِّين المُــوالين لإسرائيلبقيادة (سمير جعجع،وسعد حدّاد، وميشيل عون) من الانفــصالِ بــالجنُوب اللُّبنانيِّ، وفتْحه أمامَ الغزو الصُّهيويِّ الزّاحــف صَــوْبَ الــشّمال لتــصفية الوجُــود الفلسطينى هُناك، وإجهاضِ أىِّ احمتال لقيام دولة فلسطينية، والقضاء علَى المقاومَــة اللُّبنانية، وتَصفْية حزب الله الشِّيعى المُوالى لإيرَانِ المارقِ عن الطّاعَــة الأمريكيــة، وهى الحليفُ الاستراتيجيُّ لحركَة أملِ الشِّيعيّة والنِّظامِ السُّوريِّ المارقِ.

وبفضل الكثافَة النِّيرانيّة الهائلة التى غطّت سماءَ بيروت طُوال ثمانيةَ عشر شهْراً والمُنطلقَة من المُدمِّرة الأمريكية نيو جيرسى، تمكّنــت إســرَائيل مُنــذ قيامهـا فــى ١٩٤٨/٥/١٥م. من حصار أوّل عاصمَة عربية لأوّل مرّةٍ فى التّاريخ، ومـا يُمــزِّقُ الصّدر أنّنا عن وعْيٍ أو من غير وعْيٍ صرنَا نُمَجِّدُ جيرسى ونكتُبُ لسيرَتها الخُلــودَ كونها اسماً تجاريا لقطعة شيكُولاته لذيذةَ المَذَاقِ رخيصةَ الثّمن، لها فعلُ السِّحر فــى تُخليص أطفالنا من البُكاء الذى يُؤلِمُهم.

إنها يا سادَة، سياسَة الأوراقِ المخلُوطَة فى ظلال العولَمة التى قَفَزَت بالولايــات المُتحدة الأمريكية إلى قمّة الأحداث، وجعلَتْها على قمّة المُثلّث الهرميِّ المقلُوب، وقــد فَرَضت على العالَم كلِّه لَوْناً غريباً من الأفكار، وسُلوكاً شاذّاً من العــادات والتقاليــد، وديمقراطية مأساوية دَموية يتعيّنُ علَى العالَم قَبُولها والتكيُّف مَعَهَا، أو أن تَفْرضَ عليه التكيُّفَ والتّطْبِيَعَ بأمِّ القنابل وعوابر القارّات، وبواسطَة القَــصْف بالأســلحة الذّكيــة والغبيّة، حتى وقَفَتْ علَى جُثث بَعْضنَا بالقَهْر والقسْر، والجبرُوت والطّاغُوت.

وما كان ذلك إلاّ بسبَب تفشِّى الظُّلم، وغياب العدل، والرّغبة الشّديدة فى الهيمَنة والتسلُّط، والتّسلُّق عَلَى أكتاف الشُّعوب، والاستمْرار فى الضّغط علَى رقــابهم حتّــى الوُصول إلى إعلان قيام امبراطورية وحيد القرن علَى أرض الشّرق الطّيبَة.

ويبدُو أنّ الرّاعى الأمريكيَّ لم يقرأ التّاريخَ، ومن ثَمَّ فإنّهُ لم يــستوعبْ أحداثَــه، لأنّه لم يتمكّن بعد من استخلاص النّتائج لعجْزٍ أصابَه فى رأسه، رُبّما كان مــن أثَــر مَاعَانَى وما قاسَى الأمريكيون الأصليُّون (((***رعاةُ البَقَر***))) من الهُــنود الحُمْر، ولم يثق فيهم السّادةُ الأوروبيُّونَ المُلاّكُ الجُدُدُ للأرض، فاستقدموا إليهم الأفارقَةَ وَرَحّلُوهم من أزطانهم قسراً للعمل كَعَبيد فى العالم الجَديد ، وقد استعبَدَ البُرتغاليُّونَ والأســـبانُ الأفارقَةَ والأمريكيِّينَ الأصليُّون علَى السّواء وأذلُّوهُم، وأهانوهُــم شَرّ مهانة عَرَفــَهَا التّاريخُ زَمَنَ بدايةَ حــركَة الكُشُوف الجغرافية وَقْتَ أن كانت أمريكا تَعيشُ فى أدْغَال التّاريخ، مجْهُولةَ الطُّرُق والمَوْقع والمكان، وقالوا عنها عند اكتشَافها (العالَمُ الجَديدُ) وذلك لأنّهاأرضٌ مجهولةٌ فىْ عالَمٌ جديد بِلا إسْم، وقد أطلقوا عليها أمريكا نسبَةً إلــى مُكْتَشفِها البَحّار البُرْتُغاليُّ الأصل (أمريجو .أوْ هو . أمريكو فيسبوتشى)

فالثَّابتُ تاريخيّاً أن الاغتبــاطَ، والنَّــشْوَةَ، والتَّلَــذُّذَ، واســتعذابَ آلامِ الآخَــرين المقهورين تحت ضغْطَ الحُرُوبِ والاستعمارِ كانت فى مجمُوعِها سبَبَاً جوهرياً وقويّــاً فى سُقُوطِ أعْتَى الإمْبراطُوريّاتِ والممَالك والدُّول العُظمى، ابتداءً بالرُّومان والفُــرس، وانتهاءً بالمملكَة البريطانيّة التى قِيلَ أنَّها لا تغيبُ عنها الشّمس، متبُوعة بــسقوط مــا كان يُعرف بالقُطْب الثاني فى موازينِ القُوى الدّوْلية (الاتحاد السوفيتى) مَعَ انتهــاء فترة ما كانت تُعرَفُ بالحرب الباردة، حتى بَدَا العالَمُ الآن وهو فــى الحقيقــة عــالم (وحيد القرن).

وعلى مقدار ما حقّق الأمريكيُّونَ من أرقامٍ غير مَسْبُوقة فى تَحْــصيلِ كراهيــة العَالَم لهم بسَبَب تاريخهم الأسْود فى التعامُل مع القضايا الدّولية، والكيْل بــأكثرَ مــن مكيال لِلْحَالَة الواحدة، أو المتشابهَة حتى باتَ الأحرارُ فى العالم يتمنّون زَوالَ أمريكــا من الخريطة الصّماء، ومحْوَها من الوجُود قبل أن تتمكّن من إقامــة إمبراطوريّتهــا ــ **امبراطورية الشّرِّ** ــ علَى أشْلاء العالَم ورُفاته.

أمّا أهل الضّعف والاستكَانَة فمنهُم مَن تطلّع إلى الاتِّحادِ الأُورُوبيِّ وهم ينــشدُونهُ قُطباً ثانيَاً فى مَوَازين القُوى الدّوْليّة يُساعدُهم علَى التخلُّص والــتملُّص مــن دائــرَة الهَيْمنَة الأمريكية المُتنامية والتى تفرضُ نفْــسَهَا بــالإغْرَاء، والإغْــوَاء، والتهديــد، والوعيد، أو القهْر، والضّرب، والتخلُّص من الزّعامات الوَطَنيّة المُخلــصة، وتعْيــين التّابعين والعُملاء والمجنّدين، وهؤلاء قد نَسَوْا أوْ تَنَاسَوْا أنّ أورُوبّا ذاتها هــى رائــدةُ الحَرَكة الاستعمارية فى العَصْر الحديث وهى الأمُّ الشّرعيةُ للحَمَلات الــصّليبيّة التــى دمّرت الشّرق وسرَقته واستعبدَتْهُ، ومنهم من تأمّلَ فيما قالوا عنه العمــلاقَ الأســيوى (الصين) ورَبضُوا يترقّبُونَ نهْضَتَها ويأملُون صُعُودَهَا، غيــر أنّ مرابــضتَهم فــى مربضِهم سَتَطُولُ فى انتظارِ صُعُودٍ لن يأتى على عَجَل. وذلك لأنّ قبُــول الــصِّينيِّينَ لمجرّد الكلامِ فى الزّعامة العالَمية حالياً يُعدُّ فى رأيهم فكرًا إمبريالياً غير مقبول وغير مطروح، خاصّة بعد أن حَصَدَ الأمريكيونَ كراهيــةَ العــالم بــسبب إمبرياليتهم،وقــد خسروا بسبَبِها الكثيرَ وستستمرُّ خساراتُهم وستستفحلُ فى زوايا العَالَمِ الأرْبَــع، لــذلك يبدو الصينيون الآن وهم الأشدُّ رَفْضًا لهذا الفكْرِ الامبريــالي الــدّاعى إلــى تــرأُّس مــجلس إدارة العالَم عسْكريّاً، أو مُزاحَمَة الآخرين فيه سياسيّاً لأنَّهم يعكفون على بناء

إقتصادِ بلادهم أوّلاً، وتأمينه ضدّ حُدُوث الكبوَات، وضمانِ عَـدم تـأثُّرِه بالمـشكلات الدولية، بما يعنى تَغْليب وَتسْيِيد إقتصادهمْ وَجَعْله فَوْقَ قمّة الهَرَم الدّوليّ، وَحَتّى يبيتُ الصِّينيُّونَ عَلَى قاعدَةٍ اقتصادية صَلبة تُمَكِّنُهم من تحقيقِ طموحاتِهم وتلبية رغبـاتهم، يؤكِّد الصينيون علَى سَعَةِ مَدَارِكِهم، وهُم يُصرُّون علَى مُغايَرَة السِّر من العَلَن.

فالصينيون يرفضُون الفشَلَ، ويعشقُون النجاحَ، وكل شيءٍ عندهم يخضعُ للدرَاسة والمراقبة، والتّسْجيلِ وَالتّحْليلِ، ودائماً لاتراهُم يستعْجِلون النّتائجَ، وهو ما سوف يؤهِّلُ الصينيِّين ويمكنُّهم من مُزاحمة النُّفوذ الأمريكيِّ المُتنامى، غير أن هذا الـنّجمَ الجديـدَ سَوْفَ لا يُعلن عن نفسهِ إلاّ عندما يكون فى أتَمِّ جاهزيّته، وعلـى أكمـلِ اسـتعداده للانطلاق الذى لن يوقفه شيءٌ لحفظ موازين القُوى الدّولية، ثُمّ يقفزُ أُخْرَى للانفـراد بالقمّة، ويستَمرُّ حتى تَتَهيّأُ قوّةٌ أسيويةٌ جديدةٌ لمُزاحمَته، وليكون الصِّراعُ أسيويا مـن الأخمص إلى الرأس.

وما يستدْعِى الحَسْرَةَ ويَسْتَوْجِبَ الأسَفَ والأسَى والحُزنَ ما كـان مَـعَ اخـتلاط الأوراقِ بينَ أيدينا، ونحن نتحدّث عن نهْضةِ أو صَحْوةِ الآخَرين، حيث علّقْنَـا آمَالَنَـا مشيئَةَ غيْرِنا وهُمْ جميعاً أعداء لنا بالضّرورة بنُصُوصِ القُرآنِ الكَريمِ، وقد سقَطَ بنـا الحديثُ عن كَبْوَتنا إلى أغْوارِ النِّسْيانِ بَعْد أن أمْسَينَا بلا قُوةٍ فاعلةٍ، ولا نُفُوذٍ مُـؤثِّرٍ، وبِتْنا ونحنُ ننتظُر حُلُولاً لمشاكلنا، وتأميناً لحياتنا من الخارجِ، ونحـن كمـن يطلُـبُ الذِّئاب الجائعة لحراسة الخرافِ الثّمينَة، وهانَت علينَا أنفُسَنَا فكان هوانُنا على النّـاسِ أعظَمُ، مع كوننا أُمّةٌ عظيمَةٌ نمتلكُ من أسباب القوّة ما يؤهِّلُنا لتأكيد النُّفـوذ، وتحقيـقِ السِّيادة، ولدينا كذلك ما يُمكِّننا من ردْعِ الظُّلم والجُور والهَوَانِ الواقع علينـا بعـد أن أمْسينا ونصيبنا القهرُ، وحظُّنا الإبادة فى بلادنا، بعد أن كُنّا للعالمِ سادَة. وقد نسينا أنّـه يتعيّن علينَا حلّ مشكلاتنا بأنفسنا:

وإلاّ فالهلاكُ لنا جميعاً . خاصّة بَعد أن أضحت الكلابُ فوقَ القِمة!!!

(٣٣٨)

✱ ب: المأساةُ فى المَملَكةِ العُظْمَى:

لا تختلف معاناةُ المُسلمين كثيراً فى بريطانيا عَن معاناةِ إخوانِهم فى فَرنسا مِن مختلَف الحَيثِيات ، فالمُعاناةُ واحدةٌ ، والاضطهاد واحد ، والقهرُ واحدٌ ، كَمَا أنّ الكُفرَ كُلُّه ملّة واحدة .

فمُؤَخّرَاً شنّت الشُّرطة البريطانيةُ حملةَ اعتقالاتٍ ، وتفتيشٍ واسعةٍ فى جنوبِ العاصمةِ لندَن ، حيث تنتشرُ التّجمُّعات الإسلامية ، اعتقَلَت خلالَها بعضاً من المُسلمين البريطانيين (مِن أصُول أسيوية) ، وقد نَسَبَت الشرطةُ إلى أحدِ المعتَقَلين المُسلمين حيازَةَ (نصف طن) مِن نتراتِ النّشادر الذى يُمكن استخدامه مع موادٍ أُخرى لتصنيعِ القنابلِ ، فيما يُعَدُّ تبريراً للمُمارساتِ المُتشدِّدة ضدّ المُسلمين البريطانيين ، والجاليات الإسلامية والعربية .

وتبدو سياسةُ الحكومةِ البريطانيةِ تجاهَ الجالية الإسلامية مُثيرةً للدّهشة والحيرَة ، خاصّة إذا ما علِمنا أنّ مُعظم أفرادَ هذه الجالية مولودُون فى بريطانيا ، وهم من أُصولٍ أسيوية ، وينتشر هؤلاء المُسلمون فى مُختلَف طَبَقاتِ المجتمع البريطانى ، وهم يحملُون الجنسية البريطانية ، ومُنذ سنوات طويلة يُقَدِّمُ هؤلاء للملكَة البريطانية أجَلَّ الخدماتِ فى مجالات مُتنَوِّعة ، فمِنهم أساتذةُ الجامعاتِ ، ورجالُ الصِّناعةِ ، والأعمالِ ، وأعضاء مجلس الُّلورداتِ ، والمليارديراتِ ، إلى جانبِ الطبقةِ المتوسطةِ من المِهنيين والحِرفيين ، وأيضا الفقراء المقِيمُون فى الأحياءِ المُزدحِمة بمختلف مُدُن بريطانيا .

ويشكُوا المُسلمون البريطانِيون مِن أنّ المجتمعَ البريطانى يعانِى مِن مظاهرِ الخُروج عَنِ الأخلاقِ ، والإباحيّةِ ، والعُنفِ ، ويحاولُون حمايةَ أولادِهِم مِن الانغماسِ فى الفُجُور أو إدمان المُخدّرات .

كما يجأرون مِن الشُّرطة التى تتعرّض للمسلمين كثيرا بالتفتيشِ ، والإيقافِ لِمُدَدٍ طويلَةٍ ، وهى إحدى صُوَر التّمييز العُنصرىِّ الصّارِخ الذى يفضَح شعاراتهم البرّاقة **الحريةَ ــ الإخاء ــ المساواة** ، وهو سلوك يتطابق تماماً مع ما هو عليه الحالُ فى الولايات المتحدة الأمريكية ضدّ المُسلمين والزُّنوج معاً مِن حَيث الإعتقالِ الفورِى لِمجرّد الاشتباه ، أو مع وُقُوعِ أيةِ حادثٍ حتّى ولَو كان حادث تصادمٍ مُرورِى .

(٣٣٩)

فيمَا يعُودُ هذا العداءُ الجهريُّ لِلْمُسلمينَ مِن قبَلِ البريطَانيين إلى ســنوات عديــدةٍ سابقةٍ علَى تفجيرات ٩/١١ الشّهيرة فى أمريكا، وتفجيرات بالى، واسطنبول ومدريد، وغيرها .

يأتى هذا فى الوقتِ الذى تُوفِّر فيه بريطانيا الحمايةَ الأَمْنيّةَ المُكثّفة لكُلٍّ مَن يتطاولُ علَى الإسلامِ، أوْ يُسيءُ إليه، ولا ينْسَى المُسلمُونَ هُناك كإخوانهم حَوْل العالم حمايةَ الحُكُومةِ البريطانيةِ للكاتبِ المارقِ الهنديِّ الأصل (سلمان رشدى) الذى تَطَاوَلَ على الإسلام، وأساءَ إليه وطَعَنَ فى القرآن الكريم وافتَرَى عليه، وألّف كتاباً لِهذا الغَرَض بَثّ فيه سُمومَه التى جائت مُتنفّسًا للحاقدين أسماهُ (آيات شيطانية) ــ عليه لعائن الله ــ، وسُرعان ما استَقْبَلَتْهُ بريطَانيا وفتَحَت أبوابَهَا لاستقباله، وأكْرَمَت وفادَتَه، ووفّرت له حمايةَ اللُّوردات، وجنّدت لأجلِ سلامَتِهِ العشراتُ مِن الحراسات الخاصّة المُدرّبة عَلَى أَعْلَى المُستويات، كالمُتنقِّل فى حصنٍ كبيرٍ أو قلْعةٍ عظيمةٍ، وقد تكلّفت بريطانيا ستّةَ عشر ألفَ جُنيهاً استرلينياً أُسْبوعيا، طوال مُدّة إقامَتِه عندها، ثُمّ هاجَرَ إلى أمريكا، وهُناك انتقَدَ بريطانيا والبريطانيين، وعبّر عن كراهيتهِ الشّديدَةِ لنظامِها النّمطيّ..

كما يتذكّرُ المُسلمُونَ البريطانيُّونَ اعتقالَ العَديدِ من إخوانهم فى اضطراباتِ (بركستون، وأولدهايم) فى السّنوات الماضية، هذا غير النّظراتِ الاجتماعيّة المُقزّزة إليهم مِن قِبل البريطَانيِّيِّنَ، باعتبارِهم غير مرغُوبٍ فيهم، كونهم لم يكُونُوا من المُمَيّزين البيض، الأمرُ الذى انعكَسَ على تأييدِ المُسلمين لحكُومَةِ تُونى بلير، وهُبوط شعبيّتِهِ إلى أدنى حَدٍّ خاصّة بعدَ إصرارِهِ على ضرْبِ العراق، والتى ستكون مدعاة استقالته أوْ إقالته مِن مَنْصبِهِ قبل صيف ٢٠٠٧، وبعد وقائعَ مُتعددة لِمنح حكومتِهِ حقّ اللّجُوء السياسى لِلمتطرِّفين، والمُنشقِّين القادمين مِن الشّرق الأوسَط، ورفْضِ تسليمهم لبلادهم، وتركهم يجمعُون التَّبَرُّعات، ويُمارسون أنشطتَهم بحُرِّيَةٍ تامّة.

وترتَكزُ الحُكُومةُ البريطانيّةُ فى مُمارساتها ضدّ المُسلمين علَى قانُون مُكافحةِ الإرهابِ، الذى يُعطيها حقّ الاعتقال لِمُجرّد الاشتباه، كما يُخَوِّلُ حقّ تقييدِ الكثيرِ مِن الحُقُوقِ والحرِّياتِ العامّة التى كفَلَتْهَا الدَّساتيرُ والقَوانينُ الموضُوعةُ، وقد أصبحوا جميعاً سواء بسواءٍ فى تطبيقِ قانُونِ الطّوارئ الذى يبدُو أنّها قامت بتَطْبيقِهِ هُناك بعد

أن تعلّمَتْ بُرُوتُوكُولاتَهُ، وتأكدت من جوْدَةِ نتائجِهِ وإيجابيّاتها بعد نجاحه الباهرِ وغير المسبُوق فى العالم الإسلاميِّ الذى كان لِحُكُوماتِهِ العَلْــمَانيّة أو المدنية شَرَفَ السّبْقِ والرِّيادةِ فى تطبيقهِ على شعُوبٍ قَهَرها الفقرُ والمرضُ والجهلُ والتخلُّف.

وقد تكرّرت اعتداءاتُ الشُّبانِ البيض المُتعصِّبين ضدّ المُسلمين ممّا دفَعَهُم لِلخشيَةِ علَى سلامَتِهم وملازمتهم البيوت.



《 المسلمون فى بريطانيا يُصَلّون فى بيُوتِهم خشْيَةَ اتّهامِهِم بالارهاب 》

ووَجَدَ المسلمون أنفسَهم عند مُفترقِ طُرُقٍ ثلاثة:

الأول: هل ستحصُر حُكُومةُ بلير المُتشدِّدين، وتتحرّك ضدّهم، وتُجمّد نشاطَهم.

الثّانى:هل سَتَستَمرُّ فى اضطهادِ المُسلمين، واعتقالهم وفْقاً لقانون مُكافحة الإرهاب تَمَشِّياً مَعَ سياسةِ سادتها علَى الضّفة الغربية للأطلسيِّ.

الثّالث: أمْ ستستمرِ فى سياستِها المُعلنَة التى تُثيرُ حيرةَ المُسلمين، ودهشتَهُم، وقلَقَهم.

ووسَطَ هذا الضّباب الكثيفِ يخرُج رئيس الوُزراءِ البريطانى (تونى بلير) ليغازلَ المُسلمين، ويناشدَهمُ التّصويتَ لِصالِحِ حزبِهِ الحاكم خلالَ انتخابات المحليات، وانتخابات البَرْلَمانِ الأُورُوبىِّ، وعُمدة لندن التى كان مُقَرَّراً لها الأُسبوع الثّانى مِن يُونيه ٢٠٠٤.

وقد اعترَفَ بلير بلسانِه بتصرُّفات حكُومته الشّاذة ضدّ المسلمين البريطانيين علَى صفحات رسالته إلى مُسلمى بريطانيا، والتى أكَّد فيها أنّ حزب العُمّال قام بالتّنسيقِ والعملِ مَعَ الجالية المُسلمة مُنذ سنواتٍ طويلةٍ لتوسيعِ الفُرصِ أمامَ أبناءِ الجاليَةِ الإسلامية ، والوقُوفِ ضدّ أعمال التّمييزِ ضدّهُم .

وقد ذكرت مجلّةُ "مُسلم نيُوز" الصّادرَةُ فى مطلع يونيو ٢٠٠٤ التى كشفَت النّقابَ عَن الرِّسالةِ، أنّ بلير اعترفَ بصُعوبَةِ عام ٢٠٠٣، وأشارت إلى غزَلِه فى المُسلمين، خاصّة بعد إقرارِه باحترامِ رأى أفرادِ الجَاليةِ المُعارضينَ للحربِ علَى العراقِ، وتأكيدِه على تسْليمِ السُّلطة للعراقِيِّينَ، وإصرارِه علَى تحقيقِ تسْويةٍ سلميةٍ وعادلةٍ للقضيّةِ الفلسطينية عَبْرَ مائدَةِ المُفاوضات.

غيرَ أنّه لم يُشِرْ مِن قريبٍ أو بعيدٍ إلى تخْفيفِ حدّةِ التَّوتُّرِ، أو الكَفِّ عَن المُمارَسَات التى تقومُ بها أجهزةُ الأمنِ فى حُكُومَتِه ضدّ المُسلمين فى بلاده، ولم يتطرّق إلى الإفراجِ عن المُعتقَلين المُسلمين ، ولم يتحدّث كذلك عن ضمَانات حُكُومَتِه لكَفِّ مُمارسات البيضِ ضدّ أبناءِ الجاليَةِ الإسْلامية أوْ البريطانيين المُسلمين أنفسهم.

وهكذا سَقَطَ أصحابُ حركَة الاحتجاجاتِ الكُبرى لصالحِ العُجُولِ والخَنَازير، المُتحدَّث عنها آنفاً، لقد سقطُوا عن جَدَارَةٍ واستحقاقٍ فى بِئرِ الأحقاد، بـــعد أن أدُّوا الصّلاةَ لأجْلِ إضاءةِ عنابرِ المواشِى، ومنْحِها مُهلَةً للرّاحة أثناءَ رحلةِ السّفرِ للذّبح، وبعدَ أن عملَوا على إطلاقِ حُريّةِ الطّيُورِ ومنحِها حقّ الحياةِ بحُرِّيّةٍ تامّة لتنْعَمَ بالتّحْليقِ فى أجْواءِ الله وسَمَاءِه وتأكُلُ من رزقِه، وطالَبُوا بضرُورَةِ تحْطيمِ أقْفَاصِ الحيَوَاناتِ والطيُور، ليضعُوا مكانَهَا المُسلمين المُغايرين لهُم فى الدِّين، حتى وإن كانوا مُسلمين بريطانيين.

أمّا نحنُ فى بلادنا الإسلاميّة فإلى جانبِ حياة الأمنِ والبحبُوحة، والرّغَد التى يحياها مسيحيُّوا أوطاننا فى نَسيجٍ مُتوائمٍ ومُتداخلٍ، يشَكِّلُ مَعَ المُسلمين نَسيجاً واحداً، ويكوِّنُ بمحبّتهم وحْدَةً واحدةً لا يُعكِّرُ صفوهَا غير ما يردُ من الدّسائسِ والفتَنِ المصنُوعة فى الخارج، والتى يأكُلُها ويشربُها الحمقى، والجُهلاء، والمُغَفلون، بينما نحن هُنا فى شَرْقنا نلاقى مَن يأتى مِن أبناءِ الخَوَاجاتِ إلى بلادنا بفَرقِ المُوسيقى والمِزمار والطّبل البـــلدى، والرقص على أنغامِ المُوسيقى الشعبية، وهم يشعُرون بهذه

الحفاوَةِ البالِغة، هذا إلى جانِبِ تسْخِيرِ خِيرَةِ شبابِنا العربيِّ والإسلاميِّ لِحراستِهم مُنذ ساعةِ وصُولِهم حتى وقْتِ رحيلِهم.

وصدق الله العظيم القائل :

(**هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**) { الزمر : ٩ }

(**هَلْ يَسْتَوِى الأَعْمَى والْبَصِيرُ**) { الأنعام: ٥٠ ، الرعد :١٦}



{{ بوش الثانى وشارون يتعهادان على التطبيق الأمين لدعوتهم الشرق الأوسط الجديد }}

الفصلُ الرّابع

البنـــــاءُ فوقَ السّحاب

أوّلا:القفزُ بالأحْذية:

فى الوقتِ الذى تتضاءلُ فيه فُرصُ الاستثمارِ فى عالمِنا العربى خاصّة، بالتّزَامُنِ مع ما ألمّ بعالمِنا الإسلاميِّ من ضيقٍ فى المواردِ وقَدَرٍ فى الــرِّزق ، طَفَــت عَلَــى السّطح ظاهرةٌ غريبةٌ على مجتمعاتنا المُكافحَةُ فى سَبِيلِ الحُصُولِ على ما يَسدُّ رُمْقَهَــا مِن الحَدِّ الأدنى مِن القُوت الضَّرُوريِّ لاستمرارِ الحياة، حتى ولو كانت تحــتَ خــطِّ الفقر، تلك هى ما تُعرَفُ " غَسيلُ الأمْوالِ " التى تَلُوحُ كأحَدِ الكوارثِ المُطلّة بوجْههــا علَى وُجُوهِ الدُّولِ العربية، ولعلّ دلالة هذه الظاهرة هى الإشارة إلــى وقُــوعِ العــالمِ العربيِّ ضمن جُغرافيّةِ المناطقِ التى تَشْتَهر بالكَسْبِ السّريع و " تقليبِ الــدِّماغِ " فــى منأى عَن المُسائلة القانُونيةِ والمُحاسَبَة الضّريبية.

وقد تردّدت أنباءٌ عن تورُّط بُنُوكٍ عربية شهيرَةٍ وكبيرَةٍ جدّاً فى الاتِّجار فى هــذه التجارة اللّعينة ، الأمْرُ الذى أدّى إلى ضرُورة العملِ الجاد لاستصدارِ تشْريعٍ قــانون عربيٍّ مُوحّد لمُكافحة غَسيلِ الأمْوال، تتمُّ صياغَتُهُ بمعرِفَةِ مشايخِ القانُون مِن الــدول العربية مُجتمعة.

وبمراجعةٍ تاريخيّةٍ مُنذ سنواتٍ طويلة حتى الآن، يُلاحَظ أنّه لم يتم الاتِّفَاقُ علــى مُجرّد الاتفاقِ على دعْوةٍ حَقِيقيّةٍ تُترْجِمُ آمالَ الشّعب العربيِّ فى وحْدَةٍ اقتصاديةٍ عربية شاملة وخالِصة، يُمكن اعتبارُها نُواةً لإقامةِ السُّوقِ العربيةِ المُشتركةِ وهى الفكرةُ التى تُحقِّقُ الحدّ الأدنى مِن الآمالِ العربيةِ الكبيرةِ والمُتطورة باعتبارهــا مُنظمـــة إقليميـــة عربية خالصة تضمُّ العرَبَ دُون غيرهم، وتُحدِّد منهاجا وأُسلوبا واحــداً لإدارة نُظُــم وأحجام التجارةِ مع المُنظّماتِ التجاريةِ المماثلةِ فى دُول العالَم، خاصة بما علمنــا أنّ إقامةَ مثل هذه المُنظّمة منصُوصٌ عليه فى ميثاقِ الجامعةِ العربية، ولم يتَقَــدّم خُطــوة واحدة للأمامِ منذ أنْ أطلقت هذه الدعوة فى ١٩٤٦ حتى الآن، اللهم غير مــا كانــت تُعرف بالهيئة العربية للتصنيع التى أُقيمَت بمشاركة رُؤوس أمــوال عربيــة بعــدَ أنْ بُذلَت جهودٌ حثيثة ومَسَاعي حميدةٍ من قِبَلِ القادةِ العــرب الذين اتّفــقُوا لأوّل مــرة

فى الزّمن المُعاصر من وجهــة نَظَرى علَى عمل عربي جاد وهــادف ومُــشتَرَك، غيرَ أنّها أُصيبت فى مقْتَل بمَعيّة المُقاطعة العربية الشّهيرة لمصر إثر توقيع الــرّئيس المصري { محمد أنور السادات } اتفاقيةَ السّلام المصرية مَعَ إسرائيل، مُنفرداً بصُلحه بعيداً عن الجامعة العربية فى مُفاجأة كُبرى مُدَوِّية، أذهَلَت الأصدقاءَ قَبل الأعداء، ممّا أدّى إلى حُدوث انقسامات حادة فى الصفِّ العربي علَى المُستَوَيَيْن الرّسميِّ والشّعبيِّ، وظَهَرَ لذلك تيّارٌ قال عنه أصحابُهُ جبهة " الصُّمود والتّصدِّى "، كمــا طلعــت علينــا بوجهها جبهةُ الرّفض، وبَدَا العالَمُ العربيُّ عَلَى صُورَته المعهُودة منَ السُّباب المُتبادل، والاتِّهامات بالعمَالة، والخيانَة، وبيْع القَضية، وارْتَدَى العربُ لباسَــهم المُهلهَــل مــن جديد.

حيث نُقلت الجامعةُ العربية إلى تُونُس، وماتت نُواة أوّل وحدة اقتصادية عربيــة مُشْتَرَكَة فى المَهد، وآلت ملْكيّةُ الهيئة العربية للتّصنيع بعد المقاطعــة إلــى الــشّعب المصريِّ الذى أدارت قياداتُه السياسية والمدنية أزمَتَها المُستجدة، وآلاتــه المتنوعــة ليَصيرَ عملاقاً بين العمالقَة بأياد مصريّة شريفة، وسواعدَ عملاقة وهمم جبّارة.

وقد تردّدت مُنذ سنوات قليلة أنباءٌ مفادُها إقامة مناطق تجارة حرّة بــين بلــدين عربيين، تهدف إلى تنشيط التِّجَارَة، وتبادُل السِّلع والخدمات، وإلغاء رُسُوم الجَمــارك علَى كثير منها، أو تخفيض بعضها بنسب كبيرة.... غيرَ أنّ هذه الأنباء لم تتعدَّ كونها تعبيراً عن النّوايا الحسنة، سُرعان ما تذهَب أدراجَ الرِّياح، تــأَثُّراً بالحالــة النفْــسيّة والمزاجية للقادة العرب أصحاب القرارات الانفعالية المُتأَثِّرة بالاســتقرار الاجتمــاعيِّ والأُسَرِيِّ، ومدَاهُ.

ويبدو أنّ القفزَ بالأحذية فوقَ المصالح العُليا، والفَشَل فى التّعامُل مع مُقتــضيات تغْليب المُشاركة الجماعية الفاعلة، والعجز عن التكيُّف معَ المُــستجدات، أو تطويــع الحاضر أو تَسْييسه وتشكيله، جَعَلَ القَفْزَ العربَيّ بعيدَ المَدَى إلى درجَة عُبُور الأمــن القوميِّ العربيِّ علَى مُــستوياته المُتنوعــة اقتــصاديّاً، وأمنيــاً، وثقافيــاً، وعلْميــاً، وعسْكرياً....... الخ، بتجاوز حُدود المغرب العربيِّ، وما لازَمَهُ من عُبور الأطلــسيِّ غربْاً حتى استقرّت الأقدامُ العربيةُ والإسلاميةُ هُناك، فى العالم الجديد، حيــث يعــيشُ وحيدُ قرنه يرْسُمُ الخرائطَ، ويُثيرُ المتاعبَ ويُنَفِّذُ بدقّة ما خَطّطَ له.

ففى البحرين أعلنت { كاترين نوفيللى } نائب المُمثل التجــاري الأمريكـــي فـــى اجتماعها مع لجنة مُتابعة تنفيذ اتفاقية التِّجارة مَعَ الولايات المتحدة الأمريكية، المُنبثقة عن غُرفة تجارة وصناعة البحرين، أنّ الاتفاقيّةَ ســيترتّبُ عليهـــا إلغـــاءَ الرُّســوم الجُمركية بين مملكَة البحرين والولايات المُتحدة، بما يُتــيحُ وضـْـعَاً تنافُــسيا أفــضلَ للمُنتجات البحرينيّة، كما أنّها ستُؤدِّى إلى تحْرير السُّوق المحلية مــن أيّــة قُيــود أو مُعوّقات، وأنّها ــ أيْ الاتفاقيّة ــ ستــستَقْطِبُ المزيــدَ مــن الاســتثمارات الأجنَبيــة المُباشرة.

وبتحليل الخبر يتأكّد الآتى:

- أنّ الرسومَ الجُمركيّةَ سيتمُّ رفعها (إلغاؤها) على واردات وصادرات كلا الطّرفين، بما سَيُؤدِّى إلى تمْكين المُنتج البحريني من مُنافَسَة المُنتج الأمريكى فى عُقر داره.
- ثم يبرُز بالضّرُورة سؤالٌ هام:

ما هو المُنتج البحْرينيّ ؟، وفى أى مجال يتميّــز ؟، ومـــا هـــى قُدرتـــه أو مَقْدرته التّنافُسيّة أمامَ المُنتجات الأمريكية ؟ !!!.

ولديك تكون الاجابة.

والبديهيُّ هو أنْ نَتَدَارَكُ أنّ إسراعَ الخُطى بتوقيع هذه الاتفاقية فى مَعــزل عــن مجلس التّعاون الخليجيّ يُعَدُّ خَطَأَ جسيماً من قِبَل السِّياسيين والاقتصاديين البحـــرينيِّين كونها تُعَدُّ شُرُوداً وخُرُوجاً علَى إجماع الدُّول العربية الأعضاء فى المجلس، كما أنّها من جهة أُخرى ستُصيبُ الإنتاجَ البحريني فى مَقْتل بالكَساد والبوار كنتيجـــة طبيعيـــة لإغراق السُّوق البحرينيّة بالمُنتجات الأمريكيّة من جانب ــ وعجْز الإنتاج البحرينـــي الخالص ــ إن وُجد ــ من الجانب الآخَر.

وفيما يخُصُّ جُزئية استقطاب رُؤوس الأموال، وجلْب المَزيـــد مـــن الاســـتثمارات الأجنبية إلى البحرين، يُمكن الْجَزْم بأنّه الوجْهُ المحرُوق للعُملَـــة، وذلـــكَ لأنّ الوجـــهَ الصّحيحَ يرمى إلى زيادَة مُعدّل ضَخٍّ الاستثمارات البحرينية فى السُّوق الأمريكـــي أو أي سُوق أُخرَى غير العربية، ويُقصَد كذلك من عمليّة الاستقْطَاب ذاتها ضمانَ شـــفط البترول العربيِّ الخام الواعد والرّخيص، وإقامة مُنتجعات سياحية أمريكية جديدة، إلى

جانب المُنتجعات الأمريكية والأورُوبية المُقامة علَى شواطئ الخليج الـدافئ، والأهَـمّ من هذا كلِّه، هو مُزاحَمَةُ النُّفوذ الاسرائيليِّ المُتَغَلْغِل فى اقتصاديات ما يُعرف بـدُول مجلس التّعاوُن الخليجي.

ويبدو أنّ مثل هذه الاتفاقيّـات المُـنفَرِدَة، باتَتْ وهـى السِّمةُ الأساسـيّةُ التـى تُمَـيِّزُ العلاقات العربية الأجنبية، وهى كذلك مقياسٌ دقيقٌ لدفْء حـرارة العلاقـات العربية المُتردِّية، أو بُرودتها.

ففى الوقت الذى عجَزَ فيه المُسلمون جميعاً والعرَبُ من بينهم فى آن عن إقامَة نظامٍ اقتصاديٍّ إسلاميٍّ مُشترَك أو عربَيٍّ خالص، لجأتَ بعضُ الدُّول الإسلامية فى الشّرق الأقصى إلى المُشارَكَة الفاعلة والجادّة فى تجمُّع اقتصاديٍّ شرْق آسيويٍّ عملاق وهو ما يُعرف برابطة دُول جنُوب شرق آسيا (الآسيان) يضُم **عمالقَةَ** الاقتصاد الآسيوي مثل، الصِّين واليابان وتايوان **ونمُوره** مثل إندونيسيا، ماليزيا، والباكستان، أمّا الجانب العربيُّ فقد عجَزَ تماماً عن ترجَمَة آماله المُشتركة، وفَشَلَ فى تحقيق الحَدِّ الأدنى من الطُّموحات الجماهيريّة التى قَتلَها الشّوْقُ إلى تجمُّع عربيٍّ سياسيٍّ، أو اقتصاديٍّ، أوْ عسكريٍّ ينضمُّون تحتَ لواءه، ولو لمُدَّة ساعَة واحدة كما كانُوا يجتمعُون مساءَ الخميس الأوّل من كُلِّ شَهْرٍ لسَمَاعِ مَن اجتمع العرَبُ وتَوَحّدُوا علَى سَمَاعِ أُغنياتها، وقد جاءُوا من كُلِّ حَدَب وصوْب ، يُصفِّقُون لها بحرَارَة بين الوَصْلة الغنائية والأُخْرى، ويُصغُون لها بشَغَف وشَبَق، ويحتَفُونَ بها ببلاغَة، ويفارقُونها علَى أمل اللقاء بها فى الحَفَلات القادمَة، وكأنهم يستعيضُون بها عن فَشَل وُزرائهم، وقياداتهم فى مُؤتمراتهم الأشْبه بالرُّوتينية فى السّباب، والرّمْي بفناجين القَهوة، والصفْع على الأوجُه والأقْفيَة، والاتّفاق الدّائم علَى عدم الاتّفاق، وقد عبّرَ القادةُ العربُ وأنظمتُهم عن مواقفهم المُعلنة خيرَ تعْبير عندَمَا وقّعُوا جميعاً صَكّ فشلَهم فى إقامَة كيانٍ اقتصاديٍّ مُتكامل، حيثُ انهارَ ما كان يُسمّى مجلسُ التّعاوُن العربي أو قُل إنْ شئْتَ ـــ مجلس التآمُر العربي ـــ الذى وُلدَ ميّتاً، والذى كان يضمُّ العراق، والأرْدُن، واليَمَن، ومصْر، أمّا اتحادَ دُول المغرب فإنّه علَى الرّغم من وقُوفه أمام رياح التّغْيير العاتية الخارجية، والعواصف الدّاخلية المُدمِّرَة، فإنّه لم يُرْض طُمُوحَ جماهيـر أبنائه خاصّة فى ظلّ الانفلات الأمنيِّ الشّديد فى الجــزائر، واعتماد تُونسيٍّ كامل علَى فرنسا، وتوَجُّه ليبي محض إلى القارّة السّمراء التى ننتمى إليها.

وفى مصر لم نُوفّق حتّى الآن فى تطْبيعِ العلاقاتِ المصرية السُّودانية بِشكْلٍ مُرْضٍ لآمالِ وطُموحات أبناءِ وادي النِّيل، ويُلاحظ المُراقبون بِشدّةٍ أنّ دُعاةَ التّطْبيعِ مَعَ العدُوِّ الصُّهيونيِ لم يتحدّثوا بذاتِ الدرجة من الشّدة والحماسِ والجِديةِ عن مَشْروعٍ للتطبيعِ مَعَ السُّودان أو ليبيا مَثَلاً، أوْ إعلانَ بَرنامجٍ لقيامِ وحدةٍ سياسيةٍ، أو اقتصاديةٍ، استثماراً للـــوحدة الطبيعية التى أهّلها الله تبارك وتعالى لتجْمَعَ أبناءَ البلَدَيْنِ فى وحدةٍ واحدة تَضْمَنُ استغلالَ الأراضي الزراعيّةَ الواسعَةَ لِضمانِ تحْقيقِ الاكتفاءِ الذّاتيِّ مِن السِّلعِ الاستراتيجيةِ والمُنتجاتِ الزِّراعية والحيوانية، خاصّة محصُول القمحِ فى ظلِّ اقتصادٍ هائلٍ لمصاريف إنتاجٍ، وتوْفيرٍ كَبيرٍ فى النّفقَاتِ ومصرُوفاتِ النّقْلِ النّهري، أو البحْرِي، أو البرِّي لتحقيقِ أقْصى استفادةٍ مُمكنةٍ من الحدُودِ الطبيعية الملْتَصِقَة، والمياهِ المُشتركةِ مِن البحْرِ والنّهْرِ.

ولا تعْجَب إذا خَرَجَ علينا وزيرُ التّموين المصريّ السابق (سيدْنا الخِضر) يقترحُ علَى الحُكومةِ مُنذ شُهورٍ مَضَت شراءَ أو استئجارَ أراضٍ زراعيةٍ فى كَنَدَا لزراعتها بالقمحِ لسَدِّ الفجْوَةِ الهائلة بين الإنتاج والاستهلاك. غيرَ أنّ الوزيرَ الداهيَةَ السّابق لِعَصرِهِ وأوانِهِ لمْ يتحدّث عن استغْلالِ طاقاتِهِ واستثماراتِهِ فى الصحراءِ المصرية الواسعَة الصّالحة للزِّراعَة أو القابلة للاستصلاحِ، وهو كذلك لم يتطرّقْ إلى الحديثِ عن السُّودانِ الغَنيِّ بالمياه، والثّرْواتِ الطبيعية، والمُمتلك لأكبر مساحة أراضى زراعيةٍ خِصبةٍ فى العالم العربي، رُبّما تحرُّجا مِن أمريكا وبريطانيا التى سبقت الجميعَ فى إعداد مسلسل للسّطْوِ علَى السُّودان، وتمزيقِهِ، وشفْطِ مواردِهِ، تأتى مُشكلة **دار فور** إحدى حلقاته الأولى.

ثُمّ أُعلن ثانيَةً علَى لِسان وزير التِّجارة المصريِّ أنّ مصر حريصةً علَى دَعْمِ علاقاتِها التِّجارية والاقتصادية مَعَ دُول أمريكا الجنوبية ــ اللاتينية ــ "**الميرْ سُكُور**"، وهو تجَمُّع اقتصاديٌّ يضُم (البرازيل، الأرجنتين، أورجواى، باراجواى) وستنضّم إليه عَمّا قريب كل من (شيلى، بوليفيا، بيرو، فنزويلا)، وقد أشارت وكالةُ أنباءِ الشّرقِ الأوْسطِ التى أوردَت الخَبَرَ، أنّ أهميّة العلاقاتِ التِّجارية المصرية ــ اللاتينية تأتى انطلاقَاً من وجُود جاليةٍ كبيرةٍ من أصلٍ عربِي بدول قارّة أمريكا الجنوبية.

وأضاف الوزيرُ أنّ توقيعَ اتفاقيةِ التجارةِ الحُرّةِ مَعَ المير سكور سوفَ يعملُ على تخفيضِ العجْزِ بالميزانِ التِّجاريِّ بين الجانبَيْنِ، حيث أنّ الصّادراتِ المصريّةِ إلى هذا التّجمُّع بَلَغَت خلال عام ٢٠٠٣ نحو ٢٨ مليون دولار فقط، بينما بلغت الواردات نحو ٧١٩ مليون دُولار.

ومِن جانبٍ آخر بدأ وفدٌ كبيرٌ رفيعُ المُستوى من قطاعِ التِّجارةِ الخارجية مُباحثاتِه فى بُروكسل (العاصمة البلجيكية) مع مسئولي الإتحاد الأوروبيِّ حولَ البُنود الجديدة التى سيقُومُ الاتحادُ الأوروبيُّ بإضافتها علَى اتِّفاقِ الشّراكةِ المــصريِّ الأورُوبي لتطويرِ كافّةِ أوْجُهِ التعاوُنِ بين مصر والإتحاد الأوروبيِّ بعد انضمام {١٠} عشرة دُولٍ جديدةٍ إلى عُضويةِ الاتِّحاد الأورُوبيِّ.

ولستُ ضد اتفاقياتِ الشّراكة العربيةِ الأوروبيّة، أو العربية اللاتينية، أو العربية الأسيويّة، إلاّ أنّنى أضعُ علاماتِ تعجُّبٍ كبيرةٍ عن العجز العربيِّ العام عن استغلالِ مواردِه، وتنميةِ اقتصادياته، وتوظيفِ إمكانياته الجبّارة، واستثمارِ طاقاته الهائلةِ فى ظلِّ تنوُّع المواردِ والمحاصيلِ، وطُولِ سواحله، وتعرُّجها، ودفءِ مياهه، وهى بحق مصائد مُشاعة لشركاتِ الصّيد الأجنبية القادِمة حتى من اليابان، واندونيسيا، ومن غرب أورُوبا، بالإضافة إلى وفْرَةِ الموادِ الخَامِ، وتنوُّعِ المناخِ، ووفْرَةِ الأيدى العاملَةِ المُدرّبة الماهرةِ الرّخيصةِ إلى حَدِّ القَوْلِ بأنّها مجانية.

وأخيراً ظهرت عَلَى الملأ اتفاقيةُ " **الكويز** " التى تضمُّ مصر ــ وإسرائيل ــ وأمريكا، لتؤكِّدَ على الشّرْخِ العميقِ فى جِدارِ العلاقاتِ العربية، كما تُبرهنُ عمليّاً عَلَى الحُريّة اللاّ محدُودة، فى أن تُوَلِّى كُلُّ الدُّول العربيّة أو بعضها وَجْهَهَا أنّى شاءت!، وكيف شاءت!، ومع مَن شاءت ، متى شاءت!.

وهكذا أصابنا العجزُ ، وحلّ بنا الوَهَن حتى لم يتسنَّ لنا البحثُ فى لِماذا نحن ؟، ومَن نحن ؟، وأين نحن ؟، ومتى ؟، وإلى أين نمضى ؟.

أ ــ نَسْفُ الجُسُور:

لقد بلغْنا التّثبُت من السّعي العربيِّ الجاد لمدِّ جُسوُر التّعاوُنِ، وبناءِ الثِّقة، والتّبادُل الاقتصاديِّ والخِبْرَاتيِّ مَعَ دُول العالَمِ الخارجيِّ، وهو سعْيٌ أشْبَهُ ما يكون بعجْزِ الطِّفلِ الصَغيرِ عنِ الوقُوفِ السَّويِّ، لأنّه كُلّما هَمّ بالوقُوفِ تعدّدت كبْواتُه، وإذا تمكّنَ تعثّرت

(٣٤٩)

حركاتُهُ، وثَبُتَ أكثرُ الإصرارُ العربيُّ العام على نسْفِ جُسور التّعاون{ العربيِّ ــ العربيِّ } البيني العام أو الخاص، ولاحَ التّأكيدُ علَى تحطيمِ كافّة المعابرِ للتّعاونِ العربيِّ الإسلاميِّ ، كما تأكّدت وبالأدلّة النّافيَة للجهالَة، القاطعة لكل شكٍّ أنّ العربَ قد تجاوزُا جميعَ مُشكلاتِهم السُّكّانية، والاقتصادية، والاجتماعية، والأخلاقية، وعَبَرُوا حُدود الفَقْرِ والحاجةِ، وتأكّد كذلك تَمَكُّنُهُم من إيجادِ حُلولٍ لمُعضلاتِهم، فلم يتبقّ أمامَهم سوى الخوضُ فى القضايا الثّانوية أو الفرعية، واهتموا بالبَحْثِ فى إشْكَاليّةِ ختان الإناث، وخلَقُوا موضُوعًا من لا مَوضوع، وشَغَلَ اهتمامَهم البحثُ فى ربِع البـُـنوك أهو حَلالٌ ؟ أم حـــرَامٌ ؟.

ومن كان أوّلاً "" البيــضَة أم الفرخة ؟"" { إن صَحّ هذا التعبير }، وخاضُوا فى قضايا الخُلعِ، وتشابَهُوا بالسّلف فى الخلاف الأزلي هلْ الأحقُّ بالخلافة عليٌّ أمْ عُثمانَ؟!!! ، وهلْ بنُو أُميّة أوْلى بالحُكْمِ والولاية أم بنُو هاشم ؟، وهَلْ هو العَمَلُ الجماعِيِّ أم القُطريُّ ؟ ، أنظامٌ عربيٌّ جامعٌ ، أم مُنظّماتٌ إقليمية قِزْمِية ؟؟؟؟....

وما زالَ الخلافُ الأزلِيُّ مستَمراً حتى الآن، وعلَى الرّغم من التاريخِ الأسْود الذى يذكُر لنا قِصّة الخديوى الذى باعَ بَلَدَه نظيرَ ملءِ طبقٍ من المكرُونة، وإذا كان " شاور" الوزيرُ الفاطميُّ الخائنُ فى مصر قد استعانَ بالصّليبيين بقيادة " عَمُوري " لمساندته ودَعْمه فى مُواجهة الفتْحِ العباسيِّ السُّنيِّ القادم من بغداد لتخْليصِ مصرَ من زندقة الفاطميين وكُفرهم، فإنّ ملك السعودية(فهد بن عبد العزيز) قد استعان بالأمريكيين مُباشرةً عندما طَلَبَ من الرّئيس الأمريكيِّ جُورج بوش " الأول " أن ينزل بقُوّاته على أراضى دَوْلته العربية، وهى الأكبرُ من حيثُ المساحَة، والأقدس لوجُود بيت الله الحرام " قبلة المسلمين " على أراضيها، وبها يُوجدُ جَسَدُ رسُول الله ﷺ وخيرَةُ صحابَتِه الكرام، كما أنّها الأوفرُ حظّاً من الثّروة البترولية، ومن ثَمّ فإنّها صاحبةُ أقوى اقتصادٍ عربيٍّ فى العصرِ الحديثِ، وذلك تخوُّفاً من هاجِسِ غزوٍ عَرَبيٍّ عراقِيٍّ مُحتملٍ.

وإذا كان هذا هو حالُ ما يُسمّى بالقومية العربية، وأمّتنا الإسلامية، فإنّنا نجدُ الأعداءَ فى بلاد الكُفرِ وقد فعّلوا اتفاقيات، وصارتْ بينهُم انسجامَاتٌ، وحدَثَت تعاوُنات من غيرِ حُدودٍ فى مُقابل تَشَرْزُمِنَا وتَفَرُّقِنا وتَنَاحُرِنا إلى حَدِّ الانتحارِ بالجُملة.

ففى التّاسع عشر من يونيو ٢٠٠٤م. تَمّ توقيعُ اتفاقٍ تاريخيٍّ بين دُولِ الإتحادِ الأوروبيِّ حَوْلَ أوّل دُستورٍ موّحد للكيان الأورُوبيِّ الذى تمّ توسيعه شَرْقَاً ليضُمّ ٢٥ (خمس وعشرون) دوْلَة، وقد جاءَ هذا الإتِّفاقُ تتويجاً لمُفاوضاتٍ شاقةٍ وجدِيّةٍ، استمرت ٢٨ ثمانية وعشرين شهراً .

وهُناك فى أقصى الغَرْبِ من العالَمِ حيثُ القارّة الدّولة، مُختلفَةُ الثّقافاتِ والدِّيانات، مُتباينة الأهواء والعقائد، مُتعدِّدة الصّبغات والألوان، وكما تنوعّت فيها الأجناس تنوّع فيها المناخُ والطقسُ، وتعدّدت الأقاليم والولايات، وكَثُرت مَصادرُ المياه فيها، واشتَهرَت بطُولِ وكثْرَةِ سواحلها، وتطابَقَت من مُختلف الحيثياتِ مَعَ ما لعالَمنا العربيِّ من إمكانياتٍ وموارِدَ وثرْواتٍ طبيعية، غيرَ أنّهم فى الغرب اتّحَدُوا فى مُقابَلَة تفرُّقنا، وتقدّمُوا فى مُقابلِ تخلُّفنا وَصَارَت لهُم الغَلَبَةُ والدّوْلَةُ فى مُقابلِ حُروبنا البينَية وتقاتُلنَا الشّديد لأتْفَه الأسباب، حتى أضحُوا قادرين على التّغلُّب على الأعاصيرِ المُدمِّرة، وبتنا ونحن عاجزين حتى عن رفْع (القُمامة من منازلنا، وتنظيف شوارعنا، بيْنَمَا نَعْتَبرُ الشّتاءَ ضيْفاً ثقيلاً علينا لأنّ مدُننا الكُبْرَى تغرق فعْليّاً فى " شبر ماء " إذا هَطَلَت الأمطارُ، وبعضها تدُكُّه الأعاصيرُ بحيثُ نبدوا وكأنّنا نعيشُ فى ماسُورةِ مجارى، ويفْضَحُ الشِّتاءُ تواكُلَنَا وَتَرَاخينَا وَعَجْزَنَا. ولا عجب .

وقد استطاعَت هذه القارّة المُترامية الأطرافِ أن تتوحّد فى دوْلــةٍ واحــدَة، ذات نظام واحدٍ فى عصر مُؤَسِّسها الأوّل (جُورج واشنطن)، وقد تمكّنت من أن تفــرض وجُودها كقوّة دوْليةٍ مُؤثِّرةٍ ووحيدةٍ بعد انتهاءِ الحرب العالمَية الأولَى، وفَتَحَت أبوابَهــا وأحضانَها للعقُولِ المُهاجرة، ورُؤوس الأموالِ الهاربةِ من جحيم الحــربِ الأوروبيــةِ البينية إلى الأرضِ الجديدة، عند القُطب القويِّ الجديد الولَيد، ثم أكّدت علــى قُوّتهــا، ونجُوميّتها، وهيمنَتها، بعد تمكُّنها من حَسْمِ الحرْبِ العالَميّة الثّانية لصالحِ الحُلَفَاء بعــدَ تفجيراتها الذّرية الشهيرةِ فى نجَازاكى وهورُوشيما اليابانيتين، ومن جديدٍ عادت لتُؤكِّدَ على ريادتها وعبقريتها عندمَا تمكّنت من إخراجِ ما كان يُعرف بالإتحاد السُّوفيتيِّ من موازينِ القُوى الدّولية إلى غيرِ رجْعة، وبلا مُنازع باتت وهى سيّدة العــالَم الأُولــى، وهى الآمرة الناهية، المُضحكة المُبكيةُ، القادرةُ دُون رادعٍ علَى إسقاط نظامٍ، وتَمْكــين آخَر، وحبْسِ رُؤساء دُولٍ وطَنيِّين، وإقالةِ حكُومات، وتكليفِ أُخريات تتــسِّمُ بالعمالة

والخيانة، وبلا شكٍّ فإنَّ لها القُدرةَ على أن تُقيمَ الدُّنيا وتقْعُدهَا، وإلى أحيانٍ أُخْرى قادمة.

وفى أقصى أقاصى الشّرق هُناك دولة قارة هى (استراليا) التى خَضَعَت للاستعمارِ الإنجليزيِّ حيناً من الدّهرِ، ثم حَصَلَت على استقلالها، ولم تظْهَر عليها أعراضُ الشّيخوخَة، أو التّحلُّل، أو الانفصالِ والتّشرْزُمِ كَمَا ظَهَرَ فى عالَمنا الإسلاميِّ رغْم خُضُوعِها الأدبيِّ للتّاجِ البريطاني، وانسياقها الأعمى للسياسَةِ الخارجية البريطانية خاصّة ما كان منها مُعاديا للعَرَبِ والمُسلمين.

وفى الشّمال المُتوسطيِّ تجمّع الأوروبيُّون فى اتِّحاد اقتصاديٍّ كبير، وصارَت لهم عُملة مُوحّدة، يحميهم حلفٌ عسكرِيٌّ خَطيرٍ يُعرفُ بحلفِ شمال الأطلنطي (النّاتو)، وقد توسّعَ هذا جهةَ الشّرقِ ليضُمّ إلى عُضويتِه أعضاءً جُدداً ممّن كانوا يحملُون لواءَ الشيوعية إلى وقْتٍ قريب، فى مُؤخّرَتهم بُولندا ورُومانيا اللّتان وافَقَتا للأمريكيِّين على إقامَة حائط صواريخ أمريكيِّة فى اتّجاهِ الشّرق نحْو مُوسكو.

وعلَى الضّفة الأُخْرَى من المُحيط الدّولي تَجدُ آثارَ الهزيمَة، ورُوح الانهزامية، ومرارةَ الفُرقَة، وآلامَ الحَسْرَة، وقضَايَا الانقسَامات، وواقعَ الإنفصالات، وحُمّى الحُروبِ الأهليّة، والحدُودية، والعقائدية، والإقليمية آخرُها القَصْفُ المدفَعيُّ المُتبادَلُ بينَ الجيشِ الباكستانيِّ من جانبٍ والجَيْشُ الأفغانيُّ المدعُوم أمريكياً من الجانب الآخر فى ٢٠٠٧/٤/١٩.

وتجلّت كُلُّ هذه فى العلَن مُنذ أن توجّهت مصرُ إلى العلْمَانيةِ فى عَصْرِ الخديوى إسماعيل الذى ألغَى العَمَلَ بالشريعة الإسلاميّة، علَى أملِ تأريبِ مصرٍ فى حُلم اليَقَظَة الذى كان يعيشهُ، وما أنْ برْهَنَ عمليّاً على شبَقِه ووَلَهِه للتّوجُّه بمصرَ نَحْو التّأريب.

فما أنْ أَعْلَنَ الخديوى إلغاءَ الشّريعةِ الإسلامية للتّدليلِ علَى التزامِه بالمنهجِ العَلْماني، حتى أجبرتْهُ أورُوبا على الانسحابِ من السُّودان، واستقطعُوا من مصر الصُّومالَ، وإريتريا، وهرر وما حوْلَهَا، ثُمّ شجّعت أورُوبا وكيلَهَا الحَبَشَةَ المَسيحية علَى الزّحفِ إلى أقاليمِ{عروسَة ، جالا ، أغادين}، كما أوْعَزَت إلى تنجانيقا " تنزانيا " التهامَ مملكَةِ زنْجبَار الإسلاميّة التى كان يتغنّى الناسُ عند البُحيراتِ العُظمى بوسطِ إفريقيا علَى مزاميرِ حَضَارتِها ، فحوّلتها إلى مُجرّد جزيرةٍ مسيحيةٍ مُنعَزِلَةٍ، وتابعةٍ.

وبَعْدَ انهيارِ الخِلافةِ الإسلاميةِ (العُثمانيةِ) إثْرَ هزيمةِ تُركيا فى الحَرْب العالَميةِ الأُولى، وما ترتّب على ذلك مِن دُخول قُوّات الحُلَفَاء قلبَ عاصمة الخلافة الإسلاميّة، سارَعَت أورُوبّا المُنتصرة إلى تقسيمِ العالَمِ العرَبِيِّ ومَا تبقّى مِن العالَم الإسلاميِّ غير المُحتَل إلى مناطق نُفوذٍ، وقد صارَ من يومِها فريسةً سهْلةً تنهشُها مخالبُ المستَعْمِرُ الأورُوبي الغاشمِ حتى الغَد، ثم سَلّم فلسطينَ العربيّةَ إلى العصاباتِ الصِّهيونية التى أصبَحَت فيما بعدُ إسرائيل اليهُوديّةَ فى مايو ١٩٤٨م، وتهدّدت اندونيسيا بشبح التّفتيتِ والتّقسيمِ، وذلك بعد النَجاحِ الأوروبيِّ الكبيرِ فى دعْمِ جزيرةِ " تيمُور الشرقية " ذاتِ الأغلبيّةِ المسيحية، حتى تحقّقَ لها الانفصالَ التّام عن الوَطَنِ الأمِّ "اندونيسيا الإسلامية" لتكون بذلك مملكةً من طِرازٍ فريدٍ أشْبَه بالجزيرةِ المسيحيّة فى المُحيطِ الإسلاميِّ، وقد حظيت هذه بتأييدِ دَوْلي واسعٍ، واعترفَت بها حُكُوماتُ العالَمِ وفى مُقدِّمَتها إسرائيلُ، والفاتيكان، وبريطانيا، وأمريكا، ثُمّ سَقَطَت أفغانستانُ، فالعراق تحتَ عجلاتِ القطارِ الإستعماريِّ الحديث {الأنجلو ــ أمريكى} فائق السُّرعة، المُتّجه بسُرعةٍ نَحوَ الشّرق، كما باتَت من قبلُ الباكستانُ الشّرقيّةُ فى ذمّة التّاريخِ، ودُفِنَ إخوةُ الدِّين فى البُوسنة والهرْسَك أحياءً فى مَقَابرَ جماعيّة، وحُرِّقَ شَعبُ الشِّيشانِ المــُسلم بالنّابلم، وفى الهند تَســُومُهُم الحكُوماتُ الهندُوسية سُوءَ العَذاب، وقُتِل بعضُ الزُّعماءِ الأفارِقَة الذين اعتَنَقُوا الإسلامَ وفى طليعتهم الأوغندي **عيدى أمين، وبوكاسا** رئيس إفريقيا الوسطى، ويتعرّضَ السُّودانُ الآن ومُنذ حينٍ مَضَى لِمحْنَة التّقسيمِ فى الجنُوبِ والغَرْبِ والشّرقِ، وتأكّدت أنباءُ عن تورُّط البريطانيين والأمريكيِّين، والإسرائيليين فى إذكاءِ نارِ الفتْنَةِ والاضطراباتِ فى السُّودان ودَخَلَت الجزائرُ فى دوّامَةِ الإرهابِ والتّنصيرِ، واعترفَت تُونُس بعلمانيّتها، وتَقَاتَلَ اليمنيُّونَ فيمَا يُشبُهُ الانتحارَ لسنوات طويلة وحتّى الآن، وتحارَبَ المُسلمون فى حُروبٍ إقليميةٍ مُهْلكَةٍ قَضَت علَى الأخضَرِ واليابِسِ فيما عُرِفَ{ حرب الخليج الأولى والثّانية } وقامت ليبيا بغزوٍ خَطيرٍ للسُّودان، وورّطَ القذّافى نفسَهُ فى تحالُفاتٍ مُتَنَاقِضَةٍ فى نزاعٍ مع تشاد الجارِ الجنُوبيِّ المُلاصق لليبيا، وكاد الموقف ينفجر بين المغرب والجزائر، وبين المغرب وموريتانيا بسبب مُشكلة الصّحراء المغْربيّةِ وهى الصّنيعَةُ الاستعماريةُ الأسبانيّة الخالصةُ التى تبحَثُ عن حَلٍّ لها حتّى الغد، ويُعْلَمُ أنَ أسبانيا لازالَت تحتلُّ أراضٍ عربيةٍ خالصةٍ هى

ملكٌ للشّعبِ المغربيِّ، وقد تَطَوّرَت الأمُورُ إلى الأسوأ بين السُّوريِّين والأتراكِ حتى لاحت فى الأُفُقِ بوادرُ حربٍ سُورية ــ تُركية بسبب الشّحن الإسرائيليِّ المُستمر لسُليمان ديميريل وحكومَتِه ، ويجدُرُ القولُ أنّ الأتراكَ ما زالُوا يحتلُّون أراضٍ عربيةٍ سُوريةٍ حتّى الآن ، وأنّ إسرائيلَ تحتلُّ هَضَبَةَ الجُولانِ السُّورية إلى الغَدِ ، ويتشدّقُ الأتراكُ والإسرائيليُّون برَفْضِ فكرَةِ الانسحابِ من الأراضي العربية المُحتلة حتى الغَد، علَى الرّغم من وُجُود علاقاتٍ دبلوماسية فيما بين تُركيا وسُوريا، وتورّطَت قياداتٌ عربيةٌ جارَة، وإفريقيَّةٍ صديقةٍ فى مُحاولة اغتيال الرئيس المصري { مُبارك }، وأخيرًا فقد تمكّنت إسرائيل من غزْوِ لبنان للمرّة الثانية وفَرْضِ حصارٍ **جوىٍّ** ، **وبرِّىٍّ** ، **وبحْرِىٍّ** عليه بمُباركةٍ ودعْمٍ أمريكيٍّ كبيرٍ، ووسطَ صمتٍ إسلاميٍّ ودوليٍّ رَهيب.

وفى هذا فسادٌ عظيمٌ، وخَطَرٌ كبيرٌ يُطلُّ برأسِه على الجميعِ، يحْرُثُ الأرضَ ويؤهِّلَهَا لزراعَةِ بُذورِ الفسادِ، وغَرْثِ شتَلاتِ التّمرُّدِ والاضطراباتِ التى لا تُبقى ولا تَذَر.

وهكذا بات أهلُ الجنوبِ من غَيْرِ تكافُؤٍ فى مُقابلَةِ أهلِ الشّمالِ واهمين بأنّ لهُم قُوّة، وهُم فى الحقيقةِ لا حَوْلَ لهُم ولا قُوّة، فقد باتوا لا يضمُّهم لواءٌ، ولا ينتفضُون لبلاء، وأمسوا ولَيسَ لهُم سوَى هيكَل يتآكل جسَدُه، ويضمَحلُّ اسمُه يُسمّى " **مُنظّمةُ المُؤتَمَرِ الإسْلامىِّ** ".

ولا عزاءَ للجَميعِ بعدَ أن دَهَسَت آمالَهُم المُجنْزَرَاتُ، ووَقَفَ الغربُ علَى أمانيهِم بالأحذيةِ.

● ب: الإصْلاحُ عند صَلاح:

أعلَنت الصُّحفُ العبْريةُ فى ٢٠٠٤/٩/١٠، علَى لسانِ المُستوطِنينَ الصهاينة فى الضّفَّة الغربيّةِ أنّ مجموعةً من قطعانِ خنازيرِهِم هُناك فى الأرضِ المُحتلّة، دَخَلَت إلى باحَةِ المسْجِدِ الأقصى، وأقامَت هُناك حفلَ زَفَافٍ لنَجْلِ حاخام مُستوطنة تكْوَاعْ (مناحيم فرومان)، واحتَسُوا النّبيذَ فى نَشْوةٍ وغبْطَةٍ أثناءَ الاحتفالِ بزفافِ أَحَدِ الخنازيرِ تحتَ حمايةِ شُرطةِ الاحتلال، وبِحَسْبِ ما نقَلَتْهُ الصُّحفُ عن أَحَدِ أفرادِ المجموعة، فقد دَخَلَ العروسَانِ وأقاربهُما ضمن أفرادِ المجموعةِ اليهودية التى تدخُل إلى الحَرَمِ بحمايةِ الشُّرْطَةِ الإسرائيلية ، وهُناكَ قامَ الحاخام فُرومان بعقْدِ قرانِ نجْلِه علَى عروسهِ

وتَمّ توزيعُ النّبيذ فى كُؤوسٍ بلاستيكيةٍ ، واحتسائِه فى غمْرَة المُجونِ ، ونشْوَة السّعادة.

وإذا قُلنا أنّ فى هذا تدنيساً للمسجدِ الأقصى، فمن يــسمَعُنا، وإن ســمعُونا فهــل يستجيبُونَ لَنا، فى ظلِّ الواقعِ علَى الأرضِ من اعتداءاتٍ صارخَةٍ علَى المُسلمين فــى ديارِهِم وأوطانهم، فهذا العراقيُّ أسيرٌ فى وَطَنِه، مَقْضىٌّ علَى رُجُولَتِه، وهــذا طفــلٌ فلسطيني ذليلٌ يتحرّشُون به جنسيّاً فى أدْغَالِ السُّجونِ، والــصّمتُ الإســلاميُّ يُــشبه صَمْتَ القُبُور، والثّباتُ العربِيُّ الرّاكِنِ إلى الخُلُودِ يُظهرُ بجــلاءٍ عبقريــةَ الآخَــرين، وقُدْراتِهم، ودِقّةَ تخطيطِهِم.



(بين العراق وفلسطين بيوت المسلمين أثر بعد عين)

حيث لم تتوقّف الأطماعُ الصُّهيونيّةُ عند تدْنيسِ الأقصى، أو مُحاولاتِ هدْمِه عَن طريقِ حفْرِ الخنادقِ إلى جوارِه ومِن تحتِه، وهذا هو ما أكّد عليه السَّيِّدُ **نجْم الدِّين أربكان** رئيسُ حزبِ السّعادة التُّركيُّ السّابقِ فى العاشر من سبتمبر ٢٠٠٤، حيث قال فى حديث لوسائلِ الإعلامِ أنّ إسرائيلَ تُخَطِّطُ لهدْمِ المسْجِد الأقصى المُبارك، وبناءِ ما يُسَمّى""هيكل سليمان "" المزعوم مكانَه، وهى تتّجهُ نَحْو إقامةِ إسرائيلَ الكُبْرَى، وأضافَ **أربكان** فى كَلِمته أمامَ مجموعةٍ من أعضاءِ حزْبِه أنّ الإسرائيليين استغَلُّوا من أجلِ تحقيقِ هدفهِم المَنْشُود كافّةَ الوسائلِ الماديّة فى العالمَ، من إعلامٍ، وتكنولوجيا، وأحزابٍ سياسيةٍ، وأنظَمةٍ مُناوِئــة لتصبح آلةً فى أيديهم، يُحرِّكُونها كيفَمَا يشاءُون، وأضافَ أنّ الصِّهيونية العالَميّةَ هى التى تقُودُ العالَمَ فى الوقْتِ الحالِى، واصفاً أمريكا بأنّها أداةٌ مُتحرِّكةُ فى يدِ إسرائيلَ من أجلِ تحقيقِ أهدافِها التوسُّعيَة.

ومَا كان لِلكيانِ الصّهيونيِّ الذى يُدانى عَدَدُ سُكّانه أقلّ من سكّان حيّ **شُبرا** فى **مصر** أن يُعربِد، أو يُهْلك، أو يقتُل، أو يَسْفك، أو يستحلّ، أو يُدنِّس، أو يدُك أو يدمِّر، أو يهدِّد، أو يتوعَّد إلاَّ بسببِ ما كان من خلافاتِ بعضِ القياداتِ العربيّةِ كخلافِ الصِّبية علَى الكُرَةِ فى الطُّرقاتِ وهم يتبارزُون ويتلاسَنُون ويتشابكُون فى الاجتماعاتِ، ثُمّ ينغمِسُون فى الاستسلامِ للانقسَامَاتِ، فأينَ أنت يا صلاحَ الدين ؟؟...!!!!!.



(العراقِيُّ فى وَطَنِه تنْهَشهُ كِلابُ الديموقراطيّةِ الأمريكيّةِ الجَديدة)

(٣٥٦)

ثانياً: الجنُوبُ وطَرِيقُ الانـهيارِ

✦ ا ـ خُيوطُ العنكبـــُـوت:

جاءَ توقيعُ اتفاق السّلام فى "نيروبى" العاصمة الكينية بينَ الحُكومة السُّودانيّة والحرَكة الشّعبية لتحرير السُّودان (حركَة التّمرُّد الجنوبية) بالأحرُف الأُولى فى مايُو ٢٠٠٤ ليشكِّل انعطَافاً بارزاً فى مجْرَيات المسألة السُّودانية كَدَوْلة واحدَة لَهَا خصائصهَا الجُغرافية والمُجتمَعية الإثْنيّة التى تضمُّ علَى أرض السُّودان شَعْبَاً واحدًا يدينُ بديانات مُتعدِّدة من بينها الوثَنيّة والمسيحية، وهما أشْهرُ مُعتقدات الجنوب المُتمرِّد المُنادى بالانفصال. وقد تضمّن الاتفاقُ إجراءَ استفتاء بعدَ ستِّ سنوات حَوْلَ حقِّ الجَنُوب فى تقرير مصيره، وبقَدْر ما طَرَحَ أيْضًا تحدِّيات استراتيجية علَى صَعيد الأمْن القوْميِّ العربَيِّ، بالإضافة إلى فرْض مسؤُليّات ومطالبَ عربيّة يَنْبَغى التّعاونُ بشأنها، بإخلاص وإصرار من أجل إنجازها، ومن أجل إيجاد بيئة مُواتية وفاعلَة وجاذبة لخيار وحْدة السودان طواعيةً واختياراً، لأنّ قدرات السُّودان مُنفرداً لن تُمكِّنْهُ من تنْفِيذ خُطة تَنْمَوية للجَنُوب الواسع، بحيثُ تُسهم فى جَعْل الوحْدة خَيَاراً وحيداً وجَذّاباً.

ومن ثمّ يُصبحُ الدّورُ العربيُّ المحدّدةُ أهدافُهُ فى إطار الجامعة العربية دوْرَاً حيويّاً فى الحفاظ علَى وحْدَة السودان، وتمْكين أبنائه من دَرْء مخاطر الانفصال، حتّى لا يكُون ذلك سابقة يُمكن البناءُ عليها، أو انتقالها إلى أراض عربية أُخرَى فى مراحلَ لاحقة.

وقد رحّبت الجامعةُ العربيّةُ بتَوْقيع بروتوكول " **ماشاكوس** " ٢٠٠٢ "، باعتباره يُلزمُ الطّرفَيْن السُّودانيَّيْن المُتعارضيْن (حُكومة الشّمال الشّرْعية، والجنُوب المُنشَق المُدْعَم خارجيا) والأطراف الفاعلة عربياً، وإقْليميّاً، ودوليّاً بأن تعْمَل لأن تَكُون وحْدَةُ السُّودان خياراً جذّابًا، لأنّ الوقْتَ والظُّروفَ الخارجيّةَ فى السُّودان أو التى تُحيطُ بعالمنا العربيِّ لا يسْمَحَا بانقسام أو فُرقة أو تشَتُّت.

ويفرضُ الاتفاقُ الأخيرُ علَى العَرَب مُجتمعين أن تَطَالَ مجهُوداتُ الجامعة العربية خطّين مُتوازين ومتلازمَين:

الأول: دُبلُوماسيّاً، وهو المُعلّق بمجْريات الأزْمَة وتفاعُلاتها، وتداعياتها، وإدارتها على اعتبار أنّ إدارةَ الأزمات فنّ راقٍ من نوعٍ خاصٍ يستلزم قُدراتٍ خاصّةٍ، وصبراً، ومُثابَرَةً، وحُنْكَةً، وكَيَاسَةً.

الثّانى: تَنْمَوِيّاً يتعلّق بدفْعِ منظُومَة العَمَل العرَبي المُشترك إلى تنفيذ خطّةٍ طويلةٍ، وجادّة، وطمُوحَة، تُسهِمُ بِقَدْرٍ كبيرٍ فى تنْمِيةِ جنُوبِ السُّودان والمناطقِ التى تأثّرتْ كثيراً وطويلاً بالحرب.

وهذان يعنيانِ ضرورةَ التواجُد المُباشرُ فى الجَنُوب السُّوداني، وبناء جُسور الثِّقة والتّعاونِ مَعَ أبنائه الّذين لعبت الفتنةُ برؤوسهم، وتغَلْغَلَ المُوسادُ والفاتيكان فى أفْئدتهم مُنذُ عُقُود من الزّمان، حيثُ اعترفَ المُرتزَق الألْمانيُّ (رُولف شتاينر) الذى سقَطَ فى أيدى الحكومةِ السُّودانية بأنّ إسرائيلَ تقومُ بتدريب الجنوبيِّين وتمْويلهم، وتُرسلهم فى بعْثاتٍ إلى تَلِّ أبيب للتعرُّف علَى الأسلحةِ الحديثةِ ودراستها وللتّدريب العمليِّ عليْهَا، كما أقر أنّ وزيرَ الخارجيّةِ الإسرائيلي ــ **أبا إيبان** ــ كان يُشرفُ بنَفْسه علَى شحْنِ الأسلحةِ إلى المُتمرِّدين فى الجنُوبِ السُّوداني، وشرْقِ نيجيريا، وأضافَ أنّ الفاتيكان هو الذى يُموِّلُ عمليات العصيانِ والتّمرُّد(١).

وبطبيعةِ الحالِ فإنّ الوُجُودَ "الصّليبي الصهيوني" لم يكُن وجُوداً نافعاً سواءٌ فى الحالِ أو المُستقبل، كما أنّه عديم الجَدْوَى أو المردُوداتِ الاقتصادية، أو الاجتماعية، أوْ الثّقافية......إلخ، إنّما كان يهدفُ أوّلاً وأخيراً إلى تخْريبِ السُّودان، وتقْويضِ وحدته، وهدْمِ بناءِ مُجتمَعه، وتقْتيلِ أبنائه، أو تهْجيرهم إلى دُولِ الجوار، وتحْويلِ الجنُوبِ السوداني إلى شبْهِ جزيرةٍ مُنعزلةٍ تكونُ مَرْكزاً محورياً لتصدير القَرْصَنَة والبلْطَجَة والإرهابِ لإضعافِ القارّة الغنيّة البِكْر، ولحصَارِ مصر ومُشاغلَتها بقَضَايَا أمْنها الجنوبيِّ، باعتبارِ سلامَةِ السودان ووحْدَةِ أراضيه تُعَدُّ فناءً خلْفياً للأمن الوطنيِّ المصري برُمّته .

وهذا هو ما يجعل البابَ مفتوحاً علَى مصْراعيه أمامَ أيِّ مدٍّ عربيٍّ أو سُودانيٍّ يهدفُ إلى تَنْميةِ الجَنُوبِ وإعادَة بنائه، بما يجْعَل السّيرَ نَحْو الوحدَة يسيراً، وبلاَ مُعوِّقاتٍ، ويضَعَهَا هدفاً سامياً، وخَياراً جذّاباً، وفاعِلاً، ووحيداً لالتفافِ السُّودَانيِّينَ

ــ أنظر / المؤامرة الكبرى .... للمؤلف

(٣٥٨)

جميعاً حَوْلَ العَمَلِ الوطنيِّ الجماعيِّ المُوحّد، خاصّةً إذا ما شارَكَت الجامعَةُ العربية فى آلياتِ العملِ فى المرحَلَة الانتقالية فى تنفيذ اتِّفاق السّلام المُوقّع، بمُشَارَكَة فاعِلَة للمُستثمرِينَ والمُستشارين العَرَب، بلْ وبالمالِ العربي دُون غيره، ضَمَانا لِعَدَمِ تدفُّقِ رُؤُوسِ الأمْوالِ الصُّهيونية، أو الرأسماليةِ الغربية التّبشيرية، كونهم يعملُونَ وُمنذ حينٍ مَضَى إلى تكْرِيسِ انفصالِ الجنُوب.

وعلَى الرّغمِ من الثّرواتِ الهائلة فى الجنُوب من موادٍ خام بترولية، ومعدنية خاصة النّادر منها، وزراعية، وحيوانية،...الخ فإنّ الجنوبَ ما زالَ يُعانى الفقرَ والحاجَةَ لندرةِ رُؤُوسِ الأموال، والأيدى العاملةَ المُدرّبةَ، هذا بخلافِ انكفاءِ أبنائه علَى الحرْبِ والقتالِ، والعِصيان والتّمرُّد، إلى حَدِّ نُزُوحِ الجنوبيِّين إلى دُوَلِ الجوار خاصة كينيا، بما عطّل مسيرة الجنُوبيِّينَ نحْو التّنمية، وتلك هى التّرِكَةُ الثّمينةُ التى خلّفها الاستعمارُ البريطانيُّ فى جنُوب السُّودان وورَثَهَا أبناؤُه.

وإذا كانت حصيلة قيمةِ المشْرُوعاتِ التى دَخَلَت حَيِّزَ التّنْفيذِ فى جنُوبِ السُّودانِ ذادت قليلاً عن ٢٠٠ مائتي مليون دُولار لاستثمارها فى مجالات الطُّرق، والمياه، والكهرباء، والتّعليمِ والصّحة (وهى خليطٌ من أموالٍ عربية، وأوروبية، وقُروضٍ من البنك والصُّندوق الدوليّيْن) غير كافية مَرْحليّاً للقضاءِ علَى مشاكلِ الجنُوب، وعلاجِ آثارِه المُتفاقمة، ورفْعِ مُخلّفات الحرْبِ المريرة، فإنّه يجبُ القولُ أنّ غيابَ أو تَغييب مُنظماتِ المُجتمع المدنيِّ العَربيِّ عَن ساحةِ الجنُوب السُّودانيِّ، كان له أبلغُ الأثرِ فى تصاعُدِ حدّةِ الأزماتِ الطّاحنَة التى مَرَّ بها، فضلاً عن تنوُّعِ الآثار الناتجةِ عن هذه الأزماتِ وتراكُمِها، وتفاقُمِها.

ممّا يستوجِبُ وبالضّرورةِ تفْعيلِ دوْرِ المُنظّماتِ العربيّةِ غير الحُكوميّة، وإطلاقِ الحُرِّيّة للقطاعِ الخاصِ العربيِّ بعيداً عن البيروقراطية، بالتّنسيقِ مَعَ الجامعة العربية أوْ بِدُونِهِ، لأجلِ إبطالِ مفعُولِ السُّمومِ النّاقعةِ التى حَقَنَتْهَا المُنظّماتُ الغربيّةُ والكَنَسيّةُ والأموال الصهيونية وهُم يحتكرُون حتى الآن العملَ فى الجنُوبِ السُّودانيِّ، خاصّة دورُهم السّلبي فى التأثيرِ علَى خيارِ الوحدة.

ويُحسب للحكُومة السودانية ترويجها للمشرُوعاتِ التى تُوليها أوْلوياتها كالزِّراعة، والصناعة، والصحة، والتعليم، والمرافق، بخلافِ مُرونَةِ القَوَانينِ السُّودانية الجاذِبة للإستثمارِ، وتوْفيرِ الضّمّانات اللازمة لتدفُّقِ هذه الاستثمارات.

وعَلَى الرّغمِ مِن إنشاءِ صُندوقِ ضَمَانٍ بالمشْرُوعَاتِ الاستثْماريَة فى جنُوبِ السُّودانِ بمعــرفةِ الجامعةِ العربيةِ، وبمُساهمـــاتٍ ماليةٍ من حُكــومةِ السُّودان والدُّولِ العــربيةِ، وصناديقِ التّمْويلِ والاستثمارِ العربيّةِ، فإنّ أداءَ النِّظام العربيِّ لا يزالُ يُعانى الفَجْوةَ الرَّاهنة فى العَمَلِ العربيِّ المُشترك، بينَ اتِّخاذِ القَرَارِ والعجْزِ عن تنْفيذِه، حيثُ قرّرَ القادةُ العربُ إنشاءَ الصُّندوق العربيِّ لتنْمية جَنُوبِ السُّودانِ فى قمّة بيروت ٢٠٠٢ بمساهمات ماليةٍ من الدُّولِ العربيةِ، غير أنّ هذا الصندوق لم يتلقّ حتى الآن، وبعد "خمس سنوات" إسْهاماتٍ تُذكَرُ، كما اتّخَذَ القادةُ العرَبُ قرَاراً يدعُو الدُّولَ الأعضاءَ إلى مُعالجةِ ديُون السُّودان العَرَبيةِ بهدَفِ تمْكينه من مُواجَهَة تحدِّيَاتِ بناءِ الوحْدة، وإرساءِ السّلام، إلاّ أنّ أيّاً من الدُّولِ العربية لم يقُم بعدُ بإلغاءِ هذه الدِّيون.

إنّ تحرُّكاً عربياً عَلَى أعْلَى مُستوىً باتَ مَطْلَباً مُلحّاً للحفاظِ عَلَى وحدةِ دوْلةٍ عُضوٍ دائمٍ وفاعلٍ بالجامعة العربيةِ، تَتَعَرّضُ فى سلامَتِها، وأمْنها، وسيادَتها إلى تَحَدٍّ كَبيرٍ، وهو التحرُّك القوميُّ الواجبُ والفَوْريُّ لتأمينِ المَصَالحِ العرَبيّةِ فى هذه المنطقَةِ، خاصّة أنّ المناخَ الدّوليَّ والإقليميَّ باتَ مُلائما لهذا الدَّوْر.

والثابتُ أنّ النِّظامَ العربيَّ الفاعلَ والمُتعاونَ عليه يقعُ عبءَ استغلالِ الفُرصةِ التّاريخيةِ السّانحَة لممُارسة دبلوماسيّة علاجيّة وقَائيّة حماية للأمْنِ القوميِّ العربيِّ عامّةً، وهو العبءُ الذى لا يتطلّبُ غيرَ إرادةٍ سياسيةٍ فاعلةٍ للدّولِ العربيةِ المُنْشَغلة بالتحدِّيَاتِ والضُغُوطِ الخارجيةِ، وبعضٍ من القضايا الإقليميّة سواءٌ منها الواقعُ فى البطْنِ العربيِّ، أو عند بابه الشرقيِّ، وذلك لأنّ وحْدة السُّودان تواجُهُ مَصيراً غامضاً بعيداً عن دورٍ عربيٍّ فَاعلٍ عَلَى الصّعيدَيْن السياسيِّ والتّنْمويِّ.

ولا يزالُ البابُ مفتوحاً أمام كُلِّ المُحاولات العربيةِ الجادّة والهادفة إلى إثْباتِ الوُجُود، وفرْضِ الحُلولِ لاجتثاثِ جُذُور المُنازعاتِ والحُروب، وفتْحِ أبواب التّنْمية والسّلامِ بعدَ توقيعِ اتفاقِ السّلامِ التاريخيِّ بين (عَلِيِّ عُثمان طَهَ) مُمثلاً لحكُومة السُّودان، و"جُون جارانج" زعيمُ الجنُوبِ المُنشق "الجيش الشعبي لتحرير السُّودان"، وهو ما يضْمَنُ ترشيح جارانج كنائبٍ للرّئيسِ عمر البشير، وهو ما كان فعلاً حتى مات جارانج فى حادثِ طائرة مرْوحيةٍ فى جنُوب السودان.

(٣٦٠)

وما كادَت مُشكلةُ السُّودانِ أنْ تجِد طريقَهَا للحلِّ حتى طَلَعَت علَيْنَا مُشكلةٌ أخْرى عن غير توقُّعٍ، وعَلَى حينِ غَفْلَة، وقد شَهَدَت تَطَوُّراً سلْبياً سيُلقى حَتْماً بظلاله عَلَى الأمْنِ القوْميِّ العربيِّ عامّةً، ويُهَدِّدُ الأمْنَ الوَطَنيَّ المصرْيَّ خاصّة، فضلاً عمّا يُثيرُهُ من وَضْعِ وحــدةِ السُّودانِ، وسلامةِ أراضيـــه، وصيانةِ أمْنِه وحُدوده فى مَهَبِّ الرِّيحِ، فكانت مُشكلة "" **دارفور**"" فى الغربِ، التى طَفَت على السّطحِ لتطرَحَ تحديّاً جوهريّاً صارخاً علَى صعيدِ قضيّة السّلامِ والوحْدةِ الوطنية، وبقَدْرِ ما تفرضْهُ هذه القَضيّةُ وتداعياتُها من مسؤوليات علَى حُكُومة الخُرطوم، فإنّها بذَات القَدْرِ تفرضُ دوْراً عربيّاً يجبُ الاضطلاع به، ليس فقط على صَعيد تلْبيةِ الاحتياجاتِ الأساسية لمواجهةِ الأزمةِ الإنسانية الحادّة التى تشهدها دارفُور، والتى لَعَبت الأصابعُ الإسرائيلية والكَنَسية الغَرْبيّةُ دوْراً هامّاً فى نَسْجِ ثيابها، وصباغةِ ألْوانها، وتحْديدِ ملامِحها، والنّفخِ فى كيرِ تصاعُدها، حتى يتأكّد المُجتمع الدوليُّ أنّ المسألةَ الفلسْطينيةَ ليست هى السّبب الرّئيسيُّ أو الوحيدُ لعَدم الاستقرار فى المنطَقة، بل أنّ هُناك مُشكلاتٌ أُخرى فى مَنَاطِقَ مُختلفة أشدّ سُخونَة، وأحدّ توتراً.

وثمةُ بعدٌ آخَرَ يرْمى الإسرائيليُّونَ إلى تحْقيقه من وَرَاءِ إثارَةِ قضيّة دارفُور، وهُو التحضيرُ السّابقُ عَلَى استقبالِ الوافدِ البريطانيِّ صاحب الأطماعِ الاستعمارية القديمةِ فى السُّودانِ، خاصّةً بعد ما ثَبُتَ من اكتشافاتِ بتروليةٍ واعدَة، ومعدنيةٍ نَفيسَة، وَمَوادٍ خامٍ لها فعْلُ السِّحْرِ فى تحْويلِ أنظارِ الطّامعينِ واستحواذِ اهتماماتهم خاصة فى الإقليمِ الغربيِّ "دارفور" ويبدُو أنّ الُّلعابَ الأمريكيَّ قدْ سالَ مُباشَرَةً على هذه الاكتشافات، لذلك اجتهَدُوا جميعاً فى تصْعيدِ وتيرَةِ الإضطراباتِ القبلية لتُصبحَ وهى حديثُ العَالمِ بين عشيّةٍ وضُحاها، بَعْدَ أن سكُبوا الزّيتَ على النّارَ التى أشعلُوها فى دارفُور ــ كتلك التى تأجّجت فى الجَنُوبِ من قَبل، وقد أدّت إلى مَقْتَلِ وتشْريدِ عشَرَاتِ الآلاف من المدَنيين الذين نزحُوا إلى دُوَلِ الجوارِ خاصّة إلى تشاد الحُدوديّة.

وقد وَجَدَت الولاياتُ المتحدة الأمريكية ضالّتها المنشُودة فى أحداثِ دارفور التى صنعُوها، فحَاوَلَ رئيسُها بُوش الثّانى جاهداً توظيفَ الاشتباكاتِ الدائرةِ بين الميليشياتِ المُتناحرةِ هُناك بسببِ الكلأ والمياه، لزيادة نقاطه فى سباقِ الرِّئاسةِ أمامَ مُنافسهِ الديمقراطيِّ، بسببِ تآكلِ رَصيدِه، وهبـــوطِ شعبيته لمَا يلحق بقُوّاته التى تحْتَلّ العراقَ

من هزائمَ وتَقْتيلٍ ، وتحْريقٍ على أيدى المُقاومَة العراقية الشّرسة البَطَلَة، والمُجاهدين المُتَطَوِّعين من العالَم الإسلاميِّ دفاعاً عن العراق، ونَظَراً لمَا تعرّض له ""بلير & وبوش"" بسببِ الانتهاكات الصّارخَة لحقُوق الأسير، بل قُلْ حقُوقِ الإنسان على جُملتها بعد أن نَشَرَ البريطانيُّونَ والأمريكيُّونَ بأنفُسهم صُوَرَ التّعذيب والمُمارساتِ الفاضحة لقوّات الاحتلال الأنجلو ــ أمريكى فى العراق بما فيها صُور الاعتداءات الجنسيّة علَى النِّساء والفَتَياتِ العراقيات، والأطفال، والرّجال فى بلدهم الواقع تحتَ الاحتلال.

لقد قامَ المُحافظون الجُدد فى الإدارة الأمريكية بتصْوير مُشكلة دارفُور وإظهارها للعالم كما لَو كانت حرب إبادَة تشنُّها الحُكُومةُ السُّودانية ضدّ القبائلَ الإفريقية فى الإقليم {غير المُنتمين إلى أصول عربية}، وهو ما أثار العَديدَ من التّساؤلات، ووَضَعَ علامات الاستفهام حَوْلَ طبيعةِ ما يجْرى فى دارفور . ولمصلَحَة مَن يدُور هذا الاقتتالُ؟!.

ويبدُو أنّ دارفور هى شوْكَةُ الأمريكيِّينَ فى ظَهْر عُمر البشير وحكُومَته الإسلامية غير الدّائرة فى الفَلَك الأمريكى، حيْثُ قد بَدَأ الأمريكيون فعْلاً فى دقِّ طُبُول الحرب على السُّودان بسبب أزمةِ دارفور المُصطَنَعَةُ، بعد أن بدأت تتلاشَى قَضيّةُ انفصال الجنُوب ولَوْ مؤقتاً.

ففى مطلع يوليو ٢٠٠٤ قام كُلٌّ من وزير الخارجية الأمريكى **كولين باول،** والأمين العام للأمم المتحدة **كوفى أنان** بزيارة إلى دارفور رافَقَتْها جُملةٌ من التّصريحات والتهديدات النّارية للحُكُومة السُّودانية المركزيَة فى الخُرطوم.

وبرغْم أنّ زيارةَ باول هى الأُولى من نوعها لوزيرٍ خارجيةٍ أمريكيٍّ منذ عام ١٩٧٨م.، إلاّ أنّها لم تخلُ من صَلَفَه المعهُود، وتدَخُّله فى أدَقِّ الشُّئون الدّاخليّة للدُّول، وبخاصّة العربيةِ والإسلامية، وقد أكّد باول أنّ حُكومةَ السُّودان مُتورطةٌ فى تسْليحها لقبائل **الجنجويد** العربيةِ ضدّ السكّان المُنحدرين من أصُول إفريقية.

واتساقاً مع النّهجِ الأمريكيِّ فى الموضُوع ذاته قام **كوفى أنان** بزيارة دارفور وأطْلَقَ الوَعيدَ والتّهْديدَ لحكُومة البشير، وحذّر من تزايُد الحاجَة لتدخُّل دوْليٍّ هُناك لإنقاذ السُّكّان ذوى الأصُول الإفريقية الذين تُصوِّرهم الدعايةُ الغربيةُ علَى أنّهم ضحَايا السّــكّان العرب الذين تدعــمُهم حُكُومَةُ الخرطُوم ، على الرّغم من أنّ سكّان دارفور مُسلمون ، ويعيشُون مُتجاورين فى سَلامٍ ووئامٍ مُنذ مئات السّنين.

لهذه الأسباب اضطُرَّ وزيرُ الخارجية السُّودانيّ **مُصطفى عُثمان** للردّ بقُوّة علَى تصريحات باولْ وأنان قائلاً بوضُوح (إنّ السودانَ لا تُرَحِّبُ بهما إذا كان هدفُهُمَا السعىُ للضّغط على الخُرطوم، وتبنّى آراءٍ مُشوّهة تُروّجُها هيئةُ الإذاعة "التّبشيرية" التّنصيريّة هُناكَ عن قيامِ الحكُومة وأعْوَانها بعمليات إبادةٍ جماعية، أو تطْهيرٍ عرْقيٍّ، أو كان الترويجُ لحمْلَةِ بُوش الانتخَابية، وتأكيدِ حرْصه على الإنسانية المُعذّبة بعْدَ فضائحه وإدارته وقُوّاته ومُمارَساتهم الشّنعاء فى العراق، والتى افتْضَحَت ابتداءً من (مُعتقل أبو غريب).

وقبْل مُغادرَته الإقليمَ أعلنَ باول عن صريح توجُّهه بإطلاقه تهديدات، وتصريحات ناريّة لم يَشَأْ الكشْفَ عنها، واتخاذ إجراءات من قبَل مجلس الأمن، إذا فَشلَت حُكومةُ السُّودان في إنهاء أزمة دارفور، غير أنّهُ حدّدَ ثلاثةَ مطالب يتعيّن علَي الحُكُومة السودانية تنفيذها وهي { التوقُّف عن دعم ميليشيات الجنجويد المتّهمة بارتكاب جرائمَ تطهيرٍ عرْقيٍّ، والسّماح لمُنظّمات الإغاثة بدخُول دارْفُور، والبدْء فوراً في مُفاوضَات مَعَ الجمَاعات المتمَرِّدَة في الولايات الثلاث }. ثُمّ تبجّح وتوعّد في الوقت ذاته السُّودانَ بالتّدَخُّل العسكريِّ الفوريّ لإحلال الأمن والسّلام، والبَرَكات في ــ الإقليم ــ علي طريقة وحيد القرن فى أفغانستان والعراق.

ودَخَلَ جارانج زعيمُ الجنُوب المُنشق الحَلْبَةَ، حيثُ وَجَدَ في حَرَكَات التّمرُّد فـي دارفور فُرصةً جيِّدَةً للضّغط على حُكُومَة البشير الواقعَة تحتَ ضغُوط هائلة للحُصُول على تنازُلات أكثرَ قبْلَ توقيع اتِّفاق السلام مَعَ حكُومَة البـشير لإنهـاء النّـزاع فـي الجَنُوب، وحذّر حكُومةَ الخُرطُوم من أنّه لن يُسمح للحُكُومة الانتقاَليّة المُزمَع إقامتهـا بَعْدَ توقيع اتفاق السّلام بمُواصلَة ما أسماهُ بهَجَمَات تُنظِّمُها الدّولةُ علَي المَـدَنيِّينَ فـي دارفور، والتى وَصَفَها بأنّها جريمةٌ بالغةُ الخُطُورة.

وخلاصةُ القوْل :

إنّ ما يحدُث في دارفور لم يكُن أبَدَاً هو مدعاةُ التدخُّل الأجنبـي فـي الـشُّئون الداخلية للسُّودان، إلاّ أنّ وحيدَ القرن، ومن خلْفه رأىٌ عامٌ حكوميٌّ أورُوبـيٌّ ضـالٌ، باتوا جميعاً يصوِّرونَ الأحداثَ الجاريةَ هُناك علَى أنّها حربُ إبادَة جماعيّة ، وتطْهيرٍ عرقيٍّ، وهو ما يمثِّلُ مأساةً إنسانيةً تستَدعي التَّحـرُّكَ الفـوريّ لإحـراق الـسُّودان والإطاحة بنظامه بحسب زعمهم،وقد شربَ المغفّلون الجاهلُون كأس الخديعة الممزوج

الممزوج (ماسُونياً، صُهيونياً، وصَليبياً)، وردّدوا تلك النّغمات باللّعبِ على الأوتـار الرّنّانة، وقد نسيَ الجميعُ أو تناسَوْا وقُوفَ العالَمِ مُتفرّجا،على ما يقَعُ بيـنهُم مُكتفُـون بمصْمَصَةَ الشِّفاه عَلَى مذابِحِ رُواندا، وأوغندا، والشيشان، والبُوسنة، مُروراً بالجـاري فـي فلـسطين، والـصُّومال، وأفغانـستان، والعـراق، والفلبـين، وتايلانـد، واندونيسيا.وغيرهم.

والعجيبُ أنّ ما يجْري على السّاحة الآن، لا يبدُو كافياً للدّول العربيـة أو العـالَمِ الإسلاميِّ لإصدارِ مُجرّد تنْديدٍ بمُحاولاتِ الغربْ، لا للتّدخُّلِ فـي الـشُّئون الداخليـة للسُّودان فحسْب، بل للتّصريحِ بالتدخُّل العسكَريِّ المُباشِر، ومن ثَمّ فقد تُركَ الـسودانُ وحيداً كما تُركَ من قَبْل يُواجهُ حركةَ جارانج المدعُومة سراً من إسـرائيلَ وأمريكـا والفاتيكان في مفاوضات (مشاكوس، ونيفاشا)، فى ظلِّ ضغُوطٍ أمريكية، وأوروربيّةٍ هائلة علنيّة، ممّا قد يُؤدِّى إلى انفصالِ الجنُوبِ فى النِّهاية، والـذى تُـشَكِّل مـساحته خُمس مساحة السُّودان، والاتفاق المُوَقّع بين الجنُوبيين وحُكُومة الـسُّودان المركزيـة ينصُّ صرَاحَةً عَلَى إعطاءِ الجنُوبيِّينَ الحقَّ فى تقْرِيرِ المَـصيرِ بموجَـبِ انتخابـاتٍ مُباشرةٍ تتحدّدُ فى وقتٍ لاحقٍ، وهَذَا هو بيـتُ القَـصيدِ، لأنّ (الجَنُـوبَ الـوَثَنِيَّ ــ المسيحيَّ) المُتصهْين سوْفَ لا يقْبَلُ التّنازُلَ عَن الانفصالِ، وقيامِ دوْلـتِهم المدعُومَـة من الغرْبِ بعد رفْضِهم العيْشَ فى سلامٍ مع حُكُومةِ الشّمال المُسلمة.

وها هى أزمةُ دارفور تسيرُ فى الاتّجاه ذَاته ليتأكّد انفصال ١/٥ خُمـس مـساحة السودان الكُلِّية من جهة الغربِ ــ أى ــ ما يعادل مساحة فرنسا تقريباً.

وبينما تُحاول الادارةُ الأمريكيّةُ جاهدةً العَمَلَ على تجْميعِ أدلّة إدانةٍ ضدّ حُكُومَـة الخُرطُوم، فى أحداثِ دارفور، لاتخاذها ذريعةً لغزْوِ السُّودان، عَلَى نَظيرِ ما كان منها قبل غزوها العراق ومن قَبْله أفغانستان، أعلن التّـابعُ البريطـاني **بليـر** الـذى زارَ الخُرطومَ فى أكتوبر ٢٠٠٤ عن شُروطه الخمسة لإنهاء النِّزاع فى دارفور.!!!

وأثناءَ زيارته للسودان التى قام بها مُنفرداً بعد أن غادرَها **أنان، وبـاول** أعلـن **تونى بلير** رئيسُ الوزراءِ البريطاني عـن تجهيـز **٥٠٠٠** آلاف جُنـديٍّ بريطـانيٍّ مجهّزين عَلَى أعْلَى المُستويات القتالية، وبأحْدَثِ الأسْلحَة ، وأفضلها تقنيةً جاهزين فى انتظارِ الأوامرِ للتدخُّل فى **دارفور** لفرض السلام والأمْنِ، كما هو الحالُ فى العـراق، وأفغـانستان، ومن قبل فلسطين، وقد تـطابَقَ قولُ بلير مع ما قال به وزيرُ الخارجيةِ

الأمريكي، والأمين العام للأمم المتحدة، فى إشارةٍ إلى احتلال الإقليم احتلالاً عسكرياً سافراً، وما ذلك فى حقيقَتِه غير تطْويقٍ لمصر، وحصَارِهَا ضمن جدْولٍ زمَنيٍّ وخطَطيٍّ شديد الإحكام، فى ظلِّ الوجُود المكثّف للمُوساد الإسرائيليِّ فى الإقليم الذى اختارَ الانفصالَ مُبكِّراً وأمْسى وله (١٨) ثمانية عشر سفارةٍ فى العالَم فى معْزلٍ عن حكومة السُّودان المركزيّة.

وهو ما أكّدَت عليه الحُكُومةُ الأردنيّةُ مع مطلع ينـاير ٢٠٠٥ حيث أكّدت السُّلْطاتُ الأمنية الأردنية نَبَأَ إلقاءَ القبضِ علَى شبكَةٍ إسرائيليةٍ تديرُها المُوسادُ تعمَلُ فى مجَالِ تهريبِ الأسلحَةِ إلى المُتمرِّدينَ فى دارفور، وأعلنت كذلك عن أسمائهم وأعمارِهم، وأكّدت أنّ من بين أعضاء هذه الشّبكة أبناء مسؤلينَ كبار فى الحكُومة الإسرائيلية والكنيستْ، وهو ما كشَفَهُ تقريرٌ لجهاز المُخابراتِ الأردنيّة وأعْلَنَ فيه عن شبكةٍ إسرائيلية تقوم بتَهْريبِ الأسلحةِ إلى إقليم دارفور غرب السودان، وأنّ السُّلطاتِ الأردنيةِ احتَجَزَت اثنينَ من أعضاءِ تلك الشّبكةِ يحملانِ الجنسيّةَ الإسرائيليةَ من بينهم شخْصٌ يعملُ بصُورَةٍ مُباشرة مع { دانُو بـانور } الإبـن الأصـغر لمـدير جهـاز المخابرات الإسرائيلي السّابق فى حكومة إيهودا باراك، وأكّد التقريرُ المُخابراتى أنَّهُما أدْلَيَا بمعلوماتٍ مُؤكّدة تُفيدُ بتوريطِ (شيمون نادر) وهو صـاحب شـركة اسـتيراد وتصدير إسرائيليةٍ فى تهريبِ أسلحةٍ إلى إقليم دارفور.

كما يمثِّلُ وجُودُ إرساليات التّبْشير، وغيْبَةِ السُّلْطة، والإنفلاتِ الأمني (المرسُـوم والمدْعُوم من قُوى خارجيةٍ سرّاً وعلانيةً) وكذلك التّصويرُ الإعلاميُّ الغربيُّ المَهَوِّل للصِّراعِ الدائرِ نقطة تحوُّلٍ خطيرةٍ فى امتدادِ حزَامِ التّوتُّرات حولَ مصر، وخلْقِ قُوس من الزّعْزَعةِ الأمنية المرسُومة بدقّةٍ حولَ حُدودها.

أمّا الحقيقةُ الغائبةُ والتى لم يتعرّض الإعلامُ الغربيُّ لها ، ولم يُحـاول الإعـلامُ العربيُّ المغلوبُ علَى أمْرِه الكشْفَ عنها للرَّدِّ عَلَى مزاعمِ الغرْبِ وتعْريتها وفضْحها. لانشغاله بهيافةِ الإعلاناتِ ، ومُسلسلات قُمصان النُّوم، فهى أنّ الصِّراع الدّائر فى إقليم دارفور غربَ السُّودان ليس وليد يومِه أو عامِه، إنْ هُو إلاّ تنافُسٌ وصراَعٌ مَريرٌ غير شريفٍ دائرٌ مُنذ مئات السِّنين، سبَبُهُ الوحيدُ هو التّنافُس على السّيطرة على المراعى النّادرة، ومصادرِ المياه الشّحيحَة فى تلك البيئة الصّحراوية الجافّة، وهى مشاكِل يوميّة ومُعتادَة بين القبائلَ البَدَويّةَ فى العالَمِ كُلِّه، أمّا التّرويجُ والتّشْهيرُ بأنّ هذه

الأحداث تأتى فى إطار قضايا التّطْهير العرقيّ، وحرْب الإبادة الجماعية فإنّـهُ بعيْنـه الأداةُ المُعلنةُ التى تمثّل بوّابةَ الدُّخول العسكريّ للغُزاة المُحتلّين إلى دارفـور تحـت دعاوَى إنسانية باطلة، وبمُوجب غطاء ممّا يسمّى بالأُمم المتحدة تحت مُـسمّى قـوّات حفظ السلام الدّولية، مثل التى كانت فى الصُّومال، ولُبنان، وفيتنام، لتبريـر احـتلال السُّودان، وتجزئَته، كما هُو الحالُ فى النُّمُوذج العراقـيّ، لـضمان الاسـتيلاء علَـى ثروات المنطقة ، وقد أكّـدت على هذا التوجُّه الأمريكيّ وزيرةُ الخارجية الأمريكيـة المُبَطَنّة (كوستا ليتا) عفْوَاً كونداليزا رايس مع نهاية سبتمبر ٢٠٠٦ عندما أطْلَقَـت تهديدَهَا المُباشر إلى السُّودان بقولها يتعَيّنُ عَلَى السُّودان إمّا قُبول قُوّات دوليـة فـي دارفور أو الاستعداد للمُواجهَة فى إشارَة صريحَة لغزو السودان، وتتطور الأحداثُ.

وقد أعْلَنَ السيد (عبد الله محمد سيد أحمد) والى غرْب دارفور السابق، وأمـينُ عام منظّمة الدّعوة الإسلامية بالسُّودانَ عقِبَ تصريحات **بلير وأنان وباول** أنّ شـعب دارفُور سيستقبلُ الغُزاةَ بالرّصاص، وليس بالوُرُود والرياحين، من جانب آخَرَ تطْرَحُ قضيَةُ دارفور تحَديّاً جوهرياً على صعيد تحقيق الأمن والاستقرار فى المنطقة برُمّتها، وتدرأُ إمكانية تداعي الأزمَة بانعكاسات وَخيمَة ليس فقـط علـي العلاقـات العربيـة الإفريقية في مناطق التّماس العربيّ الإفريقيّ، بل وإفْشال عزْم بعْض الدّوائر الغربيـة دقّ إسفين جديد داخلَ العالَمَيْن العربيّ والإسلاميّ.

ولن يكون دورُ الجامعة العربية فاعلاً من غير التعامُل الجيّد والتّعاون الجادّ من كُلّ الدُّول الأعضاء بجدية وحَمَاس لتدارك خطُورة استمرار الأزْمة لا علي الـسودان المُوحّد فحَسب بل علَى المصالح الإستراتيجية العربيّة علَى إطلاقها، وفي مُجملها.

✦ ب ـ الانتكاسةُ العُظْمَى:

تعلمناها في فَرع الهندسَة من علم الرياضيات أنّ المثلث له ثلاثةُ أضـلاع ولـهُ أكثرَ من زاوية، وقد تتساوَى أضلاعُهُ ، وقد تخْتلف، وقد يحوي زاويةً قائمةً وزاويـةً حادّةً وأخري مُنفرجة، رأسُه المُدبّب لأعلَي وقاعدَتُهُ لأسفل فيما يُشبه الشّكلَ الهرَمي، وآخَرَ تكُون رأسُه لأسفلَ وقاعدتُه لأعْلَى. المُهم أنّه شكل هندسيٌّ قائمٌ وكـائن مهمـا اختَلَفَت أضلاعُهُ، أو تبايَنَت زوايَاهُ.

(٣٦٦)

وإذا استقْطَعْنا المنطقةَ العربيةَ من العالم الإسلاميِّ، وقُمنا بـــالتّطبيق العملـــيِّ علـــي أوضاعنا وحقيقتنا، لَبَلَغْنَا الثّبُتَ من أنّ الأرض ذاتِ الحُدود ضلعٌ، والنِّظام الذي يسُودُ ضلعٌ ثانٍ، أمّا الثّالث فإنّه الشّعب المُتنعِّم بالمُواطنة. وتلك هي الأضلاعُ الثلاثة فـــي كيان الأُمّة وكُلِّ أمّة.

وإذا نظرنا إلي ضلعِ الأرضِ لتبيّن لنا أنّ الأرضَ العربيّةَ تتآكل لا بفعلِ التعريـــة والتهامِ الماءِ لليابسة، بل بفعْلِ الهَجَمَات الاستـــعمارية العـــابرة للمُحيطـــات والبحـــار والتي التَهَـــمَت أراضٍ إسلامية بعَيْنها، وقد غابـــت في بطنِ التّاريخ، ولم تعُد غيـــر ذكري عند الخاصّة من المُتعلِّمين العالمين لا تغيبُ، ابتداء بغرناطَة، وجُـــزُر ليلـــى، والأندلُس، وانتهاءً بالعراقِ، وفلسطين، مُروراً بزنجبار، وطنب الصُّغْرى، والكُبـــرى، وأبومُوسى وبُخارى، وسمرقند، وطَـــشْقَند، وأذربيجـــان، وأرمينيـــا، والإســـكندرونة، وغيرها.

وإذا أتبعنا النّظر لاستكشافِ الضِّلع الثّاني في المُثلث غيرِ المُتـــساوِي الأضـــلاع وهو{ النِّظام الذي يسُودُ } لوجدناهُ بلا تحامُلٍ أو تجامُلٍ ــ النِّظام الحاكمُ، السّلفيُّ منـــه أو التّقدُّميُّ، أو بعبارة أخرى ــ الأصولي أو العَلْمَاني ــ وقد تحدّدت مهامّـــه فـــي القيامِ علَى رعايةِ مصالحِ الشُّعوب، ورعايتها، وتنميتها في مُختلف الاتجاهات، وكذلك تقْنينُ التّشريعاتِ للحفاظِ علَي أمنِ الوَطَن وصيانةِ أراضيه، والزّوْد عنهـــا، وســـلامة المُواطنين والرّعايا، وإقامة ميزان العدل، ودرْءِ المفاســـد وجلْـــب المنـــافع، وإعـــداد وتوجيهِ وتدريبٍ وتنظيمِ الطّاقاتِ والإبداعاتِ، وتطْويرِ الإمكانيـــاتِ لتـــسهيلِ الحيـــاة لجميعِ المُواطنين، وتحقيقِ الرّفاهية، والخير ، والعدْلِ لجميع المُواطنين من غيرِ تمييزٍ بسببِ الجنسِ، أو اللّون، أو الدِّين، أو الاخـــتلاف الـــسياسيِّ، أو المـــذهبيِّ، وتوقيـــع اتفاقياتِ السّلام، وإعلانِ الحُروب.. إلخ، ممّا تُحدِّدْهُ الدّساتيرُ الموضُوعةُ لِكُـــلِّ دوْلَـــةٍ علَى حدة..

كما أنّ لهذه الأنظمَة وقياداتها مهام ووظائف يُحتِّمُهـــا القـــانون، ويقـــضي بهـــا الدُّستور الدائم سواء أكان جامداً أمْ مَرِناً، وهم يخْضَعُون كذلك للقانُون بحكُم الدُّســـتور ذاته مثْلَ العامّة من الناس (المحكُومين).

ومن الواضح أنّ الدُّستور بالنِّسبة للحُكّام هو السّند الشّرعيُّ لامتيازاتهم، كما أنّه هو القانون الذى يحْكُم وظائفَهُم.

١ ــ فالدُّستور هو سند شرعية (legitité) السُّلطات الحاكمة، فالفردُ أو الهيئةُ التى تُمارسُ الحُكمَ إنّما تؤدّى وظيفةً عَهَدَ بها الدُّستورُ إليها، ومن ثمّ فإنّ قراراتها تُصبحُ بهذه الصِّفة الدُّستورية مُعبِّرة عن إرادة الدّولة.

٢ ــ ويترتّب على ذلك أنّ الدُّستورَ هو الذى يُؤسِّسُ سُلطَةَ (autorité) الحُكّام، فهذه السُّلطة لا تُوجد إلاّ بالدُّستور، ولا تظْهَر إلاّ بالقدْر الذى يُجيزُه الدُّستورُ وينظِّمُهُ.

٣ ــ وأخيراً فإنّ الدستور هو الذى يُحدِّدُ اختصاصات (gompetence) السُّلطات الحاكمة، فهو الذى يُعَيِّنُ الوظائف التى تضطلعُ بها كُلُّ هذه الهيئات، والحُدُود التى تُمارَس فى إطارها الوظائف.

وتتأثّر الدّساتيرُ فى توزيعها لوظائف الحُكْم بين سُلطات الدّولة المُختلفة باعتبارات سياسية مُتعدِّدة تتعلّقُ بالفلسفة التى يقومُ بها الدُّستورُ.

ويخلُصُ ممّا سبقَ أنّ الجانبَ الأوّلَ للموضوعات التى يتناولها الدستورُ بالتنظيم هو تحديدُ وتعْيين الأشْخَاص والهيئات التى يكُون لهَا حقُّ التّصرُّف باسم الدّولة، فالدُّستور يعيِّنُ هؤلاء الأشخاص والهيئات، لا بزوَاتهم بلْ بشُرُوطهم وأوْصافهم ثُمّ يُبَيِّنُ الطّريقَ الشّرعي لوصُولهم إلى السُّلطة، ووسائلَ وحُدودَ ممارساتهم لاختصاصاتهم الدستورية(١).

وفى الواقع المشْهود تَجدُ المُعطيات تنْطقُ شاهدةً عَلَى أنّ القانون لاينفّذ بحذَافيره إلاّ على الغلابة (عيني عينك)، بينما الفَسَادُ الحُكُوميُّ (ع المكشوف) فى كُلِّ القطاعات، وبات الرّقيب فى أشدِّ الحاجة إلى من يُراقبُهُ، والكوارث باتتْ عرْضاً عامّاً فى كافّة مناحى الحياة وعلَى وجه الخُصوص فى قطاعَي النّقل البحري والبرِّي، ونخُصُّ منها كوارث السِّكك الحديديّة، خاصة فى عالمنا العربيِّ والإسلاميِّ من غيْر تحرُّج أو تَمْييز، وعادت إلى الوُجود ما كانت تُعرفُ بمُجتمعات النِّصف فى المائة، ورَاجَ الاستهتارُ بمصالح المواطنين وأوْقاتهم، وهو سيِّدُ السّاحة والموقف، وصارَ

(١) لقانون الدستورى / ص ٢٢ : ٢٣ . د. محمد حسنين عبدالعال

الضّغطُ على رقابِ الفُقراءِ ضرورة مُلحَّة، والأدْهى والأمَرُّ أن العلاقات بيْنَ الشّعبِ العربيِّ الواحدِ داخل الحدُود السياسية للدُّول الأُخرى أمْسَت بيدِ الأنظمَةِ الحاكمة لتلكَ الدُّولِ تتعامل معها كتعامُلها مَعَ مضخّات البترول إن شاءت ضخّط، وإن شاءت أوْقفَت، وأصبْحتْ التّرقِّيات للمناصبِ العُليا ترتبط بالقُدرةِ والكَفاءةِ علَى الوُقُوفِ علَى جُثث الآخرين بعد التّجسُّس عليهم والوِشَايةِ بِهم، وأضْحى الطّعنُ فى القرآنِ الكريمِ يُطرِبُ الصّفوة فى اللّيالى الملاحِ، وسبٍّ رسول الله ﷺ ودين الله فى الأُمْسيات السِّياسيّةِ والثّقافيةِ هُو مُوضة العَصر.

هذا إلى جانبِ تهريبِ الأموال الوطنيةِ إلى بنوك الأعداءِ فى الخارجِ، وتهريبِ المطلُوبين للعدالَة يتمُّ عبْرَ المرافئ الرّسمية للدُّولِ بتدابير رُؤُوسٍ كبيرةٍ، والتنفيذيُّونَ والتشريعيُّونَ يتناطَحُون، ويتشابكُون، ويتلاكُمون بالأيادى، ويتلاسَنُون، ويتصافَعُون على الوُجوه والأقْفية – كمثلِ ما يقعُ من بعضِ القادَةِ العَرَبِ فى بعضِ لقاءاتِ القمّة (السّاخنة جداً) على غرار ما يقع من الصِّغار الذين يلعبون الكُرة الشراب فى الشارع ورأينا السُّجونَ مؤخّراً تضمُّ وُزراءَ، وتنفيذيِّيِّنَ، بلْ ورجالَ قضاءٍ، بسببِ الفَسادِ والرِّشوةِ، والاستيلاءِ علَى المالِ العامِ، والتربُّحِ، واستغلالِ النُّفوذِ، وتجارَةَ المخدراتِ، أو استيرادِ سلَعٍ فاسدَة، وانتشرت المحسُوبية، وانعدمَ مبدأ تكافُؤ الفُرصِ، وعاد زمن (الناس اللى فوق، والنّاس اللِّى تحت)، ودارَت عجلةُ التّاريخِ إلى الخلْفِ، فتمكّن اليهود من تملُّك الأراضي والعقاراتِ فى عالمنا العربيِّ بنَصٍّ القَوانين المُستحْدَثَةِ الجاذبَةِ للإستثمارات الأجنبية، وازداد الغنىُّ غنىً، والفقيرُ فقراً، حتى خرَجَ الناسُ على المألوفِ فتعدّدَت جرائمُ السّرقات، والنّشل، والنّصْبِ، والدّعارة، واللُّواط ، واختطافِ الإناث والاعتداءِ عليهنّ ...... إلخ.

وبَدَت المجتمعاتُ الإسلاميةُ أشْبَهُ بعالَمِ البحارِ الذى لا يُرَى منه غيرُ ما يطفُو على السّطح، وكأن الجميعَ يعيشُ فى ظلّامِ فى ظلٍّ تلك الأنظمةِ أوْ هذه، خاصّة وأنّ الغالبيّة العُظْمَى من القياداتِ والأنظمةِ قد تربّوا فى المدارسِ السّياسيةِ والاقتصادية الأمريكيةِ، ولهُم مصالح كبيرة ورباطاتٍ وثيقةٍ بالقياداتِ الصهيونية، وعلاقاتٍ وطيدةٍ بالمؤسّسات الأمريكية، وانظُر إلى النُّموذجِ العراقيِّ، فَما زالَ واقفًا علَى رُؤُوسِ الأشْهادِ، وهذا رئيسه الشّهيد " صدّام حسين " وقد اغتالوه عمداً " شنقا " كقرارِ محكمةِ

الجزاء العراقية الخاصة المشكلة لمحاكمته عن تُهمة قيادة المُقاوَمَةِ والـــصُّمودِ أمـــام قوّات الفتح الأمريكانِى الجديد.

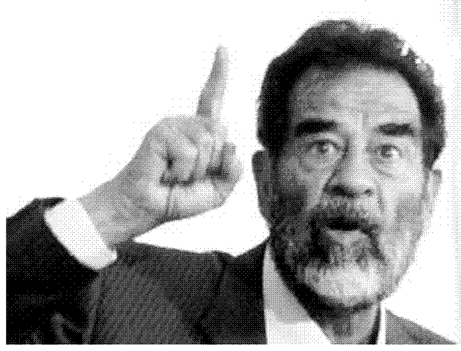


حُرِّيَةُ العِراقِ ــ على الطّرِيقَةِ الأمرِيكيّةِ



((الرئيس العراقى (صدام حسين) الأسير لدى الأمريكيين فى طريقه إلى المحكمة العراقية التى شكلها الأمريكيون ، لمحاكمته وقد حكمت بإعدامه شنقاً حتى الموت.))

(٣٧٠)



((أثناءَ مُحاكَمَتِه عن تُهْمَةِ مُقاوَمَةِ الاحتلال الأنْجُلو ــ أمريكيِّ لبِلادِه))

أمّا إيران الإسلاميّة، وسُوريا العلْمانية فعَلَيْهما يتعيّن التّسليمُ والاندماجُ فى النِّظامِ العالمَي الجديد، والدُّخُول إلى العَوْلمة، واعتناق مبادئِ العلْمانيةِ، أو النّسْفِ بأُمِّ القنابِــلِ والدّكّ بعوابرِ القارّات، وبغدادُ الحدُودية ليست ببعيدةٍ.

أمّا العقيدُ القذّافى فقد تدارَك أبعادَ الموقفِ وتداعياتِه، ووقفَ على حقيقةِ حجْمِـــه، أو كما يقولون (جاب م الآخِر) فرفَعَ الرّاية البيضاءَ، وأعلنَ تنازُلَ بلاده التّــام عـــن الاستمرارِ فى برنامجِ التّسليح النّوويِّ أو الكيماويِّ، وأعْلَن خُلُوَّ بلاده من كافّة أســلحةِ الدّمارِ الشّامل، وقامَ بتسليم كلّ ما لدَيْه إلى الإدارةِ الأمريكية التى شَحَنَت ونَقَلَــت مـــا تَنَازَلَ عنه القذّافي طواعيةً إلى الضّفة الغربية للمحـــيط الأطلـــسيِّ وعلَـــى حـــسابِ الجماهيرية اللِّيبيةِ الشّعبيّةِ الاشتراكيّة العُظمى.

أمّا الرئيسُ اليمنيّ على عبد الله صالح فقد سَبَقَ القذّافي فيما ذَهَبَ إليـــه، حيـــثُ سَلَكَ مَا يتناقضُ تمامًا مع كَلِمَاتِه المُلتَهبة، وتَعْبيراتِه المُثيرة، وخُطَبه الرّنانة المُهيِّجَـــة لِلْحسِّ الوَطَنيِّ ، والمُؤجِّجة للمشاعرِ الدينيّة والثّورية، أثناءَ انعقاد مؤتمراتِ الجامعـــةِ العربيةِ سواء فى طَوْرِ انعقادها الدّوريِّ أو الاستثنائيِّ، التى مـــا تفْتَـــأُ تُعلـــن بيانهـــا الختاميِّ حتى يطير معظمُ هؤلاء القادة إلى واشنطن، رُبّما طلباً للعفْـــو والـــسّماح، أوْ للتأكيد عَلَى عدَم الخُرُوجِ عن النّصِّ.، كما يلتقـــى الـــبعضُ بالـــسِّياسيِّيِّنَ والتّنفيـــذيِّيّنَ الإسرائيلِيِّيِّنَ سرّاً أوْ عَلَنَاً فى العواصمِ العربيّةِ أو فى إسرائيلَ أو فى بعضِ العواصـــمِ الأُوروبيّةِ المَعْنيّة.

(٣٧١)



{{ على عبد الله صالح وبوش الثانى فيما يقال له لقاء قمة !!! }}

تلك هى الأنظمةُ التى تتخبّطُ فى قراراتها ولمْ تُؤكِّد عَلَى الفصلِ بين السُّلطاتِ التى حَدّدها الدُّستورُ ؟ حتى صارَ الرَّجُلُ مُشَرِّعاً وتنفيذياً فى آنٍ. بحيثُ يصير من العَسِيرِ مُسائَلَته أو محاسبَتَه من أين ؟ أو عَلَى أيِّ ؟، وإلى مَن ؟، وإلى مَتَى ؟، ولماذَا؟، وهو ما قد يسمح باختراقِ الأمْنِ من ثَغْرات عديدةٍ، من أخطرها التّرويج الزّائفُ للأفكارِ الهدّامةِ القائلةَ بأنّنا نحنُ معاشر العربِ والمُسلمين ما زِلْنَا فى مسيسِ الحاجَة للخبْرَة الأجنبيةِ التى تُدير لنا مرافِئَنَا الوطنيةِ، وتلك أقاويل المُرتزقة، والسّماسرَة، الذين نسَبُوا العجْز والتّخلُّفَ لأمّة علّمتِ العالمَ بعُلُومِها، وفنُونها وآدابها، وقد ضيّعها أمثالُهم، ومن شابهَوُهُم من دُعاةِ التأريبِ والفرنْجة والأمْركَة والتّطبيعِ فى نهايةِ المطافِ، ثُمّ هُم يُرَوِّجُونَ سُمُومَهُم، ويَتَبَّجُحون باستدعائهم كَبيوتِ خبرَةٍ لتعْليمِ الأُمّة فُنون الإدارَة والرِّيادة داخلِ الهيئاتِ والوَزَارَاتِ بما يُتيحُ لهؤلاء ممّن يُقال لهُم الخبراءُ الأجانبِ حقّ الاضطلاع على كافّة المعلوماتِ والوثائقِ المُتاح منها وغير المتاح.

✦ ج ــ عرَقُ الصُّدُور:

جاءت إلى الدنيا كَواحدةٍ من أحدَث أنواعِ الضّرائب فى العالم الإسلاميِّ، وقد شهدت بعضُ الدول العربيةِ شَرْقاً وغرْباً شهادةَ ميلادها مُنذ وقتٍ ليس بقليلٍ، ودخلَت إلى مصرَ مُؤخراً من دُون تعريفٍ قانونيٍّ أو مسمّى شَرعيٍّ لها، غير ما يُمكن أن يُقال عنها ضريبة المِهن المشبُوهة ــ أوْ ــ (ضريبة عَرَق الصُّدور).

حيثُ أثارَت واقعةُ قيامِ مصلحة الضّرائب ببُورسعيد في مصرَ بمُطالبةِ تسْعٍ مِن بَنَاتِ اللّيل بستّة ملايين من الجُنيهاتِ المصريةِ عن نشاطِهنّ بالارتماء في أحضانِ الرّجال لمُمَارَسةِ الرّزيلة والفُجُور لمُدة خمسِ سنوات، واعتبَرَت المصلَحةُ مُطالَبَتها بمثابَةِ ربْطٍ نهائيٍّ للتّقديرات، لعدمِ الاعتراض أو الطّعن على نُموذجَي ١٨، ١٩ ضرائب في المواعيدِ المُقرّرة قانونيّاً، ومن ثمّ فإنّ إحداهُنّ لم تعرِض ملفّها على اللّجنة الداخليةِ لمُناقشتها عَن النّشاط الذي تقومُ بممارَستِه، بحيث يُصبحن وليسَ أمامَهُن غير اللُّجُوءِ إلى اللّجنة الثّانيةِ لإعادةِ النّظر بعدَ تقديمِ المُبرِّراتِ المُوجبَة لإعادة النّظر في التّقديراتِ والرّبط، ومن أهمّها تقديم ما يُفيد امتناعَ حُصول إعلانهنّ بالنّماذج المذكورة آنفاً، وهذا غير يسيرٍ لأنّ حُجة المصلَحَة أقْوى، لأنّها أرْسلت المُراسلات إليهنّ بالبريدِ المُسجّل بعلْم الوُصُول، غير أنّ قرارَ اللّجْنَة الثّانيَة لإعادةِ النّظرِ كثيراً ما يصدُر بالصِّيغة التّالية (المأموريةُ وشأنها في ذلك).

وقد أثارَ هذا التصرُّف كثيراً من الدّهشة والاستنكارِ، والغَضَبِ لِكُل مَن سَمِعَ أو قَرَأَ أو عَلِمَ بالخير الكارثَة.

وعلى حَدِّ تصريحِ المصلحَة فإنّهن مارَسْن، أوْ أدرنَ شُققاً لأعمالِ البغاء، وتسهيلِ لقاءِ راغبي المُتعة الحرام، وقد أحْدَثَ هذا موْجَةً حادّةً من التّساؤلاتِ المريرة، والانتقاداتِ اللازعة، بسببِ ما أُعْلِن عن تحصيلِ جبايةٍ من عاهراتٍ يُمارسْن الرّزيلةَ، كما يَضَعُ علامةَ تعجُّبٍ كبيرةٍ عن كيفيةِ استحلالِ المصْلحة لهذه الجبايةِ بحُجة أنّها حقٌّ الدّولة مثلها مثْل ضرائبِ القمارِ، والمُخدّرات، والخُمُور، والسِّلاح، وغيْرها من المهنِ الواقعَةِ في خانَةِ المَشْبُوهاتِ المغمُوسَة في الحَرَامِ، يستوجِب تحْصيلَ الضّرائبِ المُستحقّةِ عنها سَداداً لحقِّ الدولةِ من القائمِ بمُمارسةِ هذا النّشاط .

فما هو إذاً رأيُ أساتذة القانونِ، والسُّلطة التشريعيّة، ولجْنة الفتوى بالأزهرِ الشّريفِ، ودارُ الإفتاء المصرية، وفي الجُملة ما هو رأْيُ شيخ الجامعِ الأزْهرِ وعُلماءِ الدِّين الإسلاميِّ ، ورجال الدِّين المَسيحي ــ أريحُونا لا ضيّعَكُمُ اللهُ.

ونَصِلُ إلى الضِّلعِ الثّالث وهُو الأهَمُّ على إطلاقه كوْنه المفْرَزَةَ الشّرعيّةَ للقياداتِ والعُلماءِ، والنّوابغِ، وهو معْملُ تفريخِ الإبداعاتِ والإنجازاتِ والتّطويرَات، وهو كذلك

صانعُ المُعجزات، ومُحقِّقُ البُطولات، مالك القُدرات، وسالك مسالك الانتصارات، الذى إنْ أرَادَ دكّ الحُصونَ، وزلّلَ الصِّعَابَ، وعَبَرَ الموانعَ، وفتّت الصّخْرَ، وألانَ الحديدَ، وطوّعَ النّارَ، فذلك هو الشّعب المتنعِّمُ بالمُواطَنَة.

وإذا جازَ لنا البكاءُ على ما آلَ إليه أمرُ المُسلمين ، فإنّ الواجبَ يقضى بالأسى والتّحَسُّر فضلاً عن البُكاء المرير علَى ما صَارَ إليه حالُ عالمنا العربيِّ الذى أمْسى شُعُوباً تتحاربُ فى حُروب بينية طاحنة، بعد أن دبّت فيها الفتنُ ، ولعبت بها الدّسائسُ، وسَرَتْ فيها المُؤامراتُ، وتقطّعت أوصالُهم داخل حُدود سياسية وأسلاك شائكة صنعَها الاستعمارُ، وتدُورُ بسببها نزَاعاتٌ حُدُودية طويلةٌ ومريرةٌ ومُدمِّرةٌ.

وإذا نحّينا التّصادمات المسلّحةَ بينَ الدُّول العربيّة جانباً، واكتفَيْنا بالنّظر إلى سُلوكيّات أبناء الأُمة، لَوَجَدْنا الأخطاءَ القاتلةَ قد مُورسَت فيما بينَهُم، وقد وقَعَت بينهُم الشحناءُ، والبغضاءُ، والقتْلُ، والاقتتالُ، والتخريبُ، والدّمارُ.

من ذلك مأساة المصريين في العراق، وقد دهَسَهُم العراقيُّون بسيارات اللُّوري، وعادت جُثثهم بالجُملة بالطائرات، وصُوَرُ نعُوشهم لا تزالُ عالقَةً في الأذهان، وفي ليبيا صادر الليبيُّون مُمتلكات المصريين فى غير واحدة، واستَوْلَوا على أمتعَتهم، ومُتعلّقاتهم، وألقوا بهم في السُّجون، كما تَجَاوَز اليَمَنيُّونَ الحَدّ ضدّ المصريين في كُلٍّ من اليَمن والسُّعودية، وسَلَك السُّوريُّونَ مسالك العداء ضدّ مصر، بينما التزمُوا الصّمت التّام تجاه العَدُو الذي يحتَل جُزءاً كبيراً من أراضيهم وهو يتشدّقُ مُؤكِّدَاً عَلى أنّ الجولانَ المُحتل جُزءٌ من دولته وقد صرّحَ بذلك رئيسُ وزراء الكيان الصهيوني ايهود أولمريت مساء الثلاثاء ٢٠٠٦/٩/٢٦ مُؤكِّداً على تأكيدات سابقيه فى هذا الشأن.

بينمَا يذكُر التّاريخُ عَلَي صفحات من ذَهَب بأحْرُف من نُور قَصَصَ التّضحيات، ونَوَادرَ البُطولات العَظيمة التي قَدّمَهَا الشّعبُ المصريُّ طوالَ تاريخه لعالَمه العربيِّ وأُمّته الإسلامية، وهو لا يزال كذلك علي عَهْده أبَدَ الآبدين وَدَهْر الدّاهرينَ.

وعَلَي الرّغم من استجابة العَرَب لنداء العقل الذي نادَى به الرّئيس المصري *{ محمد حسني مبارك}* بعد استشْهاد الرّئيس السادات الذي اغتالته أيدى الغدْر والخيانَة فى ذكرى يوم عُرْسه "" السادس من أكتوبر "" وما نَتَج عنها من بداية عهْد

جديد من العملِ العربيِّ بعدَ عوْدَةِ العلاقاتِ العربيّةِ تباعاً مع مصرَ، علي الرّغم مــن ذلك جاءَ رد فعْلِ الشّعبِ العربيِّ البترولِيِّ دُون المُــستوى فــي الاســتجابةِ الفاعلَــة، والمُشارَكةِ الجادّة في مَشاريعِ التّنْميةِ التي تقومُ بها مصرُ في عصْرِ النّهــضة، كمــا كانت استجابتهم لدَعوةِ مصر باستثمارِ رأسِ المال العربي والأجنبيِّ أقلّ كثيــراً ممّــا يُحتِّمُهُ الواجبُ القوميُّ والحسُّ الأخلاقيُّ والوازِعُ الدِّينيُّ.

وأينَ دوْر الأغنياءِ العَرَبِ فــي التّنميــةِ الاجتماعيــةِ والاقتــصاديةِ والبــشريّةِ والعُمرانيّةِ لا فى مصْرَ وحدها بلْ فى العالَمِ العربيِّ الذى يرْزَحُ ثلُثُ أبناؤُهُ تحت خَطِّ الفَقْرِ خاصّة إذا تأكّدْنَا من وُجودِ ٢٩ (تسعة وعشرون) ملياردير اً عربيــا يملكــون وحْدَهُم فقط (١٠٠) مائة مليار دُولار أمريكيٍّ منهم المصري، والكُويتيّ، واللبنــانيّ، والسُّعوديّ، ولا أُثيرُ حفيظَتَكَ إذا ذكرتُ لكَ أنّ ٨٥% مــن المُــستثمرين الخَليجيِّــيِّنَ يستثمِرُون أموالَهم فى الخارجِ، وأنَّ ٦٠% من هذه الاستثمارات فى أمريكا وحــدها، و٣٥% فى أوروبّا، و٥% فقط فى العالم العربيِّ، وأنّ الذى يأتى منهــا إلــى مــصْرَ يذْهَبُ إلى مشاريعِ " الهواء، والفهلوا " شاهدُنا على ذلك كليبّــاتِ الفَــضائيّاتِ وتــشْفيرِ المُبارياتِ، ونغَماتِ الألُوهات.

بينما أموالُهم وأموال غيرِهم مَعَهُم، بل وودائعُ حُكُوماتِهم صارَت نَهْباً مــشْرُوعاً للصّليبيّةِ واليهُوديّة، ورَهْناً للمُصادَرَةِ والتّجْميدِ بمُوجبِ القــراراتِ الأمريكيــةِ التــى تقضي بالاستيلاءِ عليها تحت دَعَاوَى العقُوباتِ الاقتصادية كما هُو الحالُ فى العــراقِ، والسُّودان، واليَمَنِ، وليبيا، وإيرانَ، والباكستان، وفلسطين التى باتــت لــم تَجِــد مَــن يتَصَدّقُ عليها، وإمّا ثَمَنَاً لمبيعات الأسلحة، أوْ سداداً لفواتيرِ الحُروبِ العربيةِ العربيةِ، أوْ العربيةِ الإسلامية، وكُلُّها تصبُّ فى صالحِ القُوى العُظْمَى وهم أعداؤُنا بالضرورة.

وها هو السُّودان الذي يجمَع خصائصَ ومُقوِّماتِ الحياة الاقتــصادية والزِّراعيّــةِ والصِّناعيّةِ وقد باتَ عاجِزَاً عن استغلال مواردِه الجبّارة التي لَوْ أحْــسَنَ اســتغلالَهَا لأمكَنَهُ الوَفَاء باحتياجاتِ العَرَبِ أجمَعين ولأضْحى وهو أمريكا العــرب، ولكنّــه لــم يلتَفِت إليه أحدٌ من أولئك المُودعين في بُنُوك أوروبّا وأمريكا، أوْ مــن أولئــك الّــذين سحَبُوا إيداعاتِ المُواطنين من البُنوك الوطنية فى بلادهــم، وأودعُوهــا فــي بنــوك أعدائهم، أوْ ممّن استولّوْا على مُدّخَــراتِ بنى أوطانِهم وصاروا فُرسانا امتطوا ظَهر

(٣٧٥)

البُرَاقِ، ولَمْ يَرِدْ إلي السُّودان شيءٌ من الاستثمارات العربية لتــزدادَ حــدّة مَــشَاكله خاصةً بعد أن نهَبَتْهُ بريطانيا، وتركَتْه يصارعُ الفقرَ والجنُوبَ.

وانظُر إلي الصُّومالِ الذي التَهمَت الحبشَةُ ما يُداني ثُلث مساحته، ثُمّ قطّع الاستعمارُ أوصالَه إلي ثَلاثِ دُول تتصارَعُ من أجلِ البقاء، وقد طحنَتهُ الحربُ الأهليةُ، حتى باتَ يتسوّل خُبزَه، وهُمُ الآن يدفعُون ثَمَنَ ما فَعَلَ محمد زياد بري الذي سلّم البلادَ إلي عُملاء الاستعمار، وقد عاودت الحبشة المسيحية احتلاله مطلع ٢٠٠٧ بدعم أمريكيٍّ صريحٍ وعَلَنيٍّ تحت دعاوى تمكينِ الحُكُومة المؤقّتة والرئيس العميل عبد الله يوسف، والقضاءِ على المحاكمِ الإسلامية بقيادة شيخ يوسف شيخ علي.

وقد لجأ أكثرُ من نصف سُكّانِ مقديشيو العاصمة إلى كينيا المُجاورَة، وبعضٌ " ***نفد بجلده*** " إلى اليَمَن هَرَبَاً من المَوْت، وإثيوبيا المسيحيّة تقصفُ الصُّومالَ، وتحرق أرْضَهُ، وتُبيدُ شعْبَه بالوكَالة عن الأمريكيين.

وهَذه هــي الجزائرُ التي يحتَرق شعبُها بنارِ الإرهابِ والتّنصيرِ، رغم استمرارِ قانُون الطّوارئِ الذي فرضته الحكُوماتُ العَلمانيّةُ منذ عام ١٩٩٢، وأصرّت علي عَدَمِ رفْعِه رغْم المطالبِ والضُّغُوطِ الدّوليّة بحُجّة أنّهــا مــا زالــت تُحــاربُ الإرهــابَ **(الأصولية الإسلامية المتشددة)**.

ومُؤخّرا كان ما قِيلَ عن اتّهام العَقيدِ الليبي القذّافي بتدْبيرِ مُحاولَة اغتيــال وَلــيِّ العهد السُّعوديِّ **(الأمير عبد الله بن عبد العزيز)** الذى صارَ ملكَاً على بــلاده بَعْــدَ رَحيلِ أخيه المَلك فهد، حتى تطوّرت الأمُور إلى دَرَجَة الطّــرد المُتبــادل للــسُّفراءِ والبعثاتِ الدبلوماســية بين البلدين، ولعلّنا نرْصُد التّداعــياتِ والدّلالاتِ الخاصّة بهذا التّصرف الذى كَشَفَت عنه المخابراتُ الأمريكيةُ.

والأشَدُّ وطأةً والأعظَمُ حدّة تلك التى وقَعَت مُؤخّراً بينَ اليَمَن والممْلَكَة السُّعودية، بسب تعدُّد شكاوَى السُّعوديين وتزايُدها مع نهاية عام ٢٠٠٣ ومطلع عام ٢٠٠٤ مــن تكرار تهريبِ الأسلحة عبْر الحُدود مَعَ اليمَن والتى بلَغَ فيها النِّظامُ الــسعوديُّ مبْلــغَ التّبُت، وقد استُخدمت هذه الأسلحةُ فى التّفْجيراتِ المُتعدِّدة التى تعرّضت لهــا بعــضُ المُدُن السُّعوديّة فى الآونَة الأخيرة ، وجميعُها من صُنع المُوسادِ الإسرائيليِّ الذى لَعب

بأصابعه بقصد خلْخَلَة الأمْن، وإرْباك النِّظام السعودي، والضّغط عليه لإجباره علـــى اتّخاذ مَواقف مُعيّنة.

وقد بدَأت السُّعوديةُ فى بناء ساترٍ حُدوديٍّ ليكُون بمثابة جِدارٍ عازلٍ بينها وبَــين اليَمَنِ لعلاج المُشكلة من جُذورها.

وقد ذكَرت الأنباءُ التى طيّرتها وكالاتُ الأنباء أنّ الرئيس اليمنيَّ{ على عبــد الله صالح } قام بزيارَة خاصّة للسُّعودية للنّظر فى وَضْع حدٍّ فى الجَــدَل الــدّائر حــوْلَ علاقات البلدين بسبب ما تأكّد من تورُّط بعد الدّوائر الرّسمية اليمَنيــة مَــعَ الأصــابعِ الخفية.

وقد ذَكَرَ الموقعُ الاليكتروني لحزب الإصلاح الديني المُعارض نقلاً عن مــصادرَ دبلوماسيّة عربيّةٍ قولَها أنّ هُناك وسَاطَةٌ عربيةٌ لإقناع السُّعودية بدعْم حَرَس الحــدُود اليمني وتدْريبه ، وتأهيله بنَفَقَاتٍ أقلّ من التّكَاليف التى سيتطلّبها بناءُ الجدار العــازل، كما أكدَت ذات المَصَادر أنّ أطرافاً إقليمية ودوْلية تحدّثَتْ مَعَ الــيمن بــشأن جدّيــة المخاوف السُّعودية، وأنّ هناك تفاهُماً مُتبادلاً حَوْلَ أهمية أن تُناقَش هذه الأمُور عَلَــى أعْلَى مُستوى بين البَلدين، وإذا كانَت هُناك إشارةٌ ضمنيةٌ إلى تورُّط النِّظام الإيرانــيِّ فى دعْم الشِّيعة الزّيدية فى اليَمَن، بالإضافَة إلى الفتَن والدّسائس الخارجية التى هزّت ***الخُبْر، والرِّياض***، ومناطقَ أخرى، وأنّ ذلك يُعطى الحقّ للسعوديين ويبــرِّرُ إقــامَتَهُم للجدار العازل بين البَلَدين الشّقيقَيْن بَعْدَ أن أوْشَكَا على تجاوُز خلافات الماضى، فــإنّ الحــقّ كلّ الحقّ لإسرائيل فى بناء جدارها العازل مَعَ مــا تبقّــى للفلــسطينيِّين مــن أراضيهم المُحتلّة، وبخاصّة بَعْد أنْ أقَامَ العربُ كلُّ العرب جداراً جَليديّاً عازلاً بيــنهُم وبين الشّعب الفلسطينيِّ الذى يتعرّضُ لأكبرَ عملية إبادَةٍ مُنظمّةٍ عبر التاريخ الإنسانيِّ كلِّه.

وانظُر شَمَالاً إلى لُبنان، حيثُ أحفاد الفينيقيِّين، وتذكّر ما كان منهم مــن تطــاحُن وخيانة وعمالَةٍ ، تمــثّلت فى انشــقاق بعضهم، وقد اتخذوا ورفاقهُم مــن الــصهاينة أولياءَ يُلقُون إليهم بالمودّة، وحاولَ العماد ميشيل عون الانفصالَ ببيــروت الــشرقية، ودارَت رَحَا الحربُ الأهليةِ فى لُبنانَ كُلِّه، والتى باعَ فيها الرّئيس **بشير الجميل** لبنــان لإسرائيل حتى كان اغتياله بَعْد أن حاصَرَت إسرائيلُ بيروتَ العاصمة، وتمكّن ايريئل

شارون، وشمعون بيريس من ذبْح الفلسطينيين فى صابرا وشــاتيلا، وقتــل العجــائز والأطفال، والشّيوخ، وهتْك الأعراض، واستحياء النساء، وتعرّض لبنان آنئــذ لمحْنــة تفوقُ كلّ المحَن فى مجْزَرَة قانا الأولى ١٩٩٦م.، بعد أن لعبَــت الفتنــةُ الخارجيــةُ الفرنسية / الأمريكية برؤُوس أبنائه حتى احترقَت بيروت، وصيدا، وصُور، ومُعظــم مُدن الجنُوب الأُخرى وسُرعان ما استردّ لبنان عافيتَه، ومــن عجائــب الأقــدار أنْ تتعرّض قانا مَرّة أُخرى لمجزَرة جديدة عُرفت بقَانَا ٢٠٠٦م. وسَطَ صــمتٍ عربــيٍّ وإسلاميٍّ ودَوْليٍّ رَهيب، ثُمّ دَخَل لُبنانُ من جديدٍ فى انقسامات حادّة تمثّلت فــى تيّــار مُوالٍ لسُوريا وإيران ، وآخر مُوالٍ لفرنسا وأمريكا وإسرائيل، ونَزَلَــت المُظــاهراتُ الشّعبيةُ بعشرات الآلاف تُحاصر الحُكومَةَ اللبنانيةَ فى مقرِّهَا بــسبب قُبولهــا تــشكيل محكمةٍ دوْلِيةٍ للتّحقيق فى مقْتَل رئيس الوُزراء السّابق رفيــق الحريــري، ويطــالبُون باستقالتها، ولبنانيون آخرون يطالبُون بضرُورة استقالَة الرّئيس الّلبناني أميــل لحُــود بحجة تعْيينه من قبَل السُّوريين الذين فرَضُوا وصايَتَهُم عليه بحسب زعمهــم، بينمــا يُبرِّرُ آخرُون أنّ وجُود الرّئيس لحُود مُخالفٌ للدُّستور اللبناني وبات اللبنــانيُّونَ بــين مطرقة "١٤ آذار ، و١٥ بؤونة" ولسَوْفَ تهُبُّ على فريق مــنهم ريــاح الخماســين، ولسوف يتعرض الباقُون لإعصار سونامى فى برمُودة، وانقَسَمَ العــربُ بالــضرورة بين مُلتَزِمٍ للصّمت مُكتف بالمُشاهدة، وآخرون مُؤيــدون لحــزب الله والتّيــار الحُــرِّ بزعامة ميشيل عون مؤكّدين عَلَى رفْض انفصالهم عن سوريا، وآخــرون يؤيِّــدُون باستماتَة التيّارَ التقدُّمي المُعاكس الرّافض للرّئيس لحُود والمُوالى للحكُومــة بزعامــة وليد جُنبلاط وسعد الحريرى، بل ويدافعون عن ضرورة قُبول استضافة مــا يُــسَمّى بالمحْكَمة الدولية، وكذلك ضرورة التّعاون مَعَها رغْمَ تأكُّدهم بأنّها تُشيرُ بإصبع الاتهام إلى النِّظام السُّــوري مُبكِّرًا، حتى قبْلَ اضــطلاع التّنظيم العدائيّ الوليــد المُــسمّى بالمحكمة الدولية لمهامها.

وحتى كتابة هذه السطور لا يزال لبنان يندفعُ بسرعةٍ نحْوَ المجهول خاصّةً بعــد تَعَدُّد جرائم الاغتيالات السياسية والتى كان آخرها اغتيال وزير الصناعة اللبناني **بيير الجميل** ابن أمين الجميل (الرئيس اللبناني الأسبق)، والذي يُنذرُ مقتلُهُ بموْجَةٍ حــادّةٍ من الاغتيالات السياسية في الأيام المُقبلة.

ولعلّنا ما نسينا كيفَ استباحَ صدام حُسين بِجنُودِه دوْلةَ الكُويت، وما نَشأَ عن ذلك التّصرُّف مِن مأساةٍ إنسانيةٍ جَمَّة، تماماً كما فَعَلَ هُولاكو ببغْداد، وقد أرادَ اللهُ أُخْرَى .

وهذه هى الأضلاعُ الثّلاثة للمُثلث الوُجُودى، وتِلك هى زَوَاياهُ.



{{ إحدى مشكلات أبناء غرب السودان "" دارفور ""{{ المياه }}



هذه النّيران: فى فلسطين. أمْ فى العراق. أَمْ فى أفغانستان. أَمْ فى الصُّومال؟

(٣٧٩)

ثالثاً: المحْنَةُ المؤْلمَةُ

يميلُ الشّعبُ العربَيُّ بعد تجزئته إلى الوحْدة والتّقارُب، ويَحنُّ إلى الوفاق والكَمَال بسجيّته وفطْرَته، علَى الرّغم من الأسلاك الشائكة أو الحُدود الوهْمية التى تُحاصـره، ولم يعُد قادر علَى اجتيازهما أو تحْطيمهما للعُبور إلى الغَد، والانطلاق نحْو الاتحاد.

ولمّا كانت تلك هى آمال الجماهير العربية فى تجاوُز حُدود الخلافـات، وعُبـور موانع الحكُومات وأسلاكها الشّائكة التى ورثُوها عن الاستعمار، علَى الرّغم من وقُوع العالم العربيِّ بأسره تحتَ الاحتلال أو الانتداب أو الوصاية. أو تلك التى مُنحَت حـقّ الاستقلالَ الممْنُوح وهو لا يتجاوَز كونه "وعْداً لا أكثـر" وإن كـان مكتوبـاً، وبـين الاستقلال فى ظلِّ وجُود الاستعمار وهو استقلال " صُورى "، وبين الاسـتقلال التّـام وهو مُتعذِّرُ الوُجُود.

وأمامَ المطَالب الشّعبيّة المُلّحّة اضـطُّرَت الحُكُومـاتُ للنُّـزول علَـى رَغَبـات جماهيرها، وربّما بتشجيع استعماريٍّ صريح خاصّة من بريطانيا التى كانت من أهـم أولوياتها إحداثُ هذا التّقارُب أوحُدُوثه توْحيداً للصّف، وتفادياً للمُـشكلات التـى قـد تحدُث داخل مُستعمراتها، ولضمان إخماد الثّورات، أو القضاء عليها مُبكِّراً بتـسخين درَجة حرارة المُواطن العربيِّ، ومشاغلَته بما يُلهيه، ولضمان ولائه ومساندَته خاصّـةً وأنّ نُذُر الحرب العالَميّة الثانية كانت تلوح فى الأُفق.

وقد اتّخَذَت مشاريعُ الوحْدة العربية أطْواراً مُختلفةً، ومَرّت بمراحـلَ مُتنوِّعـة، جاءت فى مُقدِّمتها تصفْيةُ الخلافات التى كانت موجُودةً بين الدُّول العربيـة كمـصرَ والسعودية، أو بيْنَ الأُسْرات الحاكمَة كالسُّعودية والهاشميّة فى الأرْدن.

♠ ففى سنة ١٩٣٤عُقدت مُعاهدة الطّائف التى أنهْتَ العُدوانَ بين الـيَمَن والـسعودية، ونُصَّ فيها علَى تنْميَة وحْدة الأمّة العربية، وتحقيق التعاوُن بين الطّرفين.

♠ وفى سنة ١٩٣٦عُقدت مُعاهدة إخاء وتحالُف بين العراق والسُّعودية نُصَّ فيها علَى تبادُل البعثات الثّقافية والعسْكرية، وبذلك وُضعَ حدٌّ للعداء المورُوث بـين الـسُّعوديين والهاشميين فى كلٍّ من العراق والأردن.

♠ وفى مايو من العام ذاته عُقدَت المعاهدةُ بين مـصر والـسُّعودية، وفيهـا سُـوِّيت الخـلافاتُ بين الْبَلَدَيْن، وقد كانت الخلافاتُ حادّةً جدّاً بينَ الأُسـرتَين الحاكمتين تعودُ

جُذورُها إلى الحرْب بين مُحمّد عَلي باشا والوهّابيِّين.

♠ وفى سنة ١٩٣٧ انضمّت اليمنُ إلى المُعاهدة المصرية السُّعودية لتكون ثالثَ ثلاثة، ونُصَّ فيها على أن تكُون المُعاهدةُ مفتوحَةً لمن يُريد أن ينضمّ إليها من الدُّول العربية الأُخرى.

♠ وفى العامِ ذاته انعَقَدَ المُؤتمرُ الفلسطينيّ العربيُّ العام فى بُلُودان، ثُمّ انضمّت وفودٌ من جميع الأقطار العربية لتنسيق الجُهُود فى مُكافَحة الصّهيونية، ثُمَّ حَدَثَ تقاربٌ أكثرَ بينَ الشُّعوب العرَبية، فانعقدَ المؤتمرُ الطِّبِّيُّ العربيُّ للتأكيد علَى حُدوث التقارب، وكَنُواة لمُؤتمرات أُخرى فى المَسَار ذاته، ثُمّ والَى انعقادَهُ سنويا تقريباً، وانعقَدَت سلسلةٌ أُخْرى من المُؤتمرات مثلَ مُؤتمر المُحامين العرب فى ١٩٤٤م ومُؤتمر المُهندسين العرب ١٩٤٥م.

♠ وفى ١٩٣٩ انعَقَدَ بلندن مُؤتمرُ المائدةُ المُستديرَةُ لبحث مُشكلة فلسطين، وَضَمَّ مُمَثِّلين لكلِّ الدُّول العربية (التى قيل إنها مُستقلةٌ)، ففطَنَت إنجلترا " الأمُّ الشرعيةُ للاستعْمار " إلى هذه التّحركات الشّعبية المُتنامية فى سبيل تحقيق الوحدة العربية، فَعَمَلَت على استثمارها، وتوظيفها، وتوْجيهها، فأطْلَقَت فى الأجواء العربية قُنبلةً ذكيّةً، عبّرت فيها بجلاءٍ عن مصالحها وأطماعها، وأكّدَت عَلَى نهْجها الاستعماريّ من خلالها.

فكانت أحدثَ صنيعةٍ استعمارية فى العصْر الحديث تلكَ التى أسمُوها ***جامعة الدول العربية***، والتى كان قيامها يُمثِّل المصلَحَةَ البريطانيّةَ العُليا خاصّة مَعَ قيام الحرب العالمية الثّانية، حيث رأتْ بريطانيا أنّ من مَصْلَحتهَا قيام نوْعٍ من الوحْدة العرَبية لتجْنى من وراءها ثماراً عديدةً من أهمّها:

١ ــ إرْضاءُ الشُّعوب العربية، وتجميع آمالهم فى مُلْتَقَى البيت العربيِّ الذى يجمعُ مُيولَهم على أمَل توحيدها، ويُوَحِّد أمانيهم فى الوحْدة، ولتضمَنَ مساعدتَهم لها فى محْنَة الحرْب الدائرة.

٢ ــ ضرورة قيام هذا التّكتُّل العربيِّ للوقُوف علَى مصالح الاستعمار ورعايتها، علَى أساس أنّ الدولَ العربيّةَ كُلها كانت مناطق نفُوذه، ومن السّهل توْجيه أىِّ نظرة عربيةٍ نحْوَ هذه المصالح، حيث أظْهَرَت الحربُ الأهميّةَ الإستراتيجية للمنطقة العربية خاصةً

(٣٨١)

مع الاكتشافاتِ البتروليةِ المُتناميةِ والواعدةِ، ووجُودِ قناة السويس، فضلاً عن المزايـــا الأخْرى.

٣ ــ السّعيُ البريطانيُّ الحثيثُ والجادُ نحْو تخفيفِ حدّة العداءِ العربيِّ لها بسببِ تزايد الهجرات الصهيونيةِ إلى فلسطين، بالإضافةِ إلى طُمُوحها الشّديد إلى اســـتمالَة الـــدُّول العربية إلى جانبِها ترقُّباً للصِّراعِ المُوشك علَى الانفجارَ.

٤ ــ والأخطرُ من هذا كلِّه هو التّبنِّى التِّلقائيِّ لهذا التجمُّع العربِي لضرورة قيام قوميةٍ عربيةٍ فاعلة، وهادفة، وقادرة، لتكون عائقاً شديداً أمام أيّة أفكارٍ أو مُحاولات لعـــوْدَة الخلافة الإسلامية من جديدٍ ولو على طريقة المخدوع "الشريف حـــسين"، وَوَأْد فكـــرة إنشاءِ الجامعةِ الإسلاميةِ فى المهْد باعتبارِها الوريث الشّرعيِّ للخلافة الإسلاميّة والتى يمكن أن تملأ الفراغَ الناشيء بعد الإطاحة بها وهى أملُ المُسلمين شرْقا وغرْبا، كمـــا أنها ستقفُ جداراً منيعاً وصلْباً أمامَ النُّفوذ الشِّيوعيِّ (المارد الجديـــد) لتَحُـــول دُون امتدادِه إلى حيثُ النُّفوذ الاستعماريِّ الغربيِّ فى الدُّول العربية خاصّة أنّها لـــم تـــستقل بَعْدُ فعلياً، إنّما كان بعضُها فى طَريقِه نحْو الاستقلال، وبعضُها وَصَـــلَ إلـــى مرحَلَـــةِ الغَلَيَان، ولكن يَعملُ فى صَمْتٍ يتحيّن ساعةَ الصِّفرِ للقيام بثورته.

لذلك خَرَجَ الثّعلبُ االبريطانيُّ الماكر (ميستر: إيدن) فى ١٩٤١/٥/٢٩م لـــيُعلنَ عن ترحيبِه كوزيرِ خارجيةِ المملكةِ البريطانيةِ العُظمى بأىِّ عملٍ يقومُ به العربُ فـــى اتِّجاه الوحْدة العربية، وأدْلى بتصْريحٍ قال فيه (**إنّ كثيرينَ من مُفكِّرى العرب يرْجُون للشُّعوب العربيّة دَرَجَةً من الوحدة أكبر ممّا يُوجد الآن، ويبدُو أنّـــه مـــن الطبيعـــيِّ، ومن الحقِّ وجُوبَ تقْويَة تلك الرّوابط السياسية أيضاً، وحُكُومةُ صاحب الجلالة مـــن ناحيَتها ستُؤيدُ أيّةَ خطة تَلْقَى من العرب مُوافَقَةً عامّة**).

غير أنّ العربَ تداركُوا أهدافَهُ مُبكراً مع زيادَة وتَيرةِ الحربِ، وأبدُوا فتُوراً نحْـــو هذا التوجُّه البريطانيِّ، فأصدرَ وزيرُ الخارجيةِ البريطانيِّ إعلاناً ثانيـــاً فـــى فبرايـــر ١٩٤٣ جاء فيه (**إنّ حُكُومةَ صاحب الجلالة، كما أوضحْتُ من قَبْل، تُؤيِّدُ كلَّ حركـــةٍ يقومُ بها العربُ لتعزيزِ الوحدة الاقتصادية، والثقافية، والسياسية بينهم، ومن الجلىِّ أنّ الخُطوةَ الأولَى لتحقيقِ أىِّ مشروعٍ يجبُ أن يأتى من جانبِ العربِ أنفُسِهم**).

واستجابت مصرُ الواقعةُ تحتَ الاحتلالِ البريطاني، والتى كانت تعــيشُ آنــذاك أسوأَ فتراتِ حياتِها السياسيةِ من الفسادِ، والمحسُوبياتِ، والضُّغوطِ البريطانية، وتبنّــت حكومةُ الملكِ فاروق المُعَيَّنةُ من قِبَلِ الإنجليز الإعلانَ عن البدءِ فى دعوةِ الحُكُومــاتِ العربيةِ إلى إجراءِ مُباحثاتٍ ومُشاورَاتٍ فى الموضُوع، علْمَــاً بــأنّ الجميــعَ تحــتَ الاحتلالِ الأجنبيِّ، وليست هُناك دولةٌ عربيةٌ واحدةٌ مُستقلّةٌ استقلالٌ فعْلِــيٌّ، أو تملُــك حتّى حقّ تقريرِ مصيرِها.

وإذا كانت مصرُ هى التى قد أخَذَت على عاتقِها دعوةَ الحكُوماتِ العربيةِ لإجراءِ المُباحثاتِ والمُشاوراتِ فى الموضُوعِ كما يُقال، فَمَن هُو إذاً صاحبُ الدعوة ؟، أهُــو الملكُ المُعظّم عاشقُ النِّساء، عميل الاستعمارِ ؟، أم أَحَدُ رُؤســاءِ الحُكُومــاتِ الــذين تعدّدت أسماؤُهم فى فترة هى الأسوأُ فى تاريخِ مصر على إطلاقِه، خاصّة أنّ الفتــرةَ الزّمنيّةَ السابقة على إعلانِ (إيدن) فى ١٩٤١م.، حتى صُدورِ ميثاق الجامعــةِ فــى ١٩٤٥/٣/٢٢م قد شهدت أخطَر مرْحلَةٍ من مراحلِ العمَــلِ الــسياسيِّ فــى مــصر والمنطقة، وقد تمثّلت فى استقالة حُكُومة **على ماهر** فــى ١٩٤٠/٦/٢٣م.، وتــشكّلت حكُومة **حسن صبرى باشا** فى ١٩٤٠/٦/٢٧م.، ولم تلبــث الأخيــرة أن اســتقالت، وتشكّلَت حكومة **حسين سرّى** التى استقالت تحْتَ ضغطٍ بريطاني خطير فى ١٥/١١/ ١٩٤٠م.، وقد حاصرت قُوّات الإنجليزِ القَصْرَ المَلَكِــيّ المــصريَّ بالــدبّابات فــى ١٩٤٠/٢/٤م، وقد أُجبرَ **الملك فاروق** على تكليفِ **مُصطفى النحّاس** لتشكيلِ حُكومــةٍ وفْديّةٍ تحتَ ضغْطٍ بريطانيٍّ هائلٍ ليُصبح النحّاسُ رئيساً للوزارةِ للمرّة الخامــسة فــى زمَنِ الاحتلالِ الإنجليزي لمصر، ولم يهنأ بها النحّاسُ كثيراً، ولم يلبثْ فيها طويلاً، إذ سُرعان ما قبلَ الملكُ استقالتَه فى ١٩٤٤/١٠/٨م.، وخَلَفَتْهُ فــى ١٩٤٤/١٠/٩ وزارة **أحمد ماهر** التى تمّ تشكيلُها من جميعِ الأحزابِ عَدَا الوفد، ولكنّ أحمد ماهر تمّ اغتيالُهُ فى ١٩٤٥/٢/٢٤م.، وقد شكّل **النُّقْراشى** وزارتَه فى الليلةِ ذاتِها، غير أنّه استقالَ فــى ١٩٤٦/٢/١٥م(١) .

---

(١) أنظر / وحيد القرن ورياح التغيير ــ للمؤلف .

ممّا سَبقَ يتضحُ أنّ مصرَ كانت تُعانى من حالةِ عَدمِ الاستقرار السياسيِّ بدرَجــةٍ كبيرَةٍ، كَمَا يُلاحظ أنّ بروتُوكُول الإسكندرية الصّادر عَن اللجنة التّحضيرية لمُباحثات الوحدةِ العربيةِ قد صدر فى ١٩٤٤/١٠/٧م.، وهو اليومُ السّابقُ علَى استقالةِ النحّــاس باشا الذى جاء به الإنجليزُ رغْمَ أنفِ المَلك، أمّا ميثاق الجامعَةِ العربيّة فقَد صدَرَ فـــى ١٩٤٥/٣/٢٢ م ــ أى فى صدْرِ رِئاسةِ النُّقراشى باشا للوزارة، ولم يلْبث أن اســتقالَ هو الآخر.

فذلك إذاً هو الوحْيُ البريطانيُّ، وهذا هو الحُلم البريطانيُّ، وهذا هو الإنجاز الاستعماريُّ غير المَسبوق، وقد تحققّ للبريطانيين ما أرادُوا، وما تمنّوا من قيامِ مشروعٍ للوحدةِ العربيةِ يلتف حوله العرب كقومية خاصةٍ تبتعدُ تماما عن أيِّ تجمُّعٍ إسلاميٍّ الآن أو مستقبلاً، كما ترتبط ُبالغرْب ارتباطاً مُباشرا وتعتمدُ عليه اعتمادا كُلِّيّاً وكعادتهم أكله العرب وشربوه، ثُمّ شرَعت بريطانيا فى قيام وحدَةٍ عسكريةٍ بين الدُّول المُوقّعَة علَى ميثاقِ ما يســمّى جامعةُ الدول العربية، وكما قال المُؤرّخــُون أنّ الدُّولَ العربيةَ عقَدت ميثاقاً للضمّانِ الجَمَاعيِّ فى ١٩٥٠/٦/١٧م. وهو ما عُرِفَ بَعْدُ (مُعاهدة الدّفاع العربي المُشترك)، وانضمّ إليه بعضٌ من الدُّول العربية، وامتَنَعَت أُخرياتٌ كانت تخْضَع للاستعمارِ الفرنسي، أو الأسباني، أو الإيطالي.

فأين إذا الإرادة ُ العربيةُ الحُرّة فى إنشاء الجامعة العربية، وكذلك أيــن الآمــال العربيّةُ فى تأسيسِ ميثاق الضّمان الجَمَاعيِّ ؟؟؟ !!......

إنّ بريطانيا كانت حريصةً كُلَّ الحرصِ علَى أن تظلَّ ترتبطُ بالمنطقــة ارتباطــاً مُباشراً أو بالوكالة إذا ما قُدِّرَ لها الرّحيلُ، حيثُ من المُمكن أن يُقاتل العربُ مُجتمعين بالإنابةِ عنها أمامَ أيِّ زحْفٍ شُيوُعيٍّ أحمرَ صوْبَ الجنُوبِ فى اتِّجاهِ مُــستعمراتها، أوْ أن تشاركُهم باعتبارِهم مناطِق نُفوذ لها، ومن ثمّ تعودُ من جديد بناءً علَى دعْوةِ البلادِ العربيةِ لها، كتلك التى جاءت من العاهلِ السُّعودي للرئيسِ الأمريكـــي بـــوش الأوّل، فلمّا انْسَحَبَت بريطانيا وفرنْسَا من المنطقة، ولحقَت بهما أسبانيا، وإيطاليا، وولّي عهــدُ الإستعمارِ بشكله المعْهُود، تبيّن أنّ المُخطّطات البريطانية مآلها إلي الفَشل، والــسّعي الاستعماري نهايته أشبهُ بمُطارَدة سَرَاب، وذلك لأنّ مُعاهَدَة الدفاع العربيِّ المُــشترك "" الضّمان الجماعيّ "" وُورِيت في الثّري ولم يعُد يُــسمَع بها، والقوْميةُ العربيةُ ذهَبَت

أدراجَ الرِّياحِ ولم تتقدّم خُطوةً واحدةً منذ انطلاقِ تلك الدّعوة حتّى الآن، كما أنّها لن تتقَدّمَ لأنّ العرَبَ لن يُرادَ لهُم أوْ بهِم الخَيْرُ، وبيتُ العرب باتَ مُهدّداً بالتّقْويضِ والتّخْريب بيَدِ بعضِ القادةِ العربِ أنفُسِهم.

وقد نَصّت المادةُ الثانيةُ من هذه المُعاهَدَة علَي أنّ الدُّول الأعضاءَ في الاتفاقيةِ تَعْتَبِرُ كلَّ اعتداء مُسلّحٍ يقعُ علَي أي دولةٍ أو أكثرَ منها اعتداءً عليهم جميعاً، ولذلك فإنّه عَمَلاً بحقِّ الدِّفاعِ الشّرعِيِّ ـــ الفرديُّ أو الجَمَاعيَّ ـــ عن كيانهم تَلزَم أن تُبادرِ إلي معُونَةِ الدّولةِ المُعتدَى عليها بأن تَتّخذ علَي الفَوْرِ مُنفردةً أو مُجتَمعَةً جميعَ التّدابيرِ لرَدِّ الإعتداءِ وإعادَةِ الأمْنِ والسّلامِ إلي نِصابِهما.

وهذه الأحكامُ كما ترَي، أحكامٌ ذَهَبَت في توْثيقِ التّعاونِ السِّياسيِّ والعسكريِّ بين الدُّول العربيةِ مذْهباً بعيداً ـــ حتى وإن كانت بوحْيٍ من بريطانيا وبدَعْمٍ صريحٍ منها ـــ بقصد توكيلهم بالدِّفاع عن مصالحِها ومصالحِ الغرْبِ مَعَها علَى نَحْوِ ما ذُكِرَ، وهي لوْ نُفِّذَت حقّاً بعد أن حصلَت الدّول العربية علي استقلالها، وبعدَ رحيلِ الاستعمار، لأحَالت حُلمَ العربِ في الإتحادِ إلي حقيقةٍ ملمُوسة، ولرفَعَت رايةَ العربِ خفاقةً بين الأُممِ، ولأصبحوا من جديدٍ للعالمِ سادةً، ولكنّ شيئاً من هذه الأحكام لم يُنفَّذ، وباتت العقُودُ الموثُوقة مُجرّد حبرٍ علَى ورَقٍ. إذ سُرعان ما وَضَحَ الانقسامُ بين الحكُوماتِ التي تتألّفُ منها الجامعةُ بسببِ الدّسائسِ الخارجيةِ الهادفة لتمزيقِ الأُمّة، وكذلك للتّحوُّلاتِ العقائديةِ والسياسيّةِ التي حَدَثَت بالحُكّام العربِ، فقد ولّي بعضُهم وجُوهَهم صَوْبَ مُوسكُو، بينمَا الآخرُون صَوْبَ واشنطُن، ومن ثَمّ جاءَ الانصرافُ عن الأماني العظام إلي الإتّهام المُتبادل بين الخيانةِ والعمالة، والرّجعية والتّقدُّمية، ممّا جَعَل مصر تستعيضُ عن ذلكَ بمُعاهدات ثُنائية ترْمِي إلي توثيقِ التّعاوُنِ السياسيِّ، والعسْكريِّ، والاقتصاديّ، والثّقافيِّ بينها وبين الدولِ العربيةِ الرّاغبةِ في ذلك.

ولا يفُوتَنَا في هذا المقامِ أن نُؤكِّد علَي أنّ المُخطّط الاستعماريَّ الغربِيَّ كان له خطوطٌ حمراءَ ، وحدُودٌ سياسيّةٌ لا يُمكن تجاوُزَها لما يسمح به من وحدة العرب، لذلك فقد وُلد ميثاق الجامعة هزيلاً لا يقْوَى علَى الاستمرارِ، علَى الرّغم من اتِّساع قاعدةِ الدول الأعضاء إلي ٢١ عضوا في عام ١٩٧٦.

وإذا قُلنا أنّ الجامعةَ العربيةَ قد حالَفَها التّوفيقُ في بعضٍ من قراراتِها، وقضاياها، فإنّه كذلك قد خالَفَها في الكثيرِ، حتى بَدَا اللقاءُ السّنويُّ بين القادة العربِ وهو أشبهُ بِمُنتَدَى للتّلاسُنِ والسّباب، والتّشابُكِ بالأيدي، وكَيْلِ الاتهاماتِ بالعمالَةِ والخيانَةِ.

وقد يكُون البعضُ مُحقاً فيما ذهبُوا إليه لما قد يكُون من قَناعَةٍ أدركتُهم بأنّ الجامعَةَ العربيةَ في الأصْلِ قامَت علَى أساسٍ من الفكْرِ الغربيِّ، وكان ميستر(إيدن) وزيرُ خارجية بريطانيا التى كانت تحْتَلُّ مصرَ وغيرَها من كبريات الدُّول العربية حينذاك هو أوّلُ الدّاعين إلى قيامها بإيعاز من حُكُومة جلالة الملك في بريطانيا، وقُوبِلت دعوتُه بتأييدٍ كبيرٍ من المُستعمرين الأوروبيين، وترحيبٍ عربيٍّ غير مسبُوقٍ من قيادات عَرَبية عيّنَهَا الاستعمارُ لأجْلِ القيام عَلَى رِعَايةِ مَصَالِحِه، وتحقيقِ أهدافه.

وظَلّ الخلافُ هو دأبُ القادة العربِ الذين دوّخوا جمال عبد الناصر (صاحب فكرة القوميّة العربية، وأبُوها الشّرعيُّ) وأتعَبُوهُ، حتى قال فيهم قولَتَه الشّهيرة (اتّفَقَ العربُ على أن لاّ يتّفقوا) ثُمّ اجتمعُوا من جديدٍ، ثمّ تفرّقوا كذلك من جَديدٍ رداً علَى قيامِ السادات برحلتِه التّاريخية إلى القدس في ١٩/١١/١٩٧٧م.، وهاجُروا بجامعَتهم إلى تُونس فوْر انتهاءِ قمّتهم الاستثنائية المُنعقدة فى بغداد في ١٩٧٨ م. بناءً على دعْوة جبهةِ الصُّمود والتّصدِّى ــ آنذاك ــ المُعارِضة لإبرامِ أيِّ اتفاق سلامٍ معَ إسرائيل، والمُناوئة كذلك لأيّة دعْوة للاعتراف بها.

وما تزالُ العلاقاتُ العربيّة العربيةُ تشهَد جَدَلاً حاداً، وصراعاً مريراً بين الرّجعيين والتقدُّميين، أو إن شئْت قُل بين الأُصُولِيِّينَ الإسلاميين والعَلْمَانيين أو المدنيين، كما لُوحِظ وجُود تبايُن خَطِيرٍ، وتناقُد جسيمٍ بينَ مواقفِ القادَة العرَب عند تناوُلهم لموْضوعٍ بعينه.

وفى الوقت الذى تُعلن فيه تلك الأنظمةُ علَى شُعوبها رفْضها للتّطبيع مَعَ إسرائيلَ أو التّعامل مَعَها، أو قُبول أىِّ شكلٍ من أشكالِ التّعاون مَعَها، فإنّها فى الباطنِ تُطيِّرُ سُفرائَها، ووُزرَاءَ خارجياتها سرّاً إلى العواصم الأوروبية وأمريكا للقاءِ وُزراء وَدبلوماسيين إسرائيليين، ورجالِ أعمالٍ، لإجراء مُباحثاتٍ سرِّيةٍ في مَجَالاتِ الاقتصادِ، والسياسة، والاستثمار....الخ أو هو تطبيعُ العلاقاتِ سرّاً، لعدَم الجُرأة عَلَى

(٣٨٦)

مُكاشفة الشُّعوب العربية ومُصارَحتها، وتلعَبُ المُباحثاتُ السرِّية بين العَرَبِ وإسرائيلَ دوْراً مُؤثِّراً فى مجالاتٍ عديدةٍ كان فى طليعَتِها التّوصُّل إلى اتفَاقية "**أوسلو، ومدريـــد**" يشهَد علَى ذلك رئيسُ السُّلطة الفلسطينية الجديد (أبو مازن) الذى سافَرَ إلى واشنطن فى سبتمبر ٢٠٠٦ للقاء بوش الثّانى، وعَادَ وهو يحملُ أجنـــدةً أمريكيـــة لإســـقاطِ حُكُومةِ حماس، وتشكيلِ ما يُسمّى حكُومة وحْدة وطنية دُون مُشاركة حَرَكة فتْح التـــى يترأَّسُها أبو مازنٍ وهى الحركةُ التى سقَطَت أمامَ إرادةِ النّاخبِ الفلسطينيِّ الذى صوّت لصالحِ حماس فى الانتخاباتِ الأخيرة.

وما تقدّم ذكرهُ هو بعضٌ ممّا يُحدثُ ألواناً من الفُتور بينَ أبْناءِ الأُمّـــةِ العربيـــة، ويضعُ بالتّالى مهامَ الجامعَةِ ذاتِها ودورَها بل ووجُودَها ذاته علَى مـــشارفِ الانهيـــارِ التّام، بلْ ويهَدِّد بزوالِ إمكانيةِ انعقادِ المُنتدَى السّنويِّ للقادةِ العرب، وقد تجلّـــى ذلـــك تماماً فى قمّة تونس ٢٠٠٤، وكانَت بحقٍّ هى آخـــرَ قراءةٍ فى ترمُـــومتر (ميـــزان الحرارة) وأصْدَقَها تعْبيراً لقياسِ مصداقية العلاقات الرّسمية بين القادةِ العربِ ، بـــلْ والشُّعوب العربية ذاتها، ولا عزاءَ للجَميع(١).

● أ ــ قمّة الضّعف العَرَبى:

كان مقرراً لها أن تجتمعَ فى دوْرَةٍ استثنائيَة فى الممْلَكةِ البحْرينية التى اعتـــذرتْ عَن استضافتها علَى أراضيها نَظَرَاً للتَّطوراتِ الخَطيرَةِ الجارية فى منْطقـــةِ الخلـــيجِ العرَبيِّ، وبالنّظرِ إلى اقترابِ أجَلِ دوْرِ انعقادِهَا الدّوريِّ فقد تقرّرَ التأجيلُ إلـــى نهايـــة مارس ٢٠٠٤ لمناقشةِ جدْولِ الأعمال العادي، فضلاً عمّا كان مُقرّراً من موضُوعاتٍ سيتمُّ عرْضَهَا على القمّة الاستثنائية حال انعقادها، وبالتالي بـــاتَ برنـــامج الجامعـــة مشحوناً بالعديد من القضايا المَصيرية، والتى فَرَضَت الكثيرَ من التّحـــدِّيات الجـــسامِ علَى القادَةِ العَرَبِ قبلَ موعدِها بشهُور، خاصّة بعـــد الطّـــرحِ الأمريكـــيِّ لمُبادَرتهـــا المُسماة (إصلاح الشّرق الأوسط) التى وضَعَت العديدَ مـــن علامـــاتِ الاســـتفهامِ، وأثارَت الكثيرَ من التكهُّناتِ والإرهاصاتِ التى شغَلَت العامّةَ والخاصّةَ فى كُلِّ بلـــدانِ

---

(١) **تفصيل ذلك فى أغوار العالم الإسلامى ــ الجزء الثانى (حدود فاصـــلة) أعاننـــا الله علـــى إخراجه**

العالم العربَيِّ، وأثارَت جدلاً سياسياً واسعاً حولَ وقــت ومَــدَى وطبيعــة العــرْض الأمريكي الذى جاءَ فى غيرِ وقْته، وقد أدّى ذلك بالضّرُورةِ إلى ظُهورِ تيّارات مُختلفةٍ تراوَحَت بينَ التحفُّظ والرّفض والتّرحيب، وقد تحدّث رجُلُ الشّارِعِ فــى الموضُــوعِ، وأدْلَى كُلٌّ بدَلْوِه، وطالَبَ البعضُ بالتعْجيلِ بانعقاد القمّة (الأملِ فى الخَلاَصِ)، والتَزَمَ آخَرُونَ الصمْتَ إيثاراً للسّلامَة، وآمَنَ البعضُ بأنّ قُبُول هذا الطّرح الأمريكــيِّ هــو بمثابَة تكْفينٍ للإرادَة العَربية، وتشْييعها لمثواها الأخير، واخْتَلَفَ الجميع.

وقد أدّت الخلافاتُ إلى فَشَلِ انعقاد القمة العربية التى كانَ مُقــرّراً أن تستــضيف تونُس أعمالَ دورَتها السادسة عشر يومَيْ ٢٩ ، ٣٠ / مارس / ٢٠٠٤م.، وتأجيلهــا إلى أجَلٍ غيرِ مُسمّى بسببِ المواقفِ المُتباينة بــين وُزراءِ الخارجيــة العَــرَب فــي اجتماعِهم التّحضيري حولَ القضايا المَطْرُوحة علَى جدْولِ أعمــالِ القمّــة، وكانــت الشُّعوبُ العربيةُ تُعَوِّلُ علَى نجاحِ القمّة، وتحْقيقِ الأهدافِ المرجوّة من انعقادها علَــى خلفيّة الأحداثِ الدّامية المأساوية التي شهدَهَا العالم العربي منذ ربيع عام ٢٠٠٣ : إلى ربيع ٢٠٠٤م، وأدّت تداعياتُها إلى إظهارِ قمّة الضّعف والوَهن العربَيِّ، بعد الطّعَنَات الغادرةِ التى تلقّاها الجسدُ العربَيُّ من وحيدِ القرْنِ الحالي (المُــستعمر الأمريكــي)، وأدّت إلى تمزيقِ أحَد شرايينه "العراق"، فيما لا يزال قلبُ قضيّة العرب ــ **فلسطين**ــ يواصلُ نزيفَ دَمه، ويستصرخُ الأحرارَ والشُّرفاءَ فى العالَمِ (إن وُجدوا) لنجْدَتَه من عَدُوٍّ مُغتصبٍ صهيونيٍّ غاشمٍ لا يتورّعُ عن ارتكابِ أبــشعِ وأفْظَــعِ الجــرائمَ ضــدّ الأطفال، والنِّساء، والشُّيوخ، من دُون رادعٍ يُوقفهُ عن أعماله الوحشية، وفى الوقْــت الذى رَفَعَت فيه ليبيا رايَةَ الاستسلامِ قبل أنّ تقع فريسةً جديدةً إذا تلقّت طعْنَةً غــادرَةً من (وَحيدِ القرنِ) فأعلن القذّافى عَن مُبادرةٍ تقضى بالتّراجُع عن استمرارِ بلاده فــى برنامجها النّوويِّ الطّموح (١)، وتأسيساً عليه بدأت أمريكا فى التّمهيد لتكرارِ ســيناريْو حَلَقَات مُسلسلِ (العراق إلى أين) (٢) فى دُولِ جواره، خاصّة سُــوريا، وذلــك مــن خلالِ عباراتِ التّهديدِ والوعيدِ التى تُوجِّهُهَا للنِّظام الحاكمِ فــى دمــشق فــضلاً عــن

---

(١) أنظر كتابنا / الحج إلى البيت الأبيض ــ.. قريباً

(٢) عنوان مصنّف ــ للمؤلف ــــ.........قريباً

الترويجِ أمام الرأي العام العالميِّ والأمريكيِّ خاصّةً بتورُّطِ النظامِ السُّوريِّ فى قضايا الاغتيالاتِ الشّهيرةِ فى لبنان حتّى يرضخُ ويقْبَل بإملاءاتِ وشُروطِ البيتِ الأبيضِ وإسرائيل .

ومِن جانبِه أعلن وزيرُ الخارجية التُّونسي للشئون الخارجية (حاتم بن سالم) قرارَ التأجيلِ إلى أجلٍ غيرِ مُسمى فى بيان تلاهُ قبل ٣٦ ساعة فقط من الموْعدِ الذى كان مُقرّرًا لانعقادِ القمّة، مُرجعاً أسبابَ ذالك إلى بُروزِ خلافات وتبايُن فى الرُّؤى بين وُزرَاء الخارجيةِ العربِ فى اجتماعهم التّحضيريِّ للقمّة يومَي ٢٦ ، ٢٧ من مارس فى مشروعِ جَدْولِ أعمالِ تلكَ القمّة ومشاريعِ الوَثَائِق التى ستُعرَض عليها، والتى مِن بينها بالخصُوص (وثيقة العَهْدِ والوفاق والتّضامن).

كما أضافَ بن سالم أنّه بَرُزَ عند مُناقشة وثائقِ القمّة تباينٌ فى المواقفِ حوْل بعضِ التّعديلات والاقتراحات التى كان قد تقدّم بها الجانبُ التونسيُّ حولَ مسائلِ يَرَاها جوهريةً، وبالغةَ الأهميةِ بالنِّسبةِ إلى التّطوير والتّحديثِ والإصلاحِ فى عالمنا العربيِّ بما يُعزِّز الخُطى لتحقيقِ التّقدُّمِ الديمقراطي، وحماية حقُوق الإنسان وصيانَتها، وتدْعيمِ مَكانَةَ المرْأة، ودوْر المُجتمع المدني، وغيرها.

أمّا وكالَةُ الأنباء الفرنسيةِ فقد نَشَرَت تعليقاً اتّهمَت فيه بعضَ الدول العربيةِ بالعَمَل علَى استبْعادِ مسائل جوهرية مثل رفْضِ العُنف والإرهاب، ممّا دفَعَ الحكُومةَ التُّونسية إلى إرجاءِ القمّة، وجاءَ فى التّعليقِ الذى صدَرَ بَعد حوالَي ساعةٍ علَى الإعلانِ التُّونسيِّ بتأجيلِ القمّة، (أمّا تُونس فى مشرُوعها حوْلَ الإصلاحاتِ العربيةِ أكّدَت علَى ضرورةِ التّنصيصِ علَى تمسُّك العربِ بقَيمِ التّسامُحِ والتّفاهُم، وبمبدأ الحوارِ بينَ الحضاراتِ، وتأكيد رفْضِهم المُطلق للتّطرُّف، والتعصُّب، والعُنف، والإرهاب، وحرْصِهم علَى التّصدِّي لِهذه الظّواهر فى إطارِ التّعاون والتضامُنِ الدّوليّين للقضاء على أسبابِها، " **وهى أجندَة خارجية برمتها** "، وأضافَ التّعليقُ أنّ هذه المُقترحاتِ التُّونسية إذا كانت حازَتْ علَى مُساندةٍ من الدول العربيّةِ فإنّها تستغربُ إصرارَ البعض الآخرِ علَى استبعادِ مثل هذه المسائل الجوهريّةِ والمصيريّةِ الهامّة لِعمليةِ التّطويرِ، والتحديث، والإصلاحِ داخل المجتمعاتِ العربية).

وكان من المقرّر أنْ تُناقش القمةُ التى تمّ تأجيلها عدَدَاً من القــضايا المــصيرية للشُّعوب العربيةِ، وقضايا الإصلاح الديموقراطيِّ التى تُسهمُ فى إخراجِ العــربِ مــن الوضْع المتردِّي الذى يعيشُونَهُ بعد أن طرَحت الولاياتُ المتحدة مُبادرتَهــا (الــشّرق الأوسَط الكبير) كبديلٍ لطرحها السّابق ــ المسّمى إصلاح الشّرق الأوســط ــ وقــد قُوبل الطّرحُ الأخيرُ بانتقاداتٍ حادةٍ على نطاقٍ واسعٍ فى العالمِ العربيِّ بوصفْه تــدخُّلاً أجنبياً يتجاهلُ احتلالَ العراقِ، والصِّراعَ العربيَّ الإسرائيليَّ، وأخَــذَ النِّقــاشُ حَــوْلَ الإصلاحاتِ فى العالم العربيِّ والمُبادرةِ المطروحةِ فى هذا الشأن التى طَرَحَتْها (٥) خَمْسُ دولٍ عربيةٍ هى (مصر، الأردن، اليمَن، قَطَر، تُونُس) حيِّزاً كبيراً مــن تلــك الاجتماعاتِ.

وقد صرّحَ السيد/ عمْرُو مُوسى الأمين العَام للجامعَة العربيةِ بأنّ المُناقشاتِ حوْل الإصلاحِ فى العالَم العربيِّ كانت حادّةً أحياناً .

كما أكّد المراقبُونَ أنّ الاجتماعاتِ التحضيرية شَهِدَتْ جَدلاً واسعاً بين الــوُزراءِ حوْل مشروع تطْويرِ الجامعة العربيةِ، فبيْنَمَا تُريدُ تُونس ترحيلَ مُناقشةِ ذلك المَشرُوع إلى القمّةِ القادمةِ التى ستُعقد فى الجزائر. فرفَضَت الجزائر ذلك، كما أشــارُوا كــذلك إلى وجُود خلافاتٍ بين ليبيا وسُوريا، فبَيْنَمَا تعرِضُ ليبيا أن يتمّ الإقتداءُ بها فى تعامُلها مَعَ برنامجها النّووي ...... ترفُض دِمشق آليّة طرابلُس فى التّعامُل مع تلك القــضية ممّا أعطَى تَفْسيراً مُريحاً لعدَم حضُور وزير الخارجية السُّوريِّ (فــاروق الــشّرع) الجولةَ الثانيةِ من المُباحَثات.

ومِن بين العواملِ التى ساهَمَت فى إرجاءِ القمّة العربية تأكيد غيابِ عَدَدٍ كبيرٍ من المُلوك والرُّؤساء العَرَبِ عن حُضُورها، حيث تأكّد عَدَمَ مُشاركة العاهــلِ البحرينــيّ (حمد بن عيسى)، وسُلطان عُمان (قابُوس بن سعيد)، وأميــر الكويــت (جــابر الأحمد الصباح)، ووليّ العهد السعودي (عبد الله بن عبد العزيز)، بينما كانت هُناك مُؤشرات تدُلُّ على احتمال غيابِ الرّئيسين المصريِّ والليبيِّ (محمد حسنى مبــارك، والعقيد معمر القذافي).

ومِن الواضِحِ أنّ قرارَ التأجيلِ كان سوْفَ يخلُقُ عواقِبَ وخيمةً علــى منظُومــةِ العَمَلِ العربيِّ المُشترك، كما كانَ مِن المُمكن أن نُعدُّه بِمثابة المُسمار الأخير فى نعْشِ

الجامعة العربيّة بما يتناسَب مع الظُّروف الرّاهنة فى المنطقة والمُستجدّات التى طرأَت عليها بعد أن هدّدت ليبيا صراحَةً بالانسحاب منها، مُتهمةً إيّاها بالفَشَل الذّريع فى مُعالجَة القضايا العربية الجوهرية والمصيرية، وعجزها عن الإمْساك بزمام الأُمُور، وهى تترنّح فى بَحْرٍ لُجيٍّ مُتلاطِمَةٌ أمواجُهُ حتى باتت عاجزةً تماماً عَن القيام بأيِّ دَوْر للعمل العربيِّ المُشترك.

ومن الجدير بالذِّكْر أنّ وُزراءَ الخارجية العَرَب قد دخَلُوا أرْوِقَةَ الاجتماعات وفى جُعبتهم الكثيرَ من السِّهام، وفى رُؤوسهم المُتنوِّعُ من الأفكار.

وَمَا أن خرجَ الوزراءُ العربُ من جلستهم المُغلقة من قاعة الاجتماعات حتى أذاعَت تُونس بيانَ التأجيل، وقد احتَشَدَ الصّحفيُّونَ العربُ والأجانب بأعداد كبيرةٍ خارجَ القاعَة فورَ إذاعة نبأ التّأجيل.

أمّا الأمينُ العام للجامعة قد امتَنَعَ عن الإدلاء بأيِّ تصريحاتٍ لَدَى خُروجه من القاعَة عَدَا قوله للصحفيين (**لا تعليق لدىّ الآن على أسباب تأجيل القمة ... ونكتفى حالياً بالبيان الذى أذاعته تُونس**).

كمَا رفَضَ جميعُ وُزراء الخارجيّة العرب الذين غادرُوا قاعَةَ الاجتماعات الإدلاءَ بأية تصريحات للصّحفيِّين.

أمّا وكالةَ (تُونس أفريقيا) للأنباء فقد قَالَت فى تعْليقها على الخَبَر أنّ العربَ أضاعُوا فُرصةً جديدة للظُّهور أمامَ العالم كتجمُّعٍ إقليميٍّ فاعلٍ قادرٍ على استيعاب المُتغيِّرات من حوله، والانخراط فى هذه اللّحظَة التاريخيّة الحازمة، وأنّ تُونس تأسَفُ للتّأجيل الذى يعُود لأسبابٍ كان يُفترَضُ أن لاّ تكُون مَحَلّ خلافات وجدَلٍ خاصة أنّها تنزل فى صميم اهتمامات المُواطن العربيِّ، وانتظارَاته.

وهكَذا أوْرَدَت الوَكَالَة التُّونسيةُ علي استحياءٍ ما نُعدُّهُ من قبيل الأسْباب التى أدّت إلى فَشَل انعقاد المُنتدى (المُؤتَمَر) قبلَ أن ينعقد.

ولا حَرَجَ أن نُذكر هُنا أنّ اليَمَنَ كانت قد تقدّمت بمبادَرتها للإصلاح، كَمَا كان لقَطَرٍ مشروعُها حوْل الإصلاح، هذا بخلاف الرُّؤى الإماراتية، واللِّيبية، والمَغربية، بالإضافة إلى الموقف المصريِّ المُستقل.

وقد انهارَت القمّةُ قبلَ أن تَنْعَقِدَ بسَبَبِ التّبَايُنِ الوَاضِحِ حولَ التّعـديلاتِ الخاصّـة بالتّطْويرِ والتّحْديثِ والإصْلاحِ، لقد انقَسَمَ المُجتمعُون فى المـؤتمَرِ التّحـضيريِّ إمّـا تفاعُلاً وانسجاماً، وإمّا رفْضاً واستنكاراً للمُحاولاتِ الأمريكيّةِ الرّاميّةِ إلى فرْض أجندَةِ الإصْلاحِ طِبْقَاً لرؤيتهَا الفَوْضويّة، وتطْبيقاً لنُموذَجِها العشوَائي علَى الشّعب العربيِّ.

وها هِى الدبلوماسيّةُ المصريةُ بكَياسَتِها وحُنكتها وخبرتهـا الكبيـرة فـى إدارةِ الأزماتِ، قد أكّدت علَى عبقريتِها من جديد بظُهورِها الرّاقِي وعَمَلِها المُتميِّـز، حيـثُ أعلن الرئيس المصريّ (**محمد حسنى مبارك**) عن استعدادِه لاستضافةِ قمّة عربيّـةٍ طارئة فى القاهرةِ لإنقاذِ ما يُمكن إنقاذُهُ، وقد قامَ الأمينُ العـامُ للجامعـةِ ــ الـسيد / عمرو مُوسى ــ برحْلاتٍ مكّوكيّةٍ، وجوْلاتٍ خارجيةٍ بينَ العواصمِ العربيّـةِ لبلْـورَةِ مسَاحة اتّفاقٍ بينَ الدُّولِ التى اختلَفَت، بُغْيَةَ لَمِّ الشّملِ العربيِّ فى تلكَ المرحلَةِ الدّقيقَـةِ من عُمْرِ الأُمّة، والتي تُمثِّل مُنحنىً خَطيراً فى حياتِها المُكتظّة بالمَصاعبِ الجِسامِ بمـا يُعرِّضُها للتيّاراتِ السّاخنَةِ، والعوَاصِفِ الشّديدَةِ التي تهدّدُ الجَميعَ، كمـا أنّهـا تَـضعُ العلاقاتِ العَربيّةِ العَربيّةِ عند مُنعطَفِ الدُّخولِ في طَريقِ الذّهابِ بلا عَوْدة.

وقد تباينَت رُدُودُ الأفعالِ العربيةِ حوْلَ دعوةِ الرّئيس مُبـارك لاستـضافةِ القمّـةِ خلالَ السّاعاتِ القَليلةِ التّاليةِ على انطلاقِها بمجرّدِ صُدورِ الإعـلانِ التّونـسيِّ، بـين مُؤيِّد، ورَافض، ومُتحفِّظ، ومُلتزِمِ الصّمت.

ونظراً لأنّ انعقادَ القمّةِ الطارئةِ فى القاهرةِ سيُفْسِدُ حتْماً المُخطّطَ الـذى لأجلـه أُجبرت تُونُس علَى إلغاءِ انعقادِ القِمّةِ علَى أراضيها، وهو ما سـيجعلُ مـن المُؤكّـد وُجُوب التّقرير بأنّ مصر هى قِبلَةُ العربِ، وأنّها بـمثابة القلبِ النّابضِ فى الجـسدِ العربيِّ، وهو البَلَدِ القائدُ الواجبُ الالتفافُ حوْله، لذَا فَقَدْ أُوحيَ إلى تُونُس بالتّرَاجُعِ عن موقِفِها السّابقِ وإعلانها من جديدٍ استِضَافَةَ القِمّة علَى أرضِها كما كَانَ مقرّراً، وفـى موعدٍ لاحقٍ.

● **ب ــ وانعَقَدَت القمّـــــــــــــةُ:**

فى الثّانى، والثالث والعشرين من مايو ٢٠٠٤، وانتهَت أعمال " الدّورة الأزمـــة " التى جَمَعَت بين القمّة الاستثنائيّة التى طالَبَ بها رَجُل الشّارع العربـــيُّ للنّظـــر فـــى أولويات المرحلة الأشدّ حرَجَاً فى حياة الأُمَّة وبيْن طوْر الانعقاد الـــدّوْريِّ، وصـــدَرَ عنها ما يُعرف باسم (**مشروع إعلان تونس**)، وقد جاء فيه:

{{ نحنُ قادَةُ الدُّول العربيةِ المُجتمعُونَ بمجلس جامعةِ الـــدُّول العربيـــة علَـــى مُستوى القمّةِ فى دورتها السادسةِ عشر فى تُونس عاصمة الجمهورية التونـــسية، تأكيداً لتمَسُّكنا بالمبادئ التى أُسِّست عليها جامعة الدُّول العربية، وتَعَلُّقَنَا بأهـــدافها وفقاً لمَا يتضمّنه ميثاقُها، والتزاماً منّا بالقيم الإنسانية السّامية التى كرّسها ميثـــاق مُنظمة الأمم المتحدة وجميعُ أحكامِ الشّرعية الدولية، وبالنَظَرِ إلى التحوُّلات العالَمية الجديدَة وما تُفرزُهُ من تحدِّيات ورهاناتٍ، وحرْصاً منّا على مُواصلة الجُهود من أجلِ دعْمِ تضامُن الأُمّة العربية وتماسُكها، وتعزيـــز الـــصّف العربـــيِّ خدمـــةً لقـــضايانا المَصيرية نُعلن ما يلى }} "**مجموعة من القرارات والتوصيات**"(١). التى تؤكِّـــدُ علَـــى الوحدة العربية وتدعَمُها، وتُعلنُ تمَسُّكَهَا بحُريَّة العراق ووحْدَة أراضيه، كمـــا أكّـــدت على التضامُن مع سُوريا ضد العُقُوبات والتهديدات الأمريكيّة، وامتدّت لتطالَ الحديثَ عن جُزر القمر ووحدتها، وأكّدت على حقِّ دولة الإمارات العربية فى ملكيتها للجُـــزُرِ الثلاث التى تحتلها إيران (طنب الصغرى ، طنب الكُبرى ، وأبو موسى) .....إلـــخ ممّا تتوقُ النّفس إلى حُصُوله، ويرغَبُ العقلُ فى نَيْله وتحقيق مُراده.

ولم يمض سوى أحدَ عشرَ يوماً على انعقاد القمّـــة حتـــى أعْلَنَـــت محطّـــة CNN الإخبارية الأمريكية فى واشنطن أنّ السُّلْطات الأمريكية والسُّعودية تُجـــرى تحقيقـــاتٍ مُشتركة حوْل مُخطّطٍ مزعُوم للرّئيس اللِّيبي (القذّافي) لاغتيال وَلِيِّ العهـــد الـــسُّعودي الأمير عبد الله بن عبد العزيز... بحسب السُّلطات المُختصة فى كلا البَلَدين.

وقامَ المُحقِّقون بربْط معلوماتٍ مُستقاة من سَجينَيْن أحدُهما أمريكى مُـــسلم يُـــدعى " "عبد الرحمن العمُودي " " وهو مُعتقلٌ فى فرجينيا، والآخَر عقيدُ استخبارات ليبي يُدْعَى

---

(١) فى الجزء الثانى من أغوار العالم الإسلامي ــ إن شاء الله تعالى

"مُحمّد إسماعيل" اعتقل فى المملكة السُّعودية بحَسْب ما أكّدَتــه الــسُّلطاتُ الــسُّعوديةُ ذاتها، أمّا الجهاتُ المَعْنيّةُ بالتّحْقيق فى كُلٍّ من الولايــات المُتحــدَةُ الأمريكيّــةُ وفــى السُّعودية فقد أكّدت من جانبها أنّ السّجينَ الأمريكيَّ الدُّكتور العمُودي قال للمُحَقِّقــينَ إنّه التقَى بالقذافي فى يونيو وأغسطس ٢٠٠٣ لمُناقشة تفاصــيل مُخَطّــط الاغتيــال، وأضاف العمودي أنّ القذافي قال له فى اللِّقاء الذى جَمَعَ بينَهُما فى يونيــو ٢٠٠٣مــا نَصُّهُ { أُريدُ أنْ يمُوتَ وَليُّ العَهْد السُّعودي سواءٌ فى عمليّة اغتيال أوْ فــى انقــلاب، وفى لقائهما الأخير فى أغُسطُس من العام ذاته سَأَلَ القذّافي: لمــاذا لا أرَى رُؤُوســاً تَتَطَايَرُ فى العائلة السُّعودية ؟ }.

ومن جانبها فقد نَفَت الجماهيريّةُ اللِّيبيّةُ عَلَى لسان أمين لجْنَة الاتِّصال الخارجيِّ. وزير الخارجية << عبد الرّحيم شلْقم >> فى مؤْتَمَرٍ صحفيٍّ عقده فى طــرابلس مــا تضمّنَهُ تقريرُ لصَحيفَة (نيويورك تايمز) تحدّثت فيه عَن خطة وضعتْهَا المخــابراتُ اللِّيبيةُ وبعلْم من القذّافي لاغتيال وليِّ العَهْد السُّعودي، وأَضَافَ شلقم فى حديثه أنّــهُ لا صحَّةَ لمزاعم الصّحيفة، وأكّدَ على أنّ علاقةَ بلاده بالأخوة السُّعوديين على ما يُــرام، وأنّ أمينَ المكْتَب اللِّيبيِّ فى الرِّياض يلتَقي بصفة عادية بالمسئولين الــسعوديين، كمــا أنّه التقى بوزير الخارجية السعودي منذ يومين سابقَيْن عَلَى تصْريحه، كما شدّدَ شــلقم على أنّ بلادَهُ لا تُؤمنُ بسياسَة العُنف، وأنّ رصيد ليبيا فى مكافحة الإرهاب معروف.

وأكّدت (نيويورك تايمز) أنّ العقيد الليبي محمد إسماعيل والذي يبلغ منَ العُمر ٣٦ عاماً قد ألقت السُّلطاتُ المصريّةُ القَبْضَ عليه بَعْدَ فراره من الممْلَكَة فى نــوفمْبر ٢٠٠٣، حيث كان ينْوى تَسْليم مبلغ مليون دولار فى أَحَد فنادق مكّةَ المكَرّمة لفريــق من أربعة سُعُوديين كانوا يستعدُّون لمُهاجَمَة مَوْكب لوليِّ العهد السُّعوديِّ بــصواريخَ محْمُولة على الأكتاف أوْ بواسطة قذائف { R.B.G }.

وَنَسَبَت الصحيفةُ لمَسْئُولَيْن لَم تكشف عن هويّتهما قوليهما إنّ وَليَّ العهد السُّعوديِّ عَلَى قنــاعة تامّة بأنّ القذافي كان يريدُ قتلَهُ وتغْييرَ النِّظام السعودي، غير أنه مع ذلك يخْشَى من أنْ تستعمل الولايات المتحدة القضيّةَ لتَغْيير النِّظام اللِّيبيِّ، وهو ما تَرْفُضُهُ السُّعودية.، وما ذاك غير إسفين جديد فى العلاقات العربية العربية.

وقد علّقَ مسئولٌ أمريكي رفيع المستوى على الأحداث قائلاً : إن من شأنِ التأكد من أيِّ دليلٍ عن كون القذّافي نفـــسه أمَرَ أوْ تَغَاضَى عن عملية اغتيالٍ أو مخطط إرهابيٍّ أنْ يُحَوِّلَ سياسةَ واشنطن تجاه ليبيا ١٨٠ درجة.

▲ *ج ــ الشُّرودُ وأحلامُ الورُود:*

فى كلمته أمام جماهيرِ النِّساءِ فى مدينة سبْها بمناسبة ذكرى المَسيرةِ التى قادَهَا احتجاجاً عَلَى انفصالِ مصرَ عن سوريا علم ١٩٦١م.، هدّد الرّئيسُ الليبيُّ مُجَدّداً بالانسحابِ مِن جامعةِ الدولِ العربيّة، داعياً إلى وقْفةٍ عربيةٍ جادّة وتاريخيّة بشأنِ قضيَةِ الوحدَةِ العربيةِ، وجدّدَ اقتراحَهُ بإقامَةِ اتّحادٍ عربيٍّ له دُستورٌ، ومجْلسٌ، ورئاسةٌ، ومجلسُ وزراءٍ، ومقوِّمات، وهياكلَ ومُرتكَزات، وأجهزةٍ أُخرى، وبحيثُ يكونُ بديلاً عن الجامعةِ العربيةِ التى وَصفَها بأنّها "" تحْتَضر"" مُعتبراً مثل هذا الاتحاد طوْقاً لنجاةِ العربِ، وأضافَ " **إنّ وجُودَ الجامعةِ العربيّةِ يتعرّضُ الآن للسّحْقِ، وما لَمْ يُحقِّق العَرَبُ وحْدَتَهُم فلن يكُون لهُم وجُودٌ ولا مُستقبلٌ** " وأشارَ القذّافي فى كلمَتِه التى كانت فى ٢٠٠٣/١٠/٥ أنّ العربَ يمتلكُون من الإمكانيَات الماديةِ والبشريةِ ما يؤهِّلُهُم لتَحقيقِ وحدَتِهم، وانتقَدَ موقفَ العربِ إزاءَ ما يحدُث فى العراقِ وفلسطينَ، وفى غيرهما من الدُّول العربية، وأضاف أنّ العربَ لم يفعلُوا شيئاً للعراق، ولا لفلسطين، ولا لجُزُر القمر، ولا الصومال، ولا حتى ليبيا التى قاتلت الاستعمارَ الإيطاليَّ علَى مَدَى عَشرين عاماً، ولا عندما هاجمَت أمريكا وبريطانيا بلاده عام ١٩٨٦م حيثُ لم يُحرِّك العربُ ساكناً رغْمَ أنّهم يمتلكُون حوالَيْ عشـــرةَ آلافِ مَدْفَعٍ، وألفٍ وخمسمائة طائرَة مُقاتلة، وغير ذلك من وسائل القتال.

وَرَأى القذّافي أنّ الأُمّةَ العربيّةَ لم تفْعل شيئاً فى سبيلِ وحدَتها بسببِ أنّ الجماهيرَ لمْ تنجَح فى الثّورة، وبالتّالي لم تصل إلى السُّلطة، واعتبَرَ أنّ الاعتمادَ علَـــى القُــوّاتِ المسلّحةِ لأيِّ دولةٍ كان خَطأً، وبرّر ذلك بأنّ العسكريين فشلُوا فى تحقيقِ أيِّ نجـــاحٍ، كَمَا أنّ اعتمادَ الجماهيرِ علَى الجُيوشِ كانت مُحصّلتُه صفراً، حيثُ هُزِمت الجُيــوشُ فى المَعاركِ أمام العدوِّ، وفي الوقْتِ نَــفْسِهِ عملَت هذه الجُيوشُ على إجــــهاضِ أي مُحاولةٍ لثوْرَةِ الجماهيرِ، وتابَعَ فقالَ: إنّ عصـــرَ القوميةِ العربيةِ قد انْتَهَى، وحَلّ محلّهُ عَصرُ العوْلمة، وأنّ كلّ ما يُريدُهُ أنْ يكون العربُ دولةً واحدةً، أو أُمّةً واحدةً كإيرانَ،

أو تُركيا، أو الهندِ التى ضُرِبَ بها المثلُ فى الوحدَةِ رغم أنّ سكانها ينتَمُون إلى (٧٠٠) قومية، وكذلك أمريكا التى هى عبارة عن " فُسيْفساء: لكن يجمع شعوبَها اتحادٌ واحدٌ هو الولاياتُ المتحدةُ الأمريكيةُ، واعتَبَرَ القذّافي مشاكلَ بلاده مَعَ الغرب وأمريكا كانت بسَبَبِ مُطالبةِ ليبيا وإصرارها على الوحْدة العربية، وتأييدها للقَضَايا العربية، ومِن هنا كان وضعُها علَى القائمَةِ السّوداءَ بسبب دفاعها عن العرب، وعدّدَ الخُطواتِ الوحْدويةِ التى قامَ بها باتجاهِ الدُّولِ العَرَبيّةِ والتى كان مصيرَها الفَشَلُ، كما وَصَفَ اتحادَ المغربِ العربيّ بأنّهُ فى حالة موْتٍ سريريٍّ، ودعا العقيدُ معمر القذافي قائدُ الثّورةِ الليبية إلى تصعيدٍ جديدٍ للثّورةِ الشعبيةِ بتسليحِ النِّساءِ، وتدريبهنّ على فُنُونِ القتالِ، حيث أصبحت والأطفالُ هَدَفَ الأعداءِ، ضارباً عَلَى ذلك مثلاً بما يَحْدُثُ فى العراقِ، وفى فلسطين، وأشار إلى أنّ ساحاتِ المعاركِ اختلفت، حيثُ أنّها تحوّلت من عَلَى جَبْهَاتِ القتالِ والخنادقِ إلى البيوتِ، وخاطبَ جماهيرَ النِّساءِ الحاضراتِ بقوله: "" إنّ فى ليبيا نصف مليون سيارةٍ مدنيّةٍ يجبُ التدريبُ عَلَى كيفيةِ تلْغيمها لتُصبحَ مثل الدبّابات ""، واعتبر تلك مُهمةً جديدةً ومسئولية مُلقاة على عاتقِ المَرْأةِ الآن مُشيراً إلى العملّيَات الفدائيةِ التى نفّذتها سيداتٌ وفتياتٌ فلسطينياتٌ، وراح ضحيتها العشراتُ من الإسرائيليين ما بين قَتيلٍ وجريحٍ.

وقد تَشابَهَ إلى ما يبلُغُ التطّابق الموقفُ القَطَرى مع الموقفِ الليبيِّ فى رُؤْيتهما المشتركة حيالَ وُجُودِ الجامعة العربيةِ ودوْرها، حيث دَعَت القيادةُ القطريةُ إلى الانسحابِ الهادئِ من الجامعةِ العربيةِ، وإلى ضَرُورة البحْثِ عن بديلٍ عصريٍّ يحلُّ محلَّ هذا الكيانِ المتآكل.

والعجيبُ أنْ يأتي الشُّرودُ الكبيرُ من قِبلِ الزّعيم الليبيِّ الثّائر البَطَل أمامَ السِّيدات والكاميرا، بينَمَا تُجرى مباحثاتٌ سرية للغايةِ بينَ وُفُودٍ على مُستوىً عالٍ من الأمريكيِّينَ واللِّيبيِّينَ، انتهت مُؤخراً إلى إعلانِ العقيد الليبيِّ ما يُشبه الاستسلام المُهين للأمريكيين من غَيْرِ أن يُطْلَب إليه شىءٌ(١).

---

(١) التفاصيل فى كتابنا القادم / الحج إلى البيت الأبيض ــ قريباً إن شاء الله تعالى

أمّا قَطَر فقد شهِدَت على نفْسها بالخُروج مُبكراً عن الإجمــاع العربــيِّ بَعــد أن افتَضَحَت علَى الملأ اللقاءاتِ السِّرِّيَّةِ التى دَارَت بين وزيرِ خارجيّتها ووزيرِ الخارجيّةِ الصهيونيِّ (سيلفان شالوم) فى أكبرِ وأشهرِ فنادقِ العاصمةِ البريطانيةِ لندن، ثُمّ جَاءَ اعترافُها علَى استحياءٍ بانعقاد تلك المُباحثات السِّرِّية بمثابَةِ الإعــلانِ عــنْ شــرْعيّةِ العلاقاتِ { الإسرائيلية ــ القَطَرية } فى مُختلف المجَالاتِ والمَيادينِ. **وأمْجاد يا عَربْ أمجاد !!!!**

- **د ــ إذلالُ أُمّــــــــــــــــــة:**

إذا كان الإنسانُ كما قالَ أحد الفلاسفةِ حيواناً له تاريخٌ ــ أىْ ــ يتَمَيّزُ عن بقيّــةِ الكائناتِ بامتلاكِ تُراثٍ من التّجاربِ والخبراتِ يعودُ إليها ليستفيدَ من تجاربِ أسلافِه، فالواجبُ إذاً هو تحقيقُ أعلى مُعدّلٍ من هذه الاستفادَةِ لضمانِ عَــدَمِ تكــرارِ عمليّــاتِ الإذلالِ التى يتعرّضُ لها بين حينٍ وآخَر.

ويَرَى العديدُ من المُحلّلين أنّ الأحوالَ فى واقعِنا الحاليِّ مُتشابهَةٌ تَمَامٌ مَعَ ما كان أوائل القَرْن الماضي، وأواخرِ القرن الذى قبْلَه، وذلك لأنّنا دَخَلْنا القرْنَ الجَديد مثْلَمَــا دَخَلَ أجدادُنا القرنَ السّابق، وكأنّما قَدَرُ هذه الأُمّة أن تتفتّت فى مطْلع كُلِّ مائة عــام، وهو ما يُؤكِّدُ عَلَى أنّنا لم نتّعلم من ماضينا شيْئاً، ولم نتدارَك لتاريخنا معنىً.

فانْظُر إن شئتَ إلى حادث الإذلال الذى تعرّضت له الأُمّةُ فى سجن "**أبو غريب**" فى العراقِ المُحتل، وهو ليس الأوّل على إطلاقه، وكذلك فلن يكون الأخير، فقد حَدَثَ مثله لسكّان قرية مصرية هى " دنْشوَاىْ " بمحافظة المُنوفية ضمن أعمالِ **جمهوريــة مصر العربية** علَى أيدى جُنودِ الاحتلال البريطانيِّ أوائل القرنِ الماضــي، وعُوقبــوا بالجَلْد والقَتْلِ علَى جَريمةٍ لم يرتكبُوها غير المُقاومَةِ والجهــادِ والثّــورةِ فــى وجْــه الاحتلالِ دفاعاً عن، أرضهم، وأعراضهم، وأنفُسهم، وأموالهم، وبالجُملة (جَاهَدُوا فى سَبيلِ الله) ولكنّه الاحتلالُ يفعَلُ ما يشاءُ. ومَعَ أنّنا نزعُمُ بأنّنَا أصحابُ تاريخٍ عريــقٍ ومَجيدٍ مليء بالكفاحِ المُشرِّف حتى حصلْنا على اســتقلالنا وإن كــان عنــد بعــضنا منقُوصاً ولم يكْتمل بعدُ، فإنّنا لم نكُن الأجْدَرُ بالحفاظ عليه، لأنّنا تراجعْنا فى مَــصَافِ الأُمَمِ، وسلّمنا أمُورَنَا مَشيئةَ غيْرنا طوْعاً أو كرْهاً، بعد أن أمْسَينا عاجزين عَن قــراءةِ صفْحَاتِ تاريخنا التّليد الذى نتغنّى فيه، وهو الخــليقُ بالبُكاءِ علــيه، والحــقيقُ بنَعْيه

فى سماءِ الشّـــرق، لأنّ ما يقعُ الآن من اعتداءاتٍ وانتهاكاتٍ ضدّ أبناءِ الأُمّة فى غيرِ قُطْرٍ واحدٍ قد تـــكرّر بذاتِ السِّيناريو عَلَى أيدى جُنودِ الاحتلالِ الأجنبي فى مـــصر، وفى السودان، وفى ليبيا، والجزائر....إلخ أوائل القرن الماضي.

ولْنَنْظُر الآن، ونحْنُ فى الرُّبع الأوّلِ من االقرنِ الأوّل، من الألفيّةِ الجديـــدةِ إلـــى هَوْلِ ما يقَعُ علينَا وما أفظَعَهُ، فها هى جريدةُ الأخبار القاهرية تُطالعُنا علَـــى صـــدْر صفحاتها الأُولى بتاريخ ٢٠٠٤/٤/٣٠ بصورَةٍ ضوئيةٍ تُثيرُ الدّمَ الرّاكدَ فى العُـــرُوق، وهى لطفْلٍ صَغيرٍ تحْت عنوان (حتى الإذلال .. طَالَ الأطفالُ) وهى لطفلٍ عراقـــيٍّ صغيرٍ خَرَجَ من منطقةِ الفالُوجا يتوسّل فى ضرَاعةٍ إلى علْجٍ من عُلُـــوج الاســـتعْمَارِ الأمريكيِّ مُشهراً سلاحَه، أن يسْمَحَ لهُ وأسْرَتَهُ بالعوْدَة إلى منْزلـــه، ولكـــن هَيْهـــات هيْهَات أن تلينَ القُلُوبُ المُتَحجِّرةُ من لُقَطَاءِ المُجتمَعِ الأمريكيِّ الخلـــيطِ اللّقـــيطِ، وأن يسْتَجيبُوا إلى دَوَاعى الإنسانية، أوْ أن تؤثِّر فى أحدِهِم تضرُّعاتِ طُفولـــةٍ بريئـــةٍ لـــم ترتكب جُرماً، ولم تحْمِل وزْرَاً.

وهذه أخْرى لفتاةٍ من حرائرِ العراقِ، وقد استوقفَها جُنديٌّ مـــسلّحٌ مـــن العُلـــوج الهمَجِ، وهو يتحسّسُ أجزاءً من جسْمِها، وهو عرْضها الذى لا تمْلـــك أغْلَـــى منـــهُ، ويستحقُّ أن تُقطَع قَصَاصَاً له الرِّقابُ، دعواهُ فى فعلته البحثُ عن سلاحٍ تُخبئُـــهُ فـــى ملابسِها، ويا للفضيحة، ويا للعار!!! أَأَصبْحتْ أعراضُ حرائـــرِ العـــربِ وحُرُمـــاتِهنّ ودمائَهُن وأجسادَهن مُباحةً تُنتَهك على أرْضِ العرب ؟ وفى عُقر ديارِهم ؟ ، وتُهـــان بأبشعِ الإهانات؟.

لقد نشَرت كذلك صحيفةُ الديلى ميرور البريطانية ثَلَاثَ صُورٍ كلٌّ منهمـــا أنْكَـــى وأخبَثُ من أُخْتِها . أُولاها لجُنديٍّ عراقيٍّ معـــصُوب العَيْنَيْن بينَمَا جُنـــديٌّ أمـــــريكى يوجِّهُ السلاحَ إلى رَأْسِهِ (وقد قَتَلَهُ عمْدَاً) والثّانية لجنديٍّ آخر يَبولُ علَى وَجْهِ مُواطنٍ عراقيٍّ عاري الجَسَد تماماً، والثالثةُ لجنديٍّ ثالثٍ يضربُ أسيرَهُ العراقي بكعْبِ بُندقيّتِه فى عُضوِهِ الذّكري ليقضي علَى رُجُولته **فَقَتَلَه**.

وهذه سجينةٌ عراقيةٌ تستغيثُ من إجبارِها علَى التّعرِّي واغتصابِ جُنودِ الاحتلالِ لها، بل واغتصابها من الخَـــوَنَةِ والعُمَلاءِ من العراقيين المُتعاونين معَ الاستعمارِ، وَلَمْ

(٣٩٨)

يفْعَل لأجلها حاكم مُسلم عربيٌّ أو غير عربي شيئاً ــ آهٍ ثُمَّ آهٍ ــ لــو ســمِعَهَا أميــر المؤمنينَ الفاروق عُمرُ بن الخَطّاب ﷺ أو المعتصم بن هارون الرشيد.

وقَد شهِدُوا علي أنفُسِهم بالكُفرِ بعد أن فضَحَ بعضُهم بعضاً، خاصَّة مــا ذكرتْــهُ صحيفة الواشنطن بوست الأمريكية، وتناقَلَتْهُ عنها وسائلُ الإعلامِ العالميةِ من أنّ لَدَيْها وثائقَ تُثبت أنّ حُرّاسَ سجن " أبو غريب " كانوا يُعذِّبُون النُّزلاءَ لمجرّد اللّهْــو فــي بعْضِ الحالات لمعاقَبَتِهم علَي مُخالفَاتٍ ارتكَبُوها في حالات أُخْــرَى، وأوضَــحَت أنّ جُنوداً أمريكيين ارتكبُوا انتهاكات فاضحة داخلَ " أبوغريب " دونَ أن يكُون لذلك أدْني علاقة بجلْسات استجواب المُعتَقَلين، كما أورَدَت صحيفةُ " نيويورك تايمز " أنّ ضُبّاطَ المُخابرَات الحربيّة وافَقُوا علي استخدامِ الكلاب خلالَ جَلسات الاســتجواب لانتــزَاع اعترافات من المُعتقلينَ، وَوَصَفَت هذا الإجراءَ بأنّه إحْدى وسائل التّعــذيب الوَحْــشيّة التي تعرّض لها المُعتقلون بغضِّ النّظر عن حُصول المُحقِّقينَ علَــي مُوافَقَــات مــن ضُبّاط أعْلى رُتبة أو عدمِ الحُصول عليها، وقد ذَكَــرَ ضــبّاطٌ بالــشُّرطَة العــسْكَريّة الأمريكية في شَهَادات خطيّة أنّ مدنيِّيّنَ وضُبّاطاً بالمُخابرات الحربية كانوا يــزُورُون " أبو غريب " ليلاً ويقتادُونَ بعضَ السُّجناء إلي غُرفة خَشَبيّةٍ وَرَاءَ السِّجنِ لاستجوابِهِم هُنَاك ثُمّ الاعتداء علَيْهِم.

وقد نجحَت إحْدى السَّجينات العراقيّاتُ في تسْليم رسالةٍ إلي نَزيلٍ أفرَجَــت عنــه السُّلطاتُ الأمريكيةُ تستغيثُ فيها من اغتصاب حُرّاس السِّجن الأمريكيين لَهَا ومَعَهَــا أُخْريات يقعُ عليهنّ اعتداءٌ جِنسيٌّ فاضح، وذكَرت في رسالتها أنّ أكــثرَ من ســجينة مَعها أصبحن حوامل، ويعشن تحتَ ظُروفٍ قاسية، كما ذكَرَ مراســلُ وكالــة أنبــاء الشّرق الأوسط أنّه عند زيارته لسجن " أبو غريب " بــصُحبة مجموعــة صَــحَفِيِّيّنَ عراقيِّيّن وأجانبَ لاحظ وُجــُود خَمس سجينات في زِنْــزانَة انفرادية بالطّابق الثّــاني، وأنّ الســّجينات كُنّ يَصْرُخْنَ من شبابيك الزّنزانات ويُؤَكِّدنَ تعرضــهنَّ لانتهاكــات جنسيةٍ أبسطها إجبارِهنّ علي التعرِّي الكامل.



الحرية على الطريقة الأمريكانى



العِلْج ـ وحرائـــِـــر العر اق !!! ماذا يفعل ؟؟؟؟

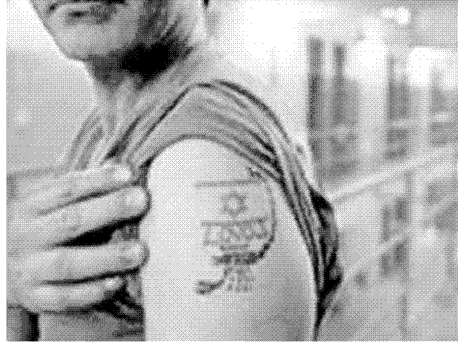
وهكَذا نَجَحَ أعداءُ الأُمّة في إذلالِها، يسومُونَها سُوءَ العَــذَابِ، يُــذبِّحُون أبناءَهـــا، ويستحْيُونَ نِساءَهَا، ويستبيحُون حُرماتِها، ويستحلُّون دِمَاءَها في غيــرِ مكـــانٍ علَـــي أرضِها الواسِعَة.

ويبدو أنّ الواقِع علَي الأرض في العِراقِ، ومِن قبلِـــهِ أفغانِـــستانِ، ومِـــن قبـــل فِلسطين، وأخرياتٍ مِن بلادنا، وكأنّه إنّما يقعُ في بلادِ الواق واق، هُناك فـــي أقـــصي الأقاصـــي، فلا ردّ فِعْل إسلاميّ رسميّ، ولا موقِف عربيّ رادِع ، ولا حتّى رأى عام

عام يُمكنهُ تشكيلَ جبْهة صمُود وتصدِّي، أو حتّى الإعلانِ عن تشكيل جبهَـــةِ رفْــض كتلك التي قاطعُوا بها مصر " سلفا ".

لقدْ عجزْنا جميعاً عن إزالة صراخِ المُستصرْخَة التى يُنتَهكُ عرضـــها ويُـــستباحُ جَسَدها لأنّنا في الواقعِ أشبهُ بأصحابِ الكَهْفِ وهُم في عَميق ثُبات، أو كأنّنا في بيـــاتٍ شتويٍّ طَويلٍ بتنا معَه ونحن ُ لا نَرَي، ولا نسْمع، ولا نتكلّم، واكتفَينا بمُتَابَعَة الأحْداث عبْر الفضائيات، وأخَــذنا نُعلّق علَي الأخـــبارِ التي تردُ إلينا عبْر إذاعاتهم ووكَـــالات أنبائهم، ونُشاهدُ الصُّورَ التي تبُثُّها فضائيّاتُهُم والكلُّ من صناعاتهم. أمّا إســـرائيلُ فقـــد حقّقَت نَجَاحاً كبيراً في غيْبةٍ مُطلَقَة وأكيدَة للعالَمَيْنِ العربيِّ والإســـلاميِّ عـــن حتـــى مُتابعَة الأحداثِ الدّائرة في العراقِ غير أنّهم متابعُون مُمتازون لمُباريات كُـــرة القـــدمِ وبرامجِ الشو تايم، وذلك لأنّ المُوساد الإسرائيليَّ قد تسلّل مُبكِّراً إلي العراق حتى مُنذ ما يسبقُ بدايةَ الحرْبِ علَي العراق، وشَرَعُوا في شراء الأراضي العراقيـــة ومنـــازلِ العراقيين الّذين طَحَنَهم الفَقْرُ والحصَارُ، وبدأُوا رَسْميّاً في التوسُّعِ في شراءِ مُمتلكـــاتِ العراقيِّين بعد غيْبَة السُّلطة التي توارتْ بانهيارِ النِّظام الشّرعيِّ بـــسقُوطِ بغـــداد فـــي التاسع من ٤ /٢٠٠٣م تحتَ الاحتلال الأمريكيِّ.

وجاء هُجُوم المُقاومة العراقية في ٢٠ /٣ /٢٠٠٤ علي مكْتبٍ تابعٍ للمخـــابراتِ الإسرائيلية { الموساد } في مدينة كركوك شَمَال العراق، والذي أسْفَرَ عن مَصْرَعِ ستّة من العاملين بالمكتب السِّرِّي الذي يعمَلُ تحْتَ اسم " شركة الرّافدين للتّصدير " خيـــرُ شاهدٍ علَي التّغلغُلِ الصُّهيونيّ في العالمِ العَرَبيِّ، وفَشَلِ العـــربِ فـــي الـــدِّفاع عـــن قضاياهُم، وأكّد الأعداءُ علَي عبقريّتِهم في استثمارِ الأوضاعِ القائمة واستغلالِ التّراجُع العربيِّ والهزائمِ الإسلاميّة خَيْرَ استغلالٍ، يشهَدُ علَى ذلك ما أعلنَتْهُ المُنظمّةُ العالميّـــةُ لليهودِ الفارِّين من الدول العربية [WAJAC] أنها قرّرت رَفْـــعَ قـــضيةٍ للمُطالبَـــةِ بتعويضِ اليهُودِ العراقيِّين الذين فرُّوا من العراقِ خـــلالَ الخمْـــسينيات مـــن القـــرْنِ الماضيِّ.



{{ الأذرع المفتولة للموساد فى قلب العاصمة بغداد }}

أشارَت المُنظمةُ إلي أنّ عَدَدَ اليهودِ الذين فَرُّوا من العِراق يبلغ ٣٥٠ ألف يهوديّ عراقي يعيش منهم ٣٠٠ ألف في إسرائيل، بينما يعيش (٥٠) خمسُون ألف آخـرين في كُلٍّ من كندا والعراق، أضافت المنظمةُ أنّ مُمتلكـاتِ اليهـودِ العـراقيين تُقـدّر بأسـعارِ اليومِ بنحو (١،٥) مليار دولار، وتطلُب بصرْفِ التعويـضاتِ المُـستحقّة لليهودِ العراقيين من الأصولِ العراقية المُجمّدة في مُختلف أنحاءِ العالَم.

ويقُول المُحامي (سميحا ألو ويز) الذي اختارَتْهُ المنظّمةُ لرفـع القَـضيّة فـي الولايات المتحدة وعدَدٍ من الدُّول الأوروبية أنّ استراتيجيتَهُ تعتمدُ علي إقناعِ القُـضاةِ بأنّ يهودَ العراقِ لم يُغادرُوا العِراقَ بمحْضِ إرادتهم، ولم تُسْلَب منهُم جنـسيّتَهُم فَقَـط وإنّما مُمتلكاتِهم أيضاً، وأكّد ألو ويز أنّه سيستفيدُ في دعواهُ بسابقَةِ قيامِ وزارةِ الخزانة الأمريكية بصرف تعويضات بقيمة ٩٣ مليون دُولار من الأُصُولِ العِرَاقية المُجمّـدة لعاملٍ أمريكيٍّ مُصابٍ بالسُّكّر مُنِعَ عنه الدواءُ أثناءَ احتجـازِهِ كرَهينـةٍ بعـد الغَـزْوِ العِرَاقِيِّ للْكوَيْت.

وفي المُقابل فإنّك تجدُ المُسلمين علي كثْرَتِهِم، والعربَ علي جُملتهم، بما للجميـعِ من مُنظمات إقليميةٍ، منها ***مُنظمة المُؤتمر الإسلاميّ ، وجامعة الدول العربية، واتحاد المُحامين العرب. الخ***، وعلَي الرَّغم من وصُول أحد القانُونيِّيْنَ العرب إلـي رئاسـة الاتحاد البرلمانيِّ الدّوليِّ ، وسياسِي مَسيحي عربيٍّ إلى رأسِ الأمانَةِ العامة لهيئة الأُمَمِ

(٤٠٢)

المتحدةِ فإنّكَ ماتزال تجِدُ الجميعَ لا يملكُون غير مفردات كلمات القــامُوس الــسياسيِّ " **إيّاه** " (**نَرْفُض، نَسْتَنْكِرُ، نَشْجُب، نُدين**).

وتِلك هي فلسفةُ الإنتقامِ وعَظَمَةُ الإدارةِ، وهي كــذلك العبقريــةُ فــي اســتثمارِ الأحداثِ، والإجادة في رُكُوبِ القوْمِ الذين ظلمُوا أنفسَهُم، وقد باتُوا في مَذلّة وهَوَانٍ.



{{ المُسلِمُون فى بلادِهِم يتجرّعون الكأسَ مُرّاً مِن طلائِعِ الغزْوِ الصّلِيبي }}



مَن لِلعِرَاقِ.......... الأَرْضُ والشّعبُ ؟

(٤٠٣)

(٤٠٤)

البابُ الثّالث

بينَ

التّرْكِيعِ & والتّطْبِيعِ

(٤٠٥)

الفصلُ الأوّل

الوجْهُ الجديدُ

أوّلًا: هَلْ يُصْبِحُ الأسَدُ فأْرًا ؟ !:

قُلنا أنّ العراقيين يرفُضُون الاحتلالَ الأجنبيّ لبلادهم، مَثلهم في ذلك مَثل شُعُوب العالَم كلِّه، وقد سلَكُوا مسالكَ المُنتَفضينَ الثّائرينَ الأحرار بحْثاً عــن حُرِّيَــةِ الــوطَنِ وكرامةِ المُواطنِ، كما فَعَلَ الفرنسيُّون مَعَ البريطــانيِّين، وكمــا قــاوَمَ البُرتغــاليُّون الأسبانَ، بل وكَمَا قاوَمَ الأمريكيون الاستعمارَ الأسبانيَّ والبرتغاليَّ الــذى يُــدان لــه بالفضْلِ فى اكتشافِ القارّة الأمريكية ذاتها، وهى ما عُرِفت وقْتها (العالمُ الجديدُ).

فقد قاوَمَ العراقيُّونَ الاحتلالَ الأنجلو أمريكيّ، وقاتَلُوهُ، وجاهدُوه بــشقِّ الأنفُــس، وبذلُوا الدّم، والجَسَدَ، والرُّوحَ، ودَفَعَ رَحِمُ الوطَنيةِ قُوّةَ المُقاومَة التي ثارَت في وجْــه الاستعمارَ الذي عَادَ من جديدٍ إلي الشّرق، وجاء ردُّ الفعلِ الأنجلــو أمريكــي قاســياً ومريراً ومُؤلماً، فتلك هي طائراتهم تقصفُ التجمُّعات السّكنية، وتنسفُ الأسواقَ بــأُمِّ القنابلِ وعوابرِ القارّات، وتدُكُّ المساجد علَى المُصلِّين باستخدامِ قذائفَ وصواريخ من نماذجِ جديدةٍ في إختباراتٍ عمَليّةٍ لمدي كفاءتها وقُدرتها وقوّتها التّدْميريّــة وآثارهــا، وكأنّ العراقيِّين أهدافٌ وهْميةٌ في مَيدانِ تدريبٍ للرّماية بالذّخيرة الحيّة. وباتَت المُــدنُ العِراقية وقُراها وأهدافُها الإستراتيجية في مَرْمَي النِّيران الأنجلو أمريكية التي تُحــدِّد لها أهدافَهَا الأقمار الصِّناعيّةُ طائراتُ التّجسُّس التي تملأ الأجوَاءَ وتصَوِّرُ كُلَّ شيءٍ.

وفي المُقابلِ تزدادُ رُوحُ المقاومَة، ويأتي من الإتِّجاه المُعاكس القهــرُ، والقمــعُ، والبطشُ، والتنكيلُ ضدّ الجميع، وبلا تمْييزٍ، فيمُوتُ مَن يمُوتُ، ويُعتقلُ مَن يُعتقَلُ، أمّا الأطفالُ فتَتَلَقّفهم إرسالياتُ التّبشير (جمعيات التّنصير) التي ملأت العراق، وتُحَــولّهم إلي نَصَارَى مع أنّهم المُسلمون، وقد دَخَلَت هذه الجمعياتُ التّنصيريَةُ تحــتَ دعــاوَى إنسانيةً وهي ترتدِي عُباءَةَ الأغراضِ الإنسانية، وحمايةَ المدنيِّين، وتوْصيلِ المعُونات، وغوْث المُصابين... إلخ. غير أنّها ترْتدي بُرنُسا صينيا، يابانيــا، وكُوريــا، إيطاليــا، واستراليا، وأسبانياً، ومَجَريّاً، وبُولنْديّاً ، وهُم مجْمُوعةٌ من المُبشِّرين بالدِّيانة المسيحيّة

المأجورين المُرتزقة الذين دَخَلوا العراق لأجــلِ تنْــصيرِ شــعبه، وتهويــد أرْضــه، وتمْــهيدِهِ لقيامِ دولةٍ يهوديةٍ عَلَى أرْضِهِ ما أمكنهم ذلك، أخذاً للثأرِ القديمِ مُنذ عَــصْرِ نُبوخَذ نصر(١) ورُبّما تدورُ في فلَكِ التّنصيرِ الأمريكيِّ الــذي اكتظّــت بفرَقــه بــلادُ الرّافدين والشّام مُنذ فتراتٍ طويلةٍ.

أمّا نصيبُ المرأةِ العراقيةِ فتنوءُ به كواهلُ الرِّجالُ، وذلك لأنّ الفتاةَ العراقيةَ قــد أضاعُوا عُذريتها، وواقَعُوها قَسْراً وقَهْراً، وتناوبُوا الاعتداءَ عليها حتى حملَــت مــن سفاحٍ لتَلدَ (العراقيِّينَ الأعاجِمِ) ذَوي الشَّعْرِ الأصْفر، والبشرَةِ الحمراء، وقــد فَقَــدَت المرأةُ العراقيةُ الشّرفَ، والعِزّ، والجَاهَ، وباتَتْ بلا عَائلٍ ولا صَائنٍ ولا حامٍ للحِمَــي، وأصبحَت وهي مُشاعَاً للمُستعمرين الأعاجِمِ من أمريكيين، وبريطانيين، واســتراليين، وبولنْديين، وغيرهم من جنسياتٍ أُخرى سواءٌ بسواء فى عملية هى الأقرب لأن يقــال عنها {{ التلقيح الحيواني }}.

إنّها الآن معملُ تفريخٍ، عليها أنْ تُنجبَ اللّقيطَ العِراقيَّ "" الحُرّ الجديــد ""، وهُــو الحُرُّ حقّاً، لأنّه لا أب ينتسبُ إليه سوي الأبُ المُنَصِّر الذي زَرَعَ العِرَاقَ بالكنائسِ هُنا وهُناك، وهذا هو الجيلُ الجديدُ، وتلك هي ملامحُه، وقد أرادُوا تفريخَهُ عَلَي مُــرادهم ليكون العراقيُّون أحراراً، من أجلِ التّطبيقِ الأمين لعمليةِ حُريّــةِ العــراق، وليُــصبحَ بالتّالي حُرّاً بلا أب، وبلا وَطَن، وبلا قُيود، بلا مبادئ، بلا أخْلاقٍ، والأهَم أن يُــصبح حُرّاً في الهجرة إلي حيثُ شاء، وتلك هي ملامحُ الجيلِ الجديــد فــي العــراقِ الحُــرِّ الجديدِ، الذي يتمُّ الآن تهويده أو تنصيره أمامَ الجميعِ تحْتَ قهْــرِ الــدّباباتِ وقــصْفِ الطّائرات، ورَحَى الجُوعِ والفقْرِ والبطَالَةِ والتّهجيرِ، وفقدانِ الحياةِ الكَريمــةِ، بعــد أن ضاعَ الأهلُ والمالُ والولدُ، وبات الناسُ بلا مأْوَى، وبلا دخْــلٍ، يُــصهرُهم الجــوعُ، وتُظلُّهم الطائراتُ التي تُمطرُهُم من السّماء بوابلٍ من نــارِ الــسّعيرِ، حتــى يُــصبح العراقيُّ في نهايةِ المطافِ وليس له غير قُبُولِ العَمَلِ في مصانعِ اليهُــود، وشــركات اليهُود، وليس له كذلك إلا التّعليم في المدارسِ التي تُقيمُها البعثــاتُ التّبــشيرية.**ومــا أدراك ما هِيه.**

---

(١) أنظر صراع الحضارات وحوار الدبابات / للمؤلف

وقد انكشفت أصابعُ المُوسادِ في العِراق وهي تنسجُ الخرَابَ والــدّمارَ، وتــصنعُ العارَ وتُهلك الديارَ، إنّهم يفجّرون السيّارات المفخّخة أمام المساجد، وفـــي الأسْــواق، ويرتدون مَلابس الشُّرطة العراقية ويتنكّرون فيها لقتْل العراقيين من المَدَنيين وأفــراد الشُّرطة علَي السّواء، وهم كذلك يغتالُون أهلَ السُّنة ومَرَاجعَ الشّيعَة علَى السّواء ليُلْقى كلٌّ طَرَف علَى الآخر بالمسؤولية، وتتأجّج رُوحُ الانتقامِ، حتى ســالَ الــدّمُ العراقــيُّ المُسلم أنْهاراً علَى أرضِ الرّافدَين، وابتَلَعَ الجَهَلَةُ منهُم الطُّعُمَ **(الصناعة الإســرائيلية)** فأقْدَمَ الكثيرُونَ منهم علَى عملياتٍ انتحاريةٍ مُضادة، راحَ ويروحُ بسببها مئات الآلاف من الضّحايا الأبرياء، وفرّ أكثر من ثَمَانية ملايين من أبناءِ العراق لاجئين إلى سوريا والأردن ومصر وأوروبا فى أكبر عملية نُزُوح جماعيٍّ مُنذ نُزُوحِ الفلــسطينيين عــن أراضيهم وديارهم فى ١٩٤٨م.، وسُقوط الجيُوش العربية مجتمعــة { فــى مــستنقع الهزيمة الجماعية } التى دَخَلت فلسطين لإنقاذ أهلها أمــام العــصابات الــصهيونية المسلحة، وأكثر الإسرائيليين الذين دخَلوا العراق يُظْهرون للعراَقيين الجائعين البائسين الدُّولارات، ويُقنعونَهم ببيعِ الأرضِ والدّار، مُكتفين بتوقيعِ البائعِ وبشهادة شاهدَين، وقد يتركُون العراقيين للإقامة في المنازلِ ، وزراعة الأراضي التي صارت ملكاً لليهــود **(الملاك الجُدُد)**، وذلك لحين أن يُصبحوا كثرةً وأن تكونَ لهم قُوّة وشَوْكَة، تماماً كما كان سلُوكُهم في هجرتهم الأُولي إلي فلسطين مُنذ ما قُبيْلَ الحربِ العالميــة الأولــي. حتى صارت فلسطينُ إلى ما صَارَت إليه أمامَ أعْتَى وأخسِّ مؤامرةٍ عالميــة كُبــرَى يقودُها التجمُّع الصّليبيّ ــ الصهيونيّ ــ الماسوني . العالَمي. الذى أوْشَــكَ أن يبتلــعَ العِراَقَ فى أكبرِ عملية سطوٍ فى التاريخ المُعاصر بعد ابتلاع فلسطين، وهى تقعُ على أعيُننا، وقُلوبنا غُلْفٌ، وعلى أعْيُننا غشاوَةٌ، وفى آذاننا وقرٌ، وقد شغَلَنَا المالُ، والأهلُ، والولدُ، والمَقْعَدُ، بحَيْث يجبُ أن يُقطَع كلُّ لسانٍ يتحدّث فى أخطاءِ القادة السّابقين فــي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، أو لوْمهم بسببِ ما يُقال عن تفــرُّقهم وضعْفهم وتخاذُلهم، وما نَتَجَ عن سُوءِ حالهم المُهين من تمكين الاستعمارِ من تمزيــق الجسد الإسلاميِّ الضّعيف، وتقْطيعِ أوصَاله (وَحْدَته) إعمالا لقوله تعالى **﴿ إنَّهُــمْ إن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذاً أَبَدَاً ﴾ {الكهف: ٢٠}**، فليسَ بينَ الأمسِ واليومِ غــير شَعْرةٍ دقيقةٍ ، فقد تشابَهَ بالتّمام الواقعُ من بلاءٍ وابتلاءٍ

بالمُسلمين مع نهايةِ القرنِ العشرين ومطلع الحادى والعشرين، وتطابَقَ مَعَ ما كان فى نهايةِ القرن التاسع عشر ومطلَعِ القرنِ العشرين.

إنّ الاستعمارَ عائدٌ بقوّة وبإصرارٍ، الكلُّ يتآمرُ ــ الكُلُّ له أطماعٌ فى الجُثّةِ الهامدةِ التى تمتلكُ ميراثاً هائلاً، إنّهم قادمُون. يندفعُون فى جُنون، ويَتَنَافسون فيما بينَهم، ويقدِّمُون تبريراتٍ وغطاءاتٍ يُحاولُون إصباغَها بالشّرعية والسّقُوف المُباحَثَاتيّة مثل أُطْرُوحاتِ الشّرقِ الأوْسَط الكَبير، واتفاقيّات الشّراكة، والسُّوق الشّرقِ أوْسَطية، إنّها أدواتُ الاستعمارِ وَوَسَائله المُتلوِّنة والمُتطوِّرَة، والمُغلَّفَة.

لقد ابتلَعُوا فلسطين، والآن يُهوِّدُون العراقَ أو يُنصِّرونَه فى غيبةٍ عربيةٍ كاملةٍ وفى ظلِّ عجْزٍ إسلاميٍّ مريرٍ، ليجعلُوا منه فلسطين جديدة تُمثِّلُ الحدّ الشّرقي لدولتهم الكُبرى ــ الوطَن القومي لِليهود ــ (أرضُ الميعاد والأجدادِ) كما جاءت فى توراتِهم المزعومة.

وإذا كان اليهودُ قد تملّكُوا الأرضَ الطّاهرة التى يرقُد فيها نبيُّ الله إبراهيم عليه السلام ، وأولادُهُ من بعْدِهِ [إسحاق، ويعقوبَ، ويوسُفَ، وداود، وسُليمانَ، ومُوسى] عليهم السلام، وغيرهم مِن النَّبيِّين، وقد سقَط بيتُ المقدسِ أسيراً تحتَ أقدامِهم يُمارِسُون فيه رذائلهم وطقُوسَهم وعاداتهم الذّميمة، وباتَ المسجد الأقصى مُهدّداً بالتّهدُّم وسُقُوطِ جُدرانِهِ، وهو أُولى القِبلتَيْنِ، وثالثُ الحَرَمَين فإنّهم الآن فى طريقِهِم وإن كان غيرُ يسيرٍ عليهم إلاّ أنّهم حقّقوا بعْضاً مِن ألوانِ النّصر نحْو تحقيقِ السّيطرةِ وبسْطِ النُّفُوذِ بعدَ أن سقَطَ العراقُ فى مُستَهَلِّ العمليّات الافتتاحيّة لإعادةِ ترسيمِ الخريطة الصماء، حيثُ فيهِ يرْقُدُ عليٌّ بن أبى طالب، والحَسيْنُ وَلَده، ومن ذكَرْنا سلفاً مِن آلِ البيتِ عَلَى نحْوِ ما أوردْنا مِن سيرتِهم، وكذلك يرقُد الصحابيُّ الجليل الزُّبير بن العوّام، وسعد بن أبى وقّاص، وجمعٌ غفيْر مِن صحابةِ رسُول الله ﷺ الأخيار، كَمَا أنّ لهم عُيوناً ترصُد الحرَمَ النبويَّ، والمَسجدِيْن الأُمَوِيّ فى دمشق ، والحُسيني فى طَهران.

إنّه التّطابُقُ فى المُخطّطاتِ والوسائلِ، والأهدافِ والنتّائج، والآثارِ، والتداعيات، حتى تطابَقَ فى وُجُوبِ تَطْبيقِ دواعِى الانتحارِ أو الدّعِّ فى النّارِ للأحرارِ بدلاً من وضْعِ الطِّين على جباهِ المُسلمين أجْمَعين .

(٤٠٩)

أ ــ الأسَــدُ فِى المَصيــدَة :

يأتى الوضعُ القائمُ فى العِراق إلى جانبِ كونه يُشكِّل حرْبَ إبادةِ شعبٍ وإحــراقِ أرضٍ ، يأتى بمثَابَة رِسالةٍ قويّةٍ من قبَلِ إدارةِ الرّئيس الأمريكي ــ بُوش الثّــانى ــ التى تُمارِس ضُغوطاً شديدةً وبقُوّةٍ على النِّظام السُّوري لتدفعه إلى الرُّضوخ والإذعانِ للمطالبِ الأمريكية المتعدِّدة والمتشدِّدة .

كما يأتى القصفُ الإسرائيليُّ لأحَدِ المواقِعِ العسكرية السُّوريةِ الواقع فى المنطقة المُحرّرة من هضبة الجُولان فى حرب ١٩٧٣، بالإضافة إلى التّهديد الإسرائيليِّ المُباشرِ للعربية السُّورية تدعَمها الحشودُ الأمريكية على طُولِ الخَطِّ الحُدودي مع العِراق المحتّل بمثابَة أحد أوْجُه هذه الضُّغوط.

ويُمْكِنُ القَوْلُ بأنّ الموقفَ الأمريكيّ المُتصلِّب ضدّ سُورية يأتى مُعَبِّرا عن أحَــدِ وجهين لا ثالثَ لهُما:

الأوّل: أنّ السُّوريين سيُضطرُّون إلى الرّد فعْليــا علــى أىِّ تــصْعيدٍ عــسْكريٍّ إسرائيليٍّ ضدّ أراضيهم بما يُهدِّد بتفجيرِ صراعٍ كبيــرٍ فــى المنطقــةِ خاصّــة وأنّ السُّوريين لديهم الرّغبة الحميمة فى استعادَة الجُولان المُحتّــل، وتخلــيص الــسوريين الرّازحين تحت الاحتلالِ من ويْلاتِ الإسرائيليين، وإنقاذهم من القسْرِ علَــى التّجــنُّس بالجنسيّةِ الإسرائيلية.

ويمكنُ القولُ بأنّ للإسرائيليين حُدوداً لما يُمكنُهم أنْ يقومُون به ضــد ســوريا أو مُحاولة إعادة السّيطرة الكاملة علَى بُحيرَة طبريّة، فالنِّظام السُّوريُّ سيضطَر إلى الردِّ على أىِّ تصعيدٍ أو هَجَمَاتٍ إسرائيلية جديدةٍ ضدّ بــلاده مُستأنــساً بالــدبِّ الرُّوســيِّ المُستأسد والذى يُظاهِر السُّوريينَ فى العلَن، حتى وإن لَم تتطوّر تلك الهَجَماتُ إلى حَدِّ إعلان الحرب النّمطيّة، إلاّ أنّهُ من المُمكن أنْ يتّخذ هذا الرّد أشكالَ العَمَلياتِ العسْكريةِ المُباشرة، أو القيامِ بعَمَلياتٍ استشهاديّة (فدائيّةٍ) ضدّ الإسرائيليين انطلاقاً من الجنُوبِ اللبنانيِّ أو من الجُولان (ولربّما تكُون الأُولى مدعاةُ غزْوٍ إسرائيلي مُحتَملٍ ومتعــدِّدٍ ووَشيكٍ للجَنُوبِ اللبْنَانيِّ).

وهذا ما تداركَتهُ الإدارةُ الأمريكيةُ، وَجَعَلَها تُصدِرُ القانونَ المعروف باسم "" **محاسبة سوريا وسيادَة لبنان** "" لعام ٢٠٠٣ ""، وفيه إجبارُ سُوريا على سحْب قوّاتها من لُبنان ممّا اضطُرّ السُّوريين مَعَهُ إلى إعادة انتشار قُوّاتهم العاملة فى لبنان بمُوجب دعوةٍ رسْميةٍ من الحكُومة اللُّبنانية مُكرَهَةً عليها، غير أنّ إعادةَ الانتشار هذه لم تُرضِ الصّلف الأمريكيّ، ولم تُحدّ من الغطرَسة الإسرائيلية، فمَضَت أمريكا فى طريقها الضاغط على رقاب النِّظام السُّوريّ وتَضْييق الخناق عليه وبشدّة، فأعلَنت عن فرْض عُقوباتٍ مُعيّنة على سُورية، ثمّ هدّدت بتشْديد تلك العقُوبات فى مراحلَ لاحقةٍ، وفرْض الجَديد منها لإرْغام السُّوريين على الانسحاب من لُبنان.

أمّا الثّانــــي: فهو قُبول النِّظام السُّوري للتحلّل والانصهار، والتصدُّع، والانهيار، فيرفَع مُكرَهاً الرّاية البيضاءَ إيذاناً بالتّسليم الكامل للتّوقيع على مشرُوع سلام ""سُوري ــ إسرائيلي"" كذلك الذى وَقّعهُ السّادات مع بيجين برعايةٍ أمريكيةٍ فى سبعينات القرن الماضي، وذلك ملاذاً من المآل العراقيّ، وقُبول التّطبيع الكامل مَعَ إسرائيلَ طبقاً للنُّموذج الأُردنيّ، والرِّضا بالتّسليم الكامل كما فَعَلَ القذّافي، ومن ثَمّ يُصبح الأسدُ فأراً، ويَسقُطُ الشّامُ فى المصيدَة تماماً كما وَقَعَ صدّام حُسين فى الفَخّ.

أمّا الدّاخل السُّوريُّ فقد انقَسَمَ إلى تيّارَيْن مُختلفَين حوْلَ كيفية التّعامل مَعَ وحيد القرْن فى إدارة الأزمة.

الأوّل: يدعُوا إلى التّشدُّد مع إدارةِ بُوش، ويرفُضُ التّسليمَ وتقديمَ التنازُلات، خاصّة أنّ قُبول تقديم هذه التّنازُلات مع هذا العَدُو اللّدُود يزيدَهُ على الاستمرار فى طَلَب تنازُلات أُخْرى إلى مالا نهاية (والبيان جلي مَعَ الفلسْطينيين)، حتى يتمّ حصْرُ الطّرف المُتنازل، والتّضْييق عليه، والإطاحة بآماله، ووأْد أحْلامه، وجعْله يسْعَى لإلقاء نفْسه فى البحْر، أو القفْز فى النّار، كما كان من النُّموذج العراقيّ أثناء ما قيل عنها عمليات التّفتيش قبل الغزو، والتّنازُلات الفلسطينية التى قدّمها الفلسطينيون طوْعاً، أو كرْها بعد أنْ نَفَضّ العربُ أيديهم من قضيّتهم، ووقَفُوا وحدَهم يُواجهون بنى صهيون، وباتت قضيّتُهم شأْنٌ فلسطينيٌّ محْضٌ بشهادة الإعلام العربيِّ الذى كثيراً ما يُردّدُ عــبارةَ {{ وفى الشأن الفلسطيني، وفى الشأن العراقي، وفى الشأن السُّودانيِّ،

وفى الشأن اللبنانيِّ.... وهكذا) واسألوا نَشَرَات الأخبار التى تنطق شاهدَةً على أنّ لكُل من العَرَب شأنَه الخاص (**وأمجَاد يا عَرَب أمجاد**) !!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

وهذا هُو التّيار المُتشدِّد الذى يَضمُّ مسئولين كباراً فى النِّظام السُّوريِّ من بينهم السّيِّد/ فاروق الشّرع وزير الخارجية _ مُستشارُ الرّئيس الأَسَد الذى يقولُ (إنّ سوريا ترفض الدّخول فى أيّة مُساوَمَة مَعَ إسرائيل حوْل الجُولان، كما ترفُضُ عقْد أى مفاوضات معها)، وهذا التيّارُ يبدُوا مُقتنعاً تماماً بأنّ إدارَة بُوش مُعاديةٌ للنّظام السُّوريِّ، وتريدُ تقليصَ دوْرِه فى المنطقة، ومن هنا تكمُن دعوتُه إلى عدَمِ إظْهارِ أى مُرونة فى التعامُل مع المسئولين الأمريكيين.

وقد تردّدت أنباءٌ على لسان مسئول فلسطينيٍّ بارزٍ أنّ المسئولين الأمريكيينَ ضَغَطُوا على السوريين، وطلبُوا منهم إقْناعَ التّنظيمات الفلسطينيّة المُسلّحة المُعارضة لعمليةِ السلام (حماس، الجهاد) بوقْف إطلاق النّار، وقُبولِ هُدنة أمْنية فلسطينية ثابتة مع إسرائيل، غير أنّ الأمريكيين لم يُقدِّمُوا شيئاً فى مُقابلِ ذلك لــسُوريا، وهذا التّصرُّف الأمريكيّ هو الذى دَفَعَ الشّرعَ إلى القوْل أنّ إدارةَ بُوش هى الأكثرُ عُنفاً والأكثرُ غَبَاءً فى التّاريخ الأمريكيِّ الحَديث.

الثّانــي: وهو يؤيِّدُ التّوصُّل إلى تفاهُمٍ مَعَ واشنطُن حوْل العراق والنِّزاعِ الفلسطيني الإسرائيلي المُــعقّد، ومُشكلة لُبنان، ويقتــرحُ خُطواتٍ مُتبادَلة بينَ الطّــرفينِ لتجاوُزِ مرْحلةِ التأزُّم والخَطرِ، وفتْحِ صَفحةٍ جديدَةٍ فى العلاقات الأمريكية السُّورية، وقد تحدّثَ روّادُهُ فى الدّعوةِ إلى الانفتاحِ، والعَمَلِ على تحسينِ العلاقَات مَعَ واشنطُن، غير أنّهم أكّدوا أنّه لن يحْدُث أى تقدُّمٍ فى العلاقَات الأمريكيّة السُّورية، ولن يحدُث أى تَعاوُن بينَ البلَدَين إذا كانت إدارَة بُوش تعْمَل فعلياً علَى تقليصِ حجْمِ دوْر سُوريا فى المنْطقة.

ومِن ثَمّ قد جاءَ ردُّ الفعلِ الأمريكيِّ بفَرضِ عُقوباتٍ اقتصاديةٍ علَى سُوريا عند منتصف ٢٠٠٤، وقد علّقَ رئيسُ الوُزراء السُّوري مُحمد ناجى العطري بقوله (إنّ تطبيقَ العُقُوباتِ على سُوريا قرارٌ ظالمٌ وغير مُبرّر، لكنّه لن يُؤثّر على سُوريا فى شئٍ)، ودعا الولاياتِ المتّحدة إلى أنْ تعودَ إلى رُشدها وصَوَابِها، وأعْلَنَ وزيرُ الزِّراعَةِ السُّــوريِّ " عادل صَفَر" أنّ العُقوباتِ الأمريــكيةِ المفْرُوضةِ على سوريا لَن

(٤١٢)

تُؤثِّر عَلَى المُستوى الدّاخليِّ سواءٌ علَى الاقتصادِ الوطنيِّ أو علَى القطاعِ الزّراعيِّ، وقد اتّهَمَ "صفَر" الولاياتِ المتحدة بأنّها تسْعى إلى تنْفيذِ السِّياسة الإسرائيليةِ فى المنطقة.

أمّا رئيسُ مجلسِ الشّعب السُّوريِّ (مَحْمُود الأبْرش) فقد اعتَبَرَ فرْضَ العُقُوبات على سُوريا أمْراً مُجْحفاً، وأضَافَ أنّ سُوريا مُطيعَةٌ دَوْلياً، لكنّها ترْفضُ الإذعانَ للإرادَة الأمريكيّة.

ومن جانبِه أعلَن بُوش الثّاني فيما يُعَدُّ تبريراً لتنفيذِ تلك العُقُوبات أنّه أرْجَعَ أسبابَهَا إلى إنّ سورية تدعّم ما تُسمِّيه واشنطُن الإرهابَ، كما أنّها تطوِّرُ أسلحةَ دَمارٍ شاملٍ، وتُعرْقِل إحلالَ الاستقرار فى العراقِ، وجاءَ تجميدُ حساباتِ المصْرف التِّجاريِّ السُّوريِّ باكُورة العُقُوباتِ التى أقرّها قانُون **مُحاسَبَة سُوريا.**

وقد ظَهَر تيارٌ فى الإدارةِ الأمريكيّة قادَهُ وزيرُ الخارجيةُ الأمريكي (كُولين باول)، ومُدير المُخابراتِ الأمريكية (جُورج تينيت) قبل استقالَتِهما تُريدُ بأىِّ ثَمَنٍ تجنُّب القَطيعَة والمُواجَهَة مَعَ سُوريا، ويتَعَامَل معَ العقُوبات الجديدة التى فَرَضَها بُوش عليهَا علَى أنّها رمْزية، وغير مُؤثِّرة فعلياً، وتهدفُ خُصوصاً إلى البحْث جدِّياً مع الولاياتِ المُتحدة عن سُبُلِ مُعالجَةِ المُشكلةِ العالِقَةِ بين البلَدَين، وإيجادِ الحُلول المُلائمةِ لَهَا..

وقد تدهوَرَت العلاقاتُ بين دِمشْق وَوَاشنْطُن لأدْنى مُستوياتها إثْرَ توْقيعِ بُوش الثّاني على القانون المشبُوه المُسمّى (مُحاسبة سُوريا وسيادَة لبنان)، وهُو ما اعتَبَرَه الصُّقورُ فى الإدارةِ الأمريكيّة أنّه أحَدُ أدواتِ الحربِ الأمريــكيةِ علَى مَا يُسمّى بالإرهاب، وبهذَا تكُونُ الحلقةُ الأخيرةُ فى العَدَاء قد قَفَزَت وبقُوّة نحْو الهدَفِ الذى رَسَمَتهُ الإدارَةُ الأمريكيةُ، خاصّة بعد أنْ أعلنت ليبْيا تخلِّيها طَواعيةً عن برنامجها لتطويرِ أسلحةِ الدّمارِ الشّاملِ، وفتحِ أبوابها أمامَ لجانِ التّفتيشِ الدّولية، وقد عبّر نائبُ الرّئيس الأمريكي (ديك تشينى) مُلَخِّصاً الأمْرَ (إنّ سياسَةَ العَصَا الغليظَة قد نجَحَت وآتَت ثمارَها). وهذا هُو ما دَفَعَ بواشنْطُن بتخْييرِ سُوريا بين السّيرِ فى الطّريقِ الذى اختارتْهُ طرابلُس الغرب أو التعرُّض لِضربةٍ من الضّرباتِ الوقائيّة التى تشنُّها واشنطُن ضدّ ما تُسمِّيه بالإرهابِ والمعرُوفة باسم الحربِ الوقائية (الإستباقية).

كما شكّل سُقُوط بغداد فى ٢٠٠٣/٤/٩ مؤشِّراً جادّاً لمُواجَهَة حقيقيّة بين واشنْطن ودُول شرق أوسطية، وهو ما ترْجَمَتهُ: تَحَوُّلاتُ واشنطن عن الدبلُوماسية الهادئَة إلى التّهْديد والوعيد فى ظلّ الرُّؤية الأمريكيّة الجديدَة (مَن ليس مَعَنَا فهو ضدّنا)، وبالتّالي أصبحَت سُوريا فى مَهَبِّ رياحِ التّغْيِير العاصفَة باعتبار أنّ مآخذَ واشنْطن على دمشق ليسَت وليدَةَ السّاعة، وإنّما تمتدُّ لكُل القضايا الشائكة بدْءاً بالتدخُّل السُّوريِّ فى لبنان، ورعايَتها لمُنظّمات المُقاومة الفلسطينية التى تُصَنِّفُها واشنطن فى خانة الإرهاب، ومُروراً بالدّوْر السّوريِّ المزعُوم فى الإرهاب، وانتهاءً بموْقِفها من الحرب على العراق وتداعياتها التى أرْبَكَت دمشقَ.

وعلى ذلك فُرِضَت ملامحُ وضْع جديد أكّد عليه ما أعْلَنَت عنه سُوريا صَباح الثّلاثاء ٢٠٠٤/٩/٢١ طبْقاً لما صَرّحَ به مصدرٌ عسكريٌّ لبنانيٌّ بأنّ عمليةَ إعادةَ الانتشار التى بدأتها سُوريا تشْملُ سحْب ثلاثةَ آلاف جُندي سُوريٍّ سيعُود معظمُهم إلى سُوريا، بينَما سيبْقَى فى لبنان (١٥٠٠٠) خمسةَ عَشَرَ ألفاً من الجُنود السُّوريين ستتُّم إعادة انتشارهم فى منطقَة البقاع علَى الحدُود السُّوريّة اللبنانية.

ثُمّ أعلن سياسيٌّ سُوريٌّ بارزٌ قُبَيْلَ نهاية يناير ٢٠٠٥ عن أنّ الوُجودَ العسكريَّ السُّوريَّ فى لبنان سَوف ينتهي خلال عامَين، وهذا ما يُؤكِّد علَى وجُود اتصالات سرِّية مُكثّفة بينَ السُّوريين والأمريكيين، ولو عَبْرَ وسَطاءٍ لإنهاء الوجُود السُّوري فى لبنان أوّلاً، ثُمّ الانتقال إلى مراحلَ أُخرى.

ولأنّ التّاريخ يُعيد نفسَه كما يقُولون، فقد لاحظنَا تشابُها كبيراً بينَ السِّيناريو الاستعماري فى العصْر الحديثِ والزّمن المُعاصِر من حيثُ البرامِج والأدوات والخطَط والنتّائج.

فإذا كان مُؤتمر (**سان / ريمون**) سنة ١٩٢٠ قد انعَقَدَ خصِّيصاً لمناقشة إعادة النّظر في اتفاقيّة **سايكس/ بيكو**، فإنّ مُؤتمر قمّة الثّماني المُنعقد في واشنطن عام ٢٠٠٤ جاء هو الآخر ليَبْني علَي ما أرست قواعده مؤتمرات (**بوش ــ بلير**) التي تعدّدت قُبيل حرب الخليج الثالثة شتاء ٢٠٠٣ وفى طليعتها مُؤتمر **بلفاست** (ايرلندا الشمالية) شتاءَ العامِ ذاته وهو ما عُرف بلقاء الجُمعة السعيدة.

ولِهذه الأسباب مُجتمعة تُوشك الأُسُود أن تتحوّل إلي جُرذان تتخطّفها الصُّقورُ.

ب ــ حزْمُ الأمتعَة:

أمّا فرنسا الصّليبية التي ظنّ البعضُ أنّها أشدُّ عُروبَةً من العَرَب أنفُسهم قُبَيْلَ الغزْو الأمريكيِّ للعراقِ، وأثناءَه، وبعْدَه لوَقْتٍ قصيرٍ، فقد أظْهَرَت غيرَتَها وحرصَها علي المُسلمين في العراقِ بأكثرَ ممّا جاءَ من العالمِ الإسلامي كُلّه، فقد كَشَفَت مُؤخّراً عن توجُّهاتها الاستعمارية الحديثة والمنظُورَة، وذلك بمشارَكةِ واشنطن الدّعوة، ثُمَّ الضّغط، ثم مُعاقبة سوريا، وإجبارها علي سحْبِ جيشِها من لبنان.

وليس بجديدٍ أن نؤكِّد علي أنّ سُوريا ولبنان كانتا من نصيبِ فرنْسا عند تقْسيمِ التّركة العُثمانية أثناءَ الانعقاد والتّوقيعِ علَي اتفاقية سايكس / بيكو، أمّا الجديدُ في الموضُوعِ هو أنّ فرنسا تُحاولُ اللّعبَ علَي وتَرِ السّاحلِ اللّبنانيِّ وسُوريا مُنذ أيّام الحرْبِ الأهلية اللبنانية الشّهيرة بالاشتراك المُباشر مع الإدارَة والبرنامجِ والآلةِ الأمريكية، حيث عَمَلَ الطّرفانِ علي تقْسيمِ لُبنان إلي "كانتُونات" أوْ دُويلاتٍ مارُونيةٍ تُولّي وجهَهَا صوْبَ باريسِ وواشنطُن، وكما أرْسَلَ الرّئيسُ الأمريكيُّ رُونالد ريجان قُوّاتَه ومُدمِّرته الشّهيرة " نيو جيرسي" التي دكّت بيروت وأحرَقتها على نحْو ما سبَقَ أن بيّنا ، فإنّ فرنْسَاَ فتَحَت سفارتها للعمادِ المُنشَق " ميشيل عُون " الذي أحْرَقَ بيروتَ بمُساعدات فرنْسية ــ إسرائيلية جبّارة، ووفّرت له الملاذَ والحمايَةَ، واختفَي في سفَارَتها في لبنان، ثُمّ ظَهَرَ فجأةً في باريس ينعَمُ بالأمْن والأمان، وتُفرض له حراسة مُشدّدة لحمايتِهِ وحراستِهِ، كمُكَافَأةٍ لهُ على دَوْرِهِ في سَكْبِ الزّيتِ علي النّار في تلك الحربِ القذرة.

وها هي فرنسا قد قدّمت مَعَ الولاياتِ المُتحدة في ١٠/١٤ / ٢٠٠٤ مشروعَ قرارٍ في مجلسِ الأمْنِ، يهدُف إلي مُمارسَةِ ضُغُوطٍ جديدة علي سُوريا، وقد طَالبَ مشرُوعُ القرارِ الأمينَ العام للأمم المُتحدة ــ كُوفي أنان ــ بأنْ يُقدم تَقْريراً في مسألة الانسحاب السُّوريِّ إيّاه كُل ثلاثة أشهُرٍ، وطالَبَ برحيلِ كُلِّ القوّاتِ الأجنبيّةِ عَن لبنان ــ في إشارَةٍ إلي الوُجُود السُّوريِّ الذى دَخَلَ بيروتَ بمُوجب دَعْوَةٍ رسْمية من الحُكُومة والبرْلمان اللبنانيّين، دُون التحدُّث عن ضرُورة انسحابٍ مُماثل للجيشِ الإسرائيليِّ من الجنُوب اللبنانيِّ.

وقد جاءت هذه الخُطوةُ من باريسَ وواشنطن في أعقابِ تقرير لكُوفي أنان قال فيه (إنّ سُوريا لم تذعن لقرار الثاني من سبتمبر ولم تُحدِّد جدْولاً زمنياً لعَمَلِ ذلك)، وأضَاف أنان أنّ لبنان لم ينزعْ سلاحَ الميليشيات، وهي إشارةٌ صريحةٌ لحزبِ الله وحركَاتِ المقَاوَمَة الفلسطينية المُقيمة في سُوريا ولبنان.

ويجبُ تقريرُ الوضْع التّاريخي لكلا البَلَدينِ، فكلُّ دوْلةٍ من الدّولتين تُعدُّ فناءً أمْنياً للأُخرى، كما يجبُ التأكيدُ علَى الطّبيعة التكامُليّة الاقتصادية، والسِّياسية، والعقائدية بين الشّعبين والنِّظامَينِ على الرّغم من وُجودِ أغلبية مسيحيّةٍ وَشيعيّةٍ فى لبنان، وكان من المُمكن إقامةُ شَكْلٍ من أشكالِ الإتحاد بينهُما، غير أنّهما لم يهتمّا بمَجْرَياتِ وقَنَواتِ الوحْدة الطّبيعية التي جَعَلَهَا الله تعَالي للْعَربِ أجمَعين.

لذلك فقد نظَرَ الفرنسيُّون إلي لبنانَ وسُوريا بشَغَفٍ ونَهَمٍ شديدَين، خاصّة بعد أن أبدى الأمريكيُّونَ إمكانيةَ احتلالِ سُورية، وقد بدءُوا فعلاً في التحرُّش العسكريِّ بالقصْف الإسرائيليِّ المُباشرِ بالوكالةِ تارةً، وأُخْرى بالقصْفِ الأمريكيِّ المُباشر لبعْضِ النِّقاط الحُدودُية لقُوّاتِ الجَيْشِ السُّوري المُرابطة علَى طُول الحُدود الشّرقية مَعَ العِراقِ والتي وَصَلَت إلي حَدِّ اختطافِ أفرادٍ من حَرَسِ الحُدود السُّوريين وتَرْحيلهم إلي القواعدِ العسكَرية الأمريكيةِ في العِراقِ حتى يحصُل الأمريكيُّون علي معلُومات دقيقةٍ عن القُدرات الدِّفاعيةِ السُّورية ونُظُم تسليحها الحديثة المَمْنُوحة إليهم من قِبَلِ الرُّوس، وقد أثبتت كفاءةً عاليةً وصلاحيَةً مؤثرة لَدَى المُقَاوَمَةِ العِراقيَة، وأسماءِ قادَة الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة السورية... إلخ ، وذلك ما يُفسِّرُ الموقفَ الفرنسي الرّافض وبشدّة لأية اعتداءاتٍ علَى سُوريا إلاّ بعد تسْويةِ الأُمور مَعَها تماماً كما حدثَ من تسْويةِ بينَ الرُّوس والأمريكيين قُبيلَ سُقُوط بغداد بساعاتٍ والتي أنهَتْها وحَسَمَتها " كونداليزا رايس " مُستشارة الأمْن القومِي الأمريكي آنذاك عند لقائها والرّئيس الرُّوسي فلاديمير بوتين.

وها هي فرنسا تُعيد " ميشيل عُون " الذي أحْرَقَ بيروتَ، وهو العميل الأوّل لإسرائيل في لُبنان أثناء الحربِ الأهليّة الشّهيرة ، حيْثُ عادَ " عون " من مَنفاهُ في فرَنسا إلي بيروت العاصمة في ٧ / ٥ / ٢٠٠٥ ، وهو أحد كبار مُهندسى تقسيمِ لبنانَ إلي دُويلاتٍ مارونية ، وأوّل من قسّم بيروت إلى شرقيةٍ مسيحيةٍ، وغربية مسلمةٍ عند

مطلع الحربِ الأهلية اللبنانية ١٩٨٢ بإيعاز من فرنسا، وتَجْنيدٍ من أمريكـــا، للـــصّالحِ الإسرائيليِّ لتضَع فرنسا بعَوْدَتِه علامات حمراءَ كثيرة عن مُـــستقبل لبنـــان وعميـــلِ الاستعمار الأوّل في آن واحد. وستُبدي لنا الأيامُ ما لسْنا نعْلَمه.

لذلك ركبت فرنْسا مُبكِّرَاً الموْجةَ مع الأمريكيين للّعبِ علَـــي الـــوتَرِ الـــسُّوري. اللبناني تَأَسيّاً ببريطانيا التي ركبت موْجةَ إقليم دارفور في غرْبِ الـــسُّودان، وشـــرْقه مؤخّرَاً، كما تورّط الجميعُ في الجنُوب السُّودانيِّ بمشارَكَةِ إسرائيلَ والفاتيكان من قبْل. والجميعُ لهم أطماعٌ استعمارية قديمةٌ جديدَةٌ في آنٍ، وإنّهم يتسابقُون الآن ويتصارَعُون لالتهامِ الكعْكة الكبيرة الطّازجة على الدّوام (**الجسدِ العربيِّ والإسلاميِّ الهامدِ الراكنِ إلى الخلُودِ والثّباتِ**).

وإلى أن يحينَ الوقْتُ لمُحاكَمَةِ الأسَدِ والبعثيِّين السُّوريين كما حَدَثَ مَـــعَ صَـــدام حُسين والبعثيِّين العراقيين يجْتهدُ الإسرائيليُّونَ فى التّركيزِ عَلَـــى تكـــريسِ احـــتلالهِم الجُولان السوريِّ والتأكيدِ عليه.

وبين مُحاسبة سُوريا والاعتداءاتِ الأمريكيةِ الإسرائيليةِ عليها، وتهديداتٍ تُركيةٍ عَلَنيةٍ بإعلانِ الحربِ على سُوريا، وتكريسِ الوُجُود الإسرائيلي فى الجُولان المحتّـــل خَرَجَ الرئيسُ السُّوري / بشّار الأسد الذى لم يمضِ فى مقْعدِ الرئاسةِ غيـــر شُـــهورٍ، خَرَجَ من عرينهِ مُحاولاً احتواءَ المُستجدّات، ووضْعَها تَحْتَ السّيطرة لأجْلِ تطْويعهـــا ما أمْكَنه تفادياً للتداعياتِ الخَطيرةِ النّاجمة عـــن الاســـتمرارِ فـــى تلـــك الـــسِّياسَاتِ الأمـــريكية المُتغطْرسة التى تُريدُ الدّفعَ بالمنطقة نحْو المجهُول مـــن خـــلال إطـــلاقِ صُفّارة قطارِ الحرْبِ إيذاناً له بالتحرُّك ليمضى هو الآخَرُ بالمنطقَة نحْو المجهولِ عَلَى إطلاقه، فأطْلَقَ دعْوتَه للإسرائيليين إلى الجُلوسِ علَى مائدةِ المُفاوضَاتِ للتّباحُث حوْل تسويةٍ سلنية لإنهاءِ الاحتلالِ الإسرائيلي للجُولان، وطَلَبَ وسَـــاطَةَ أطـــرافٍ عربيـــةٍ وأورُوبية، خاصّة الأتراك فى ظلِّ القيادةِ الجديدة لمَا لهُم من علاقاتٍ قَويةٍ ومتميّـــزة، واتفاقيّاتٍ شراكةٍ عسكريةٍ واقتصاديةٍ مع الكيانِ الصُّهيونيّ، كما كانت هُناك وساطاتٌ عربيةٌ وغير عربية، مُعلنة وغير مُعلنة لَعبت وما تزَالُ دوْراً هامّـــاً لا فـــى الإعْـــدادِ لإتمامِ انعقاد تلكَ الاجتماعات وترتيبِ اللقاءات فحسْب، بلْ فى إتمامها فى عواصـــــم عربية وأورُوبـــية شـــهيرة على أيدى من يجبُ أن نُسَمِّيهم "" سماسرة السّلامِ ""، علَى

شاكلة ما كان من مُشاركَة فعّالة للدبلوماسيّة العَرَبيّة فى إتمام وإنْجاح تلكَ اللّقــاءَات السِّرِّيَّة التى تمّت بين الجانبين الإسرائيليّ والفلسْطينيّ فى باريس، ولندن، وواشــنطن، ومُوسكو، وعواصم عربية كبيرة، ويُمكن الجزمُ بأنّ محْمود عبّاس "" أبو مازن "" هو بحقٍّ مُهندس المُباحثات الفلسطينية ــ الإسرائيلية التى تمخّــضت عنْهــا اتفاقيــاتُ (**أوسلوا ومدريد**) كمكافأةٍ للجانب العَرَبيِّ لالتزامه الصّمت أثناءَ وبعْدَ حــرْب الخلــيج الثانية ما عُرفت (حرب تحرير الكويت) وقد تعرّض أبو عمّار (الرئيس الفلسطينيّ) لضُغوُط هائلة من جانب الإسرائيليين والأمريكيين لتَعْيــين أبــو مــازن أوّل رئــيس لوزراء السُّلطة الفلسطينية، ثُمّ شَرب عرفاتُ المُرّ، وتجرّعَ الــصّبْرَ، وفُــرضَ عليــه حصارٌ عسكريٌّ غيرَ مسبُوق وتحدّدت إقامته لسنوات حتى ماتَ فيما قيل أنّ إســرائيلَ قد تخلّصت منه بدَسِّ السُّم له بعْدَ أن استقالَ أبو مازن وحكومَتُه، وقد تبخّرت **اتفاقياتُ { أوسلُو & ومدريد }**، وانخَفَضَت أسقُف المُباحثات إلى ما عُرف باتفاقيــات **لنــدَن ، وواشنطُن**، ثُمّ **واىْ ريفر**، ثُمّ وَرَقة **تينيت**، فإعلان **القاهرة**، **فمؤتمر شرم الشّيخ** الشّبه دولي، وأخيرا **خارطة الطريق** التى هى سرابٌ بلا طريقٍ وبلا خريطةٍ، وقد تبخّــرت أحلامُ الفلسطينيين، وتقلّصت أمانيُّهم فى الحصُول علَى الحَدِّ الأدنى من الحياة الكريمة داخل حُدود وَطَنٍ حُرٍ مستقلٍّ، وأصبَحَ أبو مازن رئيساً للسُّلطة الفلسطينية خلَفَاً لأبــى عمّار، ثمّ ضُربت حركَة فتحٍ بقيادَة أبو مازن فى مقْتَــلٍ مَــعَ إجــراء أوّل انتخابــات شرْعيةٍ ونزيهَةٍ فى أراضى السُّلطة، حيثُ لم تحصُل علَى عَدَدٍ من أصْوات النّــاخبين يضمنُ لها مُجرّد تشكيلَ حكُومة ائتلافية مَعَ الفائز الجديد (الحركة المُنظّمة الإسلامية) ***حماس*** العدُو اللّدُود لدوْلَة اليهود، التى حــازت على ثقَة النّاخب الفلــسطيني فــى أوّل انتخابات نزيهةٍ فى المنطــقة تحتَ إشــراف دوليٍّ، وقد شهدَ لذلك الأعداءُ قبــلَ الأصدقاءُ، وسُرعان ما تآمرت حركة تحرير فلسطين " فتحُ "علَى حمَاس بسَبب أُبّهــة المقَاعد وعشق الزّعامة أى بالأدَقِّ "" صراع السُّلطة ""، حيثُ أرْسَلَ رئيسُ حركة فتح رئيسُ السُّلطة الفلسطينية (محمود عباس أبو مازن) مُستشارَهُ السياسي "نبيل عمرو" للقاء وزير الدفاع الإسرائيلي ليتدارَسَا معاً السُّبُلَ المُتاحَــةَ والخيــارات المطرُوحــة لإسقاط حَماسٍ حتى قبل أن تتمكّن من تشكيل حُكومتها التى وَضَعَ أبو مازن ومعاونُوهُ من فتح العراقيل أمامها .

عَوْدٌ عَلَى ذِى بدءٍ فقد جرَت مباحثاتٌ، وعُقِدَت لِقاءاتٌ، ودارَت مُشاورات، وصارَت اجتماعاتٌ،،،،، ولكن ....

أوْرَدَت وكالاتُ الأنباء مِن دمشقَ، والقُدس المُحتلة فى الرّابع عشر مــن ينـــاير ٢٠٠٤ نبأ دعْوة الرّئيس الصُّهيوني مُوشيه كاتسَاف للرّئيس الــسُّوري بــشّار الأسَــد لاستئناف المُفاوَضَات سرّاً، أوْ عَلَناً، وفي أيِّ مكَان دُون شُروطٍ مُــسبقَة، وقــال فـــي حديثٍ خاصٍّ مَعَ قَناةِ الجزيرة القَطَرية أنّ دعوتَهُ للرّئيس السُّوريِّ لزيـــارَةِ إســـرائيل جاءَ عَلَي خلفيّة تصريحات صَدَرَت مِن سُوريا، ولاختبارِ حَقيقــةِ النيّـــات الــسُّورية للسّلام مَعَ إسرائيل، وأكّد في حديثه أنّ رئيسَ وزرائــه شـــارُون (وقتهـــا) مُــستعدٌّ للدُّخُول في مُفاوضاتٍ مَعَ سُوريا، وأنّه أيْ ــ شارُون ــ شخصيّا يُرَحِّــبُ بالأســد إذَا أرادَ المجيء.

غير أنّ الصّحافةَ الإسرائيليةَ أوْردَت نبأً تأكيد شـــارُون أنّ إســـرائيل لَـــن تُعيـــدَ الجُولان إلي سُوريا ولَوْ مُقابل سلامٍ كامل مَعَهَا، وقد علّق التِّليفزيُون الإسرائيليّ أكثرَ مِن مرّة علي أنّ شارون قال لبعضِ المُقــرّبينَ منـــه أنّ إســـرائيلَ ســـتطرَحُ خـــلالَ المُفاوضات مع سُوريا، ما وَصَفَه بمطالبَ إقليميّةٍ في هــضبَةِ الجُــولان، حتـــى لـــو استجابَت دمَشق للشّرْطَيْن الإسرائيليَّيْن لاستئناف المُفاوضات، وهُمـــا غلَـــقَ مكاتـــب الفصائل الفلسطينية في سُوريا، ووقْف الدّعْم السُّوريُّ لحزب الله.

وقد نقلَت صحيفةُ مَعَاريف الإسرائيلية نَبَأً عن السّناتُور الديموقراطي الأمريكـــي " بيل نيلسون " فيما يُعَدُّ انقلابا هائلاً وتَطَوُّراً بليغاً في الأحداث، وهو أنّ سُوريا أبلَغَت واشنطن رسْميا استعدَادَها للتّفاوُض مَعَ إسرائيل بدُون أي شُروطٍ مُسبقةٍ ، وكان بيـــلْ قد زَارَ إسرائيلَ وصرّح هُناك لصحيفة معاريف الإسرائيلية فوْرَ قُدومـــه إليهـــا مـــن دمشق بعد لقائِه بالرّئيس الأسد في السبت ١٠ /١ / ٢٠٠٤ أنّ الأسدَ أخْبَرَهُ أنّه مُستعدٌّ لاستئناف المُفاوضات إذا أصرّت إسرائيلُ علَي أن تبدأ من نُقطة الصِّفر(١).

وفى هذا الزّخَم مِن الوسَاطة واللقاءَات والتّصريحات، والــسّعْي العربـــي الجَـــاد والحثيثِ وراءَ سرابِ السّلام، خيّبت إسرائيلُ كعادتِها آمالَ الجميـــعِ فـــى أى مُعـــاودةٍ

---

(١) ترقب كتابنا / اللقيطة فى الأحشاء العربية ــ أعاننا الله على إخراجه

للمفاوَضَاتِ مَعَ سُوريا بإعلانها عند مطلع ٢٠٠٤ خطّة استيطانٍ واسعة فـي هـضبةِ الجُولان السُّورية المُحتلة، وأقرّت لجْنةٌ وزاريةٌ إسرائيليةٌ مُختصّةٌ فى الـشّـهر ذاتـه خطّة بناءٍ سريعةٍ تشمل { ٩٠٠ } منزل فى مُستوطناتِ الجُولان الزّراعيـة، الأمـر الذى سيزيد عَدَد سُكّانها بنسبة ٥٠% فى غُضُون ثلاثِ سنوات.

وقال وزيرُ الزراعة الإسرائيلي "" كاتس "" الذى يرأسُ هذه اللّجنة [إنّها رسـالةٌ واضحَة: الجُولان جزءٌ لا يتجزّأ من دوْلة إسرائيلَ وسنُواصلُ تطْوير المـستوطَنَات] وأضافَ كاتس الذى ينتمى إلى التّيار الأكثرِ تشدُّداً فى حزبِ الليكُود بزعامة شـارون " أُريدُ أن يتمكّن الرّئيسُ السوريُّ بشار الأسد من رُؤية الجُولان الإسرائيليِّ يزدَهر "

وتهدف الخطةُ التى اقترحَتْها اللّجنة الوزارية للاستيطانِ إلى رفْعِ عـددِ سـكّان المستوطناتِ الزّراعيةِ من ١٠٥٠٠ شخصٍ إلى ١٥٠٠٠ شخص تقريباً.

وهذه الخطةُ هى الأكثَرُ طُموحاً مُنذ السّيطرةِ الإسرائيليةِ عَلَى هَـضبَة الجُـولان عام ١٩٦٧م وضمها إلى إسرائيل رسْمياً فى ديسمبر ١٩٨١م ويمُرُّ تطبيقُها عَبْر إقامةِ تسْعِ قُرَىً زراعية إضافية للمُستوطِنين اليهود تُضافُ إلى البلْـدات ال٣٢ الموجـودة حالياً.

وقال ناطقٌ باسمِ وزارةِ الزّراعة الإسرائيلية: إنّ قرارَ اللّجنةِ الوزاريةِ للاستيطان المُؤلّفة من غالبية وُزراءِ اليَمينِ المُتطرّف تُلزمُ الحكُومةَ بضرُورةِ تنفيذِ تلك الخُطة.

وتعودُ أهميّة احتلال هَضبَة الجُولان بالنِّسبةِ للإسـرائيليين أنّهـا تمثـلُ أهميـةً استراتيجيةً بالنسبةِ لإسرائيلَ نَظَراً لإشرافها على الجَليـل، واحتوائهـا عَلَـى خـطٍّ مُرتفعاتٍ صخْرية تعتبرُهُ إسرائيلُ خطَّ دفاعٍ أوّلَ، كما أنّها تضمَن لإسـرائيل الـسِّيادةَ الكاملةَ، والسّيطرَةَ المُطْلَقَةَ عَلَى بُحيرةِ طَبَريّة مصدرها الرئيسي من المياه العَذبة.

وسوفَ يأتى الوقتُ الذى يوجّه فيه الإسرائيليون الدّعوة للرّئيسِ السُّوري سـواءٌ أكان الأسدُ أم غيره لزيارة تل أبيب بقـصْد إرْبـاكِ القـيادة الـسياسية الـسورية، وإظهارها أمامَ الشّعبِ السُّوريِّ بمظْهر الرّافض لتوقيع اتّفاق سـلامٍ مَـعَ إسـرائيل، ولتعريَتها أمامَ الرّأيِ العام العالميِّ، بإلباسها ثيابَ إثارَةِ المُشكلاتِ فى الشّرق الأوْسـط برفضها التّعامُل والتّعاوُن نحْوَ إيجاد صيغةٍ مُشتركة لإنهاء النِّزاعِ العَرَبيِّ الإسرائيلي.

وفى نهايَةِ المَطَافِ لا ملاذَ أمامَ السُّوريين إلاّ أحَد أمرين .. لا ثالثَ لهُما:

(٤٢٠)

الأوّلُ: الإلحاقُ على المآل الصدّامي والبياتُ فى ذمّة التاريخ.

الثّانى: أنْ يحْزِم الرّئيسُ السُّوريُّ أمتعتَه للاعتمار عند الحَرَم البهائي " إيّاه " فى تَلِّ أبيب، ثمَّ يشدُّ الرِّحال إلى البيتِ الأبيضِ لتأديةَ مناسك الحَجِّ الأكبر.

عندئذٍ ستُدمج سُوريا قهْراً فى المنظُومَة الاقتصادية الشّرق أوْسطية الجديدة حتى ولَو بتفصيلِ اتّفاقيةٍ مخصُوصة تضمُّ الشّام وإسرائيلَ، وإن كان اسمها اتفاقيــة الكُــوزْ فلا بأس، وبهذا تُصبحُ سُوريا عُضواً فاعلاً ونافعاً ومُطيعاً فى النِّظام العالَميِّ الجديــد، وتحلُّ عليها بالضّرورَةِ البَرَكاتُ التى ستقضى حتْمَــاً علــى مُــشكلاتِهم الاقتــصادية بالقضاءِ على ما فى جُيوبهم وما فى أيديهم، **ولا يبْقَى غير وجه الله.**

أمّا الجانب السوريُّ فقد أكّد من قِبَلِه أنّ بناءَ مُستوطناتٍ جديــدةٍ فــى الجُــولان المُحتل، يندرجُ فى إطار سياسة حُكُومة شارُون المُعادية للسلام، وفى تهويــد الأرضِ المُحتلة، والاستخفافِ بقرارات الأمَمِ المتحدة والجمعية العامّة التى أصْــدَرَت مُــؤخراً قراراً ببطلان إجراءات الضّم الإسرائيلية، ويعدُّها لاغيةً ولا لَهَا أيّ سَنَدٍ قانُونيٍّ.

والثّابت أنّ السّلام يتنافَى معَ الاحتلال، ومع أيِّ خُطواتٍ لترْسيخِه بدلاً من إزالَتِه ورفْعِ آثارِه وفْقَ مبدأ الأرض مُقابل السّلام.

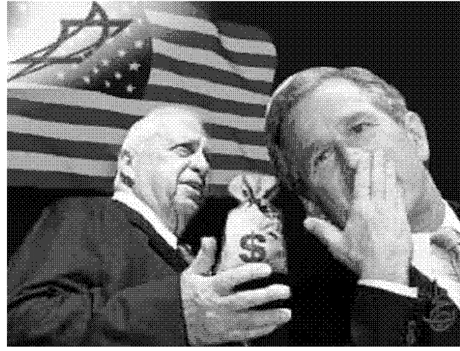
والواقعُ يُبرهنُ عَلَى أنّ الخُطواتِ الإسرائيليةَ تُعَبِّرُ تعْبيراً صارخاً عَــن مُعــاداةِ السّلام، وقطْعِ الطّريقِ على أيِّ توجُّهٍ أو مُبادرة لِدَفعِ الأُمُور باتِّجــاه الــسّلام العــادلِ والشّاملِ والدّائم فى المنطقة لأنّ النّظريةَ الأمْنيةَ الاستراتيجيّةَ الإسرائيليةَ قامَــت فــى الأصلِ علَى مَبدأ (السّلام مُقابل السّلام) مع الإسقاطِ العَمْدِ لأيِّ حــقٍّ عَرَبِــيٍّ فــى الأرضِ عند التّباحُثِ أو التوقيعِ على اتِّفاقية سلام مَعَ جيرانها.

وتلك هى المفاهيم الإسرائيلية الخاطئةُ، وذلك هُو المورُوث الثّقــافي الإســرائيلي المزعوم عن أجدادهم الإسرائيليين الأُول الذين حَبَسُوا الرّبّ وأفرجُوا عنْهُ بعد صــفْقةٍ منحَهُم الربُّ فيها الأرضَ التى حوّلَ يعقُوب وهــُو فى الشّام قبل أن يــدخُل مــصر، ومِن ثم فإنهم باتوا أصحابَ الأرضِ الحقيقيِّين بمُوجب وعْدٍ من الرّبِّ، وعليــه فــإنّ إبادةَ الشُّعُوب العربيةِ والإسلاميةِ أمْسَت وهى واجبٌ توراتيٌّ مُقدّسٌ طِبْقَــاً لِنــصُوصِ توراتِهم المزعُومةِ وتلمُودهِم المُنحَرِف.

(٤٢١)

والحقيقةُ الأكيدةُ وَسَطَ هذا الصِّراع المُخيفِ هى أنّ لا سَلامَ مَعَ عــدُوٍّ غاصــب قاهرٍ جاءَ مِن حيثُ لا يدرى أحدٌ ليطرُدَ أصحابَ الأرض الحقيقيين، ويَبْنى عليها دولةً عُدوانيةً من شعْرِ الرّأس إلى أخمُص القَدَم، وقد تخصّصت فــى مُهاجمَــةِ جيرانهــا، ونهْبِ أموالهم، والاستيلاءِ على ممتلكاتِهم، وتهجيرِ أبنائهم، ولمْ ينجَح مع هذا العَــدُو المُغتصب حتى الآن مُنذ عصرِ مملكة إســرائيل الأُولى من الناحية العــسْكَرِيّة غيــر **نُبوخَذ نصر** العراقيِّ البابليّ، فيما عُرِف عصر السّبي البابليِّ، وهادريــانوس الــذى هاجَمَ بيتَ المقدسِ وأبادَ أكْثَرَ مَن فيهِ من الإسرائيليين، ثمّ دمّرهُ، ودكّه تمامــاً وبنَــى مكانَهُ مَدينةً جديدةً أسماهَا (إيلياكا بيتولينا)(١).

وبين صَلَفٍ إسرائيليٍّ قائمٍ على العُدوان والمصادَرة، يُنادى بما يُــسمُّونَه الــسّلامَ مقابل السّلام، وبين العَرَبِ الذين قَبلوا الواقعَ على لُغة (أكلُونى البراغيــث) عفْــواً (المَكْتوب ع الجبين) وهم مُتمسّكُون بخيــارِهم الأخــضراتيجى باعتبــارِه خيــاراً استراتيجيّاً لا حِياد عنْه يمضى الجميعِ فى وجْهتِهِ، ومن ثَمّ فلينتظِر الجميعُ سلاماً لــن يأتى، ومن دُون تشاؤم **(ولا فى الأحلام) ...**



"" بُوش الثّاني ""

"" يُمَوِّل إسرائيلَ بتكاليفِ إقامَةِ المُستَوْطنَاتِ فى كُلِّ الأَرَاضِى العربية المُحْتَلّة ""

---

(١) للاستزادة ــ أنظر المؤامرة الكبرى / للمؤلف

(٤٢٢)

ثانيــاً: خَيْبةُ الأَمَـــــــل:

أُصيبَ العالَمُ الإسلاميُّ عامّةً بخَيْبَةِ أملٍ كبيرةٍ مُنذ عدة قُرونٍ بسببِ ما حلّ عليه من نكَسَات، وما نزَلَ بهِ من هزائم ووَيلاتٍ أدّت إلى تراجُــعٍ خطيــرٍ فـــى العُلُــوم الشّرعيةِ والدُّنيويةِ عَلَى السّواء، واضْمَحَلّت بها بُحور الثّقافات، واقفَــرّت الإبــداعاتُ والإحْدَاثاتُ، وقد تراجَعَت بسببِ ذلك الأُمّةُ إلى آخرِ الرّكب، وبعضُها يلْهثُ مُنذ وقْتٍ قريبٍ لمُجرّد الإمساكِ بذَيْلِ الدُّول المتقدمَة، وبعضُها يُكافحُ من أجلِ إثْبــاتِ الوُجــوُد، وبعضُها رابضٌ فى القاعِ، مُكتفٍ إمّا بالمشاهدةِ والتحــسُّر، وإمّــا بمــصارعَة الفقْــر والتخلُّف والحُروب الدّاخليةِ، وإمّا باستيرادِ واستهلاكِ مُنتجاتِ الآخرين، إلاّ مَن رَحِــم ربِّى.

أمّا العَالَم العربيُّ فإنّ مُصيبتَهُ من نَوعٍ خاصٍ، وهو مُتفرِّدٌ بنُموذَجٍ فريدٍ خاصـــةً بعدَ أن أمْسَكَت واشنطُن مُنفردةً بتلابيب المُشكلاتِ الدّولية، وهى تمتلك كــذلك عَــن استحقاق وبجدارةٍ مفاتيحَ حُلولها، خصُوصاً المشكلةُ العالميةُ المُزمنة الأولى (مُــشكلة الشرق الأوسط)، وكذلك لأنّ العالمَ العربيِّ لم يتملّك بعْدُ إدارةَ شئُونِه، ولم يتمكّن من مُواصلةِ كفاحِهِ كوْن غالبية دُوله مُنتقصة السِّيادَة عَلَى أراضيها.

لذلك فإنّ أخصّ خُصوصياتِ عالمنا العربيّ، وجوْهرَ أمُورِ قضاياهُ الوَطَنية يــتمُّ دراستَها وصناعتها فى الخارج، ولم يهْتَم أحدٌ بوضْعِ حلٍّ ولو لمُــشكلةٍ واحــدةٍ مــن مُشكلاتهِ عَلَى كثْرَتها وجُملتها وتنوُّعها (ابتداءً بجمْعِ القمامَة، وانتهاءً بمُشكلة التّعلــيم التى تداعت بسَبَبِها كُلّ المُشْكلات، مُروراً بالــصرّف الــصِّحيِّ، والتلــوُّث البيئـــيِّ، والصّحة العامةِ، وانتشارِ الأوبئةِ والأمراض الخبيثةِ والمُزمنــةِ والمتوطنــةِ، وفــسادِ الإدارةِ، وخرابِ الذِّمم، والسّرقة، والاختلاس، والرِّشوة، والتربُّح، والدّعارة، وتجــارة المخدّرات، وإهدار المالِ العام، وهتْك الأعــراض، وذيــوعِ الفوضـــى الأخلاقيـــة، والاستيلاءِ على أموالِ البنوك، و" تبويظ " الأمْوال، والتفكُّك الأُسَرى، ووَهَنِ الــرّوابطِ الاجتماعيةِ،.... بخلاف الحُرُوبِ البينية الطاحنة، والفتَن، والمُنازعات، والخُصومات، والعداواتِ الداخليّةِ التى تصلُ كثيراً إلى حَدِّ الحرب الأهلية، وإثارةِ الأقليات، وإذكــاءِ الحــركات الانفصاليةِ، وتدعيمِها، وإمدادِهــا بالأموالِ، والسلاحِ، والمُرتزقةِ، وانتشار

البطالة، والاعتداءات المُتبادلة على حُدود الدول المتجاورة، وتكرار حوادث الطـرق، والسكك الحديدية، والطيران، والعبّارات التى ترقُد فى قاع البحـار وفـى بُـطونها آلاف الحجاج أو المُعتَمِرين، ووصُول الفَسَاد إلى كُلِّ مناحى الحياة.....إلـخ) ولـم يعرض أحدٌ تصوُّراً عامّاً لجملة مُشكلات العرب أوْ حَلاً لإحداها ضِمْنَ إطارٍ زمَنـيٍّ وفْقاً لبرنامجٍ تفاوُضيٍّ مُعيّن، يشْهدُ على ذلك ما يجْـرى فـى الـسُّودان، والعـراق، وفلسطين، وموريتانيا، والصُّومال، وسُوريا، ولبنان،...الخ، وبات العربُ فى انتظـار الحُلول المُستورَدة التى لن تأتى أبداً، وإن طال انتظـارُهم لهـا ، بَعـد أنْ أدمنـوا الاعتمادَ على الغَيْرِ حتى فى التّعْويمِ أو التعتّيمِ، وحتى فـى الـتخلُّص مـن نُفاياتنـا البشرية، وخُصُوصاً القُمامة التى استوردنا لَها شركاتٍ أوروبيةٍ ولم تلبـث أن فـشلت هى الأخرى ، ورَحَلَت غير مأْسُوفٍ عليها ، وقد نسينا أو تناسَيْنَا أنّ حلّ المـشكلاتِ العربية لن تكون إلاّ من الدّاخل العربيِّ ذاتِه، فعَلَـى العـربِ أن يحلُّـوا مُـشكلاتهم بأنفُسِهم، ولا سبيلَ إلى تحقيقِ ذلك إلاّ بالانتفاضَة على الذّات لنيـل حُرِّيّـة القـرار، والتأكيد عَلَى سيادة النّفس، وإلاّ........ فالمَوْتُ لَنَا جميعاً.

وبعيداً عَمّا يكونُ، أوْ ما كان من العـاداتِ المَمْقـُوتة التى اعتادَهَا البعضُ مـن بعضِ القيادات العربيـة، وما يقَعُون فيه ونراهُ منهم من سُوءِ سُـلوك ورداءَة خُلُـق على شاشَاتِ التليفزيون ممّا يُسيءُ نهايةً إلى كُلِّ ما هُو ومَن هُو عربيٌّ، فلْنَنْظُر إلـى الفَشَلِ الذّريعِ فى السياسات العربية المُشتركَة زراعياً، وتجارياً، وصناعياً، واقتصادياً، وسياسياً، وتعليمياً، وثقافياً، واجتماعياً، وسياحياً، وعُمرانيّاً، وتبادُليّاً ....إلـخ (**يَرْتَـدُّ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ**) ﷺ، حتى فى المنافسات الرِّياضية الدّولية أو فُرَصِ تنْظيمِها خاصّة مونديال كُرة القدم باتَ رَصيدُ العَرَبِ فيها صفراً.

وإذا استرْجَعْنَا حادثةَ القصْفِ الإسرائيليِّ للشّيخِ المُجاهد القَعيد (أحمد ياسـين) فوْرَ خُروجِهِ من المسجدِ مَعَ مجمُوعة من المُصلين، ليفُوز بالشّهادة فَرِحـاً مُستبـشرًا مَسرُورا بلقاء الله فجْر الاثنين غرة صَفَر ١٤٢٥هـ الموافق ٢٠٠٤/٣/٢٢م أمامَ مسجدِ المُجمّع الإسلاميِّ الذى أسّسه هُو **رَحْمَةُ الله تعالى عليه** بقطاعِ غزّة، حيـثُ مَزّقَـت جسدَه العاجزِ عنِ الحرَاكِ ثلاثةُ صواريخ انطلَقَت من مَروحياتٍ عـسكريةٍ إسـرائيلية كانت تترصّده وتتعقّبه وبعْضاً من رِفاقِهِ، فأُصيب بإحداها إصابةً مُباشرةً، فتناثَرَ لحْمُهُ

واحترقَ جسَدُه المشلُول، وسبعة مُصلِّين ممّن كانوا مَعَهُ، فماذا كانَ آنئـذٍ رَدّ الفِعْـلِ الصادرِ عن العرب باعتبارِهم أصحاب الدّم والثأر ؟؟؟؟؟؟!!!!!!!!!!!!!..



الشهيد أحمد ياسين {{ أثراً بعد عَيْن }}

لم نَرَ غيرَ سراب، ولم نسمعْ بغيرِ التّنديد، والإدانَة، والشّجْب، والاستنكار، وكفى الله المُؤمنين القتال ــ وأمجاد يا عرب ــ .. وامتلأت الصُّحف العربية وقْتَهَا بأخبـار ما يُسمّى بالبطُولَة العَرَبِيّة لكُرة القَدَم، وانضمَامِ اللاّعبِ الفَذِّ إلـى صُـفوفِ مُنتخـب بلادِه، وعودَة اللاعب إيّاه من رحلة احتراف فاشلَة فى الخارج، وما أدراك مـا لقـاء القِمّة المُرتقب الذى يُتابعُهُ الملايين العَرَبُ بتلهُّفٍ وعلَى أحَرِّ من الجَمْر، وكأنّه البديلُ العصْرِيُّ لِلقاءِ القِمّة العربي الذي يُعلِّقُون عليه آمالَهَم. ويبدُو وكأنّه أمْرٌ مرسومٌ وفْـقَ برنامجٍ مُحدّدٍ بدقّةٍ لشغل الرّأي العامِ العربيِّ ومشاغلته، وتحْويلِ اهتماماته بعيداً عـن قضاياهُ الأساسية، وأُحيطت دوْر العبادة وأماكن التّجمعات خاصة الطُّلابية والعُمّاليـة بالجيُوش المُجيّشة من قُوّات مُكافحة الشّغب، والشُّرطة المُجهّزة بالكلاب، وخـراطيم المياه، والقَنَابل المُسَيِّلَة للدُّموع لدَحْض أى ردٍّ فعْلٍ شَـعبِيٍّ يتظـاهَر ضـد الـصّلَف والحَمَاقة الإسرائيلية، ويُطالبُ بالمُقاطَعَة وَطرْد سفيرَي إسرائيل وأمريكا مـن الـبلاد الإسلامية، وهذه هى الحُرِّية، وهذه هى الديمقراطية التى تعنى مُصادَرَةَ حَقِّ الـشُّعوب حتى فى التّعبيرِ عن انفعالاتها وخَواطرِها.

(٤٢٥)

تأسيساً علَى ذلك تستمرُّ إسرائيلُ فى تصْعيدِ مُمارساتِها العُدوانية ضِـــدّ الـــشّعبِ الفلسطيني الأعزل، المغلُوب على أمرِه، فَقَتَلَت الزّعيمَ الجديد لِحركةِ حماس الـــدّكتور (عبد العزيز الرّنتيسى) خليفة الشيخ القعيد الشهيد (**أحمد ياسين**)، ثم قَتَلَـــت أبـــو عمّار " **ياسر عرفات** " المُحاصَرُ عسكريا ، والمُحَدّدة إقامته قهريّاً منذ سنواتٍ بـــدَسِّ السُّم له {{ طِبْقَاً لِمصَادِرَ فلسطِينِيّةً }} طريق الخَوَنة.



د. عبد العزيز الرّنتيسى يبكى رفيق الجهاد الزعيم الروحي لحركة حماس



الشهيد د. عبد العزيز الرنتيسى بعد ساعات مِن بكائه !! فمن يبكى عليه ؟

(٤٢٦)



شارون وموفاز بعد نجاح إسرائيل فى اغتيال زعيمي حركة حماس



ياسر عرفات وقد اغتاله الإسرائيليون مرّتين **: سياسيا وجسديا**

وتَهَدّدَ وجُود الشّيخ **(** حسن نصر الله **)** زعيم حزب الله الشيعي في لبنان، وصدَرت تصريحاتٌ من تل أبيب عن ضربْة إسرائيلية قويّة ضد إيرانَ الإسلامية، بينما العالم كُلُّه مُكتف بالمُشاهَدَة، وكثيرُهُ يدعَم إسرائيلَ سراً، أمّا بُوش الثّانى فإنّه يُقَدّمُ الدّعم الماديّ، والعسكريّ، والأدبيّ للإسرائيليّين، ويستَخْدمُ الفيتو الأمريكي ضدّ مشرُوع قرار من مجلس الأمْن كان مجرّد سيتحدّث عن إدانة إسرائيلَ في حالة صُدوره، ويقولْ بوشْ مُتحدّيَاً المَشَاعرَ العربيّةَ **{ عَلَى العالَم أن يشكُر شارون لأنّه رَجُلُ سلامٍ }** ويُؤكّدُ الرئيسُ الأمريكيُّ من جديد على أنّه شخْصيّاً وأمريكا من قبله

(٤٢٧)

حُلفاءَ استراتيجيِّين للإسرائيليِّين، والأمُم المتحدة تتبنّى مواقــفَ الولايــات المُتحــدة، والأمينُ العام للأمم المتحدة ليس أميناً، لأنّهُ يحمل أجندةً أمريكيــة خالــصة، ويتبنّـــى مواقفَها ويُدافعُ عنها ليضمْن عَدَمَ اعتراضِ أمريكا عَلَى التّجديد لاستمراره فى منصبه لمُدة جديدةٍ كما حَدَثَ مَعَ سلفه بُطرس غالى وهو أشبه بحُلم إبليس فى الجنّة، وحرائرُ العراقِ سبايا عند قطعان الخنازير فى السُّجون الأمريكية العَلَنيّــة أو الــسِّرّيّة التـــى اعترفَت بها الإدارةُ الأمريكيةُ مُؤخّراً، سواءٌ فى الدّاخل العراقيّ أوْ فى خارجــه مــن السُّجُون التى تملأ المنطقة عند الأنظمة العميلَة والمُخْلــصة جــداً للعزيــزة الغاليــة ﴿ماما أميرة كا ﴾، والسُودان يتعَرّض لمحْنَة التّقسيمِ المُؤلمَة، والعراقُ بَدَأَ التّقْــسيمُ الفعلِى لأراضيه بإنزالِ العلم العراقِي فى ما يُسمّى بإقليم كردستان العراق وعاصـــمته **أربيل**، وبغداد تُقَسِّمُها الجُدْرانُ العازِلَةُ، والجزائرُ تُعانى ويْلات التّنصير، وتُونُس تمْنح المُصلين بطاقاَت عُضويةٍ لدخُول المساجِد، والمملكَةُ المغربية الفاطميــة تمنـــع الآذانَ والصلاةَ أثناء العَمَل، وتفْصلُ المُحجّبات من وظائفهنّ، وبعضُ المساجِد هناك لا تُفْتَح فى غيرِ يـــوم الجمعة، ودُول الخليجِ الأمريكي (العربيّ سابقا) باتت تحتَ الاحـــتلالِ الأمريكي شاءوا أم أبَوْا، وبقايَا الصُّومال يحترق بنيران الحبـــشة، وإيـــرانَ وليبيـــا وسُوريا ضُرِب عليهم الحصارُ الأمريكيُّ، ولبنان حاصرته إسرائيلُ براً وبحراً وجَوّاً، واليَمَن يعيشُ تحت مظلّة الصّواريخِ الأمريكية، والمغرب وموريتانيا يعيشان شـــهورَ عَسَلٍ مُمتدّة مَعَ العَدُو الصهيونيِّ، وَوَسَطَ هذا الزّخَم، وفى أعماق الدُّخَانِ الذى يُعمـــى الأعْيُن، ويختَنِقُ منه الصّدرُ تطلع عليك فتيات الإعلانات، ومُسلسلات قُمصان النّـــوم (المَقَطّعْ قَوى)، وبَطَلاتُ الأفلام وكُلهُنّ يتسابقْنَ بتقديم لُحُومهن البيضاءَ والحمـــراءَ للَهْو النّاس بَعيداً عن الأحداث، وقيادتَهم باللِّجام الجنسيِّ إلى حيثُ شئنَ، ابتـــداءً مـــن أبناء الذّوات وانتهاءً برجالِ الأعمال (الكبار قوى)، وحقيقَةُ المأساة تستوجب البُكاءَ، والنُّواحَ، والعويلَ على ما يفعلْنَهُ فى أنفُسهنّ وما يُقَدِّمْنَه من مأساةٍ جديدة لإفراغِ عُقُولِ شبابِ العَوَامِ كى يسهُل حشْوها بأصابع الديناميت، خاصةً بعد أن وَقَعَ الشّباب أسـيراً للخَلاعَة، والعُرْى، والتّراقُص بهزات الــصّدر والوَسَــط، حتـــى أصـــبحوا تجـــرُّهم أعضاؤُهم التناسُلية.

ولا عجَبَ أن تجدَ بين الشّبابِ العربيِّ الآن مَن لم تُعجبُه رُجولتَــه، أو تــرُق لــه فتمرّد عليها وتحوّل إلى سيِّدة بعْدَ جراحةٍ بسيطة، وطَفَت على الـسّطح ألــوانٌ مــن سُلوكيات الشباب (الرِّوش طَحْن)، وأرْسَلَ البعضُ شَعْرَهُ وربَطَه (بالأستك والتُّوكــة) وجَعَلَ فى إحْدى أُذنَيه قُرْطاً، وارتــدّت جماعــات منهم عن الدّين فعــبَدُوا الشّيطانَ من دون الله، ومنهم مَن انفَصَلَ تماماً عَن دينه، فلم يعُد يَعْلَمُ شيئاً عن كيفيةِ الاغتسال، ولا مُوجباتِ الفطرِ فى نهارِ رَمضان، أو حقِّ الجارِ. بلْ قُــل ولا صِــحّةِ الــصّلاة، وانقَسَم المُجتمع الإسلامي إلى **قسمين:**

فقيرٌ علي الإطلاقِ: وهو المنعُوت مَحْدُود الدّخلِ.

وغنيٌّ علي قسمين:

الأول: محْدُود الدّخل.

والثّاني: الغَنيُّ علي الإطلاق.

والأوّل والثّاني من الأغنياءِ يعيشانِ ألْواناً من الحياةِ المُتْرَفَة، ويسْلُكُونَ في مَجْمُوعهم سُلوكيات تُثيرُ العَجَبَ.

وها هُم قد اكتظّت بهم المُدنُ السياحيّةُ والساحليّةُ، وقُراها، وعجّت بهــم الأنديــةُ الليليةُ، وصَالات "" الدِّيسكو ""، حيثُ الخَلاعَةَ والرّقصات، وخــارج البيــوت يكُــون البَيَاتُ، ولا حسَابَ ولا مُساءلات.

الكبيرُ فيهم له زوْجٌ هي أُمُّ أولادِه وهي (الحرَم الخاص) أى **الملاّكــى**، وأثنــاء لقاءاتِ رجال الأعمال " **البيزينس** " يُقَدِّم أخْرى علي أنّها زوْجه، ويأذَن لها أن تكُــون مُتعةَ صديقه لساعاتٍ تيسيراً لتوقيع الصّفقاتِ المشْبُوهة، وأصبَحَ تبــادُل مــا يُــسمّي بالزّوجاتَ بُروتُوكُولاً وتَقْليداً قَبْلَ تحْريــر الــشّيكات، أو تحْويــل الأمــوالِ لإتمــامِ الاتفاقيات، حتى أصبحُوا جميعاً علي "***أوْسخ***" ما يكونُ التّقليد، وعلَى أقذر مــا تكــون الصّداقاتُ.

وعندما تأتي موجَاتُ الحَرِّ في بلادنا مُثيرةٌ لمتاعــب الفُقَــراء الأكثــر عُرضــةً للتّيفود، والملارْيا، والإسْهال، بحيث يكُونُون في مــسيس الحاجــة إلــي الأمْــصالِ واللّقاحات، بلْ إلي مَلْعَقَةِ الشّرابِ أوْ قُرصِ الدّواء، ولا يجدُونَه يفرُّ الأغنياءُ إلي حيثُ النِّساءُ والنّسَماتُ، بعضُهم يذهبُ إلي إسرائيلَ مثل أحَد الوُزراءِ المَشرقِ العربيِّ الذى

كان يلْهُو على بلاجات تل أبيب بالمايوه، وقد طَلَبَ من وزيرِ الدفاع الإسرائيليِّ عَـــدَمَ قصْفَ قصرِه، والشّاليه الخاص به فى بيروت، وذلك أثناء الحرب الأخيرة على لبنان، والدّك، والتدمير، والحصار الإسرائيليِّ للبنان براً، وبحراً، وجواً، فى صـــيف ٢٠٠٦، وبعضٌ "" يُريحُون دماغهم "" في جُزُر المتوسط، وآخرُون يطيـــرون إلـــي الجُنـــوب الأورُوبيِّ، وجُزر الكاريبي، أو أقْصَي الغرب الأمريكيِّ، عند ساحلِ المُحيطِ الهـــادي حيث هونولولو السّاحرة، والجُزر المُتناثرة الخلابة، واسألُوا الأثرياءَ العربَ عن هـــذا السِّحر فَلَديهم تكون الإجابةُ.

وهؤلاء قد ملأ الدُّنيا نعيرُهم وصخَبُهم، وضجّت الأيامُ من فَسادِهم، وإفـــسادِهم، وهم جميعاً أعضاءٌ عاملون في أنديةِ {{ الرُّوتاري ــ الليونز ــ الأليانس ــ جمعيـــة براي بريث }}، درَسُوا الفَسَادَ، والمُجُون، ويُدَرِّسُونَهُ لغيْـــرِهم، وتعلّمـــوا التّخريـــب، والتّدمير، والضّياعَ، ويعلِّمُونَهُ فى أنـــديتهم، ويكتُبـــون الـــشِّعر المُبتـــذل ويَحْفظُونَـــهُ ويُحَفِّظُونَهُ، ويُفسدُون حياةَ النّاس بالغناءِ والرّقص والمُوسيقي.

ويقولُون فيها إنّها غذاءُ الرُّوح، ولَسْتُ أدري عن أي رُوحٍ يتحدّثُون ؟

كما يعقدُون المُباريات، ويفجِّرُون المُسابقات لصناعةِ هَؤُلاءِ المُفْـــسدين، وعلـــي أمَلِ تطويرِ تلك الصناعة ــ ولكنّها ليستْ صناعةُ الحَديدُ والصُّلب، أو الغزْلِ والنّسيج، أو التّصنيع التِّقنيِّ، أو الحَرْبيِّ، أوْ البترُوليِّ، أو حتّى الدّوائيِّ. . . إلخ . . . إنّما هـــي صناعة النُّجوم (**STAR MAKERS**).

والعَجيبُ أن ينتمِي إلي هؤلاء قادَةٌ، ورِجالُ سياسَة ، وسيِّداتُ أُولَ، وأهلُ خبِرة، وتلفيزيُون، ورجالُ تشريعٍ، وسيِّدات مُجتمَعٍ، ولواءاتٌ، ودكاتره، وأساتذة جامعات، وفنيون متخصصون، وصحفيون، ونقابيون.

وقد مارسَت هذه الأصنافُ كلّ ألوانِ الفتنة، وتنعَمّت بكلِّ أدواتِ التّرَف، ووجَدُوا أشكالَ الرّفَه وسُبُلَهُ مُتاحَةً في ظلِّ تغْييبٍ كاملٍ للدِّين، فدخَلَت بذلك بيَـــوتَهم الرَّذيلـــةُ، وذاعَت فى أوساطهِم الفوْضى، وهذا هو بيتُ القصيد المنشُود في نهايةِ المطاف ــ أن يكون الإنسان العربِيُّ المُسلمُ لا صلة له باللهِ، ولا إحساس لَديْه بالمجتمعِ، ولا وَلاءَ له بوَطنِه، حتى يُمْسِي المسلمُ كافراً فلا هو يهُودِيا ولا نصرَانيا.

وقد جاء نبأُ إحالة محامٍ للمحاكمة لسعْيه لإسرائيل (١) بطلب الـدُّولارات مُقابـل الإدْلاء بالمعلُومات للإضرارِ بالأمْن القومي لبلده، ليُعَدَّ ترجمةً واضحةً لما ذهبْنا إليـه في موضوعنا هذا.

وهذه أخري :

بعض المحلاّت التِّجارية التي تَخَصّصت في اجتذاب هذا النّـوع مـن الزبـائن، وكأنّهم مُخّصصُون لَهُم، هذه المحالُ تضعُ مرآةً لها القُدرةُ علَى كَشْفِ المـرْأة تمامـاً وتعْريتها بالكُلية، كونها مرآة مُزدوجة الاتجاهات في غُرفـة (البرُوفـة)، وداخـل دوْرات المياه بالمراكزِ التجارية، والفنادقِ الكُبْرَى، بينمَا تبـدأ المـرأةُ فـي تجربـةِ الملابسِ في غُرف تغْيِيرِ الملابسِ فإذا هُم يلتقطُون لهـا الـصُّورَ العاريـةَ بواسـطة المُوبايل ثم يبيعُونَها، ومِن ثَمّ لا تضلُّ هذه الصُّور الفاضحة طريقَهَا إلي الإنترنت.

وهذه بعدها:

اتّسعت ظاهرة سيِّداتُ الأعمالِ في مصر وبلدان العالم العربي طبقاً لما أفادَ بـه آخرُ تقْريرٍ للتّنمية البشريةِ الصّادر عَن مُنظمة الأُمم المتّحـدة عـام ٢٠٠٣، حيـثُ أوْضَحَ أنّ عَدَدَ سيِّدات الأعمالِ العرب بلغ حوالي (٥٠٠٠٠) خمسين ألـف سـيّدة يعملْن في مُختلَفِ مشاريعِ "**البيزنس**"، وطبْقاً لما أفادَ بـه التّقريـرُ أنّ دولـةً عربيـةً صغيرةً هي **تونُس** الخَضْراء بلغَ عددُ سيّداتِ الأعمالِ فيها حوالَي سـتة آلاف سـيّدة أعمال(٢)، وهو رقَم كبيرٌ بالمُقارنَةِ بعَدَد سُكان تُونُس الذي لا يتعـدّي سـتة ملايـين نسمة.

وقد انشغَلَت الأوساطُ السياسيّةُ والعامّة في تُونس مُؤخّرا بشرائط فيـديو ضـمّت ساحتُه{ ثلاثةً } من وُزراءِ الحكُومةِ التُّونسية بأربعٍ من سيِّداتِ الأعمالِ اللائى يعْمَلْـنَ في مجَالِ الصِّناعة والتِّجارةِ هناك، ولم تعرف الأجهزةُ التونسية مَن الذي قامَ بتسريبِ الشّرائط السّاخنَة جدّاً.

وتَهْتَمُّ الحكُومةُ التونسيةُ بالبحثِ عمّن روّجَ لهذه الفضيحةِ في الفتْرَة التـي كـان يُقبِل فيها النِّظام التُّونسيُّ العَلْمانيُّ علي انتخاباتٍ رئاسيّةٍ، وكـان الـرّئيسُ التونـسيُّ

---

(١) لتفاصيل : الأخبار المصرية في ١٦ / ١١/ ٢٠٠٣ .

(٢) جريدة حديث المدينة عدد ٣٢٧ ــ ١٣ / ١٠ / ٢٠٠٤ .:

" زين العابدين بن علي " في مُواجهة صريحةٍ معَ عدَدٍ من المُنافسين المُنتمين لبعضِ أحزابِ المُعارضة عند آخرِ انتخاباتٍ رئاسية هُناك.

ومِن المعْلُوم أنّ الحكُومةَ التُّونسيّةَ العلْمانية تحظُرُ إقامةَ أحزابٍ علَى أسُسٍ دينية، مثلها في ذلك مثل الأنظمَة الحاكمة فى العالمَين العربيِّ والإسلاميِّ التي تحكُم بنظــام الأحزابِ وفق دساتيرها الخاصّة.

لذلك حَظَرَت الحكومةُ التونسيّةُ حزب النّهضة التُّونسيِّ الــذي يتزعّمــه الــشّيخُ " راشد الغنُّوشي " المُقيمُ في العاصمة البريطانية " لندن " هو وعَدَدٌ من الشّخــصياتِ التونسيةِ المعارضة لنظام الرئيس ـــ **بن علي** ـــ.

أمّا الوُزراء الثّلاثة فلم يتقدّم أحدُهم باستقالَتِه عقب انتشارِ هذه الفــضيحة، ولــم تُوَجِّهُ الحكومةُ لأحَدِهم أيّ اتهامٍ علَى اعتبارِ أنّ ما حَدَث مُجرّد مسألةٍ شخصية.

والمَعْرُوفُ أنّ تونُس من أكثرِ دُول المَغْرِب العَرَبِيِّ تحرُّراً فيما يخُصُّ المــرأةَ، والزّنا في تُونس غير مُحرّم، وغَيْرُ مُجَرّم، وشِعَارُ تونس (الكُلُّ فى خدمــةِ الــسِّياحَةِ والسّياحَةُ فى خِدْمَةِ الحُكّام) كما هُو الحالُ في بعضِ بلدانِ العالمِ الإســلاميِّ، وفــي مُؤخّرَتِهم تُركيا التى فَرَضَت عليها أورُوبا المسيحيّةَ إلغاءَ عُقوبةِ الزّنا وإسقاطَ العمــلِ بها حتى يَقْبَلَ الأوروبيُّونَ بقُبُولِ عُضوية الأتراك فى الإتحاد الأوروبيِّ، ولمّا أســقط الأتراكُ عُقُوبة الزّنا من قوانين بلادهم وخالفوا شريعةَ إسلامهم، واعتبروهــا عمــلاً مزاجيا، وهَوَىً شَخْصيّاً، لم يقْبَلْ الأورُوبيُّون عُضويّتَهَا، بلْ ساوَمُوهَا من جديدٍ علَــى قضايا شائكَة لا حلّ لها عندَ الأتْراك مثل القَضيّة القُبرصيّة، هذا غير القَانونِ التُّونسي الذي يَمْنَعُ تعدُّد الزُّوجَاتِ في مُغايَرَةٍ صريحةٍ للشّريعَة الإسلاميّة الغرّاء.

ولعلّنا نتدارَك الأبعادَ الحقيقيةَ المُثارَةَ في موضُوع تحْرِيرِ المرأة، والمُثارة هــذه الأيام، وهى الطّرح الأورُوبيُّ الأمريكيُّ، وإنّهم يضغَطُون بشدّة علي العالَم الإســلاميِّ لإسراعِ الخُطي في تحرير المرأة، وإشاعَة سُفورها.**وَصَدَقَ اللهُ العَظيمُ القائــلُ ﴿ يَــا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۞ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ { فاطر5،٦ }**

● أ ــ المُجَنّدَةُ وشَاجِي:

الأبوابُ هذه الأيامُ مفتوحةٌ على مصراعَيْها لكُلِّ مَن هَبّ ودَبّ، لتقديم مــا يُريــدُ من زمْر، وطَبْل، وخَبْط، ورَزْع، وتَمَايُل، وخَلاعَة، وعَرْبَدَة وإغْراء، وإغــواء، نَعَــم البابُ علَى مصراعيه لمن يصرُخ أو يُهلِّل، ينُوحُ أوْ يعْوى، يَمُوءُ أوْ ينهَّــقْ ــ الكُــلُّ أصابَتْهُ الهستيريا ــ إلاّ قليلاً أمامَ الميكروفُونات، فهو يلطُم وجْهَــه، ويــشُدُّ شــعرَه، ويضربُ الأرضَ بقَدَمَيه، والشبابُ من حولهم يــصرُخون، أو يُكملُــونَ المنظُومَــةَ العبَثِية التى لا معْنى لها، ولا فائدة منها، وجميعُهُم صناعةٌ ماسُــونيةٌ بأيــدى عربيــة أطْعَمُوهُم فى العَواصمِ الأورُوبيّة، وهيّأوهم فى لبنان وفى غيره، فى أكبــر النــوادى والصّالات، وفى أطول الليالى الملاح، وصدّرُوهُم إلى قلْبِ العَرَبِ المَفتوح دائماً مــن غير جراحة، فدَخَلُوا إليْه، وقُوبلُوا بالتّرحابِ فَصَفّق لهم التّائهُونَ الضائعونَ الــذين لا يدْرُون للكَلمَةِ معْنى، ولا للجَمال طعْما.

هؤُلاءِ النُّجومُ المتلألئةُ فيما يُسمّى سماءُ الفنِّ الهابط، وهم نتاجُ برامج (صــناعة النجوم إياّها) فى العالَمِ الإسلاميِّ فَقَط، وما يُشابهُ هذه البرامج من أندية تملأُ العيُــونَ فى الطُّرقات، وقد تخصّصت فى اكتشاف الفاتنات المُبدعات، والرّاقصات الموْهُوبات، هؤُلاء قد أحَاطَت بعضُهم علاماتُ استفهامٍ كثيرَة عَن عَلاقة بعض ما يُسمُّونَهم نُجُــوم الغناءِ فى العالم العرَبيِّ بمن يُسمُّونهم نُجُوم الغناء الأجانب، لما لهُــم مــن توجُّهــات سياسيةٍ ومُمارساتٍ شُذُوذيةٍ سوْف تُسيءُ قَطْعاً إلى المُطربين العرَب، وهُم فى الحقيقة (لا مُطربين ولا دياوْلو)، لأنّ ما يُقدِّمونَه ليس له علاقة بالغناء، وليس من الإنصاف أنْ نُسميه فناًّ، وهى علاقةٌ كارثيةُ وتنميتها أشدّ خَطَراً علَى الجميع.

أمّا الكارثة الأشَد أنّه إذا نَجَح مَن يُقالُ عنه مُطربٌ عربيٌّ فــى تــصوير ألبــومٍ غنائي مَعَ أحدِ المُطربين الأجانب، فإنّه يصيرُ فى نَظَرِ نفسه كمَن حقّقّ انتصاراً فــى معركَةٍ حرْبيةٍ ردّت له اعتباراً من هزيمة، أو فَتَحَت له آفاقاً وسُبُلاً جديدة.

وهى تستهدفُ تدميرَ طاقــات الشّباب، وغــرْسه فى الرّذيلة كَغَيْرها ممّن جــئنَ من هُناك، وأخيراً جاءت إحدى المُغنيات الُّلبنانيّات التى ظَهَرَت على الــسّطح علَــى حين غفْلَةٍ، وقد صعُدْنَ جميعاً بالجيلِ الضّائعِ إلى حافّة الهاوية، ووضعْنهُ فــى مَهَــبِّ الريــح العاصف، وهنّ يتقاضــَينَ أجورَهُنّ من جهاتٍ غير معلُومة "" **بالنسبة لى** ""

(٤٣٣)

تُمَـولهُنّ، وتُنفقُ عليهنّ، كمَا سَبـَقَ وأنْ أعدُّوهــنّ وصنعُوهنّ ، وأرسلوهنّ مُجنّدات فاتنات، راقصات مُغنيات، مائلات مُميلات، ساحرات، وأكثـرهنّ عــاهرات يعــشَقْن الهَوَى، ويطلُبْنَ الّلذةَ، ويسهرْنَ حتّى الصباح، يُغنّين عَلَى الشّباب، ويسرقْنَ أموالَهُم.

فقد خرجَت هذه لتُعْلنَ عن تقديم أُغنيةٍ مُشتركَة (دويتُّو) مع المُغنِّى الأمريكـيِّ " شاجى ": ضاربَةً عرْضَ الحائط بكُلِّ القيَم والتّقَاليد الشّرقية والعربَية، حيثُ حَرَصَت وبشدّة عَلَى توْطيد علاقَتها بهذا المُغنِّى الذى أُثيرَت حولَه ضجةٌ كبيــرةٌ فــى الآونــة الأخيرة كونه أحَدَ الأعضاء البارزينَ، والمُؤسِّسين لأكبر جمْعيات حقُوق الشّواذ فــى العالم، والذى يقُودُ تباعاً بالتّعاوُن مَعَ الضّائعينَ من العَرَب مُظــاهرات شــهيرة فــى أمريكا تطالب بالتّوسُّع فى حرية وحُقُوق الشّواذ، كَمَــا أنّــه يُعــد المُغنِّــيّ الوحيــد المُتخصِّص فى إحياء حَفَلات الجنس الثّالث فى أمريكا وأورُوبا وإسرائيل، باعتبــاره يهودياً، كما أنه يتبرّعُ بإيرادات هذه الحَفَلات لدَعم قضيّة حقِّ الصّهاينة فى فلــسطين التّاريخية، وطَرْد الفلسطينيين منها، وقد قدّمت المُغنَيّةُ المذكُورةُ حفْلاً غنائيــاً شــديدَ السُّخونَة مع شاجى فى صيف ٢٠٠٣ ، التُقِتَت خلاله عدّةَ صُور لَهَا فى أوْضاع شاذّة مع المُطرب الصهيوني.

وقد أعلَنَ شاجى من خلال موقعه عَلَى شبكة الانترنت أنّه سوْفَ يُرحِّبُ بتقــديم { دويتو غنائي } مع المُطربة المذكورَة التى وَصَفَها بأنّها { صديقتُه الشّخصية } علــي حدِّ قوله، وقد وَصَفَها بأنّها مُطربةٌ رائعةٌ جداً، ولا يُوجَدُ مُبرِّرٌ لتعرُّضها للقَهْر والظُّلم في المُجتمع الذي تعيشُ فيه، وتحاصرُها الاتهاماتُ بالخَلاعَة والشذُوذ وهــي أمــورٌ عادية جدّاً من حقِّ أي إنسانٍ مُمارستها بحسب قوله.

ولعلّ الذين يشتغلُون بما يُسَمّونه هُم صناعَة النُّجُوم أن يقُومُوا عَلَى إنشاء عملِيــة هي الأجودُ، والمتمَثِّلةُ في إحلال وتجْديد مَصَانعهم وصناعتهم، فيصنَعُون لنا أحذيــةً، وأحزمةً فنُوسعُهم بها ضرْباً علي الرّأس وعَلَى الإلى .

وامتدّت العدْوى الفيرُوسية الشّاجية إلى المُغنِّى الشّاب صاحب القاعــدة الــشّبابية الكبيرة " إيّاها " حيثُ بدَأَ ــ وهو أقلُّ من ذكْر اسمه فى هذا المقــام ــ فــى إجــراء اتّصالات مع (جانيت جاكسُون) شقيقة العَدُو الُّلدود لكُلِّ ما هُو عربــي أو إســلاميٍّ المُغنى اليهوديُّ (مايكل جاكسون) كنوْعٍ من التجديدات فى ألبُومات الفنّان المصريِّ حتى يستطيع مُواكَبَة **هُوجة** الكليبّات العارية بنَوْعٍ مُخالف من العُرى.

(٤٣٤)

ومن الجدير بالذّكْر أنّ المُطربَةَ الأمريكيةَ مُتعصّبةٌ كأخيها ضدّ العرَب، ويُعْــرَفُ عنها ميلُها الشّديد لإسرائيل، ومُساندتها للحَرَكة الصهيونية داخل الولايات المُتحدة عن طريقِ إحياء الحَفَلات داخل أمريكا وإسرائيل، مثلها مثل شقيقها مايكل جاكسون.

وأقولُ لمن يقُولون أنّهم فنّانُون: ألاَ تجدُوا قبلةً أُخرى تُرضيكُم تُصلُّون إليها غيْرَ واشنطُن، وباريس، ولَندَن، وأسألُهم وهُم بنُو جِلْدَتِنا. **أليس لنا فــضائلنا، وتُراثنـــا ؟ ! أين نحن وأنتم من أنفُسكُم ؟ ومن ماهيّتكم التى ضيعتمُوها فى الطُّوفان ؟ !!!!**

● ب ــ الرّقيبُ وحبــّـــــات الــرّمل:

وإلى جانبِ ما تقدّم أو تأخّر فأنَا إلى جانبِكَ قد أصابنى العجزُ فيمـــا يبــدُو عـــن مُتابعةِ سيولِ أنباءِ الفَساد الذى ظَهَر فى " البر، والبحر، والجو " بمـــا كـــسبت أيـــدى النّاس، فالرّقيبُ قد باتَ فى أشدِّ الحاجَةِ إلى مَن يرقيه، والأمينُ لم يعُد كـــذلك، حيـــثُ باتَ مُخْتَلساً ومُرتَشياً (عيني عينك) وانتَفَتْ عنه صِفةُ الأمانـــة، والقـــائمُ بالـــضبْط القضائيِّ فى حاجةٍ ماسّةٍ إلى مَن يضبْطُهُ، فأقطابُ الدّعم التّمويني نفّذوا أكبرَ عمليـــةِ غشٍّ تجاريٍّ، وتدْليسٍ، وما زالوا، حيث بيعت الأغذيةُ واللحُوم والأســماك الفاســدة، والسِّلع مُنتهيةُ الصّلاحية بعد تعديلِ تاريخِ الإنتـــاجِ والـــصّلاحية المطبـــوع عليهـــا، وموظّفوا الحكُومات يتزعّمون أخْطَرَ عصاباتِ تـــرويجِ الـــسُّموم والآداب، ومُوظّـــف البريدِ يختلس أموالَ عُهدتهِ ويستولى عَلَى مُراسلاتَ العباد لحسابه الخاص، والأســتاذ الجامعي حُكم عليه بالسّجن لتقاضيه رشْوة من طالب خليجي مُقابل تسْهيلِ مَـــا عنـــد مُناقشة رسالة الماجستير والتّغاضي عن حُضور الطّالب الأيّام المُقرّرة لمُدة المُناقشة ، ورئيس وُزراءٍ سابقٍ تضمُّ استراحَتُه عَلَى النِّيلِ أنواعَ غزلانٍ نادرةٍ يـــصعُبُ تقييمهـــا بالعُملة المَحلية لبلَده ، ووزير يمتلك عوّامات بالمليارات .

وهؤلاء الفنّانُون يقفُونَ بالجُملَة عَلَى أعتاب الدجّالينَ عَلَى نارِ الـــشُّوق ينتظـــرون حُلُولَ الدّوْر، كي يُقدِّمُوا أنفسَهم للنّصّابين الـــدجّالين طواعيـــةً واختيـــاراً، فالمُمثلـــةُ المغمُورةُ تبحثُ عن عفريت يُسندُ إليها دوْر بُطولةٍ، والثّانية تخْشى أن يفُوتَهـــا قطـــارُ الزّواج، وقد جاءت تَطلُب مُساعدة **عفْركُـــــوشْ** ليهديها السّبيل إلـــى ابـــن الحـــلال { ويحلّيها فى عينُه}، وهذا جاءَ يبحثُ عمّن يعْمل له عَمَلاً يُساعده على إتمامِ الصّفْقَة ،

وآخَر جاءَ يبحَث عَن فَكٍّ طلاسمِ الفَشَلِ الذى يطارِدُه، الكلُّ جاء يبحــثُ عــن حُلــولٍ لمشكلاته فى البخُور، ووَسَط الدُّخان، وهو يسأل الدّجّال فيعطيه التعويذَةَ أو الحجــابَ الذى سيُلَيِّنُ فى يَدِه الحَديدَ، ويُفتِّت بين أصابعه الصّخر، ويُحوِّلُ الفَقْرَ إلى غنىً، بَعْــدَ عَمَلِ الزّار، وذَبْحِ الدِّيك الأحمَر "الذى لا يُؤَذِّنُ وليس له عُــرْفٌ" طبقــاً للمواصَــفَاتِ القياسية العفْريتيّة، ثم يَخْلطُ دَمَه بدَمِ أرنَبةٍ حمْراءَ، صمّاءَ، بكمَاءَ، صائمة مُنذ شــهْرٍ، لا تأكُل الجَزَرَ، والدّجالُ يقَعُ عَلَى من تتردّد عليه لِطردِ العفْريــت النِّرويجــيِّ الــذى يسكُن أجسادَ سَيِّدَاتٍ ورجالِ الأعمالِ وَمَشَاهيرِ المُجتمعِ، فيأمُرُ الواحدَةَ منهنّ أن تدخُلَ عليهِ فى المَرَّةِ المُقبلَة بمفْرَدِها، فينتَظِر" **اللّطْخ** " بالخارجِ، وتدخُلُ هــى إلــى غُرفــةِ التّجْهيزِ لترتدي ملابِسَ مُعيّنة تحقيقاً لرغبة " العفريت باشا " ثم يــدْخُل بهــا الــدّجالُ دخُولَ الأزواجِ وهى فى حضْرة الأسياد، والمُغفّلُ فى الخارجِ يتلهّف خرُوجَ العفْريت، وكم هو سعيد ببركاتِ موْلاهُم الشّيخ الذى لايفْهَم فى غَيْرِ طَلَبِ المالِ والجنس.

وكلُّها طامّة ما بعدَهَا طامّة، وكُفرٌ ما بعْدَه كُفر وَقَعَ فيه الجميعُ.

وتلك فضائحُهم بالجُملة، فرجُل الأعمالِ الشّهير النّاجح تزوّج عُرفياً من الفاتنــةِ الحسناءِ دُون عِلْمِ زوْجهِ " أُمِّ أولاده "، ثمّ جاءَ بالثّالثة السّاحرة دُون علــم الأُخــرَيَيْن، فَلَمّا علمت الأُولى دبّرت له قضيةَ مُخدّراتٍ فغابَ فى غياباتِ السُّجون، ورجُل أعمالٍ ناجحٍ تَرَكَ الحبْلَ على الغاربِ لمن يعُول، فضيّعَهم، حتى باتَــت وحيدَتُــهُ الرّشــيقةُ ساقطَةً فى أحضانِ الهَوَى، فإذا به (رجُل الأعمالِ) يعرضُها على الزّبائن لَعلّه يجِــدُ لَهَا مُشترياً عربياً (عريساً) يُمهرهُ هُو ــ أي ــ (رجُل الأعمــال) بمَهْــرٍ كبيــرٍ، ويمنحه شقّةً فاخرةً ويُهديه سيّارةً فارهَةً، إذا قبل مُساعَدَتَهُ فى مُداراَتِ عاره (يسترها عليه، وعلى ابنته) ويُنقذُ اسمَهُ الشّهير جِدّاً من الطِّين، ويرفَعُ ابنته التى سَقَطَت بفعْله وَلَوْ بالضّمة.

وبهذا يحصلُ التّبتُ أنّ الشيطانَ الصُّهيونيَّ بذراعيه الماسُونية والعلْمانية قد شَرَعَ فى تدميرِ الثّقافة الإسلاميةِ والعربية، وأنّه قد حقّق فعْلاً بعْضَ النّجاحــاتِ ولا تحــرُّج من إقرارِ ذلك، كما أنّ المارينز الأمريكى، والكاوْبُوى بدأ يتغلْغَل ويرْتَعُ فــى أرجــاءِ العالم العربيِّ والإسلاميِّ بفضْلِ ما تحقّق لَهُ من نجاحاتٍ وانتصاراتٍ تقدمّت إلى آفاقٍ

بعيدةٍ داخل هذا الصِّنف من المُجتمع الذى ضلّ الطريقَ، وجانَبَه الصّوابُ، وباتَ فــى معزلٍ عنْ دينه، وانشغَلَ بالنّفْس، والهَوَى، والدُّنيا، والشّيطان.

- **ج ـ المَشْيُ عَلَى الأشـواكِ:**

إذا عُدنا إلى مَن قُلنا أنّهم معدُومُون الدّخل " وهُمُ الفُقراءِ عَلَى الإطلاقِ "، لوجدْنا أنفُسَنَا فى دَوّامَةٍ لا تنْتَهى ونحنُ نعرِض لهُم ونَنْتُ لحالِهم.

ويُمكن التّمْييز بين محدُودى الدّخلِ، ومعدُوميــه بــإجراءِ المُقارَنَـــةِ البـسيطةِ التّالية:

محْـــدود الدّخــل: هو الذى له دَخْلٌ يكفيه بحَيثُ **يفى** بالتزاماته بالكــاد مــن غيــرِ استدانَةٍ أو ادّخارٍ ــ أىْ ــ أنّ الدّخلَ يُساوى الاحتياجَات، والوارداتُ تُساوى النّفقات.

معْـــدُوم الــدّخــل: وهو معْدومُ الدّخلِ والموارد بالجُملة، وليس لهُ نصيبٌ مقْسومٌ يَفِى بأعبائه ومُتطلّباته وحاجاته. بحيثُ باتَ مقهُورا بفعْــلِ الحاجَــة، مــسلُوباً بحُكــم المسألة، يُلجئُهُ الفقرُ إلى فعْلِ أشياءٍ أُخَر فى ظلِّ ندْرةِ الــدّخل أو انعدامــه، وتعــسُّر الحصُول على موارد تسد رمقه، وعلَى هذا فإنّ مجموع دَخْلــه إن وُجــدَ أقــلّ مــن احتياجاته ومُتطلّباته، ومُصيبةُ هذا أكبَر المصائبِ، وفجيعتُه أشدّ الفجائع.

ولا بُدّ لَهُ، ومَن يعولُ من المأكلِ، والمَشْربِ، والملبَسِ، وهُو بالضّرورة عليه أن يكُفَّ نفسَه وأهلَهُ ومَن يعُول عن المسألة، غير أنّه يجدُ نفسَه مُكْرهاً علَى تدْبيرِ موارد بعينها للوفاءِ بالتزاماتٍ بذاتها، لتَوْفيرِ الحدِّ الأدنى من قُوت يوْمه، لذلك فقد قَبِل المُوظّف الرّشا، وتربّح غيرُهُ مُستغلاً وظيفتَه، واختلَسَ آخَرُ عُهدَتَهُ، وخانَ البعضُ أمانَتَه، وأكلَوُا السُّحتَ والغُلُول، وبقى الباقُون وهم قلّةٌ شُرفاءٌ يخافُون الله.

أمّا المتعطِّلون عَن العَمَلِ فالحديثُ عنهم شائك ومريرٌ، لأنّ العَاطِــلَ لــم يكــن عاطلاً بالأصَالَة، إنّما تَعَطّلَ بفعْلِ القسْرِ والقهْر، وذلك لأنّ العاطلَ حقّاً هــو الــذى لا يُجيدُ صنعةً ولم يحترفْ حرْفَةً، أوْ لَمْ يمْتهن مهنةً، فهــو بحــقٍّ عالــة عَلَــى أهلــه ومُجتمَعه، ومن ثَمّ فإنّه علَى خلاف المُتعطِّل الذى يُجيدُ ويُتْقنُ، ويعملُ ويُبدع، ويُطوّر ويُحْدثُ، غير أنّه قهَرَتْهُ الظُّروفُ السّياديّة، أو السياسية، أو الاقتصادية، فباتَ مُتعطّلاً لندرةِ سُوقِ العَمَلِ الذى أوْصَدَ أبوابَه فى وجْهِ الجَميعِ. عَدَا المحسُوبيات والاستثناءات علَى الرّغم مِن الإمكانياتِ الجبّارة والخلاّقةِ الهائلةِ التى تُؤهّل للجــميعِ الوقُوفَ علَى

رُؤوس الرِّيادة فى مصاف الأيدى العاملة والقُوى الفاعلة علَى المستوى الدّوليِّ، فباتَ عاجزاً قَعيداً عن الحَرَاك والعَمَل، لا يدرى من أين ؟ أو أين يمضى ؟ !!! ــ ولأيْــمُ الله لقد وجَدتُ ورَأَيْتُ بعَيْنَيْ رأْسِي حاصلاً على ليسانس الحقــوق يعــــملُ ماســحاً للأحذية بأحَد الميادين الكُبْرَى، ورأيتُ حاصلاً على بكالوريوس الطِّب البشرى يعمــل مندُوباً فى تصريف مُستحضرات التّجْميل، ومهندسي الديكور يعْمَلُون فى المَحَارَة مع طائفة المعمار.

ولقد لَجَأَ بعضٌ من هُؤلاء الشّباب إلى الاقتراض من البنُوك، وما تُسمّى صناديق تشغيل الشّباب، وتنمية المشروعات الصّغيرة فى مُحاولات جادّة منهم لخلْق فُرصَة عمَل فى زراعة أرض جديدة لا تجدُ ماءً، أوْ للبيع المُتجوِّل فى الشوارع، بما يحْتَويه من مَخاطر المُصادَرَة من البلَدية، أو لزراعة عيش الغُراب...إلخ، وكُلها مشروعاتٌ فَشَلت على جُملَتها، وَوَجَدَ الشبابُ أنفُسَهم على أعتاب السُّجون لقاءَ مُحاولاتهم البحْث عن عَمَل شريف، ولتعَثُّرهم عن سداد القُروض (الديون التى عليهم) فمنهُم من لَجَأَ إلى الاقتراض من أكابر المُرابين، وَوَقَعَ فى مُصيبة جديدة، ومنهم مَن يهرَبُ خارج بلاده طَلَباً للنّجاة، وبحْثاً عن الحياة (أيّ حياة) "" فينفذُ بجِلْده "" إلى حيثُ يظنُّ أنّه النّجاة (**فإمّا أصابَ وإمّا خَابَ**).

أمّا معدومُ الدّخل علي إطلاقه ممّن فَقَدَ العائلَ، والثّقةَ في المُجتمع والنّفْس، بعــد أن امتَنَعَ عنه الدّخْل، فصُورتُه أَشَدُّ مسْخاً، وحالهُ أصعبُ تصْويراً، حيث تجدُ مــنهم مَن يفترشُون الأرصفةَ وهي مُنتهى أملهم، يعيشُون وينامُون عليهــا، بــل يتنــاكحون ويتناسلُون كذلك فوْقها، غطاؤُهم السماءُ، وآخَرون يُزاحمُون المَــوْتَى فــي المقــابر، وأخَروُن في ظلام (**بئر السُّلّم**)، وبعضٌ علَى الأسْطُح يسترُهم الخلاءُ، أوْ بعضٌ من لحاف أو بطانّية مُهلهَلَة، يأكُلُون أكْلَ النّمْل، ويعيشُونَ عيشةَ الأنْعام أو هـــي أسْــوأ ، يشتغلُون بالتَّسَوُّل، أو بتلْميع الأحذية، ونتاجُهم من الصغار تكتظُّ بهم إشاراتُ المُــرور ليلا ونَهاراً يسألون النّاسَ إلحافاً، الشّريفُ منهم يبيعُ لك المنديل الــورَقي، أوْ الــورْد، وهو كذلك لونٌ من ألوان المسألة المُــهذّبة، وبرغم ذلــك كُلِّــه يعيــشُون حيــاتَهم، فيتــكاثرُون لتتكاثَرَ معهُم آلامُهم وآمالُهم، ويزدادُون فَقْراً علَى فَقْرهم، حتى أمْسَيْنَا فى مَسِيس الحَاجَة إلى إنشاء جَمْعية الرِّفْق بالإنسان، أُسوة بجمعية الرِّفْق بالحَيَوان.

(٤٣٨)

وقد ظَهَرت في حياتِهم أنماطٌ جديدةٌ من الجريمةِ، وقد تطوّرت بمعدّلات عاليــةٍ، لتَبيتَ وهي خَطَرٌ داهمٌ يُهدّدُ إصابة المُجتمع في مَقْتَلٍ، وتُعبِّرُ بــصدْقٍ عــن انفــصالٍ حقيقيٍّ بين الفرْدِ وبيئتِه ومُجتمَعه، وعن قضاياه الأمْنيــة، والأخلاقيــة، والــسُّلوكية، والاقتصادية، ليتكرّس بذلك انفصالُهُ عن الله.

من ذلك ما قرأْنا عن الأُم التي قَتَلت ابنها بالاشتراكِ مَــعَ عــشيقِها خوْفــاً مــن الفضيحَة، وأُخرى قتلَت طفْلاً هو ابن زوْجِها من أُخْرى، ثم استخْرَجَت الجُثة وقدّمتْها إلي الكِلابِ الجائعَة، ومخْمورٌ عادَ إلي مأواهُ فاعتدى علي حَليلةِ جارِهِ فقتله زوجُها.

وتحْتَ عجلاتِ الفقْرِ المُندفعِ بسُرعةٍ نحوَ التّشديد علَى العبــاد، قــدّمت نفــسَها لصَديقِ أخيها فصوّرها علَى شرائطِ الفيديو وروّجها في الأسواق، وآخَرُون تــشابَهَت جرائمُهم مع جرائمِ الأغنياءِ، فوجَدُوا في تِجارةِ الكيــفِ مَخْرَجَــاً، وبــاعُوه لتلاميــذِ المدارسِ لحسابِ الكبار.

وغالبَاً ما تجْمَعُ هذه التجارةُ أصحابَها في { الكيف الحرام، والجــنس الحــرام }، وآخرون اشتغلُوا بالنّصْبِ، وغيرُهم بالتّزوير، وبعضُهم بالسّرقَة، أوْ النّشْلِ، ومنهم مَن عملَ بتَسْهيلِ لقَاءاتِ راغبي المُتعة الحرام نظير عمُولةٍ أو تحْصيلِ رسْمِ لقاء، وأسَــرٌ كاملة تعمَل في مُمارَسَةِ وتَسْهيل هذا النّشاط في ظلِّ انحلالٍ أخلاقيٍّ وانفلاتٍ قيَمــيٍّ، وتراجُع أمْني، وجهْلٍ وجَهَالة دينية طامّة وعامّة، حتى أنّ واحداً قامَ مُــؤخّراً بتــسليمِ ابنَته بكلتا يَدَيْه بعد أن أعطوهُ حُفنةً من الدولارات إلي مُنظّمةٍ عالمية سرية للــدّعارة افتتضح أمرها مُؤخّرا في إحدى العواصم العربَيّة فى بلادِ الشّام.

ولسْتُ وحْدي أرَي الصُّورةَ قاتمةً علي نحْوها، فكثيرُون ينظرُونَ معــى ومثلــي من ذاتِ المنظور، ويضَعُونَ على أعيُنِهم النظّارة ذاتها.

وصدق الله العظيم القائل :

﴿ **وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ** ﴾ { يُوسُف : ١٠٣ }

﴿ **وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَيَعْلَمُونَ** ﴾ { الرُّوم : ٣٠ }

﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّاهُمْ** ﴾ { ص : ٢٤ }

ثَالثاً: حَتْميــةُ التّغْييـــــــــر

بلغَ الخَطَرُ مداهُ، وبلَغَ مبالغَ الأقاصى، وباتَ الجميعُ فى وضْعٍ لا يُحْسَدُونَ علَيه، أضحى مَعَهُ الأمنُ القوميُّ العربيُّ فى خَطَرٍ، بعد أن باتَ نصفُ العالم الواقع فى آسيا ما بين مُستَعْمَرٍ، أو مُحَاصَرٍ، وبعْدَ أن وَصَلَت طلائعُ القوّات الأمريكية إلى الـسّاحلِ الشماليِّ الغربيِّ لإفريقيا، وقامَت بأكبر عمليةِ التفاف حوْل القُوس العربيِّ الغربيِّ، ثُـمّ امتدّت إلى الصّحراءِ الإفريقية لتُحاصرَ وعَلَى مَهَلٍ الدولَ العربيةَ الواقعةَ بين البَحْـرِ المُتوسطِ والصّحراءِ الإفريقية، ومع ذلك تبدُوا إفريقيا الآن وكأنّها تحتَ حِصارٍ كامـلٍ للأساطيلِ والمارينز الأمريكي (مُشاة البحْرية الأمريكية).

من هنا أضحى التّغْييرُ ضرورةً حتميةً تقتَضيها مُتطلباتُ الأوضاعِ الرّاهنَة، بحْثاً عن ملاذٍ آمنٍ قبْل أن تفترسنا الذّئابُ، أوْ تنقَضّ علينا الوحُوشُ فتلتهمنا قطْعةً قطعــةً كما هو الكائنُ الآن بعد أن بَلَغَ العجْزُ العربي مُنتهاه، وسَبَقَ مَن بارَاهُ.

■ أ ــ حصادُ النِّيــران:

لِننظُرْ إلى الشّمالِ الـشّرقيِّ العربــيِّ حيــثُ بغــداد، وكركــوك، والمُوصــل، والسُّليمانيّة، وأربيل، وكربلاء، والنّجف، والبصرة، والفاو، والإســكندرية مــن أرض العراقِ، هُناك حيث النيرانُ مُشتعلةٌ مُنذ حين ، حيثُ المقاومَةُ العراقية التــى أرْبَكَــت حساباتِ قُوّاتِ الاحتلالِ الأنجلو / أمريكيِّ وأجهدتْهُم وأذلّتهم، عنــد البــابِ الـشّرقي للأمْنِ القوميِّ العربيِّ.

لقد ضاقَ حُرّاسُ هذا البابِ ذرعاً بقُوّاتِ الاحتلالِ، فصبُّوا جامّ غضَبهم عَلَى مَــن جاءوا إلى بلادهم يُمَنُّونَهُم بالحُريّة فى الجنّة الموعُودة (العــراق الحُــرُّ الجديــدُ)، فتحولّت الأرضُ إلى جحيمٍ لا يُطاقُ، والتَقَى السُّنّةُ، والـشّيعة، والأكــرادُ فــى حُــبِّ الوطَنِ، رغم نَثْرِ بُذُور الفِتَنِ الطائفيةِ، وما أكثرها، إلاّ أنّ الجميعَ هُناك آمَن بأنّ زَمَنَ الاستعمار قدْ ولّى إلى غيرِ رجْعة، وبالتّالي أبَوْا إلاّ التّسليمَ لِمَن أرادَ تحطيمَ إرادتهــم، وإجبارِهم عَلَى الخُضوعِ والاستكانَة، والرُكوعِ تحت الأقدام، والسُّجود أمام الـصّليبِ الذى رفَعَه بُوش الثّاني لواءً لحملَتِه المسعُورة على العالم الإسلاميِّ كُلِّه، حتى بدَا أنّــه لم يعُد مُهِمّا بمقدارٍ أن يكون مَن الذى يقودُ المُقاومَةَ، أو إلى أيِّ الطوائفِ ينتمي.

إنّ ما يحدثُ فى العراق لَيَفْضَحُ للجَمِيعِ الوجْهَ الآخَرَ لأمريكا، الذى كشَفَت عنه صحيفة (هيرالد تريبيون) فى افتتاحية عددها الصادر فى ٢٠٠٤/٥/١٨ بما معناه (إنّ ما حَدَثَ ليس مُفاجئَة، وليسَ شيئاً غريباً ولكنّه الوجْهُ الآخر لأمريكا الذى لا يعرفه كثيرون في العالَم أو لا يُريدُون أن يعرفُوهُ).

جاء ذلك تحت عُنوان (الجانب المُظلم لأمريكا). وقد قالت فيه إنّ الصُّورَ المُقذِّذَةَ للعَسْكَرِيِّينَ الأمريكيِّينَ وهُم يُمارسون إذلالَ المسجُونينَ العراقيين تُثيرُ تساؤُلاتٍ حَوْلَ مَعَايِيرِ السُّلوك والمُعاملَة فى النِّظام الأمريكيِّ داخل وخارِج أمريكا، وقد كشف "" فُوكس بيتر فيلد "" فى صحيفة نيويورك تايْمز أنّ ما حَدَث فى سُجونِ العِراقِ ؟ هو ما يحْدُث فى سُجُونِ أمريكا، ومِن المُمكنِ التقاط صُورٍ فى السُّجونِ الأمريكيةِ لمسجُونينَ عُراة يتعرّضُونَ للامتهانِ والإذلالِ الجسديِّ والنَّفْسي، حتى لم تعُد الإهاناتُ على أيدى حُرّاس السُّجون فَقَط ممّا يُقلِق المسجُونينَ الأمريكيين أنفسهم.

وأكّدت هيرالد تريبيون إنّ فى سجون أمريكا {١٢،٠٠٠٠٠٠ } **اثنى عشر مليون سجين**، وأنّ الاغتصابَ داخلَ هذه السُّجون من الأمُورِ المُعتادَة، والمُخدّراتُ داخِل السُّجون يتمُّ تهريبُها إلى المسَاجينِ عن طريقِ مُوظّفِي وحُرّاسِ السُّجون أنفسهم، كما أكّد أنّ انتشارَ عدْوى الإيدْز، وفيرُوس الكبد الوبائيِّ بين المسجُونين نتيجةَ تداوُلِ حُقَن المخدّرات وانتقالِها مِن شخْصٍ إلى آخر كما أنّ بعضَ السُّجُون لم تعُد تُجْرى الفُحوصَ والتحاليلَ لعَزْلِ المُصابينَ بهذه الأمراضِ المُعْدية، وذلك كي تتهرّب من مُعالجَةِ الأعدادِ الكبيرةِ المُصابةِ، وهذا يعنى أنّهم سينشُرُون العدْوى بعد الإفراج عنْهم.

وفى عام ٢٠٠٣ وافقَ الكونجرس الأمريكي على قانُون يمنعُ الاغتصابَ فى السُّجون، ويكلِّف وزيرَ العدل بإعداد تقاريرَ عن حالاتِ الاغتصاب فى السُّجون وتغاضى المسئولين عنها.

وقد كشَفَت دراسةٌ حديثةٌ أنّ رُبْع نُزلاء السُّجونِ الأمريكيةِ خضعُوا لإجراءاتٍ تأديبيةٍ، أو تمّ حبْسُهم فى زنزاناتٍ ضيِّقَةٍ لمدة ٢٣ ساعة يومياً حيثُ لا يُمكنهم الحركَة، بينَمَا هم يُعانُون مِن أمراضٍ عقْليةٍ، وساءت أعراضُ المرْضى نتيجة الحبْس الانفرادي، وحاولَ نصفُهم الانتحارَ ، وعندما تنتهي فترة العُقوبة يتم إلقاؤُهم عَمْدَاً في

الشّوارعِ فتقعُ لذلك أعمالُ العُنفِ،والبلطجــةِ، والخطْــفِ، والاغتــصابِ، والــسّرِقَةِ، والنّشْلِ، والتّحريقِ، وتذيعُ الفوضى، وتعمُّ الهمَجية، وتنتَــشرُ الرّزيلـــة حقــداً علـــى المُجتمع وكراهيةً للنّظامِ.

فكيْفَ بنا نتصورّ حالَ السّجين العراقيِّ فى السُّجونِ الأمريكية داخل أو خارجِ العراقِ ، وكذلك يكون حالُ المُعْتَقَلين المُسلمين من المُنتَمينَ للقاعدة وحركة طاليبان، وإخوانهم المحبُوسين فى أقفاصِ القُرُود منذ سنواتٍ فى القاعدة العَسْكريّةِ الأمريكيةِ فى كُوبا والمعْرُوفة باسم ""جوانتانامو"" ؟ !!

وعن هؤلاء يقول " لُوك سانتى " الأستاذ بكلية بارد: إنّ الصُّورَ التى التُقِطَت من سجن أبو غريب يبدو فيها العسكريُّون الأمريكيُّون وكأنّهم يلتَقِطُون صُــوراً تذكَاريـــةً بجوارِ حيواناتٍ غريبةٍ، والمُدهشُ أن يُشيروا بعلامـــاتِ النّـــصرِ أمـــام كَوْمـــةٍ مـــن المُسجونين العرَايا المُكدّسين فوقَ بعضِهم.

وأضاف: إنّ هذه الصُّور تكشفُ عن الجانبِ الآخر فى حياةِ الأمـــريكيين، وإلـــى جانبِ الشُّعورِ بالانتصارِ فى موقفٍ كان يجبُ أن يشْعُروا فيه بالخَجَلِ فـــإنّهم كـــانوا يشْعُرُون بالنّشوةِ لمُجرّد توقيعِ الإيذاءِ والألَمِ بالبَشَرِ، وقال: وتذكّرت صُـــورَ الزُنُـــوجِ وهُم مُعلّقون فى المشانقِ، أو عند إحراقِهم فى النّار وهم أحياءٌ فى العقُـــود الأربعـــةِ الأُولى من القرْنِ العشرين.

هـ ب ــ عَصيـــــــرَة الشّـــماليّة:

فى لَيْلَةٍ هى الأَسْوَدُ من لَيالى الشّرق السُّود، اقتحَمَ الجـــيشُ الإســـرائيلي قريـــةَ عَصيرةَ الشّمالية بحثًا عن أَحَد قادَةِ كتائبِ عزِّ الدين القسّام المعروف (**محمـــود أبـــو هنُّود**) وقد جمعَت قوّاتُ الاحتلالِ الإسرائيلي مُعظمَ ذُكُورِ القريةِ من ســـنِّ الخامـــسة عشر وحتى السّبعين فى مسجد القريةِ، وأجْبَرُوهم على خَلْع ملابسهم، وقضوا الّليلـــةَ عُراةً وهم مصطفُّونَ كالتلاميذِ تحتَ تهديدِ السِّلاحِ، بينما تكيلُ لهم قـــواتُ الاحـــتلالِ الشّتائمَ والعباراتِ الخارجةِ البذيئة، وعلى الرّغم من شدّةِ البرْدِ القارِصِ فإنّ الرِّجالَ لم يشعرُوا بالبرْدِ لأنّ الدّمَ يغْلى فى عُروقهم غَضَباً وخَجَلاً.

وصَدَرت الأوامرُ العسكريةُ بمنعِ وسائلِ الإعلامِ من دُخُول القريَةِ لرصْدِ الواقعة، وأجمَعَ الرِّجالُ كلمتَهُم على كتْمِ الخَبَرِ إلى الأبَدِ حفاظاً على كَرَامةِ القَرْيَةِ التى تَـشْتَهِرُ بزيتها النَّقيِّ، وهى تستمِدُّ اسمَهَا منه.

ولأنّ الإسرائيليين يظُنُّون أنّ لهُم حَضَارَةً يخشون علَيْها الطّمْسَ، أو التـشويش، فإنّهم لم ينشُرُوا أو يسمَحُوا بشيءٍ عن هذا الحَدثِ ولكنّه تسرّب رغما عن إرادتهـم وتمّ نشرُهُ عَبْرَ شبكة الانترنت.

إنّهم الإسرائيليُّونَ، وقد قامت عقيدتُـهم على أساسِ الفـارقِ الحـضاري بـين أتـباعها وبين العربِ عُموماً والفلسْطينيِّينَ خُـصُوصاً، وأصـبحُوا ومـن حقِّهـم أن يتملّكوا هذه الأرض الجميلة، وعلى العرَبِ الفلـسطينيين أن يُهـاجِروا إلـى الـدُّول العربية، لأنّ هذه الأرْض لا تَسَعُ إلاّ شعْباً واحداً راقياً مُتحضّراً.

والحاصلُ أنّ الإسرائيليينَ قد حقّقوا نصْراً كبيراً، وسبقُوا العربَ مُجتمعـين فـي ميادينَ شتّي حتى مِن غيرِ مُباراة، فى ظلِّ عجْزٍ وتَدَهْوُرٍ عربَيٍّ عامٍ وشاملٍ، إلاّ مَـن رَحِمَ ربِّى، فانظُر إن أردتَّ إلى التّفَوُّقِ التِّقْنيِّ والتكْنُولُوجيِّ عند بنى صُـهيون، لقـد ملكُوا سلاح الإعلامِ مُنذ سنوات بعيدةٍ على امتلاكِهم سلاحَ القتلِ والإرهابِ (النّـوَوِيِّ) بسنوَاتٍ ، وبفَضْله تمكّنوا من تصويرِ العربِ والمُسلمين جميعاً على أنّهم هُم إرهابيُّوا هذا الزّمان، فاقتَنَعَ العالَمُ، واجتمَعَ ضِدّهم بأسلحَتِه الذّكية والغبيّة، يُبيدهم، أوْ يُطَارِدُهم فى زوايا العالَمِ الأربعِ، وقد ابتلعَ الإعلامُ العربِـيُّ والإسـلاميُّ الطُّعْـمَ الإسـرائيليَّ والغربيَّ، وأخَذَ ينعت المُقاومِينَ والمُجاهدينَ للاحتلالِ الأجنبيِّ فى العراقِ، وفلسطين، وأفغانستان، وغيرِهم بالإرهابيين وحَدَثَ الخَلْطُ " واللّتُّ والعَجْـنُ " فانقطعـت بـذلك الشّعرة الدّقيقة بين المُقاومة المشرُوعة والجهادِ المـشْرُوع وبـين الإرهـابِ بمعنـاه الحقيقيِّ حتى أضحَت المُقاوَمَةُ العراقيةُ، وحركاتُ تحريـرِ فلـسطين مثـل الجهـاد، وحماس، وحزب الله الشّيعيِّ فى لبنان وهى مُنظماتٌ إرهابيّةٌ طبقاً للمنظُورِ الإعلاميِّ الغربيِّ، ومثيله من الإعلامِ العربيِّ الذى ضلّ الطّريق.

كَمَا أظْهَرَ إعلامُهم صُوراً سياسيةً مُشوّهَةً وجُغرافيةً مقلُوبة لتَبْرِيرِ أَحَقِيّتِهم لا فى فلسطين فحسْب بل فى الوطنِ القوميِّ لليهُودِ من النِّيل إلى الفُرات.

(٤٤٣)

وتلك هى الواجهةُ التى يتحدّثُ فيها الإسرائيليُّون للعالَم (المدنيّة والحــضارَة)، إنّهم يُخفُون مُمارساتِهم الهمجيّة فى الــشّوارِعِ، والــسُّجونِ، والمــزارِع، والمنـــازِل الفلسطينية، وينشّرون الصُّور الجميلَةَ عمّا يقولُون أنّها حضارتُهم وإبــداعاتهُم، بينمـــا الغَرْبُ يَقْتَنِعُ بما صورّوهُ وقدّموهُ للعالَم رغم أنّهم يعيشُون علَى مساحَةٍ ضــيقَة جــدّاً (يحتلُّونَها) مِن أرضِ العالَمِ العربيِّ الواسعِ جدّا، ولأنّهم سادةُ الإعلامِ فى العالَمِ فَقَــد قبِل العالَم عن اقتناعٍ تامٍ تبريرَ قَتْلِ النِّساءِ والأطفالِ بأنّهم ضحايا وُجِدُوا خَطَئَــاً فـــى أرضِ المعركةِ.



"" **الوَطَنُ القَوْمِيُّ لليهُودِ كَمَا يحلمون، يَزْعُمُونَ، وَيَرْسمُون، وَلأَجْلِه يُقاتِلُون** ""

"" **لاحظْ أَنّهُ يضُمُّ سَيْنَاءَ إلى دلْتَا النِّيلِ، والأُرْدُن، وسُوريا ولبنان، والعراق، والكويت ويثْرِب** ""

♠ ج ــ التّرهــُّل والمُقابَلة :

لقد أكّدوا علَى حضارتِهم التى قامَت مِن غيرِ جُذورٍ، ومدنيّتِهم التى أثبَتَت عجــزَ الآخرين، كما حقّقوا ذاتَهم واحترامَهم لهَوِيّتهم، وتمسّكوا بعقيدتِهم الــضالّة مُــدافعين عنها، وسوْف يخوضُون مِن أجلِها حُروباً طوِيلَةً فى آجالٍ عديــدةٍ عَلَـــى مُــستوياتٍ مُختلفة مهْما كانت التّكلفَةُ والتّضحياتُ أو ما يَبْدو للْبعضِ أنّه مِن قَبِيلِ التّنازلاتِ حتى ولَو فى ميادينِ الإعْلامِ أوْ السياسةِ بما فى ذلك مراحلِ التّفاوُضِ مَعَ أعدا أعدائِهم.

(٤٤٤)

ولعلك تذكُرُ معي قصّة رجُلِ الأعْمالِ الإسرائيليّ المُعْتَبَرُ فـي تعـداد القَتْلـى، والمُخْتَطَف من قِبَلِ رجال الزّعيم الشّيعيّ الشّاب الشّيخ (**حسن نصر الله**)، فبعدَ ماراثُون شاق من المُفاوضات نجَحَ حزبُ الله الشّيعي فى الجنُوب اللُّبناني مـن أن يُحقّق فى إحْدى جوْلاتِ صراعِه مع العَدُوّ الرّاديكالي الصُّهيوني نصْراً تاريخياً بكـل الوجُوه، وعلَى كُلِّ المقَاييس، بإجماعِ الآراءِ وأقْوالِ المُحلِّلين والخُبراء.

وقد أكّد هذا النّصرُ على بُطلانِ الجبَرُوت والغَطْرَسة الصُّهيونية، ففى تلك الجوْلة من جوْلات الصِّراع العَربيّ على طُولِ الجَبْهة مَعَ إسـرائيلَ، ومـن دُون مُـشاركَة رسْميّة حُكُوميّة لبنانيّة، وبمَنْأى عن الجامعَة العربية ــ وفى ظلّ غيْبة تامّة ــ لجَميـع الأطْـراف المعنيّة بإدارَة الصِّراع ومُتابعة الأزمة، انتهت المفاوضـاتُ التـى تمّـت بوساطة ألمانية إلى أن تُفرج إسرائيلُ عن عدد " ٤٣٦ " أسيراً فلـسطينياً، ولبنانيـاً، وسُوريّاً، ومَغْربيّاً، وألمانيّاً عُضواً فى حزب الله ؛ مُقابل أن يُسلّمهُم رجـالُ الحـزْبِ (رجُل الأعمال، ورُفات ثلاثة جُنود إسرائيليِّين).

وبحسبة بسيطة يتأكّدُ لَدَيْنَا أَنّ المدنيَّ الإسرائيليَّ يُـساوى مائـة وإثنـى عـشْر فلسطينيا.

تلك هى تفاصيلُ المرحلة الأُولى من الصّفقة التى تمكّن حـزبُ الله أنْ يـستخدمَ فيها نفسَ اللُّغة التى تُجيدها إسرائيلُ، حتى رَضَخَت فَقَبِلَـت التفـاوُضَ مَـعَ رجالـه مُرغمةً، علَى الرّغم من مُعارضة المُجتمعِ الإسرائيليّ الدّاخليّ لإتمامِ هذه الصّفقة.

لقد حقّق رجالُ حزْبِ الله فى لبنانَ مكاسبَ عديدة من وَرَاءِ التّوقيعِ علـى إتمـامِ الصّفقة يأتى فى طليعتها:

♣ يأتى قُبولُ ألمانيا كقُوّة أورُوبية كَبيرة للوَساطَة بين الطّـرَفَيْن فـى مَعْـزل عـن الحكُومة اللُّبنانيّة بمثابَة الاعتراف العلَنى الصّريح بحزب الله كحزبٍ سياسيٍّ شـرْعيٍّ لهُ وزنُه ودوْرُه فى ترسيمِ السِّياساتِ على السّاحة اللُّبنانية خاصّة والشّرق عامة.

♣ يأتى قُبول حكُومة باراك التّفاوض مع رجالِ **حَسَن نصْر الله** بشأن الاتّفـاق علـى تبادُلِ الأسرى المذكُورين مُقابِل رُفات الجُنود الثّلاثة الصّهاينة بمثابة نـصْرٍ تـاريخيٍّ لنَصر الله ورجالَه، ثُمّ جاءَ شارُون ليُؤكّد على هذا النّصر، ويعترفَ بحقيقـة التحَـوُّل التاريخيّ فى مَوْقف حزْبِ الله بَعْد أنْ وقّعَ بقَلَمِه علَى بنُود الاتّفاقية " الصّفقة " ، ومن

حيثُ لا يُدرِكُ جاءَ هذا التّوقيعُ اعترافاً رسْمياً إسرائيلياً صَـريحاً وَبِـشهَادَةِ ألمانيّـةٍ وأورُوبية بقُوّة الحزْب وبدوْره المحْوَرِيِّ باعتباره حزباً سياسيّا شرْعياً، وقُوةً وطنيّةً لا يُستهانُ بها بعْدَ أن كانت تُقاتلُ على كُلِّ الجَبَهَاتِ السياسيةِ فى شتّى الميادينِ والمحافلِ لإدْرَاجِ الحزْب على قائمة المُنظّمات الإرهابية، وحتى بعدَ اقتنـاعِ الإدارة الأمريكيّـةِ بوجْهَة النّظر الإسرَائيلية.

♣ أثْبَتَ حسن نصر الله ورجالُه صحّة نظَريّة تأكيد القُوّة أوّلاً؛ ثُمّ إتباعها بالوسـائل الدبلوماسية، لأنّ البحثَ عن حُلُول للمُشكلات القومية والتّاريخية المُزمنة عبرَ قنـوات الدبلوماسية يُشبه تماماً الحرْثَ في البحر، كما هو الحاصل الآن في الحَديث عن الوهْم المُسمّى (اتفاق السلام) والسّراب المُسمّى (خارطة الطريق)، كما أبْطَـلَ النّظريـةَ التي يتبناها العربُ والقائلةَ ""**الأرض مقابل السلام**""، كما أبطَلَ ما يردِّدُه الإسـرائيليون **السلام مقابل السلام** . وكلُّها مُهاتراتٌ ما كان لها أن تكُـون إلاّ فـي غَيْبَـةِ الـدِّرْعِ والسّيف.

♣ ضَرَبَ حزبُ الله نُموذجاً يُحتذي للأنْظمَة العَرَبيّة مُنذ بدايات الاستقلال وحتى الآن في اللّعب علي وَتَر [القوّة والدبلوماسية] في آن، فبينَمَا يتفاوضُ " نصر الله " علـي إتمام الصفْقَة، يقاتلُ ورجالُه قُوّات الاحتلال الإسرائيليِّ في الجَنُـوب اللبنـانيِّ، بَـلْ ويقصفون الشّمالَ الإسرائيليَّ بالصّواريخ حتى أُجبرت إسرائيلُ علي الانـسحاب مـن الجنُوب البنانيِّ أمامَ صوَاريخ كاتيوشا البدائية التي تنطلقُ بقذائف الإيمان.

♣ استطاع حزبُ الله أن يُنجزَ إتمامَ ما تَمّ الاتفاقَ عليه بنَجَاحٍ غير مسبوقٍ بعدَ إتمـامِ المرْحَلة الأُولى كما نصّ الاتفاقُ.

♣ أمّا الدّرسُ المُستفادُ من هذه الأحداث أنّه يَلزَم التّذْكيرُ والتأكيدُ علَى عجز الجامعـةِ العربية بكمالِ أعضائها وتمامِ أجهزَتها عن مُجرّد التّعرف علَـى مـصير الأسْـرَى العَرَب الذين وقعُوا في أيدى الإسرائيليين مُنذ منتصف القرن الماضي وحتّى الغَد.

أما إعلامُنا العربي فإنّه مُرْهَقٌ بملاحَقَة أخبار الحاكم والقائـد، وجَلالـةِ الملـك والأخِ الجنرال، لا يشغلُه غير استرضاء الحاكم، ولا يُذيعُ غير ما يرد إليه من أخبـارٍ صنعَهَا هؤُلاء، وصاغُوها بعُقُولهم، وكَتَبتْها أقلامُهُم، وبثُّوها عَبْرَ فضائيّاتهم ووسـائلِ إعلامهم ... شاهدُنا علَي ذلك ما نَرَى أوْ نسْمَع من:

ــ أعلنت وكالة كذا . . . للأنباء في نبأ عاجلٍ لها أنّ. . . . . ــ وقد أكّــدت إذاعــةُ صوتُ كذا. . . . .التي أذاعت الخبر أنّ. . . . ــ وبيّنت الصّحيفةُ التي نَشَرَت الخبرَ أنّ . . إلــخ.

وكلُّها أخبارٌ صاغتها أفكارُهم، وكتبَتْهَا أقلامُهم، ثُمّ نتلقّفها نحنُ بشغَفٍ ونصُوغُها بأسلوبنا الإنشائي الفضفاض، ليتأكّد كُلُّ مَن يسْمع أو يَرَى أنّ إعلامَنَا مُترَهِّلٌ بسنواتٍ من الرُّوتين، والبيرُوقراطيّةُ التي قَتَلَت الإبداعَ، وعليه فإنّنا لا نملك إعلاماً يقدر علَــي مُخاطَبَةِ الغرْبِ الذى لا يفْهَمُنَا أو حتّى الشّرقِ الذى نفْهَمُه، ولا حتّى مُخاطَبَةَ الــدّاخلِ العربيِّ الذي لا يقبَل تلك الإسفافاتِ، ويرفضُ المُهاتراتِ التي فَرَضَــت عليـــه رَدَاءَةَ المُسلسلات، وسفاهةَ الإعلانات.

■ د– قَنَاةُ التــدْميـــر:

من أجل التّغْطيةِ على الأحداثِ الدّمويةِ وحَربِ الإبادةِ المنظّمـــةِ الــشّاملَةِ التـــى تشـــنُّها القُواتُ الأمريكيةُ ضدّ الشّعبِ العراقيِّ، ومن أجلِ تحْويــلِ الأضــواءِ بعيــداً، وتَمْييعاً للمَوقفِ الدّوليِّ، وتحْييداً له عن البُؤرَةِ المُلتَهِبَةِ هُناك، جاءَ إقــرارُ الكنيــست الإسرائيليِّ خُطّةَ رئيسِ الوُزراءِ الإسرائيلي (إيريئيل شارون) عند مُنتصف أكتــوبر ٢٠٠٤، الدّاعية إلى الانسحابِ أُحادي الجانبِ من قطاعِ غزّة، وتَرْكه للفلسْطينيِّين.

وهو قرارٌ ظاهرُه فيه الرّحمة، وباطنُه من قبله العذابُ، حيــثُ ترمـــى الــسياسةُ الإسرائيليةُ إلى تحقيقِ أكثرَ من هَدَفٍ فى عمليّةِ فرْقَعَةٍ إعلاميةٍ واحدة، هى التى ألقتها فى الملْعبِ العالميِّ، فانشغلَ بها العرَبُ، وصفّقَ لها بعضُهم، وما هى غير قُنبلةِ دُخانٍ كثيفٍ يجْعلُ على الأبصار غشاوَةً، ويحوّلُ اهتماماتِ العَرَبِ إلى قضايا خلافيةٍ لا تُقَدِّم شيئاً لغَيْرِ الإسرائيليِّينَ، ولا تُؤخِّرُ إلاّ الرّابضين فى القاعِ السياسيِّ الدّوليِّ، مــن بــينِ هذه الأهداف:

♦ جَعْل العربِ ينشغلُون بموضُوعِ الانسحابِ " إيّاه " مَعَ تــسليطِ الأضــواءِ وتجْنيــدِ الإمكانيّات الإعلاميّة لتضْخيمِ الخَبَرِ الذى بدوْرِه سيفرضُ تعْتيماً إعلاميّاً كاملاً علَـــى الجانبِ الآخَرِ من اللُّعْبَة، وهو ضَمَانُ تدفُّقِ الهجْراتِ اليهوُدية الجديدةِ القادمَـــةِ مـــن كنَدَا، وأمريكا، وبعض من أوروبّا وإفريقيا إلى إسرائيل فـــى أكبـــرِ عمليـــةِ هجْـــرَةٍ صُهيونيةٍ جماعية منذ حرب ١٩٦٧م من الخارجِ إلى فلسطين المُحتلة (إسرائيل).

♦ ضمانُ مشروعيّة الاستيلاءِ علَى البَقِيّة الباقية من الأراضي المملُوكة للفلسطينيينَ فى الضفّة الغربيةِ ومُصادرتها لبناء مُستوطنات إسرائيليةٍ جديدةٍ تستوعبُ الهجْرات الصّهيونيّة الجديدة ولتَوْطين المُستوطنينَ الذين سيتمُّ ترحيلهم من قطاع غـزّة تنفيذاً لخطّة شارون المعرُوفة بالانسحاب أُحادى الجانب.

♦ يأتى الهدفُ السّابقُ فى إطارِ المُقدِّماتِ اللازمةِ لمُخّطط تهويد القُدس، وطمْس معالم عُروبتها، بَعْدَ تقْطيعِ أوصالها بالجدارِ العازِل، وإقامةِ حزامٍ أمني استيطانيٍّ جَديدٍ حوْل القُدْس، فى ظلِّ انشغَالِ الرّأيِ العامِ العالَميّ بالمُستجدّات الطّارئة، وفى ظلِّ غيبةٍ كاملةٍ للإعلامِ العربيِّ المشغُول بالدّعاية والإعلانِ لحَفَلات ليالي المدينة وأين تسهر هذا المساء، وكليبّاتِ العُرْي الجسَديّ ، ثُمّ هو يستهدفُ القَضاءَ التّدريجي على العُنصر العربيِّ فى الضّفة الغربيةِ عن طريق التوسُّعِ فى إقامة المُستوطناتِ اليهُوديةِ علَى الأراضي العربية بعد مُصادرتها للحفاظ علَى سَقْفِ السُّكان العرب حتى لا يُصبحوا أغلبيةً فى الخَمْس سَنَواتِ المُقبلَة ، خاصّة فى منطقةِ ما تُعرف **بالقُدس الشّرقية فى إشارةٍ إلى الحَيِّ العربي** طبقاً لمَا يُردِّده إعلامُنا العربي النّاطق بذلك ، والقائلُ كذلك **القُدس الغربية فى إشارة إلى الحَيِّ اليهودي** ، وذلك بزيادة كثَافَة العُنصر الصُّهيوني الذى أشرف على بُلُوغِ السّبعة ملايين صُهيونيّ فى ٢٠٠٧، وتقتيل أو تَهْجيرِ الفلسْطينيين إلى الوطَن الجديدِ للعَملِ بالزّراعة فى أرضِ الرّافدَين لخدمة اليهُود أيْضا فى وطنهِم الجديد "" **العراق** "" بعد أن يتم نَزع أسلحةِ العراقيِّينَ حتى الأظافر، وخلْع أسنانهم، وتكْسيرِ مخالبهم، وتطْويعهم، وتأهيلهِم للتكيُّفِ معَ الأوضاعِ الجديدة خلالَ العقْدَين القادميْن عندمَا يتحوّل العراقُ إلى عراق حُرٍّ جديدٍ مُسالمٍ لا يُمثِّل خَطَراً على جيرانه ولا يُشكِّل تَهْديداً للأمنِ والسِّلم الدّوليّين بحسب قول بوش الثاني.

♦ إنّ فلسطين كما رسَمُوا لها وقالُوا عنها فى الكتاب الأبيض الأوّل ١٩٢٢ أنّها ستُصبح يهُودية كما إنجلترا إنجليزية، وبالمُقارنة إلى الجاري على السّاحة فى العراق ليُؤَكِّدُ أنّ مُخططاً قديماً مُتجدِّداً وإلى المَدَى البعيد يتمُّ تنفيذُهُ وبدقّة فى مراحلَ مُحدّدة سَلَفاً يسيرُ وفْقَ خُطَىً مدرُوسةٍ بعِنَايَةٍ وبدِقّة، ويقْطَعُ الشّكَّ بأنّ كُلَّ شيءٍ مَحْسُوبٌ من غيرِ تقديمٍ وَلاَ تأْخيرٍ،

وهو ما يعْنى ضمَانَ واستمرار تدفُّق الهجْرات اليَهُودية إلـى فلـسطين، وحتـى يحين الوقتُ المناسب لإعادة تهجيرهم إلى الوطَن الجديد " العراق " الذى يودِّع يوميّـاً من أبنائه الأبرار ما لا يقلُّ بحالٍ عن أربع مائة من القَتلى " **الشهداء** " علـى أيـدى قُوّات الاحتلال " الأنجلو ــ أمريكى " بخلاف ما يتم تنفيذه عن طريق المُوساد التـى تسلّلت مُبكِراً إلى أرْض الرّافدَيْن للمُشاركة فى التهـام الكَعْكـة البتْرُوليّـة العراقيـة الخليجيّة، وللقصاص من الثأر القديم لدى العراقيين، وذلك فى إطار تهيئـة العـراق وإعداده وتجْهيزه لاستقبال الوافدينَ الجُدد خلال العقدين القادمَين كمـا ذكرنـا علـى أقصى تقدير، وفى سبيل ذلك تؤكّدُ إسرائيلُ على عَدَم قُبول حـقِّ العـودة للاجئـين الفلسْطينيين فى الخارج فى أى مُفاوضات قادمة، هذا غير مُصادرةَ الأراضى العربية وتفريغها من سُكانها الأصْليِّيّن، وإجبارهم علَى الهجرة العكْسية. سبيلُهم إلـى ذلـك (تجريفُ الأرض، وقلْعُ الزّرع، وقَتْل الـضّرع، وتـدْمير البنيـة التّحتيـة، وتـصْفية الفلسطينيين جسديّاً من دُون تَمْييز، إو إلقائهم فى السُّجون حتى الأطفال منهم) فـى ظلِّ عَجْز عربَيٍّ ودولي تام، وعجْز عربَى إسلاميٍّ رهيب ومفْضُوح وغيـر مـسبوق فى الدِّفاع عن أرواحهم التى تُزهَق بلا مُقابل، ودمائهم التى تُسْفَكُ وتسيلُ علَى التُّراب سدىً، وهى فى نَظَر أعدائهم الأرخَص من برْميل البترول الذى جاؤا إلى الشرق مـن أجله.

ثُمّ يجيءُ فى النهاية الطّرحُ الشّاروني عن الانسحاب. الإسرائيلي من قطاع غزّة من غير ترتيب مَعَ الفلســطينيين ليبُرهن علَى القصْد الكبير الّذى يسبقُ هذا الطّرحَ بمراحل بعيدَة، فإذا أقْدَمَت إسرائيلُ عَلَى فَكِّ الارتباط مَعَ الفـلسطينيين فى القطاع من جانبها فقط، فإنّ ذلك يعنى حرمانَ القطاع كاملاً من مياه الشُّرب، وتدْمير كامل لشبكة الصّرف الصِّحيِّ، وانقطاع كُل وسائل الاتّصال بالعالَم الخارجى، وتحْويل القطاع إلى مَقْرَة كَبيرَة بعْدَ فصل شبكَة الكَهْرباء، ممّا يعنى ضرُورة تدخُّل دُول الجوار العربيِّ لمَدّ القطاع بالكهرباء وفى مقدمتهم **مصر**، ثُمّ ترقّب بَعْدُ المُشكلات التى سوْفَ تنجُم عن حرْمان الفلسطينيين العاملين فى إسرائيل نتيجَةً لغلْق المعابر الحُدودية بين الجانبين، وانظُر إلى الذين سيُفصَلُون من أعمالهم في الدّاخل الإسرائيليِّ وحرمانهم من الرِّزق، واستحالَة مُطالبتهم لجهات أعمالهم التى استبعَدَتهم بما لَهُم من استحقاقات ماليّة،أو عينيّة الواجبة للعمّال الفلسطينيين، عَدَا الأجور الجنسية المَجّانية التى يقدِّمُونها

للعُمّال الفلسطينيين لإفساد دينهم وإبعادهم عن الحركات الإسلامية التى تُقاتلهم مثل حَمَاس والجهاد، ولضمان السّيطرة عَلَى ما لَهُم من استحقاقات لصَالِح العاهرات اليهوديّات اللائى يتقاضَيْن أَجْراً من الحكُومات الإسرائيلية المُتعاقبة عن نشاطهم الجنسيّ فى أَسْر الشّباب الفلسطينيّ، كما يهدُفُ إلى مُعالجَة النّقص العَدَدَيّ لدى الإسرائيليين عن طريق الحُصول على النُّطفة من الشباب العربيّ المُتمتّع بخصُوبة عالية.

وإسرائيلُ لن تنسحب هكذا بحسب قولها بسلام، إنّهـا سـتتّبعُ سياسـة الأرض المحروقة، وستُفْسدُ البيئةَ الفلسطينيةَ وستحاصرُهم برّاً، وبحراً، وجَوّاً، وسـتُلقى بهـم فى المُعتقلات، وستُصفّى قياداتهم جَسدياً، وستقصفُهُم بالطّائرات، وبالزّوارق الحربية ، والقنّاصة، وسيطيرُ أبو مازن إلى واشنطن مرّات لطَلَب النّجْدَة فيعُودُ مُكْرَهَاً على حَلّ حكُومة حماس وسيشكّل ما تُعرف بحكُومة ائتلافية تحت مُـسَمّى (حُكُومـة الوحـدة الوطنية)، ولسوف تسقط هذه أيضاً أمام التّعنُّت الإسرائيليّ المدْرُوس ، ومتى جـاءت فسوف لا يرْضى عنها الإسرائيليون أبداً ، فأينَ هُـم آنَئِـذٍ ...{{ الفلـسطينيون }} ؟، وكيف يعيشون ؟، وإلى أين يذهبون ؟ ..

فالتّمَسُّك بالأرض يعنى الانتحارَ البطيء، ودُول الجوار ترفُضُ الهجرَةَ العكـسيّةَ إلى أراضيها، فما هو الحَلُّ حين يأتى الآوان. ويقفُ العربُ المساكين مكْتُوفى الأيـدى ، مُكتفينَ بالمُشاهَدَة والتّحَسُّر، وَمَصمْصَةِ الـشّفاه. يُـشاهدُون الهجْـرات اليهُوديـة الجماعية القادمة إلى فلسطين وقد جاءوا من كُل حَدَب وصوْب رغْمَ أنـف الجميـع، والعالَمُ كُلُّهُ يساعدُهم، ويعطيهم، ويَعدُهُم، ويُمَنّيهم، ويُدافعُ عنهم، والمُسلمُون والعَـرَبُ من بَيْنِهم يُمَنُّونَ أنفُسَهم بمُجرّد قُبول إسرائيل لحَقّ العوْدَة للفلـسطينيين المُبعـدين لا أكـثْر، والعالمُ كُلُه ينعتهم بالإرهابيين، ويَسُبُّ رسولَهُم الكريم ويطْعَـنُ فـى ديـنهم الحنيف، بينما يَضَعُونَ رُؤُوسَهُم فى الرّمال.

❁ **فيلادليفيا:** وضَماناً لهذا المُخطّط اللّعين أعلَنَت حُكومـة شـارُون قبـل وفاتـه إكلينيكياً عن نيّتها فى إنشاء قناة جديدة تُسمى (قناة فيلادليفيا) تـستمد مياههـا مـن البحر المُتوسط، وتفصلُ بين الأراضي الفلسطينية والمصرية بقطاع غزّة، وهى تعبيرٌ

حَيٌّ عن رغبَةِ إسرائيل فى تدْميرِ البيئةِ الفلسْطِينيّةِ فى غزّة، والقــضاءِ علَــى جَميــعِ أشْكَالِ الحياة بها.

وتأتى هذه الفكْرَةُ تَحْتَ مَزَاعمَ كاذبةٍ، وحُججٍ واهيةٍ للقــضاءِ علَــى مــا تُــسْميه إسرائيلُ (الأنفاقَ) بين رفَح المصْرية والفلــسطينية (الإســرائيلية) التــى تــزعُم إسرائيلُ بأنّها يتمُّ تهْريبُ السِّلاحُ منها من مصْرَ وبلادٍ أُخْرى إلى القطاع.

إلاّ أنّ درَاسةً فلسطينيةً أثبتَت أنّ الدافع الحقيقيَّ من إنشاءِ القناةِ المالحةِ هو تدميرُ المياهِ الجوفيةِ فى غَزّة، وتمْليحِ مياهِ الآبارِ لتُصبح غير صالحة للشُّرب، أو الزِّراعــة، ممّا سيُؤَدِّى إلى تدهْوُر التُّربة، ونوعيةِ الحياة، وازدياد الفقرِ فى بيئةٍ مُتدهورةٍ بفعْــل الحصارِ العَسْكَرِيِّ، والتّخريب العَمْد، لتُصبِح الحياةُ مُستحيلة فى غزّة التى تُعَدُّ مَوْطناً لأكبرَ كثافةٍ سُكانية فى العالَمِ، الأَمْرُ الذى لأجْلِه تُسْرِعُ إسرائيلُ الخُطى للتّخلُّصِ مــن كابُوس المُقاومَة الفلسطينية الدّائمة هناك.

وثمةُ سببٌ آخَرَ يدفَعُ إسرائيلَ إلى إنشاءِ تلك القناة المالحَة: وهو تحقيــقُ الحُلــم الإسرائيليِّ القديمِ بإنشاءِ قناةٍ بين البحرَيْنِ التى تربطُ المُتوسط والأحمر، وهى جــدارٌ عازِلٌ طَبِيعِيٌّ يُمَكِّن إسرائيلَ من السّيطرةِ علَى المُقدّراتِ الفلسطينية (الأرض والآثار والتّاريخ) بَعْدَ تَطْوِيقِها تمَامًا.



*** قَنَاةُ بَيْنَ البَحْرَيْنِ البَدِيلُ الصُّهْيونِيُّ عَن قَنَاة السُّوَيْس المِصْرِيّة ***

{{ قَنَاةُ الإضْرَارِ بمِصْرَ بعُيون صُهْيُونِيّةٍ }}

(٤٥١)

وفى شَرْحِه لأبعادِ القضيّةِ المُثارَة، والمُثيرة يقول الدُّكتور/ يوسُف أبـــو صـــفيّة رئيسُ هيئة البيئة الفلسطينية: إنّ آبارَ المياه الجوْفية هى المصدَر الوحيد للمياه العذْبـــة للفلسطينيين فى القطاع ، والوَسيلة الوحيدةُ المُتاحةُ للنّمُو الاقتـــصادي والاجتمـــاعي، ومصْدَر الحفاظ على التّوازُنِ البيئي واستدامَتِه فى غَزّة.

وفى الوقْتِ الحالي يُعانى سُكّانُ غَزّةَ من نقْصٍ حادٍ فى المياهِ لزيادَةِ الطّلَبِ عليها في قطاعاتِ الزِّراعةِ والصناعةِ، والاستهْلاكِ المنْزِليِّ مع نقْصِ المُتاحِ منها، ونتيجـــة لوُقوُعِ الآبارِ بالقُربِ من السّاحلِ وارتفاعِ نسبةِ النّترَاتِ بها إلى نـــسبة ١٣% بحـــسب تَقْديرِ مُنظّمة الصحّة العالَميّة، وبالرّغم من كُلِّ ذلك فُوجِئْنـــا بالمـــشرُوع الإســـرائيليِّ المُقترَح بإنشاءِ قناة تستمدُّ مياهَهَا من البحْرِ المُتوسِّطِ للقضاءِ على المَوَاردِ البِيئيّةِ فـــى غَزّة.

ومن هُنا يُصبْح فى حُكْم المُؤكّد أنّ الآثارَ السّلْبيّة على البيئَةِ والمياهِ الجوْفية مـــن المَشْرُوعِ الإسرائيليِّ قد تمتدُّ إلى كُلِّ مَنطقةِ رَفَح على المَدَى القصيرِ، وخـــانْ يُـــونس على المَدَى البعيد، كما ستمْتَد تلك التأثيرات إلى الشّمال الشّرقي لمصر، ممّـــا يعنـــى أهميّة التّصدِّي للمشْرُوعِ الإسرائيليِّ الجديدِ، وشَرْحِ آثارِه عبْرَ وسائلِ الإعلام " إيّـــاه " وإثارة جميعِ الأطرافِ الدّولية المُهتمّة بالبيئة، وتلك التـــى تتغنّـــى بحُقـــوق الإنـــسان لمُقاومته والعَمَل على إيقافه.

وبما أنّ غزّةَ تُمثِّل لمصْرَ بُعْدَاً أمنياً استراتيجياً عَبْرَ العُصُورِ المُختلفَة مُنذ عُصْرِ الأُسَر، كان حتماً على الإسرائيليين أنْ يُدمِّرُوها قبل انسحابِهم المزعُوم منها أو بَعْده وأن يُفسدوا كُلّ مقوِّماتِ الحياةِ الإنسانيّة، والحيوانية، والبيئية فيها قبْلَ انسحابهم منها لتكُونَ الحياةُ بالنّسبة لهُم فى الدّاخلِ الإسرائيليِّ جِداراً طبيعيّاً عازِلاً يفصلُهم عن الأعداءِ فى الجنُوب (مصر) على حَدِّ قوْلهم.

من هُنا وجَبَت حتميّةُ التّغْيير. العـــام، الـــشّامل، القّـــوي، الـــسّريع، المُتكامـــل، الشُّموليّ، إيماناً بحقيقةِ القول (نكُون أوْ لا نكُون) إنّه التّغْييرُ المنْهجـــي، والفكْـــري، والسُّلوكي بالأخذ بالعلْمِ، وتطْبيقِ الأسلُوب العلْميِّ، والإيمانِ بالعَمَل النّـــافع، وإعمـــال المنطقِ بعيداً عن النظريّات والتّعْقيدَات، وانطلاقاً من إيماننا بصعُوبة المُهمـــة التـــى تستهدفُ صـــناعةَ أجيالٍ جديدةٍ لا تعـــشقُ الكاميرا الخفيّةَ ، ولم تُسْحِرُهُم عُيونُ بهيّة،

ولم تستهْوِيهم المُسلسلاتُ الجهنّميّة ، ليكُون قادراً على حمْلِ الرّايـــةِ، والـــزّوْدِ عـــنِ العرْضِ والأرْضِ.

يا سادة: نحنُ فى مَسيسِ الحاجَةِ إلى قِراءةِ الواقِعِ، واستقرَاءِ شــواهِدِهِ، وتحليـــلِ نتائِجِهِ، نحن فى حاجَةٍ إلى انتفاضَةٍ شديدةٍ على الذّات أشد من زلـــزال ١٩٩٢، نحـــن فى حاجَةٍ إلى ثوْرةٍ على النّفْسِ التى خَلَدَت إلى الرّاحةِ وعلّمَت الجبينَ الرُكـــونَ إلـــى الكَسَلِ، نحن فى حاجةٍ إلى انقلابٍ عامٍ فى كافّةِ مناحِي الحياةِ، ولسْنا أُمّةً يُعْوِزُها مَـــن يأمُرُها بتوحيدِ الزّيِّ، أو توحيدِ الطّعامِ وَتَحْديدِ كمِّيّاتِهِ كالحيواناتِ فى المزارِع.

لقد كُنّا للعالَمِ ولأنفُسنا سادَةً وريادة، ولِقُرُونٍ طويلةٍ تَسْبِقُ اكتشافَ العـــالَمِ نفْـــسَه ، وإنما أجْهَدَتْنا الحُروبُ ، وأتعبتْنا الدّيُونُ، فتثاقلَت خُطانَا ، وتأخّرْنَا عن الرّكْبِ ، فتخلّفْنَا كثيراً عن مُـــواكبةِ العالَمِ مِن حوْلِنا ، فقد نَزَل على القَمَرِ والمرّيخ ، وَسَبَحَ فى الفَضَاءِ ، ونحنُ لا زِلنا نسْبَح فى عُيون بهية، وينادى مُنادينا مِن تحتِ الماءِ إنِّى أغرق. أغـــرق، أغرق.

والآن صارَ مِن المُتعيّن علينا أن نُسابِق الزّمنَ فى إعادةِ اكتشافِ الذّات العربيـــة والإسلاميّةِ مِن جديدٍ قَبْلَ أن يجرفَ التّيّارُ البَقِيّةَ الباقِيَةَ إلـــى أغـــوارِ البحْـــرِ الُّلجِـــيِّ فنغوصُ فى القـــاعِ ونـــستقِر فـــى ظَـــلامِ الأغْـــوارِ، وقبـــلَ أن ننـــام نوْمَـــةً بِـــلا قِيامٍ..................



{{ بوش يأكل الديك الرومي فى بغداد إيذانا بالانطلاق نحو إقامة الإمبراطورية الأمريكية فى الشرق الأوسط الجديد " صورة بالراديو " }}

(٤٥٣)

الفصلُ الثّانـــــــى

مــَداخِلُ الإصْلاحِ:

لنقولَها بِصراحةٍ، وهى حقيقةٌ مؤْلِمة: لا أمَلَ فى الإصلاحِ إلاّ إذا واجَهْنا أنفُسَنَا فى شجاعَة، وبدأنا من عندها بقولِ الصِّدقِ فى لحظَةِ صدق.

فلنُنَحِّى الجَدَلَ، ولْنَطرْحِ الخلافات، وليُحَاوِلُ كلٌّ منّا تربيةَ نفْسه، وتأديبَها بـآدابِ القُرآن الكريم، ليكُون المسلمِ من بيننَا مُسلماً عَلَى مُراد الله، ووفْق شريعتِه، وليُـصْلِح كُل منا نفْسَه ويؤدِّبَها قبلَ أن يجعل من نفْسه زعيمًا يُؤَدِّبُ النّاس، ويُكـرِهُهم بعَـصَا الأحكامِ والأغلال، وبذلك يمْكن القول أن لا نخْتلِف، ونضمَن أن لا يَذْهَب كُلٌّ منّا فـى طَريقٍ، وسَوْفَ يسهُل الاتفاق، ويهُونُ الاتِّحاد، والوقُوف صفّا واحداً أمـامَ المكيـدَةِ العُظْمى والمؤامُرة الكُبْرَى، والكَيْد الكُبّار الذى يُكاد لَنَا فى الخَفَاءِ والعَلَنِ علَى السّواء.

ولَسَوْفَ تحدُثُ آنئذٍ المُعجزةُ، ويهابُنا الكُلُّ، ولَسَوْفَ ينـصُرنا الله تَعَـالى نـصر عزيزٍ مُقتدرٍ، وإذا كان غير ذلك فليس أمامَنا إلاّ الحَلْقة الأبديّة المُفرغَة، وفيها تنظُـر كُلُّ فِئة إلي حُكومتها علَى أنّها كافِرة، ثُمّ تُحاوِل خَلْعَها وأخْذَ أماكنها، ويدُور الـصِّراعُ الدامِي بين الفِرَقِ المُتَفَرِّقة.

إنّ للإنسانِ المُسلمِ حقُوقَه وحُرِّيتَه وكرَامتَهُ، التي يتمتّع بها الخنازير والعُجُولُ في بلادها، بينمَا يُحرَم المُسلمون منها في بلادهِم وديارِهم، وهي حقوقٌ يجب التأكيدُ عليها أوّلاً، حتى يتسنّى قيام الفَردِ المُسلم، ولنَعْلَم جميعاً أنّ تربيةَ النّفسِ والاهتمامِ بها، وبناءِ الشّخصيةِ المُسلمَة هي الطريقُ الأوحَدُ إلي سياسةِ المُجتمعاتِ القويّة، وما دُون ذلـك فلن يكُون حُكمٌ إسلامي، لأنّ المُسلم بعْدَ يكون ما زالَ في كَبْوتِه ولم ينْهَض من رَقْدَتِه ولم يَنْتَفضْ علَى جَهَالتِه.

ولعلّ ما يجْرِي علَى أعْيُننَا من أحداثِ البلاءِ والابـتلاءِ هـو بدايـةُ التّمْحـيصِ والإعدادِ والتّربيةِ لإنشاءِ صفْوةٍ تحْملُ في المُستقْبَلِ مسئُوليةَ نظـامٍ إسـلامِيٍّ جديـدٍ، ودولَةً إسلامية مُثلى تَصِلُ ما انقَطَعَ من ماضٍ بعيدٍ تَلِيد.

وذلك بعدَ أن يُتقِن المسلمُ في عالَمِه الإسلاميِّ المُوحّد مُحاوَرَةَ هذا العصر اللّئـيمِ الذي نعيشُه، ويتفـهّم مكْرَ لُغَتِه ، ويفُكُّ مُصطلحاته الذّكية للخرُوج من الفخِّ المنصوبِ

للجميع، بفَضْلِ وُجُودِ رأْيٍ عام إسلاميٍّ قويٍّ وفاعلٍ ومُؤثِّرٍ، يَهْدِى الــنُّظُمَ الموجُــودةَ إلي الخَطِّ الصّحيح.

ولْيَعْلَمِ المُسلمُون عامّة والعربُ خاصّة، أنّ العالمَ كلّه يخافُون الإسلامَ، ويمقُتُونَــه مقْتَ الموت، لأنّه الرّايةَ التي نجْتَمعُ تحتَها بتلقائيّة، ونفرُّ إليها عند الشّدائد، ولأنّه حَبْلُ الله المَتين الذي يلمُّ الشّملَ بكَلمَة الله، ولهذَا فإنّهم يُكثِّفُونَ هُجومَهم لتشْويهه والقَــضَاء عليه، وهذا هو ما يُؤكِّد علَى أنّهم لم يجتمعُوا علينا إلاّ لهوانِ شأننَا، وغيابِ عُقُولنــا، ووَهَنِ عزيمَتنا.

وإذا أرَدْنا أن نكون كما نُريدُ فإنّه يتعيّنُ علينا الاقتنــاع بــأنّ الــوعْيَ الــشّعبيَّ السياسيَّ هو الأداةُ والوسيلةُ والسلاحُ، الذي يُمكــن أن يُجهــضَ الإرهــابَ الــدّوليَّ، ويفْضحَه، ويطارِدَه، ويدحَره، ويُمكنه كذلك أن يُشعلَ نارَ المُقاطَعة الشّاملَة التي تَــرُدُّ كيدَ الأعداءِ في نُحُورهم، فتُصيبهم في الصّميم، كما فَعَلَ "**غاندي العريان**" في الهنــد، وقد انتَصرَ علَى التِّرْسانَة الإنجليزيّة المُدَجّجة بكلِّ صُنُوف السِّلاح.

لقد نَهَبَ الكافرون ثرْواتَنا في حُروب الخليج الثلاثة، وأوقعُوا بينَنَــا الخُــصومةَ والشِّقَاقَ يبغُونَنَا الفتْنَةَ، حتى تناطَحْنَا، وتحارَبنا، وافترَقْنا، وتسوّلنا رَغيفَ الخُبز.

وللدُّول الكُبرى يدٌ طُولَى في هذا التّخلُّف، فهي الطّرفُ القَــوي الغــازِي، وهــي المُستعمرُ الذي جاءَ (مُستغلاً، مُحتكراً، ناهباً) مُثيراً بعضَ الطّوائف علــى بعــض، وشجّعوا وُكَلاءَهم بعد خُروجهم من النهّابين، واللصُوص، والأفّاكين، والقوّادين، وهُمُ الذين صنَعُوا الدّيكتاتُوريات أُسّ البلاء، وسبَب النّكبات، وهي كذلك الحاميةُ الحقيقيــةُ، والمَرْجعية الشّرعيّة للجريمة والفَسَاد، والنّهب والتّخلُّف.

وهُم الذين يبطشُون بقُوّة، ويضربُون بشدّة علَى كُلِّ يدٍ أو إرادةٍ تنهضُ للإصلاح، وهم كذلك أصحابُ القامُوس الغَوْغَائيِّ الذي شاعَ وزَيَّفَ كلّ شيء، ولا مانع عنــدهُم من مَحو الذّاكرَة البَشَريّة، وتزْييف التّــاريخ، وتلْفيــق الحَقَــائق، والعــالَمُ المخــدُوعُ يُصدّقهم، ويساندُهم، ويُصفِّق لهُم.

لذلك أقولُ وأُكَرِّر أنّنا جميعاً نلعبُ في الوقْتِ بدَل الضّائع، والحَلْقةُ تَضيقُ علَــى رقابنا شيئاً فَشَيئاً. ***والله المستعان***

لقد تَشَرذَمَت الحميّةُ الإسلامية، وخلّفت ورَاءَهَا تشرذُماً مذهبياً، وتعَـصُّباً دينيـاً، وتطلُّعات إقليمية، ثُمّ تَشَرْذَمَت بعْدَها القوْميةُ العربيةُ إلي انقسامات شُعوبية، وتطلُّعـات وطنية، وحزَازَات إقليميّة، حتّى أصْبَحَ العربُ بعد الإسفين الذي دقّـه الغـربُ فـي العلاقات العربية الإيرانية يخْشَونَ من تنامي القُوة العسكرية الإسلامية الإيرانية، وهي تصبُّ في صالحنا، وليستْ ضدّنا، ولا بُدّ من تطويرها وتنْميَتها، كما يجـبُ اسـتثمار تلكَ القُوّة وتعزيزها، والفخْرُ بهَا، لأنّه لا شيءَ يصلُحُ عندما تتَصاعَدُ المَوَاقفُ إلي حَدِّ المُواجهة لردْع الطّامعين سوى هذه المَظلّة من الخَوف، بينَمَا يُحتّم الواجبُ أمـامَ أيِّ تكتُّل غرْبيٍّ مُخيف ضرُورةَ أن يكُون هُناك تكتُّلٌ مُماثلٌ علَى الجانـب الآخَـر أكثـر تَرْويعاً وأشَدُّ رَدْعَاً.

ولا يجبُ الخوفُ من الإسلامِ والإسْلاميِّينَ، فالأوْلَى أن يخشاهُ الخُصُومُ والأعداءُ لا نحنُ، فالإسلامُ عَلَى مَرِّ العُصُور قُنبلةٌ موقُوتةٌ مُشتعلٌ فتيلُها، وسياسةُ الغرْب علَـى إطلاقه تُؤكِّد علَى أنّهم يحسبُون ألفَ حساب لَهُ، ويخشونَهُ أيّمَا خَشْية.

وإخراجُ الإسلامِ بمعناه ومضمُونه من اللّعْبة ومن حلْبة الـصِّراع، يعنـي نـزْع مخالبنا التي لا نملكُ غيرَهَا لنَقف أمام تمثيليّة السّلام التي أخرجُوها لَنَا، علـى أنّهـا الغايةُ النّهائيةُ، تُسحرنُا مشاهدُها، وتُؤثِّرُ فينا دراميّتُها، وهي في الحقيقـة اسـتراتيجيةٌ مَرْحَليةٌ، وليست أملاً وغَايةً انعَقَدَت عليهَا همّة هؤلاء النّاس.

ولنَنْتَبه من الغَفْلة التي طَبَعتْنَا جميعاً بالتخَلُّف بَعدَ أن اتّـسعت بيْنَنَـا النِّزاعـاتُ الإقليميةُ والطّائفية، والقَبَليّة، والشّخصية، وقد جعلَت منّا مطْمَعاً للطّامعين، و"**ملْطَـشَة**" للمُغامرين، وهَدَفاً سَهْلاً للدُّول الكُبرى يسهُل ابتلاعُه، وهي تُخطِّط لتَجْعَلَ منّا أسوَاقَهَا وحميرَها، ولها كُلُّ العُذرُ، فلا أمَلَ في أن يحترمنا أحَدٌ ، إلاّ إذا أصبحْنا أهلَ احتـرام، ولن يُساعدنا الكبارُ إلاّ إذا حقّقنا السلامَ أوّلاً **في بيتنا الصّغير، في بيت العرب بين كل العرب، وتسامحنا فَتَصَافحْنا واتّفقنا وتوّحدْنا**، ثُمّ نمُدُّ يَدَنَا بَعْدُ إلي إخوَةِ الـدِّين فـي أرض الله الواسعة.

لقد مَرّ الغربُ علَى مثل الحالَة التي نَحْنُ عليْهاَ، في حُروب العُـصور الوُسـطى المُظْلمة، وفي حــرْب المائَة عام بين إنجلترا وفرنسا، وفي الحرْب الأهليّة الأمريكية، وفي الحربين العالميتين الأولى والثـّانية،ولكنّ الغربَ خرَجَ من هذه المحَن وقد نَضَجَ عقلُهُ، وتعلّم وتنوّرَ، وتطوّرتْ تطلُّعاتُهُ.

فها هي أورُوبا تصنَع وحْدة نقْدية وسياسيّة واقتصادية، وأمريكا أكثر من (٥٠) خَمسين ولاية تَتّحدُ تحت عَلَمٍ واحدٍ رغْم اختلاف أجناسٍ، وأديانٍ، ولُغــاتٍ، وأعــراقِ مُواطنيها، وقد تفاهَمَ فيها الأحمرُ والأصفرُ، والأبيضُ والأسْوَدُ، وجَلــسُوا يتحــاورُون ويحلّون مشاكلَهُم على مائدةٍ واحدةٍ حتى صاروا يُمسكُون وحدَهم بمفاتيحِ حُلولِ مشاكلِ العالم كُلِّه.

وها هي الصِّين قرابَةَ المليارَيْن من البَشَر يتحرّكُون في مسيرةٍ مُتآلفة، مُنْــسَجِمَةٍ نحْو هدَفٍ واحدٍ، وفي جنُوب إفريقيا اجتَمَعَ البيضُ والسُّودُ، واتَّفَقُوا على رئيسٍ أسْــود يحكُمهم.

ولكنّنا نبدُوا أقَل من أن نُدرِك أنّ العواصِفَ حولنا تريدُ أنْ تقتَلِــع كــلّ الخِيــام، لِتَتركَنا في العَراء.

واليوم أيُّها الأخْوة في عالمنا الإسلاميّ والعرَبِــيِّ المُتَّفقُــون علـــى الاخــتلاف، المُختلفُون على الاتِّفاق، أُنَبِّهُكُم بأنّ الزّمان قد استدَارَ دوْرةً كاملَةً أوْشَكْنَا مَعَهَا علـــى العَوْدِ إلى بدْرٍ وحُنين أُخرَيين، ولسَوْفَ يتكاثَرُ عليْنَا أعداؤُنا من الدّاخِلِ ومن الخارجِ، ولسَوْفَ نتراجعُ حتى نُسندُ ظهرانينَا إلى الحائط، حتى يجسُمُ علينا مُستقبلٌ مُظلمٌ.

ومن ثمّ فإنّه لا بُدّ أن نعُودَ أحْوَجُ ما نكُون إلى معْرفة طريقِ الله، والعــوْدِ إلـــى الإيمانِ الصّحيحِ، والمَعْرِفة الصّحيحَة بالله، فليسَ لنَا إلاّهُ، ولا سلاح حقيقيٌّ إلا هُــو، ولا سلام إلاّ سلامه، ولا عزّ إلاّ بنصْرِه ولا حِصن للْجَميعِ إلاّ حِصنُه.

وتتجمّعُ في الآفاق النُّذُرُ والبشاراتُ .

فهل نحن علَى مُستَوَى جاهزيّة الاختبار ؟

وهل نحن تأهّلنا لأن نُصبح في مُستوى الامتحان ؟

وهل نحن على هذه الدّرجة من الإيمان ؟

والإجابةُ عند السّنوات العصيبَة المُقْبلَة .

﴿ وَارْتَقِبُواْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ ﴿هــود :٩٣ ﴾

وَلَنَا بَعْدُ حِكَايةٌ

فى

أغوار العَالم الإسْلامِيِّ

((الجُزْءُ الثّانِيِّ))

حُدُودٌ فَاصِلَةٌ: قريباً

عبد السلام اللمعي

من إصدارات الكاتب :

(١) هذا بلاغٌ للنّاس _ المكتبة المحمودية بالأزهر الشريف

(٢) الفَوْزُ العَظِيمُ . من إصدارات "" مكتبة الإيمان بالمنصورة """

(٣) الخُسران المبين . من إصدارات "" مكتبة الإيمان بالمنصورة """

(٤) المُؤامَرةُ الكُبْرَى على العُروبَة والإسْلامِ والإنسانيّةِ عَبْر مراحِل التّاريخ _ من إصْدارات """ الدار العالمية للنّشر . الملك فيصل """

(٥) وحيد القرن ء ورياح التغيير . من إصدارات "" الدار العالمية للنشر الملك . فيصل ""

(٦) صراع الحضارات ء وحوار الدّبّابات . من إصدارات "" مكتبة وهبة "" شارع الجمهورية . عابدين القاهرة .

(٧) أغوارُ العالَمِ الإسْلاميّ / الجــزء الأول { ﷽ } باكُورة إصْدارات "" دار الهَدَف للنّشْر والتّوزيع ""

""

تحت الطبع :

(١) الحَجُّ إلى البَيْتِ الأَبْيَض. دار الهدف للنشر والتّوزيع

(٢) اللّقَيطَةُ فى الأحشاءِ العَرَبِيّة. دار الهدف للنشر والتّوزيع

(٣) العِراقُ إلى أيْنَ ؟!. دار الهدف للنّشر والتوزيع

المراجع

مُسلْسَل	المُصنَّف	المُؤلِّف
١	البداية والنهاية	الحافظ ابن كثير
٢	موسوعة المغرب العربي	د. عبدالفتاح مقلد الغنيمى
٣	موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية	د. أحمد شلبي
٤	عقيدة الشّيعة	روايت م./ روندلسون
٥	الطبيب في بلاد العرب	بول هاريسون
٦	نظرات حول العصر العبّاسي الأوّل	د. محفوظ نصّار
٧	نظرات حول العصر العبّاسي الثّاني	"" ""
٨	مُرُوج الذّهب	السّعودي
٩	الفَرْقُ بين الفِرَق	البغداديُّ
١٠	المِلَل والنِّحَل	الشّهرستاني
١١	الموسوعة المُيَسّرة في الأديانِ والمذاهب المُعاصرة	النّدوةُ العالمية للشباب الإسلامي ـــ الرِّياض ـ المملكة السعودية
١٢	الخِطَط	المقريزي
١٣	فضائح الصُّوفية	عبدُالرّحيم عبدُالخَالِق
١٤	تبصير الأذهان ببعض المذاهب والأديان	حَمّد بن عبدالملك السبيعي
١٥	قادَةُ الغَرْبِ يقولون ـ دَمِّروا الإسلام أبيدوا أهله	جلال العالم
١٦	لماذا يخافون من العملاق	عبدالحميد بن عبدالرّحمن السحيباني
١٧	الصّربيُّن خنازير أوروبّا يحاولون إبادة الوجُود الإسلامي في البلقان	د. عبدالحَيّ الفرماوي
١٨	القانُون الدُّستوريُّ	د. محمد حسنين عبدالعال
١٩	دراسات في الأدب الجاهليِّ	د. عبدالعزيز نبوي

مُسلْسَل	المُصنَّف	المؤَلِّف
٣٠	جُذُور البلاء	عبدالله التّل
٣١	التّعصُّب والتّسامح	الأستاذ / مُحمّد الغزالي
٣٢	مَحَاكِمُ التّفتيش	د. عَليّ مظهر
٣٣	تفسير الطَبَريّ	الطَبَريّ
٣٤	سيرة ومناقب أمير المؤمنين (عمر بن الخَطّاب)	أبو الفَرَج الجَوزي
٣٥	القومية والغزو الفِكْري	محمد جلال كِشْك
٣٦	إفريقيا والثّورة	هوبير ديشان
٣٧	مفاتيح الغيب	العسقلاني
٣٨	الطّريقُ إلى جهنّم	د. مُصْطَفى محمُود
٣٩	فضائحُ الصُّوفية	عبدالرّحيم عبدالخالق
٣٠	مُعجَمُ الأُدباء	ياقُوت الحَمَويّ
٣١	رسائلُ الخوارزْميّ	الخوارزْمي
٣٢	الكامل في التّاريخ	أبو الحسن ابن الأثير
٣٣	تاريخ الفِرَق الإسلاميّة	أحمد مجاهد مصباح
٣٤	ولاية فقيه / فارسيّ	الإمام / آية الله الخُميني
٣٥	شرْح تردّدات المُختصر النّافع	شيخ/ عَلِي بن إبراهيم قَطِيْفِي
٣٦	المُختَصَر النّافعُ في فقْه الإمَامِيّة	مُحَقّق عَلِي
٣٧	فَجْرُ الإسْلامِ	أحْمد أمين
٣٨	الكافِي	الكُلِّينيّ
٣٩	الأغاني	الأصْفهاني
٤٠	التّبْصيرُ في الدِّين	لأبي مظفّر الإسفرايينيّ
٤١	كشفُ الأسْرَار	آية اله الخميني
٤٢	الحُكُومَةُ الإسلاميّةُ	"" ""
٤٣	آسيا وإفريقيا	أحمد سيكوتوري

(٤٦٢)

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة
	٣٩٣

٤٦٩



موقعنا على الإنترنت www.elhadaf.org

بريد اليكتروني:

info@elhadaf.org ellamey2000@yahoo.com

ellamey@elhadaf.org ellamey@hotmail.com

تليفاكس : ٠٢٨١٥٠٢٣٩

طبع بمطابع :